إفادة الأنام

بذكر أخبار بلد الله الحرام
مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام

تأليف

العلامة المحدث عبد الله الغازي المكي الحنفي

دراسة وتحقيق

معالي أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

المجلد الثالث

ح مكتبة الأسدي ، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحنفي، عبدالله بن محمد الغازي المكي

افادة الانام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمي بإتمام الكلام / عبدالله بن محمد الغازي المكي الحنفي ؛ عبدالملك عبدالله ابن دهيش - مكة المكرمة ، ١٤٣٠هـ

٧ مج.

ردمك ٦-٠-٩٠٠٧٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٧-٣-٩٠٠٧٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

١ - مكة المكرمة -تاريخ أ - ابن دهيش، عبدالملك عبدالله (محقق)

ب . العنوان

ديوى ٩٥٣،١٢١ ١٤٣٠/٢٣٠٦

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٢٣٠٦

ردمك ٦-٠-٩٠٠٧٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٧-٣-٩٠٠٧٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

توزيع



مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع



مكة المكرمة - العزيزية - مدخل جامعة أم القرى ت - ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس - ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت - ٥٢٧٣٠٣٧ ص. ب ٢٠٨٣



الباب العاشر: في ذكر أمراء مكة المشرفة وذكر ولاتها من طرف الدولة العثمانية

الفصل الأول: في ذكر أمراء مكة المشرفة

قال العلامة السيد أحمد دحلان رحمه الله في خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام[1]: أول أمير تولى إمارة مكة بعد فتح النبيﷺ إياها في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة عتّاب -بتشديد التاء- بن أَسيد -بفتح الهمزة- بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف[2].

أسلم عتّاب يوم الفتح، فولاّه النبي ﷺ عند مخرجه إلى حُنين[3] في العشر الأول من شوال سنة ثمان من الهجرة، وكان عمره إحدى وعشرين

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٣).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٦/٣-٧)، وغاية المرام (١/٣٥)، وتهذيب الكمال (١٩/٢٨٢)، وطبقات ابن سعد (٤/٥٦، ٧/١٤)، والمحبر لابن حبيب (١٠٤)، والتاريخ الكبير (ترجمة: ٢٤٠٢، ٢٤٧٧)، والجرح والتعديل (٧/١١)، ومشاهير علماء الأمصار (ترجمة ٢٠٠)، والمعجم الكبير للطبراني (٣/٢٦٨)، وجمهرة ابن حزم (ص:٧٠)، والاستيعاب (٣/١٠٢٣)، وتلقيح فهوم أهل الأثر (١٧٨، ٣٧٩)، والكامل لابن الأثير (٣/١٩٩)، وأسد الغابة (ترجمة ٩٧٦)، والكاشف (١/١٩٨)، وتاريخ الإسلام (٢/٢٦)، وتجريد أسماء الصحابة (ترجمة ١٠٣٩)، وسير أعلام النبلاء (١/١٩٩)، والوافي بالوفيات(١١/٢٤٢-٢٤٣)، وتهذيب التهذيب(٧/٨٢)، والإصابة (٤/٤٢٩)، وخلاصة الخزرجي (ترجمة ١١٦٨).

(٣) حنين: غزوة من أشهر غزوات الرسول ﷺ بعد بدر، كانت في السنة الثامنة من الهجرة.

سنة[١]، ولم يزل والياً على أهل مكة إلى وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت وفاته ووفاة أبي بكر رضي الله عنه في يوم واحد، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة. وقيل: إن عتّاباً توفي في يوم ورود خبر وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأهل مكة.

وولي إمارة مكة في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه: المحرز بن حارثة بن [ربيعة][٢] بن عبد العزى[٣]، ثم قُنْفُذ بن عُمير بن جدعان التيمي[٤]، ثم نافع ابن [عبد][٥] الحارث الخزاعي[٦].

---

(١) انظر: إتحاف الورى (٥٢٨/١)، وغاية المرام (١٦/١)، وأخبار مكة للفاكهي (١٧٥/٣)، والعقد الثمين (٣/٦)، والاستيعاب (١٠٢٣/٣)، وأسد الغابة (ترجمة ٣٥٣٨)، والثقات (٣٠٤/٣)، والجرح والتعديل (١١/٧، ٤٦)، وتجريد أسماء الصحابة (٣٧٠/١)، وتقريب التهذيب (٣/٢)، وتاريخ الإسلام (٦١/٣)، والتاريخ الصغير (٣٣/١)، وأزمنة التاريخ الإسلامي(٧٥٧/١)، والأعلام (١٩٩/٤)، والتاريخ الكبير (٥٤/٧)، والكاشف(٢٤٣/٢)، وشذرات الذهب (٢٦/١)، والعبر (١٦/١)، وتهذيب الكمال (٢٨٢/١٩)، ومشاهير علماء الأمصار (١٥٥)، والبداية والنهاية (٣٠٤/٧).

(٢) في الأصل: سعد. والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٧٩/٢)، وغاية المرام (٣٩/١)، والعقد الثمين (١٣٥/٧)، والاستيعاب (١٤٦١/٤)، والإصابة (٧٨٢/٥)، وأسد الغابة (ترجمة ٤٦٨٧).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٧٩/٢)، وجمهرة أنساب العرب (ص:٧٨)، وغاية المرام (٤١/١)، والعقد الثمين (٧٦/٧-٧٧)، والاستيعاب (١٣٠٧/٣)، والإصابة (٤٥٥/٥)، وأسد الغابة (ترجمة ٤٣٢٣)، وتجريد أسماء الصحابة (١٧/٢).

(٥) قوله: "عبد" زيادة من مصادر ترجمته.

(٦) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٧٩/٢)، وأخبار مكة للفاكهي (١٦٤/٣)، وغاية المرام (٤٣/١)،والعقد الثمين (٣٢٠/٧-٣٢٢)، والاستيعاب (١٤٩٠/٤)، والإصابة (٤٠٨/٦)، وأسد الغابة (ترجمة ٥١٧٦)، والثقات (٤١٢/٣)، والطبقات (ص:١٠٩)، وتجريد أسماء الصحابة (١٠٢/٢)، وتقريب التهذيب (ص:٥٥٨)، وتهذيب التهذيب =

ومن ولي مكة لعمر رضي الله عنه: خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة[١]، وأحمد بن خالد، وطارق بن المرتفع بن الحارث بن [عبد مناة][٢]، والحارث بن نوفل القرشي[٣].

وولي مكة في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه: علي بن عدي بن ربيعة[٤]، وخالد بن العاص، والحارث بن نوفل -المتقدم ذكرهما-، ثم عبدالله ابن خالد بن أَسيد[٥] -وهو [ابن][٦] أخي عتاب بن أَسيد-، ثم عبدالله ابن عامر الحضرمي[٧]، ونافع بن [عبد][٨] الحارث الخزاعي -المتقدم ذكره-.

=

(٣٦٣/١٠)، والأعلام (٥/٨)، والجرح والتعديل (٤٥١/٨)، والتاريخ الكبير (٨٢/٨)، والطبقات الكبرى (٢٤٢/٣)، ومسند بقي بن مخلد (ص:١٠٥).

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٧٩/٢)، وغاية المرام (٤٧/١)، والعقد الثمين (٢٦٨/٤-٢٧٠)، والاستيعاب (٤٣١/٢)، والإصابة (٢٤٠/٢)، وأسد الغابة (ترجمة ١٣٧٢).

(٢) في الأصل: عبد مناف وهو تصحيف، أصلحناه من مصادر ترجمته. انظر ترجمته في: غاية المرام (٥١/١-٥٢)، والعقد الثمين (٥٥/٥)، والإصابة (٥١٤/٣). وانظر جمهرة ابن حزم (ص:١٨٠).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢٩/٤-٣٢)، وغاية المرام (٣٥/١-٣٩)، والاستيعاب (٢٩١/١)، والإصابة (٦٠٣/١-٦٠٥).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٨١/٢)، وغاية المرام (٥٦/١)، والعقد الثمين (٢١٧/٦)، والإصابة (٦٦/٥)، والتجريد (٤٢٤/١)، والاستيعاب (١١٣٤/٣)، وأسد الغابة(ترجمة ٣٧٩٣).

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٨١/٢)، وأخبار مكة للفاكهي (١٦٤/٣)، وغاية المرام (٥٧/١)، والعقد الثمين (١٣٣/٥-١٣٥).

(٦) قوله: "ابن" زيادة من مصادر ترجمته.

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٨١/٢)، وغاية المرام (٦١/١-٦٢).

(٨) قوله: "عبد" زيادة من مصادر ترجمته.

وولي مكة في خلافة سيدنا علي رضي الله عنه: أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه فارس رسول الله ﷺ، واسمه: الحارث بن ربْعي، وقيل: النعمان بن ربعي، وقيل غير ذلك(١).

ثم قُثَم -بضم القاف وفتح المثلثة- بن العباس رضي الله عنه(٢) بعد عزل أبي قتادة، ولم يزل والياً عليها إلى أن قتل علي رضي الله عنه. كذا في الجامع اللطيف(٣).

[وفي](٤) شفاء الغرام(٥): أنه ولي عليها سنة ثمان(٦) وثلاثين، وحجّ بالناس.

وفي تسع وثلاثين بعث معاوية رضي الله عنه يزيد بن [شجرة](٧) الرهاوي في ثلاثة آلاف فارس إلى مكة ليقيم الحج ويأخذ له البيعة، فتنازعا ولم يسلم أحد لصاحبه، ثم وقع الصلح على أن يعتزل قُثَم ويزيد، ويختار الناس

---

(١) انظر ترجمته في: غاية المرام (١/٦٣-٦٦)، وشفاء الغرام (٢/٢٨٢)، والأعلام (٢/١٥٤)، والعبر (١/٦٠)، والكامل (٣/٣٤٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/٢٢٤).

(٢) انظر ترجمته في: غاية المرام (١/٦٧-٧٤)، وشفاء الغرام (٢/٢٨٢)، والأعلام (٥/١٩٠)، وتهذيب التهذيب (٨/٣٢٣)، والاستيعاب (٣/١٣٠٤-١٣٠٥)، والكامل (٣/٢٤٢).

(٣) الجامع اللطيف (ص:٢٨٦).

(٤) قوله: "وفي" زيادة على الأصل.

(٥) شفاء الغرام (٢/٢٨٣).

(٦) في شفاء الغرام: ست.

(٧) في الأصل:شنجرة. وكذا وردت في الموضعين التاليين، والتصويب من تاريخ خليفة (١/٢٢٦)، والكامل (٣/٢٤٦)، وإتحاف الورى (٢/٢٩)، وخلاصة الكلام (ص:٤).

ممن يصلي بهم، فاختاروا شيبة بن عثمان، فصلى وحجّ بهم[١]. انتهى.

وفي تاريخ ابن فهد[٢]: وفي سنة تسع وثلاثين بعث معاوية رضي الله عنه يزيد بن شجرة الرهاوي في ثلاثة آلاف فارس إلى مكة ليقيم بالناس الحج، ويأخذ له البيعة بها، وينفي عنها قثم بن العباس عامل علي رضي الله عنه، فلما سمع قثم خطب الناس بمكة وعرَّفهم مسير الشاميين، ودعاهم إلى غزوهم فلم يجيبوه بشيء، وأجابه شيبة بن عثمان العبدري بالسمع والطاعة، فعزم قثم على مفارقة مكة واللحاق ببعض شعابها ومكاتبة أمير المؤمنين علي بالخبر، فإن أمدّه بالجيوش قاتل الشاميين، فنهاه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن مفارقة مكة، وقال: أقِمْ، فإن رأيت نيّتهم القتال وبك قوة فاعمل برأيك، وإلا فالمسير عنها أمامك، فأقام، [وقدم الشاميون فلم يعرضوا لقتال أحد][٣]، وأرسل إلى أمير المؤمنين يخبره، فسيّر جيشاً فيهم الريان بن ضمرة بن [هوذة][٤] بن علي الحنفي وأبو الطفيل أول ذي الحجة، وكان قدوم يزيد بن شجرة قبل التروية بيومين، فنادى في الناس: أنتم آمنون إلا من تعرَّض لقتالنا ونازعنا. واستدعى أبا سعيد الخدري وقال له: إني لا أريد الإلحاد في الحرم، ولو شئتُ لفعلت؛ لما في أميركم من الضعف، فقل له يعتزل الصلاة بالناس وأعتزلها أنا، ويختار الناس من يصلي بهم. فقال أبو سعيد لقثم ذلك، فاعتزل

(١) غاية المرام (١/٦٨).

(٢) إتحاف الورى (٢-٢٩-٣٠)، والكامل (٣/١٦٤).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٢/٢٩).

(٤) في الأصل: هود. والمثبت من إتحاف الورى، الموضع السابق.

الصلاة، واختار الناس حاجب ذلك البيت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة فصلى بهم وحج. فلما قضى الناس حجهم سار يزيد إلى الشام، وأقبل خيل علي فأخبروهم بعود أهل الشام فتبعوهم. انتهى.

وولي مكة في خلافة معاوية رضي الله عنه جماعة، منهم: أخوه عتبة بن أبي سفيان[١]، ومروان بن الحكم[٢]، وسعيد بن العاص[٣]، وابنه عمرو بن

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٨٤)، وغاية المرام (١/٧٦)، وأخبار مكة للفاكهي (٣/١٧٦)، والعقد الثمين (٦/٨-١٠)، والاستيعاب (٣/١٠٢٥)، والإصابة (٥/٦٠)، وأسد الغابة (ترجمة ٣٥٤٦)، ونسب قريش (١٢٥، ١٥٣)، والأخبار الموفقيات (٣٢٧، ٥٠١)، وتاريخ خليفة (٢٠٥، ٢٠٨)، وأنساب الأشراف (١/٤٢١، ٤٤٠)، والمحبر (٢٠، ٢٦١)، وتاريخ اليعقوبي (٢/٢٢٢، ٢٣٩)، وتاريخ الطبري (١/٢٦٣، ٤/٢٢٠)، والخراج وصناعة الكتابة (ص:٤٦٣)، وجمهرة أنساب العرب (ص:١١١، ١١٢)، والولاة والقضاة (ص:٣٤، ٣٩)، وتاريخ الإسلام (١/٧٩).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٨٤)، والعقد الثمين (٧/١٦٥-١٦٩)، وغاية المرام (١/٨٢)، والاستيعاب (٣/١٣٨٧)، والإصابة (٦/٨٢)، وأسد الغابة (ترجمة ٤٨٤٨)، وطبقات ابن سعد (٥/٣٥)، ونسب قريش (ص:١٥٩-١٦٠)، وطبقات خليفة (ص:١٩٨٤)، والتاريخ الكبير (٧/٣٦٨)، والمعارف (ص:٣٥٣)، والجرح والتعديل (٨/٢٧١)، وتاريخ الطبري (٥/٥٣٠، ٦١٠)، ومروج الذهب (٣/٢٨٥)، وأنساب العرب (ص:٨٧)، وتاريخ الإسلام (٣/٧٠)، والبداية والنهاية (٨/٢٣٩، ٢٥٧).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٨٤)، وغاية المرام (١/٩١)، والعقد الثمين (٤/٥٧١-٥٨٠)، والاستيعاب (٢/٦٢١)، والإصابة (٣/١٠٧)، وأسد الغابة (ترجمة ٢٠٨٣)، وطبقات ابن سعد (٥/٣٠)، وتاريخ يحيى برواية الدوري (٢/٢٠١)، ونسب قريش (١٧٧)، والمحبر(٥٥، ١٥٠، ١٧٤)، وتاريخ خليفة (١٦٣)، وتاريخ البخاري الكبير (ترجمة ١٦٧٢)، والمعرفة ليعقوب (١/٢٩٢)، وأنساب الأشراف للبلاذري(٤/٤٣٣)، ومشاهير علماء الأمصار
=

سعيد[١] المعروف بالأشدق[٢]، وخالد بن العاص المخزومي[٣]، وعبدالله بن خالد ابن أسيد[٤].

وولي مكة في زمن يزيد بن معاوية جماعة، منهم: عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق -السابق ذكره-، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب القرشي[٥]، وعثمان بن محمد بن أبي سفيان بن الحارث القرشي[٦]، والحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي[٧] -المتقدم ذكر والده

=

(ترجمة ٤٤٦)، وجمهرة ابن حزم (٨٠)، والجمع لابن القيسراني (١/١٨٤)، والتبيين في أنساب القرشيين (١٠٦، ١٦٤، ١٧٦، ١٩٩، ٣٤٥)، والكامل في التاريخ (٢/٧٧، ٣/٣٠٦، ١٠٧، ٤/١٩٣)، وتاريخ الإسلام (٢/٢٨٦)، والعبر (١/٦٤)، وسير أعلام النبلاء (٣/٤٤٤)، والتجريد (ترجمة ٢٣٢٤)، والبداية والنهاية(٨/٨٣)، وتهذيب الكمال(١٠/٥٠١).

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٨٥)، وغاية المرام (١/١٠٦)، والعقد الثمين (٦/٣٨٩-٣٩٤)، والإصابة (٥/٢٩٤)، والجرح والتعديل (٦/٢٣٦).

(٢) لقب بالأشدق؛ لفصاحته وبلاغته وقوة عارضته في الخطابة.

(٣) سبق قريباً.

(٤) سبق قريباً.

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٨٦)، وغاية المرام (١/١١٤)، والعقد الثمين (٧/٣٩١-٣٩٧)، ونسب قريش (٤/١٣٣).

(٦) انظر ترجمته في: غاية المرام (١/١٢١)، والعقد الثمين (٦/٣٧-٤١).

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٨٧)، وغاية المرام (١/١٢٦)، والعقد الثمين (٤/٨-١٥)، والأغاني (٣/٣١١)، (٩/٢٢٧)، وخزانة الأدب للبغدادي (١/٢١٧)، وتهذيب تاريخ ابن عساكر (٣/٤٣٧)، وطبقات ابن سعد (٦/٥)، والمنتظم (٢/٣٧٥).

خالد-، وعبدالرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي ابن أخي عمر بن الخطاب[1]، ويحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي[2].

وفي ترتيب ولايتهم خلاف؛ إلا عمرو بن سعيد فإنه أولهم، ثم الوليد بعده.

ثم ولي مكة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه بعد أن لقي في ذلك بلاءً شديداً من الحصين بن نمير المقدَّم على عسكر يزيد، وكان وصول الحصين إلى مكة لمحاربة ابن الزبير لما بايعه أهل الحجاز لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين، وتقاتل هو وابن الزبير مدة يسيرة. ثم فرّج الله على ابن الزبير بوصول نعي يزيد في ليلة الثلاثاء لثلاث مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، فولّى الحصين راجعاً إلى الشام، وبويع ابن الزبير حينئذ بالخلافة بالحرمين، وبويع بها في العراق واليمن وغيرها من البلاد، وساد أمره، ودامت ولايته على مكة إلى أن حاربه الحَجّاج وقتله، وكان من أمره ما ليس هذا محل ذكره. كذا في الجامع اللطيف[3].

---

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٨٧)، وغاية المرام (١/١٣٦)، والعقد الثمين (٥/٣٥٢-٣٥٤)، وتهذيب التهذيب (٦/١٦٢)، ونسب قريش (٣٦٣)، والإصابة (٥/٣٦)، والأعلام (٣/٣٠٧).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٨٨)، وغاية المرام (١/١٣٨)، والعقد الثمين (٧/٤٣٤)، وتهذيب الكمال (٣١/٢٧٢)، وتقريب التهذيب (ص:٥٨٩).

(٣) الجامع اللطيف (ص:٢٨٧).

وولي مكة في خلافة عبدالملك بن مروان: الحَجاج بن يوسف[١]، ثم بعد الحَجاج وليها جماعة منهم: مسلمة بن عبدالملك بن مروان[٢]، ثم الحارث بن خالد المخزومي، وفد على عبدالملك فلم يَصِله، فرجع من عنده وأنشد أبياتاً، فبلغت عبدالملك فأرسل في طلبه. فلما وقف بين يديه سأله عما عليه من الدَّيْن، فقال: ثلاثون ألفاً، فقال له عبدالملك: قضاء دينك أحب إليك أم ولاية مكة؟ فقال: بل ولاية مكة، فولاه إياها[٣].

قال العلامة السنجاري في منائح الكرم[٤]: حكي أنه حجت عائشة بنت طلحة في زمن الحارث هذا، وكان يهواها، فأرسلت إليه: أن أخِّر الصلاة حتى أفرغ من الطواف، فأخَّرها حتى ضجّ الناس، فما قام إلى الصلاة حتى فرغت، فقام فصلّى بالناس، فأنكر أهل الموسم ذلك من فعله. وبلغ ذلك عبدالملك بن

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤/٥٤-٦١)، ووفيات الأعيان (٢/٢٩)، والمسعودي (٢/١٠٣-١١٩)، وتهذيب التهذيب (٢/١٨٤)، وتهذيب ابن عساكر (٤/٤٨)، والكامل (٤/٢٢٢)، والبدء والتاريخ (٦/٢٨)، والتاريخ الكبير (٢/٣٧٣).
(٢) انظر ترجمته في: تاريخ خليفة (٣٠١)، والتاريخ الكبير (٧/٣٨٧)، والتاريخ الصغير (١/٢٤٥، ٢٥٤)، والمعرفة والتاريخ ليعقوب (١/٥٧٩، ٥٨٥، ٦٠٠، ٢/٥١، ١٠١، ٢٢٦)، وسير أعلام النبلاء (٥/٢٤١)، وتاريخ الإسلام (٥/١٦٣)، وتهذيب الكمال(٢٧/٥٦٢).
(٣) خلاصة الكلام (ص:٥).
(٤) منائح الكرم (٢/٣٨)، وإتحاف الورى (٢/١٠٦)، ودرر الفرائد (ص:٢٠١).

مروان [فغضب عليه][1] فقال: ما أهون غضب ابن مروان عليَّ إذا رضيت عائشة، والله لو لم تفرغ إلى الليل لأخّرت الصلاة إلى الليل. فلما قضت حجّها بعث إليها: يا ابنة عمي ألِمّي بنا أو عِدينا مجلساً نتحدث فيه، فبعثت إليه: غداً إن شاء الله، ثم رحلت من ليلتها. انتهى.

ثم عزل الحارث وولي مسلمة، ثم عزل مسلمة وولي خالد بن عبدالله القسري[2].

قال ابن فهد[3]: قال أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة[4]:كان مسلمة بن مروان والياً على أهل مكة، فبينا هو يخطب على المنبر إذ أقبل خالد بن عبدالله القسري من الشام والياً عليها، فدخل المسجد، فلما قضى مسلمة خطبته صعد خالد المنبر، فلما ارتقى في الدرجة

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من منائح الكرم (٣٨/٢).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين(٢٧٠/٤-٢٨٢)، وتاريخ خليفة (٣٠٢، ٣١٠، ٣١٧، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٥٠، ٣٦٢، ٣٧٣)، والتاريخ الكبير (ترجمة ٥٤٢)، وتاريخه الصغير (٢٧٩/١)، والمعارف (٣٩٨-٣٩٩)، والمعرفة ليعقوب (٦٨٨/٢، ٧٨٦ ٢١٥/٣، ٢٤٢)، وتاريخ واسط (١٣٧)، وأخبار القضاة لوكيع (٢٧/٢، ٣٦، ٤١، ٩/٣-١٠، ٢٣-٢٥)، وتاريخ الطبري (٢٥٤/٧)، وجمهرة ابن حزم (١٢، ١٢٧، ٣٢٧)، وتهذيب تاريخ دمشق (٧٠/٥-٨٣) ووفيات الأعيان (٢٢٦/٢)، وتاريخ الإسلام (٦٤/٥)، وسير أعلام النبلاء (٤٢٥/٥-٤٣٢)، والبداية والنهاية (١٧/١٠، ٢٢)، وتهذيب الكمال (١٠٧/٨).

(٣) إتحاف الورى (١١٨/٢)، وشفاء الغرام (٢٩٣/٢-٢٩٤).

(٤) الإمامة والسياسة (٥١/٢).

الثالثة تحت مسلمة أخرج طوماراً[١] فَفَضَّه، ثم قرأه على الناس فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالملك بن مروان[٢] أمير المؤمنين إلى أهل مكة، أما بعد:

فإني وليتُ عليكم خالد بن عبدالله القسري، فاسمعوا له وأطيعوا، ولا يجعلن أحد على نفسه سبيلاً، فإنما هو القتل لا غيره، وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير، والسلام.

ثم التفت إليهم خالد فقال: والذي يُحلف به ويُحج إليه، لا أجده في دار أحد إلا قتلته، وهدمت داره، ودار كل من جاوره، واستبحت حَرَمه، وقد أجّلت لكم فيه ثلاثة أيام، ثم نزل ودعا مسلمة برواحله ولحق بالشام. فأتى رجل إلى خالد فقال له: إن سعيد بن جبير بوادي كذا من أودية مكة مختفياً بمكان كذا، فأرسل خالد في طلبه، فأتاه الرسول، فلما نظر إليه قال له: إني أُمرت بأخذك، وأتيت لأذهب بك إليه، وأعوذ بالله من ذلك، فالحق بأي بلد شئت وأنا معك، فقال سعيد بن جبير: ألك هاهنا أهلٌ وولد؟ قال: نعم. قال: إنهم يؤخذون بعدك وينالهم من المكروه مثل الذي كان ينالني. قال: فإني أكِلُهم على الله عز وجل. قال سعيد: لا يكون هذا، فأتى به إلى خالد، فشدّه وثاقاً، ثم بعث به إلى الحجاج فقال له رجل من أهل الشام: إن الحَجّاج قد أُنْذِر به وأُشْعِر به من قبلك، فما عرض له، فلو جعلته بينك وبين الله لكان

(١) الطومار: الصحيفة (المعجم الوسيط ٢/٥٦٥).
(٢) في إتحاف الورى (١١٨/٢): الوليد بن عبدالملك بن مروان.

أزكى من كل عمل يُتقرَّب به إلى الله. قال خالد -وظهره إلى الكعبة قد استند إليها-: والله لو علمت أن عبدالملك لا يرضى عني إلا بنقض هذا البيت حجراً حجراً لنقضته في مَرْضاته. انتهى.

وقال ابن فهد أيضاً[١]: وأحدث خالد بن عبدالله القسري في ولايته لمكة عن سليمان بن عبدالملك حدثاً منكراً، فقام إليه رجل من بني عبدالدار بن قصي يقال له: [طليحة][٢] بن عبدالله بن شيبة، ويقال: بل هو عبدالله بن شيبة الأعجم، فأمره بالمعروف ونهاه عما فعل، فغضب خالد غضباً شديداً وأخاف الرجل، فخرج إلى سليمان بن عبدالملك ليشكوا إليه ويتظلم منه، فشكى إليه أمره، فكتب سليمان إلى خالد أن لا يتعرض له بأمر يكرهه. فلما جاء الكتاب إلى خالد أخذه فوضعه، ثم أرسل بعد ذلك إلى عبدالله بن شيبة يسأله أن يفتح له الكعبة في وقت لم ير ذلك عبدالله بن شيبة، فامتنع عليه، فدعى به فضربه مائة سوط على ظهره، فخرج عبدالله بن شيبة هو ومولى له على راحلتين فأتى سليمان فكشف عن ظهره بين يديه، وقال له: هذا الذي أوصيته [لي] ، فقال: إلى من تختار أكتب له؟ قال: إلى خالك محمد بن هشام. قال: فكتب إليه: إن كان خالد ضربه بعد أن وصل إليه كتابي وقرأه فاقطع يده، وإن كان ضربه ولم يقرأ كتابي فأقده منه. فقدم بالكتاب على

---

(١) إتحاف الورى (٢/١٢٤-١٢٦)، والعقد الثمين (٤/٢٧٧-٢٧٩).

(٢) في الأصل: طلحة. والتصويب من إتحاف الورى (٢/١٢٤)، والعقد الثمين (٤/٢٧٧).

محمد بن هشام، فدعا بالقسري فقرأه عليه فقال: الله أكبر يا غلام! إيت بالكتاب، فأتى به مختوماً لم يقرأه، فأخرجه محمد بن هشام إلى باب المسجد وحضره القرشيون والناس فجرَّده، ثم أمر به أن يُضْرَب، فضُرب مائة سوط. فلما أصابه الضرب كأنه تمايل بعد ذلك في ضربه، ثم لبس ثيابه فرجع إلى امرأته، فقال الفرزدق[1]:

لعمري لقد صُبَّتْ على ظهر خالد شآبيبُ ما استهللن من سَبَلِ القَطْر
أتجلد في العصيان من كان عاصيا وتَعْصي أمير المؤمنين أخا قَسْر

وقال أيضاً[2]:

سَلُوا خالداً لا قَدَّسَ اللهُ خالدا مَتى وَلِيَتْ قَسْرٌ قُرَيْشاً تُدينُها[3]
أَبَعْدَ رسولِ الله أَمْ قَبْلَ عَهده وَجَدْتُمْ قُرَيْشاً قَدْ أَغَثَّ سَمينها
رَجَوْنا هُداهُ لا هَدَى اللهُ قَلْبَه وما أُمُّهُ بالأُمِّ يُهْدَى جَنينُها

فقالت أم الضحاك وهي يمانية:

فما جُلِدَ القَسْريّ في أَمْرِ رِيبَة وَمَا جُلِدَ القَسْريّ في شُرْبِ خَمْرِ
له جَلَمٌ يُسْمَى الحُسَامَ وشَفرة هَذَامٌ فما [تفري] الشِّفَارُ كما تفري

تُعَرِّضُ للأعجم أنه يسرق الحاجّ. انتهى.

قال ابن فهد أيضاً[4]: إن الناس كانوا يقومون قيام شهر رمضان في أعلى المسجد ؛ تُركزُ حربة خلف المقام بربوة فيصلي الإمام خلف الحــــربة والناس

(١) ديوان الفرزدق (١/٣٧٢).
(٢) ديوان الفرزدق (٢/٨٧٩).
(٣) في العقد الثمين: ثمينها.
(٤) إتحاف الورى (٢/١٢٠-١٢٢)، والعقد الثمين (٤/٢٧٢-٢٧٣).

وراءه، فمن أراد صلى مع الإمام، ومن أراد طاف وركع خلف المقام. ثم لما ولي خالد بن عبدالله القسري مكة لعبدالملك بن مروان وحضر شهر رمضان أمر خالد الأئمة أن يتقدموا فيصلّوا خلف المقام، وأدار الصفوف حول الكعبة، وذلك أن الناس ضاق عليهم أعلى المسجد فأدارهم حول الكعبة، فقيل له: تمنع بذلك الناس من الطواف قال: فإنما آمرهم يطوفون بين كل ترويحتين بطواف سبع، فأمرهم ففعلوا بين كل ترويحتين[١]. فقيل له: فإنه يكون في مؤخر الكعبة وجوانبها من لا يعلم بانقضاء طواف الطائفين من مُصَلٍّ وغيره فيتهيأ للصلاة، فأمر عبيد الكعبة أن يكبّروا حول الكعبة ويرفعوا أصواتهم في الطواف بالتكبير، فإذا بلغوا الركن الأسود في الطواف السادس سكتوا سكتة، فيكون ذلك إعلاماً للناس أن الطواف على انقضاء، فيتهيَّأ مَن بالحِجْر ومَنْ في جوانب المسجد من مصلّ وغيره فيخفف صلاته، ثم يعود الطائفون للتكبير حتى يفرغوا من السبع، ثم يقوم مناد فينادي: الصلاة رحمكم الله، ولا تنقضي صلاتهم حتى يطلع الفجر، وكان على جبل أبي قبيس[٢] [رئية][٣]يرقب طلوع الفجر للمتسحرين، فإذا بان نادى: أمسكوا رحمكم الله.

---

(١) في إتحاف الورى والعقد الثمين: فأمرهم ففَصَلوا بين كل ترويحتين بطواف سبع.

(٢) أبو قبيس: الجبل المشرف على الكعبة المشرفة من مطلع الشمس، وكان يزحم السيل فيدفعه إلى المسجد الحرام، فنحت منه الكثير وشق بينه وبين المسجد الحرام طريقاً للسيل وطريقاً للسيارات، وهو مكسو بالبنيان (معجم معالم الحجاز ٨٩/٧).

(٣) في الأصل: رئة. والتصويب من إتحاف الورى (١٢١/٢).

وكان عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار ونظراؤهم من العلماء يحضرون ذلك فلا ينكرونه.

قال: وكان خالد أول من استصبح في المسجد الحرام حول الكعبة، وكان الرجال والنساء يطوفون معاً مختلطين حتى ولي مكة خالد لعبدالملك ففرق بين الرجال والنساء في الطواف، فأجلس عند كل ركن حرساً معهم سياط، فيفرقون بين الرجال والنساء، وهو أول من فرق بينهما.

قال[١]: وكتب سليمان بن عبدالملك بن مروان إلى خالد بن عبدالله القسري أن أَجْرِ عيناً تخرج من ثقبة من مائها العذب الزلال حتى تظهر بين زمزمٍ والركن الأسود، وتضاهي بها ماء زمزم. قال: فعمل خالد بن عبدالله القسري البركة التي بفم الثقبة، ويقال لها: بركة القسري[٢]، وهي قائمة إلى اليوم بأصل ثبير[٣]، فعملها بحجارة منقوشة طوال، وأحكمها، وأنبط ماءها في ذلك الموضع، ثم شقَّ لها عيناً تسكب فيها من الثقبة، وبنى سداً للثقبة وأحكمه، والثَّقَبة بشِعْب [يفرع فيه][٤] وجه ثبير، ثم شق من هذه البركة عيناً

---

(١) إتحاف الورى (٢/١٢٣-١٢٤)، والعقد الثمين (٤/٢٧٣-٢٧٥).

(٢) بركة القسري: تقع في جبل ثقبة الذي يسمى اليوم (الغسالة).

(٣) ثبير: جبل بمكة، وهي أربعة أثبرة بالحجاز، وهو الذي صعد فيه النبيﷺ، فرجف به، فقال: اسكن ثبير، فإنما عليك نبي وصديق وشهيد (معجم ما استعجم ١/٣٣٥-٣٣٦).

(٤) في الأصل: يفرغ. وقوله: "فيه" زيادة من إتحاف الورى (٢/١٢٣)، والعقد الثمين (٤/٢٧٤).

تجري إلى المسجد الحرام، فأجراها في قصب[١] من رصاص، حتى أظهرها في [فوّارة][٢] تسكب في فسقيّة[٣] من رخام، بين زمزم والركن والمقام، فلما أن جَرَتْ وظهر ماؤها أمر القسري بجُزر فنُحرت بمكة، وقسمت بين الناس، وعمل طعاماً فدعى عليه الناس، وأمر منادياً فنادى: هلموا إلى الماء العذب واتركوا أم الخناس –يعني زمزم–، ثم أمر صائحاً فصاح: الصلاة جامعة، ثم أمر بالمنبر فوضع في وجه الكعبة، ثم صعد فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس احمدوا الله تبارك وتعالى، وادعوا لأمير المؤمنين الذي سقاكم الماء العذب الزلال النُّقَاخ[٤] بعد الماء المالح الأُجاج، الذي لا يُشْرَبُ إلا صَبْراً –يعني زمزماً–.

---

(١) القصب: واحدته قصبة. وأصله: العظم المستدير الأجوف، والنبات ذو الأنابيب، ثم أطلق على كل شيء مستدير أجوف، من أي معدن كان. والمراد هنا أنابيب من رصاص (لسان العرب، مادة: قصب).

وهذا –إن صحّ– فإنه عمل عجيب، بأن تمدّ أنابيب من رصاص بطول يساوي ٥ كلم أو أكثر، لا يقل قطر الأنبوب عن ١٠ بوصات على أقل تقدير، بشكل موزون وانسيابي يسمح بمرور الماء دون قوة دافعة، وفي منطقة وادي مكة، ذي السيول العظيمة العارمة، وفي ذلك الزمن المبكر من تاريخ الحضارة الإسلامية. إنه عمل يدعو إلى التأمل إنْ صحت الرواية.

(٢) في الأصل: فورة. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين، الموضعان السابقان.

والفوارة: أي: موضع يفور منه الماء، ويطلق عليه اليوم "النافورة" (لسان العرب، مادة: فور).

(٣) الفسقية: جمعها: فساقي، وهي: الحوض. وهي لفظة مولّدة (تاج العروس ٤٩/٧، المنجد ص:٥٨٣).

(٤) النقاخ: الماء البارد العذب الصافي الخالص الذي يكاد ينقخ الفؤاد ببرده، وقيل: هو الماء الكثير ينبطه الرجل في الموضع الذي لا ماء فيه (لسان العرب، مادة: نقخ).

قال: ثم تُفرِغ تلك الفسقية في سَرَب[١] من رصاص يخرج إلى وضوءٍ كان عند باب المسجد -باب الصفا[٢]- في بركةٍ كانت في السوق، فكان الناس لا يقفون على تلك الفسقية، ولا يكاد أحدٌ يأتيها، وكانوا على شُرْبِ ماء زمزم أرغب ما كانوا فيها، فلما رأى [ذلك][٣] خالد صعد المنبر، فتكلم بكلامٍ يؤنّب فيه أهل مكة[٤]. انتهى.

وفي منائح الكرم[٥]: قال السهيلي: وكان يعلن خالد بسبّ علي بن أبي طالب، ويذمّ زمزم ويسميها أم جعلان، ولا يشرب منها، وحفر بئراً خارج مكة باسم الوليد، وأمر الناس بالتبرك بشرب مائها. انتهى.

وفي المنتقى[٦]: كان خالد بن عبدالله القسري في إمرته على مكة في زمن الوليد بن عبدالملك يذكر الحَجَّاج خطبة كل جمعة إذا خطب ويقرظه، فلما توفي الوليد وبويع سليمان بن عبدالملك أقرّ خالداً على مكة، وكتب إلى عمّاله يأمرهم بلعن الحَجّاج بن يوسف، فلما أتاه الكتاب قال: كيف أصنع؟

---

(١) السَرَب: طريق الماء، أو القناة التي يجري فيها الماء (لسان العرب، مادة: سرب).

(٢) باب الصفا: سمّي بذلك؛ لأن الخارج منه يستقبل الصفا. أنشأه الخليفة المهدي عام ١٦٤هـ، وجددت عمارته عام ٩٨٤ (تاريخ عمارة المسجد الحرام ص: ١٢١).

(٣) قوله: "ذلك" زيادة من إتحاف الورى (١٢٤/٢)، والعقد الثمين (٢٧٥/٤)، والفاكهي (١٥١/٣).

(٤) الفاكهي (١٤٩/٣-١٥١).

(٥) منائح الكرم (٥٢/٢).

(٦) المنتقى بأخبار أم القرى (ص:٣٦-٣٧)، وإتحاف الورى (١٢٢/٢)، والعقد الثمين (٢٧٦/٤).

[كيف][1] أكذب نفسي في هذه الجمعة بذمّه وقد مدحته في الجمعة التي قبلها؟! ما أدري كيف أصنع؟ فلما كان [يوم][2] الجمعة خطب، [ثم][3] قال في خطبته: أما بعد! أيها الناس إن إبليس كان من ملائكة الله تبارك وتعالى في السماء، وكانت الملائكة ترى له [فضلاً][4] بما يظهر من طاعة الله عز وجل وعبادته، وكان الله عز وجل قد اطَّلع على سريرته، فلما أراد أن يهتكه أمره بالسجود لآدم عليه السلام فامتنع فلعنه، وإن الحَجّاج بن يوسف كان يظهر من طاعة الخلفاء ما كنا نرى له بذلك علينا [فضلاً][5] وكنا نُزكّيه، وكأن الله تعالى قد أطلع سليمان أمير المؤمنين من سريرته وخبث مذهبه على ما لم يُطلعنا عليه، فلما أراد الله تعالى هتك ستر الحَجَّاج أمرنا أمير المؤمنين سليمان بلعنه، فالعنوه لعنه الله تعالى. انتهى.

وولي مكة: نافع بن عَلْقَمَةَ [الكناني][6]، ثم يحيى بن الحكم بن أبي العاص[7].

---

(١) قوله: "كيف" زيادة من المنتقى (ص:٣٧)، وإتحاف الورى (١٢٢/٢)، والعقد الثمين (٢٧٦/٤).

(٢) قوله: "يوم" زيادة من المنتقى، وإتحاف الورى، والعقد الثمين، المواضع السابقة.

(٣) قوله: "ثم" زيادة من المنتقى، وإتحاف الورى، والعقد الثمين، المواضع السابقة.

(٤) في الأصل: فعلاً. والتصويب من المنتقى، وإتحاف الورى، والعقد الثمين، المواضع السابقة.

(٥) قوله: "فضلاً " زيادة من المنتقى، وإتحاف الورى، والعقد الثمين، المواضع السابقة.

(٦) في الأصل: الكتاني. وانظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٣/٢)، وغاية المرام (٢١٧/١)، والعقد الثمين (٣٢٣/٧-٣٢٥).

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٣/٢)، وغاية المرام (٢٢٢/١)، والعقد الثمين (٤٣١/٧-٤٣٣).

وولي مكة في خلافة الوليد بن عبدالملك: عمر بن عبدالعزيز بن مروان[١].

قال في نزهة الفكر[٢]: "وفي سنة ثمان وثمانين من إمارته على مكة خرج عمر إلى التنعيم[٣] ومعه نفر من قريش، فلما كان بالتنعيم لقيه بعض أهل مكة وأخبره أنها قليلة الماء ويخشى على الحُجَّاج العطش، فقال عمر بن عبدالعزيز: تعالوا ندع الله تعالى، فدعى ودعى الناس معه، وألّحوا في الدعاء، فما وصلوا ذلك اليوم إلى البيت [الحرام][٤] إلا مع المطر، وجاء السيل وأمطرت عرفة والمزدلفة ومنى، فما كانت إلا أعيناً، وكثر الخصب، وكانت مكة مخصبة في هذه السنة، وهو حينئذ أمير مكة والمدينة والطائف، ولم يزل كذلك إلى سنة

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٩٥)، وغاية المرام (١/٢٣١)، والعقد الثمين (٦/٣٣١-٣٣٤)، وطبقات ابن سعد (٥/٣٣٠)، وتاريخ خليفة (٣٢١، ٣٢٢)، والتاريخ الكبير (٦/١٧٤)، والطبري(٦/٥٦٥، ٥٧٣)، والجرح والتعديل (٦/١٢٢)، والأغاني (٩/٢٥٤)، وحلية الأولياء (٥/٢٥٣)، وابن الأثير (٥/٥٨، ٦٦)، وتهذيب الكمال (٢١/٤٣٢)، وتاريخ الإسلام (٤١٦٤)، وتذكرة الحفاظ (١/١١٨)، والعبر (١/١٢٠)، وفوات الوفيات (٣/١٣٣)، والبداية والنهاية (٩/١٩٢، ٢١٩)، وتهذيب التهذيب (٧/٤١٨)، والنجوم الزاهرة (١/٢٤٦)، وتاريخ الخلفاء (٢٢٨)، وخلاصة تذهيب التهذيب (٢٨٤)، وشذرات الذهب (١/١١٩)، وسير أعلام النبلاء (٥/١١٤).

(٢) نزهة الفكر (٢/٤٢٥-٤٢٦).

(٣) التنعيم: موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة، وسمي بذلك؛ لأن جبلاً عن يمينه يقال له: نعيم، وآخر عن شماله يقال له: ناعم، والوادي نعمان، وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة وسقايا على طريق المدينة، منه يحرم (معجم البلدان ٢/٤٩، ومعجم معالم الحجاز ٢/٤٤).

(٤) زيادة من نزهة الفكر (٢/٤٢٥).

أربع وتسعين. انتهى. وكذلك ذكره ابن فهد في تاريخه[1].

وفي تاريخ ابن فهد أيضاً[2]: وفي سنة ثلاث وتسعين كتب الوليد بن عبدالملك إلى أمير مكة عمر بن عبدالعزيز يأمره بضرب خَبيب بن عبدالله بن الزبير، ويَصُبّ على رأسه ماءً بارداً، فضربه خمسين سوطاً وصبَّ عليه ماء بارداً في يومٍ شاتٍ، ووقفه على باب المسجد فمات من يومه.

وفي سنة ثلاث وتسعين أيضاً[3] في شعبان عزل الوليدُ بن عبدالملك عمرَ ابن عبدالعزيز عن الحجاز، وكان سبب ذلك: أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى الوليد يخبره تعسف الحَجَّاج أهل عمله بالعراق، واعتداءه عليهم وظلمه، وطلبه لهم بغير حق ولا جناية، فبلغ ذلك الحجاج، فكتب إلى الوليد: إن من عندي من أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق، ولجؤوا إلى مكة والمدينة، وإن ذلك وهن. فكتب الوليد إلى الحَجّاج يستشيره فيمن يوليه مكة والمدينة، فأشار عليه بخالد بن عبدالله القسري، وعثمان بن [حيان][4]، فولى خالداً مكة وعثمان المدينة، وعزل عمر بن عبدالعزيز عنهما. فلما خرج عمر من المدينة قال: إني أخاف أن أكون ممن نفته المدينة، يعني بذلك قول

---

(١) إتحاف الورى (٢/١١٣-١١٤)، والعقد الثمين (٦/٣٣٣)، وتاريخ الطبري (٣/٦٧٨)، ودرر الفرائد (ص:٢٠٢-٢٠٣).

(٢) إتحاف الورى (٢/١١٦)، وتاريخ الطبري (٤/٢٠)، والكامل (٤/٢٧٨).

(٣) إتحاف الورى (٢/١١٧)، والعقد الثمين (٦/٣٣٢)، والكامل (٤/٢٧٨)، وتاريخ الطبري (٤/١٩).

(٤) في الأصل: حبان. والتصويب من المراجع السابقة.

رسول الله ﷺ: ((إن المدينة تنفي خبثها))[١].

ولما قدم خالد مكة خطبهم وعظّم أمر الخلافة، وحثهم على الطاعة، فقال: لو أني أعلم أن هذه الوحوش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لأخرجتها منه، فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، فإني والله لا أوتى بأحد يطعن على إمامه إلا [صلبته][٢] في الحرم، إنه لا أرى فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا [إمضاؤه][٣]، واشتد عليهم، وأخرج من [بمكة][٤] من أهل العراق كرهاً، وهدد من أنزل عراقياً أو آجره داراً.

واشتد عثمان على أهل المدينة وعسّفهم وجار فيهم، ومنعهم من إنزال عراقي، وكانوا أيام عمر بن عبدالعزيز كل من خاف الحَجَّاج لجأ إلى مكة والمدينة. انتهى.

ثم ولي مكة خالد بن عبدالله القسري المتقدم ذكره، واستمر إلى أن توفي الوليد.

وولي مكة في خلافة سليمان بن عبدالملك بن مروان: خالد بن عبدالله القسري، ثم طلحة بن داود[٥]، ثم عبدالعزيز بن عبدالله بن

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٦٦٥ ح١٧٨٤)، ومسلم (٢/١٠٠٦ ح١٣٨٤).
(٢) في الأصل: طلبته. والمثبت من تاريخ الطبري (٨/٤)، والكامل (٤/٢٦٢).
(٣) في الأصل: أمضاه. والتصويب من تاريخ الطبري والكامل، الموضعان السابقان.
(٤) في الأصل: مكة. والتصويب من إتحاف الورى (٢/١١٧).
(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٩٦)، وغاية المرام (١/٢٤٣)، والعقد الثمين (٥/٦٨)، والإصابة (٣/٥٢٧).

خالد بن أسيد[١].

وولي مكة في خلافة عمر بن عبدالعزيز: عبدالعزيز المذكور.

قال ابن فهد[٢]: في سنة مائة قدم كتاب من عمر بن عبدالعزيز لعامله على مكة عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد ينهى [عن][٣] كراء بيوت مكة، ويأمره بتسوية منى.

قال: فجعل الناس يدسّون إليهم الكراء سراً ويسكنون[٤]. انتهى.

ثم محمد بن طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق[٥]، ثم عروة بن عياض[٦]، ثم عبدالله بن قيس بن مخرمة[٧]، ثم عثمان بن

---

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٩٣)، وغاية المرام (١/٢١٢)، والعقد الثمين(٥/٤٥٠-٤٥٢)، والإصابة (٥/٢٤٨)، والجرح والتعديل (٥/٣٨٦).

(٢) إتحاف الورى (٢/١٣٤).

(٣) قوله: "عن" زيادة من إتحاف الورى، الموضع السابق.

(٤) الأزرقي (٢/١٦٤)، وشفاء الغرام (٢/٢٩٧)، والعقد الثمين (٥/٤٥١)، ودرر الفرائد (ص:٢٠٤).

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام(٢/٢٩٧)، وغاية المرام (١/٢٤٤)، والعقد الثمين (٢/٣٥-٣٦)، وتهذيب الكمال (٢٥/٤١٣)، وتاريخ البخاري الكبير (١/٤١٣)، والجرح والتعديل (٧/٢٩١)، وثقات ابن حبان (٧/٢٦٧)، والكاشف (ترجمة ٣٩٩٦)، وتذهيب التهذيب (٣/٣١٥)، ونهاية السول (٣٣٣)، والتقريب (٢/١٧٢)، وخلاصة الخزرجي (٢/٢٣٢٨).

(٦) انظر ترجمته في: شفاء الغرام(٢/٢٩٧)، وغاية المرام (١/٢٤٦)، والعقد الثمين (٦/٨٠-٨١)، وتهذيب التهذيب (٧/١٦٨)، والتاريخ الكبير (٧/٣٢)، والجرح والتعديل (٦/٣٩٦).

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام(٢/٢٩٨)، وغاية المرام (١/٢٤٩)، والعقد الثمين (٥/٢٣١-٢٣٣)، وطبقات ابن سعد (٥/٢٣٩)، وتاريخ خليفة (٢٩٣، ٢٩٦)، وتاريخ البخاري الكبير (٥/١٧٢/ ٥٤٧)، والمعرفة والتاريخ (١/٢٩٦، ٤٦٦، ٤٦٧)، والقضاة لوكيع (١/١٢٤)، وثقات ابن حبان (٥/١٠، ٤٤)، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه (٩٥)،
=

[عبدالله][1] ابن عبدالله بن سراقة العدوي[2].

وولي مكة في خلافة يزيد بن عبد الملك: عبد العزيز –السابق ذكره–، ثم عبدالرحمن بن الضحاك القرشي[3].

قال الفاسي في العقد الثمين[4]: عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس بن خالد ابن وهب بن ثعلبة بن وائل بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك الفهري. أمير الحرمين.

ذكر ابن جرير الطبري[5]: أن في سنة ثلاث ومائة ضُمَّت إليه مكة مع المدينة، وأنه عُزل عن مكة والمدينة في النصف من ربيع الأول سنة أربع ومائة، عزله عن ذلك يزيد بن عبد الملك بعبد الواحد بن زياد النصري.

وذكر ابن كثير[6]: –ولعله نقل ذلك من تاريخ ابن الأثير[7] عن تاريخ

=

وهاية السول (١٨٣)، وتهذيب التهذيب (٣١٨/٥)، والإصابة (٢٣/٥)، والتقريب (٤٤١/١)، وخلاصة الخزرجي (ترجمة ٣٧٤٠)، وتهذيب الكمال (٤٥٣/١٥)، والجرح والتعديل (١٣٩/٥)، والعقد الفريد (٢٣٢/٥)، وأخبار مكة للفاكهي (١٧٨/٣).

(١) في الأصل: عبيد الله. والتصويب من مصادر ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام(٢٩٨/٢)، وغاية المرام (٢٥١/١)، والعقد الثمين (٢٦/٦–٢٧)، والجرح والتعديل (١٥٥/٦)، وأخبار مكة للفاكهي (١٧٩/٣).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٨/٢)، وغاية المرام (٢٥٦/١)، والعقد الثمين(٣٥٩/٥–٣٦٢)، وتاريخ الطبري (١٢/٧)، وتاريخ خليفة (٣٣٢)، والكامل لابن الأثير (١٠٥/٥)، والعقد الفريد (٣٥٩/٥).

(٤) العقد الثمين (٣٥٩/٥).

(٥) تاريخ الطبري (٩٨/٤، ١٠٤).

(٦) البداية والنهاية (٢٢٩/٩).

(٧) الكامل (٣٦٢/٤).

ابن جرير– أن سبب عزله: [أنه][(١)] كان خطب فاطمة بنت الحسين فامتنعت من قبوله، فألحّ عليها وتوعدها، فشكته إلى يزيد بن عبدالملك، فبعث إلى عبدالواحد فولاه المدينة، وأن يضرب عبدالرحمن بن الضحاك حتى يسمع صوته، وهو متكئ على فراشه بدمشق، وأن يأخذ منه أربعين ألفاً. فلما بلغ ذلك عبدالرحمن ركب إلى دمشق واستجار بمسلمة بن عبدالملك، فدخل على أخيه فقال: إن لي إليك حاجة، قال: كل حاجة تقولها فهي لك، إلا أن يكون ابن الضحاك فقال: هو والله حاجتي. فقال: والله لا أقبله ولا أعفو عنه. فردوه إلى المدينة، فتسلمه عبدالواحد فضربه وأخذ ماله، حتى تركه في جبة صوف يسأل الناس بالمدينة، وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين وأشهراً، وكان الزهري قد أشار عليه برأي سديد، وهو أنه يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمر، فلم يقبل ولم يفعل، فأبغضه الناس، وذمَّه الشعراء، وهذا كان آخر أمره. انتهى.

ثم عبدالواحد بن عبدالله النصري[(٢)].

وولي مكة في خلافة هشام بن عبدالملك: عبدالواحد النصري

---

(١) في الأصل: أن. والتصويب من البداية والنهاية (٢٢٩/٩).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٩/٢)، وغاية المرام (٢٥٩/١)، والعقد الثمين (٥٢٦/٥–٥٢٧)، وتهذيب التهذيب (٣٨٧/٦)، وخلاصة الكلام (ص:٥)، والمحبر (٢٦٣)، والأعلام (١٧٦/٤). وانظر: تاريخ خليفة (ص:٣٣٢)، والكامل لابن الأثير (١١٣/٥)، والعقد الفريد (٣٥٩/٥)، وإتحاف الورى (١٣٧/٢)، والبداية والنهاية (٢٢٩/٩).
وفي العقد الثمين وغاية المرام: النضري بالنون نسبة إلى جده نضر بن معاوية.

-المتقدم ذكره-، ثم إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبدالملك[١].

قال ابن فهد[٢]: وفي سنة تسع ومائة حج بالناس أمير الحرمين والطائف إبراهيم بن هشام المخزومي، وخطب بمنى الغد من يوم النحر بعد الظهر، وقال: سلوني وأنا ابن الوحيد، فإنكم لا تسألون أحداً أعلم مني، فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية، أواجبة أم مستحبة؟ فما درى أي شيء يقول، فترل. انتهى.

ثم أخوه محمد بن هشام[٣].

وقيل: ممن ولي مكة زمن هشام بن عبدالملك: نافع بن علقمة الكناني -السابق ذكره في خلافة عبدالملك-.

وولي مكة في خلافة الوليد بن يزيد بن عبدالملك: يوسف بن محمد الثقفي[٤] ودامت ولايته إلى انقضاء دولة الوليد.

---

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٩/٢)، وغاية المرام (٢٦٤/١)، والعقد الثمين (٢٦٧/٣-٢٧٠)، والكامل لابن الأثير (١٤٨/٢)، ومآثر الإنافة (١٥٤/١).

(٢) إتحاف الورى (١٤٦/٢)، ودرر الفرائد (ص:٢٠٦)، وتاريخ الطبري (١٢٨/٤)، والكامل (٣٨٣/٤).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٩/٢)، وغاية المرام (٢٦٨/١)، والعقد الثمين (٣٨٢/٢-٣٨٥)، والكامل لابن الأثير (١٧٩/٥، ٢٧٥)، وتاريخ خليفة (ص:٣٥٧)، وإتحاف الورى (١٥٥/٢)، ودرر الفرائد (ص:٢٠٨)، وأخبار مكة للفاكهي (١٨٢/٣)، وتاريخ الطبري (٢١٦/٤)، ورغبة الآمل (٢٢٨/٢)، والأعلام (١٣١/٧).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٠/٢)، وغاية المرام (٢٧٦/١)، والعقد الثمين (٤٩٦/٧-٤٩٧)، وتاريخ الطبري (٢٢٦/٧)، والكامل لابن الأثير (٢٧٣/٥).

قال ابن فهد في حوادث سنة خمس وعشرين ومائة[١]: "فيها ولي مكة والطائف خال أمير المؤمنين الوليد بن يزيد بن عبدالملك: يوسف بن محمد الثقفي ابن أخي الحَجّاج بن يوسف، وقبض على محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي وأخيه إبراهيم وأوثقا في عباءتين لأشياء كانت تبلغ الوليد عن محمد ابن هشام في حياة هشام بن عبدالملك، وقدم [بهما][٢] إلى المدينة في شعبان، فأقامهما للناس، ثم حملا إلى الشام فأُحضرا عند الوليد، فدعا لهما بالسياط وأمر بجلدهما، فقال له محمد: أسألك بالقرابة؟ فقال: وأي قرابة بيني وبينك، هل أنت إلا من أشجع؟ قال: فأسألك بصهر عبدالملك قال: لم تحفظه. قال له: يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله ﷺ عن أن نضرب في شيء بالسياط إلا في حد، قال: وفي حدٍ أضرِبُك وَقَوَد، وأنت أول من سنّ ذلك على العَرْجِي، وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان، فما رعيت حق جدّه ولا نسبته لهشام، ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر، أنا وليُّ ثأره، اضْرب يا غلام، فضربهما ضرباً شديداً -وكان محمد قد أخذ العَرْجي وقيَّده، وأقامه للناس وجلده وسجنه إلى أن مات بعد تسع سنين؛ لهجاء العَرْجي إياه- ثم أوثقهما الوليد بالحديد، ووجّه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة، وأمر باستفاقتهما[٣] وتعذيبهما حتى يتلفا، وكتب إليه: احبسهما مع ابن النصرانية -يعني خالد القسري-، ونفسك نفسك إن عاش أحد منهم، فعذبهما عذاباً شديداً

---

(١) إتحاف الورى (٢/١٥٥-١٥٦).

(٢) في الأصل: بهم. والتصويب من إتحاف الورى (٢/١٥٥).

(٣) في إتحاف الورى (٢/١٥٦): باستضافتهما.

وأخذ منهما مالاً عظيماً، حتى لم يبق فيهما موضع للضرب. وكان محمد بن هشام مطروحاً، فإذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها. ولما اشتد الحال بهما تحامل إبراهيم لينظر في وجه محمد فوقع عليه، فماتا جميعاً، ومات خالد القسري معهما في يوم واحد في المحرم من سنة ست وعشرين. انتهى.

وولي مكة في خلافة يزيد بن الوليد: عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز[1].

وولي مكة في خلافة مروان بن محمد بن مروان[2]: عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز -المذكور آنفاً-، ودامت ولايته إلى أن حج بالناس سنة ثمان وعشرين ومائة، ثم عزله.

وولي على مكة: عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك[3]، وولي مع ذلك المدينة، واستمر متولياً إلى أن حج بالناس في سنة تسع وعشرين ومائة.

---

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٠/٢)، وغاية المرام (٢٧٦/١)، والعقد الثمين (٤٥٥/٥-٤٥٦)، وتهذيب التهذيب (٣١٢/٦)،وخلاصة الكلام(ص:٥-٦)، ومروج الذهب(٦٢/٩)، والأعلام (٢٣/٤)، والجرح والتعديل (٣٨٩/٥).

(٢) في الأصل زيادة: بن.

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٠/٢)، وغاية المرام (٢٨٢/١)، والعقد الثمين (٥٢٣/٥-٥٢٦)، والمسعودي (٦٢/٩)، ونسب قريش (ص:١٦٦)، والمحبر (٣٣)، والكامل لابن الأثير (١٦١/٥)، والأعلام (١٧٥/٤-١٧٦)، وتاريخ خليفة (٣٨٥)، وإتحاف الورى (١٥٩/٢)، ومآثر الإنافة (١٦٦/١).

ثم ولي مكة بعده بالتغلب: أبو حمزة الخارجي، واسمه: المختار بن عوف[١]، وسببه: أن عبدالله بن يحيى الأعور الكندي المسمى "طالب الحق"[٢] بعد أن ملك حضرموت وصنعاء وتغلب عليهما طرد عامل مروان؛ القاسم ابن عمر الثقفي عنها، وبعث أبا حمزة المذكور إلى مكة في عشرة آلاف من العسكر، ولم يشعر الناس إلا وقد طلعوا عليهم من جبال عرفة من طريق الطائف ومعهم أعلام وعمائم سود على رؤوس الرماح، ففزع الناس حين رأوهم وسألوهم عن حالهم، فأخبروهم أنهم تبرؤوا من بني مروان، وكان إذ ذاك والياً على مكة عبدالواحد بن سليمان، فطلب منهم الهدنة حتى تنقضي أيام الحج، فوقفوا بعرفة على حدة، ودفع بالناس عبدالواحد فنزل بمنى، ثم مضى على وجهه وترك فسطاطه[٣] وسار إلى المدينة، فدخل مكة أبو حمزة

---

(١) أبو حمزة الخارجي: المختار بن عوف. ثائر فتاك، إباضي المذهب. ولد بالبصرة. كان يفد إلى مكة ويدعو الناس للخروج على مروان. التقى بطالب الحق وبايعه بالخلافة في حضرموت، ثم استولى على مكة والمدينة، وتابع زحفه إلى الشام حتى لقيه عبد الملك السعدي، وقتله عام ١٣٠هـ. (انظر ترجمته في:شفاء الغرام ٢/٣٠٠، وغاية المرام ٢٨٦/١، والعقد الثمين ٧-١٥٣-١٥٩، وتاريخ خليفة ٣٨٤-٣٨٧، والأعلام للزركلي ١٤٦/٥).

(٢) عبد الله بن يحيى: من أهل اليمن. إباضي. خلع طاعة مروان بن محمد، وبويع له بالخلافة في اليمن، وتبعه أبو حمزة، فقتلهما عبدالملك بن محمد السعدي عام ١٣٠هـ (الكامل لابن الأثير ٢٣/٥، والأعلام ١٤٤/٤).

(٣) الفسطاط: الخيمة أو القبّة التي يترل فيها رئيس القوم. بها سمّيت مدينة الفسطاط بمصر، التي قامت القاهرة على بقاياها (معجم الكلمات الأعجمية والغريبة للبلادي ص:٧٩-٨٠).

بغير قتال، فقال بعضهم هذين البيتين[١]:

زار الحجيجَ عصابةٌ قد خالفوا دينَ الإلهِ فَفَرَّ عبدُ الواحد
ترك [الحلائل][٢] والإمارة هارباً ومضى [يخبّط][٣] كالبعير الشَّارد

ولما هرب عبدالواحد وقصد المدينة جهز جيشاً من المدينة إلى أبي حمزة، فخرج أبو حمزة قاصداً المدينة، فلقيه جيش عبدالواحد بقُدَيْد[٤]، وكان الظفر لأبي حمزة، ثم قصد المدينة وقتل بها جماعة، وبلغ خبره مروان فجهز إليه عبدالملك بن محمد بن عطية السعدي في أربعة آلاف فارس، فالتقى هو وأبو حمزة بالأبطح[٥]، فقُتل أبو حمزة، وكان عسكره خمسة عشر ألفاً، وظفر عبدالملك [به][٦].

وذكر ابن الأثير[٧] ما يقتضي: أن عبدالملك سار إلى اليمن لقتال طالب

---

(١) انظر البيتين في: تاريخ الطبري (٣١٨/٤).
(٢) في الأصل: الخلائق. والمثبت من الكامل (٤٠/٥)، وتاريخ الطبري (٣١٨/٤).
(٣) في الأصل: يتخبط. والمثبت من الكامل، وتاريخ الطبري، الموضعان السابقان.
(٤) قديد: موضع قرب مكة (معجم البلدان ٣١٣/٤)، وهو وادٍ فحل من أودية الحجاز، وينقسم إلى قسمين: علوي وسفلي. فالعلوي يسمى ستارة، والسفلي يسمى قديداً، ويسكن النصف السفلي زبيد بن حرب، ويبعد عن مكة (١٣٠) كيلاً من ناحية الشمال على طريق المدينة المنورة (معجم معالم الحجاز ٩٦/٧-٩٧). وما زال معروفاً بهذا الاسم إلى الآن.
(٥) الأبطح: أثر المسيل من الرمل المنبسط على وجه الأرض بين مكة ومنى، وهو المحصب، وهو خيف بني كنانة (معجم البلدان ٧٤/١، ومعجم معالم الحجاز ٣١/١).
(٦) قوله: "به" زيادة من تحصيل المرام (ورقة:١٧٦).
وانظر الخبر في: الكامل (٣٩/٥-٤٠)، وشفاء الغرام (٣٠٠/٢-٣٠١).
(٧) الكامل (٥١/٥).

الحق -المتقدم ذكره-، وأنه ظفر بطالب الحق وقتله، وأرسل برأسه إلى مروان. انتهى. كذا في الجامع اللطيف وتحصيل المرام[١].

وقال ابن فهد في حوادث سنة ثلاثين ومائة[٢]: وفيها بعث عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بن مروان من المدينة النبوية جيشاً لقتال أبي حمزة، وأمّر عليهم عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر[٣] بن عثمان، فخرجوا، فلما كانوا بالحرَّة[٤] لقيتهم جُزُرٌ منحورة فتقدموا، فلما كانوا بالعقيق[٥] تعلّق لواؤهم بسَمُرة[٦] فانكسر الرمح، فتشاءم الناس بالخروج.

وسار أبو حمزة من مكة لقتال جيش عبدالواحد، واستخلف على مكة أبرهة بن الصَّبَّاح الحميري، وأرسل رسله إلى جيش عبدالعزيز وهو يقول: إننا والله ما لنا بقتالكم حاجة، ودعونا نمضي إلى عدوّنا. فأبى أهل المدينة ولم يجيبوه إلى ذلك، وساروا حتى نزلوا قديداً

(١) الجامع اللطيف (ص: ٢٩٠-٢٩١)، وتحصيل المرام (ورقة ١٧٦).

(٢) إتحاف الورى (٢/١٦١)، وتاريخ الطبري (٤/٣٢٨-٣٢٩)، والعقد الثمين (٧/١٥٥)، والكامل (٥/٤٩)، والبداية والنهاية (١٠/٣٦-٣٧).

(٣) قال في تقريب التهذيب (ص: ٤١٥): عمر بن عثمان بن عفان، صوابه: عمرو.

(٤) هي حرة المدينة المنورة الشرقية، وهو ما تعرف به اليوم. وللحرة اليوم أقسام لكل قسم اسم خاص، ففي شمال المسجد النبوي تعرف بالعريض، وشمال شرقي المسجد زرب هتيم، وعند العوالي حرة العوالي، وقد أخذ البناء يسرع إليها حتى صار معظمها معموراً (معجم معالم الحجاز ٢/٢٨٣-٢٨٤).

(٥) أودية العقيق في الحجاز سبعة، وأشهرها عقيق المدينة، وهو الأكثر ذكراً في كتب التواريخ. وانظرها في: معجم معالم الحجاز (٦/١٢٨).

(٦) السَّمُر: ضرب من شجر الطلح، واحدته سَمُرة (المعجم الوسيط ١/٤٤٨).

لسبع [مضين][١] من صفر، وتفرقوا بعد نزولهم هناك، فلم يشعروا إلا وقد خرج عليهم أصحاب أبي حمزة من الغِياض[٢]، فقتلوهم، وكانت [المقتلة][٣] بقريش، -وفيهم كانت الشوكة-، فأصيب منهم عدد كثير نحو سبعمائة، وكانوا [مُتْرَفين][٤] ليسوا بأصحاب حرب، وقدم المنهزمون المدينة، فكانت المرأة تقيم النوائح على حميمها[٥] ومعها النساء، فما تبرح النساء حتى تأتيهم الأخبار عن رجالهن، فيخرجن امرأة امرأة كلٌ واحدة منهم تذهب لقَتْلِ زوجها، فلا يبقى عندها امرأة لكثرة من قُتِل.

وسار أبو حمزة إلى المدينة فدخلها، ومضى عبدالواحد منها إلى الشام فأتى مروان بن محمد فأخبره، فانتخب مروان من عسكره أربعة آلاف فارس، واستعمل عليهم عبدالملك بن محمد بن عطية[٦] السعدي، وولاّه الحرمين واليمن، وأمره أن يجدّ السير، وأن يقاتل الخوارج، فإن هو ظفر بهم يسير حتى يبلغ اليمن ويقاتل عبدالله بن يحيى طالب الحق، فسار ابن عطية فلقي [بَلْجاً][٧] على مقدمة أبي حمزة بوادي

---

(١) في الأصل: بقين. والمثبت يتفق مع ما في تاريخ الطبري (٣٢٩/٤) وفيه: "لسبع ليال خلون.
(٢) الغياض: الموضع الذي يكثر فيه الشجر ويلتف. (المعجم الوسيط ٦٦٨/٢).
(٣) في الأصل: القتلة. والمثبت من إتحاف الورى (١٦٢/٢)، وتاريخ الطبري (٣٢٨/٤).
(٤) في الأصل: مفرقين. والمثبت من إتحاف الورى، الموضع السابق، والكامل (٤٩/٥)، والعقد الثمين (١٥٦/٧).
(٥) أي: زوجها. انظر: إتحاف الورى (١٦٢/٢). والحميم: القريب الذي تودُّه ويودُّك. (المعجم الوسيط ٢٠٠/١).
(٦) في الأصل زيادة: بن عروة. وانظر: إتحاف الورى (١٦٢/٢)، والعقد الثمين (١٥٦/٧).
(٧) في الأصل: بلخاً. والتصويب من إتحاف الورى (١٦٣/٢).

=

القُرى[١] فاقتتلوا، فقُتل [بَلْج][٢] وعامة أصحابه، ثم سار ابن عطية طالباً أبا حمزة فلحقه، فالتقى مع جيش أبي حمزة بالأبطح[٣]، ومع أبي حمزة خمسة عشر ألفاً، ففرق عليه ابن عطية الخيل من أعلا مكة ومن أسفلها ومن قِبَل منى، وأتاه هو من أعلا الثنية، وقاتلوه حتى أمسوا، فصاحوا: ويحك يا ابن عطية إن الله قد جعل الليل سكناً فاسكن، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم، وقتل أبرهة عند بئر ميمون[٤]، وقُتِلَ أبو حمزة وخلق من جيشه وانهزم بقيتهم.

وسار ابن عطية إلى اليمن، واستخلف على مكة ابن ماعز -رجلاً من أهل الشام-، فلما سمع [عبدالله][٥] بن يحيى الكندي الأعور الملقب "طالب الحق" الذي أنفذ أبا حمزة إلى مكة خبر أبي حمزة وأصحابه سار في نحو ثلاثين ألفاً حتى نزل صَعْدَة[٦]، فالتقى هو وجيش ابن عطية، فقُتِلَ الأعورُ ومن معه،

=

وهو: بَلْج بن عيينة بن الهيضم الأسدي، من أهل البصرة، وأحد قادة أبي حمزة المختار (هامش إتحاف الورى ٢/١٥٩).

(١) وادي القرى: وادٍ كبير من أعمال المدينة في الطريق إلى الشام، كثير القرى، كثير النخل والزرع (معجم البلدان ٥/٣٤٥).

(٢) في الأصل: بلخ. والتصويب من إتحاف الورى (٢/١٦٣).

(٣) الأبطح: سبق التعريف به في (ص: ٣١).

(٤) بئر ميمون كانت قرب موقع شعب أذاخر اليماني الذي يصب عند صفي السباب، وقد امتد حي الجعفرية اليوم إليه (معجم معالم الحجاز ١٠/٧٩).

(٥) في الأصل: عبيدالله. والتصويب من إتحاف الورى (٢/١٦٣).

(٦) صعدة: مدينة تاريخية على الهضبة اليمنية، تبعد حوالي (٢٤٣ كلم) شمال صنعاء. وتقع على ارتفاع (١٨٠٠م) في الطرف الجنوبي لقاع صعدة الفسيح الذي يمتد حوالي (٣٠ كلم) من شماله الشرقي إلى جنوبه الغربي، ويبلغ عدد سكان صعدة حوالي (٢٤,٢٤٥ نسمة) تعداد عام ١٩٨٦م. وهي اليوم أكثر من ذلك (الموسوعة اليمنية ٢/٥٧٠-٥٧١).

وبعث ابن عطية برأسه إلى مروان، فكتب إليه مروان يأمره أن يسرع السير للحج بالناس، فتوجه ابن عطية بعد حروب أخر جرت له باليمن في خمسة عشر رجلاً -وقيل: اثنا عشر رجلاً- من وجوه أصحابه ليقيم الموسم ومعه أربعون ألف دينار، وخلّف عسكره وخيله بصنعاء، وخلّف على اليمن ابن أخيه، ونزل [الجرف][١]، فأتاه ابنا [جمانة][٢] المُراديّان في جمع كثير فقالوا له ولأصحابه: أنتم لصوص، فأخرج ابن عطية عهده على الحج، فقال: هذا عهد أمير المؤمنين بالحج، وأنا ابن عطية، فقالوا: هذا باطل وأنتم لصوص، فقاتلهم ابن عطية حتى قُتل. انتهى.

وممن ولي مكة لمروان: الوليد بن عروة السعدي[٣] ابن أخي عبدالملك المذكور، وأنه كان على مكة والمدينة في سنة إحدى وثلاثين ومائة.

قال ابن فهد في حوادث سنة اثنين وثلاثين ومائة[٤]: وفيها حَبس عاملُ مكة لمروان بن محمد الوليد بن عروة السعدي، سديف بن ميمون المكي

---

(١) في الأصل: الجوف. والتصويب من إتحاف الورى (٢/١٦٤)، والكامل (٥/٥٢)، وتاريخ الطبري (٤/٣٣١).

(٢) في الأصل: حماد. والتصويب من إتحاف الورى، والكامل، الموضعان السابقان، وتاريخ الطبري (٤/٣٣٢)، والبداية والنهاية (١٠/٣٧).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٠٢)، وغاية المرام (١/٢٩٨)، والعقد الثمين (٧/٣٩٧-٣٩٨).

(٤) إتحاف الورى (٢/١٦٥)، والعقد الثمين (٤/٥١٦-٥١٧).

الشاعر في الحبس، وسبب ذلك: أنه كان يتكلم في بني أمية ويطلق لسانه فيهم ويهجوهم، وكان له في الحساب نظر، وفي الأدب حظ وافر، وكان يجلس مع جماعة من أهل مكة والطائف يسمرون في المسجد الحرام إلى نصف الليل ونحوه فيتحدثون، ويخبرهم بدولة بني هاشم أنها قريبة، فبلغ ذلك الوليد ابن عروة فاتخذ عليه الأرصاد مع أصحابه، حتى أخذوه فحبسوه، ثم جعل يجلده كل سبت مائة سوط، كلما مضى سبت أخرجه فضربه مائة سوط، حتى ضربه أسْبُتاً. انتهى.

ذكر ولاة مكة في أيام بني العباس

أما ولاتها في خلافة أبي العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الملقب بالسفّاح: فداود بن علي ابن عبدالله بن العباس[١] عمّ السفّاح، وولاه مع مكة المدينة واليمن واليمامة.

قال ابن فهد[٢]: وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة ولّى أبو العباس السفّاح

---

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٣/٢)، وغاية المرام (٣٠٠/١)، والعقد الثمين (٣٤٩/٤-٣٥٤)، والمحبر (٣٣)، وتاريخ الدارمي (٣١٧)، وتاريخ خليفة (٤٠٤، ٤٠٩، ٤١٤)، والتاريخ الكبير (ترجمة ٧٩٥)، والمعرفة والتاريخ (٥٤١/١، ٢٨/٢، ٤٧٩، ٧٠٠)، وتاريخ الطبري (٣٩٧/٥)، والعقد الفريد (١٠٠/٤-١٠١)، والجرح والتعديل (٤١٨/٣)، وجمهرة ابن حزم (٢٠، ٣٤، ٥٢، ٧٦، ٨٢، ١٥٢)، وتهذيب تاريخ دمشق (٢٠٦/٥)، والكامل في التاريخ(٢٢٩/٥، ٢٣٥، ٤٠٩، ٤١٦، ٤٤٥، ٤٤٨، ٢٨/٦، ٨٩)، وتاريخ الإسلام (٢٤٢/٥)، وسير أعلام النبلاء (٤٤٤/٥)، والعبر (٤٥/٢، ١٦٨)، والكاشف (٢٩٠/١)، والميزان (ترجمة ٢٦٣٣)، وديوان الضعفاء (ترجمة ١٣٣٠)، وتهذيب التهذيب (١٦٨/٣)، وخلاصة الخزرجي (ترجمة ١٩٣٤)، وشذرات الذهب (١٩١/١).

(٢) إتحاف الورى (١٦٦/٢)، والعقد الثمين (٥١٧/٤).

إمرة الحرمين واليمن واليمامة والحج بالناس عَمَّه أبا سليمان داود بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي، فسار إلى مكة، فلما سمع الوليد بن عروة السعدي –وهو عامل مكة لمروان بن محمد– بأنَّ داود بن علي يريد مكة أيقن بالهلاك، فخرج هارباً إلى اليمن.

وقدم داود بن علي مكة، وأطلق سُديف بن ميمون المكي الشاعر من الحبس، فلما أُطلق مدح بني العباس بقصيدة مطلعها(١):

أصبحَ الدين ثابتَ الأساسِ بالبَهاليلِ منْ بني العَبَّاس
طلبوا وتْرَ هاشم فشفَوها بعد مَيْلٍ من الزمان وبَاس
لا تُقيلَنّ عبد شَمسٍ عثَارا واقطعَنْ كل رَقّلَة وغراس
ذلها أظهر التَّودُّدَ منها وبها منكم كحَزِّ المَواسي
فلقد غاظني وغاظ سوائي قربُهُم من نمارقٍ وكراسي
أنْزِلُوها بحيثَ أنْزَلَها الله بدارِ الهوانِ والإتْعَاس
واذكروا مصرع الحسين وزيداً(٢) وقتيلاً(٣) بجانب المهراس(٤)
والقتيل(٥) الذي بحرّان أضحى ثاوياً بين غُرْبَة وتَنَاسي

---

(١) انظر الأبيات في: الأغاني (٤/٣٤٥)، والكامل (٥/١٧٤)، مع اختلاف في بعض الألفاظ وزيادة ونقص في الأبيات.

(٢) هو زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قتل في أيام هشام بن عبد الملك (هامش إتحاف الورى ٢/١٦٧).

(٣) المراد به سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب.

(٤) المهراس: ماء بأحد (هامش الأغاني ٤/٣٤٥).

(٥) المراد به الإمام إبراهيم بن محمد رأس الدعوة العباسية (انظر: هامش الأغاني الموضع السابق) وانظر في مقتله: البداية والنهاية (١٠-٣٩-٤٠).

وفيها[١] -أي في سنة اثنتين وثلاثين-: رفع داود بن علي العباسي -إثر قدومه إلى مكة- الفسقية[٢] التي جعلها خالد القسري في ولايته لمكة بأمر سليمان بن عبدالملك، وقيل: بأمر أخيه الوليد بن عبدالملك بين زمزم والركن والمقام، وهدم البركة التي جعلها خالد أيضاً عند باب الصفا، وصرف العين إلى بركة كانت بباب المسجد، فَسُرَّ الناسُ بذلك سروراً عظيماً.

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة[٣] قَتَلَ داود بن علي بن عبدالله بن عباس من ظفر به من بني أمية بالحرمين. ولما أراد قتلهم قال له عبدالله بن الحسن بن الحسن: يا أخي، إذا قتلت هؤلاء فمن تباهي بملكك؟! أما يكفيك أن يَرَوْكَ غادياً ورائحاً فيما يسُرُّك ويسوءهم؟! فلم يقبل منه، وقتلهم. انتهى.

ثم ولي بعده زياد بن [عبيدالله][٤] الحارثي[٥] -خال السفّاح- مع المدينة واليمامة أيضاً، ثم العباس بن عبدالله بن [معبد][٦] بن العباس بن

---

(١) إتحاف الورى (١٦٩/٢).

(٢) الفسقية: جمعها: فساقي، وهي: الحوض. وهي لفظة مولّدة (تاج العروس ٤٩/٧، المنجد ص:٥٨٣).

(٣) إتحاف الورى (١٧٠/٢)، والعقد الثمين (٣٥٠/٤)، والكامل (٨٩/٥).

(٤) في الأصل: عبد الله. وانظر مصادر ترجمته.

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٣/٢)، وغاية المرام (٣٠٩/١)، والعقد الثمين (٤٥٤/٤-٤٥٨)، والمنتظم لابن الجوزي (٣١١/٧، ٣٢٢، ٣٢٦، ٢١/٨، ٢٣)، والكامل (٩٩/٥).

(٦) في الأصل: سعيد. وكذا ورد اسمه في الموضع التالي. والتصويب من مصادر الترجمة.

عبدالمطلب[١]، واستمر عليها إلى موت السفّاح. قاله ابن الأثير.

وأما ولاتها في خلافة المنصور [أبي][٢] جعفر؛ فجماعة، أولهم: العباس بن عبدالله بن معبد -المذكور آنفاً-، ثم زياد بن عبيدالله الحارثي -المتقدم-، ثم الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني[٣]، ثم السري بن عبدالله بن الحارث بن العباس بن عبدالمطلب[٤]، واستمر إلى سنة خمس وأربعين.

ولي بعده بالتغلب: محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي الجعفري[٥] من قِبَل محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الملقب "بالنفس الزكية" فإنه تغلب على المدينة النبوية، وخرج على المنصور في سنة خمس وأربعين وبايعته الأئمة

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام(٢/٣٠٣)، وغاية المرام (١/٣١٤)، والعقد الثمين (٥/٩٢-٩٣)، وطبقات ابن سعد (٩/١٩٥)، وتاريخ خليفة (٤٣٢)، وعلل أحمد (١/١٣١)، وتاريخ البخاري الكبير (٧/٣٠)، وتاريخه الصغير (١/٣٢٢)، والجرح والتعديل (٦/٢١٢)، وثقات ابن حبان (٧/٢٧٤)، وجمهرة ابن حزم (ص:١٨)، والكامل في التاريخ (٥/٤٦٢، ٤٦٣، ٤٨٣)، والكاشف (ترجمة ٢٦٢١)، وتهذيب التهذيب (٥/١٠٦)، وتاريخ الإسلام (٥/٩٢، ٢٦٤)، وإكمال مغلطاي (٢/٢٣٦)، ونهاية السول (الورقة ١٦٠)، وتهذيب الكمال (١٤/٢١٩).

(٢) في الأصل: بن.

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٠٤)، وغاية المرام (١/٣١٨)، والعقد الثمين (٧/٣٨٢).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٠٤)، وغاية المرام (١/٣١٩)، والعقد الثمين (٤/٥٢٧-٥٢٩)، وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص:١٨)، والكامل لابن الأثير (٥/٧).

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٠٥)، والكامل لابن الأثير (٥/٧).

من أهل عصره؛ كمالك وأبي حنيفة ومن في طبقتهما، ووجه إلى مكة من قبله محمد بن الحسن بن معاوية ومعه القاسم بن إسحاق والياً على اليمن، فخرج عليهم السري أمير مكة من قبل المنصور فالتقيا بشعب أذاخر[1]، فانهزم السري، ودخل محمد بن الحسن مكة وأقام بها يسيراً، فأتاه كتاب من محمد ابن عبدالله يأمره بالرجوع إلى المدينة بمن معه ويخبره بمسير جيش المنصور إليه لمحاربته، وعليهم أمير عيسى بن موسى بن علي بن عبدالله بن عباس، فسار من مكة هو والقاسم بن إسحاق، فبلغه وهو بنواحي قديد قتل محمد بن عبدالله النفس الزكية، والقصة مذكورة في التواريخ.

قال السنجاري في منائح الكرم[2]: وسبب قيام محمد بن عبدالله: أن المنصور لما حج سنة (٤٠) وتخلف عنه هو وأخوه إبراهيم بالمدينة، فأهمه شأنهما، فقبض على أبيهما عبدالله المحض بن الحسن المثنى في بضع عشرة من أهل البيت [وسجنهم في بيت][3] وطيّنه عليهم حتى ماتوا جميعاً. فلما بلغ محمد بن عبدالله ثار بالمدينة، وخطب الناس وبايعوه. انتهى.

---

(١) أذاخر: جبل يشرف على الأبطح من الشمال، ويتصل بالحجون من الشرق، ولا زالت هناك ثنية تعرف بثنية أذاخر، منها دخل النبي ﷺ يوم فتح مكة، وريع أذاخر لا زال معروفاً بمكة حتى الآن (معالم مكة التاريخية ص: ٢٢-٢٣، والأزرقي ٢/٢٨٩).

(٢) منائح الكرم (٢/٩٥).

(٣) في الأصل: وسجنه في بيته. والمثبت من منائح الكرم، الموضع السابق.

ثم عاد السري إلى ولاية مكة من قِبَل المنصور، واستمر إلى سنة مائة وست وأربعين فعزله المنصور، وولّى مكةَ عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن عباس[١] عم المنصور، واستمر إلى سنة مائة وتسع وأربعين.

قال ابن فهد في حوادث سنة سبع وأربعين -أو في التي بعدها[٢]-: أمر المنصور نائبه على مكة والطائف عمه عبدالصمد بن علي بأن يدفن سديف بن ميمون الشاعر المكي حياً -وكان سديف في سجن عبدالصمد- ففعل به ذلك، وسبب ذلك: أنه بلغ المنصور بيتان لسديف نال فيهما من المنصور وهما:

أسْرفْتَ في قتل الرعية ظالما ... فاكْفُفْ يدَيْكَ إخالها[٣] مَهْدِيُّها
فلتأتينّك رايـــــــةٌ حســـنية ... جرَّارة يقتادهـــا حَسَنيُّها[٤]

انتهى.

ثم ولي بعد عبدالصمد: محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس[٥].

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٥/٢)، وغاية المرام (٣٢٤/١)، والعقد الثمين (٤٣٩/٥-٤٤٢)، والتحفة اللطيفة (١٧٨/٢)، وتاريخ خليفة (٤٥٧)، والمعارف (٣٧٤)، والضعفاء للعقيلي (٢٥٩)، والجرح والتعديل (٥٠/٦)، وتاريخ بغداد (٣٧/١١)، ووفيات الأعيان (١٩٥/٣)، والعبر (٢٩٠/١)، وميزان الاعتدال (٦٢٠/٢)، ودول الإسلام (١١٨/١)، ونكت الهميان (١٩٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢٩/٩).
(٢) إتحاف الورى (١٨٨/٢). وانظر: منائح الكرم (٩٩/٢-١٠٠)، والعقد الثمين (٥١٩/٤).
(٣) في إتحاف الورى: أصلها. وفي منائح الكرم: أخاً لها.
(٤) المقصود: محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم الذي قام بحركته في الكوفة، وقتل سنة ١٤٥ هـ (انظر عنه: تاريخ الطبري ٥٤٢/٨-٥٧١).
(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٦/٢)، وغاية المرام (٣٢٩/١)، والعقد الثمين (٤٠١/١-٤٠٤)، والمعارف (٣٧٦)، وتاريخ بغداد (٣٨٤/١)، والكامل لابن الأثير (١٧١/٦)، والعبر (٢٩٢/١)، وشذرات الذهب (٣٠٩/١)، وسير أعلام النبلاء (٨٨/٩).

وأما ولاتها في خلافة المهدي فجماعة، أولهم: إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس[١] بوصية من المنصور[٢]، ثم جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس[٣]، ثم عبيدالله بن قُثَم بن العباس ابن [عبيد الله][٤] بن العباس بن عبدالمطلب[٥].

وممن ولي للمهدي أيضاً: محمد بن إبراهيم العباسي المتقدم[٦]. ذكره الفاكهي[٧].

وأما ولاتها في عهد الهادي موسى بن المهدي العباسي: فعبيد الله بن قثم بن العباس -المتقدم-، وذلك في سنة تسع وستين.

ثم وليها بالتغلب في أيام الهادي: الحسين بن علي [بن الحسن][٨] بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب[٩]؛ لأنه خرج عن

---

(١) انظر ترجمته في:شفاء الغرام (٣٠٦/٢)، وغاية المرام (٣٣٣/١)، والعقد الثمين (٢٧٢/٣-٢٧٣).

(٢) الكامل لابن الأثير (٣٦/٦)، وإتحاف الورى (١٩٣/٢).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام(٣٠٦/٢)، وغاية المرام (٣٣٤/١)، والعقد الثمين (٤١٩/٣-٤٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٤٩/٨).

(٤) في الأصل: عبدالله. وانظر مصادر ترجمته.

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام(٣٠٦/٢)، وغاية المرام (٣٤١/١)، والعقد الثمين (٣١٤/٥-٣١٧).

(٦) شفاء الغرام (٣٠٦/٢).

(٧) الفاكهي (٢٩٨/١).

(٨) قوله: "بن الحسن" زيادة على الأصل. وانظر مصادر ترجمته.

(٩) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٧/٢)، وغاية المرام(٣٤٩/١)، والعقد الثمين (١٩٦/٤-٢٠٠)، والتحفة اللطيفة (٦٠٥/١)، والكامل لابن الأثير (٧٤/٥).

طاعة الهادي، وفتك بمن في المدينة من جماعة الهادي، ونهب بيت المال الذي بالمدينة، وبويع على كتاب الله وسنّة نبيه، وخرج بجماعته إلى مكة لستّ بقين من ذي القعدة سنة تسع وستين، وقابل خالد اليزيدي أمير مكة وبلغ الهادي خبره فكتب إلى محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله ابن عباس، وأمره أن يكون معاوناً بمحاربة الحسين المذكور. وكان محمد ابن سليمان قد توجه في هذه السنة للحج في جماعة من أهل بيته وخيل وسلاح، فلما حلّ من عمرته عسكر بذي طوى[1] وانضم إليه من حج من جماعتهم وقوادهم والتقوا مع الحسين وأصحابه، وكان القتال في يوم التروية، فقتل الحسين في أزيد من مائة من أصحابه بفخّ -ظاهر مكة عند الزاهر[2]-، ودفن هنالك، وقبره -قال الفاسي[3]:- معروف إلى وقتنا هذا في قبة على يمين الداخل إلى مكة ويسار الخارج منها إلى وادي مَرّ[4]. وحُمل رأسه إلى الهادي فلم يحمد ذلك.

(١) ذي طوى: واد بأسفل مكة (معجم البلدان ٤/٤٥)، وهو بمحلّة جرول معروف إلى الآن، ويستحب الاغتسال فيه للمحرم.

(٢) الزاهر: على نحو ميلين من مكة على طريق التنعيم، وهو موضع على جانبي الطريق فيه أثر دور وبساتين وأسواق (رحلة ابن بطوطة ص: ١٦٥) وبه الآن مستشفى الملك عبد العزيز، والتي اشتهرت بمستشفى الزاهر. أما الأستاذ البلادي فيقول: إن الزاهر هذا والمعروف حالياً ليس هو المقصود في ذلك العصر، وإنما المقصود بالزاهر ما يسمى الآن بجرول، والذي به في الوقت الحاضر مستشفى الولادة وسوق الخضار بمكة (انظر: معجم معالم الحجاز ٤/١٢٧).

(٣) شفاء الغرام (٢/٣٠٨).

(٤) مر الظهران: واد فحل من أكبر أودية الحجاز، يأخذ أعلى مساقط مياهه من السفوح الشرقية للسراة غرب الطائف، وله هناك رافدان هما: نخلة الشامية، ونخلة اليمانية، ثم يجتمعان (النخلتان) فيسمى الوادي وادي الزبارة، ويسمى أيضاً: وادي فاطمة؛ نسبة إلى أم الشريف بركات بن أبي

وكان الحسين هذا شجاعاً كريماً، يُحكى أنه قدم على المهدي فأعطاه أربعين ألف دينار ففرّقها على الناس ببغداد والكوفة، وخرج لا يملك ما يلبسه إلا فروة ليس تحتها قميص، رحمه الله وغفر له. كذا في الجامع اللطيف[١].

وفي إتحاف الورى[٢]: قُتل الحسين في أزيد من مائة نفر من أصحابه، وجرح بعضهم، وانهزم بقيتهم فاختلطوا بالحاج، وبعضهم انهزم إلى مصر، وانصرف محمد بن سليمان ومن معه إلى مكة ولا يعلمون حال الحسين، فلما بلغ ذا طوى لحقهم رجل من أهل خراسان يقول: البشرى البشرى، هذا رأس الحسين، فأخرجه، بجبهته ضربة طولاً، وعلى قفاه ضربة أخرى. ولما انقضت الواقعة نادوا بالأمان، فجاء [أبو الزِّفت][٣] الحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني فوقف خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد فأخذه موسى ابن عيسى وعبدالله بن الحسن بن محمد فقتلاه، فغضب محمد بن سليمان

= نمي أو زوجته، ويعرف باسم وادي الشريف؛ نسبة إلى الشريف أبي نمي، الذي مَلَكَ جُلَّ هذا الوادي. ومر الظهران يمر على مرحلة من مكة قصيرة شمالاً و (٢٤) كيلاً على جادة المدينة المنورة (معجم معالم الحجاز ٨/١٠٠-١٠٢).

(١) الجامع اللطيف (ص:٢٩٤).

(٢) إتحاف الورى(٢/٢٢٠-٢٢١). وانظر:الكامل(٥/٢٦٧)، والعقد الثمين (٤/١٩٦-٢٠٠)، وتاريخ الطبري (٤/٥٩٩).

(٣) في الأصل: أبو الوقت. والتصويب من إتحاف الورى (٢/٢٢١)، والكامل وتاريخ الطبري، الموضعان السابقان.

غضباً شديداً، وأُخذت أخت الحسين وتُركت عند زينب بنت سليمان وأخذ رؤوس القتلى -وكانوا مائة رأس ونيفاً- وفيها رأس سليمان بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي فحُمل إلى الهادي. انتهى.

وأما ولاتها في خلافة هارون الرشيد: فولي مكة في زمنه جماعة لا يعرف ترتيبهم في الولاية، منهم: أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبدالله بن عباس[١]، وحماد البربري[٢]، وسليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس[٣]، والعباس بن موسى بن عيسى [بن موسى][٤] ابن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس[٥]، والعباس بن محمد بن إبراهيم -السابق ذكره-، [وعبيدالله][٦] بن قثم بن عباس -السابق ذكره-، وعلي بن موسى بن عيسى[٧] أخو العباس بن موسى، والفضل ابن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس[٨]، ومحمد بن

(١) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٦٤/١)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (١٦٧/١)، وفي شفاء الغرام (٣٠٩/٢).

(٢) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٦٥/١)، والعقد الثمين (٢٢٤/٤-٢٢٥)، والكامل لابن الأثير (١٠٩/٥)، والمنتظم (٩٢/٩، ١٩٧)، وأخبار مكة للأزرقي (١٧٠/٢)، وذكره الفاسي في شفاء الغرام (٣٠٩/٢).

(٣) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٦٧/١)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (١٦٧/١)، وفي شفاء الغرام (٣٠٩/٢)، وابن الأثير في الكامل (٧٧/٦).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من مصادر الترجمة.

(٥) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٦٨/١)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (١٦٧/١)، وفي شفاء الغرام (٣٠٩/٢)، وابن الأثير في الكامل (٧٧/٦).

(٦) في الأصل: عبدالله. وانظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٦/٢)، وغاية المرام (٣٤١/١)، والعقد الثمين (٣١٤/٥-٣١٧).

(٧) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٧٢/١)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (١٦٧/١)، وشفاء الغرام (٣٠٩/٢).

(٨) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٧٣/١)، والعقد الثمين (١١/٧-١٢)، وذكره الفاسي في شفاء الغرام (٣٠٩/٢).

[عبدالله][1] بن سعيد بن المغيرة بن [عمرو][2] بن عثمان بن عفان[3]، وموسى بن عيسى -المتقدم ذكره-.

وأما ولاتها في خلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد العباسي: فداود ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس[4] ضمّت إليه المدينة، فولي ابنه سليمان المدينة، وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين.

قال محيي الدين ابن العربي في فتوحاته[5]: إن داود بن عيسى بن موسى ابن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس عم رسول الله ﷺ لما ولي مكة والمدينة أقام بمكة وولّى ابنه سليمان المدينة، فأقام بمكة عشرين شهراً، فكتب إليه أهل المدينة.

وقال الزبير بن أبي بكر: كتب إليه يحيى بن مسكين بن أيوب بن مخراق، يسألونه التحول إليهم ويعلمونه أن مقامه بالمدينة أفضل من مقامه بمكة، وأهدوا إليه في ذلك شعراً قاله شاعرهم، يقول فيه:

أداوُدُ قد فزْتَ بالمكْرُمَات ... وبالعَدْلِ في بَلَدِ المصْطفى
وصِرْتَ ثمَالا لأهل الحجاز ... وسِرْتَ بسيرَة أهل التّقى

(١) في الأصل: عبيد الله. وانظر مصادر ترجمته.
(٢) في الأصل: عمر. وانظر مصادر ترجمته.
(٣) انظر ترجمته في: غاية المرام (١/٣٦٦)، وذكره الفاسي في شفاء الغرام (٢/٣٠٩)، وفي العقد الثمين (١/١٦٧).
(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣١٠)، وغاية المرام (١/٣٧٤)، والعقد الثمين (٤/٣٥٧-٣٦٠)، والمنتظم (١٠/٢٦)، والكامل لابن الأثير (٥/١٣٧-١٥٤).
(٥) الفتوحات المكية (١/٧٥٩-٧٦٣).

وأنتَ المهَذّبُ مِنْ هاشم فعَدْلُكَ فينا هو المُنْتَهى
وبالفَيْءِ أَغْنَيْتَ أَهْلَ الخصَاص وفي كُل حالٍ أنتَ الرضى
ومكةُ لَيْسَتْ بدار المُقَام فَهَاجِرْ كهجرة مَنْ قد مضى
مَقامُك [عشرين][(١)] شهراً بها كثيرٌ لهم عند أهل الحجَى
فقم ببلاد الرَّسول التي بها الله خَصَّ نَبيَّ الهُدى
ولا ينفينك عن قُرْبه مُشيرٌ مَشُورَتُه بالهوى
فقـــبر النـــبي وآثاره أحقُّ بقُرْبكَ من ذي طوى

فلما ورد الكتاب والأبيات على داود بن عيسى أرسل إلى رجال من أهل مكة فقرأ عليهم الكتاب، فأجابه رجل منهم يقال له: عيسى بن عبدالعزيز السعلبوسي بقصيدة يرد عليه ويذكر فيها فضل مكة وما خصها الله به من الكرامة والفضيلة، ويذكر المشاعر والمناقب، فقال وفقه الله هذه القصيدة:

أداودُ أنتَ الإمامُ الرِّضا وأنت ابن عمِّ نَبيِّ الهُدَى
وأنتَ المُهَذّبُ مِن كُل عَيبٍ [كبير] ومنْ قَبْله في زمن الصِّبا
وأنتَ المُؤَمَّلُ من هاشمٍ وأنتَ ابنُ قومٍ كِرامٍ تُقَى
وأنتَ غياثٌ لأهلِ الخصاص تَسُدُّ خَصاصَتَهُمْ بالغِنَى
أتاكَ كتابُ حسود جحود أسا في مَقالته واعْتَدَى
يُخَيِّرُ يثربَ في شعره على حرم الله حيثُ ابْتَنَى
فإن كان يصدُقُ فيما يقول فلا يَسْجُدَنّ إلى ما هنا
وأيّ بلاد تفوق أمّها ومكةَ مكةَ أمُّ القرى

---

(١) في الأصل: عشرون. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٤).

وربي دحا الأرضَ من تحتها ويثربُ لا شكَّ فيما دحا
وبيت المهيمن فينا مُقيم يُصلَّى إليه برغم العدَا
ومَسْجدُنا بَيِّنٌ فَضْلُه على غَيْرِه ليس في ذَا مِرَا
صلاةُ المُصلِّي تُعَادل به مئين [أُلُوف](١) صلاةً وَفَا
كذاكَ أتى في حديثِ النَّبي وما قالَ حقٌّ به يُقْتَدَى
وأعمالكُمْ كلّ يومٍ وُفود إلينا شوارِعُ مثلَ القَطا
فيرفعُ منها إلهي الذي يشاءُ ويَتركُ ما لا يشَا
ونحنُ تحجُّ إلينا العباد فيرمون شعثاً بوتر الحصا
ويأتونَ من كلِّ فجٍ عميقٍ على أيْنُقٍ ضُمَّرٍ كالقَنا
ليقْضُوا مناسِكَهُمْ عندنا فمنهُمْ سعاة ومنهم مشا
فكم من مُلَبٍّ بصوتٍ حزين يرى صوته في الهوى قد علا
وآخر يذكرُ ربَّ العباد ويُثْني عليه بحُسنِ الثّنا
فكُلّهموا أشعثٌ أغبر يؤُمُّ [المُعَرَّفَ](٢) أقصى المدى
فظلوا به يومهم كله وقوفاً يضجون حتى المسا
حُفاةً ضُحاةً قياماً لهم عجيجٌ يُنادون ربَّ السما
رجاءً وخوفاً لما قَدَّمُوا وكلٌّ [يُسائلُ](٣) دفعَ البلا
يقولون: يا ربَّنا اغْفِر لنا بعفْوكَ [واصفح](٤) عمَّن أسَا
فلما دنا الليل من يومهم وولّى النهار أجدُّوا البكا

---

(١) في الأصل: ألوفاً. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٥).
(٢) في الأصل: المعروف. والتصويب من الفتوحات المكية، والفاكهي (٢/٢٩٥)، وتحصيل المرام (ص: ١٤٧).
(٣) في الأصل: يسأل. والتصويب من الفتوحات المكية، والفاكهي (٢/٢٩٥)، وتحصيل المرام (ص: ١٤٧).
(٤) في الأصل: والصفح. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٦).

وسارَ الحجيجُ [لهم رَجَّةٌ][1] فحلّوا بجَمْعٍ بُعَيد العشا
فباتُوا جميعاً فلمَّا بدا عمودُ الصَّباحِ وولّى الدُّجى
دَعَوا ساعةً ثم شَدُّوا الشُّسوع على قُلَصٍ ثم أمُّوا منى
فمِنْ بينِ مَنْ قَدْ قضَى نُسْكَه وآخرُ يَبْدأ بسَفْك الدِّمَا
وآخرُ يهوي إلى مكة ليسعى ويدعوهُ فيمَن دعا
وآخرُ يَرْمُلُ حولَ الطّواف وآخرُ ماضٍ يؤُمُّ الصَّفا
فآبُوا بأفضلِ مما رجوا وما طلبُوا من جزيلِ العَطا
وحجَّ الملائكةُ المكرمون إلى أرضنا قبلُ فيما مضَى
وآدمُ قد حجَّ من بعدهم ومن بَعده أحمدُ المُصْطَفَى
وحجَّ إلينا خليلُ الإله وهجَّرَ بالرَّمْيِ فيمَن رمَى
فهذا لعمري لنا رِفْعَة حبانا بهذا شديدُ القُوى
ومنا النبي نبيُّ الهُدى وفينا تَنَبَّا ومنَّا ابْتَدَى
ومنا أبو بكرٍ ابنُ الكِرَام ومنَّا أبو حَفْصٍ المُرْتجَى
وعثمان منّا فمَن مثله إذا عَدَّدَ الناسُ أهلَ الحيا
ومنّا عليّ ومنّا الزبير وطلحةُ منّا وفينا انتشا
ومنا ابن عباس ذو المكرمات نسيبُ النبي وحِلْفُ النَّدى
ومنّا قريش وآباؤُها فنحنُ إلى فَخْرِنَا المُنْتَهَى
ومنّا الذين بِهِمْ تَفْخَرون فلا تَفْخَرونَ عَلَيْنا بنَا؟
فَفَخْرُ أولاء لنا رفّعَة وفينا مِنَ الفَخْرِ ما قَدْ كَفَى
وزمزمُ والحِجْر فينا فهَل لكم مَكرُمات كما [قد][2] لنا؟
وزمزمُ طَعْمٌ وشُرْبٌ لمن أرادَ الطعام وفيه الشِّفا

(١) في الأصل: له وجبة. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٦).
ورجّة القوم: اختلاط أصواتهم (اللسان، مادة: رجج).
(٢) في الأصل: هي. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٧).

وزمزمُ تنفي همومَ الصدور ... وزمزمُ من كل سُقْم دوا
وكم جاءَ زمزم من جائع ... إذا ما تضلّعَ منها اكْتفَى
وليستْ كزمزمَ في أرْضِكُم ... كما ليسَ نحنُ وأنتم سوا
وفينا سِقايةَ عمِّ الرسول ... ومنها النبي امتلا وارتوى
وفينا المقامُ فأكرِم به ... وفينا المُحَصَّبُ والمنحنى
وفينا الحجونَ ففاخر به ... وفينا كَداء وفينا كَدا
وفينا الأباطحُ والمَرْوَتَان ... فبخٍ بخٍ[1] فمن مثلنا يا فتى
وفينا المشاعر مَنْشا النبي ... وأجيادُ والرُّكْنُ والمُتَّكا
وثَوْرٌ فهل عندكمْ مثلُ ثو ... ر؟ وفينا ثبير وفينا حرا
وفيه اختبا نبي الإله ... ومعْهُ أبو بكرٍ المُرْتَضى
فكم بين أُحْدٍ إذا جاءَ فَخْر ... وبين القبيس فيما ترى
وبلدتُنا حرمٌ لم تزل ... [محرمةَ][2] الصَّيد فيمَا خلا
ويثربُ كانتْ حلالاً فلا ... تكذب فكم بين هذا وذا
[فحرّمها][3] بعد ذاك النبي ... فمن أجلِ ذلك جاء[4] كذا
ولو قُتلَ الوَحْشُ في يثرب ... لما فُديَ الوحشُ حتى اللقا
ولو قُتلتْ عندنا نملة ... أُخذتُمْ بها [أو][5] تُؤَدُّوا الفدا
ولولا زيارة قبر النبي ... لكنتم كسائرِ من قد بدا
وليس النبيُّ بها ثاويا ... ولكنه في جنان العلا
فإن قلت قولاً خلاف الذي ... أقول فقد قلتَ قول الخطا
فلا تُفْحشَنَّ علينا المقال ... ولا تَنْطِقَنَّ بقولِ الخنَا

---

(١) في الفاكهي: فثج وعج.
(٢) في الأصل: محرم. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٧)، وتحصيل المرام (ص:١٤٨).
(٣) في الأصل: وحرمها. والتصويب من الفاكهي، وتحصيل المرام، الموضعان السابقان.
(٤) في الأصل زيادة: ذا.
(٥) في الأصل: و. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٧)، وتحصيل المرام (ص:١٤٨).

ولا تَفْخَرَنّ بما لا يكون ولا ما يَشينُكَ عندَ المَلا
ولا تَهْجُ بالشِّعْرِ أرضَ الحرام وكُفَّ لسانَكَ عن ذي طوى
وإلا فجاءكَ ما لا تريد من الشَّتْمِ في أرضكم والأذى
فقد يُمْكِنُ القولَ في أرْضِكُم بسَبٍّ العقيق ووادي قُبا

فأجابهما رجل من بني عجل ناسك كان مقيماً بجدة مرابطاً فحكم بينهما فقال:

إني قضيتُ على الذين تماريا في فضلِ مكة والمدينة فاسألوا
فلسوفَ أُخبركم بحقٍّ فافهموا فالحُكْم حيناً قد يَجُورُ ويَعْدل
فأنا الفتى العِجْليُّ جُدَّةُ مَسْكَني وخزانةُ الحَرَمِ التي لا تُجْهَل
وبها الجهادُ مع الرِّباط وإنها لَبِها الوقيعةُ لا محالةَ تَنْزِل
من آل حامٍ في أواخرِ دهرنا وشهيدها بشهيد بَدْرٍ يَعْدل
شهداؤُنا قد فَضَّلوا بسعادةٍ وبها السرورُ لمن يموتُ ويُقْتَل
يا أيها المدنيّ أرْضُكَ فضلها فوقَ البلاد وفضلُ مكة أفضل
أرضٌ بها البيتُ [المحرّمُ][١] قبْلَةٌ للعالمينَ [لَهُ][٢] المساجدُ تَعْدل
حرمٌ حرامٌ أرضُها وصُيُودُها والصيد في كلِّ البلاد مُحَلّل
وبها المشاعرُ والمناسكُ كلّها وإلى فضيلتها البريّةُ تَرْحَل
وبها المقامُ وحوضُ زمزم [مُتْرَعاً][٣] والحِجْر والرُّكن الذي لا يجهل
والمسجد العالي الممجَّدُ والصفا والمشعران ومن يطوفُ ويرمُل
هل في البلاد مَحلّةٌ معروفة مثل المُعَرَّف أو مَحَلّ [يُحلل][٤]
أو مثلُ جَمْعٍ في المواطن كلّها أو مثل خيف منى بأرضٍ مَنْزِل
تلكمْ مواضعُ لا يرى [برحابها][٥] إلا الدعاء ومُحْرِمٌ ومُحلّل

---

(١) في الأصل: الحرام. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٨)، وتحصيل المرام (ص: ١٤٩).
(٢) في الأصل: لها. والتصويب من المراجع السابقة.
(٣) في الأصل: مشرع. والتصويب من المراجع السابقة.
(٤) في الأصل: يحلل. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٨).
(٥) في الأصل: لحرامها. والمثبت من الفاكهي (٢/٢٩٨).

شرفاً لمن وافى المعرَّفَ ضيفَه ... شرفاً له ولأرضه إذ ينزل
وبمكة الحسنات [يُضْعَفُ][1] أجرُها ... وبها المسيءُ عن الخطيئة يُسأل
يُجزى المسيءُ على الخطيئة مثلها ... وتضاعفُ الحسناتُ منهُ وتقبل
ما ينبغي لك أنْ تفاخرَ يا فتى ... أرضاً بها وُلدَ النبي المُرْسَل
بالشعب دون الردم مسقط رأسه ... وبها نشأ صلى عليه المُرْسِل
وبها أقامَ وجاءهُ وحيُ السما ... وسرى به الملك الرفيعُ المنزِل
ونبوّة الرحمن فيها أُنْزلت ... والدِّين فيها قبلَ دينك أول
هل بالمدينة هاشميّ ساكن ... أو من قريش ناشئ أو مُكْهِل؟
إلا ومكةُ أرضهُ وقراره ... لكنهم عنها نَأوْا وتحوّلوا
وكذاكَ هاجرَ نحوكم لَمّا أتى ... إنّ المدينةَ هجرةٌ فتحمَّلوا
فأَجَرْتُمُوا وقريتمُوا ونَصَرْتُمُوا ... خيرَ البريّة حَقّكم أن تَفْعَلوا
فضلُ المدينة بيِّنٌ ولأهلها ... فضلٌ قديمٌ نوره يتهلّل
من لم يَقُلْ إنّ الفضيلةَ فيكم ... قُلنا كَذَبْتَ وقولُ ذلكَ أرذل
لا خيرَ فيمن ليس يعرفُ فضلَكُم ... مَنْ كان يَجْهَلُهُ فلسْنا نَجْهَل
في أرضكم قبرُ النبي وبيتُه ... والمنبر العالي الرفيعُ الأطول
وبها قبورُ السابقينَ بفضلهم ... عُمَرٌ وصاحبُهُ الرفيقُ الأفضل
والعِتْرَةُ الميمونةُ [اللاّتي][2] بها ... سَبَقتْ فضيلَةَ كلّ من يَتَفَضَّل
آلُ النبي بنوا عَليّ إنَّهم ... أَمْسُوا ضياءً للبَرِيّة يَشْمُل
يا من تَبِضُّ[3] إلى المدينة عينُه ... فيك الصَّغارُ وصعْرُ خَدِّكَ أسْفل
إنا لنهواها وهوى أهلها ... ووِدادها حقّ على من يعقل
قل للمدني الذي يزداد دا ... ود الأمير ويستحث ويعجل

---

(١) في الأصل: ضوعف. والمثبت من الفاكهي (٢/٢٩٩)، وتحصيل المرام (ص:١٤٩).

(٢) في الأصل: الآتي. والتصويب من الفاكهي، وتحصيل المرام، الموضعان السابقان.

(٣) العينُ تَبِضُّ بَضّاً وبَضِيضاً: دَمَعت (لسان العرب، مادة: بضض).

قد جاءكم داود بعد كتابكم قد كان حبلك في أميرك يفتل
فاطلب أميرك واستزره ولا [تقع][١] في بلدة عظمت فوعظك أفضل
ساق الإله لبطن مكة ديمة تروى بها وعلى المدينة تسبل

انتهى[٢].

واستمر داود بن عيسى إلى انقضاء خلافة الأمين في سنة ست وتسعين، وهو الذي تولى خلع الأمين بمكة فيها. وقصة خلعه كما في الأرج المسكي[٣]: أنه لما بلغه ما كان بين المأمون والأمين وكان ورد عليه كتاب من الأمين يأمره فيه بخلع المأمون وأخذ الكتابين اللذين [جعلهما][٤] في الكعبة المتضمنين ترتيب ولاية العهد بين أولاده، فلما ورد على داود أمر الأمين بذلك جمع أعيان مكة والناس وقال لهم: قد علمتم ما أخذ الرشيد عليكم وعلينا من العهد والميثاق عند بيت الله الحرام لابنيه، [لنكونن][٥] مع المظلوم فيهما على الظالم، ومع المغدور به على الغادر، وقد رأينا وأنتم أن الأمين قد بدأ بالظلم والبغي والمكر على إخوانه المأمون والمؤتمن، وخالفهما عاصياً لله، وبايع لابنه طفل صغير [لم يعظم][٦]، واستخرج الشرطين من الكعبة عاصياً ظالماً، فحرقهما بالنار، وقد رأيت خلعه والبيعة للمأمون إذ كان مظلوماً مبغياً عليه، فقال

(١) في الأصل: تقم. والتصويب من الفتوحات (٧٦٣/١)، وإتحاف الورى (٢٥٦/٢).
(٢) انظر القصائد الثلاث في: الفاكهي (٢٩٣/٢-٢٩٩)، وإتحاف الورى (٢٥٠/٢-٢٥٦)، وتهذيب ابن عساكر (٢١١/٥-٢١٥)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:٨١-٩٣)، وتحصيل المرام (ص: ١٤٧-١٤٩).
(٣) الأرج المسكي (ص:٣٣٩).
(٤) في الأصل: كانتا. والمثبت من الأرج المسكي، الموضع السابق.
(٥) في الأصل: لنكون. والتصويب من الأرج المسكي، الموضع السابق.
(٦) ما بين المعكوفين زيادة من الأرج (ص:٣٣٩).

له أهل مكة: رأينا تبعٌ لرأيك. فوعدهم صلاة الظهر، فنادى في فجاج مكة صائح يصيح: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد فصلّى بهم داود الظهر، ثم صعد على المنبر بين الركن والمقام، فجلس عليه فحمد الله تعالى وصلى على رسول الله ﷺ وقال: يا أهل مكة! أنتم الأصل، وإلى قبلتكم يأتمّ المسلمون، ولقد علمتم ما أخذ عليكم الرشيد، وقد علمنا أن الأمين بدأ بالظلم والبغي، وقد حلَّ لنا ولكم خلعه، وأشهدكم أني قد خلعت محمد بن هارون الرشيد من الخلافة كما خلعت قَلَنْسُوَتِي هذه من رأسي، ثم خلعها فرمى بها إلى بعض الخدام، وأتى بقَلَنْسُوَة[1] فلبسها ثم قال: وقد بايعت لعهد الله المأمون، ألا فقوموا فبايعوا، [فقاموا][2] أياماً يبايعونه.

وكتب إلى ولده سليمان -وهو عامله إلى المدينة- يأمره أن يفعل ما فعل، فخلع الأمين وبايع للمأمون، فلما رجع جواب البيعة من المدينة إلى داود، سار داود إلى المأمون فوجده بمَرو[3]، فأخبره بذلك، فسُرَّ بذلك سروراً شديداً، وتيمَّن ببركة مكة والمدينة، وكتب لداود عهداً [على][4] مكة والمدينة وأعمالهما، وزاد على ذلك ولاية نجد، ثم سار داود من عنده إلى جهة مكة، ثم ورد في هذه السنة -أي سنة ست وتسعين ومائة- العباس بن موسى فدعى للمأمون بالخلافة في

---

(١) القلنسوة: لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال (المعجم الوسيط ٢/٧٥٤).

(٢) في الأصل: فبقي. والمثبت من الأرج (ص:٣٣٩).

(٣) مَرْو: هي مرو الشاهجان، وهي مرو العظمى، أشهر مدن خراسان وقصبتها، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً (معجم البلدان ٥/١١٢-١١٣).

(٤) في الأصل: إلى. والمثبت من الأرج (ص:٣٣٩).

الحرمين، وكان الأمين فيها محصوراً. انتهى.

وأما ولاتها في عهد المأمون عبدالله بن هارون الرشيد: فداود المذكور أيضاً، ولاّه المأمون بعد خلع الأمين، واستمر إلى أواخر سنة تسع وتسعين ومائة، ثم فارق مكة متخوفاً من الحسين بن الحسن بن علي الأصغر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالأفطس[١]، وسببه: أن أبا السرايا السري بن منصور الشيباني[٢] داعية ابن طباطبا[٣] لما تغلب واستولى على العراق، ولّى مكة الحسين بن الحسن الأفطس، فسار إلى أن وصل وادي سرف[٤] -المعروف في وقتنا هذا بالنَّوّارية[٥]-

---

(١) الأفطس: ثائر علوي، دعا لنفسه أيام المأمون بعد أن دعا لابن طباطبا بالإمارة (انظر ترجمته في: غاية المرام ٣٨٩/١، والعقد الثمين ١٩٠/٤-١٩٢، وشفاء الغرام ٣١٠/٢).

(٢) أبو السرايا: ثائر علوي، خرج على المأمون عام ١٩٩ هـ بالعراق. قتل ببغداد عام ١٩٩هـ (البداية والنهاية ٢٤٤/١٠، وتاريخ الطبري ١٢٢/٥، والإعلام ٨٢/٣، ومقاتل الطالبين ص:٣٣٨).

(٣) ابن طباطبا هو: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أمير علوي، من أئمة الزيدية، توفي سنة ١٩٩هـ. (انظر أخباره في: البداية والنهاية ٢٤٤/١٠، والطبري ٢٢٧/١٠، ومقاتل الطالبيين ٥١٨-٥٣٢، وتاريخ اليمن للواسعي ص:١٨، وبلوغ المرام ص:٣١، وإتحاف المسترشدين ص:٤٠).

(٤) سرف: موضع على ستة أميال من مكة، من طريق مر، وقيل: سبعة أميال، وقيل: اثنا عشر، وهناك أعرس الرسول ﷺ بميمونة أم المؤمنين، وهناك ماتت (معجم ما استعجم ٧٤٦/٣).

(٥) النوارية: كانت محطة بوادي سرف، وأقيمت هناك مصانع للنورة، فتكونت هذه المحطة وانتعشت، فلما توقفت تلك المصانع تقهقرت المحطة أو المنهل وكاد يندثر، ولكن الذي حدث بعد ذلك أن النوارية خططت وعمرت، فأصبحت حياً جميلاً مأهولاً. والنوارية أيضاً: الجبل الذي يشرف على تلك القرية من الغرب يسمى جبل النورة، على حافة طريق مكة إلى المدينة على ٩ أكيال، كانت تستخرج منه حجارة النورة وتحته أفران لها. وقد تسمي العامة وادي سرف إذا مر من هناك وادي النوارية نسبة إلى تلك القرية (معجم معالم الحجاز ٩٤/٩-٩٥).

بالنون–، على مرحلة لطيفة من مكة إلى جهة مر الظهران–، فتوقف عن الدخول خشية من أميرها داود. فلما بلغه خروج داود دخلها ليلة عرفة فطاف وسعى، ثم مضى إلى عرفة فوقف بها ليلاً، ثم دفع إلى مزدلفة فصلى بالناس الصبح، ثم دفع إلى منى[١].

وفي خلاصة الكلام[٢]: فلما بلغ داود بن عيسى توجه الحسين إلى مكة جمع أصحابه وقال: " لا أستحل القتال بمكة، والله لئن دخلوا من هذا الفج لأخرجن من هذا الفج، فانحاز في ناحية، ثم خرجوا إلى العراق، وصعد الناس عرفة بلا إمام، فصلى بهم رجل من عرض[٣] الناس بلا خفة، ودفعوا من عرفة، فلما بلغه خروج داود ابن عيسى دخل في عشرة أنفار من أصحابه فطاف وسعى ومضى إلى عرفة. انتهى.

قال ابن ظهيرة[٤]: فلما انقضى الحج عاد إلى مكة. فلما كان مستهل المحرم سنة مائتين نزع الحسين المذكور كسوة الكعبة التي كانت عليها من قبل العباسيين، ثم كساها كسوتين أنفذهما معه أبو السرايا المذكور، من قز رقيق، إحداهما صفراء والأخرى بيضاء.

---

(١) الجامع اللطيف (ص:٢٩٥).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٨).

(٣) في هامش الأصل: أي عامة الناس. اهـ مختار الصحاح (ص:١٧٨).

(٤) الجامع اللطيف (ص:٢٩٥–٢٩٧).

قال الأزرقي[1]: مكتوب بينهما: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين الطيبين الأخيار، أمر أبو السرايا الأصفر بن الأصفر داعية أبي محمد بعمل هذه الكسوة لبيت الله الحرام. انتهى.

ثم عمد الأفطس إلى خزانة الكعبة وأخذ ما فيها من الأموال فقسمها مع كسوة الكعبة على أصحابه، وهرب الناس من مكة؛ لأنه كان يأخذ أموال الناس ويزعم أنها ودائع بني العباس عندهم، ولم يزل كذلك على ظلمه إلى أن بلغه قتل مرسله أبي السرايا في سنة مائتين. فلما علم ذلك ورأى الناس قد تغيروا عليه لما فعله معهم من القبيح واستباحة الأموال، جاء هو وأصحابه إلى محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالديباجة؛ لجمال وجهه، وسألوه بالمبايعة له بالخلافة، فكره محمد ذلك، فاستعان الأفطس بابنه علي، ولم يزالوا به حتى بايعوه الخلافة، وذلك في ربيع الأول سنة مائتين، وجمعوا الناس على بيعة محمد بن جعفر طوعاً وكرهاً، ولقبوه بأمير المؤمنين، وبقي شهوراً وليس له من الأمر شيء، وإنما ذلك لابنه علي وللأفطس، وهما على أقبح سيرة مع الناس، فلم يكن إلا مدة يسيرة إذ جاء عسكر المأمون -فيهم الجلودي وورقاء بن جميل- وقد انضم إلى محمد بن جعفر غوغاء أهل مكة وسواد البادية، فالتقى

---

(١) الأزرقي (١/٢٦٤).

الفريقان، فانهزم محمد وأصحابه، وطلب الديباجة من الجلودي الأمان، فأجّلوه ثلاثاً، ثم خرج من مكة، ودخل الجلودي بعسكره إلى مكة في جمادى الآخرة سنة مائتين، وتوجه الديباجة إلى جهة بلاد جهينة فجمع منها جيشاً، وقاتل والي المدينة هارون بن المسيب، فانهزم الديباجة بعد أن فقئت [عينه][1] بنشابة، وقتل من عسكره خلق كثير، ثم عاد إلى مكة وطلب الأمان من الجلودي، فأمّنه، فدخل مكة في أواخر ذي الحجة سنة مائتين، وصعد على المنبر متعذراً بأنه إنما وافق على المبايعة لأنه بلغه موت المأمون، ثم قدم على المأمون واستعذر واستغفر، فقبل عذره وأكرمه وعفى عنه، فلم يمكث إلا قليلاً، ثم مات فجأة بجرجان[2]، فصلى عليه المأمون ونزل في لحده وقال: هذه رحم قُطعت من سنين. وكان موته في شعبان سنة ثلاث ومائتين. وسبب موته -على ما قيل-: أنه جامع وافتصد ودخل الحمام في يوم واحد. انتهى ما قاله ابن ظهيرة.

وفي تاريخ الدول الإسلامية[3]: ولما اشتد الأمر على محمد بن جعفر خطب الناس وقال: إنني بلغني أن المأمون مات، وكانت له في عنقي

---

(١) في الأصل: عينيه. والتصويب من الجامع اللطيف (ص:٢٩٦).

(٢) جُرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، فبعض يعدها من هذه وبعض يعدها من هذه. وقيل: إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمي. قال الإصطخري: أما جرجان: فإنها أكبر مدينة بنواحيها، وهي أقل ندى ومطراً من طبرستان، وأهلها أحسن وقاراً وأكثر مروءةً ويساراً من كبرائهم (معجم البلدان ٢/١١٩).

(٣) تاريخ الدول الإسلامية (ص:١٣٧-١٣٨).

بيعة، وكانت فتنة عمّت الأرض فبايعني الناس، ثم إنه صح عندي أن المأمون حي صحيح، وأنا أستغفر الله من البيعة، وقد خلعت نفسي من البيعة التي بايعتموني عليها، كما خلعت خاتمي هذا من أصبعي، فلا يبق لي في رقابكم[١]. انتهى.

وقال ابن فهد في حوادث سنة إحدى ومائتين[٢]: فيها خرج عيسى الجلودي[٣] بمحمد الديباجة إلى العراق، واستخلف على مكة ابنه محمد ابن عيسى[٤]، وسار إلى المأمون إلى أن بلغه أنه بمرو[٥]، فعفى المأمون عن الديباجة، وتقدم الحجبة واستعدوا على الديباجة عند المأمون لما أخذه الديباجة من مال الكعبة، فقضاهم المأمون عن الديباجة خمسة آلاف دينار، وكتب لهم بها إلى إسحاق بن عباس بن محمد -وهو والٍ على اليمن-، فقبضها الحجبة وردوها إلى خزانة الكعبة. انتهى.

وفي الخلاصة[٦]: قال الذهبي: إن الجلودي خرج بالديباجة إلى العراق واستخلف على مكة ابنه محمداً، وقيل: استخلف يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي[٧]، وجاء من اليمن إبراهيم بن موسى الكاظم ودخل

---

(١) انظر: الكامل (٤٢٣/٥)، وتاريخ الطبري (١٢٩/٥).
(٢) إتحاف الورى (٢٧١/٢). وانظر: الأزرقي (٢٤٨/١).
(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٣/٢)، وغاية المرام (٣٩٨/١)، والعقد الثمين (٤٧٢/٦-٤٧٤)، والكامل لابن الأثير (٢١١/٦)، وجمهرة ابن حزم (ص:١٤٣).
(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٣/٢)، وغاية المرام (٤٠٠/١)، والعقد الثمين (٢٤٩/٢).
(٥) مَرْو: هي مرو الشاهجان، وهي مرو العظمى، أشهر مدن خراسان وقصبتها، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخا (معجم البلدان ١١٢/٥-١١٣).
(٦) خلاصة الكلام (ص:٩).
(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٣/٢)، وغاية المرام (٤٠١/١)، والعقد الثمين (٤٦٥/٧-٤٦٧).

مكة عنوة، وقتل يزيد بن محمد سنة مائتين واثنين.

وقال الفاسي[١]: ولي مكة بعد الجلودي: هارون بن المسيب[٢]، ثم حمدون بن علي بن عيسى بن ماهان[٣]، ثم وليها إبراهيم بن موسى الكاظم[٤] -السابق ذكره-.

وذكر الأزرقي[٥]: أن يزيد بن حنظلة كان والياً على مكة خليفة لحمدون.

وممن ولي مكة للمأمون: عبيد الله بن الحسن بن [عبيدالله][٦] بن العباس بن علي بن أبي طالب[٧] مع المدينة.

وممن ولي مكة أيضاً للمأمون: صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس[٨]، وسليمان بن عبدالله بن سليمان بن

---

(١) شفاء الغرام (٢/٣١٣-٣١٤).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣١٣)، وغاية المرام (١/٤٠٧)، والعقد الثمين (٧/٣٥٨).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣١٤)، وغاية المرام (١/٤٠٤)، والعقد الثمين (٤/٢٢٥).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣١٤)، وغاية المرام (١/٤٠٥)، والعقد الثمين (٣/٢٦٤-٢٦٥).

(٥) الأزرقي (١/٢٢٦).

(٦) في الأصل: عبدالله. وانظر مصادر ترجمته.

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣١٥)، وغاية المرام (١/٤٠٨)، والعقد الثمين (٥/٣٠٥).

(٨) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣١٥)، وغاية المرام (١/٤٠٩)، والعقد الثمين (٥/٢٦-٢٨).

علي بن عبدالله بن عباس[١]، وابنه محمد بن سليمان[٢]، والحسن بن سهل[٣]، إلا أنه لم يباشرها بل عقد له عليها.

وممن وليها للمأمون أيضاً: عبيد الله بن عبدالله بن الحسن بن جعفر ابن [الحسن][٤] بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٥]، واستمر إلى أن توفي المأمون سنة ثمان عشرة ومائتين.

وأما ولاتها في خلافة المعتصم بن الرشيد: فصالح بن العباس -المتقدم ذكره-، وبقي إلى خلافة المتوكل.

وولي مكة للمعتصم أيضاً: [أشْنَاس][٦] التركي[٧] من كبار قوّاده، وذلك أنه أراد الحج ففوض إليه المعتصم ولاية كل بلد يدخلها. فلما دخل مكة أقام محمد بن داود بن عيسى نائباً عنه على الحج، ودعى لأشناس على المنابر في الحرمين وكل بلاد دخلها حتى رجع إلى سُرَّ من

---

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٥/٢)، وغاية المرام (٤١٣/١)، والعقد الثمين (٦١١/٤).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام(٣١٥/٢)، وغاية المرام (٤١٤/١)، والعقد الثمين (٢١/٢-٢٢).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٦/٢)، وغاية المرام (٤١٦/١)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (١٦٨/١).

(٤) في الأصل: الحسين. وانظر مصادر ترجمته.

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٦/٢)، وغاية المرام (٤١٥/١)، والعقد الثمين (٣١٠/٥-٣١١).

(٦) في الأصل: أشاش. والتصويب من مصادر ترجمته. وكذا وردت في الموضع التالي.

(٧) أشناس التركي: استخلفه الواثق على بغداد، وألبسه تاجاً، وهو أول سلطان على بغداد (انظر ترجمته في: شفاء الغرام ٣١٦/٢، وغاية المرام ٤٢١/١، وذكره الفاسي في العقد الثمين ١٦٨/١).

رأى[١]، وتوفي المعتصم سنة مائتين وثمان وعشرين وعلى مكة محمد بن داود، وتولى الخلافة ابنه الواثق، وتوفي الواثق سنة مائتين واثنتين وثلاثين وعلى مكة محمد بن داود السابق ذكره.

وأما ولاتها في خلافة المتوكل بن المعتصم: فعلي بن عيسى[٢] بن أبي جعفر المنصور[٣]، ثم بعد وفاته عبدالله بن محمد بن داود[٤]، ثم عبدالصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام[٥].

[وممن][٦] عقد له على ولاية مكة ولم يباشر في خلافة المتوكل: ابنه محمد المنتصر[٧] فأرسل إليها بعض قواده نائباً عنه.

وممن وليها أيضاً في خلافة المتوكل: [إيتاخ][٨] – بهمزة بعدها مثناة تحتية ثم مثناة فوقية فألف فخاء- الخُوزي[٩] – بضم الخاء المعجمة

---

(١) سامراء: لغة في سر من رأى، مدينة بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة (معجم البلدان ١٧٣/٣).
(٢) في الأصل زيادة: بن جعفر. وانظر مصادر ترجمته.
(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٧/٢)، وغاية المرام (٤٢٢/١)، والعقد الثمين (٢٢١/٦)، وتاريخ الطبري (٣٦٩/٧).
(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٧/٢)، وغاية المرام (٤٢٣/١)، والعقد الثمين (٢٤٣/٥–٢٤٤)، وتاريخ الطبري (٣١٨/٥).
(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٧/٢)، وغاية المرام (٤٢٦/١)، والعقد الثمين (٤٤٢/٥–٤٤٣).
(٦) في الأصل: ومن. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:٩).
(٧) انظر ترجمته في: غاية المرام (٤٢٨/١)، والعقد الثمين (٤٤٧/١)، وشفاء الغرام (٣١٨/٢).
(٨) في الأصل إيتاج، والتصويب من شفاء الغرام والعقد الثمين، وغاية المرام.
(٩) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٨/٢)، وغاية المرام (٤٣٢/١)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (١٦٩/١).

وكسر الزاي المعجمة- مولى المعتصم، وكان من كبار قوّاد المتوكل، واستمر في ولايتها إلى أن قتل المتوكل سنة مائتين وسبع وأربعين، وولي الخلافة ابنه المنتصر، ومات بعد ستة أشهر.

وأما ولاتها في خلافة المستعين بن المعتصم: فعبد الصمد بن موسى - المتقدم ذكره-، وذلك في سنة تسع وأربعين. وولي بعده جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس المعروف بشاشات[1]، وكان ولايته سنة خمسين ومائتين، واستمر إلى سنة إحدى وخمسين.

ثم وليها بعد شاشات بالتغلب: إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[2]؛ لأنه لما تغلب على مكة هرب منه عاملها جعفر شاشات وغيره، وقتل الجند الذي بمكة وجماعة من أهل مكة، ونهب مترل شاشات وغيره، وأخذ من الناس مائتي ألف دينار، وعمد إلى الكعبة الشريفة وأخذ كسوتها، وأخذ ما في خزانتها من الأموال، وما كان حمل من المال لإصلاح العين، ونهب مكة وأحرق بعضها، ثم خرج منها في شهر ربيع الأول بعد إقامته فيها خمسين يوماً، وقصد المدينة الشريفة فتوارى عنه عاملها، فرجع إلى مكة في رجب، فحصر أهلها حتى ماتوا جوعاً وعطشاً، وبلغ الخبز ثلاثة أواق

---

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٩/٢)، وغاية المرام (٤٣٣/١)، والعقد الثمين (٤٢٧/٣).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٩/٢)، وغاية المرام (٤٣٤/١)، والعقد الثمين (٣١١/٣-٣١٣)، وابن خلدون (٩٨/٤)، والأعلام (٣٢٩/١).

بدرهم، ولقي أهل مكة منه بلاءً شديداً، ثم سار إلى جدة، فحبس عن الناس الطعام، وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب، ثم وافى الموقف والناس بعرفة فأفسد فيها، وقتل من الحجاج ألفاً ومائة إنسان، وهب الناس، فهرب الحجاج، ولم يقف بعرفة أحد لا ليلاً ولا نهاراً سوى إسماعيل وعسكره، ثم بعد انفصاله من عرفة رجع إلى جدة ثانياً، وأفنى أموالها، وفعل أموراً قبيحة ليس هذا محل ذكرها. هذا كله في خلافة المستعين. كذا في الجامع اللطيف[١].

وفي خلاصة الكلام[٢]: ثم مات إسماعيل بالجُدَري[٣] سنة مائتين واثنتين وخمسين.

وممن عقد له على مكة ولم يباشر في خلافة المستعين اثنان: ابنه العباس[٤]، ومحمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين[٥].

وأما ولاتها في خلافة المعتز بالله[٦] واسمه: محمد -وقيل: طلحة، وقيل: الزبير- بن المتوكل العباسي: فعيسى بن محمد بن إسماعيل المخزومي[٧].

---

(١) الجامع اللطيف (ص:٢٩٩-٣٠٠).

(٢) خلاصة الكلام (ص:١٠).

(٣) الجدري: مرض جلدي معد يتميز بطفح حليمي يتقيح ويعقبه قشر (المعجم الوسيط ١/١١٠).

(٤) انظر ترجمته في: غاية المرام (١/٤٣٨). وذكره الفاسي في شفاء الغرام (٢/٣٢٠)، وفي العقد الثمين (١/١٦٩).

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٢٠)، وغاية المرام (١/٤٣٧). وذكره الفاسي في العقد الثمين، الموضع السابق.

(٦) كانت خلافة المعتز بالله بن المتوكل ثلاث سنوات من (٢٥٢-٢٥٥هـ).

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٢٠)، وغاية المرام (١/٤٣٩)، والعقد الثمين (٦/٤٦٢-٤٦٤)، وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص:١٤٩).

وذكر الفاكهي[١] ما يقتضي: أنه ولي مكة مرتين.

ومن ولاها في خلافة المعتز أو خلافة المهتدي أو خلافة المعتمد أحمد ابن المتوكل -على الشك-: محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور العباسي، الملقب كعب البقر[٢]، وولايته لا يخرج عن أحد هؤلاء الثلاثة. وقتل المعتز سنة مائتين وخمس وخمسين.

وولي الخلافة المهتدي بن الواثق؛ فولي مكة في زمنه: علي بن الحسن الهاشمي[٣]، وهو أول من فرّق بين الرجال والنساء في جلوسهن في المسجد الحرام، أمر بحبال تربط بين الأساطين التي يقعدون عندها [تفصل][٤] بينهن وبين الرجال.

وأما ولاها في خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسي فجماعة: أخوه أبو أحمد الموفق، واسمه: طلحة، وقيل: محمد بن المتوكل[٥]، وذلك في سنة سبع وخمسين ومائتين؛ فإبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس العباسي، الملقب[بريه][٦]- بموحدة

---

(١) الفاكهي (٣/١٨٤).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٢١)، وغاية المرام (١/٤٤١)، والعقد الثمين (١/٣٦٤-٣٦٥).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٢٢)، وغاية المرام (١/٤٤٣)، والعقد الثمين (٦/١٥١-١٥٢).

(٤) في الأصل: ففصل. والمثبت من الجامع اللطيف (ص:١٠٣).

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٢٢)، وغاية المرام (١/٤٤٥)، والعقد الثمين (٥/٦٧)، والكامل (حوادث سنة ٢٧٨هـ)، والطبري (٨/١٥٨)، وتاريخ بغداد (٢/١٢٧)، والنجوم الزاهرة (٣/٧٩)، والأعلام (٣/٢٢٩).

(٦) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٢٣)، وغاية المرام (١/٤٤٧)، والعقد الثمين (٣/٢٤٧-٢٤٩)، وجمهرة أنساب العرب (ص:٣٤). وفيهم: الملقب بُرَيّة، وهو الصواب.

ثم زاي معجمة(١) ثم مثناة تحتية ثم هاء الوقف-، وكانت ولايته في حدود تسع وخمسين ومائتين إلى إحدى وستين ومائتين.

وذكر ابن الأثير في حوادث سنة ستين ومائتين(٢): وفيها اشتد الغلاء في عامة بلاد الإسلام، فانجلى من مكة ورحل عنها عاملها وهو [بريه]، وبلغ كر الحنطة ببغداد عشرين ومائة دينار، ودام ذلك شهوراً. انتهى.

وأبو عيسى محمد بن يحيى بن محمد بن عبدالوهاب ابن عبدالله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي(٣)، وأبو المغيرة محمد بن عيسى بن محمد المخزومي(٤)، ولد عيسى بن محمد، المتقدم ذكره في خلافة المعتز آنفاً.

قال الفاسي(٥): وأما ولاية أبي المغيرة وأبي عيسى المخزوميين فذكرها ابن حزم(٦)، لأنه قال بعد ذكر نسب أبي المغيرة وأبي عيسى: وكان المعتمد قد ولّى أبا عيسى هذا مكة، ثم عزله بأبي المغيرة المذكور، فتحاربا، فقُتل أبو عيسى، ودخل أبو المغيرة مكة ورأس أبي عيسى بين يديه. انتهى.

---

(١) الصواب أنها براء مهملة كما ورد في شفاء الغرام والكامل في التاريخ.
(٢) الكامل (٦/٢٤٨).
(٣) انظر ترجمته في: غاية المرام (١/٤٦٤)، والعقد الثمين (٢/٣٨٦-٣٨٧)، وانظر: شفاء الغرام (٢/٣٢٢).
(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٢٥)، وغاية المرام (١/٤٥٨)، والعقد الثمين (٢/٢٤٦-٢٤٨)، وجمهرة أنساب العرب (ص:٤٩).
(٥) شفاء الغرام (٢/٣٢٥).
(٦) جمهرة أنساب العرب (ص: ١٤٩).

ولم أدر متى كانت ولاية أبي عيسى.

وذكر الفاكهي[1] ما يقتضي: أن أبا عيسى محمد بن يحيى المخزومي ولي مكة نيابة عن الفضل بن العباس؛ لأنه قال: "وكان محمد بن يحيى المخزومي وليها، استخلفه عليها الفضل بن عباس"، فقال شاعر من أهل مكة:

أتعجبوا يا بني المغيرة فيها فبنو حفص منكم أمراء

انتهى.

ولا مانع من أن يكون أبو عيسى ولي مكة عن الفضل بن العباس نيابة كما ذكر الفاكهي، وعن المعتمد استقلالاً كما ذكر ابن حزم. والله أعلم. انتهى.

وهارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبدالله بن عباس[2]. قال الفاسي[3]:ذكره ابن حزم[4] وقال: ولي المدينة ومكة، وحج بالناس من سنة ثلاث وستين ومائتين إلى سنة ثمان وسبعين ولاءً، ثم هرب من مكة عند الفتنة، فنزل مصر ومات بها.

ومحمد بن [أبي][5] الساج[6]، وأخوه يوسف بن [أبي][7]

---

(١) الفاكهي (١٨٤/٣).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢٧/٢)، وغاية المرام (٤٥٣/١)، والعقد الثمين (٣٥٧/٧-٣٥٨).

(٣) شفاء الغرام (٣٢٧/٢).

(٤) جمهرة أنساب العرب (ص:٣٣).

(٥) قوله: "أبي" زيادة على الأصل. وانظر مصادر ترجمته.

(٦) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢٤/٢)، وغاية المرام (٤٥٦/١)، والعقد الثمين (٢٥/٢). وانظر: الأرج المسكي (ص:٣٥٥).

(٧) قوله: "أبي" زيادة على الأصل. وانظر مصادر ترجمته.

الساج[١]. قال الفاسي[٢]: وأما ولاية محمد بن أبي الساج فذكرها ابن جرير[٣]؛ لأنه قال في أخبار سنة ست وستين ومائتين: وفي شهر ربيع الأول[٤] مات أبو الساج [بجُنْدَيْسَابُور][٥]، وولى ابنه محمد الحرمين وطريق مكة.

وأما ولاية أخيه يوسف بن أبي الساج، فذكرها ابن الأثير[٦]؛ لأنه قال في أخبار سنة إحدى وسبعين ومائتين: وفيها عُقد لأحمد بن محمد الطائي على المدينة وطريق مكة، فوثب يوسف بن أبي الساج -وهو والي مكة- على بدر -غلام الطائي-، وكان أميراً على الحجاج، فحاربه وأسره، فثار الجند والحاج بيوسف فقاتلوه، واستنقذوا بدراً، وأسروا يوسف وحملوه إلى بغداد، وكانت الوقعة بينهم على أبواب المسجد الحرام[٧]. انتهى.

وأما ولاتها في خلافة المعتضد أبي العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق [ابن][٨] المتوكل العباسي، ثم في خلافة أولاده:

---

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢٤/٢)، وغاية المرام (٤٥٧/١)، والعقد الثمين (٤٨٧/٧).
(٢) شفاء الغرام (٣٢٤/٢).
(٣) تاريخ الطبري (٥٢٣/٥).
(٤) في شفاء الغرام وتاريخ الطبري: ربيع الآخر.
(٥) في الأصل: بجندلسابور. والتصويب من شفاء الغرام (٣٢٤/٢)، وتاريخ الطبري (٥٢٣/٥).
وجنديسابور: مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده (معجم البلدان ١٧٠/٢).
(٦) الكامل (٣٤٣/٦).
(٧) إتحاف الورى (٣٤٤/٢)، وتاريخ الطبري (٥٩١/٥)، والمنتظم (٨٠/٥).
(٨) قوله: "ابن" زيادة من شفاء الغرام (٣٢٧/٢)، والجامع اللطيف (ص:٣٠٣).

المكتفي[١] والمقتدر[٢] والقاهر[٣]، ثم في خلافة الراضي[٤]، وفي

---

(١) المكتفي بالله علي بن المعتضد. ولد عام ٢٦٤هـ، وأمه تركية اسمها جيجك. كان يضرب بحسن المكتفي المثل.
قال الصولي: وليس من الخلفاء من اسمه علي إلا المكتفي والإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
بويع المكتفي بالخلافة عام ٢٨٩هـ، ومات في عام ٢٩٥هـ، وعمره ٣١ سنة، ومدة خلافته (٦) سنين و(٦) أشهر و(١٩) يوماً. (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص:١١٥-١١٦).

(٢) جددت البيعة بالخلافة للمقتدر جعفر بن المعتضد ليلة ١٤ في ذي القعدة عام ٢٩٥هـ بعد خلعه منها ومبايعة عبدالله بن المعتز العباسي الشاعر البليغ، خوطب عبدالله بالخلافة ولقب بالمرتضى، ولم يمكث فيها إلا يوماً أو بعض يوم، ثم انتصر المقتدر وجددت له البيعة بالخلافة، وحبس عبدالله بن المعتز، ثم قتل في عام ٢٩٦هـ، وعمر المقتدر وقت تجديد بيعته داخل في ١٤ سنة.
وأمه رومية، وقيل: تركية اسمها غريب، وقيل: شغب.
ولد عام ٢٨٢هـ، وقتل عام ٣٢٠هـ في شوال في ثورة مؤنس عليه، قتله بربري من جند مؤنس، ومدة خلافته (٢٤) سنة و(١١) شهراً، و(١٤) يوماً، وعمره (٣٨) عاماً. (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص:١١٦-١١٧).

(٣) القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد، وأمه أم ولد اسمها فتنة.
بويع بالخلافة عام ٣٢٠هـ، ومات عام ٣٣٣هـ، وعمره (٥٢) سنة، ومدة خلافته سنة واحدة وستة أشهر وسبعة أيام، وسبب خلعه من الخلافة سوء سيرته وسفكه الدماء، فامتنع من الخلع فسملت عيناه حتى سالتا على خديه، وبقي أعمى حتى مات عام ٣٣٣هـ. (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص: ١٢٠).

(٤) الراضي بالله أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد العباسي. ولد عام ٢٩٧هـ، وأمه أم ولد رومية اسمها ظلوم.
بويع بالخلافة يوم خلع الجند القاهر وسملوا عينيه، أو سمله الراضي سنة ٣٢٢هـ يوم الأربعاء سابع جمادى الأولى. ومات عام ٣٢٩هـ في منتصف ربيع الأول، ومدة خلافته (٦) سنين و (١٠) أشهر و(١٠) أيام، وعمره (٣١) سنة و(١٠) أشهر. (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص: ١٢٠).

خلافة [المتَّقي][١]، ثم المستكفي[٢]، ثم المطيع[٣]؛ فجماعة كثيرة، لم يعرف منهم سوى: عج -بالعين المهملة والجيم- بن حاج[٤]، ولم يعلم مبدأ ولايته متى كانت؛ غير أن إسحاق الخزاعي ذكر أنه كان والياً على مكة في سنة إحدى وثمانين ومائتين[٥].

(١) في الأصل: المقتفي. والتصويب من شفاء الغرام (٢/٣٢٧)، والجامع اللطيف (ص:٣٠٣).
والمتقي بالله هو: أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد العباسي. بويع بالخلافة بعد موت أخيه الراضي عام ٣٢٩هـ، وهو ابن (٣٤) سنة، وأمه أمة اسمها خلوب، وقيل: زهرة. وكان كثير الصوم والتعبد. مات في شعبان سنة ٣٥٧هـ، وعمره (٦٠) سنة، ومدة خلافته (٣) سنين و(٥) أشهر و(٢٠) يوماً، وقيل: (١١) شهراً. (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص:١٢٢-١٢٣).

(٢) المستكفي بالله أبو القاسم عبدالله بن المكتفي بن المعتضد العباسي. أمه أم ولد اسمها أملح الناس، وفي تاريخ بغداد:اسمها غصن.ولم تدرك خلافة ابنها.بويع بالخلافة عند خلع المتقي سنة ٣٣٣هـ وعمره وقتئذ (٤١) سنة. وفي يوم ٢٢ جمادى الآخر عام ٣٣٤هـ حضر معز الدولة عند الخليفة المستكفي فجلس على سرير بين يديه، وجاء رجلان من الديلم فمدا أيديهما إلى الخليفة فأنزلاه من كرسيه وسحباه، ونهض معز الدولة، واضطربت دار الخلافة حتى خلص إلى الحريم، وتفاقم الحال وسيق الخليفة ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها، وأحضر أبو القاسم الفضل بن المقتدر فبويع بالخلافة، وسملت عينا المستكفي وأودع السجن، ولم يزل مسجوناً به حتى وفاته في عام ٣٣٨هـ، وله من العمر (٤٦) سنة وشهران، ومدة خلافته سنة وأربعة أشهر ويومان. (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص:١٢٣).

(٣) أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد العباسي. أمه أم ولد اسمها شغلة، وفي قول: مشغلة. ولد عام ٣٠١هـ، وبويع بالخلافة عند خلع المستكفي في جمادى الآخرة سنة ٣٣٤هـ، وقرر له معز الدولة كل يوم نفقة بمائة دينار فقط، ثم خلع منها في (١٣) أو (١٩) من القعدة عام ٣٦٤هـ، وولى ابنه الطائع، ثم مات عام ٣٦٥هـ في المحرم، وعمره (٦٣) سنة، ومدة خلافته (٢٩) سنة وأشهر. (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص:١٢٤).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام(٢/٣٢٨)، وغاية المرام (١/٤٦٥)، والعقد الثمين (٦/٥٧-٥٨)، وتاريخ الطبري (٥/٣٧٤، ٤٠٢، ٤١٨، ٤٣٩).

(٥) الجامع اللطيف (ص:٣٠٣)، وشفاء الغرام (٢/٣٢٧-٣٢٨).

[قال][1] الفاسي[2]: وذكر ابن الأثير[3] ما يدل على أنه كان والياً على مكة في سنة خمس وتسعين ومائتين؛ لأنه قال في أخبار هذه السنة: وفي هذه السنة كانت وقعة بين عج بن حاج وبين الأجناد بمنى ثاني عشر ذي الحجة فقتل منهم جماعة، لأنهم طلبوا جائزة بيعة المقتدر، وهرب الناس إلى بستان ابن عامر. انتهى.

ومؤنس المظفَّر[4]، وذلك في سنة ثلاثمائة حسبما ذكره ابن الأثير[5]، وكان أميراً على الحرمين والثغور بالعقد لا بالمباشرة.

وابن ملاحظ[6]، ترجمه الهمداني "بسلطان مكة" من غير ذكر تاريخ.

وممن وليها في هذه المدة: ابن محارب[7]، ولم يعلم أول ولايته.

ومحمد بن طُغْج المعروف بالإخشيد[8]، عقد له بها ولولديه أبي القاسم

(١) كلمة غير ظاهرة في الأصل، ولعلها كما أثبتناها.
(٢) شفاء الغرام (٢/٣٢٨).
(٣) الكامل (٦/٤٣٩). وانظر: إتحاف الورى (٢/٣٦٠)، وتاريخ الطبري (٥/٦٧٠).
(٤) مؤنس المظفّر: من أمراء المقتدر. خرج عليه عام ٣١٧ هـ، وقتله مع جماعة من البربر عام ٣٢٥ هـ. قتله القاهر عام ٣٢٥هـ (انظر ترجمته في: شفاء الغرام ٢/٣٢٨، وغاية المرام ١/٤٦٧، وتاريخ الخلفاء ص:٣٨٢، والنجوم الزاهرة ٣/٢٣٩)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (٧/٣١٤).
(٥) الكامل (٦/٤٧٧).
(٦) انظر ترجمته في: غاية المرام (١/٤٦٧)، وانظر: شفاء الغرام (٢/٣٢٨).
(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٢٩)، وغاية المرام (١/٤٦٨)، والعقد الثمين (١/٤١٦) وفيه: محمد بن إسماعيل بن مخلب.
(٨) انظر ترجمته في: شفاء الغرام(٢/٣٣٠)، وغاية المرام (١/٤٧٠)، والعقد الثمين (٢/٣٠-٣٥)، وتجارب الأمم (٦/١٠٤)، وابن الأثير (٨/١٥٠)، والوافي بالوفيات (٣/١٧١)، والمغرب في حلي المغرب (٢/١٤٨-١٩٧)، وابن الوردي (١/٢٦٧-٢٧٩)، والأعلام (٦/١٧٤)، وولاة مصر ٢٩٩، وتاريخ ابن عساكر ١(٥/٢٤٣-٢٤٤)، والمنتظم ٦/١٣٤٧، ووفيات =

وعلي، وكان مبدأ ذلك سنة ثلاثمائة وإحدى وثلاثين.

قال الفاسي[١]:ولاأعلم من باشر لهم ولاية مكة، وإنما ولوها بعقد من المكتفي، ولما مات الإخشيد تولى كفالة ولديه كافور الإخشيدي[٢] بمصر.

وممن ولي مكة: القاضي أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبدالعزيز العباسي[٣]، وذلك سنة ثلاثمائة وثمان وثلاثين، وقيل: إنه باشر ذلك لعلي ابن الإخشيد.

وفي سنة ثلاثمائة وواحد[٤] وقع في الموسم: أن محمد بن سليمان من ولد محمد داود العلوي خطب لنفسه بالإمامة في مكة، وخلع طاعة العباسيين، وكان أول خطبته: الحمد لله الذي أعاد الحق لنظامه، وأبرز زهر الإسلام من أكمامه، وكمل دعوة خير الرسل بأسباطه لا [ببني][٥] أعمامه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وكفَّ عنهـــم ببركته أمر[٦] المعتدين، وجعلها في عقبه إلى يـــوم الدين ،

=
الأعيان ٥/٥٦-٦٣، والعبر (٢/٢٣٩-٢٤٠)، ومرآة الجنان (٢/٣١٤-٣١٦)، والبداية والنهاية (١١/٢١٥)، والنجوم الزاهرة (٣/٢٣٥-٢٣٧)، وشذرات الذهب (١/٣٣٧)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٣٦٥).

(١) شفاء الغرام (٢/٣٣١).

(٢) كافور الإخشيدي: اشتراه طغج وجعله أتابك ولده، قام بتدبير دولته. استقل بمصر عام ٣٥٥هـــ، وجمع له الشام والحجاز (انظر ترجمته في: غاية المرام ١/٤٧٨، ووفيات الأعيان ٤/٩٩).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٣١)، وغاية المرام (١/٤٧٩).

(٤) إتحاف الورى (٢/٣٦٢)، والعقد الثمين (٢/٢٤)، وخلاصة الكلام (ص:١٥).

(٥) في الأصل: بني. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين، الموضعان السابقان.

(٦) في إتحاف الورى والعقد الثمين: أيدي.

ثم أنشد:

لأطلـــبن بســـيفي من كان للحق دينا
وأسْطـــون بقـــوم بغـــوا وجاروا علينا
يُهـــدون كل بـــلاء من العـــراق إلينا

وفي سنة ثلثمائة وسبع عشر كان دخول القرامطة مكة، وقد مرَّ قصة دخولهم فيها في الفصل الثالث عشر من الباب الثالث[١].

وفي سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين[٢] خرجت مصر عن حكم الدولة العباسية ودخلت في حكم دولة العُبيديين، واشتهروا أيضاً بالفاطميين، ودخلها قائدهم القائد جوهر، وهو عبد المعز العُبيدي، ثم دخلها مولاه سنة ثلاثمائة وإحدى وستين، ثم اتسع ملكهم حتى دعي لهم على منابر الحرمين، فصارت الخطبة الإسلامية على قسمين؛ فمن بغداد[٣] وحلب[٤]

---

(١) (٢/٥٠٩).
(٢) خلاصة الكلام (ص:١٦).
(٣) تقدم التعريف بها في الجزء الأول، وانظر فهارس الكتاب.
(٤) تقدم التعريف بها في الجزء الأول، وانظر فهارس الكتاب.

وسائر ممالك الشرق إلى أعمال الفرات يخطب فيها للمطيع العباسي، ومن حلب إلى بلاد المغرب مع الحرمين يخطب فيها للعبيديين.

ذكر دولة الأشراف بمكة

قال العلامة السيد أحمد دحلان رحمه الله في تاريخ الدول الإسلامية[١]: اعلم أن مكة شرفها الله تعالى كانت يتداولها عمال الخلفاء، ثم ملكها من الأشراف ثلاث طبقات قبل آل قتادة وبنيه؛ الطبقة الأولى: الموسويون[٢]، ويقال لهم: بنو موسى، والثانية: السليمانيون[٣]، والثالثة: الهواشم[٤]. فهذه الثلاث طبقات تداولت إمارة مكة قبل آل قتادة مائتين وأربعين سنة، من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة إلى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، ثم انتزعها منهم الشريف قتادة، وبقيت في بنيه إلى يومنا هذا، ثبّت الله ملكهم.

والطبقات الثلاث يجتمعون مع بني قتادة في موسى الجون، فكلهم حسنيون. انتهى.

---

(١) تاريخ الدول الإسلامية (ص: ١٣٩).

(٢) نسبة إلى موسى بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص: ١٢٩).

(٣) نسبة إلى سليمان بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (هامش المرجع السابق).

(٤) نسبة إلى هاشم بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى بن عبدالله الرضى بن موسى الجون... إلخ (هامش المرجع السابق).

الطبقة الأولى:

قال العلامة المذكور في خلاصته[١]: وأول من ملك مكة من بني موسى: جعفر بن محمد بن الحسين، وقيل: ابن الحسن بن محمد الثائر بن موسى الثاني ابن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب[٢]، تغلب جعفر بن محمد المذكور على مكة زمن الإخشيدية قبل أن يملك مصر العبيديون، وكان ذلك بعد موت كافور الإخشيدي، وكان موت كافور سنة ثلاثمائة وست وخمسين، وتغلب جعفر على مكة سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين، وقيل: ست وخمسين، وقيل: سنة ثلاثمائة وستين. وسبب ذلك: أنه وقعت فتنة بين بني حسن وبني حسين أصحاب المدينة، وكان جعفر بن محمد بالمدينة، فبادر وملك مكة، ولما ملك العبيديون مصر دعا جعفر للمعز العبيدي فكتب له المعز بولاية مكة. انتهى.

وفي تحصيل المرام[٣]: نقل السيد النسابة أحمد بن عنبة في كتابه عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب[٤]: أن الأمير جعفر أول من ملك مكة من بني موسى الجون، وكان مبدأ تمكنها من الأشراف بعد الأربعين والثلثمائة، وكان حاكم مكة أنكجور[٥] التركي من قبل

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٦). وانظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٢٨).
(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣/٤٢٩-٤٣٠)، وشفاء الغرام (٢/٣٣١-٣٣٢)، وغاية المرام (١/٤٨٠-٤٨٢).
(٣) تحصيل المرام (ورقة ١٨٢).
(٤) عمدة الطالب (ص:١٠٢-١٠٣).
(٥) في عمدة الطالب: أنكجوار.

المعز الفاطمي، فقتله أبو محمد جعفر واستوت له تلك النواحي، وبقيت في يده نيفاً وعشرين سنة. انتهى.

ثم لما توفي جعفر المذكور تولى ابنه عيسى بن جعفر[١]، وفي مدة ولايته سنة خمس وستين وثلثمائة أرسل العزيز العُبيدي صاحب مصر [أميراً][٢] علوياً لمكة ولاه نائباً عنه، فحصر مكة واشتد الغلاء، ولم يحج أحد من العرب في هذه السنة، وتوالت جيوشه وضيقوا على أهل مكة والمدينة لأجل طلب الخطبة لهم، وما زال الأمر حتى خطبوا للعزيز، وتوفي العزيز سنة ثلثمائة وست وثمانين، فولي مصر ابنه الحاكم بأمر الله، ودامت ولاية عيسى بن جعفر إلى سنة ثلثمائة وأربع وثمانين.

ثم ملكها بعده: أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر[٣]، ودامت ولايته إلى أن توفي سنة أربعمائة وثلاثين، إلا أن الحاكم العبيدي صاحب مصر كان قد ولّى مكة: أبا الطيب ابن عم أبي الفتوح لما خرج أبو الفتوح عن طاعته.

وقيل: إن أخاً لأبي الفتوح تغلب على مكة في زمن عصيان أبي الفتوح على الحاكم إلى أن رده بعد أن أطاعه[٤].

وكان عصيان أبي الفتوح للحاكم صاحب مصر سنة أربعمائة وواحـــد،

---

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٦/٤٥٨)، وشفاء الغرام (٢/٣٣٢)، وغاية المرام (١/٤٨٢-٤٨٣).

(٢) في الأصل: أمير. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٦).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤/٦٩-٧٩)، وشفاء الغرام (٢/٣٣٢-٣٣٥)، وغاية المرام (١/٤٨٣-٤٩٤).

(٤) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٣١-١٣٢)

وقيل: سنة أربعمائة واثنين.

وسبب ذلك على ما ذكره الفاسي[١]: أن الوزير أبا القاسم المغربي لما قَتَلَ الحاكمُ أباه، هرب منه إلى آل الجراح[٢] واستجار بهم، فبعث الحاكم إليهم من حاربهم، فكان الظفر لآل الجراح، فحسَّن لهم الوزير المغربي عزل الحاكم ومبايعة أبي الفتوح. وقصد أبو الفتوح بمكة، وحسّن له طلب الخلافة، فاعتذر له بقلّة المال، فحسّن له أخذ مال الكعبة، ولم يزل به حتى أخذ مال الكعبة، وأموالاً للتجار من جدة، وخطب لنفسه بمكة، وبايعه شيوخ بني حسن وغيرهم من سكان الحرمين، وتلقب بالراشد، وخرج من مكة إلى الرملة[٣] مع ابن المغربي قاصداً آل الجراح في جماعة من بني عمه، ومعه ألف عبد أسود، ومعه سيف يزعم أنه ذو الفقار -سيف علي بن أبي طالب-، وقضيب[٤] يزعم أنه قضيب النبي ﷺ.

---

(١) شفاء الغرام (٣٣٣/٢).

(٢) آل الجراح: من طيء. تولوا رئاسة جنوب الشام -فلسطين- أيام العُبيديين. وظهر منهم مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي وأبناؤه، وبالأخص حسان بن مفرج الذي لعب دوراً كبيراً زمن الحاكم العبيدي (انظر: تاج العروس ١٢٤/٥، وتاريخ ابن خلدون ٧/٦). وانظر تفاصيل هذه الحوادث في: (وفيات الأعيان ١٧٤/٢، وإتحاف الورى ٤٣٥/٢-٤٤١).

(٣) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت قصبتها، وكانت رباطاً للمسلمين (معجم البلدان ٦٩/٣).

(٤) كان لرسول الله ﷺ قضيب يسمى: الممشوق (تاريخ القضاعي ص:٢٤٦).

قال في الوقائع[١] بعد ذكر القصة وأخذه لمال الكعبة وأموال التجار: وخطب -يعني أبا الفتوح- للناس[٢] فقال في أول خطبته ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ١ – ٦]

وخرج من مكة إلى الشام، فدانت له العرب هنالك، وسلموا عليه بالخلافة، وأظهر العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فانزعج منه الحاكم صاحب مصر، وخضع لآل الجراح، واستمال منهم حسان ابن [مفرّج][٣]، فبذل له ولإخوانه أموالاً جزيلة على أن يخلوا بينه وبين أبي الفتوح.

فلما فطن لذلك أبو الفتوح استجار بمفرّج أبي حسان، فكتب مفرّج إلى الحاكم بشأنه، ففرح الحاكم ورضي عنه، وأعاده إلى مكة والياً عليها.

وفي هذه المدة التي غاب عنها أبو الفتوح، وليها أبو الطيب.

قال الفاسي[٤]: ولعله أبو الطيب داود بن عبدالرحمن بن القاسم بن أبي الفاتك عبدالله بن داود بن سليمان بن عبدالله بن موسى الجون

---

(١) الوقائع الحكمية للسيد البهنسي. وانظر الخبر في: العقد الثمين (٧٣/٤)، وإتحاف الورى (٤٣٨/٢)، وغاية المرام (٤٨٧/١).

(٢) في الأصل زيادة: فحاول خطبة. وهي زيادة لا معنى لها. (انظر: العقد الثمين، وإتحاف الورى، وغاية المرام، المواضع السابقة).

(٣) في الأصل: مفرح. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من منائح الكرم (٢١٩/٢)، وشفاء الغرام (٣٣٣/٢).

(٤) شفاء الغرام (٣٣٤/٢)، والعقد الثمين (٥٧/٨). وانظر: غاية المرام (٤٩٩/١).

ابن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

وأبو الفتوح هذا ذكره صاحب دمية القصر[١]، وأورد له من الشعر قوله:

وصلتني الهمومُ وَصْلَ هواك   وجفاني الرّقادُ مثل جفاك
وحكى لي الرسول أنك غضبى   يا كفى الله شر ما هو حاك

وكان فيه من الشجاعة والنجدة والقوة ما لا مزيد عليه. يحكى أن أخته أرسلت إليه [مرة][٢] بدراهم ليأخذ لها حنطة، فأنف من ذلك، فأخذ الدراهم وفركها بيده، حتى محا رَسْمَها وذهب نَقْشُها، وردّها إليها مع حنطة أرسلها لها. وقال لحامل الدراهم: إن هذه الدراهم زيوف[٣] لا تصلح. فبلغ أخته ذلك -وكانت مثله في القوة- فأخذت كفاً من الحنطة وفركتها، حتى صيَّرَتْه دقيقاً، ثم أرسلت به إليه وقالت: إن هذه الحنطة لا تصلح. كذا في منائح الكرم[٤].

وقال ابن فهد في حوادث سنة تسعين وثلثمائة[٥]: فيها أشار بعض

---

(١) صاحب دمية القصر علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي السنجي أبو الحسن. توفي سنة ٤٦٧هـ. والكتاب ذيل على يتيمة الدهر للثعالبي (معجم الأدباء ١٦٨٢/٤).

(٢) قوله: "مرة" زيادة من منائح الكرم (٢٢٠/٢).

(٣) زيوف: يقال: زافَتْ عليه دَراهِمُه: أَي صارت مَرْدُودةً لِغشّ فيها (لسان العرب، مادة: زيف).

(٤) منائح الكرم (٢١٧/٢-٢٢٠)، وانظر: خلاصة الكلام (ص:١٧).

(٥) إتحاف الورى (٤٢٦/٢)، وانظر: العقد الثمين (٧٧/٤)، ودرر الفرائد (ص:٢٤٨).

الزنادقة[١] على الحاكم العُبيدي صاحب مصر بنبش قبر النبي ﷺ وصاحبيه وحملهم إلى مصر، وزيّن له ذلك وقال: متى تم هذا الأمر شدّ[٢] الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر، وكانت منقبة يعود جمالها على مصر وساكنيها. فدخل ذلك عقل الحاكم، فأرسل إلى أبي الفتوح أمير مكة يأمره بذلك، فسار أبو الفتوح إلى المدينة، وأزال عنها إمرة بني مهنا[٣] من بني الحسين؛ لما بلغه عنهم من القدح في نسب العبيديين، وجلس أبو الفتوح بالمسجد وحضر إليه جماعة من أهلها؛ لأنه كان بلغهم ما قدم هو بسببه، وكان حضر معهم قارئ يعرف بالركباني، فقرأ بين يدي أبي الفتوح في المجلس ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾ [التوبة: ١٢-١٤].

قال: فماج الناس، وكادوا أن يقتلوا أبا الفتوح ومن معه من الجند، وما منعهم من السرعة إلى ذلك إلا أن البلاد كانت للحاكم. فلما رأى أبو الفتوح ما الناس عليه قال لهم: الله أحق أن يُخشى، والله لا أتعرض إلى

(١) الزندقة: القول بأزلية العالم، وأُطلق على الزردشتية والمانوية وغيرهم من الثنوية، وتُوسِّع فيه فأُطلق على كل شاكّ، أو ضالّ، أو ملحد (المعجم الوسيط ٤٠٣/١).

(٢) في إتحاف الورى: يشد.

(٣) بنو مهنا الحسينيون: من الحسينيين أمراء المدينة.

شيء من ذلك، ودَعِ الحاكم يفعل فيَّ ما أراد، ثم استولى عليه ضيق الصدر وتقسيم الفكر؛ كيف أجاب؟! فما غابت الشمس في بقية ذلك اليوم حتى أرسل الله ريحاً كادت الأرض تُزَلْزِلُ من فوقها، حتى دحرجت الإبل بأقتابها والخيل بسروجها كما تدحرج الكرة على وجه الأرض، وهلك خلق كثيرون من الناس، وانفرج همّ أبي الفتوح وذهب رَوْعُه من الحاكم لّما أرسل الله تلك الرياح التي شاع ذكرها في الآفاق؛ ليكون له حجة عند الحاكم من الامتناع من نبش القبور الكريمة، ثم عاد أبو الفتوح إلى مكة، وعاد بنو مهنا إلى المدينة. انتهى.

وقال ابن فهد أيضاً في حوادث سنة خمس وتسعين وثلثمائة[1]: فيها أرسل صاحب مصر الحاكم [أبو علي منصور][2] بن نزار إلى صاحب مكة أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسني سجلاً ينتقص فيه بعض الصحابة، وجرَّح فيه بعض أزواج النبي ﷺ، فأرسل به الأمير إلى القاضي الموسوي –وأظنه إبراهيم ابن إسماعيل، وهو يومئذ قاضي مكة وما والاها– وأمره بقراءته على الناس، فلما فشى ذلك عند الناس من المجاورين والقاطنين بمكة والمجتمعين وغيرهم من قبائل العرب المجاورة –هذيل ورواحة– زحفوا إلى المسجد غَضَباً لله تعالى ولنبيّه ﷺ ولصحابته رضوان الله عليهم، فلما بلغ ذلك القاضي أخَّر الخروج وأبطأ، فلما طال انتظار الناس له قال قائل: قد صعد المنبر، فرماه الناس بالحجارة، وزحفوا إليه، فلم يجدوا عليه أحداً، وتكسَّر المنبر فصار رضراضاً،

(١) إتحاف الورى (٢/٤٣١).
(٢) في الأصل: الحاكم الحسن بن نزار. والمثبت من إتحاف الورى، الموضع السابق، عن مآثر الإنافة (٣٢٢/١)، والنجوم الزاهرة (١٧٦/٤).

وكان يوماً عظيماً ومشهداً مهيباً، ولم يقدر بعد ذلك أحد [أن][1] يُعْلِنَ بذلك المذهب. انتهى.

وقال أيضاً في حوادث سنة ست وتسعين وثلاثمائة[2]: وفيها أُمِرَ الناس بالقيام عند ذكر الحاكم صاحب مصر في الخطبة؛ لأن ذلك عادتهم بمصر والشام، بل كانوا إذا ذكر قاموا وسجدوا في السوق ومواضع الاجتماع. انتهى.

ثم ولي مكة بعد أبي الفتوح ابنه شُكْر، الملقب بتاج المعالي، واسمه: محمد، ويكنى أبا عبدالله[3]، وكان جواداً عظيم القدر، وفد عليه بعض العرب، وكانت تحت العربي فرس مشهورة عجيبة الخلقة، فأعجبت الشريف شكراً، لكن لم يسعه طلبها من ذلك العربي؛ لكونه نزل ضيفاً عنده، فلما رجع ذلك العربي إلى أهله أرسل إليه الشريف شكر بعض قواده بمائة دينار وقال له: انزل عليه في بعض الطريق واشتر منه الفرس لك لا لي، ولا تذكرني له، فأدرك القائد العربي في بعض المنازل فنزل عليه، فلما عرفه أكرمه وفرح به، وأتاه بعد ساعة بلحم، فأكل ونام، فلما أصبح ذكر له ما جاء له من جهة الفرس وأنه يريد شراءها، فأتاه العربي بجلدها وأكرعتها وقال له: إنك لما نزلت علينا البارحة كرهنا أن لا نذبح لك، فما وجدنا غير الفرس فذبحناها،

---

(١) قوله: "أن" زيادة من إتحاف الورى (٢/٤٣١).

(٢) إتحاف الورى (٢/٤٣٢).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٥/١٤-١٦)، وشفاء الغرام (٢/٣٣٥-٣٣٦)، وغاية المرام (١/٤٩٧-٤٩٩).

وكانت ضيافتك من لحمها، فشكر له القائد ذلك وأسلمه المائة دينار، ورجع إلى الشريف شكر وأخبره بالخبر فقال له: أحسنت، ولو رجعت بالدراهم ألحقتك بالفرس. وأما الآن فأنت حرّ لوجه الله تعالى. كذا في خلاصة الكلام(١).

وذكر هذه القصة أيضاً العلامة الشيخ محمد بن علي بن فضل الطبري في إتحاف فضلاء الزمن(٢)، ثم قال:

ويضاهي ذلك أن بعض أشراف مكة أيضاً يسمى: هزاع بن باز -من ذوي عيسى- أرسل عبده يقبض معلومه من عند مُقَدَّم صاحب مكة، فأقبضه إياه وربطه في طرف ردائه ربطاً محلولاً، فانحلّ الربط وتبددت الدراهم، فصاحوا عليه الناس: دراهمك، فالتفت فرآها وتركها، ولم يعد لجمعها، فلما جاء إلى سيده سأله عنها فقال: قبضتها، وفي أثناء الطريق انتثرت، فاستحييت أن أكون غلامك وأعود للقطها، فقال: نِعم ما فعلت، ووالله لو لقطتها لفعلت فيك [وتركت](٣).

ومما استفاض خبره: أن مولانا الشريف حسن بن أبي نمي كان له مزين هندي يحلق له رأسه، رأى عنده في بعض الأيام شراب صندل(٤)، فسأله قليلاً

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٨). وانظر: منائح الكرم (٢/٢٢٢-٢٢٣)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٣٣-١٣٤ وهامشه).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (١٩٤-٩٦).

(٣) قوله: "وتركت" زيادة من إتحاف فضلاء الزمن (١/٩٥).

(٤) الصندل: شجر خشبه طيب الرائحة يظهر طيبها بالدّلك أو بالإحراق (المعجم الوسيط ١/٥٢٥).

منه فقال: ائتني بزُبْدِيَّة[1] أضع لك فيها، فجاءه الدور الثاني ومعه زبدية قهوة، فبعد أن حلق الشريف قدم له الزبدية وسأله ما كان وعده، فتهدده الشريف وقال له: ما هذه الزبدية؟ كنت أتيت بأكبر منها، ثم وهبه المَاعُون[2] الذي كان فيه الشراب جميعه، وقال: أنا أعطيك على قدر مقداري لا على قدر مقدارك.

ومما يضاهي ذلك: أن مولانا الشريف محمد بن يحيى بن زيد -والد مولانا الشريف دخيل الله المعروف بالعواجي- أرسل بعبد يقال له: أبو سويد إلى إمام اليمن بهدية، فعاد بمقابلها من الإمام، واختفى عن سيده وأذهبها جميعها، ثم دخل على بعض السادة الأشراف في أن يستسمحوا له سيده فيما ذهب، فجاء ذلك الشريف وفاوض محمد بن يحيى بن زيد في ذلك فقال له: هذا العبد أنا لا أسمع فيه دخل، لماذا دخل عليك ولم يأتني بنفسه وكان استسمحني، فهو ما رأى فيَّ أهلية بأن أسمح له بهدية الإمام، ووالله إنها ليست عندي بعظيم، ثم ما زال به ذلك الشريف حتى أنه سمح عن العبد المذكور. انتهى.

واستمرت ولاية الشريف شكر إلى أن مات في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

---

(١) الزبدية: وعاء من الخزف المحروق المطلي بالمِيناء يخثّر فيها اللبن (المعجم الوسيط ٣٨٨/١).

(٢) الماعون: اسم جامع لمنافع البيت كالقِدْر والفأس والقصعة ونحو ذلك (المعجم الوسيط ٨٧٨/٢).

وكان له شعْر حسن، منه:

قَوِّضْ خيامَكَ عن أرض تُهانَ بها ... وجانبِ الذّلّ إن الذلّ يُجْتَنَب
وارحل إذا كان في الأوطان منقصَة ... فالمنْدلُ الرَّطْبُ في أوطانه حطب

ويقال: إنه ملك مكة ثلاثاً وعشرين سنة(١).

وذكر ميرك عن ابن خلدون(٢): أن شكر المذكور حارب أهل المدينة، وجمع بين الحرمين ولم يعقب، وإنما صار أمر مكة بعده إلى عبدٍ له. كذا قال ابن حزم(٣).

وقال صاحب المرآة عن محمد الصولي: أنه أخر بنتاً، وتزوج بها محمد بن جعفر أول أمراء الهواشم -الآتي ذكره-. ذكره في منائح الكرم(٤).

الطبقة الثانية من ولاة مكة: يقال لهم: بنو أبي الطيب، وهم السليمانيون.

فأول من ولي مكة منهم: أبو الطيب داود بن عبدالرحمن بن القاسم بن أبي الفاتك عبدالله بن داود بن سليمان بن عبدالله الثاني بن موسى الجون(٥)، وكانت ولايته في بعض السنين التي كان فيها أبو الفتوح الموسوي منازعاً

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٨).

(٢) العبر (٣/٢٤٦).

(٣) جمهرة أنساب العرب (ص: ٤٧). وانظر: شفاء الغرام (٢/٣٣٥)، وغاية المرام (١/٤٩٩-٥٠٠).

(٤) منائح الكرم (٢/٢٢٤-٢٢٥).

(٥) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٨/٥٧-٥٩)، وغاية المرام (١/٤٩٤-٤٩٦).

للخلفاء العبيديين -كما تقدم-، ثم استرجعها منه أبو الفتوح، وبعد وفاة ولده شكر ولي الأمر بعده عبدٌ له؛ لأن الشريف شكر لم يخلف إلا بنتاً له، فغضب لذلك بنو الطيب المتقدم ذكرهم، فانتزعوا المُلْك منه، فملكها من بني أبي الطيب محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن أبي الفاتك(١).

---

(١) وفي كتاب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب تأليف السيد أحمد بن علي بن الحسين بن علي الداودي الحسني١: أعقب أبو الفاتك ثمانية رجال: إسحاق، ومحمد، وصالح، وجعفر، والقاسم النسابة، وأحمد، وداود، وعبدالرحمن.
قال الشيخ تاج الدين: أعقابهم بالمخلاف من اليمن، وأهل هذا البيت لهم أعمار طويلة، عاش أبو الفاتك مائة وخمساً وعشرين سنة، وولده عبدالرحمن مائة وعشرين سنة، وولده أحمد بن أبي الفاتك ويكنى أبا جعفر عاش مائة وسبعاً وعشرين سنة.
فأما عبدالرحمن بن أبي الفاتك فله واحد وعشرون ولداً، أعقب منهم أحد عشر ولداً، منهم أبو الطيب داود، ويقال لهم آل أبي الطيب، وهم عدد كثير يسكنون المخلاف من اليمن، وقد تقسموا عدة أفخاذ وبطون، منهم بنو وهاس، وبنو علي، وبنو شماخ، وبنو مكثر، وبنو حسان، وبنو هصام، وبنو قاسم، وبنو يحيى، وهؤلاء كلهم أولاد أبي الطيب لصلبه إلا مكثر وشماخ فإنهما أولاد أولاده.
وأعقب وهاس بن أبي الطيب من ستة رجال؛ محمد، وحازم، ومختار، ومكثر، وصالح، وحمزة. ولحمزة بن وهاس هذا صارت مكة شرفها الله تعالى بعد وفاة الأمير تاج المعالي شكر بن أبي الفتوح، وأعقب حمزة أربعة رجال: عمارة، ومحمد، ويحيى، وعيسى أمير المخلاف قتله أخوه أبو غانم يحيى، وتأمر بالمخلاف بعده، وهرب ابنه عُلَي بن عيسى -وهو بضم العين على صيغة التصغير- وأقام بمكة، وكان عالماً فاضلاً شاعراً جواداً ممدوحا، وكان في أيام مقامه بمكة وردها الزمخشري، وصنّف له كتاب "الكشاف" ومدحه بقصائد موجودة في ديوانه. انتهى.
وقال الفاسي في شفاء الغرام٢ نقلاً من الجمهرة لابن حزم٣: أن لعبدالرحمن بن أبي الفاتك اثنين وعشرين ذكرا، فذكرهم، وذكر أبا الطيب فيهم ثم قال: سكنوا كلهم أذَنَة٤، حاشا نعمة، وعبدالحكيم٥، وعبدالحميد، فإنهم سكنوا أمَج، بقرب مكة. انتهى. (غازي).

١- عمدة الطالب (ص:٩٣-٩٥).
٢- شفاء الغرام (٢/٣٣٤).
٣- جمهرة أنساب العرب (ص:٤٧). وانظر: غاية المرام (١/٤٩٥).
٤- أذنة: جبال شمالي شرقي الحجاز (هامش شفاء الغرام ٢/٣٣٤).
٥- في جمهرة أنساب العرب: عبدالحكم.

قال السنجاري[١]: وفي سنة أربعمائة وخمس وخمسين قدم إلى الحج صاحب اليمن علي بن محمد الصليحي[٢] فدخل مكة وانتزعها من بني أبي الطيب، واستعمل العدل والإحسان لأهل مكة، فرخصت الأسعار واستراحت الناس جداً، وكثر له الدعاء، وكسى الكعبة أثواباً بيضاً، وردّ ما أخذه بنو أبي الطيب من حليتها لما ملكوا مكة.

فإنه لما انقضت دولة الموسويين في سنة أربعمائة وثلاث وخمسين ولي بعدهم عبدٌ لهم، فغضب عليه بنو أبي الطيب الحسنيون، وعرّوا البيت، وأخذوا الميزاب[٣]، وحملوا ذلك إلى اليمن، فابتاعه الصليحي، وردّه لما وصل في السنة المذكورة إلى البيت، واستمر بها إلى يوم عاشوراء، وقيل: إلى ربيع الأول سنة أربعمائة وست وخمسين وعاد إلى اليمن.

---

(١) منائح الكرم (٢/٢٢٧-٢٣١). وانظر: خلاصة الكلام (ص:١٨)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٣٤-١٣٥).

(٢) علي بن محمد الصليحي: فقيه عالم بالتأويل. ملك اليمن كله، وأسس الدولة الصليحية باليمن والحجاز من عام ٤٢٩ هـ حتى عام ٤٩٢. قتل عام ٤٧٣ هـ (انظر ترجمته في: شفاء الغرام ٢/٣٣٥، وغاية المرام ١/٥٠٠، والعقد الثمين ٦/٢٣٨، ووفيات الأعيان ٢/٥١-٥٣، ٣/٤١١-٤١٥، وتاريخ ثغر عدن ص:١٥٩، ومعجم الأسرات الحاكمة ١/٢٠٠).

(٣) ميزاب الكعبة: هو اسم المزراب الذي يقع بين الركن العراقي والشامي الذي يلي حجر إسماعيل ويلتصق بسقف الكعبة (مرآة مكة لأيوب صبري باشا ص:١١).

قال في الوقائع[١]: كانت له زوجة حرّة[٢]، مُدَبِّرَة مُسْتَوْلِيَة عليه وعلى أهل اليمن، واسمها الكاملة، فيخطب لها بعده على المنبر فكان يقال: اللهم أدِمْ أيام الحُرَّة الكاملة السيدة كافلة المؤمنين. وكانت لها صدقات كثيرة وكرم فائض.

قال: وسبب عوده إلى اليمن؛ قيام الأشراف الحسنيين عليه، فإنهم قالوا له: أُخرج إلى بلدك، واجعل لك بمكة نائباً من شئت، فجعل على مكة محمد ابن جعفر بن عبدالله بن أبي هاشم بن حسين، واستنجد[٣] له عسكراً، وأعطاه مالاً وسلاحاً وخمسين فارساً.

وكان الداعي له على الخروج من مكة: أن بني أبي الطيب كانوا قد اتسعوا من مكة لما قصدها الصليحي، فجمعوا جموعاً، وأرسلوا له يطلبون الخروج من مكة، وأن يولي عليهم واحداً منهم[٤].

وكان قد وقع في جماعته الوباء، ومات منهم نحو سبعمائة، فخرج منها على الصورة المذكورة.

---

(١) الوقائع الحكمية للسيد البهنسي. وانظر الخبر في: إتحاف الورى (٤٦٨/٢)، وغاية المرام (٥٠١/١)، ودرر الفرائد (ص:٢٥٥).

(٢) الحُرَّة الصليحية: أسماء بنت شهاب الصليحية زوجة علي بن محمد الصليحي. من شهيرات النساء. خطب لها مع زوجها على منابر اليمن. وهي حماة أروى بنت أحمد الملكة المعروفة بالحرة الصليحية. توفيت سنة ٤٧٩هـ (انظر: بغية المستفيد ص:٤٨-٤٩، والأعلام للزركلي ٣٠٥/١-٣٠٦).

(٣) في منائح الكرم: واستخدم.

(٤) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٣٥-١٣٧).

وقال في الوقائع[1]: وفي سنة أربعمائة وسبع وخمسين حجّ أبو الغنائم نقيب الأشراف ببغداد، فأمر أمير مكة محمد بن جعفر بالدعاء في الخطبة للعباسيين، فدعا للعباسي ولم يَدْعُ لصاحب مصر، فقطع صاحب مصر الميرة عن أهل مكة لقطع محمد بن جعفر صاحب مكة الدعاء لصاحب مصر، فأخذ محمد بن جعفر قناديل الكعبة وصفائح الذهب التي كانت على الباب، واستمر على الخطبة لبني العباس، وترك الأذان بـــ "حيّ على خير العمل"، وقد كانوا أيام العبيديين ألزموهم بذلك. فلما بلغ العباسيون ذلك بعثوا له بثلاثين ألف دينار.

وقصده بنو سليمان الحسنيون، وهم أولاد سليمان بن عبدالله بن موسى، ويقال: سليمان الحرابي لشجاعته، ويقال لبنيه: الحرابيون، ومعهم حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود بن عبدالرحمن بن أبي الفاتك عبدالله بن أبي داود ابن سليمان، فلاقاهم محمد بن جعفر المذكور وحاربهم فغلبوه، ففر إلى ينبع، فولي مكة حمزة بن وهاس[2].

وفي تحصيل المرام[3]: لم يكن لمحمد بن جعفر مع بني سليمان طاقة، فحاربهم ساعة، وخرج من مكة فتبعوه، فرجع وضرب واحداً منهم ضربة

(١) الوقائع الحكمية للسيد البهنسي. وانظر: إتحاف الورى (٢/٤٧٠)، وخلاصة الكلام (ص:١٩).

(٢) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٣٧ وهامشها).

(٣) تحصيل المرام (ورقة ١٨٤). وانظر: إتحاف الورى (٤٦٩)، والعقد الثمين (١/٤٤٠)، وهامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٣٨).

فقطع درعه وجسده وفرسه، ووصل سيفه إلى الأرض، فذُهشوا من ضربته ورجعوا عنه، ومضى إلى الينبع. انتهى.

وقال الفاسي[١]: وكان تحته فرسٌ تسمى: دنانير لا تكلّ ولا تملّ، وليس لها في الدنيا شبيه، فمضى إلى وادي الينبع[٢] وقطع الطريق عن مكة والقافلة، ونهب بنو سليمان مكة، ومنع الصليحي الحج من اليمن، فغلت الأسعار وزاد البليّة. انتهى.

الطبقة الثالثة من ولاة مكة المشرفة: يقال لهم: الهواشم

أولهم: أبو هاشم محمد بن جعفر [بن محمد][٣] بن عبد الله بن أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الأول بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٤]، ولاّه الصليحي صاحب اليمن سنة خمس وخمسين وأربعمائة -كما تقدم-، وانتزعها منه حمزة بن وهاس السليماني، فجمع محمد بن جعفر جموعاً وقصده، وكانت بينهم حروب، حتى أخذ محمد بن جعفر مكة من حمزة بن وهاس.

---

(١) شفاء الغرام (٣٣٦/٢). وانظر: إتحاف الورى (٤٧٠)، والعقد الثمين (٤٤٠/١).

(٢) وادٍ فحل كثير القرى والعيون والسكان، يقع غرب المدينة المنورة، أعلاه وادي بواط الغوري، وينحدر غرباً حتى يدفع في البحر قرب مدينة ينبع البحر، وأخذ ينبع هذا يميز باسم ينبع النخل للتفريق عن المدينة، فإذا ذكر فالمراد به الوادي لا المدينة، لأن المدينة حدثت متأخرة (معجم معالم الحجاز ٣٦/١٠).

(٣) زيادة من مصادر الترجمة.

(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤٣٩/١-٤٤٤)، وشفاء الغرام (٣٣٦/٢-٣٣٧)، وغاية المرام (٥٠٩/١-٥١٦).

قال الفاسي[١]: ودامت ولايته عليها فيما أحسب إلى أن مات في سنة بضع[٢] وثمانين وأربعمائة، إلا أنه خرج هارباً من التُركمان الذين استولوا عليها في سنة أربع وثمانين وأربعمائة، كما ذكره ابن الأثير وغيره[٣].

ورأيت في تاريخ ابن الأثير: أن هؤلاء التُركمان طلبوا من ابن أبي هاشم أموال الكعبة التي أخذها، وأنهم نهبوا مكة، وكانت فتنة عظيمة.

وهو أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة بعد قطعها من الحجاز نحو مائة سنة، ونال بسبب ذلك مالاً عظيماً من السلطان ألب أرسلان السلجوقي[٤]، فإنه خطب له بمكة بعد القائم بأمر الله الخليفة العباسي حيناً، وبعد ذلك يخطب حيناً [للمقتدي][٥] عبدالله بن محمد الذخيرة بن القائم عبدالله العباسي، وحيناً للمستنصر العبيدي صاحب مصر، ويقدم في ذلك من صلتُه أعظم. انتهى ما ذكره الفاسي[٦].

---

(١) شفاء الغرام (٢/٣٣٧).

(٢) في شفاء الغرام: سبع.

(٣) الكامل لابن الأثير (١٠/٢٠٠). وانظر: إتحاف الورى (٢/٤٨٥).

(٤) ألب أرسلان السلجوقي: أشهر سلاطين السلاجقة، وبطل معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣ هـ، والتي قررت مصير آسيا الصغرى فأصبحت من دار الإسلام. كما أعاد السلاجقة هيبة المذهب السني بعد سيطرة الرفض في ديار الإسلام، وخاصة في العصر البويهي وسيطرة الديالمة على الخلفاء (٣٣٢-٤٤٨ هـ) وتوفي السلطان ألب أرسلان قتلاً سنة ٤٦٥ هـ (انظر: وفيات الأعيان ٥/٦٩-٧١، والوافي بالوفيات ٢/٣٠٨-٣٠٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/٤١٤-٤١٨، والبداية والنهاية ١٢/١٠٦-١٠٧).

(٥) في الأصل: للمقتدر. والتصويب من شفاء الغرام (٢/٣٣٧).

(٦) شفاء الغرام (٢/٣٣٧). وانظر: منائح الكرم (٢/٢٣٦-٢٣٧).

وقال ابن فهد في حوادث سنة ست وستين وأربعمائة[١]: فيها أرسل صاحب مصر المستنصر العبيدي رسولين إلى أمير مكة محمد بن جعفر المعروف بابن أبي هاشم، فقبّحا عليه خطبته للخليفة العباسي والسلطان ألبْ أرسلان، وبذلا له مالاً على قطع الخطبة، فلم يلتفت إليهما وأقصاهما؛ لأنه كان وصل له ولأصحابه صحبة السَّلاَّر من المال ما ملأ عينه وقلبه، وأخذ السلار من الحجاج الذين اتبعوه دنانير فدفعها إليه وإلى العبيد. انتهى.

وقال أيضاً في حوادث سنة سبع وستين وأربعمائة[٢]: فيها لم يصل من جهة الخليفة العباسي ما كان يصل لأمير مكة، فقطع أمير مكة محمد بن أبي هاشم خطبة [المقتدي][٣] العباسي، وصادف مع ذلك: أن المستنصر بالله العلوي صاحب مصر قوي أمره فتراجع الناس إلى مصر، ورخصت الأسعار، واتفقت وفاة السلطان ووفاة الخليفة. وأرسل صاحب مصر إلى صاحب مكة رسالة وهدية جليلة وتحفاً، وطلب منه أن يعيد له الخطبة بمكة وقال له: إن أيمانَك وعهودك كانت للقائم وللسلطان ألب أرسلان، وقد ماتا. واجتمع إلى أمير مكة أصحابه وخوَّفوه وقالوا: إنما سلمنا هذا الأمر إلى بني العباس لما عدمنا المعونة من مصر، ولما رجعت إلينا المعونة فإنا لا نبتغي لابن

---

(١) إتحاف الورى (٢/٤٧٥). وانظر: العقد الثمين (١/٤٤١-٤٤٢).

(٢) إتحاف الورى (٢/٤٧٧). وانظر: المنتظم (٨/٢٩٤، والكامل (٨/٤٠٨)، والعقد الثمين (٢/١٣٥)، ودرر الفرائد (ص:٢٥٦)، ومرآة الجنان (٣/٩٤).

(٣) في الأصل: المقتدر. والتصويب من إتحاف الورى (٢/٤٧٧).

عمنا [بدلاً][١]. فأجابهم الأمير على كُرهٍ منه، وخطب للمستنصر بمكة، وقطع خطبة [المقتدي][٢] بأمر الله، وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة أشهر. انتهى.

وقال في حوادث سنة ثمان وستين وأربعمائة[٣]: فيها في ذي الحجة قطع أمير مكة محمد بن أبي هاشم خطبة المستنصر وخطب [للمقتدي][٤] بن محمد الذخيرة بن القائم الخليفة العباسي. وكان السبب: أن سلار الحاج قرر مع ابن أبي هاشم أن يزوجه أخت السلطان جلال الدولة ملك شاه، فتعلّق طمعه بذلك، فبعث رجلين إلى مصر ينظران، فإن كان أمر صاحب مصر يُرْجَى دام على خطبته، فرجعا إليه فقالا: ما بقي ثَمَّ شيء يُرجى، وقد فسدت الأحوال، ونفد المال، ونفذ صاحب مصر ألف دينار. ورد كتاب سلار الحاج يخبره بأنه قد قرر أمر الوصلة، وأنه قد أعطى للسنين الماضية والآتية عشرين ألف دينار، عزل منها عشرة آلاف للمهر، فرأى ابن أبي هاشم أن دنانير المهر قد أخذت والوصلة قد تمت، فسرّ بذلك وخطب، وصار يخطب تارة لبني العباس وتارة لبني عُبيد. انتهى.

---

(١) قوله: "بدلاً" زيادة من إتحاف الورى (٢/٤٧٧).

(٢) في الأصل: المقتدر. والتصويب من إتحاف الورى (٢/٤٧٧).

(٣) إتحاف الورى (٢/٤٧٨). وانظر: المنتظم ٨/٢٩٨، والعقد الثمين (٢/١٣٥).

(٤) في الأصل: للمقتدر. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

وقال أيضاً في حوادث سنة أربع وثمانين وأربعمائة[١]: هرب أمير مكة ابن أبي هاشم إلى بغداد لما استولى على مكة التركمان الذين أرسلهم السلطان ملك شاه بن ألبْ أرسلان السلجوقي للاستيلاء على الحجاز واليمن، وإقامة الدعوة له هناك.

وفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة مات أمير مكة أبو هاشم محمد بن جعفر ابن محمد بن عبدالله بن أبي هاشم الحسني[٢]. انتهى ما ذكره ابن فهد في إتحاف الورى.

قال ابن ظهيرة[٣]: ذكر ابن خلدون: أن إمرته على مكة كانت ثلاثين سنة، وأنه ملك المدينة، والله أعلم.

وولي مكة بعده: ابنه قاسم بن محمد بن جعفر[٤]، ولم يزل بها حتى هجم [الإصبهْبَذ][٥] بن سارتكين، فهرب القاسم وأقام الإصبهبذ بمكة إلى شوال سنة أربعمائة وسبع وثمانين، فجمع القاسم جموعاً وكبس الإصبهبذ سنة أربعمائة وثمان وثمانين.

---

(١) إتحاف الورى (٢/٤٨٥). وانظر: العقد الثمين (٢/١٣٥).

(٢) إتحاف الورى (٢/٤٨٧).

(٣) الجامع اللطيف (ص:٣٠٧-٣٠٨). وانظر: خلاصة الكلام (ص:١٩)، وشفاء الغرام (٢/٣٣٧).

(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٢٨-٣١)، وشفاء الغرام (٢/٣٣٧)، وغاية المرام (١/٥١٦-٥١٩).

(٥) في الأصل:الإصهيد. وكذا وردت في المواضع التالية، وانظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٣٧)، وغاية المرام (١/٥١٩)، والعقد الثمين (٣/٣١٩)، والكامل لابن الأثير (١٠/٢٣٩). وإصبهبذ: كلمة فارسية معناها "قائد العسكر"، وتأتي أيضاً اسم وعلم لملوك طبرستان (هامش العقد الثمين ٧/٢٨).

قال ابن ظهيرة: فجمع قاسم عسكراً وكبس إصبهبذ بعسفان، فانهزم إصبهبذ إلى الشام ودخل قاسم مكة[١]. انتهى.

وقال السنجاري[٢]: وفي سنة خمسمائة وخمس عشرة ظهر بمكة إنسان علوي من فقهاء النظامية[٣] ببغداد، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فكثر أتباعه، فنازع أمير مكة قاسم وعزم على أن يخطب لنفسه، فقوي عليه صاحب مكة وظفر به، وخرج إلى البحرين، وكفى الله شره. انتهى.

وكان القاسم بن محمد هذا أديباً شاعراً لطيفاً، ومن شعره[٤]:

قومي إذا خاضوا العجاجَ حسبتهم	ليلاً وخلْتَ وجوهَهم أقمارا
لا يبخلون بزادهم عن جارهم	عَدَلَ الزّمان عليهمُ أو جارا
وإذا الطّراد دعاهم لملمَّة	بذلوا النُّفوس وفارقوا الأعمارا
وإذا زناد الحرب أذكتْ نارها	قدَحوا بأطراف الأسنّة نارا

واستمر القاسم والياً على مكة إلى أن توفي في صفر سنة خمسمائة وثمان عشرة، وقيل: سبع عشرة[٥].

---

(١) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٣٨).

(٢) منائح الكرم (٢/٢٤٢-٢٤٤).

(٣) النظامية: المدرسة التي أنشأها وزير ألب أرسلان، وملك شاه السلجوقيين، وهو الحسن بن علي ابن إسحاق بن العباس الملقب بنظام الملك، وكانت مفخرة الإسلام في الذب عن الإسلام ومذهب أهل السنة في مواجهة الرافضة (انظر عنها: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ١/١٦٦، وتاريخ دولة آل سلجوق للبنداري ص: ٣٢-٥٤).

(٤) انظر الأبيات في: منائح الكرم (٢/٢٤٤)، وخلاصة الكلام (ص:٢٠)، وهامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٣٩).

(٥) انظر: هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٣٨-١٣٩).

ثم ولي مكة بعده: ابنه فليتة، وقيل: أبو فليتة[١]، وكان أديباً فاضلاً شاعراً.

وفي تحصيل المرام[٢]: كان فليتة أعدل من أبيه وأحسن، أسقط المكوس[٣] وأحسن إلى الناس. ذكره ابن الأثير[٤].

واستمر إلى أن توفي سنة خمسمائة وسبع وعشرين، فولى مكة ابنه هاشم ابن فليتة[٥].

ذكر السنجاري في تاريخه[٦]: قال الشهاب ابن عنبة في العمدة[٧]: أن هاشم ابن فليتة أخذ مكة بالسيف من إخوته وعمومته، وكان أخواه يحيى وعبدالله قد نازعاه الملك [فغلبهما عليه][٨]. انتهى.

ودامت ولايته إلى أن توفي سنة خمسمائة وإحدى وخمسين. انتهى.

---

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢٠/٧)، وشفاء الغرام (٣٣٨/٢)، وغاية المرام (٥٢٠/١-٥٢١).

(٢) تحصيل المرام (ورقة ١٨٤).

(٣) المكس: الضريبة التي تفرض على التجار (المعجم الوسيط ٨٨١/٢)، وقد تفرض على غيرهم من الطوائف (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص: ٣٢٥).

(٤) الكامل (٢٢٥/٩). وانظر: إتحاف الورى (٤٩٨/٢).

(٥) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٦١/٧-٣٦٢)، وشفاء الغرام (٣٣٨/٢-٣٣٩)، وغاية المرام (٥٢١/١-٥٢٢). وانظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٣٩-١٤٠).

(٦) منائح الكرم (٢٤٨/٢-٢٤٩).

(٧) عمدة الطالب (ص:١٠٦).

(٨) في الأصل: فغلب عليهما. والتصويب من منائح الكرم (٢٤٩/٢)، وعمدة الطالب، الموضع السابق.

وقال ابن فهد في حوادث سنة تسع وأربعين وخمسمائة[١]: وفيها في الموسم -على ما ذكره ابن خلكان[٢]، وقيل: في عصر يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم سنة إحدى وخمسين وخمسمائة على ما وُجد بخط ابن البرهان الطبري-: مات أمير الحرمين هاشم بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسني، وولي بعده ولده قاسم[٣].

وفي سنة ست وخمسين وخمسمائة[٤] لما سمع قاسم بن هاشم بن فليتة العلوي بقرب الحاج من مكة صادر المجاورين وأعيان أهل مكة، وأخذ كثيراً من أموالهم، وهرب من مكة خوفاً من أمير الحاج أرغش[٥]، فلما وصل أمير الحاج المذكور إلى مكة رتب مكان قاسم بن هاشم بن فليتة عمه عيسى ابن فليتة[٦].

وفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة[٧] جمع قاسم بن هاشم بن فليتة جمعاً

---

(١) إتحاف الورى (٢/٥١٥). وانظر: العقد الثمين (٧/٣٦١)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٤٠).
(٢) وفيات الأعيان (٣/٤٣٢).
(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٣٢-٣٦)، وشفاء الغرام (٢/٣٣٨-٣٣٩)، وغاية المرام (١/٥٢٣-٥٢٧).
(٤) إتحاف الورى (٢/٥٢٣). وانظر: درر الفرائد (ص:٢٦١)، والعقد الثمين (٧/٣٥)، والكامل (٩/٤٥٢)، ومنائح الكرم (٢/٢٥٠)، وغاية المرام (١/٥٢٥-٥٢٦)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٤١-١٤٢).
(٥) في إتحاف الورى ودرر الفرائد: برغش، وفي العقد الثمين وغاية المرام: أرغن.
(٦) عيسى بن فليتة: كان كريم النفس، كثير الحلم. نازعه أخوه ملك الإمارة. كثر في عهده الغلاء والفتن والسيول (انظر ترجمته في: شفاء الغرام ٢/٣٣٩، وغاية المرام ١/٥٢٧، والعقد الثمين ٦/٤٦٥-٤٧٠، والكامل لابن الأثير ١١/٢٧٩).
(٧) إتحاف الورى (٢/٥٢٤). وانظر: الكامل (٩/٤٥٣)، والعقد الثمين (٧/٣٥)، ومنائح الكرم (٢/٢٥٠).

كثيراً من العرب، وأطمعهم في مال بمكة، فاتبعوه، فسار بهم إليها، فلما علم عمه عيسى فارقها في رمضان، ودخلها قاسم وأقام بها أميراً أياماً، ولم يكن له مال يوصله إلى العرب، ثم إنه قتل قائداً كان معه حسنَ السيرة، فتغيّرت نيَّات أصحابه عليه، وكاتبوا عمه عيسى، فقدم عليه، فهرب قاسم وصعد جبل أبي قبيس[1] وسقط عن فرسه، فأخذه أصحاب عيسى وقتلوه - وقيل: إنما قتلوه بقلعته التي على جبل أبي قبيس-، فسمع عيسى فَعَظُمَ عليه قتله، وأخذه وغسَّله ودفنه بالمعلاة[2] عند أبيه فليتة، واستقر الأمر لعيسى.

وفي هذه السنة[3] كان أمير الحاج أرغش، وكانت فتنة بمكة بين أهلها والحجاج العراقيين؛ سببها: أن جماعة من عبيد مكة عاثوا في الحاج بمنى، فنفر عليهم بعض أصحاب أمير الحاج أرغش فقتلوا منهم جماعة، ورجع من سلم إلى مكة، وجمعوا جمعاً وأغاروا على جمال الحاج، وأخذوا منها قريباً من ألف جمل، فنادى أمير الحاج في جنده فركبوا [بسلاحهم][4]، ووقع القتال بينهم، فقتل جماعة، ونهب جماعة من الحجاج أهل العراق وأهل مكة، وجمع الأمير

---

(١) أبو قبيس: الجبل المشرف على الكعبة المشرفة، سبق التعريف به (ص: ١٦).

(٢) المعلاة: هي القسم العلوي من مكة المكرمة، وغالباً ما يطلق على مقبرة مكة التي صارت تعرف بالمعلاة؛ لوقوعها في هذا الحي (معجم معالم الحجاز ٨/٢٠١).

(٣) إتحاف الورى (٢/٥٢٥). وانظر: درر الفرائد (ص:٢٦٢)، والكامل (٩/٤٥٨)، والعقد الثمين (٦/٤٦٨)، وشفاء الغرام (٢/٣٩٠).

(٤) في الأصل: سلاحهم. والتصويب من المراجع السابقة.

الحاج ورجع ولم يدخل بهم إلى مكة خوفاً عليهم، فلم يقدروا –من الحج– إلا على الوقوف بعرفة، ودخل الخادم ومعه الكسوة، فعلق أستار الكعبة، ولم يقم الحاج بالزاهر(١) غير يوم واحد، وعاد كثير من الحاج رَجَّالة؛ لقلّة الجمال، فلقوا شدّة، ورجع بعضهم قبل إتمام حجّه، وهم الذين لم يدخلوا مكة يوم النحر للطواف والسعي، ثم إن أمير مكة بعث إلى أمير الحاج يستعطفه ليرجع، فلم يفعل.

وفي سنة خمس وستين وخمسمائة(٢) حصل بين عيسى بن فليتة وأخيه مالك بن فليتة اختلاف في إمرة مكة، ولم يحج عيسى في هذه السنة وتخلّف بمكة، وحج مالك ووقف بعرفة، وبات الحاج بعرفة إلى الصبح متخوفين خوفاً شديداً.

وفي يوم عاشورا سنة ست وستين وخمسمائة(٣) دخل الأمير مالك بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسني(٤) وعسكره إلى مكة، واستولى عليها مالك نحو نصف يـــوم، وجرى بين عسكره وعسكر أخيه عيسى فتنة

(١) الزاهر: سبق التعريف به (ص: ٤٣).
(٢) إتحاف الورى (٢/٥٣١). وانظر: العقد الثمين (٦/٤٦٦)، وشفاء الغرام (٢/٣٩١).
(٣) إتحاف الورى (٢/٥٣٢). وانظر: العقد الثمين (٦/٤٦٧)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٤٢).
(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/١١٥-١١٦)، وشفاء الغرام (٢/٣٣٩)، وغاية المرام (١/٥٣٣-٥٣٤).

إلى الزوال، ثم خرج الأمير مالك من مكة، واصطلحوا بعد ذلك، وسافر مالك إلى الشام، وجاء من الشام في آخر ذي القعدة وأقام ببطن مرّ[1] أياماً، ثم جاء إلى مكة هو وعسكره، ونزل مالك في المَرْبَعْ[2] هو والشرفاء وحصروا مكة أياماً، ثم جاء هو والشرفاء من المعلاة، وجاء هذيل والعسكر من جبل أبي الحارث -وهو أحد أخشبي مكة المقابل لأبي قبيس- إلى صوب قُعيقعان[3] والشبيكة[4] بأسفل مكة، فخرج عليهم عسكر الأمير عيسى فقاتلوهم، فقتل من عسكر مالك جماعة، ثم ارتفع إلى خَيف بني شديد[5] ومعه عساكره، وأقام هناك أياماً، ثم ارتحل إلى نخلة، ولبث فيها أياماً، ثم ارتحل إلى الطائف، وتوصَّل

---

(١) مر الظهران: سبق التعريف به (ص: ٤٣).

(٢) المربع: جبل قرب مكة (معجم البلدان ٥/٩٩)، وهو ريع بين ضيم وملكان، يجاور جبلاً يسمى الأشيب، وأهله دعد من هذيل (معالم مكة التاريخية ص:٢٥٧).

(٣) سبق التعريف به في: ج١ ص١٦٩.

(٤) سبق التعريف بها في: ج١ ص١٣٩.

(٥) خيف بني شديد: الخيف: هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ويقع هذا الخيف بمر الظهران، يسكنه الأشراف ذوو راجح من بني حسن، ولهم فيه قوة ومنعة، ويجيرون من يدخل إليهم ويحتمي بهم، ولعله ينسب للشريف الحسين بن ثابت الشديدي (انظر:معجم معالم الحجاز ٣/١٨٢، وحسن القرى بأودية أم القرى ص:٨٧).

مع[١] بعض العرب، وغدا إلى الشام.

وفي السنة المذكورة[٢] ملك خُدَّام الأمير مالك والأشراف بنو داود جدة، وأخذوا جَلْبَة[٣] وصلت إليها فيها صدقة من قبل شمس الدولة، وجميع ما مع التجار الذين وصلوا في الجلبة المذكورة.

وفي منائح الكرم[٤]: ودخل مالك جدة ونهب التجار بها، وأخذ ما في الجلاب. انتهى.

وفي سنة سبع وستين وخمسمائة[٥] مات مالك بن فليتة بتيماء[٦] من بلاد الشام، وهو متوجه إليها من المدينة.

ودامت ولاية عيسى بن فليتة إلى أن توفي سنة خمسمائة وسبعين، وكان قد عهد بالولاية لابنه داود، فولي بعده ابنه داود[٧]، فأحسن السيرة وعدل في الرعية[٨].

---

(١) في إتحاف الورى: معه.
(٢) إتحاف الورى (٥٣٢/٢).
(٣) الجلبة: نوع من السفن التجارية كانت تسير في البحر الأحمر (هامش العقد الثمين ١١٦/٧).
(٤) منائح الكرم (٢٥٣/٢). وانظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٤٢).
(٥) إتحاف الورى (٥٣٣/٢). وانظر: العقد الثمين (١١٦/٧).
(٦) تيماء، بلد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، معجم البلدان (٧٨/٢).
(٧) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٥٤/٤-٣٥٦)، وشفاء الغرام (٣٣٩/٢)، وغاية المرام (٥٣٤/١-٥٣٧).
(٨) إتحاف الورى (٥٣٦/٢). والعقد الثمين (٢٧٥/٧)، وانظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٤٤-١٤٥).

وفي ليلة النصف من رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة[١] خرجت خوارج على داود بن عيسى بن فليتة، ففارق مترله، وسار في بقية ليلته إلى وادي نخلة[٢]، وولى أخوه مُكثر[٣] عوضه في الحال، ولم يتغير عليه أحد بشيء.

فلما كان ليلة النصف من شعبان قدم من اليمن إلى مكة شمس الدولة ابن أيوب، أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قاصداً بلاد الشام، فاجتمع به الأمير داود والأمير مكثر بالزاهر ظاهر مكة، وأصلح بينهما.

فلما كان السابع من ذي الحجة وصل الخبر إلى مكة بأن طاشتكين وصل بعسكر كثير وسلاح، وعَدَدٍ من المنجنيقات والنفَّاطين وغير ذلك، فجمع الأمير مكثر الشرفاء والعرب على قدر وسعه لضيق الوقت، ولم يحج من أهل مكة إلا القليل، ولم يوفّ أكثر المناسك؛ لأنهم باتوا بعرفة ولم يبيتوا بمزدلفة، ولم يترلوا بمنى، ولم يرموا الجمار، وإنما رمى بعضهم وهو سائر، ولا بات بها ليلة، ونزل الحاج في يوم النحر بالأبطح، فخرج إليهم ناس من أهل مكة فحاربوهم في بقية يوم النحر، [وفي][٤] اليوم الثاني والثالث، وقوي القتال على أهل مكة، وقتل من الفريقين جماعة، ثم آل الأمر إلى أن صيح في الناس:

---

(١) إتحاف الورى (٥٣٦/٢-٥٣٨). والعقد الثمين (٢٧٥/٧-٢٧٧).
(٢) هو نخلة الشامية ونخلة اليمانية. وانظر: مر الظهران.
(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢٧٤/٧-٢٧٩)، وشفاء الغرام (٣٣٩/٢)، وغاية المرام (٥٣٨/١-٥٤٤).
(٤) في الأصل: في. والتصويب من إتحاف الورى (٥٣٧/٢). والعقد الثمين (٢٧٥/٧).

الغَزَاة إلى مكة، فهجموا عليها، فهرب أمير مكة مكثر فصعد إلى الحصن الذي بناه على جبل أبي قبيس -ويقال: إنما بناه والده عيسى- فحصروه به، ففارقه وسار عن مكة، ودخل الناس مكة فأمر أمير الحاج بهدم الحصن المذكور، وقصد قومٌ لا خلاق لهم من الحاج [بالنهب][1]، فنهبوا كثيراً من الدور التي في أطراف البلد من ناحية المعلاة، وأخذوا من أموال التجار المقيمين بها شيئاً كثيراً، وأحرقوا دوراً كثيرة.

ومن أعجب ما جرى: أن إنساناً زَرَّاقاً[2] بالنفط ضرب داراً بقارورة نفط[3] فاحترقت هي وما فيها -وكانت تلك الدار لأيتام يستغلونها كل سنة إذا جاء الحاج-، ثم [أخذ][4] قارورة أخرى فسواها ليضرب بها، فجاء حجر فكسرها فعادت عليه فاحترق بها، فبقي ثلاثة أيام بسفح الجبل يتعذب بالحريق، ورأى بنفسه العجائب، ثم مات.

وسلمت مكة إلى الأمير قاسم بن مهنا[5] أمير المدينة، وكان وصل صحبة أمير الحاج؛ لأنه كان سافر في هذه السنة إلى العراق، وأقامت مكة بيد الأمير

(١) في الأصل: النهب. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

(٢) الزراق: رامي النفط (هامش العقد الثمين ٢٧٧/٧).

(٣) قوارير النفط: هي قدور ونحوها يجعل فيها النفط ويرمى بها على الحصون والقلاع للإحراق، على أن القوارير في اللغة اسم للزجاج وإنما استعيرت في آلات النفط مجازاً (صبح الأعشى ١٥٣/٢).

(٤) في الأصل: أخرج. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق، والعقد الثمين (٢٧٧/٧).

(٥) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣١/٧-٣٢)، وشفاء الغرام (٣٣٩/٢)، وغاية المرام (٥٤٤/١-٥٤٧).

قاسم ثلاثة أيام، فظهر عجز قاسم عن إمرة مكة، وقال لأمير الحاج: إني لا أتجاسر أن أقيم بمكة بعد خروج الحاج. فسلمت مكة لداود بن عيسى، وأسقط جميع المكوس بمكة، ورحل الحاج بعد أن أخذ على داود العهود والمواثيق أن لا يغير شيئاً مما شرط عليه من إسقاط المكوس وغير ذلك من الأرفاق[١].

وقال الفاسي[٢] بعد ذكر إعادة داود بن عيسى لإمارة مكة: ولا نعلم إلى متى استمرت، غير أنه كان يتداول هو وأخوه مكثر إمارة مكة، ثم انفرد بها مكثر بن عيسى نحو عشر سنين، آخرها سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم. انتهى.

وفي رمضان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة[٣] قدم الملك العزيز سيف الإسلام طُغْتكين -بطاء مهملة ثم غين معجمة ثم مثناة فوقية. اهـ إتحاف- بن أيوب[٤] صاحب اليمن -أخ السلطان صلاح الدين- مكة، فاستولى عليها

(١) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٤٦).
(٢) شفاء الغرام (١/٣٣٩-٣٤٠).
(٣) إتحاف الورى (٢/٥٥٣-٥٥٤). وانظر: العقد الثمين (٥/٦٣)، ودرر الفرائد (ص:٢٦٥).
(٤) طغتكين بن أيوب: أخو صلاح الدين. ولي اليمن لصلاح الدين سنة ٥٧٩ هـ، وكانت وفاته سنة ٥٩٣ هـ. قتله أمراؤه الأكراد (انظر ترجمته في: شفاء الغرام ٢/٣٤٠، وغاية المرام ١/٥٤٧، والعقد الثمين ٥/٦٢-٦٤، ووفيات الأعيان ٢/٥٢٣، والنجوم الزاهرة ٦/١٤١-١٤٢، والبداية والنهاية ١٣/١٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٣٣، وبغية المستفيد ص:٧٤-٧٥). وسيف الإسلام طغتكين حارب الزيدية في اليمن ونصر أهل السنة، وأنشأ بزبيد مدرسة لأهل السنة. ولما توفي سنة ٥٩٣ هـ وخلفه ابنه المعز الذي ادعى أنه أموي، ورام الخلافة وتلقب بالهادي فقتله أمراؤه الأكراد وملكوا أخاه الناصر أيوب بن طغتكين سنة ٥٩٨ هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٣٣٣، وبغية المستفيد ص:٧٦).

وخطب بها لأخيه صلاح الدين، وضرب الدراهم والدنانير باسم أخيه، وقتل جماعة من العبيد كانوا يؤذون الناس، وشرط على العبيد [ألا][١] يؤذوا الحاج، ومنع من الأذان في الحرم بحيّ على خير العمل، وكان أمير مكة طلع على أبي قبيس، وأغلق باب البيت، وأخذ المفتاح معه، فأرسل سيف الإسلام وطلب منه المفتاح، فامتنع من إرساله، فقال سيف الإسلام لرسوله: قُلْ لصاحبك: إن الله نهانا عن أشياء فارتكبناها، وقال النبي ﷺ: لا تأخذوا المفتاح من بني شيبة، فيأخذه ويستغفر الله تعالى، فبعث إليه بالمفتاح.

وذكر السنجاري أيضاً في منائح الكرم قصة أخذ المفتاح[٢] وهذا نصه: قال صاحب الوقائع: إن مكثراً أخذ معه مفتاح الكعبة لما صعد قلعة أبي قبيس، فأرسل طغتكين إلى شيخ السدنة وقال له: خذ المفتاح وهاته وإلا أخذناه منك، فإن الله أمرنا بأمور فتركناها، ونهانا عن أمور فارتكبناها، وإن كان المفتاح لكم نأخذه منكم ونستغفر الله تعالى، فبعث إليه شيخ السدنة بالمفتاح. انتهى.

وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة -وقيل في التي بعدها-[٣]: أخذ أمير مكة داود بن عيسى بن فليتة ما في الكعبة من الأموال، وطَوْقاً كان من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهماً، وكان يمسك الحَجَر الأسود لتشعثه، إذ

(١) في الأصل: لا. والمثبت من إتحاف الورى (٢/٥٥٣)، والعقد الثمين (٥/٦٣).
(٢) منائح الكرم (٢/٢٦٢). وانظر: إتحاف الورى (٢/٥٥٣-٥٥٤)، وغاية المرام (١/٥٤٩).
(٣) إتحاف الورى (٢/٥٥٩). وانظر: درر الفرائد (ص:٢٦٦)، والعقد الثمين (٤/٣٥٦).

ضربه ذلك الباطني بعد الأربعمائة بالدبوس، فلما قدم الركب عَزَلَ أمير الحاج داود وولى أخاه [مُكثراً][١]، وذهب داود إلى نخلة، وأقام بها إلى أن مات في يوم الاثنين الرابع عشر من شعبان، أو في رجب سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

واستمر مكثر في إمارة مكة إلى سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم.

الطبقة الرابعة من ولاة مكة: يقال لهم: آل قتادة

وهم باقون إلى زماننا هذا، أبقاهم الله إلى آخر الزمان.

وفي سنة خمسمائة وسبع وتسعين –وقيل: ثمان وتسعين وقيل: تسع وتسعين–[٢]: انتزع مكة من مُكثر الشريف قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد الثائر ابن موسى بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣]، والشريف قتادة هذا هو جد ساداتنا الأشراف ملوك مكة إلى الآن، خلّد الله ملكهم إلى آخر

---

(١) في الأصل: مكثر. والتصويب من المراجع السابقة.

(٢) إتحاف الورى (٢/٥٦٦–٥٦٧). وانظر: العقد الثمين (٧/٤٠)، ودرر الفرائد (ص:٢٦٧–٢٦٨)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٤٨–١٤٩ وهامشه).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٣٩–٦١)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٠)، وغاية المرام (١/٥٥٠–٥٧٧).

الزمان، وبه انقرضت دولة بني فليتة الهواشم. وكان الشريف قتادة يكنى أبا عزيز، وهو أول من ملك مكة المشرفة من هذا الفخذ الشريف، وكان ذا بأس ونجدة وشوكة، فجمع بني عمه وأركبهم الخيل قبل أن يملك مكة، وحارب الأشراف بني حراب من أولاد عبدالله المحض بن الحسن المثنى، ثم استألف منهم جماعة فصاروا معه، وملك ينبع والصفراء[١].

وسبب طمعه في ملك مكة: ما بلغه من عكوف أمرائها الهواشم بني فليتة على اللهو، وتبسطهم في الظلم، وإعراضهم عن العدل اغتراراً منهم بما هم فيه من العز، والعنف للرعايا، فتوحش لذلك خواطر جماعة من قوادهم، ولما عرف ذلك استماهم قتادة وسألهم المساعدة على ما يرومه من الاستيلاء على مكة، وجرَّأه على المسير إليها مع ما في نفسه؛ أن بعض الناس فزع إليه مستغيثاً به في ظلامة ظلمها بمكة، فوعده بالنصر، وتجهَّز في جماعة من قومه؛ فما شعر أهل مكة إلا وهو معهم بها، وولاتها على ما هم عليه من اللهو والانهماك، فلم يكن لهم بمقاومته طاقة، فملكها دونهم.

وقيل: إنه لم يأت إليها بنفسه في ابتداء ملكه لها، وإنما أرسل إليها [ابنه][٢] حنظلة فملكها، وأخرج منها مكثر بن عيسى بن فليتة وقاتل حنظلة

(١) الصفراء: -تأنيث الأصفر- قرية كثيرة النخل والزرع والخير في طريق الحاج، وسلكها رسول الله ﷺ مرة، وبينها وبين بدر مرحلة، وماؤها عيون كلها، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة، وماؤها يجري إلى ينبع (معجم البلدان ٣/٤١٢).

(٢) في الأصل: ابن. والتصويب من إتحاف الورى (٢/٢٦٧)، والعقد الثمين (٧/٤٠)، ودرر الفرائد (ص:٢٦٨).

ابن قتادة، وذلك سنة خمسمائة وتسع وتسعين.

ثم في سنة ستمائة توفي مكثر، فسار ابنه محمد بن مكثر وجمع جموعاً وقصد حنظلة، فكان الظفر لحنظلة، فلما تمكن جاءه أبوه قتادة سنة ستمائة وواحد.

وعلى القول الأول قالوا: إن قتادة دخل مكة بغتة يوم السابع والعشرين من رجب، وكانت ملوك مكة تخرج في مثل هذا اليوم إلى التنعيم[١] تعتمر مع غالب أهل مكة؛ اتباعاً لعبدالله بن الزبير في اعتماره في مثل هذه الليلة، فدخل الشريف قتادة من أعلى مكة، فرجع الشريف مكثر وجماعته فحاربوهم، وكان الظفر له عليهم، فهربوا إلى وادي نخلة.

قال ابن فهد[٢]: وفي سنة إحدى وستمائة زحف أبو عزيز قتادة من مكة وحاصر صاحب المدينة سالم بن قاسم الحسيني وألح في حصاره، ثم إن سالماً قصد الحجرة الشريفة -على ساكنها أفضل الصلاة والسلام- فصلّى عندها ودعا، فسار فلقيه، فانهزم قتادة، وجاء المدد لسالم من بني لام[٣]، فأتبعه سالم

---

(١) التنعيم: تقدم التعريف به (ص: ٢١).

(٢) إتحاف الورى (٣/٣-٤). وانظر: العقد الثمين (٤١/٧-٤٢)، والكامل (٢٩٨/١٠).

(٣) بنو لام بن عمرو: بطن من جديلة، من طيء، من زيد، من كهلان، من قحطان. كانت مساكنهم المدينة المنورة وما حولها (انظر: معجم قبائل الحجاز ص: ٤٥١).

وأنشب الحرب بينهما ببدر[١] -وقيل: بذي الحليفة[٢]-، وهلك كثير من الفريقين، وانهزم أبو عزيز.

واتبع سالم أبا عزيز إلى مكة فحاصره مثل أيام حصاره بالمدينة، فأرسل قتادة إلى مَن مع سالم من الأمراء فأفسدهم عليه، فمالوا إليه وخالفوه، فلما علم سالم ذلك رحل عنه عائداً إلى المدينة، وعاد أمر قتادة يقوى.

وقيل: إن أبا عزيز هَجَمَ من مكة على المدينة، فخرج له صاحب المدينة سالم بن قاسم الحسيني، فكسره أبو عزيز وحصره أياماً، وكان سالم في أثناء ذلك يحسن سياسة الحرب ويستميل أصحاب أبي عزيز إلى أن خرج عليه وهو مغتر متهاون به، فكسره سالم وأسر جمعاً من أصحابه، وتبعه إلى مكة، فحصره فيها على عدد أيام حصاره بالمدينة، وكتب إليه: يا ابنِ العم كَسْرَةٌ بِكَسْرَة، وأيام حصار بمثلها، والبادي أظلم، فإن كان أعجبكم عامكم فعودوا ليثرب[٣] في القابل.

(١) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار. ويقال: إنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة. قال الزبير بن بكار: بدْر بن قريش، به سميت بدر التي كانت بها الوقعة المباركة؛ لأنه كان احتفرها، وبهذا الماء كانت الواقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام، وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة (معجم البلدان ١/٣٥٧-٣٥٨).

(٢) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، وهي ميقات أهل المدينة (معجم البلدان ٢/٢٩٥).

(٣) يثرب: هي مدينة رسول الله ﷺ ، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية ابن مهلائيل بن إرم ابن عبيل، فلما نزلها رسول الله ﷺ سماها: طيبة وطابة، كراهية للتثريب، وسميت مدينة الرسول؛ لنزوله بها (معجم معالم الحجاز ١٠/١٣).

وفي سنة ست وستمائة[١] قَتَلَ قتادة إمام الحنفية وإمام الشافعية بمكة، ونهب الحاج اليمنيين.

وفي سنة ثمان وستمائة[٢] حج بالناس من العراق علاء الدين محمد بن ياقوت -وهو صبي- نيابة عن أبيه، ومعه ابن أبي [فراس][٣] يُثَقِّفه ويدبره، وحج من الشام الصمصام إسماعيل، وكانت ربيعة خاتون أخت العادل[٤] في الحج، فلما كان يوم النحر -بعد رمْي الناس الجمرة- وقع بين الحاج العراقي وبين أهل مكة فتنة عظيمة قُتل فيها الحجاج العراقيون ونُهِبُوا نَهْباً ذريعاً، وكان معظم الفتنة بمنى. وسببها: أن بعض الإسماعيلية من أهل العراق يسمى: "الحشيش"[٥]، وثب على رجل شريف من بني عم قتادة يسمى: هارون، وكنيته أبو عزيز، وهو يشبه قتادة صاحب مكة، [وظنه إياه][٦] فقتله عند الجمرة، ويقال: إن الذي قتله كان مع

---

(١) إتحاف الورى (٩/٣). وانظر: العقد الثمين (٤٧/٧).

(٢) إتحاف الورى (١٠/٣-١٣). وانظر: العقد الثمين (٤٧/٧-٤٩)، وشفاء الغرام (٣٩٤/٢-٣٩٦)، وغاية المرام (٥٦٠/١-٥٦٢).

(٣) في الأصل: فراش. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من المراجع السابقة.

(٤) هو العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن نجم الدين أيوب، أخو صلاح الدين، سلطان مصر والشام والأطراف (انظر: النجوم الزاهرة ١٦٠/٦-٢٢٦).

(٥) في إتحاف الورى: الحشيشي. وفي شفاء الغرام نقلاً عن ابن سعيد المغربي: "أن القاتل للشريف بمنى شخص مجهول، فظن الأشراف أنه خشيش فقتلوه"، والخشيش هو الدخيل بلغة العامة في الحجاز. وفي العقد الثمين: "أن الأشراف قتلوا القاتل بمنى وظنوا أنه حشيشي". والحشيشي ينتسب إلى طائفة الباطنية الإسماعيلية الذين نشأوا في قلعة ألموت.

(٦) في الأصل: وخلفه أباه. وهو خطأ، والتصويب من المراجع السابقة.

أم جلال الدين[١]، فلما سمع قتادة ذلك قال: ما كان المقصود إلا أنا، والله لا أبقيت من الحاج العراقي أحداً، واتّهم أمير الركب بذلك، فجمع الأشراف والعرب والعبيد وأهل مكة وقصدوا الحاج، وصعدوا على الجبلين بمنى، وهلّلوا وكَبَّروا، وضربوا الناس بالحجارة والنبل والمقاليع والنشاب، فقتل بعض الأعيان وخلق كثير من الفريقين، وقتل "الحشيش" القاتل، ونهب من الحجاج من كان في الطواف يوم العيد والليلة واليوم الثاني، وقتل من كان من الحجاج بمكة، وفعل فيهم مثل ما فعل بمنى، [وبات][٢] الحاج بأسوأ حال؛ من شدة الخوف من القتل والنهب، فقال ابن أبي فراس لمحمد بن ياقوت: ارحلوا بنا إلى منزل الحج الشامي، وأمر الناس بالرحيل، فرفعوا أثقالهم على الجمال واشتغلوا بذلك، فطمع العدوّ فيهم وتمكّن من النهب كيف أراد، وكانت الجمال تؤخذ بأحمالها، ونهب الحاج عن آخره، ولم يسلم منه إلا القليل، والتحق مَنْ سَلِمَ بحجاج الشام. وجاء محمد بن ياقوت أمير الحاج العراقي فدخل خيمة ربيعة خاتون مستجيراً بها، ومعه خاتون أم جلال الدين، ثم رحلوا إلى الزاهر ومُنعوا من دخول مكة.

فبعثت ربيعة خاتون مع ابن السلار إلى قتادة تقول له: ما ذنب الناس؟! قد قتلت القاتل، وجعلت ذلك وسيلة إلى نهب المسلمين، واستحلَلْت الدماء

---

(١) هو جلال الدين حسن، صاحب قلعة ألموت، وكان هو وأتباعه قد تبرؤوا من الباطنية، وبنوا المساجد، وأقيمت فيها الجمعة والجماعات، وصلوا التراويح في شهر رمضان، وحجت أمه في سنة ٦٠٨هـ (النجوم الزاهرة ٦/٢٠٣).

(٢) في الأصل: ومات. والتصويب من إتحاف الورى (١٢/٣).

والأموال في الشهر الحرام والبلد الحرام، وقد عرفتَ مَنْ نحن، والله لئن لم تنته لأفعلن ولأفعلن، فجاء إليه ابن السلار فخَوَّفَهُ وهدَّدَهُ وقال: ارجع عن هذا وإلا قَصَدَكَ الخليفة من العراق، ونحن من الشام، فكفّ عنهم وطلب مائة ألف دينار، فجمعوا له ثلاثين ألفاً من أمير الحج العراقي، ومن خاتون أم جلال الدين، وأقام الناس ثلاثة أيام حول خيمة ربيعة خاتون بين قتيل وجريح ومسلوب، وجائع وعريان.

ويقال: إنه أخذ من المتاع والمال وغيره ما قيمته ألف ألف دينار، وأذن للناس في الدخول إلى مكة، فدخل الأصحاء الأقوياء، فطافوا -وأي طواف!!-، وتموا حجهم، ومعظم الناس ما دخل، ورحلوا إلى المدينة، ودخل حاج بغداد على غاية الفقر والذل والهوان، ولم ينتطح فيها عنزان[١].

وفي سنة تسع وستمائة[٢] حج بالناس حسام الدين [بن أبي فراس][٣] نيابة عن محمد بن ياقوت.

وفيها[٤]: وصل من الخليفة الناصر إلى أبي عزيز قتادة مع الركب العراقي مال وخِلَع، وكسوة البيت على العادة، ولم [يظهر الخليفة إنكاراً][٥] على ما

(١) سمط النجوم (٤/٢٢٦).
(٢) إتحاف الورى (٣/١٤-١٧)، ودرر الفرائد(ص: ٢٧٠-٢٧٢)، والعقد الثمين (٧/٥٠-٥٢)، ومنائح الكرم (٢/٢٧٨-٢٨٠)، وسمط النجوم (٤/٢٢٧)، وخلاصة الكلام (ص:٢٣-٢٤).
(٣) في الأصل: أبي فراش. والمثبت من إتحاف الورى (٣/١٤)، ودرر الفرائد (ص: ٢٧٠).
(٤) انظر هذا الخبر في: غاية المرام (١/٥٦٣-٥٦٦).
(٥) في الأصل: يظهر له الخليفة إنكار. والتصويب من إتحاف الورى (٣/١٤)، ودرر الفرائد (ص: ٢٧٠).

تقدم من نهب الحاج، وجعل أمير الركب حسام الدين يستدرجه ويخدعه بأنه لم يَصِحّ عند الديوان العزيز، إلا أن الشرفاء وأتباعهم نهبوا أطراف الحج، ولولا تلافيك أمرهم لكان الاصطلام، وقال: يقول لك مولانا الوزير: ليس كمال الخدمة [الإمامية](١) إلا تقبيل العتبة، ولا عز الدنيا والآخرة إلا نيل هذه الرتبة، فقال: انظرني في ذلك، ثم تسمع الجواب.

واجتمع ببني عمه الأشراف وعرَّفهم أن ذلك [استدراج](٢) لهم وله؛ حتى يتمكن من الجميع، وقال: يا بني الزهراء، عزكم إلى آخر الدهر مجاورة هذه البُنْيَة، والاجتماع في بِطَاحِها، واعتمدوا بعد اليوم أن تعاملوا هؤلاء القوم بالشر، يوهنكم ويوهن عزكم من طريق الدنيا والآخرة، ولا يُرَغِّبوكم بالأموال والعدد، فإن الله قد عصمكم وعصم أرضكم بانقطاعها، وأنها لا تُبْلَغ إلا بشق الأنفس، ثم غدا أبو عزيز على أمير الركب وقال: اسمع الجواب، ثم أنشد ما نَظَمه في ذلك أولها:

بلادي وإن هانَتْ عليَّ عزيزة ... ولو أنني أعرى بها وأجوع
ولي كَفُّ ضرْغَام أَصولُ بَبطْشها ... وأَشْري بها بين الورى وأبيع
تَظَلّ ملوكُ الأرض تَلْثُمُ ظَهرها ... وفي بطنها للمُجْدبينَ ربيع
أأجعلها تحت الرَّحى ثم أبتغي ... خَلاصاً لها إني إذاً لرقيع
وما أنا إلا المسْك في كل بلدة ... أَضُوع وأما عندكم فأضيع

---

(١) قوله: "الإمامية" زيادة من إتحاف الورى ودرر الفرائد، الموضعان السابقان.
(٢) في الأصل: استدراجاً. والتصويب من إتحاف الورى ودرر الفرائد، الموضعان السابقان.

فقال له أمير الركب: يا شريف! أنت ابن بنت رسول الله ﷺ، والخليفة ابن عمك، وأنا مملوك تركي لا أعلم [من][١] الأمور التي في الكتب ما علمت، ولكني قد رأيت أن هذا من شرف العرب الذين يسكنون البوادي، ونزغات[٢] قُطَّاع الطريق ومُخيفي السبيل، وحاشا [لله][٣] أن أحمل هذه الأبيات عنك إلى الديوان العزيز، فأكون قد جنيت على بيت الله وبني بنت نبيه ﷺ ما أُلْعَنُ عليه في الدنيا والآخرة، وأُحْرَقُ بسببه في الآخرة. والله لو بلغ هذا إلى حيث أشرت -يعني الخليفة- لترك كل وجه، وجعل جميع الوجوه إليك، حتى يفرغ منك، ما لهذا ضرورة؛ إنه إن كان خطر ببالك أنهم استدرجوك فلا تسر إليهم وقل جميلاً. فأصغى إليه أبو عزيز، وعلم أنه رجل عاقل ناصح ساعٍ بخير لمرسله والمسلمين، فقال له: كَثَّرَ الله في المسلمين مثْلَك، فما الرأي عندك؟ قال: أن ترسل من أولادك من لا تهتم به إن جرى عليه ما تستوقعه[٤]، -ومعاذ الله أن يجري إلا ما تحبه-، وترسل معه جماعة من ذوي الأسنان والهيئات من الشرفاء، فيدخلون مدينة السلام، وفي أيديهم أكفانهم منشورة، وسيوفهم مسلولة، ويُقَبِّلُون[٥] على العتبة، ويَتَوسَّلُون برسول[٦] الله ﷺ، [وبصفح][٧] أمير المؤمنين، وسترى ما يكون من الخير لك

(١) قوله: "من" زيادة من إتحاف الورى (١٥/٣)، ودرر الفرائد (ص: ٢٧١)، ومنائح الكرم (٢٧٩/٢).
(٢) في إتحاف الورى: ونزعات.
(٣) في الأصل: الله. والتصويب من إتحاف الورى (١٥/٣)، ودرر الفرائد (ص: ٢٧١).
(٤) في إتحاف الورى والعقد الثمين: تتوقعه.
(٥) تقبيل العتبات لايجوز لأنه تعظيم لغير الله عز وجل.
(٦) التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لايجوز إلا في حياته صلى الله عليه وسلم.
(٧) في الأصل وإتحاف الورى: ويصفح. والتصويب من العقد الثمين (٥١/٧).

وللناس، والله لئن لم تفعل هذا لتركبن الإثم العظيم، ويكون ما لا يخفى عنك، فشكره ووجَّهَ صحبته ولده وأشياخ الشرفاء، ودخلوا بغداد على تلك الهيئة التي رسم، وهم يصيحون ويبكون ويتضرَّعون، والناس يبكون لبكائهم، واجتمع الخلق كأنه المحشر، ومالوا إلى باب النوبى -من أبواب مدينة الخليفة- فقبَّلوا هناك العَتَب، وبلغ الخبر الناصر؛ فعفى عنهم وعن مُرْسِلهم، وأُنزلوا في الديار الواسعة، وأُكرموا الكَرامة التي ظهرت واشتهرت، وعادوا إلى أبي عزيز بما أحبّ، وكان بعد ذلك يقول: لعن الله أول رأي عند الغضب، ولا أعدمنا عاقلاً ناصحاً [يثنينا عنه][1] ذلك. هذا كلام أبي سعيد المغربي.

ويقال: إن قتادة أرسل إلى الخليفة ولده راجح بن قتادة في طلب العفو بأثر الفتنة. هكذا ذكر ابن الأثير[2] وابن محفوظ.

وقيل: إن الخليفة كتب إلى قتادة يستدعيه، ويقول له: أنت ابن العم والصاحب، وقد بلغني شهامتك وحفظك للحجاج، وغير ذلك، وشرف نفسك وعفّتك، ونزاهتك، وقد أحببتُ أن أراك وأشاهدك وأحسن إليك، فكتب إليه الأبيات الأربعة[3]. انتهى ما ذكره ابن فهد.

---

(١) في الأصل: يثبتنا عند. والمثبت من إتحاف الورى (١٦/٣)، والعقد الثمين (٥٢/٧).
(٢) الكامل (١٢٣/١٢).
(٣) انظر: العقد الثمين (٥٧/٧)، وغاية المرام (٥٧٢/١).

وقال الطبري في إتحاف فضلاء الزمن(١): وفي سنة تسع وستمائة طلب الخليفة الناصر العباسي مولانا الشريف قتادة إلى العراق، ووعده ومنَّاه بكل خير وجميل، فسار إلى أن وصل إلى العراق ثم إلى النجف(٢)، فخرج أهل بغداد لتلقي الشريف قتادة، وكان ممن خرج في غمار الناس رجل درويش(٣) معه أسد مسلسل، فلما نظر إليه الشريف قتادة تطيَّر وقال: ما لي ولبلد تذلّ فيها الأسود؟! ورجع من فوره إلى الحجاز، وكتب إلى الخليفة العباسي بقوله:

بلادي ولو جَارَتْ عَليَّ عَزيزة ... وَلَوْ أنني أعْرى بها وأجُوع
ولي كفٌّ ضِرْغامٍ إذا ما بسطتها ... بها أشْتَري يَوْمَ الوَغى وأبيع
مُعَوَّدَةَ لثمَ المُلوك لظهرها ... وفي بَطنها للمُجْدبينَ رَبيع
أأتْرُكهَا تَحْتَ الرِّهَان وأبتغي ... بها بَدلًا إني إذًا لرَقيع
وَمَا أنا إلا المِسْكُ في أرْضِ غيركم ... أضُوعُ وأما عِنْدَكمْ فأضيع

ولما وقف الناصر على هذه الأبيات استشاط غيظاً، وكتب إلى الشريف قتادة كتاباً يقول فيه:

أما بعد! فإذا نزع الشتاء جلبابه، ولبس الربيع أثوابه، أتيناكم بجنود لا قِبَلَ لكم بها، ولنخرجنكم منها أذلَّة وأنتم صاغرون.

---

(١) إتحاف فضلاء الزمن (١/١١٤-١١٦). وانظر: منائح الكرم (٢/٢٧٦-٢٧٧، ٢٨٢)، وسمط النجوم (٤/٢٢٤-٢٢٥)، وخلاصة الكلام (ص:٢٤)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (هامش ص:١٤٩-١٥١).

(٢) النجف: بظهر الكوفة، وهي حالياً مدينة مشهورة. انظر: (معجم البلدان ٥/٢٧١).

(٣) الدرويش: اصطلاح صوفي يقصد به الشخص المتصوف المريد، ويقال له "الدرويش" إذا كان من العجم (هامش لطف السمر وقطف الثمر ١/١٣٩).

فلما قرأ الكتاب الشريف قتادة ارتاع لذلك، فأرسل [يجمع باديته][١]، وأرسل إلى بني عمه بني حسين بالمدينة يستنجدهم ويسألهم المعونة، وصدر الكتاب بقوله:

بني عمنا من آل موسى وجعفر وآل حسين كيف صبركم عنَّا
بني عمنا إنا كأفنان دوحـــة فلا تَتْرُكونا يُجْتَنَى [إلفنا منَّا][٢]
إذا ما أخ خلى أخاه لآكل بدا بأخيه الأكل ثم به ثنَّى

فأتت منه رجال النجدة ذوات العدد والعدة، فلما أقبلت تلك الكتيبة الناصرية كسرها وبدَّد شملها وقهرها.

ثم إنه أرسل بالاعتذار للناصر وطلب منه العفو، فعفى عنه، ووالى عليه الإنعامات الكاملة، وأقطعه الإقطاعات الهائلة. انتهى.

وقال ابن فهد[٣]: وفي سنة إحدى عشرة وستمائة قدم مكة الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل وصحبته ألف فارس من الجندارية[٤]، ومن الرماة خمسمائة متوجهاً إلى اليمن، فخطب له، فلما خطب له نثر على الناس ألف دينار، وحمل إلى أمير مكة ألف دينار، وقماشاً بألف دينار، ونوى الحج، فخشي تفرُّق الأجناد إذا جاء الموسم، فرحل من مكة إلى اليمن

---

(١) في الأصل: بجمع بادية. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (١/١١٥).
(٢) في الأصل: القنا فنا. وفي إتحاف فضلاء الزمن: إلفنا فنا. والتصويب من أمراء مكة (ص: ١٥١).
(٣) إتحاف الورى (٣/١٨-١٩). وانظر: العقد الثمين (٧/٤٩٢-٤٩٣)، ودرر الفرائد (ص: ٢٧٢).
(٤) الجندارية: جمع جندار. واللفظ مركب من لفظين فارسيين: (جان) بمعنى روح، و (دار) بمعنى ممسك، والمعنى الحرفي: الممسك للروح، والمراد الحرس الخاص للسلطان أو غيره، فلا يدع أحداً يقرب منه إلا من يثق فيه (هامش إتحاف الورى ١٩/٣).

في العشر الثاني من ذي القعدة. كذا ذكره بيبرس الدوادار[١].

وذكر ابن خلكان والنويري: أنه توجه بعد الحج.

وفي السنة المذكورة حج المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق، ووصل إلى مكة يوم الثلاثاء سادس الحجة، والتقاه أبو عزيز قتادة أمير مكة، وحضر في خدمته، فقال له المعظم: أين نترل؟ فأشار بسوطه إلى الأبطح وقال: هناك، فترل المعظم، وحجَّ معه الشريف سالم بن قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة، وهمَّ به قتادة أن يلزمه فلم يتمكن من ذلك، وتوجه الأمير سالم مع المعظم إلى الشام[٢].

وفي سنة اثني عشرة وستمائة[٣] في تاسع صفر حاصر الشريف قتادة -أمير مكة- المدينة النبوية أياماً، وقطع تَمْرها جميعه وكثيراً من نخلها، فقاتله من فيها، وقُتِل جماعة من أصحابه، ورحل عنها خاسراً. وكان أمير المدينة عند العادل بالشام، فبعث معه جيشاً، واستخدم جماعة من التركمان، وسار من الشام في ثالث شعبان إلى المدينة المنورة، فتوفي بالطريق، وقام ولد أخيه قاسم ابن جماز بعده، واجتمع أهله على طاعته، فمضى بمن كان معه لقصد قتادة صاحب مكة، وجمع الشريف قتادة عسكراً كثيراً، والتقى عسكر قتادة

---

(١) هو التاريخ المسمى: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، للأمير ركن الدين بيبرس الدواداري المتوفى سنة ٧٢٥ (منه عدة أجزاء في أبسالا بالسويد وباريس وأكسفورد والمتحف البريطاني) (هامش العقد الثمين ٧/٤٩٢).

(٢) العقد الثمين (٧/٤٤)، وإتحاف الورى (٣/١٩)، ودرر الفرائد (ص:٢٧٢)، وشفاء الغرام (٢/٣٩٧).

(٣) العقد الثمين (٧/٤٣)، وإتحاف الورى (٣/٢٠-٢١)، وغاية المرام (١/٥٥٤-٥٥٦).

وعسكر الشام الذي وصل به الأمير قاسم بوادي الصفراء[١] في القعدة، فكانت الغلبة لعسكر المدينة، فاستولوا على عسكر قتادة قتلاً ونهباً، ومضى قتادة منهزماً إلى ينبع؛ فتبعوه وحصروه بقلعته، وغنم صاحب المدينة شيئاً كثيراً، وحصل لحميد بن [راجب][٢] من الغنيمة ما يزيد على مائة فرس، وهو واحد من جماعة كثيرة من العرب [الطائيين][٣]، وعاد الأجناد الذين كانوا مضوا مع الأمير سالم من الشام -من التركمان وغيرهم- صحبة الناهض ابن [الجرخي][٤] خادم المعتمد[٥]، وفي صحبتهم كثير مما غنموه من [أعمال][٦] قتادة، ومن وقعة وادي الصفراء؛ من نساء وصبيان، وظهر فيهم أشراف حسنيون وحسينيون، فاستعيدوا منهم، وسُلِّمُوا إلى المعروفين من أشراف دمشق ليكفلوهم، ويشاركوهم في قسمهم من وقفهم.

---

(١) واد من أكبر أودية الحجاز الغربية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من جبال: ورقان وعار والفَقَارة والفقْرة، فيتجه غرباً مع ميل إلى الجنوب بتعرج، ويسمى أعلاه السدارة، وفيه الروحاء البئر المشهورةَ، وقد تسميه العامة وادي بدر لاشتهار بلدة بدر (معجم معالم الحجاز ١٤٨/٥-١٤٩).

(٢) في الأصل: راحب. والتصويب من العقد الثمين (٤٣/٧)، وإتحاف الورى (٢١/٣)، وغاية المرام (٥٥٥/١).

(٣) في الأصل: الطلابين، وفي العقد الثمين: الكلابيين، والمثبت عن الذيل على الروضتين (ص: ٩٠) ورجحه محقق العقد الثمين.

(٤) في الأصل: الجرحي. والتصويب من العقد الثمين (٤٣/٧)، وإتحاف الورى (٢١/٣)، وغاية المرام (٥٥٥/١).

(٥) هو المعتمد بن مبارز الدين إبراهيم، والي دمشق للعادل أبي بكر محمد بن أيوب، ثم مَن بعده، وقد قتل الناهض في عام ٦١٦هـ بيد الفرنج في وقعة دمياط (البداية والنهاية ٧٥/١٤، والنجوم الزاهرة ١٧٠/٦، ٢٣٨).

(٦) قوله: "أعمال" زيادة من العقد الثمين (٤٣/٧)، وغاية المرام (٥٥٥/١)، وإتحاف الورى (٢١/٣).

وفي سنة ثلاث عشرة وستمائة[1] في جمادى الأولى صعد الشريف قتادة صاحب مكة للطائف لحرب ثقيف[2]، فظهر قتادة على ثقيف، فقتلَ جماعة من مشايخ ثقيف بدار [بني][3] يسار من قرى الطائف، ونهب الجيشُ البلاد، فَفُقِدَ كتاب النبي ﷺ لأهل الطائف[4]، وكان عند شيخهم حمدان الثقفي العوفي، وفرَّ من ثقيف طائفة، وتحصنوا في حصونهم، فأرسل إليهم قتادة يستدعيهم للحضور إليه ويؤمنهم، وتوعَّدهم بالقتل إن لم يحضروا إليه، فتشاور ثقيف في ذلك، ومال أكثرهم إلى الحضور عنده خيفة أن يُهْلكهم إذا ظهر عليهم، فحضروا عند قتادة فقتلهم، واستخلف على بلادهم نواباً من قِبَله، وعضَّدَهم بعبيد له، فلم يبق لأهل الطائف معهم كلمة [ولا حرمة][5]، فعمل أهل الطائف حيلة في قتل جماعة قتادة؛ وهي أنهم يدفنون سيوفهم في

---

(١) إتحاف الورى (٣/٢٢-٢٣). وانظر: العقد الثمين (٧/٤٥-٤٦)، وسمط النجوم (٤/٢٢٥)، وغاية المرام (١/٥٥٨-٥٥٩).

(٢) ثقيف: والنسبة إليها ثقفي، إحدى قبائل الحجاز العريقة، ولا زالت في مساكنها القديمة حول الطائف، وثقيف هم: بنو ثقيف -واسمه قسي- بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وقيل: إن ثقيف من إياد (انظر: معجم قبائل الحجاز ص: ٦٦).

(٣) في الأصل: ابن. والتصويب من العقد الثمين (٧/٤٦)، وإتحاف الورى (٣/٢٢). ويسار: بطن من ثقيف. (معجم قبائل الحجاز ص:٥٧٥).

(٤) الكتاب المقصود هنا: هو الذي كتبه النبي ﷺ لوفد ثقيف الذي قدم عليه سنة تسع بعد غزوة تبوك. (انظره في شرح المواهب ٤/٨-١٠).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من العقد الثمين (٧/٤٦)، وغاية المرام (١/٥٥٨)، وإتحاف الورى (٣/٢٢).

مجالسهم التي جرت عادتهم بالجلوس فيها مع أصحاب قتادة، ويستدعون أصحاب قتادة للحضور إليهم، فإذا حضروا إليهم وثب كل واحد من أهل الطائف بسيفه المدفون على جليسه فقتله به، فلما فعلوا ذلك استدعوا أصحاب قتادة إلى الموضع الذي دفنوا فيه سيوفهم، وأوهموهم أن استدعاءهم لهم بسبب كتاب ورد عليهم من قتادة، فحضر إليهم أصحاب قتادة بغير سلاح؛ لعدم مبالاتهم بأهل الطائف؛ لما أوقعوه في قلوبهم من الرعب منهم، فلما اجتمع الفريقان واطمأنت بهم المجالس وثب كل واحد من أهل الطائف على جليسه ففتك به، ولم يسلم من أصحاب قتادة إلا واحد -على ما قيل- هرب ووصل إلى قتادة -وقد تخبَّل عقله لشدة ما رآه من الذبح في أصحابه، وأخبر قتادة بالخبر، فلم يصدقه، وظنَّ أنه قد جُنَّ؛ لما رأى فيه من الخبل. انتهى.

وقال الفاسي في العقد الثمين[١]: قال أبو سعيد: قال الزنجاني: ومما يجب أن يؤرَّخ من محاسن الأمير أبي عزيز: أن شخصاً من أهل اليمن يُعرف بنابت ابن قحطان ورد برسم الحج، وكان له مال يتاجر فيه، فتطرَّق إليه أبو عزيز بسبب احتوائه [عليه][٢]، قال: فبينما هو يتمشَّى في الحرم إذ سمع شخصاً يقول وهو يطوف بالبيت: اللهم بهذا البيت [المقصود][٣]، وذلك

---

(١) العقد الثمين (٧/٥٥-٥٧). وانظر: غاية المرام (١/٥٧٠-٥٧١).
(٢) في الأصل: إليه. والمثبت من العقد الثمين (٧/٥٥)، وغاية المرام (١/٥٧٠).
(٣) في الأصل: المعمور. والمثبت من العقد الثمين، وغاية المرام، الموضعان السابقان.

المقام المحمود، وذلك الماء المورود، وذلك المزار المشهود، إلا ما أنصفتني ممن ظلمني، وأحْوَجْتَ إلى غيرك مَنْ إلى الناس أحوجني، وأريْته بعد حِلْمك أخذك الأليم الشديد، ثم أصليته نارك، وما هي من الظالمين ببعيد. فارتاع أبو عزيز، ثم حمله طبعه وعادته على أن وكَّلَ به من يُعَنِّفُه ويحمله إلى السجن بعنف، وانصرف إلى منزله، وكان له جارية حبشية نشأت بالمدينة، فقالت: يا أمير حرم الله! إن لك الليلة لشأناً، فأخبرها بخبر الشخص، فقالت: معاذ الله يا ابن بنت رسول الله ﷺ أن تأخذك العزة بالإثم، رجلٌ غريب قصد بيت الله واستجار بحرم الله، تظلمه أولاً في ماله، ثم تظلمه آخراً في نفسه، أين عزُبت عنك المكارم الهاشمية والمراحم النبوية؟ غير هذا أولى بك يا ابن فاطمة الزهراء!!.

قال: فعمل كلامها في خاطره، وأمر بإحضار الرجل، فلما حضر قال له: اجعلني في حِلّ، قال: ولِمَ؟ قال: لأني ابن بنت رسول الله ﷺ، فقال: لو كنت ابن بنت رسول الله ﷺ ما فعلت الذي فعلت حين ولاّك الله أمر عباده وبلاده، فاستعذر أبو عزيز وقال: قد تُبْتُ إلى الله وصدقت عليك مالك. فقال الرجل: نعم، الآن أنت ابن بنت رسول ﷺ، وأنا فقد تصدقت بجميع ذلك المال شكراً لله تعالى على أن أعتق من العار والنار شخصاً يعتزي إلى ذلك النسب الكريم. فقال أبو عزيز: الحمد لله على كل حال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم استدعى شاهدَيْن ونصَّ[١] عليهما الحكاية، ثم قال: فاشهدا أني قد أعتقت هذه الجارية، [ووهبت][٢] لها من المال كذا وكذا، فإن أراد هذا اليمني أن يتزوجها فعليَّ صداقها عنه، وما يتجهزان به إلى بلاده، وما يعيشان به هناك في نعمة ما شاء الله، فقال اليمني: قد قبلت ذلك، ولم [ينفصل][٣] إلى بلاده إلا بها.

وفي تاج تواريخ البشر[٤]: قيل إن الشريف قتادة بن إدريس أهدى للسلطان صلاح الدين بن أيوب هدايا، من جملتها: مروحة بيضاء من خوص النخل، وعليها سطران منسوجان بالسعف الأحمر، فلما قدم رسوله عليه قال له الشريف: يخدم السلطان بهذه المروحة التي ما رأيت أنت ولا أبوك ولا جدك مثلها، فاستشاط السلطان غضباً، فقال الرسول: لا تضجر أيها الملك بالغضب قبل تأمُّلها، وكان السلطان صلاح الدين ملكاً حليماً، فإذا مكتوب فيها:

أنا من نخلة تجاور قبرا ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتني سعادة القبر حتى صرت في راحة ابن أيوب أقْرا

وإذا هي من خوص النخل الذي في مسجد سيدنا رسول الله ﷺ، فقبّلها صلاح الدين ووضعها على عينيه، وأنعم على الرسول بأضعاف العطايا. انتهى.

---

(١) كذا في الأصل والعقد الثمين. وكتب في هامش العقد: ولعلها وقصَّ، وفي غاية المرام: وقصَّ.
(٢) في الأصل: ووهب. والمثبت من العقد الثمين (٥٦/٧)، وغاية المرام (٥٧١/١).
(٣) في الأصل: ينقصل. والتصويب من العقد الثمين (٥٧/٧)، وغاية المرام، الموضع السابق.
(٤) تاج تواريخ البشر (٢٣٦/٢-٢٣٧).

وفي العقد الثمين[١]: قال ابن الأثير[٢]: وكانت ولاية الشريف قتادة قد اتسعت من حدود اليمن إلى مدينة النبي ﷺ، وله قلعة [ينبع][٣] بنواحي المدينة، وكثُر عسكره، واستكثر من المماليك، وخافه العرب في تلك البلاد خوفاً عظيماً، وكان في أول أمره لما ملك مكة حرسها الله، حسَنَ السيرة، أزال عنها العبيد المفسدين، وحمى البلاد، وأحسن إلى الحُجَّاج وأكرمهم، وبقي كذلك مدة، ثم إنه أساء السيرة، وجدَّد المكوس بمكة، وفعل أفعالاً شنيعة، ونهب الحاجّ في بعض السنين.

وقال ابن [سعيد][٤]: كان أبو عزيز في أول أمره حسن السيرة، صافي السريرة، فلما وثب على شبيهه وبني عمه الرجل الذي توهم أنه من العراق وقتله انقلبت أحواله، وصار مُبغضاً في العراقيين، وفسدت نيته على الخليفة الناصر، وساءت معاملته للحجاج، وأكثر المكوس والتغريم في مكة، حتى ضجَّ الناس، وارتفعت فيه الأيدي بالدعاء، فقتله الله تعالى على يد ابنه حسن بن قتادة.

وفي تاريخ العصامي[٥]: قال المنذري في التكملة[٦]: كان قتادة مَهيباً

---

(١) العقد الثمين (٧/٥٣-٥٤).
(٢) الكامل (١٠/٤٢٦).
(٣) في الأصل: بينبع. والتصويب من الكامل، الموضع السابق، والعقد الثمين (٧/٥٣).
(٤) في الأصل: سعد. والتصويب من العقد الثمين (٧/٤١). وهو علي بن موسى بن عبدالملك المشهور بابن سعيد المغربي المتوفى سنة ٦٨٥هـ. له مصنفات كثيرة، من أهمها: المشرق في حلى المشرق، والمغرب في حلى المغرب (هامش العقد الثمين ٧/٤١).
(٥) سمط النجوم (٤/٢٢٨).
(٦) انظر: التكملة لوفيات النقلة للمنذري (٣/١٧).

وقوراً، قوي النفس، شجاعاً مقداماً، فاضلاً، له شعر. تولى إمرة مكة. رأيته يطوف بالبيت ويتضرع، ويدعو بخشوع، والرئيس على زمزم يدعو له، وهو كالأسد شجاعة، والقطب خشوعاً وتضرعاً، والبدرِ كمالاً وبهاءً. وسار في مكة سيرة حسنة، وأزال عنها العبيد المفسدين، وحمى البلاد، وأحسن إلى الحجاج وأكرمهم، وبقي كذلك مدة، ثم أساء السيرة، ونهب الحاج.

ثم زاد ظلمه في الناس وأذاه للحجاج من العراق وغيرهم، وأظهر التعدي، حتى ضجَّ الناس، وفسدت نيته على الخليفة الناصر العباسي، وارتفعت الأيدي بالدعاء عليه، فقتله الله على يد ابنه حسن بن قتادة. انتهى.

وفي إتحاف الورى بأخبار أم القرى[١]: وفي سنة سبع عشرة وستمائة جمع قتادة جموعاً كثيرة وسار عن مكة يريد المدينة، فنزل بوادي الفرع[٢] وهو مريض، وسيّر أخاه على الجيش ومعه ابنه الحسن بن قتادة. فلما أبعدوا بلغ الحسن أن عمه قال لبعض الجند: إن أخي مريض وهو ميت لا محالة، وطلب منهم أن يحلفوا له ليكون هو الأمير بعد أخيه قتادة، فحضر الحسن عند عمه

---

(١) إتحاف الورى (٣/٢٦-٢٨). وانظر: الكامل (١٠/٤٢٧)، والعقد الثمين (٤/١٧١-١٧٢)، وغاية المرام (١/٥٨٥-٥٨٧).

(٢) واد من أطول أودية الحجاز وأغناها عيوناً، إذ لا تزال فيه عشرون عيناً جارية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من حرة بني عمرو، ويسمى وادي الفرع وادي النخل لكثرة نخيله، وقد يسميه البعض وادي بني عمرو، ذلك أنه لا يساكنهم فيه أحد. وسكانه بنو عمرو من حرب (معجم معالم الحجاز ٧/٤١).

واجتمع إليه كثير من الأشراف والمماليك الذين لأبيه، فقال الحسن لعمه: قد فعلتَ كذا وكذا؟ فقال: لم أفعل، فأمر الحسن الحاضرين بقتله، فلم يفعلوا، وقالوا: أنت أمير وهذا أمير، ولا نمد أيدينا إلى أحدكما، [فقال][1] له غلامان لقتادة: نحن عبيدك فمرنا بما شئت، فأمرهما أن يجعلا عِمَامَة عمه في حلقه، ففعلا، ثم قتله. فسمع قتادة الخبر فبلغ منه الغيظ كل مبلغ، وحلف ليقتلن ابنه -وكان على ما ذكر من المرض- فكتب بعض أصحابه إلى الحسن يُعَرِّفه الحال، ويقول له: ابدأ به قبل أن يقتلك.

فعاد الحسن إلى مكة، فلما وصلها قصد دار أبيه في نفر يسير، فرأى على باب الدار جمعاً كثيراً، فأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، ففارقوا الدار وعادوا إلى مساكنهم، ودخل الحسن على أبيه، فلما رآه [أبوه][2] شتمه وبالغ في ذمّه وتهديده، فوثب إليه الحسن فخنقه لوقته.

وقيل: إن الحسن واطأ جارية كانت تخدم أباه؛ فأدخلته ليلاً عليه، واستعان بها وبغلام له في إمساكه يديه، ثم قتلهما بعد ذلك؛ لئلا يخرج الخبر من قِبَلِهما، وزعم للناس أنهما قتلا أباه[3]. وخرج الحسن إلى الحرم الشريف وأحضر الأشراف، وقال: إن أبي اشتد مرضه وقد أمركم على أن

---

(١) في الأصل: فقالا. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٢٧)، والعقد الثمين (٤/١٧١).
(٢) قوله: "أبوه" زيادة من العقد الثمين (٤/١٧٢)، والكامل (١٠/٤٢٧).
(٣) انظر: إتحاف فضلاء الزمن (١/١١٧)، وغاية المرام (١/٥٧٥-٥٧٦).

تحلفوا [لي][١] على أن أكون أنا أميركم، فحلفوا له. ثم إنه أحضر تابوتاً[٢] ودفنه ليظن الناس أنه قد مات، وكان دفنه سراً. انتهى.

وفي تاريخ العصامي[٣]: وأحضر تابوتاً مغطى وقال: هذا أبي مات، وقد كان دفنه ليلاً. انتهى.

ولاية الشريف حسن بن قتادة

وقال العلامة الدحلان في الخلاصة[٤]: كان الشريف قتادة كثير الأولاد؛ منهم: الحسن وراجح وإدريس وعلي. فتولى مكة بعد قتادة: الحسن[٥]، وكان فاتكاً جريئاً. انتهى.

وقال ابن فهد[٦]: ولما استقرت الإمارة بمكة لحسن بن قتادة أرسل إلى أخيه الذي بقلعة ينبع على لسان أبيه يستدعيه، وكتم موت أبيه عنه، فلما حضر أخوه قتله، واستقر أمره وثبّت قدمه[٧].

وكان له أخ اسمه: راجح، لما ملك حسن مكة أقام بظاهر مكة يُفسد الناس وينازع أخاه في ملك مكة، فلما قدم الحاج العراقي وصل مع أمير

---

(١) قوله: "لي" زيادة من العقد الثمين (٤/١٧٢)، والكامل (١٠/٤٢٧).
(٢) التابوت: صندوق من حجر أو خشب توضع فيه الجثة (المعجم الوسيط ١/٨١).
(٣) سمط النجوم (٤/٢٢٨-٢٢٩).
(٤) خلاصة الكلام(ص:٢٤). وانظر: منائح الكرم (٢/٢٨٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١١٧).
(٥) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤/١٦٦-١٧٤)، وشفاء الغرام (٢/٣٤١)، وغاية المرام (١/٥٨٠-٥٨٩).
(٦) إتحاف الورى (٣/٢٨-٣٠).
(٧) العقد الثمين (٤/١٧٢)، والكامل (١٠/٤٢٧).

الحاج تقليد وخلعة لحسن بن قتادة بإمارة مكة عوض[١] أبيه قتادة، فلما كان في أيام الموسم تعرّض راجح لقطع الطريق عن مكة وعرفة، فمسكه أمير الحاج العراقي آقباش الناصري العباسي –وهو مملوك تركي للناصر العباسي، ومعنى آق باش: أبيض الرأس. ذكره العصامي[٢]– وأقام معه تحت الحوطة؛ فأرسل إليه الحسن صاحب مكة يقول: سلّمه لي، وأسلّم إليك مالاً جزيلاً، فاتفقا على ذلك. ثم إن راجحاً قال لأمير الحاج: أجمع لك أكثر مما دفع إليك وسلّم لي مكة، فأجابه إلى ذلك، وعزم آقباش على دخول مكة وتسليمها لراجح، فمنعهم الحسن من دخول مكة وأغلق أبوابها، فنزلوا الزاهر، فتقدم آقباش إلى مكة مقاتلاً لصاحبها حسن –وكان حسن قد جمع جموعاً كثيرة من العرب وغيرها–، فخرج إليه الحسن من مكة وقاتله، وتقدم أمير الحاج آقباش من عسكره منفرداً، وصعد جبل الحبشي [إدْلالاً][٣] بنفسه بأنه لا يُقْدِمُ عليه أحد؛ فأحاط به العرب أصحاب حسن فقتلوه، وحملوا رأسه إلى حسن، فنصبوه على رمح بالمسعى عند دار العباس، ثم دفن بقية جسده بالمعلا، وانهزم عسكر أمير الحاج بعد قتله، وأحاط أصحاب الحسن بالحاج لينهبوهم، فأرسل إليهم الحسن عمامته أماناً، فعاد أصحابه عنهم ولم ينهبوا منهم شيئاً، وسكن الناس، وأذن لهم الحسن في دخول مكة، وفعلوا ما يريدون من المناسك والبيع

---

(١) في الأصل زيادة: عن.

(٢) سمط النجوم (٤/٢٣٠).

(٣) في الأصل: أولالا. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٢٩)، والعقد الثمين (٣/٣٢٣)، وشفاء الغرام (٢/٣٩٩)، وغاية المرام (١/٥٨٠).

والشراء وغير ذلك، بعد أن أراد نهبهم، فمنعه [أمير](١) الحاج الشامي المبارز المعتمد والي دمشق، وخوَّفه من الأخوين الكامل صاحب مصر، والمعظم صاحب دمشق، فأجابه وكفّ عن ذلك(٢).

وهرب راجح إلى جهة اليمن، ثم توجَّه إلى المسعود ملك اليمن(٣). وأقام الحاج بمكة عشرة أيام، وعادوا مع الركب الشامي، فوصلوا العراق سالمين، وعظم الأمر على الخليفة، وحزن على آقباش حزناً عظيماً، [ولم يخرج في الموكب للقاء الحاج على العادة](٤)، ووصلت رسلُ حسن بن قتادة يعتذر ويطلب العفو منه، فأجيب إلى ذلك(٥).

ويقال: إن راجح بن قتادة قصد حاج أمير العراق آقباشا بعرفات، وقال له: أنا أكبر ولد قتادة، وبذل له وللخليفة مالاً ليساعده على ولاية مكة، فلم يجبه، وجاء معه فظن حسن أن آقباشا قد وافقه عليه وولاّه، فأغلق أبواب مكة، فركب آقباش لِيُسَكِّنَ الفتنة ويُصلح بين الأخوين، وقال: ما قصدي قتال، فلم يلتفتوا له، فثار به العبيد الأشرار فحملوا عليهم فقاتلوه، فانهزم أصحابه وبقي وحده، وعُقِرَت

---

(١) قوله: "أمير" زيادة من إتحاف الورى، الموضع السابق، والعقد الثمين (١٦٧/٤)، وغاية المرام، الموضع السابق.

(٢) انظر: شفاء الغرام (٣٩٧/٢-٣٩٨)، وغاية المرام (٥٨٠/١-٥٨١).

(٣) انظر: العقد الثمين (٣٧٣/٤).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣٠/٣)، والعقد الثمين (٣٢٤/٣).

(٥) انظر: العقد الثمين (٣٢٣/٣-٣٢٤)، والكامل (٤٢٦/١٠)، وغاية المرام (٥٨١/١).

فرسه، فسقط، فذبحوه وعلَّقُوا رأسه[١]. انتهى.

ودامت ولاية الحسن إلى سنة تسع عشرة وستمائة، إلى أن أخذها منه الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب اليمن[٢].

وكان الحسن قد أساء السيرة في الأشراف ومماليك أبيه، فتفرقوا عنه ولم يبق له إلا القليل، فقدم المسعود يوسف أقسيس ابن الملك الكامل صاحب اليمن إلى مكة في رابع ربيع الأول سنة تسع عشرة وستمائة، فلقيه الحسن وقاتله بالمسعى بين الصفا والمروة ببطن مكة، ثم انهزم الحسن وفارق مكة بمن معه، فتولى مكة المسعود يوسف بن الملك الكامل[٣].

قال ابن فهد[٤]: وملكها -أي مكة- المسعود، ونهبها عسكره إلى العصر، حتى أخذوا الثياب عن الناس، ثم صاحت صوائح المسعود بالأمان، وحرّم النهب وسفك الدماء، وأمر المسعود أن يُنبش قبر قتادة ويحرق، فنبشوه، فظهر التابوت الذي دفنه ابنه الحسن، والناس ينظرون إليه فلم يروا به شيئاً، فعلموا حينئذ أن الحسن قتل أباه، ودفن التابوت في قبره ليخفي أمره، وردَّ المسعود على أهل الحجاز أموالهم ونخلهم جميعاً، وما كان أخذ من

---

(١) انظر: العقد الثمين (٣/٣٢٣)، وشفاء الغرام (٢/٣٩٧-٣٩٨)، وغاية المرام (١/٥٨٠ و ٥٨١).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٤٩٢-٤٩٥)، وشفاء الغرام (٢/٣٤١)، وغاية المرام (١/٥٨٩-٥٩٥).

(٣) انظر: شفاء الغرام (٢/٣٤١)، ومنائح الكرم (٢/٢٩٠)، وغاية المرام (١/٥٨٢).

(٤) إتحاف الورى (٣/٣٤-٣٦).

الوادي جميعه، ومن مكة من الدور[١].

وبدا منه تجبّر وقلّة دين؛ من ذلك: أنه صعد قبة زمزم ورمى حمام مكة بالبندق[٢].

[ومن ذلك: ضَرْبُ غلمانه الناس بالمسعى بالسيوف في أرجلهم وهم يسعون، ويقولون: اسعوا قليلاً قليلاً فإن السلطان نائم سكران][٣] في دار السلطنة بالمسعى، -وكانت تسمى دار القوارير، ومحلها محل المدرسة [القايتبائية][٤]. ذكره العصامي[٥]- والدم يجري من سيقان الناس[٦].

ومن ذلك: منعه دخول الحاج العراقي مكة يوماً واحداً، وكان أميرهم ابن أبي [فراس][٧] وهو مستقل. ثم بعد ذلك لبس خلعة الخليفة، واتفق الأمر، وفتح باب مكة، وحج الناس وطابت قلوبهم، ونصب راية صفراء، وأطلع علمه وعلم أبيه، ومنع إطلاع علم الخليفة الناصر لدين الله العباسي

(١) العقد الثمين (١٧٠/٤). وانظر: منائح الكرم (٢٩٠/٢)، وغاية المرام (٥٨٣/١).
(٢) انظر: السلوك (٣٣٣/١)، وغاية المرام (٥٩١/١). والبندق: عبارة عن كرات من الرصاص أو ما أشبه، يرمى بها بواسطة قوس البندق الذي يسمى: الجلاهق، ويتخذ من القنا ويلف عليه الحرير ويغرى، وفي وسط وتره قطعة دائرة تسمى: الجوزة، توضع فيها البندقة عند الرمي. (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص:٦٨).
(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣٥/٣). وانظر: العقد الثمين (٤٩٤/٧)، وسمط النجوم (٢٣٠/٤).
(٤) في الأصل: القايتبائي. والتصويب من سمط النجوم (٢٣١/٤).
(٥) سمط النجوم (٢٣٠/٤-٢٣١).
(٦) انظر: منائح الكرم (٢٩١/٢)، وغاية المرام (٥٩١/١).
(٧) في الأصل: فراش. والتصويب من إتحاف الورى (٣٥/٣).
وابن أبي فراس: هو حسام الدين أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس (إتحاف الورى ٣٢/٣).

إلى جبل عرفة، ويقال: إنه أذن في إطلاعه قبل الغروب لَمّا لِيمَ في ذلك وخُوِّف[١]، وهَمَّ العراقي لقتاله، فعجز عن ذلك لكثرة عسكره، وقدَّم أعلام أبيه على أعلام الخليفة، وخرج بعد الحج من مكة متوجهاً إلى اليمن، واستناب على مكة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، ورتب معه ثلاثمائة فارس. وولّى المسعودُ راجحاً حلْي والسِّرين[٢] ونصف المخلاف[٣].

ثم إن حسن بن قتادة راح إلى ينبع وأخذ جيشاً كثيراً، وجاء إلى مكة، فخرج إليه نور الدين إلى [الخَرِبَة][٤] وكسره[٥]، فقصد الشام فلم يتلفت إليه، فتوجَّه إلى العراق. انتهى.

قال العصامي[٦]: ثم توجه إلى العراق فلم يَرَ بها وجهاً، بل أرادوا قتله بسبب قتله آقباش الناصري -مملوك الخليفة الناصر العباسي- في الواقعة التي جرت في أيامه بمكة زمن الحج، فخرج منها خائفاً، ولم يزل طريداً شريداً خائفاً إلى أن وصل بغداد، فأدركه أجله في الجانب الغربي على دكة، ولما عُلم

---

(١) انظر: غاية المرام (٥٩١/١).

(٢) حَلْي: مدينة على ساحل البحر جنوب مكة بينها وبين السرين يوم واحد، وبينها وبين مكة ثمانية أيام (معجم البلدان ٢٩٧/٢).
والسّرين: بليد قريب من مكة على ساحل البحر، بينها وبين مكة أربعة أيام أو خمسة قرب جدة (معجم البلدان ٢١٩/٣).

(٣) انظر: السلوك (٣٣٣/١)، والعقد الثمين (١٧٠/٤)، ومنائح الكرم (٢٩٠/٢-٢٩١)، وغاية المرام (٥٨٤/١).

(٤) في الأصل: الحديبية. والتصويب من إتحاف الورى (٣٦/٣)، والعقد الثمين (١٧٠/٤).

(٥) انظر: شفاء الغرام (٣٤١/٢).

(٦) سمط النجوم (٢٣١/٤).

به غُسِّل وصُلِّي عليه، ودُفن في مشهد موسى الكاظم[١]. انتهى.

وفي الإتحاف[٢]: وكان حسن أديباً شاعراً ظريفاً، فمن شعره يقول:

أبى الله والخطِّيَّة السّمر والظُّبا وكل كَميٍّ لا يرى الذُّل مذهبا

بأن يتولّى أمر مكة حاكم سِوى من له سيف طويل له

انتهى.

قال ابن فهد[٤]: وفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة جاء قاسم الحسيني إلى مكة بعسكر كثير، وحاصرها شهر زمان، وكان نواب الكامل فيها، وقُتل قاسم الحسيني ولم يتمكن من أخذها.

وفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة[٥] توجه المسعود من مكة على طريق عيذاب إلى مصر زائراً والده، ثم عاد إلى مكة.

ولم يزل نور الدين عمر بن علي بن رسول بمكة نائباً عن الملك المسعود إلى سنة خمس وعشرين وستمائة، ثم عاد إلى اليمن[٦].

---

(١) إتحاف الورى (٤٢/٣)، وغاية المرام (٥٨٨/١)، ومنائح الكرم (٢٩٢/٢)، وغاية المرام (٥٨٤/١-٥٨٥).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (١١٩/١). وانظر: هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٥٢).

(٣) في هامش الأصل: شبا: حدّ السيف. اهـ قاموس (ص:١٦٧٤).

وقوله: "والخطية": أي الرماح، "والظبا": جمع ظبة، وهي حدّ السيف أو السنان، و"الكَمِيّ": الشجاع أو لابس السلاح.

(٤) إتحاف الورى (٣٩/٣). وانظر: السلوك (٣٤١/١).

(٥) إتحاف الورى (٤١/٣).

(٦) انظر: إتحاف فضلاء الزمن (١١٩/١).

وفي شهر جمادى الثاني من السنة المذكورة[١] ولي مكة نيابة للملك المسعود حسام الدين ياقوت بن عبدالله المسعودي[٢].

وفي سنة ست وعشرين وستمائة[٣] قدم الملك المسعود من اليمن -بعد أن ظَلَمَ التجار- لما سمع بموت عمه المعظم صاحب دمشق طمعاً فيها، ولم يصل إلى مكة إلا وقد فُلِجَ[٤]، ويبسَتْ يداه ورجْلاه، ورأى في نفسه العبر. فلما احتضر بَعَثَ إلى رجل مغربي وقال: والله ما أرضى لنفسي من جميع ما معي[٥] كفناً أكَفَّن فيه، فتصدَّقْ عليَّ بكفن، فبعث إليه [شقتين][٦]؛ بغدادي ومائتي درهم، واشتدّ مرضه بمكة فمات بها، وأوصى أن يُقبر بين الغرباء في مقبرة أهل مكة.

قال السنجاري[٧]: ثم إن عتيقهُ الصارم بنى عليه قبة، وهي باقية إلى الآن. انتهى.

وبعد وفاة الملك المسعود استولى على اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول، وبويع بالسلطنة، وتلقب بالملك المنصور[٨].

---

(١) إتحاف الورى (٣/٤٤). وانظر: منائح الكرم (٢/٢٩٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١١٩-١٢٠)، وشفاء الغرام (٢/٣٤١).
(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٤٢٥)، وشفاء الغرام (٢/٣٤١)، وغاية المرام (١/٦٠٧-٦٠٨).
(٣) إتحاف الورى (٣/٤٥). وانظر: درر الفرائد (ص:٢٧٦)، وغاية المرام (١/٥٩٢).
(٤) فَلجَ الرجل: أصابه داء الفالج. والفالِجُ: شلل يصيب أحد شقّي الجسم طولاً (المعجم الوسيط ٢/٦٩٩).
(٥) في الأصل زيادة: إلا. وانظر: إتحاف الورى (٣/٤٥).
(٦) في الأصل: شفتين. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.
(٧) منائح الكرم (٢/٢٩٥). وانظر: غاية المرام (١/٥٩٣).
(٨) منائح الكرم (٢/٢٩٦). وانظر: شفاء الغرام (٢/٣٤١).

وولي مكة طُغتكين التركي[١]، ولاه أبو الملك المسعود الملك الكامل صاحب مصر[٢].

قال ابن خلكان[٣]: ولقد حكى لي من حضر الخطبة بمكة يوم الجمعة، فسمع الخطيب يقول على المنبر في حق الملك الكامل: صاحب مكة وعبيدها، واليمن وزبيدها، ومصر وصعيدها، والشام وصناديدها، والجزيرة ووليدها، سلطان القبلتين، ورب العلامتين، وخادم الحرمين الشريفين المحترمين، الملك الكامل خليل أمير المؤمنين. كذا في خلاصة الكلام[٤].

وقال العصامي[٥]: وفي سنة سبع وعشرين وستمائة وصل إلى مكة جيش صاحب اليمن عمر بن علي بن رسول الغساني، وصحبته الشريف راجح بن قتادة، فنزلوا بالأبطح وحصروا مكة، وأرسل الشريف راجح إلى أهل مكة يذكرهم إحسان السلطان نور الدين أيام نيابته بمكة عن الملك المسعود، فمال رؤساء مكة إليه، فلما أحسَّ بذلك الأمير طغتكين خاف على نفسه، فخرج هارباً وقصد وادي نخلة، فدخل راجح ومن معه، فوليها الشريف راجح، وكان أمير الجيش يسمى: ابن عبدان، فدخل مكة واستولى عليها، وخطب للملك المنصور ابن الملك المسعود.

---

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٥/٦٤-٦٦)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٢)، وغاية المرام (١/٦١٢-٦١٤).

(٢) انظر: خلاصة الكلام (ص:٢٥).

(٣) وفيات الأعيان (٥/٨٢-٨٣).

(٤) خلاصة الكلام (ص:٢٥)، ومنائح الكرم (٢/٢٩٦).

(٥) سمط النجوم (٤/٢٣٢-٢٣٤).

وتوجه طغتكين إلى ينبع فأقام هناك، وعرف الكامل بالخبر، فجهّز جيشاً كبيراً من مصر، وأمر صاحب ينبع وصاحب المدينة أن يخرجا مع ذلك الجيش إذا وصل إليهما، ففعلوا، ووصلوا جميعاً إلى مكة في رمضان، وحاصروا راجحاً وابن عبدان وقاتلوهما وانكسروا، واستولى على مكة أميرها الأول طغتكين، فقتل من أهل مكة خلقاً كثيراً ونهب ثلاثة أيام، وأظهر حقده عليهم، وأخافهم خوفاً شديداً[1].

وفي سنة ثلاثين وستمائة جمع الشريف راجح جموعاً عظيمة، وأمدَّه الملك المنصور صاحب اليمن بعساكر، فقدم مكة، وطرد طغتكين وعسكر الملك الكامل صاحب مصر، فلما علم بذلك الكامل جهز عسكراً في شوال سبعمائة فارس، فلما أن وصل الحاج واتضح أمر العسكر خرج الشريف راجح من مكة فدخلها العسكر المصري من غير محاربة، وطيبوا قلوب أهل مكة وعدلوا فيهم وأحسنوا إليهم، وحج بالناس أمير يسمى: الزاهد، وترك في مكة أميراً يقال له: ابن مُجلّي في خمسين فارساً أقام بمكة، فعدل وأحسن السيرة[2].

وفي سنة واحد وثلاثين وستمائة جهّز الملك المنصور صاحب اليمن إلى

---

(١) انظر: السلوك (٣٦٦/١)، وشفاء الغرام (٣٤١/٢-٣٤٢)، ومنائح الكرم (٢٩٧/٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٢٠/١)، وخلاصة الكلام (ص:٢٥-٢٦)، وغاية المرام (٦٠١/١-٦١٣).

(٢) انظر: السلوك (٣٦٧/١)، وشفاء الغرام (٣٤٢/٢)، ومنائح الكرم (٢٩٨/٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٢١/١)، وخلاصة الكلام (ص:٢٦).

السيد راجح عسكراً جَرّاراً، وخزانة عظيمة، فنهض راجح ومن معه من العسكر، ودخلوا مكة، وأخرجوا ابن مجلي ومن معه[١]، فلما وصل الحاج سمع الشريف راجح أن الملك الكامل حاج على النجب، [لوعد بينه وبين الخليفة العباسي][٢]، فخرج راجح من مكة فتغير عليه خاطر الملك المنصور، فلما رجع الملك الكامل عاد راجح إلى مكة، وكان بمكة غلاء عظيم سموه: غلاء ابن مجلي[٣].

وفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة وصل من [صاحب][٤] مصر عسكر ألف فارس، فخرج الشريف راجح إلى اليمن، فجهزه الملك المنصور بخزانة وعسكر أيضاً، وأرسل قناديل ذهب وفضة لتعلق في جوف الكعبة، فلم يقدر راجح ومن معه على مقاومة العسكر المصري فلم يدخل، فلما سمع بهم العسكر المصري خرجوا إليهم من مكة، فالتقوا بمحل يقال له: الخلف والخليف[٥]، فانهزمت الأعراب أصحاب راجح، وأسر من عسكره ابن عبدان فقيّد، وأرسل به إلى مصر[٦].

---

(١) انظر: غاية المرام (١/٦٠١).
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من سمط النجوم (٤/٢٣٣).
(٣) انظر: السلوك (١/٣٧٠)، ومنائح الكرم (٢/٢٩٩)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٢١)، وخلاصة الكلام (ص:٢٦).
(٤) قوله: "صاحب" زيادة من سمط النجوم (٤/٢٣٣).
(٥) في غاية المرام ومنائح الكرم: المحل يقال له: الخريقين، بين مكة والسرين.
(٦) انظر: غاية المرام (١/٦٠١-٦٠٢)، ومنائح الكرم (٢/٢٩٩-٣٠٠)، وخلاصة الكلام (ص:٢٦).

وقال ابن ظهيرة في الجامع اللطيف[١] بعد ذكر ولاية عسكر الملك المنصور لمكة: ثم وليها نيابة عن الملك الكامل أميره المسمى بجفريل[٢] -بجيم ثم فاء ثم راء مهملة ثم مثناة تحتية ثم لام- وذلك أن الملك الكامل كان قد جهز عسكراً كبيراً فيه ألف فارس -وقيل: تسعمائة، وقيل: خمسمائة-، وخمسة أمراء مقدمهم جفريل المذكور، واستمرت ولاية جفريل على مكة إلى سنة خمس وثلاثين وستمائة[٣]. انتهى.

وفي خمس وثلاثين وستمائة خرج السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول من اليمن قاصداً مكة في ألف فارس، وأرسل للجند الذين بمكة أن كل من جاء إليه يعطيه ألف دينار [وحصاناً][٤] وكسوة؛ فمال إليه كثير من الجند، وآثروه على مولاهم، ووفى لهم بما وعدهم، وأرسل إلى الشريف راجح فتلقاه في أثناء الطريق فقدمه، وأصحبه ثلاثمائة فارس من أهل النجدة من عسكره، وأعطاه النَّقَّارات والكُوسَات[٥] وتقدم إلى مكة.

---

(١) الجامع اللطيف (ص: ٣١١).

(٢) هكذا ضبطه السنجاري في منائح الكرم (٢/٢٩٨)، والفاسي في شفاء الغرام (٢/٣٤٣)، والعقد الثمين (٣/٤٣٤، ٦/٣٤٥)، وفي غاية المرام: جُغْريل.

(٣) انظر: شفاء الغرام (٢/٣٤٣)، والسلوك (١/٣٧١)، ومنائح الكرم (٢/٢٩٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٢١)، وغاية المرام (١/٦٠١-٦٠٢).

(٤) في الأصل: وحصان. والتصويب من سمط النجوم (٤/٢٣٣)، وغاية المرام (١/٦٠٢).

(٥) النقارات: نوع من الطبول. والكوسات: صنج من نحاس شبه الترس يدق بواحدة على الأخرى بإيقاع مخصوص، وهما من رسوم السلطان وآلاته (انظر: السلوك ١/١/١٢٦، ١/٣/٨٩٠ ط القاهرة).

فلما تحققت عساكر مصر وصول السلطان أحرقوا ما كان عندهم من الأثقال والأقوات، وخرجوا من مكة، فأرسل الشريف راجح يبشّر السلطان نور الدين بما وقع، فأحرم بعمرة ودخل مكة في رجب، وتصدّق على أهل مكة بأموال جزيلة(١).

وفي ذلك العام مات الكامل صاحب مصر، فخطبوا للملك المنصور ابن الملك المسعود صاحب اليمن(٢). انتهى ما ذكره العصامي.

وقال ابن فهد في حوادث سنة ست وثلاثين وستمائة(٣): فيها سافر المنصور إلى بلاد اليمن، وترك بمكة [رَتَبَةً](٤) مائة وخمسين فارساً، وجعل عليهم ابن الوليد وابن التعزي(٥)، وأقاما بمكة حتى انقضت هذه السنة.

وفي سنة سبع وثلاثين وستمائة(٦) بعث الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ألف فارس عليهم [الشريف](٧) شيحة -بشين معجمة مكسورة، ثم مثناة تحتية، ثم حاء مهملة، ثم هاء الوقف- بن قاسم، أمير

---

(١) انظر: غاية المرام (١/٦٠٢-٦٠٣)، إتحاف الورى (٣/٥٣)، والسلوك (١/٣٨٦)، ومنائح الكرم (٢/٣٠٠)، وخلاصة الكلام (ص:٢٦).

(٢) انظر: منائح الكرم (٢/٣٠١)، وخلاصة الكلام (ص:٢٦).

(٣) إتحاف الورى (٣/٥٥). وانظر: العقد الثمين (٦/٣٤٦)، ومنائح الكرم (٢/٣٠١)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٢١)، وغاية المرام (١/٦٠٣).

(٤) قوله: "رتبة" زيادة من إتحاف الورى، الموضع السابق. وانظر: غاية المرام (١/٦٠٣).

(٥) ابن الوليد: كان هو وابن التعزي من أنصار المنصور صاحب اليمن وخلفائه لما توجه إلى مكة عام ٦٣٦هـ، فتركهما بمكة حتى نهاية العام، وابن التعزي من قواده (انظر: العقد الثمين ٨/١٧٠، ١٧٤).

(٦) إتحاف الورى (٣/٥٦).

(٧) قوله: "الشريف" زيادة من إتحاف الورى ودرر الفرائد، الموضعان السابقان.

المدينة، فلما سمع بهم عسكر المنصور خرجوا عن مكة وأخلوها، فدخل الشريف شيحة وملكها ونهبها، ولم يقتل أحداً، فلما سمع المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن ذلك بعث بابن النُّصَيْري والشريف راجح إلى مكة في عسكر جرّار؛ ففرّ الشريف شيحة بمن معه، وقدم القاهرة(١).

وفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة(٢) قدم مكة بعسكر جهزه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل مع الشريف شيحة، وفيهم علم الدين الكبير، وعلم الدين الصغير، فأخذوها من عسكر صاحب اليمن، وحجوا بالناس(٣).

وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة(٤) جهّز المنصور نور الدين جيشاً كثيفاً إلى مكة مع راجح، فلما علم بهم العسكر الذين بمكة كتبوا إلى ملكهم صاحب مصر يطلبون منه النجدة؛ فأرسل إليهم [مبارز](٥) الدين علي بن الحسين بن برطاس، والأمير [مجد](٦) الدين أحمد بن التركماني في مائة وخمسين فارساً نجدة، فلما علم بذلك عسكر صاحب

---

(١) انظر: السلوك (١/٤٠٤، ٤١٦)، ودرر الفرائد (١/٣٧٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٢١-١٢٢)، والعقد الثمين (٦/٣٤٦)، وسمط النجوم (٤/٢٣٤)، ومنائح الكرم (٢/٣٠١-٣٠٢)، وخلاصة الكلام (ص:٢٦)، والعقود اللؤلؤية (١/٦٤)، وغاية المرام (١/٦٠٤).

(٢) إتحاف الورى (٣/٥٦-٥٧)، ودرر الفرائد (١/٣٧٣).

(٣) العقد الثمين (٦/٣٤٦)، وغاية المرام (١/٦٠٤)، والعقود اللؤلؤية (١/٦٥).

(٤) إتحاف الورى (٣/٥٧).

(٥) في الأصل: مبارك. والتصويب من العقد الثمين (٦/٣٤٧)، وإتحاف الورى (٣/٥٧)، والعقود اللؤلؤية (١/٦٩)، وغاية المرام (١/٦٠٤). وانظر ترجمته في: غاية المرام (٢/٤٤).

(٦) في الأصل: محمد. وهو تحريف، والتصويب من إتحاف الورى (٣/٥٧).

اليمن [أقاموا][١] بالسّرين، وكتبوا إلى المنصور بذلك، فتجهز بنفسه إلى مكة في عسكر جَرَّار، فلما علم المصريون بقدومه ولّوا هاربين، فأحرقوا دار السلطنة بمكة على ما فيها من عُدَد وسلاح وغيرها، ودخلها السلطان نور الدين في شهر رمضان، وصام بها رمضان، وأبطل بها سائر المكوسات والجبايات والمظالم، وكتب بذلك مُربّعةً[٢]، وجُعلَت قُبَالَة الحَجَر الأسود على زمزم، وبعث إلى صاحب ينبع أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، فلما أتاه أكرمه وأنعم عليه واستخدمه، واشترى قلعة ينبع وأمر بخرابها حتى لا يبقى قرار للمصريين، وجعله بالوادي مساعداً لنوّابه الذين بمكة، واستناب بمكة مملوكه الأمير فخر الدين السَّلاَّح[٣]، [وابن فيروز][٤].

وقيل: أن ابن التركماني إنما قدم مكة في سنة ثمان وثلاثين وأقام بها إلى رمضان إلى سنة تسع وثلاثين.

---

(١) زيادة من إتحاف الورى (٥٧/٣). وانظر: غاية المرام (٦٠٤/١).

(٢) المربعة: عبارة عن قطعة مربعة من الرخام، وقد بقيت هذه المربعة إلى أن قلعها ابن المسيب في سنة ٦٤٦ هـ، وأعاد الجبايات والمكوس (سمط النجوم ٢١٩/٤).

(٣) في إتحاف الورى، وغاية المرام، والعقد الثمين: الشلاح. وانظر ترجمته في: العقد الثمين (١٧٥/٨-١٧٦)، وغاية المرام (٦٣٠/١).
والسلاّح: هو المنوط بحمل سلاح السلطان (انظر: صبح الأعشى ٤٢٨/٥).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من العقد الثمين (٣٤٧/٦)، وإتحاف الورى (٥٨/٣)، وغاية المرام (٦٠٥/١)، وسمط النجوم (٢٣٤/٤)، ودرر الفرائد (٣٧٤/١)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٢٢/١).
وانظر الخبر في: السلوك (٤١٦/١)، والعقد الثمين(٣٤٦/٦-٣٤٧)، وغاية المرام(٦٠٤/١-٦٠٥)، وسمط النجوم (٢٣٤/٤)، ودرر الفرائد (٣٧٣/١-٣٧٤)، ومنائح الكرم (٣٠٢/٢، ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٢٢/١)، وخلاصة الكلام (ص:٢٦)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٥٦).

وفي سنة أربعين وستمائة توجه السلطان نور الدين من مكة[(١)].

وفي سنة ست وأربعين وستمائة[(٢)] -أو في السنة التي قبلها في يوم الاثنين منتصف ربيع الأول- عَزَلَ المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن مملوكه الأمير فخر الدين السلاح عن مكة وأعمالها، وولى عوضه محمد بن أحمد بن المسيّب اليمني[(٣)]، على مال يقوم به -بعد كفاية الجند- [وقَوْد مائة فرس في كل سنة][(٤)]، فقدم إلى مكة بمرسوم السلطان فدخلها، وخرج عنها الأمير فخر الدين السلاح، فأقام ابن المسيب أميراً بمكة هذه السنة والتي بعدها، فساءت سيرته، وعز في هذه المدة جميع الخير الذي وضعه السلطان نور الدين، وأعاد الجبايات والمكوسات، وقلع المربعة التي كان السلطان كتبها من جهة إبطال المكوسات والجبايات والمظالم وجعلها على زمزم في سنة تسع وثلاثين، واستولى على الصدقات التي كانت تصل من اليمن، وأخذ من المجد ابن [أبي][(٥)] القاسم المال الذي كان تحت يده للملك المظفر، وبنى حصناً بنخلة يسمى: العَطْشَان[(٦)]، واستحلف هُذيلاً لنفسه، ومنع الجند النفقة؛

---

(١) إتحاف الورى (٣/٥٩)، والعقود اللؤلؤية (١/٦٩).

(٢) إتحاف الورى (٣/٦٧).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٨/١٧٢-١٧٤)، وغاية المرام (١/٦٣١-٦٣٣).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى، الموضع السابق، وغاية المرام (١/٦٣٢).

(٥) قوله: "أبي" زيادة من العقد الثمين (١/٣٨٦)، والعقود اللؤلؤية (١/٧٨)، وأمراء مكة (ص:١٥٧)، وغاية المرام (١/٦٣٢)، وإتحاف الورى، الموضع السابق.

(٦) العطشان: حصن كان بنخلة، بناه محمد بن أحمد المسيب اليمني، إبّان ولايته على مكة لصاحب اليمن عمر بن علي بن رسول. كذا ذكر الفاسي في العقد الثمين (٨/١٧٣).

وقال البلادي في معجم معالم الحجاز (١٠/١٠٠): وفي أوراقي: العطشان: جبل قرب التنضب بني عليه حصن، والتنضب أرض كانت تسقيها عين بجوار البردان المعروفة بالمضيق (مضيق نخلة) =

فتفرقوا عنه، ومكر مكراً فمكر الله به[١].

وفي سنة سبع وأربعين وستمائة[٢] حسَّن بعض كبار الأعراب من زبيد للسيد أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة دخول مكة والفتك بمن فيها من جهة صاحب اليمن، [وهوَّن][٣] عليه أمرهم، وكانوا فرقتين تخرج واحدة إلى أعلى مكة والأخرى إلى أسفلها كل يوم، فحمل أبو [سعد][٤] في يوم الجمعة لتسع خلون من ذي القعدة على إحدى الفرقتين فكسرها، فضعفت الأخرى عنه، فاستولى على مكة، وقبض على ابن المسيب الأمير الذي كان بها من جهة صاحب اليمن، وأخذ ما كان معه من خيل وعدد ومماليك وقيَّده، وأحضر أعيان أهل الحرم وقال: ما لزمته إلا لتحققي خلافه على مولانا السلطان، [وعلمت أنه][٥] أراد الهرب بهذا المال الذي معه

=

وقد أجريت عين البردان لسقيا مكة. أما عين التنضب فقد غارت منذ زمن بعيد، ولا زالت أرضها معروفة.

(١) انظر: السلوك (٤٣٥/١)، والعقد الثمين (٣٨٦/١-٣٨٧)، ومنائح الكرم (٣٠٧/٢)، وغاية الأماني (٤٣١/١)، ودرر الفرائد (٣٧٥/١)، والعقود اللؤلؤية (٧٧/١-٧٨)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٥٦-١٥٧)، وغاية المرام (٦٣٢/١).

(٢) إتحاف الورى (٦٨/٣-٦٩).

(٣) في الأصل: وهو. والتصويب من العقد الثمين (١٦٠/٤)، وغاية المرام (٦٣٣/١)، وإتحاف الورى، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: سعيد. والتصويب من العقد الثمين، وإتحاف الورى، وغاية المرام، المواضع السابقة، وسمط النجوم (٢٣٤/٤)، وأمراء مكة (ص:١٥٧).

(٥) في الأصل: وغلمانه. وهو تحريف، والتصويب من إتحاف الورى (٦٩/٣)، والعقد الثمين (١٦٠/٤)، وغاية المرام (٦٣٤/١)، وأمراء مكة (ص:١٥٧).

إلى العراق[١]، وأنا غلام السلطان والمال عندي محفوظ والخيل والعدد إلى أن يصل مرْسُوم السلطان، فوردت الأخبار بعد أيام يسيرة بوفاة السلطان[٢].

وتوجه راجح بن قتادة إلى اليمن هارباً لما استولى عليها أبو سعد الحسن ابن أخيه علي بن قتادة، وسكن السرين -يعني الموضع المعروف بالواديين-[٣]. انتهى.

قال السنجاري [في][٤] منائح الكرم[٥]: وأبو سعد هذا هو والد عبدالكريم جدّ الأشراف ذوي عبدالكريم، وكانت أمه حبشية. حُكي أنه حارب بعض العرب فلحقته في هودج، فلما جاءها قالت له: [اعلم][٦] يا بني أنك تقف اليوم موقفاً، إن ظفرت فيه بعدوّك، قال الناس: ظفر ابن رسول الله ﷺ، وإن هربت قال الناس: هرب ابن الأمة [السوداء][٧]، فانظر لنفسك،

---

(١) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٥٧).

(٢) انظر: غاية المرام (١/٦٣٣-٦٣٤).

(٣) انظر: العقد الثمين (٤/١٦٠)، ومنائح الكرم (٢/٣١١-٣١٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٢٣)، وسمط النجوم (٤/٢٣٤-٢٣٥).

(٤) في الأصل: وفي.

(٥) منائح الكرم (٢/٣١٢-٣١٤). وانظر: سمط النجوم (٤/٢٣٥)، والعقد الثمين (٤/١٦٣)، وغاية المرام (١/٦٣٧-٦٣٨).

(٦) قوله: "اعلم" زيادة من منائح الكرم (٢/٣١٢)، وسمط النجوم (٤/٢٣٥)، وغاية المرام (١/٦٣٧).

(٧) قوله: "السوداء" زيادة من منائح الكرم، الموضع السابق، وسمط النجوم (٤/٢٣٥)، وغاية المرام (١/٦٣٧).

فإنه لا موت قبل فراغ العمر. فشكر لها ذلك، وصبر على جلاد العدو إلى أن أظفره الله تعالى.

وذكر ابن الفضل في الوسيلة عن نشأة السلافة للإمام عبدالقادر الطبري: أن الشريف أبا نمي بن الحسن بن علي بن قتادة شارك والده الحسن المذكور في ولاية مكة.

قال: وسبب ذلك[١]: أن السيد راجح بن قتادة عم والده استنجد أخواله من بني حسين على ابن أخيه، فخرج راجح معهم من المدينة ومعه سبعمائة فارس [من بني الحسين][٢] قاصداً مكة. وكان السيد [أبو][٣] نمي بينبع، فبلغه الخبر، فخرج في أربعين فارساً، فصادف راجحاً مقبلاً بمن معه فوقع بهم، وكان الظفر لأبي نمي، وهرب السيد عيسى الحسيني الملقب بحرون، فانتشرت عمامته فجعل يجرّها [خلفه][٤]، وكان مقدم الجيش. وفي ذلك يقول السيد جعفر الحسيني يمدح أبا نمي ويحسن فعله، وهو إذ ذاك لسان بني حسن بالعراق:

---

(١) انظر تفاصيل الحادثة في: غاية المرام (٢/٣٩-٤٠)، وسمط النجوم (٤/٢٤٠-٢٤١).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من منائح الكرم (٢/٣١٣)، وغاية المرام (٢/٤٠)، وسمط النجوم (٤/٢٤١).

(٣) في الأصل: أبا. والتصويب من منائح الكرم، الموضع السابق.

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من منائح الكرم (٢/٣١٣)، وغاية المرام (٢/٤٠)، وسمط النجوم (٤/٢٤١).

ألم يَبْلغْكَ شأنَ بني حُسين وفرّهُمْ وما فَعَل الحرون
فيا لله فعل أبي نمي وبعض الناس يُشْبهُهُ الجنون
يَصول بأربعينَ على مئاتٍ[1] وكم مِنْ كثرَةٍ [طَلبَتْ][2] تهون

ثم إن السيد أبا نمي دخل مكة بعد هزم الجيش، فأكرمه والده بأن جعله شريكاً له[3].

ورأيت في بعض الرسائل: أن عُمْر الشريف [أبي][4] نمي إذ ذاك لم يبلغ العشرين. انتهى.

وقال ابن فهد[5]: وفي سنة تسع وأربعين وستمائة حج الملك المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول، وكسا رؤساء الحرم التشريفات، وأقام بمكة عشرة أيام يفرّق الصدقات المبرورة، فوصلت صدقاته لكل بيت بمكة، وعمَّت الحاج أجمعين على اختلاف أنواعهم، وجهز أعيان حاج مصر[6]. انتهى.

وقال العصامي[7]: وفي سنة إحدى وخمسين وستمائة قدم الشريف جماز

(١) في خلاصة الكلام وأمراء مكة: يصفّ بأربعين على مئين.
(٢) في الأصل: ظلت. والمثبت من منائح الكرم (٢/٣١٤)، وخلاصة الكلام (ص:٢٧).
(٣) انظر: خلاصة الكلام (ص:٢٦-٢٧)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٥٧-١٥٨).
(٤) في الأصل: أبا، وهو لحن.
(٥) إتحاف الورى (٣/٧٠-٧١).
(٦) لم ترد هذه الحجة في ترجمة الملك المظفر في العقد الثمين (٧/٤٨٨) ولا في غيره مما تيسر من مراجع. وإن كانت أوصاف حجته هذه تنطبق على بعض أوصاف حجته في سنة ٦٥٩هـ.
(٧) سمط النجوم (٤/٢٣٦).

ابن حسن بن قتادة[١] من دمشق بعسكر من عند الناصر بن العزيز ابن الظاهر بيبرس، ووعده أن يخطب له بمكة، فأمدَّه بعسكر صحبة الركب الشامي، فتقدم أمام الركب ودخل مكة في رمضان من السنة المذكورة، واستولى على مكة وقتل ابن عمه أبا سعد بن علي بن قتادة المذكور، وحجّ بالناس، ثم نقض عهد الناصر ولم يخطب له، وخطب للملك المظفر ابن المنصور ابن المسعود صاحب اليمن[٢]. فلما كان آخر يوم ذي الحجة من السنة المذكورة -بعدما استولى على مكة- قدم عمه راجح بن قتادة ففر منه جماز بلا قتال إلى ينبع[٣].

ثم وليها راجح بن قتادة[٤]، وكان بمكة غلاء عظيم، وعطش، بيعت شربة الماء بدرهم، والشاة بأربعين [درهماً][٥]، واستمر إلى سنة اثنتين وخمسين وستمائة.

فلما كان شهر ربيع الأول منها هجم عليه ابنه غانم بن راجح بن قتادة[٦] وأخرج والده راجح من مكة بلا قتال، فوليها غانم بن راجح في شهر ربيع الأول المذكور، واستمر إلى شهر شوال من السنة المذكورة[٧]. انتهى.

---

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣/٤٣٥-٤٣٦)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٤)، وغاية المرام (١/٦٣٨-٦٣٩).
(٢) انظر: منائح الكرم (٢/٣١٥).
(٣) انظر: غاية المرام (١/٦٣٨).
(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤/٣٧٢-٣٧٩)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٤)، وغاية المرام (١/٦١٦-٦٢٣)، وخلاصة الكلام (ص:٢٥-٢٧)، والأعلام (٣/١٠).
(٥) في الأصل: درهم. والتصويب من سمط النجوم، الموضع السابق.
(٦) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٤-٥)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٤)، وغاية المرام (١/٦٣٩-٦٤٠).
(٧) انظر: خلاصة الكلام (ص:٢٧).

قال السنجاري[١]: وكان غانم طويلاً من الرجال إذا قام تصل يداه إلى ركبتيه.

ثم وليها عمه إدريس بن قتادة[٢]، وأبو نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة[٣]، فإنهما انتزعاها من غانم في شوال سنة اثنتين وخمسين وستمائة بعد قتال، قُتل فيه من الأشراف ثلاثة[٤]، [واستمروا][٥] إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة، فوليها المبارز[٦] علي بن [الحسين][٧] بن برْطاس، وذلك أن الملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن جهَّز ابن برطاس هذا إلى مكة في مائتي فارس، وقاتل الشريف إدريس وأبا نمي في قَوْز المَكَّاسَة[٨] أسفل مكة -محل معروف مشهور بهذا الاسم- فقوي عليهما، فأخرجهما من مكة واستولى عليها إلى يوم السبت لأربع ليال بقين من محرم، سنة ستمائة وثلاث وخمسين. فأقبل عليه إدريس وأبو نمي بجموع جمعوها،

---

(١) منائح الكرم (٢/٣١٦-٣١٧).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣/٢٧٨-٢٨٠)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٤)، وغاية المرام (١/٦٤٠-٦٤٢).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (١/٤٥٦-٤٧١)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٤)، وغاية المرام (٢/٩-٤٤).

(٤) انظر: غاية المرام (١/٦٤٠).

(٥) في الأصل: واستمر. والتصويب من منائح الكرم (٢/٣١٦).

(٦) في الأصل زيادة: بن. وانظر: منائح الكرم، الموضع السابق. وانظر ترجمته في: غاية المرام (٢/٤٤-٤٦).

(٧) في الأصل: الحسن. والتصويب من منائح الكرم (٢/٣١٦).

(٨) قوز المكاسة: يقصد به قوز المكاسة في المسفلة. سمي بذلك نسبة إلى المكوس التي كان يفرضها أمراء مكة على بضائع أهل اليمن. وحَرَّفته العامة إلى النكاسة (انظر: معجم معالم الحجاز ٧/١٧٤).

فدخلوا مكة وقتلوا غالب العسكر، وسفكوا الدماء بالمسجد الحرام[١]. ووقعت بينهما وبين أمير العراق فتنة حتى كادت الحرب أن تلتحم، ثم اصطلحوا بتوسط الملك داود بن المعظم عيسى بن الملك العادل صاحب الكرك[٢].

ثم إن الأمير برطاس فدى نفسه بمال بذله، ورجع من حيث جاء[٣].

وفي أربع وخمسين وستمائة: تنازع إدريس وأبو نمي، ثم اصطلحا[٤].

وفي سنة ستمائة وخمس وخمسين -وقيل: ست وخمسين- خرج الشريف [أبو][٥] نمي لحرب ثقيف، فهجم أولاد السيد حسن بن قتادة على مكة، واعتقلوا الشريف إدريس. فسمع بذلك الشريف أبو نمي فرجع إلى مكة، وهرب منها أولاد الشريف حسن بعد ستة أيام[٦].

---

(١) انظر: السلوك (١/٤٨٦-٤٨٧)، وغاية المرام (١/٦٤٢، ٢/١١).

(٢) الملك داود الناصر صلاح الدين بن السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل أمير الكرك. كان فقيهاً حنفياً، ذكياً، مناظراً، شاعراً. واستعاد بيت المقدس بعد أن سلمها عمه الكامل للافرنج، وتوفي سنة ٦٥٦هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/٣٧٦-٣٨١).

(٣) انظر: خلاصة الكلام (ص:٢٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٢٩-١٣٠).

(٤) انظر: إتحاف الورى (٣/٧٨)، والعقد الثمين (١/٤٥٩)، ومنائح الكرم (٢/٣١٧-٣١٨)، وخلاصة الكلام (ص:٢٧)، وغاية المرام (١/٦٤٠-٦٤١، ٢/١٢).

(٥) في الأصل: أبي. وهو لحن.

(٦) انظر: سمط النجوم (٤/٢٣٧)، ومنائح الكرم (٢/٣١٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٣٠). ولم يذكر الفاسي وابن فهد حرب ثقيف، وذكرا حركة أولاد حسن بن قتادة سنة ٦٥٦هـ. انظر: العقد الثمين (١/١٧٦)، وإتحاف الورى (٣/٨٠). وانظر: السلوك (١/٥٠١).

وفي سنة ستمائة وتسع وخمسين[١] حج الملك المظفر صاحب اليمن ومعه المراكب تسايره في البحر مشحونة بالميرة، وأكثر في الطريق من الخيرات. فلما دنا من مكة خرج منها أبو نمي وعمه إدريس، فدخلها المظفر في عسكر جرّار، فأقام العسكر بالحجون، ودخل مكة منفرداً مع نفر له، ملبياً محرماً. وأقام بعد قضاء نسكه عشرة أيام، وعاد إلى بلده، فعاد إليها الشريف إدريس وأبو نمي[٢].

وفي سنة ستمائة وإحدى وستين وقعت فتنة بعرفة، ولزم فيها راجح بن إدريس أمير ينبع، وأُخذ إلى مصر، وكان يوماً شديد الحر، وعطش الناس بعرفة حتى بيعت سخلة بأربعة دنانير.

واستمرّا متوليين إلى سنة سبع وستين وستمائة، فانفرد بها أبو نمي وأخرج منها إدريس[٣]. انتهى ما ذكره السنجاري[٤].

وفي إتحاف الورى[٥]: وفي سنة سبع وستين وستمائة وقع بين أبي نمي وعمه إدريس خلف، فأخرج أبو نمي عمه إدريس من مكة، وانفرد بالإمرة،

---

(١) إتحاف الورى (٣/٨٢).

(٢) انظر: منائح الكرم (٢/٣١٨-٣١٩)، وسمط النجوم (٤/٢٣٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٣٠) وفيه حجه سنة ٦٥٥.

(٣) انظر: سمط النجوم (٤/٢٣٨).

(٤) منائح الكرم (٢/٣١٩-٣٢٠).

(٥) إتحاف الورى (٣/٩٣). وانظر: العقد الثمين (٢/١٥١)، وغاية المرام (٢/١٢-١٣).

وخطب لصاحب مصر الظاهر بيبرس البُنْدقدَاري الصالحي[١]، وكتب إليه أبو نمي يذكر: أنه لما شاهد من عمه إدريس مَيْلاً إلى صاحب اليمن وتحامُلاً على دولته أخرجه من مكة، وانفرد بالإمرة، وخطب له، وأرسل مرسومه إلى أمراء المدينة أن لا يُنجدوا عمه عليه، فاشترط عليه صاحب مصر تسبيل بيت الله للعاكف والباد [وألا يُؤخذ عنه حقّ][٢]، ولا يمنع [زائر][٣] في ليل أو نهار، وأن لا يتعرض إلى تاجر ولا حاج بظلم، وأن تكون الخطبة والسكة له، ولأبي نمي على ذلك عشرون ألف درهم في كل سنة.

فلما ورد جواب أبي نمي إلى صاحب مصر بالتزام ذلك كتب له تقليداً بالإمرة بمفرده. وبعد أن خرج إدريس بن قتادة من مكة جمع جنداً ورجع إلى مكة، ثم اصطلح مع أبي نمي، واتفقا على طاعة صاحب مصر، وكتب إليه إدريس يعرفه بذلك [فسُلِّمتْ الأوقاف لنوابهما][٤].

وفي ربيع الأول من سنة تسع وستين وستمائة قتل ولد لأبي نمي، ووقع بين أبي نمي وعمه إدريس خلف، فاستظهر إدريس على أبي نمي، وخرج أبو نمي هارباً من بين يدي عمه، وتوجه إلى ينبع واستنجد بصاحبها، وجمع جنداً

(١) انظر ترجمته في: غاية المرام (٢/١٢-١٣)، والأعلام (٢/٧٩).
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى، الموضع السابق، وغاية المرام (٢/١٣).
(٣) في الأصل: زائراً. والتصويب من إتحاف الورى، وغاية المرام، الموضعان السابقان.
(٤) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣/٩٣)، والعقد الثمين (١/٤٥٩) وفيهما: لنوابها، وغاية المرام (٢/١٣).

وقصد مكة – بعد أربعين يوماً من قتل ولده –، فالتقى هو وعمه إدريس بخليص[١] وتحاربا، فطعن أبو نمي إدريس فألقاه عن جواده، ونزل إليه واحتزّ رأسه، واستقلّ بالإمرة[٢].

وفي سنة سبعين وستمائة –في آخر صفر– وصل الأمير جَمَّاز بن شيحة[٣] صاحب المدينة، وغانم بن إدريس بن حسن بن قتادة[٤] وأخذا مكة، وخرج الشريف أبو نمي، ثم بعد أربعين يوماً –في ربيع الآخر– رجع أبو نمي إلى مكة، وهزم جماز بن شيحة ومن معه وملك مكة[٥].

وفي تاسع عشر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وستمائة كانت وقعة بمرّ

---

(١) خليص: وادٍ كثير الماء والزرع، يقع شمال مكة على (١٠٠) كيلاً، يحف به من الغرب جبلا جمدان، ومن الشمال حرة الخليصية، ويصب فيه من الجنوب وادي غُران، وسكانه قبائل من حرب (معجم معالم الحجاز ٣/١٤٩).

(٢) إتحاف الورى (٣/٩٩). وانظر: منائح الكرم (٢/٣٢٠-٣٢١)، والعقد الثمين (١/٤٦٠)، ودرر الفرائد (ص: ٢٨٣)، وخلاصة الكلام (ص:٢٧-٢٨)، وغاية المرام (١/٦٤١، ٢/١٤).

(٣) جماز بن شيحة: تولى إمارة المدينة بعد مقتل أبيه، وقدم مصر فأكرمه الأشرف خليل. تنازل عن الإمارة لابنه منصور. مات عام ٧٠٤، ومدة ولايته ٥٢ عاماً (انظر ترجمته في: غاية المرام ٢/٤٨-٥٣، والعقد الثمين ٣/٤٣٦-٤٤١). وانظر: شفاء الغرام (٢/٣٤٦).

(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٣-٤)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٦)، وغاية المرام (٢/٤٧-٤٨).

(٥) إتحاف الورى (٣/١٠١). وانظر: العقد الثمين (١/٤٦٠-٤٦١)، ومنائح الكرم (٢/٣٢١)، وخلاصة الكلام (ص:٢٨)، (٢/١٥).

الظهران[١] بين أبي نمي صاحب مكة وبين جماز بن شيحة صاحب المدينة، وبين صاحب ينبع إدريس بن حسن بن قتادة، فظهر عليهما أبو نمي، وأسر إدريس، وهرب جماز. وكان عدة من مع أبي نمي: مائتي فارس ومائة وثمانين راجلاً، ومن مع إدريس وجماز مائتين وخمسة عشر فارساً وستمائة راجل[٢].

وفي آخر السنة المذكورة وصل كتاب من الملك الظاهر بيبرس إلى صاحب مكة الشريف أبي نمي، ونسخة الكتاب:

من بيبرس سلطان مصر إلى الشريف الحسيب النسيب أبي نمي محمد بن أبي سعد

أما بعد: فإن الحسنة في نفسها حسنة، وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة، وهي من بيت النبوة أسوأ، وقد بلغنا عنك أيها السيد أنك أبدلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة، وفعلت ما يحمر به الوجه وتسود به الصحيفة، ومن العجب كيف تفعلون القبيح وجدّكم الحسن، وتقاتلون حيث لا تكون فتنة، ولا تقاتلون حيث تكون الفتنة، هذا وأنت من أهل الكرم

(١) مر الظهران: واد فحل من أكبر أودية الحجاز، تقدم التعريف به (ص: ٤٣).
(٢) إتحاف الورى (١٠٥/٣). وانظر: العقد الثمين (٤٦١/١)، وغاية المرام (١٦/٢).

وسكان الحرم!! فكيف آويت المجرم، واستحللت دم المُحْرِم ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨]، فإما أن تقف عند حدِّك، وإلا أغمدنا فيك سيف جدِّك، والسلام.

فكتب إليه أبو نمي:

من محمد بن أبي سعد إلى بيبرس سلطان مصر، أما بعد: فإن المملوك معترف بذنبه تائب إلى ربه، فإن تأخذ فَيَدُكَ الأقوى، وإن تعفو فهو أقرب للتقوى، والسلام[١].

وفي سنة إحدى وثمانين وستمائة[٢] أمر السلطان المنصور قلاوون الصالحي أن يحلف الشريف أبو نمي، فحلف، وصفة يمينه: أخلصت يقيني وأصفيت طويتي، وساويت بين باطني وظاهري في طاعة مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الصالح، وطاعة أولادهما، ووارثي ملكهما، لا أضمر لهم [سوءاً][٣] ولا غدراً في نفس ولا مال ولا سلطنة، وإنني عدوٌ لمن عاداهم، وصديق لمن صادقهم، حَرْبٌ لمن حاربهم، سِلْمٌ لمن سالمهم، وإنني لا يخرجني عن طاعتهم [طاعةُ][٤] أحد غيرهما، ولا ألتفت في ذلك إلى جهة غير

---

(١) إتحاف الورى (٣/١٠٦-١٠٧). وانظر: العقد الثمين (١/٤٦٥-٤٦٦)، ودرر الفرائد (١/٣٧٩)، وغاية المرام (٢/٢٣).

(٢) إتحاف الورى (٣/١١٣-١١٥). ونصّ اليمين كاملاً في: العقد الثمين (١/٤٦٢-٤٦٣). وانظر: السلوك (١/١٥٧)، ودرر الفرائد (ص:٢٨٥)، وغاية المرام (٢/١٨-٢٢).

(٣) في الأصل: سوء. والتصويب من إتحاف الورى (٣/١١٤)، والعقد الثمين (١/٤٦٢)، وغاية المرام (٢/١٨).

(٤) في الأصل: وطاعة. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

جهتهما، ولا أفعل أمراً مخالفاً لما استقر من هذا الأمر، ولا أشرك في تحكيمهما عليَّ ولا على مكة المشرفة -وحرمها وموقف حلها- زيداً ولا عمراً. وإنني ألتزم ما [اشترطته][(١)] لمولانا السلطان وولده في أمر الكسوة الشريفة المنصورية الواصلة من مصر المحروسة، وتعليقها على الكعبة الشريفة في كل موسم، وأن لا يتقدم علمه علم غيره، وإنني أُسبِّلُ زيارة البيت الحرام أيام موسم الحج [وغيرها][(٢)] للزائرين والطائفين والبادين والعاكفين اللائذين بحرمه، والحاجين والواقفين، وإنني أجتهد في حراستهم من كل عَادٍ بفعله وقوله: ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧]، وإنني أؤمنهم في سربهم، وأُعْذِبُ لهم مناهل شربهم، وإنني -والله- أستمر بتفرد الخطبة والسكة بالاسم الشريف المنصوري، وأفعل في الخدمة فعل المخلص الولي، وإنني -والله- أمتثل مراسيمه امتثال النائب للمستنيب، وأكون لداعي أمره أول سامع مجيب، وإنني ألتزم [بشروط][(٣)] هذه اليمين من أولها إلى آخرها، لا أنقضها.

وقال الفاسي في العقد الثمين[(٤)]: وكان حلف أبي نمي [لهذه][(٥)] اليمين

---

(١) في الأصل: أشترطه. والتصويب من إتحاف الورى (١١٤/٣)، والعقد الثمين (٤٦٣/١)، وغاية المرام (١٩/٢).

(٢) قوله: "وغيرها" زيادة من إتحاف الورى، والعقد الثمين، وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٣) في الأصل: شروط. والمثبت من إتحاف الورى (١١٥/٣)، والعقد الثمين، وغاية المرام، الموضعان السابقان.

(٤) العقد الثمين (٤٦٣/١-٤٦٤).

(٥) في الأصل: بهذه. والمثبت من العقد الثمين (٤٦٣/١).

في سنة إحدى وثمانين وستمائة، على ما ذكر شيخنا العدل ناصر الدين بن الفرات.

وقد رأيت ما يدل على أن أبا نمي لم يف ببعض هذه اليمين؛ لأني وجدت بخط ابن محفوظ: أن في آخر يوم من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة خطب للملك المظفر صاحب اليمن، وقطعت خطبة خليل بن المنصور بعد أن خُطب له في أولها. ولعل أبا نمي تأوّل أن الأشرف خليل بن المنصور قلاوون لم يدخل في يمينه للمنصور وابنه الصالح؛ لكون الأشرف لم يسم فيها، فإن كان تأوّل ذلك فهو تأويل غير مستقيم؛ لدخوله في قوله في اليمين: "وطاعة أولادهما".

وأظن أن الحامل لأبي نمي على تقديم صاحب اليمن على صاحب مصر؛ كون صلته أعظم من صلة صاحب مصر؛ لأن العاقل لا يفعل أمراً يلحقه فيه ضرر إلا لنفع أكبر، وكانت صلة صاحب اليمن لأبي نمي عظيمة، على ما وجدتُ في مقدارها؛ لأن بعض الناس ذكرها، وذكر شيئاً من حال صاحب اليمن بمكة، وحال أبي نمي معه، وذلك مما يَحْسُن ذكره هنا. ونص ذلك:

وقد كان الملك المؤيد لما تسلطن جهَّز تلك السنة [علمه][1] المنصور ومحمل الحج السعيد صحبة القائد ابن زاكي، فتلقاه الشريف

(١) في الأصل: على. والمثبت من العقد الثمين (١/٤٦٤)، والعقود اللؤلؤية (١/٣٣٥).

[أبو][١] نمي صاحب مكة بالإجلال والإكرام، وخفقت ذوائب العلم المنصور على جبل التعريف بعرفة، وأعلن مؤذنه على قبة زمزم بمناقب السلطان على رؤوس الأشهاد، وسمع تلك الأوصاف من ضمه ذلك المقام الشريف، وحلف للسلطان الملك المؤيد الأيمان الغليظة، [ولبس][٢] على قميصه ما يقتضي ما جرت به العادة.

ووصل إلى الشريف المذكور ما اقتضته المواهبُ السلطانية مما كان قرَّره [الخليفة][٣] من العين، والغلة، والكساوى، والطِّيب[٤]، والمِسْك[٥]، والعُود[٦]، والصَّنْدَل[٧]، والعنبر[٨]، والثياب الملونة، والخلع النفيسة. وكان

---

(١) في الأصل: أبي. والتصويب من العقد الثمين (٤٦٤/١)، والعقود اللؤلؤية (٣٣٥/١)، وغاية المرام (١٩/٢).

(٢) في الأصل والعقد الثمين: وكتب. والتصويب من العقود اللؤلؤية وغاية المرام، الموضعان السابقان.

(٣) في الأصل: للخليفة. والتصويب من العقد الثمين والعقود اللؤلؤية وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٤) الطيب: ما يُتَطَيَّبُ به من عطر ونحوه (المعجم الوسيط ٥٧٣/٢).

(٥) المسك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان، وأجوده في الرائحة والنظر ما كان تُفَّاحياً تشبه رائحته رائحة التفاح اللبناني، وكان لونه يغلب عليه الصُّفرة (المعجم الوسيط ٨٦٩/٢، وصبح الأعشى ١٢٨/٢).

(٦) العود: ضربٌ من الطِّيب يُتَبَخَّرُ به، وأجوده ما كان صُلباً، ظاهر الرطوبة، كثير المائية والدهنية، الذي له صبر على النار وغليان، وبقاء في الثياب. وأفضل ألوانه: الأسود (المعجم الوسيط ٦٣٥/٢، وصبح الأعشى ١٣٤/٢).

(٧) الصندل: شجر خشبه طيب الرائحة يظهر طيبها بالدّلك أو بالإحراق، يؤتى به من سُفالة الهند (المعجم الوسيط ٥٢٥/١، وصبح الأعشى ١٣٧/٢).

(٨) العنبر: سبق الحديث عنه (ص: ٨٣) هامش (٤).

مبلغ العين: ثمانون ألف درهم، ومبلغ الغلة: أربعمائة [مُدّ][1]. انتهى من كتاب العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية[2] لبعض مؤرخي اليمن في عصرنا.

والذي يصل لصاحب مكة من صاحب مصر نحو ربع ذلك أو أقل، ومبلغ الطعام المذكور بكيل مكة: ألف غرارة، ومائتا غرارة مكية، وذلك في عصرنا. والخليفة المشار إليه هو الملك المظفر، والد الملك المؤيد.

ووجدت بخط ابن محفوظ أيضاً: أن أمير الركب في سنة اثنتين وتسعين وستمائة استحلف أبا نمي على الرواح إلى مصر، وأعطاه ألف دينار، فعزم في سنة [ثلاث][3] وتسعين وستمائة، ثم رجع من ينبع لما بلغه موت الأشرف. انتهى.

وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة تزوج أمير المدينة جمَّاز بن شيحة [خزيمة][4] بنت أبي نمي، وبنى بها في ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة. انتهى[5].

---

(١) قوله: "مد" زيادة من العقد الثمين (٤٦٤/١)، والعقود اللؤلؤية (٣٣٥/١)، وغاية المرام (١٩/٢).

(٢) العقود اللؤلؤية (٣٣٥/١). وانظر: هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٦٤-١٦٥).

(٣) في الأصل: اثنين. والمثبت من العقد الثمين (٤٦٤/١)، وغاية المرام (٢٢/٢).

(٤) في الأصل: حزيمة. والتصويب من إتحاف الورى (١١٥/٣)، والعقد الثمين (٤٦١/١)، وغاية المرام (١٧/٢).

(٥) إتحاف الورى (١١٥/٣)، والعقد الثمين (٤٦١/١)، وغاية المرام (١٧/٢).

قال العصامي في سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي[١]: وفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة كانت فتنة بين أبي نمي وبين واحد من أبناء أخيه؛ لأجل ما يؤخذ منه من الحاج، قيل: كانوا يأخذون من حج اليماني من كل جمل ثلاثين درهماً، [ومن حاج مصر على كل جمل خمسين درهماً][٢]، ومع هذا لا يسلمون من النهب والعسف. فلما حج الظاهر بيبرس أزاله، ثم أعادوه، فأرسل الملك المظفر عسكراً ملكوا مكة، فجمع أبو نمي عسكراً ودخل إلى مكة، وأخرج عسكر اليمن، وزاد على الحجاج في الجباية، وقصده جيش مصر، فلما وصلوا إلى قرب مكة قفل أبو نمي أبواب سور مكة، ومنعهم من الدخول، فاجتمع الحجاج فهزموه وأحرقوا باب المعلاة، ودخلوا مكة هجماً بعد فرار أبي نمي من مكة زمن الحج، فخشي الملك من عوده، فترك فيها ثلاثة آلاف فارس مع نائب من قِبَله فأقاموا بها، فاتفق أن ألفاً خرجوا منهم للتنزه، فكمن لهم الشريف أبو نمي في خيل ورجل بمسجد الخيف، فلما عادوا قاصدين إلى مكة هجم عليهم فقصد أميرهم فقتله، ثم قال: من قتل فارساً فله فرسه، فعاد أكثر رجالته خيالة، ثم صَدَقُوا المحاربة [والمجالدة معه][٣] فكسروا الألف عن آخرهم، [وانتصروا][٤]، وغنموا خيولهم وسلاحهم، وتفكك منهم أفراد فلحقوا بالباقين بمكة وعرفوا أن لا طاقة بهم، فهرب الجميع إلى

---

(١) سمط النجوم (٤/٢٣٩-٢٤٠). وانظر: إتحاف الورى (٣/١١٦)، ومنائح الكرم (٢/٣٢٢-٣٢٣)، وغاية المرام (٢/٢٦).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من سمط النجوم (٤/٢٣٩)، وإتحاف الورى (٣/١١٦).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من سمط النجوم، الموضع السابق.

(٤) قوله: "وانتصروا" زيادة من سمط النجوم، الموضع السابق.

مصر، فلما بلغ ذلك ملك مصر جهز جيشاً كثيفاً لقتال أبي نمي المذكور، ثم عزم على الوصول إلى مكة بنفسه، فأتاه بعض العلماء الصالحين وسأله عن توجهه فقال: إنه [القتل][١] الشريف أبي نمي وأهله، فقال له ذلك العالم: إنك حسَّنْت العبارة، ولكن الناس يقولون: إنك ذاهب إلى حرم الله تعالى وقَتْلِ أولاد حبيبه رسول الله ﷺ، فوقع ذلك من الملك موقعاً، ورجع عن عزمه، ثم أرسل إلى الشريف أبي نمي بالمراسيل والهدايا والكلام اللين حتى زالت الوحشة بينهما، وأقرّه على إمرة مكة[٢].

وقال ابن فهد[٣]: وفي سنة سبع وثمانين وستمائة حارب جماز بن شيحة صهره الشريف [أبا][٤] نمي، فإنه طلب من المنصور قلاوون عسكراً، فسيَّر له عسكراً مقدمه أمير يقال له: الجكاجكي، فتوجهوا إلى مكة وأخذوها، وأخرجوا أبا نمي منها، وخُطِبَ لجماز، وضربت السكة باسمه، وبقيت في يده مدة يسيرة.

ثم إن امرأة يقال لها: أم هَجْرَس –من [صبايا خزيمة][٥]– بنت أبي نمي

(١) في الأصل: يقتل. والتصويب من سمط النجوم، الموضع السابق، وغاية المرام (٤١/٢).

(٢) انظر: منائح الكرم (٣٢٢/٢-٣٢٣)، وخلاصة الكلام (ص:٢٨)، وهامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٦٢-١٦٣)، وغاية المرام (٤١/٢).

(٣) إتحاف الورى (١١٨/٣-١١٩). وانظر: العقد الثمين (٤٦١/١-٤٦٢)، وغاية المرام (١٧/٢-١٨).

(٤) في الأصل: أبو. والتصويب من إتحاف الورى (١١٨/٣).

(٥) في الأصل: سبايا حزيمة. والتصويب من إتحاف الورى (١١٩/٣)، والعقد الثمين (٤٦٢/١)، وغاية المرام (١٧/٢).

زوجة جماز سَقَتْ الأمير جماز سُمّاً، فاضطرب له جسمه، وحصل بين [الجكاجكي][١] وبين أبي نمي مراسلة في الباطن؛ فعرف جماز أنه مغلوب، فرحل عن مكة، فأخذ مكة منه نواب أبي نمي، ووصل جماز إلى المدينة وهو عليل من السُّم، فلم يزالوا يعالجونه حتى برئ، وأرسل الأمير جماز بالجكاجكي مقيداً إلى السلطان فحبسه، ولم تزل مكة في يد أبي نمي إلى أن توفي.

وفي سنة تسع وثمانين وستمائة[٢] وقع بين أهل مكة والحجاج فتنة، فاقتتلوا عند درب الثنية –أعني الشبيكة[٣]–، وانتهى الأمر إلى أن شُهِرَ بالمسجد الحرام من السيوف نحواً من عشرة آلاف سيف، وقُتل من الفريقين نحو أربعين نفراً –على ما قيل–، منهم ولد الشريف أحمد بن علي بن قتادة، [قُتِلَ][٤] بسهم، وجُرح خلق كثير، ونُهبت الأموال، ولو أراد أبو نمي نَهْبَ الجميع لتم له ذلك، إلا أنه ثبت[٥]. انتهى.

قال الفاسي في العقد الثمين[٦]: قد أثنى على أبي نمي غير واحد من

---

(١) في الأصل: الجلاجكي. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين، الموضعان السابقان، وغاية المرام (١٧/٢).

(٢) إتحاف الورى (١٢٠/٣).

(٣) الشبيكة: سبق التعريف بها في (ص: ١٠٠).

(٤) قوله: "قتل" زيادة من إتحاف الورى، الموضع السابق.

(٥) انظر: العقد الثمين (٤٦٦/١)، ومنائح الكرم (٣٢٤/٢)، وخلاصة الكلام (ص:٢٨)، وهامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٦٤)، وغاية المرام (٢٦/٢).

(٦) العقد الثمين (٤٦٦/١–٤٦٧). وانظر: هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام، الموضع السابق، وغاية المرام (٢٦/٢–٢٧).

العلماء، مع ذكرهم لشيء من أخباره، منهم: الحافظ الذهبي؛ لأنه قال في "ذيل سير النبلاء" في ترجمة أبي نمي: شيخ ضخم، [أسمر][١] عاقل سايس فارس شجاع محترم محتشم، تملّك مدة طويلة، وله عدة أولاد، وفيه مكارم وسؤدد.

وذكره لي أبو عبدالله الدباهي، فأثنى وقال: لولا المذْهَب لصلُح للخلافة، وكان زيْدياً كأهل بيته. انتهى.

وقال القاضي تاج الدين عبدالباقي اليماني في كتابه "بهجة الزمن في تاريخ اليمن"[٢] بعد أن ذكر وفاة أبي نمي: وكان أميراً كبيراً، [زعيماً][٣] ذا بخت وحظ في الإمرة، [يرغب][٤] إلى الأدب، وله [الإجازات][٥] السنية للشعراء الوافدين عليه؛ بإطلاق الخيل الأصائل في مقابلة القصائد. انتهى.

واستمر الشريف أبو نمي منفرداً بمكة إلى سنة سبعمائة وواحد. فلما كان شهر صفر نزل عن ولاية مكة لولديه الشريف حميضة ورميثة، ثم توفي الشريف أبو نمي بعد ذلك بيومين بالجديدة من وادي مَرّ، وحُمل إلى مكة، وصُلي عليه، وطيف بنعشه سبعاً على جري عادهم،

---

(١) في الأصل: السمر. والتصويب من العقد الثمين (٤٦٦/١)، وغاية المرام (٢٦/٢).

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من بهجة الزمن.

(٣) قوله: "زعيماً" زيادة من العقد الثمين (٤٦٧/١)، وغاية المرام (٢٧/٢).

(٤) في الأصل: رغب. والمثبت من العقد الثمين وغاية المرام، الموضعان السابقان.

(٥) في الأصل: الإجازة. والمثبت من العقد الثمين، الموضع السابق.

ودُفن، وبني عليه قبة بالمعلا[١].

قال الطبري في الإتحاف[٢]: كانت لأبي نمي خصال حميدة ووقائع مجيدة. قال ولده حميضة: كانت لأبي خمس خصال: العز، والكرم، والحلم، والشجاعة، والشعر.

وكانت إمارته شريكاً ومستقلاً نحو خمسين سنة، وكان يكنى أبا مهدي ويلقب بنجم الدين، وكان قد أناف على السبعين، وله من الولد ثلاثون ذكراً، واثنتي عشرة أنثى، منهم: زيد الأكبر، وزيد الأصغر[٣]، وأبو الغيث[٤]، وشميلة[٥]، [وعطيفة][٦]، ورميثة[٧]، وسيف[٨]، ووليد، ومقبل[٩]، وحميضة[١٠]، وعبدالله.

---

(١) انظر: منائح الكرم (٢/٣٢٤-٣٢٥)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٦)، وإتحاف الورى (١/١٣٤)، وخلاصة الكلام (ص:٢٨)، وغاية المرام (٢/٣٨).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (١/١٣٣-١٣٤). وانظر: غاية المرام (٢/٣٥).

(٣) ترجم الفاسي في العقد الثمين (٤/٤٨٣-٤٨٤) لأحدهما وقال: لا أدري هل هو زيد الأكبر أو زيد الأصغر.

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٤٧)، وغاية المرام (٢/١١١-١١٣)، والعقد الثمين (٨/٧٩-٨٠)، والدرر الكامنة (٤/٢٥٦).

(٥) شميلة: لم يكن له دور على مسرح السياسة سوى قرض الشعر.

(٦) في الأصل: وعطية. وهو تحريف. وانظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٤٧)، وغاية المرام (٢/١١٣-١٢٩)، والعقد الثمين (٦/٩٥-١٠٥)، والدرر الكامنة (٣/٢٦٩)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٠-٣١)، والأعلام (٤/٢٣٧).

(٧) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤/٤٠٣-٤٢٤)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٦)، وغاية المرام (٢/٧٨-١١١)، والدرر الكامنة (٢/٢٤١-٢٤٢)، وشذرات الذهب (٣/١٤٩-١٥٠)، وخلاصة الكلام (٢٨-٣٠)، والأعلام (٣/٣٣).

(٨) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤/٦٣٣).

(٩) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٢٦٧).

(١٠) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤/٢٣٢)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٦)، وغاية المرام (٢/٥٣)، والدرر الكامنة (٢/١٩٨)، والأعلام (٢/٢٨٥).

ووليا مكة بعد الشريف أبي نمي ابناه حميضة ورميثة في صفر من السنة المتقدمة المذكورة، ودعي لهما على زمزم، واستمرا إلى الموسم، فقبض عليهما[١]. انتهى.

وقال ابن فهد[٢]: اختلف القواد والأشراف بعد موت أبي نمي، فطائفة مالت مع عطيفة وأبي الغيث على أخويهما، ووقعت فتنة، وكان حميضة الغالب، واعتقَلَ عطيفة وأبا الغيث، وأقاما في الحبس مدة، ثم احتالا فخرجا وركبا إلى بعض الأشراف والقواد فمُنِعُوا منهما، ثم توجها إلى الينبع.

ولما وصل الحاج المصري -وأميرهم بيبرس المنصوري الدوادار، وكان خرج من القاهرة أول ذي القعدة، والأمير بيبرس الجاشنكير[٣] ومعه ثلاثون أميراً-، حضر الشريفان أبو الغيث وعطيفة إلى الأمراء المذكورين وشكوا من أخويهما حميضة ورميثة أنهما وثبا عليهما بعد وفاة [أبيهما][٤] واعتقلاهما ففرّا من الاعتقال، فمال الأمراء إليهما وحجا صحبة الأمراء، فلما انقضى الموسم اقتضى رأي الأمراء القبض على حميضة ورميثة تأديباً لهما على ما صدر منهما في حق أخويهما من الإساءة، فلزمهما الأمير بيبرس وسار بهما إلى مصر

---

(١) إتحاف فضلاء الزمن (١٣٦/١). وانظر: شفاء الغرام (٣٤٦/٢).
(٢) إتحاف الورى (١٣٤/٣-١٣٥). وانظر: غاية المرام (٥٤/٢-٥٥، ٨٠).
(٣) في الأصل: الجاشكير. والأمير بيبرس الجاشنكير: أحد القادة المماليك الكبار. تولى فيما بعد سلطنة مصر سنة ٧٠٨ هـ، ولقب بالمظفر، ولم يدم طويلاً -أقل من سنة- (انظر: الجوهر الثمين ص:٣٣٦-٣٤٠، والنجوم الزاهرة ٢٣٢/٨).
(٤) في الأصل: أبيهم. والتصويب من إتحاف الورى (١٣٥/٣).

مقيدين، فحبسا، وأمَّر بمكة أبا الغيث وأخاه عطيفة[١].

وفي سنة ثلاث وسبعمائة[٢] أفرج عن الشريفين حميضة ورميثة من السجن، وأحضرا إلى مجلس السلطان، وخلع عليهما [بكَلَفْتَات زركش][٣]، فلم [يلبسها][٤] حميضة إلا بعد التمنع والتهديد بالعود إلى الحبس، وأُجلسا فوق جميع الأمراء، ونزلا إلى منازلهما، وحمل إليهما سائر ما [يحتاجان إليه][٥]، وهاداهما الأمراء، وأُجريت لهما الرواتب والجرايات والكسوات، وركبا مع السلطان في الميدان، ولعب حميضة مع السلطان بالكرة[٦].

وفي سنة أربع وسبعمائة[٧] حضر الشريفان رميثة وحميضة عند الشيخ

(١) انظر: العقد الثمين (٢٣٣/٤)، ومنائح الكرم (١٣٦/٢-١٣٧)، وخلاصة الكلام (ص:٢٨-٢٩)، وشفاء الغرام (٣٤٧/٢)، وغاية المرام (٥٤/٢، ٨٠)، والعقود اللؤلؤية (٣٣٦/١)، وهامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٦٥-١٦٦).

(٢) إتحاف الورى (١٣٨/٣).

(٣) في الأصل: بكفيات مزركش، وفي درر الفرائد: بكفتان مزركش. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

وكلفتات زركش: يستفاد من التعليقات على كتاب السلوك للمقريزي أن لفظ كلوتة أو لفظ كلفتة أو كلفتاة يدل على نوع من غطاء الرأس، وكانت الكلفتة تلبس وحدها أو بعمامة، وقد استحدث سلاطين الأيوبيين لبس الكلوتات الجوخ الصفراء على رؤوسها بغير عمائم، فلما ولي السلطان المنصور قلاوون سلطنة مصر استحدث الكلوتات الجوخ الصفراء، وفي عهد ابنه الأشرف خليل استحدث الكلوتات الزركش للأمراء، وتركت الكلوتات الجوخ الصفراء لمن دونهم، فلما ملك السلطان الناصر محمد بن قلاوون استجد العمائم الناصرية الصغار.

(٤) في الأصل: يلبسهما. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: يحتاجون. والمثبت من إتحاف الورى، الموضع السابق.

(٦) السلوك (٣٦٩/٢)، ودرر الفرائد (٣٨٧/١) ضمن أحداث سنة ٧٠٢هـ.

(٧) إتحاف الورى (١٤٠/٣-١٤٢).

نصر المَنْبجي(١) في زاويته في القاهرة، وسألاه الشفاعة في العود(٢) إلى لبسهما الذي أَلِفَاهُ في الحجاز، فشفع لهما، فأذن لهما أن يلبسا ما اختاراه من اللباس والزّيّ، ثم رضي عنهما السلطان وأعادهما إلى ولايتهما، فسارا من القاهرة إلى مكة صحبة الركب.

فلما انقضى الحج أحضر الأمير ركن الدين بيبرس أبا الغيث وعطيفة، وأعلمهما أن ملك مصر قد أعاد أخويهما إلى ولايتهما، فلم يقابلا بالسمع والطاعة، وحصلت منهما المنافرة، فقبض عليهما وتوجه بهما إلى مصر، فرتب لهما ما يكفيهما، وصارا يركبان مع الأمراء.

واستمر حميضة ورميثة في الإمرة يُظْهِران حُسْنَ السيرة وجميل السياسة، وأبطلا شيئاً من المكوس(٣).

وفي سنة ثمان وسبعمائة ظَهَرَ من الشريفين حميضة ورميثة من التعسف ما لا يمكن شرحه(٤).

وفي سنة عشر وسبعمائة(٥) حج من الديار المصرية عسكر قوي فيه أمراء

---

(١) هو الشيخ الصالح أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المَنْبجي الحنفي، وكان يقبل عليه ملوك عصره، توفي في جمادى الآخرة سنة ٧١٩هـ (النجوم الزاهرة ٩/٢٤٤).

(٢) في الأصل زيادة: إلى مكة. وانظر: إتحاف الورى (٣/١٤٠).

(٣) العقد الثمين (٤/٢٣٤)، والعقود اللؤلؤية (١/٣٦٢)، ودرر الفرائد (١/٣٨٨). وانظر: هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٦٧)، وغاية المرام (٢/٥٥-٥٦).

(٤) إتحاف الورى (٣/١٤٦)، والعقد الثمين (٤/٢٣٤، ٤٠٦)، ودرر الفرائد (١/٣٨٨)، والعقود اللؤلؤية (١/٣٨٤)، وغاية المرام (٢/٥٦).

(٥) إتحاف الورى (٣/١٤٧)، والعقد الثمين (٤/٢٣٤-٢٣٥)، ودرر الفرائد (١/٣٨٩)، وغاية المرام (٢/٥٦).

الطبلخانات[١]، يريدون لَزْمَ الشريفين حميضة ورميثة، فلما علما بذلك هربا من مكة، ولم يحصل العسكر على قبضهما، فتوجه العسكر إلى الديار المصرية وعادا إلى مكة.

وفي سنة اثني عشر وسبعمائة[٢] فعل حميضة ورميثة ما لا ينبغي؛ من نهب التجار.

وفيها[٣]: حج الناصر محمد بن قلاوون من الكرك ومعه نحو أربعين أميراً، وستة آلاف مملوك على الهجن، ومائة فارس، وكان أمير مكة حميضة ورميثة عدلا عن مكة لما قدمها الناصر تخوفاً منه أن يقبض عليهما، ثم عادا إليها بعد ذهاب الناصر.

وفي سنة ثلاث عشرة وسبعمائة[٤] اتصل بالسلطان شكوى المجاورين والحجاج من أميري مكة؛ حميضة ورميثة، فندب السلطان إلى مكة عسكراً جراراً فيهم من المماليك الأتراك ثلاثمائة وعشرون فارساً، وخمسمائة فارس من أشراف المدينة، خارجاً عما يتبع هؤلاء من المتخطفة والحرامية، وفيهم جماعة

---

(١) أمير طبلخانة: هو الأمير الذي يكن من حقه دق الطبلخانات أمام داره في أوقات معينة، أو أمامه في المواكب الرسمية. انظر: صبح الأعشى: ٤/ ١٥.

(٢) إتحاف الورى (٣/ ١٤٨). وانظر: العقد الثمين (٤/ ٤٠٦)، ودرر الفرائد (١/ ٣٨٩)، وغاية المرام (٢/ ٥٦، ٨٢).

(٣) إتحاف الورى (٣/ ١٤٩). وانظر: العقد الثمين (٤/ ٤٠٦)، ودرر الفرائد (١/ ٣٨٩)، ومنائح الكرم (٢/ ٣٢٩)، وخلاصة الكلام (ص:٢٩)، والعقود اللؤلؤية (١/ ٤٠٢)، وغاية المرام (٢/ ٥٦).

(٤) إتحاف الورى (٣/ ١٥٠-١٥١). وانظر: العقد الثمين (٤/ ٢٣٥-٢٣٧)، ودرر الفرائد (١/ ٣٨٩)، ومنائح الكرم (٢/ ٣٢٩)، وخلاصة الكلام (ص:٢٩)، والعقود اللؤلؤية (١/ ٤٠٧)، والسلوك (٢/ ٤٨٨)، وغاية المرام (٢/ ٥٧-٥٨، ٨٢-٨٣).

من الأمراء، وفيهم سيف الدين [طَقْصُبا][(١)] الناصري والي قوص، وهو المقدم على الجيش، وسيف الدين [بَكْتَمُر][(٢)]، وصارم الدين صارُوجا الحسامي، وعلاء الدين الخوارزمي، وجهز أبا الغيث بن أبي نمي معه، وتوجهوا في شوال في جملة الركب، وجَرَّدَ من دمشق -"الجريدة: جماعة الخيل لا رجّالة فيها، جمعه جرد. اهـ[(٣)]"- مع الأمير سيف الدين بَلَبان البدري[(٤)]. فلما علم حميضة ورميثة بأمرهم هربا إلى صوب حَلْي.

فلما انقضى الموسم وخرج الحاج توجه جميع الأمراء المجردين صحبة أمير الحاج المصري بلبان الشمسي، وأقام الأمير [طَقْصُبا][(٥)] بالعسكر حتى رتَّب الشريف أبا الغيث في إمارة مكة وأقام هو معه.

وفي سنة أربع عشرة وسبعمائة[(٦)] في المحرم سار أبو الغيث والأمير طَقْصبا إلى صوب حَلْي؛ بسبب حميضة ورميثة، فسارا قدر مرحلتين ولم يجدا خبراً عنهما؛ لأنهما لحقا ببلاد السراة، ووصل أبو الغيث وطَقْصبا إلى حَلْي، ولم يدخلها طَقْصبا وقال: هذه أوائل بلاد المؤيد، لا أدخلها إلا بمرسوم

---

(١) في الأصل: يقطي. والمثبت من إتحاف الورى (١٥٠/٣) عن النجوم الزاهرة (١٥٢/٨)، وغاية المرام (٥٧/٢).

(٢) في الأصل: يكتمر. والتصويب من إتحاف الورى (١٥٠/٣)، والعقد الثمين (٢٣٦/٤). وانظر ترجمته في: الدرر الكاملة (٢٠/٢).

(٣) لسان العرب، مادة: جرد.

(٤) كذا في الأصل وإتحاف الورى. وفي العقد الثمين وغاية المرام: تتري.

(٥) في الأصل: تقصي. وكذا وردت في المواضع التالية، والمثبت من إتحاف الورى (١٥١/٣).

(٦) إتحاف الورى (١٥١/٣-١٥٢). وانظر: غاية المرام (٥٧/٢، ٥٨، ٨٣)، والعقود اللؤلؤية (٤١٠/١).

الناصر، فعاد على عقبه، فقصر أبو الغيث في حق العسكر وضاق [بهم][١]، ونفر منهم، وأظهر لهم الاستغناء عنهم، فأخذوا خَطَّه بذلك، وعادوا وتوجهوا من عنده في ربيع الأول.

وقيل: إن الجلب قلّ وصوله إلى مكة، ولم تمطر مكة، فكثرت كُلَف العسكر، واحتاجوا إلى السفر، فأشهدَ عليهم أبو الغيث أنه أذن لهم في السفر، وكتب بذلك إلى السلطان[٢].

فلما علم حميضة بمفارقة الجيش [لمكة][٣] عاد إليها بجمع، وقاتل أخاه أبا الغيث، وقتل من أصحاب أبي الغيث نحو خمسة عشر نفراً، ومن الخيل أكثر من عشرين فرساً، وملك مكة، فانهزم أبو الغيث ولجأ إلى أخواله من هُذيل بوادي نخلة مكسوراً.

ثم إن حميضة أرسل رسولاً وخيلاً تقدمة للسلطان، فحبس رسوله، ولم يرض عنه، وأرسل بعده [أبو][٤] الغيث هدية؛ ووعده بنصره وإرسال عسكر، ويقال: إنه أمر صاحب المدينة بنصره[٥].

وفيها[٦] -في يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة- وقعت حرب بين حميضة وأبي الغيث بالقرب من مكة، [وجُرِحَ][٧] أبو الغيث، ثم ذبح بخيف بني شديد بأمر

---

(١) في الأصل: منهم. والتصويب من إتحاف الورى (١٥٢/٣).
(٢) انظر: السلوك (٤٩٧/٢).
(٣) في الأصل: إلى مكة. والتصويب من إتحاف الورى (١٥٢/٣)، وغاية المرام (٥٨/٢).
(٤) في الأصل: أبي. وهو لحن.
(٥) انظر: العقد الثمين (٨٠/٨)، وغاية المرام (٥٨/٢-٥٩).
(٦) إتحاف الورى (١٥٢/٣-١٥٣).
(٧) في الأصل: وخرج. والتصويب من إتحاف الورى (١٥٣/٣)، والعقد الثمين (٢٣٨/٤)، وغاية المرام (٥٩/٢).

أخيه حميضة، وكان جماعة أبي الغيث أكثر عدداً، ولكن رُزق حميضة النصر واستقر بمكة[١].

وفي منائح الكرم[٢]: قال صاحب العمدة[٣]: إن حميضة قتل أبا الغيث على فراشه، وحمله إلى داره، ثم استدعى إخوانه للضيافة فأتوه، فقدم لهم أخاهم أبا الغيث مصلوقاً في جفنة. وكان قد أوقف على رأس كل واحد منهم عبدين أسودين، في يد كل منهما سيف، فأذعنوا له وصبروا.

فاستمر حميضة مستقلاً بأمر مكة، فانتزعها أخوه رميثة في شعبان سنة سبعمائة وخمس عشرة بولاية من الناصر[٤] أيضاً. انتهى.

وفي سنة خمس عشرة وسبعمائة[٥] تجهز السيد رميثة إلى الأبواب السلطانية بالقاهرة، وأظهر التوبة والتنصّل والاعتذار بسالف ذنوبه، وأنهى أنه استأنف الطاعة، وسأل العفو عنه، وإنجاده على أخيه عز الدين حميضة، فقبل السلطان عُذْرَه وعفى عن ذنوبه، وجرَّد طائفة من العسكر مقدمهم الأمير مجد الدين [دَمُرْخان][٦] بن قرْمان، والأمير سيف الدين

---

(١) انظر: العقد الثمين (٤/٢٣٧-٢٣٨)، ودرر الفرائد (١/٣٨٩)، وسمط النجوم (٤/٢٤٣)، وغاية المرام (٢/٥٩).

(٢) منائح الكرم (٢/٣٣٤). وانظر: غاية المرام (٢/١١٢-١١٣)، وسمط النجوم (٤/٢٤٣)، وخلاصة الكلام (ص:٢٩)، وهامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٦٨).

(٣) عمدة الطالب (ص:١١١).

(٤) أي: محمد بن قلاوون الناصر.

(٥) إتحاف الورى (٣/١٥٣-١٥٤). وانظر: العقد الثمين (٤/٢٣٨، ٤٠٨-٤٠٩)، وغاية المرام (٢/٦٠-٦١، ٨٣-٨٤).

(٦) في الأصل: دمرجان. والتصويب من إتحاف الورى (٣/١٥٣)، والعقد الثمين (٤/٤٠٨). وانظر ترجمته في: الدرر الكامنة (٢/٢٢٨) وذكر وفاته سنة ٧٣٤.

[طَيْدَمُر][1] الجمدار[2]، فتوجَّها هما والأمير أسد الدين إلى الحجاز في ثاني شعبان، ورحلوا من بركة الحاج في رابعه.

وكان السيد حميضة مرض في شعبان، وتغيّر سمعه، وحضر إلى بيت الله الحرام وتاب، وذكر عنه أنه ما يتعرض لأحد من المجاورين ولا التجار ولا غيرهم. ثم بلغ الشريف حميضة بن أبي نمي وصول العسكر مع أخيه رميثة، وأنهم قاربوا مكة، فتوجه قبل وصولهم بستة أيام، وأخذ المال؛ النقد والبَزَّ –وهو مائة حمل–، وأحرق الباقي الذي في الحصن الذي في الجديد بوادي مَرّ، وقطع ألفي نخلة، ثم توجَّه إلى الخلف والخُلَيْف –وهو حصن بينه وبين مكة ستة أيام– والتجأ حميضة إلى صاحبه، وصاهره ليحتمي به، ثم وصل العسكر إلى مكة يوم السبت منتصف رمضان وأقاموا بها ثلاثة عشر يوماً، وتوجهوا إلى الخلف والخليف، وأخذ جميع أموال حميضة وخزانته، ونهب الحصن وأحرق، وأسر ولد حميضة ابن [اثنتي][3] عشرة سنة، وسُلِّم إلى عمّه رميثة، ثم رجع الجيش إلى مكة فوصلوها في خامس عشر ذي القعدة، واستقرّوا إلى أن حضروا الموقف ورجعوا مع المصريين، واستقر الأمير رميثة بمكة ونجا حميضة بنفسه، ولحق بالعراق[4].

---

(١) في الأصل: طندمر. والتصويب من إتحاف الورى (١٥٣/٣)، والعقد الثمين (٤٠٨/٤)، وغاية المرام (٨٤/٢).

(٢) الجمدار: هو الذي يلازم السلطان حتى وقت نومه، وهو الذي يتولى إلباس السلطان أو الأمير ثيابه، وأصله: جاما دار، وهو مركب من (جاما) أي الثوب بالفارسية، ومن (دار) أي ممسك (معيد النعم ومبيد النقم ص:٣٥).

(٣) في الأصل: اثنى. والتصويب من إتحاف الورى (١٥٣/٣)، وغاية المرام (٦٠/٢).

(٤) انظر: منائح الكرم (٣٣٤/٢–٣٣٥)، وخلاصة الكلام (ص:٢٩)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٣٧/١)، وغاية المرام (٦٠/٢).

[وفي][1] سنة ست عشرة وسبعمائة[2] [لحق الشريف حميضة بن أبي نمي][3] بخدابنده[4] ملك التتار، وأقام ببلاده أشهراً، وطلب منه جيشاً يغزو به مكة، وساعدوه جماعة من الرافضة على ذلك، وجَهَّزُوا له جمعاً من خُراسان، وكانوا مهتمين بذلك، وكان مقدمهم [درقندي][5] – وقيل دقلندي وهو رافضي من أعيان دولة التتار–، وكان قد قام بنصر الشريف حميضة، وجمع له من الأموال والرجال على أن يأخذ له مكة ويقيمه بها، وأنهم ينقلوا الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من جوار النبي ﷺ.

ثم إن الأمير محمد بن عيسى أخا مُهَنَّا بلغه الخبر –وكانت إقامته مدة ببلاد التتار قد خرج من طاعة السلطان– فجمع من العربان نحو أربعة آلاف

---

(١) في الأصل: في.

(٢) إتحاف الورى (٣/١٥٥-١٥٦). وانظر: العقد الثمين (٤/٢٣٩-٢٤٠)، وغاية المرام (٢/٦١-٦٣).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣/١٥٥). وانظر غاية المرام (٢/٦١).

(٤) خدابنده أو خربندا: هو خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولو بن جنكيز خان، يقال: إن أباه كان كلما ولد له ولد يموت صغيراً، فقال له بعض الأتراك: إذا جاءك ولد فسمّه اسماً قبيحاً ليعيش، فلما ولد له هذا سماه خربندا، ومعناه: عبد الحمار. فلما كبر خربندا وملك البلاد كره هذا الاسم واستقبحه، فجعله خُدَابَنْدا، ومعناه: عبد الله. ولما أسلم تسمى بمحمد، واقتدى بالكتاب والسُّنَّة، وصار يحب أهل الدين والصلاح، ثم اجتمع به الرافضي تاج الدين الآوي، وصيّره رافضياً. توفي سنة ٧١٦ هـ (البداية والنهاية ١٤/٧٧، والنجوم الزاهرة ٩/٢٣٨).

(٥) في الأصل: دواقندي. والتصويب من إتحاف الورى (٣/١٥٥)، والعقد الثمين (٤/٢٤٠).

فارس وقصدهم في ذي الحجة وقاتلهم ونهبهم، وكسب العسكر منهم أموالاً عظيمة من الذهب والدراهم، حتى إن فيهم جماعة حصل للواحد منهم نحو ألف دينار، غير الدواب والسلاح وغير ذلك، وأخذوا الفؤوس والمجاريف التي كانوا قد هيّئوها لنبْش الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وفي منائح الكرم[١]: ولما هرب حميضة إلى العراق وقصد السلطان خدابنده أكرمه وأنعم عليه، فلما رأى إقباله عليه حسَّنَ له أن يعينه على أخذ مكة، ووعده بأن يخطب له بها، فعيَّن له عشرة آلاف من العسكر، وأمَّرَ عليهم السيد طالباً الأفطس، [وأرسل حميضة إلى أمراء العرب فأجابوه. وأهمَّ ذلك أهل الشام، فلجؤوا إلى أمراء طيء وقومهم، وهم عرب كثيرون.

واتفق وفاة السلطان خدابندا في أثناء ذلك، وكان بين الوزير رشيد الدين وبين السيد طالب الأفطس][٢] عداوة، فكاتب الوزير العسكر، وذكر لهم موت السلطان، فحصل فيهم الاختلاف، وثارت عليهم العرب الذين مع الشريف حميضة، فنهبت العرب العسكر، وكانت بينهم مقتلة.

وقاتل الشريف حميضة العرب قتالاً شديداً يومئذ، حتى قال الأفطس: ما زلت أسمع بحملات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حتى شاهدتها من الشريف حميضة معاينة. انتهى.

---

(١) منائح الكرم (٢/٣٣٥-٣٣٦)، وانظر: إتحاف فضلاء الزمن (١/١٣٨)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٩-٣٠).
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من منائح الكرم (٢/٣٣٦).

وفي سنة سبع عشرة وسبعمائة[١] قدم الشريف حميضة من بلاد العراق على فَرَسٍ واحدٍ مسافة عشرين ليلة، ومعه اثنان من أعيان التتار، وهما دَرْقَنْدي ومَلِكْ شَاه، ومعهم ثلاثة وعشرون راحلة، فأقاموا بنخلة، وكانوا قد [لقوا][٢] في طريقهم شِدَّة من العراق إلى الحجاز، وكتب حميضة إلى أخيه رميثة ليستأذنه في دخول مكة، فمنعه من ذلك إلا بعد إذن السلطان، وأرسل إلى السلطان كتاباً يخبره بذلك، فكتب السلطان إلى حميضة أنه إن حضر إلى الديار المصرية على عَزْم الإقامة بها قابله بالأمان، وسامحه بذنوبه السالفة، وأما الحجاز فلا يقيم به، وكتب إلى دَرْقَنْدي ومَلِكْ شَاه بالأمان وأن يحضرا، وأرسل [الأميرين][٣] سيف الدين أَيْتَمُش المحمدي وسيف الدين بَهادُر الصعيدي[٤] أمير علم[٥] وأمرهما أن يستصحب كل واحد منهما عشرة من غلمانه، وجرّد معهما من كل أمير مائة[٦]

---

(١) إتحاف الورى (٣/١٥٦-١٥٧). وانظر: العقد الثمين (٤/٢٤٠-٢٤١)، وغاية المرام (٢/٦٢-٦٤)، وسمط النجوم (٤/٢٤٤-٢٤٥)، ودرر الفرائد (١/٣٩٠)، والسلوك (٢/٥٢٦)، ومنائح الكرم (٢/٣٣٧-٣٣٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٣٨-١٣٩)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٠).

(٢) في الأصل: لقيوا. والتصويب من المراجع السابقة.

(٣) في الأصل: الأمير. والتصويب من المراجع السابقة.

(٤) في إتحاف الورى وغاية: السعدي. وفي العقد الثمين: السعيدي.

(٥) أمير علم: هو الذي يتولى أمر الأعلام السلطانية والطبلخاناه وما يجري مجرى ذلك، ومن حقه تهييج العساكر على الإقدام والمبارزة (صبح الأعشى ٥/٤٢٨، ومعيد النعم ومبيد النقم ص:٣٧).

(٦) أمير المائة: هو الذي يملك مائة مملوك أو أكثر، وقد يكون مقدم ألف، أي تحت قيادته ألف جندي أو أكثر (انظر: خطط المقريزي ٣/٣٥٠).

[جنديين][1]، ومن كل أمير طبلخانة[2] جندياً واحداً، وتوجها إلى مكة لإحضار حميضة ومن حضر من التتار، فتوجَّها في يوم السبت سادس عشر ربيع الأول بمن معهما، فوصلا إلى مكة وأرسلا إلى حميضة في معاودة الطاعة، وأن يتوجه معهما إلى الأبواب السلطانية، فاعتذر أنه ليس معه من المال ما ينفقه على نفسه ومن معه في سفره، فطلب منهما ما يستعين به على ذلك فأعطياه، فلما قبض المال تغيب، وعاد الأميران إلى القاهرة، فوصلاها في يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة.

وفي السنة المذكورة[3] -أو في أول التي بعدها- بعد عود الحاج من مكة وثب الأمير عز الدين حميضة على أخيه أسد الدين رميثة بموافقة العبيد وأخرجه من مكة، فتوجه رميثة إلى نخلة، واستولى حميضة على مكة، وقطع الخطبة السلطانية، وخطب لملك العراق أبي سعيد بن خَرْبَنْده، وأخذ أموال التجار.

وفيها[4]: حج الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأخوه محمد في عدةٍ من عرب آل فضل، بلغت عدتهم نحو اثني عشر ألف راحلة.

---

(١) في الأصل: جندي. وهو خطأ، والتصويب من إتحاف الورى (١٥٧/٣).

(٢) سبق التعريف به (ص: ١٦٧).

(٣) إتحاف الورى (١٥٨/٣). وانظر: العقد الثمين (٢٤١/٤)، وغاية المرام (٦٤/٢، ٨٥)، وسمط النجوم (٢٤٥/٤)، ودرر الفرائد (٣٩١/١)، والسلوك (٥٢٦/٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٣٩/١)، ومنائح الكرم (٣٣٨/٢-٣٣٩)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٠).

(٤) إتحاف الورى (١٥٨/٣).

وفي سنة ثمانٍ عشرة وسبعمائة[1] -في صفر- اتصل العِلْم بالسلطان الناصر صاحب مصر بفعل الشريف حميضة، فأمر السلطان بتجريد جماعة من أقوياء العسكر، فجرّد الأمير صارم الدين أُزْبك الجرمكي، والأمير سيف الدين بَهادُر الإبراهيمي، والأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركماني، وأجناد الأمراء مع كل أمير مائة [فارسين][2]، ومع كل أمير طلبخانة جندياً، فاجتمع ثلاثمائة فارس، وأمرهم بالمسير إلى مكة، وأن لا يعودوا إلى الديار المصرية حتى يظفروا بحميضة، فتوجهوا في العشر الأخير من ربيع الأول، ووصلوا إلى مكة ومنعوا العبيد من حمل السلاح بمكة، وأخرجوا المفسدين ونادوا بالعدل.

فلما توجه الإبراهيمي لمحاربة حميضة والقبض عليه ركب إليه، وتقاربا من بعضهما، وباتا على ذلك. ولم يقدم الإبراهيمي على مواجهة حميضة والقبض عليه، فاقتضى رأي أمير الحاج المصري الأمير علاء الدين مُغْلَطاي الجمالي القبض على الإبراهيمي وعلى رميثة، ونسب إليه مباطنته مع أخيه حميضة،

---

(١) إتحاف الورى (٣/١٥٩-١٦٠). وانظر: العقد الثمين (٤/٢٤٢)، وغاية المرام (٢/٦٤-٦٥، ٨٥-٨٦)، وسمط النجوم (٤/٢٤٥)، والسلوك (٣/١٣) ضمن سنة ٧١٩، ومنائح الكرم (٢/٣٣٩).

(٢) في الأصل: فرس. والتصويب من إتحاف الورى (٣/١٥٩)، وغاية المرام (٢/٦٥).

وأن الذي يفعله حميضة من [التشعيث][١] باتفاق رميثة، وكان القبض عليهما في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي الحجة بعد انقضاء أيام التشريق، وحملا إلى مصر تحت الاحتفاظ، فسار بهما إلى القاهرة.

وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة[٢] -في يوم الخميس سابع المحرم- وصل الأمير شمس الدين آق سُنْقُر الناصري من أرض الحجاز إلى قلعة الجبل، ووردت الأخبار معه، أنه قُبِضَ على الأمير أسد الدين رميثة [أمير مكة في رابع عشر الحجة، وعلى الأمير سيف الدين بَهادُر الإبراهيمي، بسبب ما تقدم، واتصل بالسلطان أيضاً أن الإبراهيمي ارتكب فواحش عظيمة بمكة، فرسم بالقبض عليهما، ووصل الأمير أسد الدين رميثة][٣] ورسم عليه بالأبواب السلطانية أياماً، ثم حصلت الشفاعة فيه فرفع عنه الترسيم، وأكرمه السلطان، وأجرى عليه في كل شهر ألف درهم، وأقام يتردد إلى الخدمة السلطانية مع الأمراء إلى أثناء ربيع الآخر، فحضر إلى الخدمة في يوم الاثنين رابع عشر، ثم ركب في عشية النهار على هُجن أعدت له وهرب نحو الحجاز. فعلم السلطان بذلك في يوم الثلاثاء، فجرّد خلفه جماعة من

---

(١) في الأصل: التشعب. والمثبت من إتحاف الورى (٣/١٦٠)، والعقد الثمين (٤/٢٤٢)، وغاية المرام (٢/٦٥).

(٢) إتحاف الورى (٣/١٦٢-١٦٣). وانظر: العقد الثمين (٤/٤٠٩-٤١١)، وغاية المرام (٢/٨٦-٨٧)، وسمط النجوم (٤/٢٤٥)، ومنائح الكرم (٢/١٣)، والسلوك (٣/١٣، ١٦).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣/١٦٢).

عُرْبان [العايد][١]، فتوجهوا خلفه فوصلوا إلى مترلة حَقل[٢] -وهي بقرب أيلة مما يلي الحجاز- فأدركوه نازلاً في المترلة، فقبضوا عليه وأعادوه إلى الباب السلطاني، فرسم السلطان باعتقاله في الجب، فاعتقل.

ويقال إن السلطان لما علم بهزيمة السيد رميثة كتب إلى شيخ آل حرب يقول له: هذا هرب على بلادك معتمداً عليك ولا أعرفه إلا منك. فركب شيخ آل حرب بالهجن السَّبَق، وسار خلفه مجدّاً، فأدركه نائماً تحت عقبة أيلة[٣]، فجلس عند رأسه وقال: اجلس يا أسود الوجه، فانتبه رميثة، وقال: صدقت والله، لو لم أكن أسود الوجه لما نمت هذه النومة المشئومة حتى أدركتني، فَقَبَضَ عليه وحمله إلى حضرة السلطان، فألقاه في السجن وضيّق عليه، فوجع في السجن ورمى الدم.

وفيها[٤] -في المحرم- ولى السلطان الناصر عطيفة بن أبي نمي[٥] إمرة

---

(١) في الأصل: القايد. والتصويب من إتحاف الورى (١٦٢/٣)، وغاية المرام (٨٦/٢). وفي العقد الثمين: العابد.

(٢) حقل: ساحل تيماء، دون أيلة بستة عشر ميلاً (معجم معالم الحجاز ٤٠/٣).

(٣) عقبة أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام (معجم البلدان ٢٩٢/١). وتعرف الآن بالعقبة، وهي ميناء بحري على خليج العقبة بشرق الأردن، وكانت تابعة لمصر من قبل، وكانت من محطات الحجاج للراحة.

(٤) إتحاف الورى (١٦٣/٣-١٦٤). وانظر: السلوك (١٦/٣)، والعقد الثمين (٩٦/٦)، وغاية المرام (١١٤/٢-١١٥)، وسمط النجوم (٢٤٦/٤)، ومنائح الكرم (٣٣٩/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٠).

(٥) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٩٥/٦-١٠٥)، وغاية المرام (١١٣/٢-١٢٩)، وشفاء الغرام (٣٤٨/٢)، والجداول المرضية (ص:١٤٥)، وخلاصة الكلام (ص:٣٠-٣١)، والدرر الكامنة (٢٦٩/٣)، والأعلام (٢٣٧/٤).

مكة، وجهز عسكره، وتوجهوا من القاهرة في المحرم، فلما وصل العسكر إلى مكة أجلسوا بها عطيفة، وأقاموا عنده، وكتب الشريف عطيفة إلى السلطان: أن القوّاد في طاعته، وأن حميضة [نزح][١] إلى اليمن وفارقه بنو [شعبة][٢] وغيرهم، وكثر بمكة الأمن والعدل، ورخصت الأسعار.

وفيها[٣] حج صاحب مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون حجته الثانية. وسأل المجاورون بمكة ومن بها من التجار السلطان أن يُخَلِّفَ عندهم عسكراً تمنع حميضة بن أبي نمي إنْ هو قصد أهل مكة بسوء، فجَرَّدَ -ممن كان معه- الأمير شمس الدين آق سُنْقُر شادّ العمائر[٤]، ومعه مائة فارس.

وفي سنة عشرين وسبعمائة[٥] -في جمادى الآخرة- قصد حميضة مكة بجيش يريد أخذها، وقتل جماعةً من أهل مكة والمجاورين بها،

---

(١) في الأصل: برح. والمثبت من إتحاف الورى (١٦٤/٣)، والسلوك (١٦/٣).

(٢) في الأصل: شيبة. وفي سمط النجوم: بنو شعيب. والمثبت عن السلوك، الموضع السابق.

(٣) إتحاف الورى(١٦٤/٣، ١٦٦). وانظر: العقد الثمين (٩٦/٦)، وغاية المرام (٦٦/٢، ١١٥)، وسمط النجوم (٢٤٦/٤)، ومنائح الكرم (٣٣٩/٢-٣٤٠)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٠).

(٤) شاد العمائر: هو المتكلم على العمائر السلطانية، والمشرف على تنفيذ ما يأمر السلطان بإحداثه أو تجديده من المساجد أو المنازل والقصور أو الأسوار والحصون(هامش إتحاف الورى ١٦٦/٣، ومعيد النعم ومبيد النقم ص: ١٢٩).

(٥) إتحاف الورى (١٦٧/٣-١٦٩). وانظر: العقد الثمين (٢٤٣/٤)، وغاية المرام (٦٥/٢-٦٨، ١١٥-١١٦)، وسمط النجوم (٢٤٦/٤-٢٤٧)، ومنائح الكرم (٣٤٠/٢-٣٤١).

فخرج إليه أخوه عطيفة [وأخوه عطاف وآخر من إخوهما][1] بعسكر ضعيف، فنصرهم الله عليه وكسروه، وهرب من مماليك الأمراء ثلاثة ولجؤوا إلى حميضة.

وفيها لما وصل السلطان إلى قلعة الجبل بعد الحج خرج الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب وخرج معه مائة فارس من المماليك السلطانية[2]، ليقيموا بمكة بدل الأمير آق سُنْقُر الذي استخلفه بمكة، وخرج من القاهرة يوم الأربعاء سادس ربيع الأول، ووصل إلى مكة وأقام بها ومنع أهلها من حمل السلاح - السّكين فما فوقها-، وبعث إلى حميضة -وكان بقرب نخلة- يستميله إلى الطاعة والتوجّه إلى الأبواب السلطانية، فسأل رهينة عنده من الأمير ركن الدين تكون عند أهله ويحضر، فأجاب الأمير ركن الدين إلى ذلك، وجَهَّز أحد أولاده وجهّز معه هدية لحميضة، ولم يبق إلا أن يتوجه، فأتاه في ذلك اليوم رجلٌ من الأعراب وأخبره بقتل حميضة، فأنكر وقوع ذلك وظن ذلك مكيدة لأمرٍ ما، لكنه توقف عن إرسال ولده حتى يتبين له الحال، فلما كان في مساء ذلك اليوم طُرِقَ باب المعلاة بمكة، ففتح فإذا مملوك اسمه: [أَسَنْدَمُر][3]، وهو أحد المماليك الثلاثة الذين كانوا قد التحقوا بحميضة وهو راكب حِجْرَة[4] حميضة

(١) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣/١٦٧).
(٢) المماليك السلطانية: هم أعظم الأجناد شأناً وأرفعهم قدراً وأشدهم إلى السلطان قرباً، وأوفرهم إقطاعاً، ومنهم تومَّر الأمراء رتبة بعد رتبة (صبح الأعشى ٤/١٦).
(٣) في الأصل: استدمر. وكذا وردت في المواضع التالية، والتصويب من إتحاف الورى (٣/١٦٨)، والعقد الثمين (٤/٢٤٤).
(٤) الحجرة: أنثى الخيل (المعجم الوسيط ص:١٥٧).

التي تسمى: جُمْعَة -وكان السلطان قد طلبها من حميضة فشحَّ بإرسالها- وأخبر أَسَنْدَمُر أنه قتل حميضة، اغتاله وهو نائم، وجَرَّدَ سيفه فإذا به أثر الدم، وذلك في جمادى الآخرة.

وسبب قتلهم له: أنهم خافوا من دخوله في الطاعة، وأنه يرسلهم إلى حضرة السلطان، فقتلوه، وتوجهوا إلى وادي بني شُعْبة[1] وحضروا إلى مكة، وجهز الأمير ركن الدين من توجه لإحضار سَلَبِ حميضة والمملوكين اللذين بقيا معه، فأحضر السلب وأحد المملوكين، وقيل: إن الثالث مات -وهو مملوك الأمير سيف الدين بَكْتَمُر الساقي- فألزم صاحب نخلة بإحضاره، وتوعده إن تأخر، فأحضره.

وأرسل ركن الدين وَلَدَيْه ناصر الدين محمد وشهاب الدين أحمد إلى الأبواب السلطانية بهذا الخبر، فوصلا إلى السلطان، فأنعم عليهما، وعاد الجواب إلى الأمير ركن الدين بطلبه، فتوجه من مكة في مستهل شعبان وصحبته المماليك الثلاثة الذين كانوا هم سبب قتل حميضة، ووصلوا إلى الأبواب السلطانية في العشر الأول من شهر رمضان، فلما وصل شَمِلَه الإنعام والتشريف، وأمر السلطان بقتل أَسَنْدَمُر قاتل حميضة قَوَداً به في شوال.

---

(١) لبني شعبة أودية كثيرة منها: وادي إدام، ووادي السعدية -أسفل يلملم-، ووادي الخضراء، وديارهم تقع جنوب مكة على خمسين كيلاً، ثم تمتد إلى الليث (معجم قبائل الحجاز ص: ٢٤٧).

وفيها[١]: أطلق السيد رميثة مع جماعة من الأمراء من الجب بالقاهرة، وتوجه إلى مكة وصحبته الأمير سيف الدين أرْغُون الدوادار نائب السلطنة بمصر [هو][٢] وبنوه وأولاده ومماليكه، فوصلوا مكة في ثالث عشر ذي القعدة، [فتألم أهل مكة لوصول السيد رميثة إلى مكة؛ لأن الناس مجتمعون على حب عطيفة، لكن أمر مكة إلى أخيه عطيفة][٣]، [وقيل][٤]: إن رميثة [لما قدم كان أميراً على مكة][٥] شريكاً لأخيه عطيفة.

وفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة[٦] -في أولها- حَلَف بنو حسن لرميثة، وأظهر رميثة مذهب الزيدية، وكتب عطيفة ومملوك كان معه لنائب السلطان يذكران للسلطان ذلك، فوصلت الكتب للسلطان في ربيع الآخر

---

(١) إتحاف الورى (٣/١٦٩-١٧٠). والعقد الثمين (٤/٤١١، ٦/٩٧)، وغاية المرام (٢/٨٨، ١١٦).

(٢) قوله: "هو" زيادة من إتحاف الورى (٣/١٦٩)، وغاية المرام (٢/٨٨).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣/١٦٩-١٧٠).

(٤) في الأصل: قيل. والمثبت من إتحاف الورى (٣/١٧٠).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣/١٧٠).

(٦) إتحاف الورى (٣/١٧٣)، والعقد الثمين (٤/٤١٢، ٦/٩٧)، وغاية المرام (٢/٨٩، ١١٧).

-أو في جمادى الأولى- [فانحرج][1] من هذا الأمر، واشتد غضبه على رميثة.

وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة[2] توجه صاحب مكة الشريف عطيفة ابن أبي نمي إلى القاهرة، وأخبر بقَحْط الحجاز لعدم المطر، وأهم استسقوا ثلاثاً فلم يُسْقَوا، ووصل القمح مائتين وخمسين درهماً الإردب، فرسم السلطان أن يُحْمَل إلى مكة ألفا إرْدَب، وحمل النائب ألف أردب، والحاج [آل مَلَك][3] ألف إردب. فلما وصلت الغلال تُصُدِّق بها، فبيع [الإردب القمح بمائة درهم][4]، وأغيثوا بعد ذلك.

وفيها[5]: أسقط الناصر المكس المتعلق بالمأكول بمكة فقط، وعوّض صاحب مكة الشريف عطيفة بن أبي نمي عن ذلك ثلثي بلد

---

(١) في الأصل: فخرج. وانظر: العقد الثمين (٩٧/٦).

(٢) إتحاف الورى (١٧٥/٣-١٧٦). وانظر: السلوك (٥٥/٣)، ومنائح الكرم (٣٤١/٢).

(٣) في الأصل: الملك. والتصويب من إتحاف الورى (١٧٦/٣)، والسلوك (٥٥/٣). وانظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٣٠/٣).

(٤) في الأصل: فبيع القمح بمائة درهم الإردب. (انظر: إتحاف الورى والسلوك، الموضعان السابقان).

(٥) إتحاف الورى (١٧٦/٣). وانظر: العقد الثمين (٩٧/٦)، وشفاء الغرام (٤١٣/٢)، وغاية المرام (١١٧/٢)، وسمط النجوم (٢٤٨/٤)، والسلوك (٥٤/٣)، ومنائح الكرم (٣٤١/٢).

دماميل[١] من صعيد مصر.

وفي سنة ثلاثين وسبعمائة[٢] حضر الأمير عطيفة على العادة، ولبس خلعة السلطان، ولم يحضر أخوه رميثة، ولا اجتمع مع الأمراء، ولا حضر الموقف مع أخيه.

وفيها[٣]: في يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة قُتل الأمير [الجندار][٤] سيف الدين أَلْدَمُر [بن][٥] عبدالله الناصري بمكة [وولده][٦] خليل ومملوكه، وأمير عشرة يعرف بالتاجي، وجماعة من النسوة، وغيرهم من الرجال، ونهبت الأسواق، وسبب قيام الفتنة التي قتل هؤلاء الناس بسببها قد ذكرناها[٧].

وفي ثالث المحرم من سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة وصل القاصد من مكة بخبر قتل أَلْدَمُر، فشقّ على السلطان ذلك، وكتب بإحضار الشريف عطيفة أمير مكة وولده وقوّاده[٨].

---

(١) في السلوك: دمامين. وهي بلدة من مركز الأقصر بمديرية قنا، تقع على الشاطئ الغربي للنيل (الخطط التوفيقية لعلي مبارك ١١/ ٢٠).

(٢) إتحاف الورى (١٨٨/٣). وانظر: العقد الثمين (٤١٣/٤) وفيه: ولكنه حضر الموقف مع أخيه، وغاية المرام (٩٠/٢).

(٣) إتحاف الورى (١٨٩/٣-١٩١)، وانظر: العقد الثمين (٣٢٨/٣-٣٢٩)، والسلوك (١٣٣/٣).

(٤) في الأصل: الخازندار. والتصويب من إتحاف الورى (١٨٩/٣)، والدرر الكامنة (٤٨٤/١).

(٥) قوله: "بن" زيادة من إتحاف الورى (١٨٩/٣). وانظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٢٧/٣).

(٦) في الأصل: ولده.

(٧) (٤٦٠/٢).

(٨) السلوك (١٣٩/٣).

فلما قدم الحاج [أخبروا][١] بكثرة الفتن بمكة بين الشريفين عطيفة ورميثة، وقوّة رميثة على عطيفة، ونهبه بمكة، وخروجه عن الطاعة، وأنه لم يَلْقَ رَكْبَ الحجاج، فكتب بإحضارهما، فلما وَرَدَ المرسوم بطلب الشريفين إلى مصر اتفقا وخرجا عن الطاعة، فشقّ ذلك على السلطان، وعزم على إخراج بني حسن من مكة، وأمر الأمير أَيتَمُش أمير مائة مقدم ألف[٢] أن يخرج بعسكر إلى مكة، وعيّن معه من الأمراء: الأمير [طَيْدَمُر][٣] الساقي، والأمير [آقْبُغَا آص][٤]، والأمير آقْ سُنْقُر، والأمير [طَرْقَش][٥]، [والأمير][٦] [طُقْتَمُر][٧] الأحمدي، والأمير طُقْتَمُر الصلاحي، وأربعة عشر من مقدمي الحلقة، وعدة من أعيان أجناد الحلقة[٨].

ثم استدعى [السلطان][٩] الأمير أَيتَمُش بدار العدل، وقال له بحضرة

---

(١) في الأصل: أخبر. والتصويب من إتحاف الورى (١٩٤/٣).
(٢) أمير مائة مقدم ألف: هي مرتبة حربية يكون في خدمة حاملها مائة مملوك فارس، ويقدم في الحروب على ألف جندي من أجناد الحلقة، وكان أصحاب هذه المرتبة أعلى مراتب الأمراء، وكان بيدهم في أيام المماليك جميع المناصب العليا (هامش إتحاف الورى ١٩٥/٣).
(٣) في الأصل: طبدمر. والتصويب من إتحاف الورى (١٩٥/٣)، والسلوك (١٣٩/٣).
(٤) في الأصل: أقبعاص. والتصويب من إتحاف الورى والسلوك، الموضعان السابقان.
(٥) في الأصل: طرفش. والتصويب من إتحاف الورى والسلوك، الموضعان السابقان.
(٦) قوله: "الأمير" زيادة من السلوك، الموضع السابق.
(٧) في الأصل: طغتمر. والتصويب من إتحاف الورى (١٩٥/٣)، والسلوك، الموضع السابق.
(٨) أجناد الحلقة: هم عدد كبير من العسكرِ من غير المماليك، وربما دخل فيهم من ليس من الجند كالمتعمّمين وغيرهم، ولكل أربعين نفساً منهم مقدّم منهم، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر كانت مواقفهم معه (صبح الأعشى ١٦/٤).
(٩) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (١٩٥/٣)، والسلوك (١٣٩/٣).

القضاة: لا تدع في مكة أحداً من الأشراف، ولا من القوّاد، ولا من عبيدهم، ونادى بها: من أقام منهم حلّ دَمُه، ثم احْرِقْ وادي نخلة، وألْقِ في نخلها النارَ حتى لا تدع شجرة مثمرة ولا دِمْنة[1] عامرة، وخَرِّبْ ما حول مكة من المساكن، وأخرج حرم الأشراف منها، وأقم بها بمن معك حتى يأتيك عسكر آخر، فقام في ذلك قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني، ووعظ السلطان، وذَكَّره بوجوب تعظيم الحرم، إلى أن استقر الأمر على أن كُتِبَ لرميثة أمانٌ وتقليد بأمر مكة.

وسار العسكر من ظاهر القاهرة في نصف صفر، وعدهم ستمائة فارس، فوصلوا مكة في العشر الأول من ربيع الآخر، ولم يروا في طريقهم أحداً من العرب ولا من غيرهم، ووجدوا الشريفين عطيفة ورميثة وأولادهما وعسكرهما لما سمعوا بوصول العسكر إلى مكة هربوا إلى جهة اليمن، وهرب الناس من مكة إلى نخلة [وغيرها][2].

وكان الشريف رميثة قد جمع عرباً كثيراً [يريد][3] محاربة الأمراء، فكتب إليه الأمير أَيتَمُش يُعَرِّفه بأمان السلطان له، وتقليده إمرة مكة، ويحثه على الحضور إليه، ويُرَغِّبُه في الطاعة، ويحذِّره عاقبة الخلاف، ويُهدّده على ذلك، ويُعرّفه بما أَمَرَ به السلطان من إجلاء بني حسن وأتباعهم عن مكة.

---

(١) الدِّمْنة: آثار الناس وما سوّدوا (المعجم الوسيط ٢٩٨/١).
(٢) في الأصل: وغيرهما. والمثبت من إتحاف الورى (١٩٦/٣).
(٣) في الأصل: يزيد. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

فلما وقف على ذلك اطمأن إلى الأمير أَيتَمُش، وأجابه بما كان قد عزم عليه من الحرب لو أن غيره قام مقامه، وطلب منه أن يحلف له هو ومن معه أن لا يغدروه، وأن يُقرِضه مبلغ خمسين ألف درهم يتعوّضها من إقطاعه، فتقرر الحال على أن بعث إليه الأمير أَيتَمُش خيراً كثيراً من الزاد، والدقيق، والشعير، والبُقْسُماط[١]، والكعك، والرقاق، والسكر، وغير ذلك، ومبلغ أربعين ألف درهم، فقدم حينئذ، فلما قارب مكة ركب الأمير أَيتَمُش ومن معه إلى لقائه، فإذا عدة من قواده مع وزيره قد تقدموا لِيُحَلِّفُوا له العسكر، فعادوا بهم إلى الحرم، واجتمع المشايخ والصلحاء والأعيان، وحلَّفُوا الأمراء للشريف رميثة أيْماناً مؤكدة على أنه إذا جاء إلى مكة لا يؤذونه، فسَيَّرُوا له أماناً، وهو خاتم ومنديل.

فلما أن جاءه الأمان ركب إلى مكة، ولاقاه الأمراء، وقابلوه بما يليق به من الإكرام، فلبس تشريف السلطان وتَقَلَّد إمارة مكة وحده دون أخيه عطيفة، وقرئ تقليده وأمان السلطان، وعزم على تقدمة شيء للأمراء، فامتنعوا أن يقبلوا منه هدية، وكتبوا إلى السلطان بعَوْد الشريف إلى الطاعة، وأقاموا بمكة إحدى وثلاثين يوماً، ثم توجهوا منها إلى المدينة، ثم إلى القاهرة بعد أن تأخر منهم بمكة خمسون نفساً[٢] بسبب الحج، ويعودون مع الركب. وحصل خيرٌ كثيرٌ، فالحمد لله لم يُرَق

---

(١) البقسماط: اسم لنوع من الخبز، يخبز ويجفف، ويسمى في المغرب: بُشماط (المعجم الوسيط ٦٥/١).

(٢) في إتحاف الورى: نقيباً.

بسببهم [مِحْجَمَةُ][١] دَمٍ، ولا آذَوْا أحداً من الخلق.

فلما وصل العسكر إلى القاهرة في سابع جمادى الآخرة دخل الأمير أَيتَمُش على السلطان، فشكره على ما كان منه، وكان قاضي القضاة جلال الدين القزويني حاضراً، فأكثر من الثناء على أَيتَمُش وقال: هذا الذي فعله هو الإسلام، فكانت مدة غيبتهم أربعة أشهر تنقص ثمانية أيام.

وأرسل السيد رميثة رسولاً إلى السلطان صاحب مصر، وتوجه الرسول من القاهرة إلى مكة في سادس عشر جمادى الآخرة. انتهى[٢].

وذكر العلامة القلقشندي رحمه الله في صبح الأعشى[٣] في ذكر ما يكتب لأرباب الوظائف بالمملكة الحجازية صورة تقليد الإمارة التي كتبها الملك الناصر محمد بن قلاوون للشريف رميثة بن أبي نمي في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة: قال رحمه الله تعالى: وبمكة المشرفة وظيفتان:

الوظيفة الأولى: الإمارة، وقد تقدم أنّ إمارتها في بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنها كانت تُولّى من أبواب الخلافة ببغداد إلى حين انْقِراضها، إلا ما تغلب عليه الفاطميون أصحاب مصر في خلال ذلك، ثم

(١) في الأصل: محجة. والتصويب من إتحاف الورى (١٩٧/٣).
(٢) إتحاف الورى (١٩٤/٣-١٩٧)، والعقد الثمين (٤١٣/٤-٤١٥)، والسلوك (١٣٩/٣-١٤٢)، وغاية المرام (٩٠/٢-٩١).
(٣) صبح الأعشى (٢٢٨/١٢-٢٣١).

[استقرّت][(١)] آخراً من جهة ملوك مصر إلى الآن. ويُكتب له تقليدٌ في قَطْع النصف بالمجلس العالي بزيادة ألْقاب تَخُصُّه، وقد تقدّمت ألقابه في أول هذا الطَّرف، قد ذكرها في الجزء السادس من هذا الكتاب بقوله[(٢)]: (جلال العترة الطاهرة) من ألقاب الشرفاء، وبه يُكْتَب لأميريْ مكة والمدينة المشرّفتين.

وفي موضع آخر منه[(٣)]: (نسيب الإمام) من ألقاب الشرفاء؛ كأميريْ مكة والمدينة المشرّفتين، والنَّسيب: القريب؛ يقال: فلان نسيبُ فلان أي: قريبُه، وذلك أن مَرْجَع بني العباس والعلويين إلى بني هاشم.

وفي موضع آخر منه[(٤)]: (زين العترة الطاهرة) من ألقاب الشرفاء، وبه يُكْتَب لأميريْ مكة والمدينة. انتهى.

وهذه نسخةُ تَقْليد بإمْرة مكة المشرفة: كُتب بها عن الملك الناصر محمد ابن قلاوون لأسد الدين رميثة بن أبي نمي بإمْرة مكة المشرفة، عوضاً عن أخيه عطيفة عند قتل الأمير الدمرجان دار وولده خليل، من إنشاء المولى تاج الدين بن البارنباري رحمه الله، في المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الحكيم: فالشَّريفُ من اتبع أوامره،

---

(١) في الأصل: استقر. والتصويب من صبح الأعشى (٢٢٨/١٢).
(٢) صبح الأعشى (٤٥/٦).
(٣) المرجع السابق (٧٤/٦).
(٤) المرجع السابق (٥٤/٦).

العظيم: فالسَّعيدُ من اتَّقى غَضَبَه بأعماله الزاكية ونيَّاته الطاهرة، الكريم: فالفائز من سلك مَراضيه في الدنيا ليأْمَنَ في الآخرة، ومن أخاف عاكف حَرَمِ الله وباديَه فقد بَاء بالأفعال الخاسرة، ومن عَظَّم شعائر الله فقد رَفَل في حُلَل الإقبال الفاخرة.

نحمده على أَلْطافه الباطنة والظَّاهرة، ونشكرُه ونرجوه وما زال يُنْجِحُ راجِيَه ويَزِيدُ شاكرَه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من اتخذ الحق ناصرَه، وأوْدع إخلاصَها ضَمائرَه، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله من الحَرَم، فألَّفَ القلوبَ النَّافِرَة، وفتح مَكّة فطَهَّرها من الزُّمْرة الكافرة، وقال في ذلك اليوم: ((من أغلق عليه بابه فقد أمن))[1]، فأمْسى أهلُها ونفوسهم بالأمْن ظافرة، صلى الله عليه وعلى آله بني الزهراء العترة الزاهرة، وعلى صحبه النجوم السافِرَة، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن الحكم بالعدل شعارُنا، وبالله اقْتداؤُنا واقتدارُنا، وفي الإحسان رغْبَتُنا، وفي كلِّ عُنُق مِنَّتُنا، نَصْفَح ونَمْنح، ونَرْعى من أمسى في قديم الهجرة في ولايتنا وأصْبح، ونُقيمُ من أهل البيت لحفظ ذلك البيت الأصْلَحَ فالأصْلح، ونُقَدِّمُ من لم يزلْ مقدَّماً، وإلى صَوْب الصواب يَجْنَحُ فيَنْجَح، ونُنْجي من الهَلَكَةِ من لاح له مَنْهُج الخير فسلكه فأفْلح.

وكانت مكة المعظمة هي أمّ القُرى، والبلد الأمين المُجْزَل فيه القِرى؛ نشأ الإسلامُ في بطْحائها، وحَرَّمها الله فلا ينفَّر صَيْدُها، ولا يُعْضَدُ شَجَرها، ولا

(١) أخرجه مسلم في باب فتح مكة (١٤٠٧/٣ ح١٧٨٠).

تَحِلُّ لُقَطَتُها إلا لمُنْشد تأكيداً لتَشْريفها وإعْلائها، وطلعَتْ شمسُ النبوة من شعابها، وغُسلت الذنوبُ [بوَبْل][١] سحابها، فيها زمزمُ وكَرْةُ جبريل، وفيها بدأَ الوَحْيُ والتَّنْزيل، وإليها أعْنقت[٢] الرِّكابُ ففي كلِّ أبْطَح للمَطَيِّ مَسيرٌ ومَسيل، فكم أتى إليها من سائر الناس سائر، وكم أتى إليه الناسُ رجالاً وعلى كلِّ ضامرِ؛ فالرحمة مُستقرَّة بين نواحيها، والعيون [تَتَملَّى][٣] بأنوار تلك الأستار حتى تجْتَليها، والشِّفاهُ تتشرَّفُ بتَقْبيلِ ذلك الحَجَر الذي يشهدُ لها في غَد ويَقيها، فُطوبى لمتَّقيها، وسُحقاً لمن أخاف وفْدَ الله فيها، ونحنُ قد بصَّرناً الله بخدمة بيتها المحرَّم، وحَرَمها المعظَّم، [وكرَّر إليها حَجَّنا وكرَّمه][٤]، فلله الحمد أن كَرَّر حجَّنا وكَرَّم؛ وما بَرِحْنا نُقيمُ في إمارَتها من العتْرة النبويَّة كلَّ شريف النَّسب، وكلَّ من يكْتَسب فيها رضا الله تعالى، وكل امْرئٍ وما اكْتَسب؛ فمن أصْلح منهم أقمْناه، ومن حَادَ عن الطاعة وجَحَدَ النعمة أزلْناه، ومن أخاف فيه السبيلَ لم نجعلْ له إلى الخير سبيلاً، ومن استقام على الطريقة توكَّلنا على الله ووَلَّيناه، وكفى بالله وكيلاً.

وكان فلانٌ هو الذي ما زالت خواطِرُنا الشريفةُ تقدِّمُه على بَني أبيه، وتَخْتارُه أميراً وتَجْتَبِيه؛ وربَّما سلَفَتْ من بَيْته هَناتٌ صفَحْنا عنها الصَّفْح

(١) في الأصل: بوابل. والتصويب من صبح الأعشى (١٢/٢٢٩).

(٢) أي: أسرعت.

(٣) في الأصل: تتجلى. والتصويب من صبح الأعشى (١٢/٢٣٠).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من صبح الأعشى، الموضع السابق.

الجميل، وما قابلْناهُم إلا بما يليقُ بمجدهم الأصيل، والإِمْرةُ وإن كانت بيدِ غيره هذه المدّة فما كان في الحقيقة أميرٌ عندنا سواه؛ لأنه كبيرُ بيتِهِ المشكورُ من سائر الأفْواه.

والآن قد اقتضَتْ آراؤُنا الشريفةُ أن نُقيمه في بلده أميراً مُفْرداً إليه يشار، وأن نَصْطَفِيَه، -وإنه عندنا لمن المُصْطَفَيْنَ الأخيار-، وأن نجعلَ الكلمةَ واحدةً ليأْمَنَ النَّزِيلُ والجار؛ ومتى تَجَاذب الأمْر كلمتان فَسَدَ نظامُه، ومتى أُفْرِدَ الحَكَمُ حسُنَتْ أحكامُه، [ومتى][1] توحَّد الأمْرُ زال الاختلاف، وزاد الائتلاف، وأقبلتْ أيَّامه.

فلذلك رسم بالأمْر الشريف أن تفوَّضَ إليه إمْرةُ مكة المشرفة، على عادة والده. فلْيتقَلَّد ما فوّضناه إليه من الإمْرة والنيابة بمكة المعظمة، شاكِراً ما أنعم الله به عليه من مراضينا التي لا نَجَاةَ لمن لم يَنلْ منها نصيباً مَوْفُوراً، ولا فَوْزَ لمن لم يُدْرِكْ منها حظّاً كبيراً، ولْيشرَعْ في تمهيد البلاد من إزالة المَظْلمة، ولْيُطَهِّرها من كلِّ مُجتَرِئٍ على الله تعالى في البُقْعة المحرَّمة، ولا يُقَرِّبْ من في قَلْبه مرضٌ فيُعْديه، ولا يرجع لمن فيه شقاقٌ ظاهرٌ في صفحات وجْهِه وفَلَتات فيه، وليعلمْ أن هذا بلدٌ حرامٌ حرَّمه اللهُ يوم خَلَق السموات والأرض، وصيَّر حَجَّ بيته على مستَطيعه من الفرض، وجعله للناس مَعاداً ومَعاذاً، وقال ﷺ يوم عرفة: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في

(١) في الأصل: ومن. والتصويب من صبح الأعشى (١٢/ ٢٣٠).

شهركم هذا في بلدكم هذا))[١].

فلْيَمْنعِ الدِّماء من أنْ تُراق، والأموالَ من أن تُؤْخذَ بغير استحقاق، والظُّلْمُ

في البلد الحرام حرام، وبنو حَسَن أَحَقُّ باتباع سُنَّة الإسلام، واتَّق الله لتَلْقاه بالوجْه الأبيض والعمل الأغَرّ، واتَّبع سُنَّة جَدِّك، فعلى اتِّباعها حَثَّ وأمر، والْقَ وفد الله في البرّ والبحر بالحُسْنى؛ فهُمْ أضْيافه، وأَمِّن الحَجَّ لِيَتِمَّ نُسُكُه وطوافُه.

هذا تقليدُنا لك أيّها الشريف، فطِبْ نَفْساً بمراضينا، وصَفْحنا عن ما مضى، ومَنْحِنا الرِّضى حقاً يقيناً، لأنَّا نتحقَّقُ أنَّ الإحسانَ يحرُسنا ويقينا، إن شاء الله تعالى. انتهى.

وقال ابن فهد[٢]: وفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة جاء الشريف عطيفة من مصر متولياً نصف مكة، ونزل أم الدمن[٣]، ثم دخل مكة، وأخذ نصف البلاد من أخيه الشريف رميثة. فلما كان ليلة النفر من منى أخرجه السيد رميثة من مكة بلا قتال، فتوجه عطيفة إلى مصر صحبة الحاج، وأقام بها إلى أن جاء مع الحاج في السنة الآتية متولياً نصف البلاد، ومعه خمسون مملوكاً شراء ومستخدمين، وأخذ نصف البلاد بلا قتال، وتوافق هو وأخوه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧/١ ح٦٧)، ومسلم (٨٨٩/٢ ح١٢١٨).

(٢) إتحاف الورى (٢٠٤/٣-٢٠٥)، والعقد الثمين (١٠٠/٦)، وشفاء الغرام (٣٤٩/٢)، وغاية المرام (٩٢/٢، ١٢٠)، ودرر الفرائد (ص:٣٠٥)، ومنائح الكرم (٣٤٨/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٠-٣١). وانظر: السلوك (١٨٨/٣) ضمن أحداث سنة ٧٣٥.

(٣) أم الدمن: هي بطرف خليص، ولم تعد معروفة اليوم (معجم معالم الحجاز ٩٦/١٠).

وفي سنة ست وثلاثين وسبعمائة[1] جرت بين الشريفين عطيفة ورميثة وحشة ومباعدة، فأقام الشريف عطيفة بمكة ومعه المماليك، ورميثة بالجديد من وادي مَرّ، فتسلط مبارك بن عطيفة على المجاورين، وأخذ مال التجار. فلما كان في اليوم الثامن والعشرين من رمضان ركب السيد رميثة في جميع عسكره، ودخل مكة على السيد عطيفة بين الظهر والعصر، وكان الشريف عطيفة برباط أم الخليفة[2]، والخيل والدروع [والتجافيف][3] في العَلْقَمِيّة[4]، فلم يزل رميثة وأصحابه قاصدين إلى باب العَلْقَمِيّة، ولم يكن معهم رَجَّالة، فوقف على باب العَلْقَمِيّة مَنْ حماها إلى أن أغلقت، والموضع ضيّق لا مجال للخيل فيه، وحمت ذلك [الغُزُّ][5] والعبيد من غلمان عطيفة، فلم يحصل في

---

(١) إتحاف الورى(٣/٢٠٦-٢٠٧)، والعقد الثمين (٦/١٠٠-١٠١)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٩)، وغاية المرام (٢/٩٣-٩٤، ١٢٠-١٢١)، ومنائح الكرم (٢/٣٤٨)، وخلاصة الكلام (ص:٣١).

(٢) رباط أم الخليفة: هو رباط أم الخليفة الناصر العباسي، ويعرف بالعطيفية؛ لأن الشريف عطيفة صاحب مكة كان يسكنه، وتاريخ وقفه سنة ٥٧٩هـ (العقد الثمين ١/١١٨، وشفاء الغرام ١/٦٠٨).

(٣) في الأصل: والنجايب. والمثبت من إتحاف الورى (٣/٢٠٦)، وغاية المرام (٢/٩٣).
والتجافيف: لباس أو آلة للحرب توضع على الفرس تقيه كالدرع ونحوه، وذهبوا فيه إلى معنى الصلابة (لسان العرب، مادة: جفف).

(٤) العَلْقَمِيّة: دار كانت لبني عجلان الأشراف النمويين قرب المروة من مكة، كانوا بنوها سجناً يسجنون فيه خصومهم، وقد أزيلت في توسيعات المسجد الحرام (معجم معالم الحجاز ١٠/١٠٠-١٠١).

(٥) في الأصل: النفر. والمثبت من من إتحاف الورى (٣/٢٠٦)، والعقد الثمين (٦/١٠٠)، وغاية المرام (٢/٩٣).

[ذلك][١] اليوم للشريف رميثة ظفر، وقتل في ذلك اليوم من أصحاب رميثة وزيره واصل بن عيسى الزَّبّاع وابن عمه خُشَيْعَة ويحيى بن مُلاعِب، ثم ولّوا راجعين إلى الجديد. ولم يقتل من أصحاب عطيفة غير عبد واحد أو اثنين – فيما قيل– والله أعلم.

ولم يحج واحد من الشريفين في هذه السنة؛ لأن رميثة أقام بالجديد، وعطيفة أقام بمكة.

وفي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة[٢] اصطلح الشريفان رميثة وعطيفة على المشاركة في الإمرة، وأقاما مدة، ثم توجها إلى ناحية اليمن بالواديين، وترك عطيفة ولده [مباركاً][٣] بمكة، وترك رميثة ولده [مغامساً][٤] بالجديد.

وفي عاشر شعبان دخل رميثة مكة ومكث فيها إلى ليلة الثالث عشر من شعبان، ثم خرج منها إلى الوادي. وفي صبيحة الليلة التي خرج فيها رميثة من مكة دخلها عطيفة، ثم رحلا إلى مصر مع النجاب الذي وصل من صاحب مصر لاستدعائهما إليه.

وفي يوم الخميس عاشر ذي القعدة دخل مكة رميثة متولياً عليها بمفرده

---

(١) قوله: "ذلك" زيادة من العقد الثمين (٦/ ١٠٠)، وغاية المرام (٢/ ٩٣).

(٢) إتحاف الورى (٣/ ٢٠٧–٢١٠)، والعقد الثمين (٦/ ١٠١)، وغاية المرام (٢/ ٩٤، ١٢١)، ومنائح الكرم (٢/ ٣٤٨)، وخلاصة الكلام (ص: ٣١).

(٣) في الأصل: مبارك. والتصويب من من إتحاف الورى (٣/ ٢٠٨)، وغاية المرام (٢/ ٩٤).

(٤) في الأصل: مغامس. والتصويب من من إتحاف الورى، الموضع السابق، وغاية المرام، الموضع السابق.

بعد القبض على أخيه عطيفة بالقاهرة، ولم يزل عطيفة بمصر إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين، وأمن الناس بمكة[١].

وفي سنة أربع وأربعين وسبعمائة[٢] اشترى عجلان وثقبة إمرة مكة من والدهما رميثة بستين ألف درهم؛ لأنه كان كبر وضعف، وعجز عن البلد وعن أولاده، وبقي كل منهم له فيها حكم، ثم استدعى الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون الشريف ثقبة إلى مصر، فتوجه إليها، وبقي عجلان وحده في البلاد إلى آخر ذي القعدة، فوصل مرسوم من سلطان مصر بردّ البلاد على السيد رميثة، ولُزِمَ الشريف ثقبة في مصر. فلما علم السيد عجلان بذلك خرج إلى ناحية اليمن، ومنع الجِلاب من الوصول إلى مكة، فلم يصل منها إلا القليل، وحصل في هذه السنة غلاء عظيم في أيام الحج، ولما رحل الحاج من مكة وصل السيد عجلان من جهة اليمن ونزل الزاهر[٣]، وأقام به أياماً، ثم بعد ذلك اصطلح هو وأبوه، وأخذوا من التجار مالاً جزيلاً. انتهى.

---

(١) انظر: منائح الكرم (٣٤٩/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣١).

(٢) إتحاف الورى (٢٢٦/٣-٢٢٧). وانظر: العقد الثمين (٤١٦/٤-٤١٧)، وغاية المرام (٩٤/٢-٩٥)، وسمط النجوم (٢٥٠/٤)، ومنائح الكرم (٣٥٢/٢-٣٥٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٥١/١-١٥٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣١).

(٣) الزاهر: سبق التعريف به في (ص: ٤٣).

ولاية الشريف عجلان من قبل سلطان مصر

قال السنجاري في منائح الكرم[1]: وفي سنة سبعمائة وست وأربعين توجه الشريف عجلان إلى مصر، فولاّه الملك الصالح مكة دون أبيه، فوصل مكة في رابع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ومعه خمسون مملوكاً، وقبض على البلاد بلا قتال في حياة والده، وأخرج أخاه ثقبة إلى وادي نخلة.

وأقام معه بمكة أخواه سند ومغامس، وأعطى أخويه رسوماً [يأكلاها][2]، ثم تنكّر عليهما فأخرجهما إلى مرّ الظهران[3]، ثم أمرهما بالاتساع في البلاد. فلحقا بأخيهما ثقبة بنخلة فلم يدركاه، وأُخبرا أنه توجه إلى مصر، فلحقاه بمصر فقُبض عليهم جميعاً. وكان الملك الصالح قد انتقل إلى رحمة الله قبل وصول عجلان إلى مكة، وتسلطن عوضه أخوه الكامل شعبان، فكتب إلى عجلان بالولاية فلحقه النجّاب قبل دخول مكة.

---

(١) منائح الكرم (٢/٣٥٣-٣٥٥). وانظر: العقد الثمين (٦/٥٩-٦١)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٥٢-١٥٣)، وخلاصة الكلام (ص:٣١)، وغاية المرام (٢/١٣٨-١٤٠).

(٢) في الأصل: يأكلانهما. والتصويب من منائح الكرم (٢/٣٥٤).

(٣) مر الظهران: سبق التعريف به في (ص: ٤٣).

فلما كان أوائل ذي القعدة من السنة المذكورة ورد النجاب من مصر للشريف عجلان بإبقائه على الولاية، وأن أخويه سنداً ومغامس قد اعتقلا بمصر، وزُيِّن السوق بمكة.

وفي أثناء الزينة توفي والده الشريف رميثة في ثامن ذي القعدة من السنة المذكورة، وصلي عليه بعد أن طافوا به على عادقم، ودُفن في تربة السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. انتهى.

وقال ابن فهد في حوادث سنة ست وأربعين[1]: وفيها مرض السيد رميثة بغير مكة، فحُمل وأُتي به إلى مكة -وقد دخل في النزع- في نصف ليلة الخميس سابع ذي القعدة، ثم مات في يوم الجمعة ثامن ذي القعدة، وطيف به وقت صلاة الجمعة -والخطيب على المنبر قبل أن يفتتح الخطبة-، وسكت الخطيب حتى فرغوا من الطواف به، وكان ابنه عجلان يطوف معه، وجعله في مقام إبراهيم. انتهى.

وكانت ولاية الشريف رميثة بمكة سبع مرات -كما في تاريخ الرضي- شريكاً لأخيه حميضة نحو عشر سنين، وشريكاً لأخيه عطيفة نحو خمس سنين، ومنفرداً نحو خمس عشر سنة، فكانت مدة ولايته ثلاثين سنة. ذكره في خلاصة الكلام[2].

---

(١) إتحاف الورى (٣/٢٣١-٢٣٢). وانظر: العقد الثمين (٤/٤١٧)، وغاية المرام (٢/٩٥، ٩٦).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٣١-٣٢).

قال العصامي[١]: وكان له من الأولاد: أحمد، وسند[٢]، وثَقَبَة[٣]، وعجلان[٤]، ومغامس[٥]، ومبارك[٦]. انتهى.

وفي سنة سبع وأربعين -أو ثمان وأربعين- أطلق السلطان الشريف ثقبة وأخويه سنداً ومغامساً وأشركهم مع الشريف عجلان، فجاؤوا من مصر ومعهم مرسوم فيه: أن لهم نصف البلاد، وأن الشريف عجلان له نصف البلاد، ثم تنازعوا فكان ثقبة بالجديد من وادي مَرّ، فخرج إليه الشريف عجلان وأراد قتاله، فأصلح بينهما القواد، ثم اتسع الشريف عجلان عن البلاد، فوثب ثقبة ودخل البلاد، فجاء الخبر إلى الشريف عجلان، فذهب إلى مصر ومعه ولداه كُبَيْش وأحمد فرجع متولياً مكة، وأخرج منها إخوته ثقبة وسنداً ومغامساً إلى اليمن، وكان قدومه مكة خامس شوال سنة خمسين وسبعمائة. كذا في خلاصة الكلام[٧].

---

(١) سمط النجوم (٤/٢٥١). وانظر: منائح الكرم (٢/٣٥٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٥٣)، وغاية المرام (٢/١١١).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤/٦١٧-٦٢١)، وغاية المرام (٢/١٦٨-١٧٤)، وشفاء الغرام (٢/٣٥٠).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣/٣٩٥-٣٩٩)، وغاية المرام (٢/١٣٠-١٣٧)، وشفاء الغرام (٢/٣٥٠).

(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٦/٥٨-٧٣)، وغاية المرام (٢/١٣٧-١٦٨)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٩).

(٥) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٢٥٠-٢٥٢).

(٦) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/١١٧-١١٨).

(٧) خلاصة الكلام (ص:٣٢). وانظر: منائح الكرم (٢/٣٥٥-٣٥٦)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٥٥-١٥٦)، وغاية المرام (٢/١٤٠-١٤١).

وقال ابن فهد في حوادث سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة[١]: أن الشريف عجلان كان بمكة، والسيد ثقبة بالجديد ومعه أكثر بني حسن والقُوّاد، وليس له يد ولا جباء بمكة، وإنما هو قاعد بالقوة، وجاءت مراكب أهل اليمن من التجار إلى جدة، فاحتاط عليها الشريف ثقبة وأخواه سند ومغامس فلزموهم وأقاموا بهم إلى شهر ربيع الأول، فجباهم السيد ثقبة جباءً عنيفاً، وأخذ منهم أموالاً كثيرة وبزاً وحريراً ورقيقاً وغير ذلك، ومنعهم من دخول مكة، ومنعهم أن يحملوا أمتعتهم إلى مكة فأقاموا بها في الوادي[٢].

وجاء في الثامن والعشرين من[٣] ربيع الأول الأمير علاء الدين –مملوك السلطان– بكتاب السلطان إلى الشريف عجلان وثقبة بالوصول إلى الباب الشريف، فتوجه الشريف عجلان في يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى، وسافر إلى [وادي][٤] أبي عروة، ثم إلى [الهدة][٥] وأقام بها يومين أو ثلاثة، إلى أن سافر الشريف ثقبة من الجديد إلى عسفان، فسافرا جميعاً في يوم السبت سادس عشر جمادى الأولى، وساروا [بزملهما ورحالهما][٦] قاصدين

(١) إتحاف الورى (٣/٢٥٣–٢٥٦). وانظر: غاية المرام (٢/١٤٢).

(٢) انظر: العقد الثمين (٣/٣٩٦، ٦/٦٢)، ودرر الفرائد (١/٤٠٨–٤٠٩).

(٣) في إتحاف الورى: ثاني عشر.

(٤) في الأصل: الوادي. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٢٥٤).

(٥) في الأصل: الهدى. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: برجلهما ورجالهما. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٢٥٥).

والزِّمْل: الحِمل أو الرَّديف (انظر: المعجم الوسيط ١/٤٠١).

مصر، فلما أتوا المدينة زاروا. وتوجه السيد عجلان إلى ينبع، وأبى السيد ثقبة أن يروح إلى مصر، فأرسل السيد عجلان كتاباً للسلطان بأن ثقبة أبى أن يحضر إلى الباب السلطاني، وإني قاصد وراءه خوفاً على البلاد، وأرسله مع مملوك السلطان، ثم أقبل الشريف عجلان إلى بدر فهرب منه ثقبة وتوجه إلى ينبع، وجاء الخبر إلى مكة في سابع عشر جمادى الآخرة بأن السيد عجلان وصل الهدة قاصداً مكة، وأن ثقبة راح مصر، فهرب الشريفان سند ومغامس من الجديد إلى نخلة، وقدم الشريف ثقبة إلى القاهرة في مستهل رمضان، فخلع عليه واستقر في إمارة مكة بمفرده، وأنعم عليه الأمير طاز[1] بقرض ألف دينار، وأقرضه شيخون عشرة آلاف درهم، واقترض من التجار مالاً كثيراً، واشترى من الخيل والسلاح والمماليك، واستخدم عدة أجناد ورسم سفر حسام الدين لاجين العلائي[2] [ليقلده][3] بمكة. فلما نزلوا بطن مرّ [تقدم][4] إلى مكة حسام الدين لاجين، وعرَّف الشريف عجلان انفراد أخيه ثقبة بالإمرة، [فامتنع][5] من تسليمه مكة، وعاد الحسام إلى ثقبة فأقام حتى قدم الحاج -ويقال: بل رجعوا إلى خليص وأقاموا بها إلى أن جاء الحج

---

(١) الأمير طاز: هو طاز بن قطغاج، أحد كبار أمراء الدولة. كان بطلاً شجاعاً، محباً للعلماء معظماً لهم، كثير الخير والرجوع إلى الحق رحمه الله. توفي سنة ٧٦٣هـ (الدرر الكامنة ٣٧٣/٢-٣٧٤).

(٢) السلطان لاجين: حسام الدين السلحداري. السلطان الحادي عشر من سلاطين المماليك في مصر. ولي السلطنة سنة ٦٩٦ هـ، وقتل سنة ٦٩٨ هـ (الجوهر الثمين ص:٣٢٣-٣٥٨. وانظر: البداية والنهاية ٣٤٨/١٣).

(٣) في الأصل: لتقلده. والتصويب من إتحاف الورى (٢٥٥/٣).

(٤) في الأصل: وتقدم. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: امتنع. والتصويب من إتحاف الورى (٢٥٦/٣).

المصري-، فتلقى السيد ثقبة أمير الحاج، وطلب منه أن يحارب معه عجلان فلم يوافقه على محاربته، فأسمعه ما لا يليق، وهدده على أنه لا يمكّن الحاج من دخول مكة، وقام وقد اشتد غضبه، وألبس من معه من العربان وغيرهم السلاح، فاجتمع أمير الركب والقاضي عز الدين بن جماعة -وكان قد توجه صحبة الركب للحج-، واتفقا على إرسال الحسام لاجين إلى عجلان ومعه العزّ بن جماعة، فجرت لهم معه منازعات آخرها أن تكون الإمرة شركة بينهما
نصفين، وعاد إلى بطن مرّ، وقررا ذلك مع ثقبة حتى رضي، وساروا جميعاً إلى مكة، فتلقاهم عجلان على العادة، وأنصف ثقبة وأنعم عليه بسبعين ألف درهم[١].

وفي سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة[٢] توجه السيد عجلان إلى ناحية اليمن، فلقي جلبة وصلت من اليمن فيها عبدُ قاضي مكة شهاب الدين الطبري، وجماعة من أهل مكة، فأخذ ما فيها، وكان قدراً جسيماً. فلما بلغ السيد ثقبة ذلك أرسل إلى أخيه عجلان يطلب نصيبه من ذلك، فأبى السيد عجلان أن يدفع له شيئاً، فركب إليه -وعجلان في قلّة من أصحابه- وغرّه بالصلح، فغدر به وقيّده، وأخذ جميع ما كان مع عجلان؛ من الخيل والإبل، واستقر بالإمرة بمفرده.

---

(١) انظر: غاية المرام (٢/١٤٢-١٤٣).

(٢) إتحاف الورى (٣/٢٥٧-٢٥٨). وانظر: العقد الثمين (٦/٦٣-٦٤)، وغاية المرام (٢/١٤٣-١٤٤).

فلما كان الليل ورقد الموكّلون بعجلان خلع عجلان القيد من رجليه -وكان واسعاً-، وهرب إلى امرأة من الفريق الذي كانوا فيه، فانزوى إليها، وعرّفها بنفسه، وسألها أن [تخفيه][١]، فقالت له: نحن نخشى من ثقبة، فقال لها: لا بأس عليك، أنا أتحيل في إخفائي بأن أحفر حفرة تغيبني وأقعد فيها، وحطّي عليّ أمتعتك، ولا عليك بفعل ذلك. فلما انتبه الموكّل بعجلان فقده فلم يجده، فذهب إلى ثقبة وعرّفه الخبر، فأخذ هو وأصحابه في طلب عجلان فلم يجدوه، وأتى إلى بيت المرأة التي [هو][٢] مختف عندها ودوَّره بنفسه، فلم يجد عجلان فيه. فلما كان الليل أُركب فرساً وراحَ إلى بني [شعبة][٣] باليمن فأقام عندهم حتى قدم الحاج.

وفي سنة أربع وخمسين وسبعمائة[٤] توجه السيد عجلان إلى نخلة -بعد أن كان في أول السنة بالواديين-، وأخذ منها المال الذي كان نهبه، وقصد الجديد وفرّق المال، وأقام بالجديد إلى آخر السنة، فلما أن قرب وصول الحاج [وسمع][٥] بأن البلاد لأخيه ثقبة وليس له فيها أمرٌ، ارتحل إلى

(١) في الأصل: تختفيه. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٢٥٨)، والعقد الثمين (٦/٦٣)، وغاية المرام (٢/١٤٣).

(٢) في الأصل: هي. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٢٥٨)، والعقد الثمين (٦/٦٤)، وغاية المرام (٢/١٤٤).

(٣) في الأصل: ثقبة. والتصويب من المراجع السابقة.

(٤) إتحاف الورى (٣/٢٦٠-٢٦١). وانظر: العقد الثمين (٦/٦٤)، ودرر الفرائد (١/٤١٠)، ومنائح الكرم (٢/٣٦٣)، وخلاصة الكلام (ص:٣٢)، وغاية المرام (٢/١٤٤).

(٥) في الأصل: سمع. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٢٦٠)، والعقد الثمين (٦/٦٤)، وغاية المرام (٢/١٤٤).

[الحردة][١]، ثم أرسل إليه أمير الحاج المصري الأمير ركن الدين[٢] عمر شاه الحاجب بأمان، وأمره أن يصل إليه ويصلح بينه وبين أخيه، فتوجه عجلان -ولقيه بالجموم[٣] من وادي مَرّ- وأخلع أمير الركب على عجلان وسار معه إلى مكة.

وقيل: إن السلطان والأمراء مدبري دولته أسرُّوا إلى أمير الحاج ومن صحبته من الأمراء أن يقبضوا على ثقبة ويقرّوا الشريف عجلان بمفرده على إمارة مكة. فلما قدم الحاج بطن مَرّ ومضى عجلان إلى لقائهم، شكا [إلى][٤] الأمراء من أخيه ثقبة، وذكر ما فعله معه وبكى، فطمنوا قلبه، وساروا به معهم حتى لقيهم الشريف ثقبة ومعه أخواه سند ومغامس وابن عمهم محمد ابن عطيفة، وقوّادهم وعبيدهم بالزاهر على جاري العادة لتلقي الأمير وخدمة المحمل، فألبسوه خلعته على العادة ومضوا حافّين به نحو مكة وهم يحادثونه في الصلح بينه وبين أخيه عجلان، ويُحسنون له ذلك، فأبى إلا أن يكون السلطان رسم بذلك، وصمم على ذلك. فلما أيسوا منه مدّ الأمير كُشْلِي يده إلى سيفه وقبض عليه، وأشار إلى من معه فألقوه عن فرسه وأخذوه ومَن معه من إخوته وابن عمهم وكبَّلوهم في الحديد، ودخلوا بهم مكة محتاطين عليهم، ففرّ القواد والعبيد، وأُحضر عجلان وأُلبس التشريف

(١) في الأصل: الجردة. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٢) في إتحاف الورى: زين الدين.

(٣) الجموم: منطقة معروفة على طريق الذاهب إلى المدينة المنورة. انظر: معجم البلدان (١٦٣/٢). وهي قاعدة وادي فاطمة، يتبعها قرى، وهي من إمارة مكة المكرمة.

(٤) في الأصل: على. والتصويب من إتحاف الورى (٢٦٠/٣)، والسلوك (١٨٧/٤).

وعبروا به إلى مكة، فلم يختلف عليهم اثنان، وسُلِّم ثقبة للأمير أحمد بن [آل ملك][١]، فسُرّ الناس بذلك، وذهب أمير الركب بالأشراف إلى مصر تحت [الحوطة][٢]، فقدم بهم إلى القاهرة في ثامن عشر المحرم، ولم يتفق مثل هذا فيما سبق، واعتقل الأشراف بالقاهرة بالجب، ودام عجلان على ولاية مكة [بمفرده][٣]، وكثر جلب الغلال وغيرها، [فانحطَّ][٤] السعر عشرين درهماً الأردب[٥].

وفي سنة ست وخمسين وسبعمائة[٦] شفع الأمير فياض بن مهنا[٧] في الشريف ثقبة، فأفرج عنه وعن أخويه وابن عمه محمد بن عطيفة، فأقاموا بالقاهرة[٨].

وفي اليوم السابع عشر من رمضان وصلوا إلى نخلة، فارّين من القاهرة وليس معهم إلا خمسة أفراس، وكان السيد عجلان يومئذ بخيف بني شديد، ثم ارتحل إلى مكة فأقام بها، ثم انتقل ثقبة وأخواه في ثلاثة وخمسين فرساً إلى

---

(١) في الأصل: الملك. والتصويب من السلوك (١٨٧/٤).

(٢) في الأصل: الخوطة. والتصويب من إتحاف الورى (٢٦١/٣)، والعقد الثمين (٦٤/٦)، وغاية المرام (١٤٤/٢).

(٣) في الأصل: بمفرد. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وانحط. والمثبت من إتحاف الورى، الموضع السابق.

(٥) انظر: السلوك (١٨٧/٤)

(٦) إتحاف الورى (٢٦٧/٣-٢٦٨).

(٧) فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا الفضلي: أمير العرب في بادية ما بين سورية والعراق من آل فضل. ولي الإمرة بعد أخيه أحمد سنة ٧٤٩هـ، ثم عزل بأخيه حيار، وأرسل إلى الاسكندرية فسجن فيها (الأعلام للزركلي ١٦٤/٥).

(٨) انظر: السلوك (٢٢١/٤-٢٢٢)، والعقد الثمين (٦٥/٦)، ودرر الفرائد (٤١١/١).

الجديد في اليوم الثالث والعشرين من شوال فأقاموا به، فلما كان اليوم الثالث عشر من ذي القعدة نزل السيد ثقبة وأخواه ومن معه المعابدة[١]، وأقاموا بها محاصرين للسيد عجلان، وجرى في هذا اليوم بين العبيد بعض قتال، قُتل فيه بعض القواد [اليواسفة][٢] من أصحاب الشريف ثقبة وعبدٌ له، وتضرَّر الناس بهم [كثيراً][٣]، ثم ارتحل السيد ثقبة ومن معه في صبيحة يوم الاثنين رابع عشر ذي القعدة إلى الجديد وأقاموا به. فلما كان وقت وصول الحاج رحلوا إلى ناحية جدة، وأخذوا الجلاب، فلما رحل الحاج من مكة توجهوا بالجلاب ونجلوها، ونزلوا الجديد[٤].

وفي سنة سبع وخمسين وسبعمائة[٥] -في تاسع عشر المحرم- اصطلح الشريفان ثقبة وعجلان على أن تكون الإمرة بينهما نصفين، وكان مع عجلان خمسون مملوكاً، فقسّمها بينه وبين أخيه، وانقسم الأشراف والقواد.

فلما كان اليوم الثالث عشر من جمادى الآخرة توجه ثقبة إلى مكة [من

---

(١) المعابدة: حي من مكة، وهو ما يعرف بالأبطح، والبنيان اليوم في الأبطح وجانبيه كل ذلك المعابدة، وهو يشمل أحياء كثيرة منها: الخانسة والجعفرية والجميزة (معجم معالم الحجاز ١٩٠/٨).

(٢) زيادة من العقد الثمين (٦٥/٦)، وإتحاف الورى (٢٦٨/٣)، وغاية المرام (١٤٦/٢).

(٣) في الأصل: كثير. والتصويب من إتحاف الورى (٢٦٨/٣).

(٤) انظر: غاية المرام (١٤٥/٢-١٤٦)

(٥) إتحاف الورى(٢٦٩/٣-٢٧٠). وانظر: العقد الثمين (٣٩٧/٣)، ومنائح الكرم (٣٦٤/٢)، وخلاصة الكلام (ص:٣٢-٣٣)، وغاية المرام (١٤٦/٢).

ناحية اليمن][1] وملكها بمفرده، وقطع نداء أخيه عجلان على زمزم، [وأقام][2] بمكة إلى مستهل الحجة، وعجلان بالجديد.

فلما وصل الحاج مكة دخلها عجلان مع الحاج بعد أن فارقها ثقبة وبَعُد عن مكة، ثم طلب أمير الركب المصري السيد ثقبة فلم يجبه -مع كونه أمَّنه-، وقصد ناحية اليمن ونهب قافلة الفقيه البركاتي[3]، وأخذ ما معهم من البضائع والقماش، وكان مالاً كثيراً.

وفي سنة ثمان وخمسين وسبعمائة[4] وصل السيد ثقبة إلى الجديد ونزل به، وأقام به مدة، ثم ارتحل إلى ناحية اليمن وأقام به مدة، ثم وصل إلى الجديد ثانياً، فعمل عليه أصحابه القواد، [وحالفوا][5] أخاه عجلان، فارتحل ثقبة إلى خيف بني شديد، ثم إلى نخلة، ثم التأم عليه الأشراف جميعهم، ونزلوا معه في خيف بني شديد، والتأم القواد جميعهم مع عجلان، وخرج من مكة ونزل الجديد، ثم ارتحل منه إلى البُرقة[6] طالباً قتال ثقبة ومن معه، فلم يمكنه القواد

(١) زيادة من إتحاف الورى (٣/٢٦٩)، وغاية المرام (٢/١٤٦).

(٢) في الأصل: وأقا. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٢٦٩)، وغاية المرام (٢/١٤٦).

(٣) في إتحاف الورى والعقد الثمين: البركاني.

(٤) إتحاف الورى (٣/٢٧١-٢٧٢). وانظر: العقد الثمين (٣/٣٩٨، ٦/٦٦)، وغاية المرام (٢/١٤٦-١٤٧).

(٥) في الأصل: وخالفوا. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٢٧١)، وغاية المرام (٢/١٤٧).

(٦) البُرقة: عين مندثرة بطرف مَرّ الظهران من الجنوب، يمر طريق مكة غربها غير بعيد، حفرت فيها آبار فحسنت زراعتها، وزراعها اليوم أبناء الشريف علي بن منصور الكريمي، وعليها قرية تعرف بهذا الاسم تراها من أبي عروة جنوباً، ومن الجموم شرقاً (معجم معالم الحجاز ١/٢٠٦).

من ذلك، وأقام بالبرقة قريباً من شهر، وجمع صروخاً كثيرة -(من الصريخ: أي المغيث، يعني جمع كثيراً من الذين يغيثونه)- وذلك في رجب، ثم عاد إلى الجديد ورتب في مكة خيلاً وَرجالاً.

فلما كان أول ذي القعدة قصد ثقبة مكة ليدخلها، فلم يمكن من دخولها بعد أن وصل [إلى][١] الدرب من ناحية الأبطح. فلما وصل الحاج اصطلح الشريفان واشتركا في الإمرة، وحجّ الناس طيبين.

وفي سنة ستين وسبعمائة[٢] -في جمادى الأولى- وصلت القصاد من صاحب مصر باستدعاء [الشريفين][٣] عجلان وثقبة للحضور إليه. وسبب ذلك: ما حصل بمكة من الجوْر؛ بسبب افتراق الكلمة، فاعتذرا من الحضور إلى الأبواب السلطانية[٤].

وفيها[٥] -في جمادى الآخرة-: وصل الخبر إلى مكة بعزل الشريفين ثقبة وعجلان عن إمرة مكة، وتوليتها لأخيهما سند بن رميثة، ومحمد بن عطيفة[٦]، وكان سند مع أخويه في ناحية اليمن وابن عطيفة بمصر، فأشار عجلان على ثقبة بأن يُعطي كل واحد منهما أربعمائة بعير لبني حسن؛ ليساعدوهما على بقاء ولايتهما، ومَنْع ابن عطيفة ومن معه، فلم يوافق على

---

(١) قوله: "إلى" زيادة من العقد الثمين (٣/٣٩٨).
(٢) إتحاف الورى (٣/٢٧٥-٢٧٦).
(٣) في الأصل: الشريف. والمثبت من إتحاف الورى (٣/٢٧٦).
(٤) انظر: العقد الثمين (٣/٣٩٨، ٦/٦٧)، وغاية المرام (٢/١٤٨).
(٥) إتحاف الورى (٣/٢٧٦-٢٧٧).
(٦) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢/١٤٠-١٤٦)، وغاية المرام (٢/١٧٥-١٨١)، وشفاء الغرام (٢/٣٥٠-٣٥١).

ذلك ثقبة، واحتج بعجزه عن الإبل المطلوبة منه، ولما بينه وبين سند من كثرة الألفة، ومعاضدة سند له[١].

وكان بعض الأشراف بالواديين وبعضهم بالحسينية[٢]، وكان السيد أحمد ابن عجلان[٣] بمكة ينظر في أمورها نيابة عن أبيه[٤].

وجهّز الناصر حسن من مصر [صحبة][٥] محمد بن عطيفة عسكراً نحو مائتي مملوك، فيهم أربعة من الأمراء، وهم: سيف الدين جَرَكْتَمُر المارديني [حاجب][٦] الحجاب بالقاهرة [وهو مُقدَّم][٧] العسكر، وقطلوبغا المنصوري، وعلم دار، وناصر الدين أحمد بن أصْلَم المنصوري، ومعهم تسعون فرساً، ووصلوا إلى مكة في آخر جمادى الآخرة، وقيل: في رجب[٨].

فلما وصل العسكر إلى مكة وصل إليهم سند بن رميثة من ناحية اليمن فأعطوه تقليده، وخلع عليه وعلى محمد بن عطيفة، ودُعِيَ لهما على زمزم،

---

(١) انظر: العقد الثمين (٢/١٤١)، وغاية المرام (٢/١٤٧، ١٧٥).

(٢) الحسينية: عين جنوب منى على ١٢ كيلومتر في وادي عرنة قبيل اجتماعه بنعمان، والحسينية أيضاً: قرية تلك العين جنوباً بكيلين تحت برث تكتنفه سيول عرنة ونعمان يسكنها، والعين لأشراف ذوي زيد أحد أمراء مكة المكرمة (انظر: معجم معالم الحجاز ٣/١٣-١٤).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣/٨٧-٩٦)، وغاية المرام (٢/١٨١-١٩٥)، والعقود اللؤلؤية (٢/١٨٧)، وخلاصة الكلام (ص:٣٣-٣٤)، والأعلام (١/١٦٨).

(٤) العقد الثمين (٣/٨٧).

(٥) في الأصل: صحبته. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٢٧٦).

(٦) في الأصل: صاحب. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق، والعقد الثمين (٢/١٤١)، وغاية المرام (٢/١٧٥).

(٧) في الأصل: ومعه. والمثبت من إتحاف الورى والعقد الثمين، الموضعان السابقان.

(٨) انظر: منائح الكرم (٢/٣٦٥)، والسلوك (٤/٢٤٢)، وغاية المرام (٢/١٧٥-١٧٦).

وانصلح بالعسكر حال مكة، وارتفع عنها الجور وانتشر العدل بها، وأُسقط المكس من المأكولات، وجُلبَت الأقوات؛ فرخصت فيها الأسعار إلى الغاية، وانقمع أهل الفساد، بحيث لم يتجاسر أحد منهم على حمل السلاح بمكة؛ لأن مُقَدّم العساكر أمر بذلك، وأقام العسكر بمكة بعد الحج إلى آخر السنة(١).

وتوجه إلى مصر الشريف عجلان ومعه ابناه أحمد وكُبَيْش في جماعة من [ألزام](٢) عجلان، فلما وصلوا إلى مصر قبض على عجلان وابنيه أحمد وكُبَيْش، فاعتقلوا بقلعة مصر، وأقسم الناصر حسن صاحب مصر أن لا يطلقهم ما دام حياً؛ لأنه كان شديد الحنق على عجلان وابنه أحمد لأمور؛ منها: أن أحمد بن عجلان صدّ الخطيب الضياء الحموي عن الخطابة بالمسجد الحرام، بعد أن برز إلى المسجد في شعار الخطبة في موسم السنة قبل هذه [رعاية](٣) للقاضي شهاب الدين الطبري.

وأقام ثقبة بالخبت(٤) لقطع الطريق على من يأتي من حلي إلى مكة من

(١) انظر: العقد الثمين (٢/١٤١-١٤٢)، وشفاء الغرام (٢/٣٥٠)، ودرر الفرائد (١/٤١٢)، وغاية المرام (٢/١٧٦).

(٢) في الأصل: آل. والمثبت من إتحاف الورى (٣/٢٧٧)، وغاية المرام (٢/١٨٢)، والعقد الثمين (٣/٨٧).

(٣) في الأصل: إعانة. والمثبت من العقد الثمين (٣/٨٧)، وإتحاف الورى (٣/٢٧٧)، وغاية المرام (٢/١٨٢).

(٤) الخبت: هو خبت ريعان باليمن بين لُومة وقنونا، وكان يسكنه بعض الأشراف العبادلة، والأشراف العجاليين "بني عجلان" (بين مكة واليمن ص:١١٣).

التجار والحجاج والمسافرين[١]. انتهى ما ذكره ابن فهد.

وفي خلاصة الكلام[٢]: وفي سنة سبعمائة وإحدى وستين وقعت فتنة بين عسكر مصر والأشراف، وقُتل كثير من الأتراك، وعثرت بالشريف مغامس بن رميثة فرسه فسقط، فقتله الأتراك، وأسر الأشراف [كثيراً][٣] من الأتراك وأرسلوهم إلى ينبع، وصاروا يبيعونهم، ينادي عليهم الدلالون كالعبيد، فلما بلغ صاحب مصر هذه الفتنة أرسل الشريف عجلان وولده إلى الاسكندرية إلى البرج، وكانا معتقلين عنده، وأمر بتجهيز عسكر إلى الحجاز، وأمرهم باستئصال الأشراف، وقال: لا حاجة لنا بهم، فلم يُقِمْ بعد ذلك إلا أياماً حتى عزلته الأتراك[٤]، وولوا مصر الملك المنصور محمد بن المظفر.

ذكر إطلاق الشريف عجلان من الحبس وتوليته إمارة مكة

فأطلق السيد عجلان، وولاه مكة، وأشرك معه أخاه ثقبة بسؤال منه، وأرسل السلطان مع الشريف عجلان عسكراً، وكان ثقبة بوادي مَرّ. فلما وصل عجلان وادي مَرّ اجتمع بأخيه ثقبة، وكان عليلاً، فاستمر هناك إلى أن

(١) انظر: غاية المرام (١٨٢/٢)، والعقد الثمين (٨٧/٣).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٣٣). وانظر: سمط النجوم (٢٥٦/٤-٢٥٨)، ودرر الفرائد (٤١٣/١-٤١٤)، ومنائح الكرم (٣٦٧/٢-٣٦٩)، وغاية المرام (١٨٣/٢).

(٣) في الأصل: كثير. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٤) تزعم عزل الناصر حسن مملوكه يلبغا العمري الخاصكي في جمادى سنة ٧٦٢هـ (الجوهر الثمين لابن دقماق العلائي ص:٤٠٢-٤٠٣).

توفي في شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وحُمل إلى مكة ودفن بها[١]. انتهى.

وقال السنجاري في المنائح[٢]: قال الفاسي: وفيها -أي: في سنة اثنتين وستين وسبعمائة- غزا الشريف ثقبة أهل نخلة وأخذ منهم غلتهم [وجباهم][٣]، وقطع لهم بعض نخل، ومرض هناك وولده، وأقام بها نصف شهر، فدخل مكة وهو مريض.

وانقطع بمكة في رباط الشرابي[٤]، يُحمل كل ليلة إلى تجاه مقام إبراهيم عليه السلام، فيُضرب له خباء هناك، ويُجعل له سرير [يرقد][٥] فيه كل ليلة، وكان قد عرض له زمانة في رجليه، وكان يُحمل في كساء، وقد يمشي بين اثنين.

فسار بعد ذلك إلى الخبت والوادي فتوفي هناك، وحُمل إلى مكة، ودُفن يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضان بحذاء قبر أبيه السيد رميثة، داخل القبة المعروفة بقبر أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وذلك بعد صلاة

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٣٣). وانظر: غاية المرام (١٣٦/٢، ١٨٣)، والعقد الثمين (٣٩٨/٣، ٦٨/٦).

(٢) منائح الكرم (٣٧١/٢-٣٧٢). وانظر: إتحاف الورى (٢٨٩/٣-٢٩١).

(٣) في الأصل: وجباءهم. والتصويب من منائح الكرم (٣٧١/٢)، وإتحاف الورى (٢٨٩/٣).

(٤) رباط الشرابي: هو رباط الأمير إقبال الشرابي المستنصري العباسي، وكان يقبع عند باب بني شيبة على يمين الداخل من باب السلام إلى المسجد الحرام، وتاريخ عمارته له في سنة ٦٤١هـ، وللشرابي عليه أوقاف كثيرة من الكتب ومن المياه وغير ذلك بوادي مَر ونخلة، جزاه الله خير الجزاء وأثابه مر الدهور والأيام (العقد الثمين ١١٨/١، وشفاء الغرام ٦٠٨/١).

(٥) في الأصل: ويرقد. والتصويب من منائح الكرم (٣٧١/٢)، وإتحاف الورى (٢٨٩/٣).

الصبح عند طلوع الشمس. انتهى.

واستمر الشريف عجلان على ولاية مكة، ثم أشرك معه ابنه أحمد في شوال من السنة المذكورة، وجعل له ربع المتحصل، وقطع الدعاء لسند على المنبر، وأمر بالدعاء لابنه أحمد. كذا في الخلاصة(١).

وقال ابن فهد(٢): وفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة توجه السيد عجلان من مكة لحرب صاحب حلي الأمير أحمد بن عيسى الحرامي -بحاء وراء مهملتين-، والتقى الفريقان بموضع يقال له: قَحْزَة -بقاف وحاء مهملة [وزاي](٣) معجمة وهاء- بقرب حلي، فكان النصر لعجلان وأصحابه، فلم يُقتل منهم إلا اليسير، وقُتل من المحاربين لهم نحو المائتين -فيما قيل، وقيل: أربعمائة-، وهرب صاحب حَلْي، واستولى السيد عجلان على حلي وعلى أموال كثيرة لأهلها، واستأثر عجلان بأشياء من ذلك، فلم يسهل ذلك على من كان معه من بني حسن، وتغيَّرت عليه خواطرهم، وتقدم عنه إلى صوب مكة طائفة منهم، وكاتبوا أخاه سنداً يأمرونه بالقدوم عليهم إلى مكة ليساعدوه على ولايتها، وأمَّلُوه بالنصر، فحضر السيد سند إلى جدة، وصادف بها جلبة فيها مال جزيل لتاجر مكي يقال له: ابن عرفة، فنهبها

(١) خلاصة الكلام (ص:٣٣). وانظر: منائح الكرم (٢/٣٧٢)، والعقد الثمين (٣/٨٨)، وغاية المرام (٢/١٤٩-١٥٠).

(٢) إتحاف الورى (٣/٢٩٤-٢٩٥). وانظر: العقد الثمين (٤/٦١٩-٦٢٠، ٦/٤٣١)، وغاية المرام (٢/١٥٠).

(٣) في الأصل: وزاء. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٢٩٤)، وغاية المرام (٢/١٥٠، ١٧٠-١٧١).

سند، وبلغ خبرها لنائب عجلان على مكة كُبَيْشاً، فجمع أهل مكة وخرج إلى جدة ليستعيد من سند ما أخذ، فأشار عليه بعض أحباب أبيه بعدم التعرض لسند، ورجوعه إلى مكة وحفظها، ففعل. ونقل سند ما نهبه إلى الجديد بوادي مَرّ -وكان ما وقع منه بجدة قبل حضور بني حسن من حلي-، فلما حضروا إلى مكة انضم إليه جمع كثير منهم، وفرق ما معه عليهم فلم يفده ذلك في مراده؛ لأن كل من انضم إليه من بني حسن له [قريب][1] أكيد مع عجلان، وقصد كل منهم التحريش بين الأخوين؛ لينال كل فريق مراده مما يلائمه من الأخوين، وعرض له بأثر ذلك مرض مات به بالجديد، واستولى ابن أخيه عنان بن مغامس بن رميثة[2] على خيله وسلاحه، وفرّ بذلك إلى اليمن عن عمه عجلان؛ لأنه وارث لسند.

وفي سنة سبعين وسبعمائة[3] -في ربيع الآخرة- تزوج السيد عجلان أم السعد زينب بنت القاضي شهاب الدين أحمد بن القاضي نجم الدين الطبري، وأصدقها سبعين ألف درهم، وعقد عليها القاضي أبو الفضل النويري.

---

(١) في الأصل: قرب. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٢٩٥)، والعقد الثمين (٤/٦١٩)، وغاية المرام (٢/١٧١).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٦/٤٣٠-٤٤٢)، وغاية المرام (٢/٢٠٠-٢٢٣)، وشفاء الغرام (٢/٣٥٢)، والأعلام (٥/٩٠).

(٣) إتحاف الورى (٣/٣٠٩).

وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة[١] -بعد الحج- طلق السيد عجلان زوجته زينب ابنة القاضي شهاب الدين الطبري طلقة واحدة رجعية؛ بعد سؤالها ذلك منه، وتوسّلها بالختمة المعظمة أن يطلقها؛ لظنها أن الشريف يبقى على ما كان عليه بمكة، فإنها كانت تجد الكلفة العظيمة؛ لما يريده منها للقيام بكلفته وكلفة غلمانه وعبيده وبني حسن، وما [ينصرف][٢] على سماطه من مالها في كل شهر.

ولأنها عجزت عن القيام بذلك كله، فإنه كان لا يعطيها في كلفة ذلك ما يكفيها.

ولأنها ظهر لها أن بعض سراريه قد حملت منه، وكانت سألته أن لا يقرب سرية من سراريه، فقال لها: أما الزواج فلا أتزوج عليك أحداً، وأما الجوار فلا عليك منهن، فأبت إلا الطلاق، فطلّقها.

ذكر نزول الشريف عجلان عن إمارة مكة وأعمالها لولده الشريف أحمد

وفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة[٣] استخار الله تعالى السيد عجلان ونزل عن إمرة مكة وأعمالها لولده السيد أحمد، وسبب تركه لذلك: أنه كان رغب في أن يكون ابنه محمد بن عجلان ضدّاً لأخيه أحمد بن عجلان؛ بأن يفعل في

---

(١) إتحاف الورى (٣/٣١٥-٣١٦).
(٢) في الأصل: يتصرف.والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣١٦).
(٣) إتحاف الورى (٣/٣١٨). وانظر: العقد الثمين (٣/٨٨-٩٠)، وغاية المرام (٢/١٨٤-١٨٥).

البلاد فعلاً يظهر به محمد ويغضب منه أحمد، فيلين بذلك جانب أحمد لأبيه؛ لأنه كان قَوِيَ عليه، وينال بذلك مقاصد من ابنه أحمد، فكتب عجلان ورقة إلى ابنه محمد يأمره بأن يشْغب هو وأصهاره الأشراف على أحمد بن عجلان، وأن يأخذ من خيل أبيه ما شاء، ويذهب إلى نخلة فيأخذ منها أدرعاً له هناك مودعة، ويأخذ ممن هي عنده ما يحتاج إليه من المصروف، فوصلت ورقته إلى ابنه محمد وهو في لهوٍ مع بعض أصدقاء أخيه أحمد، فأوقفهم على ورقة أبيه، فاستغفلوه وبعثوا بها إلى أخيه أحمد، وأشغلوه باللهو إلى أن بلغ أخاه الخبر.

فقصد أحمد أباه في جمع كثير مُعَاتِباً له على ما فعل -وكان قد بلغه ما كان من ابنه محمد، وشقَّ عليه ذلك كثيراً-، فاعتذر لأحمد، وما وجد شيئاً يَتَنَصَّلُ به إلا السماح له بترك الإمرة على مال جزيل يسلمه له ابنه أحمد، وعلى أن يشتري منه جانباً من خيله بمال جزيل بشرطه، وعلى أن يشتري منه ألف غرارة حَبّ ذرة، وظن أنه يعجز عما يشترط عليه عوضاً في الترك، وكان في [نفسه][1] ثلاثمائة ألف درهم -فيما قيل- بعضها في مقابلة الإمرة، وبعضها في ثمن الخيل. فالتزم أحمد مقصود أبيه من المال. ثم إن عجلان ندم على ذلك وألحّ على ابنه أحمد في تحصيل المال النقد الذي شرط عليه استعجازاً منه له عن تحصيله؛ ليكون له ذلك سبباً إلى أن يرجع الأمرُ له كما

---

(١) في الأصل: كيسه. والمثبت من العقد الثمين (٨٩/٣)، وغاية المرام (١٨٥/٢)، وإتحاف الورى (٣١٨/٣).

كان من غير نكث فيه، فَقُيِّض لأحمد بن عجلان مَن أعانه على إحضار المال المشروط، فأحضره إلى أبيه، [فامتعض][١] من ذلك ورام أن يُعْرِض عن قوله، فما قدر عليه، وما وسعه إلا الموافقة، فاشترط على ابنه أيضاً أن يكون له الخير الذي قُرِّرَ لعجلان بديار مصر على إسقاط المكس عما يصل إلى مكة من المأكولات، وعما يصل من الأموال مع حجاج الديار المصرية والشامية برًّا وبحراً، وهو مائة ألف درهم وستون ألف درهم، وألف إردب قمح، وأن يديم له ذلك مدة حياته، مع الخطبة له والدعاء على زمزم، فالتزم له ابنه بذلك، وأشهد كل منهما على نفسه بما التزمه جماعة من أعيان الحرم، وكتب بذلك محضر.

وفيه أيضاً[٢]: أن السيد عجلان والمجاورين يسألون تقرير السيد أحمد في ولاية مكة بمفرده، وسلّم إليه البلاد، وحكم فيها وحده، وصير إليه أمرَ من كان يخدمه من الشرفاء والقواد وبني حسن والمولدين والجند والمماليك والعربان، وصار النداء له ولأبيه معه، والحكم في كل شيء للسيد أحمد، وترك ما كان الشريف عجلان يأخذ من أهل مكة [بعد ترك الجباء من العقدة والطرح والمشترى من الحب وغيره][٣]، [والمرتَّب][٤] على أهل

(١) في الأصل: فامتغض. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣١٩).
(٢) إتحاف الورى (٣/٣١٩-٣٢٠).
(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣/٣١٩).
(٤) في الأصل: المرتب. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

الأسواق وأرباب الصنائع بمكة وأعمالها، والجباء الشديد الذي كان يؤخذ في جدة من حاج البحر وغيرهم، والدلالة والكيالة، وغير ذلك كله. وكتب بذلك محضراً، وأرسل بذلك مع المحضر المكتوب على السيد عجلان بالنزول له صحبة الشريف [حناش][١] بن راجح بن عبدالكريم، زوج الشريفة ريا بنت عجلان، شقيقة السيد أحمد، فوصل بذلك إلى مصر، فأجاب السلطان إلى ذلك، فوقع للسيد أحمد بذلك، وكُتِبَ له بذلك تقليدٌ كبير مليح باهي[٢]، وأرسل له [صحبته][٣] خلعة مخملة، وأنعم عليه بأربعة آلاف درهم إنعاماً، فوصل السيد حناش والأمير سيف الدين السلاح[٤]، ومعه بعض جماعة من أهل القلعة في أوائل شعبان، وكان السيد أحمد بن عجلان خارج مكة، فوصل إلى مكة في يوم الاثنين سادس شعبان، فقرئ التقليد عليه بولاية الحكم والسلطنة بمكة، وسائر البلاد الحجازية فوق زمزم، وألبس خلعة التشريف له بذلك، وأخذت العهود إليه بترك الظلم والجباء، وحفظ الحاج وطاعة السلطان، وكفّ الظلم عن أهل مكة والحاج، والقيام بما تضمنه تقليده من ذلك، مع ترك الجباء كله والمظالم، إلا ما يؤخذ من تجار الكارم

(١) في الأصل: حباش. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق. وانظر ترجمته في: العقد الثمين (٢٤٩/٤).
(٢) باهي: تعبير عامي بمعنى حسن، وفصيحه به أو بهي.
(٣) قوله: "صحبته" زيادة من إتحاف الورى (٣٢٠/٣).
(٤) السلاح أو السلحدار: هو لقب على الذي يحمل سلاح السلطان، أو الأمير الذي هو في خدمته. وفي وظيفته أيضاً الإشراف على دار السلاح (سلاح خاناه). وهو مركب من كلمتين: أولاهما عربي ومعناها: (آلة القتال)، والثانية فارسية ومعناها: (ممسك)، ويكون المعنى: ممسك السلاح (صبح الأعشى ٤٣٤/٥، والقاموس الإسلامي ٤٢٣/٣).

والعراق وأهل اليمن خاصة، وحلف على ذلك كله بالأيمان على المصحف العثماني في مقام إبراهيم الخليل[١]. انتهى.

واستمر الدعاء على المنبر للشريف عجلان وابنه أحمد إلى سنة سبعمائة وسبع وسبعين، وانتقل الشريف عجلان للجديد من وادي مَرّ، ثم توفي به، وحُمل على أعناق الرجال إلى مكة. -وفي إتحاف فضلاء الزمن[٢]: حمل على أعناق البغال في تختروان[٣] إلى مكة-، وصُلي عليه، وطيف به أسبوعاً[٤]، ودُفن بالمعلا، وبُني عليه قبة[٥]، وقد بلغ سبعين سنة، وكانت مدة ولايته استقلالاً واشتراكاً نحو ثلاثين سنة. كذا في الخلاصة[٦].

وفي المنائح[٧]: وهو أول من ملك حلي من أرض اليمن وأخذها، وبنى الحصون بأجياد، وأرض حسان، وملك الخيول والعبيد والسيوف والدروع، وأنشأ بمكة مدرسةً وسبيلاً للماء بالمروة، وقصده الشعراء والعلماء.

وأعقب جملة من الأولاد، منهم: أحمد ومحمد وعلي وحسن وكُبَيْش. انتهى.

---

(١) انظر: العقد الثمين (٢/١٣٧-١٣٨، ٣/٨٧-٩٧، ٦/٦٩-٧٠).
(٢) إتحاف فضلاء الزمن (١/١٦٦).
(٣) التختروان: محفة لها ذراعان من أمام ومثلهما من الخلف، يحمله دابتان(المعجم الوسيط ٨٢/١).
(٤) من البدع التي احدثت الطواف بالميت، وقد أزالها الله تعالى.
(٥) قد أزيلت هذه القبة، حيث لم يرد في الشرع مايجيز بناءها على القبور.
(٦) خلاصة الكلام (ص:٣٣-٣٤).
(٧) منائح الكرم (٢/٣٧٧).

ذكر شراكة محمد بن أحمد بن عجلان لأبيه في ولاية مكة

واستمر أحمد بن عجلان إلى سنة ثمانين وسبعمائة، فأشرك معه في الإمرة بمكة ولده محمداً[١]، وما كان له بمشاركته في ذلك أثر وذلك لصغره؛ لأن السيد أحمد هو قائم بمصالح العسكر، وإليه النظر في جميع الأمور[٢].

وفي سنة أربع وثمانين وسبعمائة[٣] سأل السيد أحمد بن عجلان صاحب مصر أن يكون ولده محمد بن أحمد معه في ولايته بمكة، وكتب له بذلك، فجاء تقليده وخلعته من مصر في موسم سنة خمس وثمانين.

واستمر إلى أن مات أحمد بن عجلان في حادي عشر من شعبان سنة ثمان وثمانين[٤].

وفي سنة ست وثمانين وسبعمائة[٥] سافر السيد عنان بن مغامس وحسن ابن ثقبة[٦] إلى مصر، فبالغا في شكوى السيد أحمد بن عجلان، وسألا

---

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣١٧/١-٣٢٠)، وغاية المرام (١٩٥/٢-٢٠٠)، وشفاء الغرام (٣٥٢/٢)، والأعلام (٣٢٩/٥).

(٢) إتحاف الورى (٣٣١/٣)، والعقد الثمين (٣١٧/١-٣١٨، ٩٠/٣)، وشفاء الغرام (٣٥٢/٢)، ومنائح الكرم (٣٧٧/٢)، وغاية المرام (١٨٥/٢)، وخلاصة الكلام (ص:٣٤).

(٣) إتحاف الورى (٣٤١/٣). وانظر: العقد الثمين، وشفاء الغرام، ومنائح الكرم، وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٤) إتحاف الورى (٣٦٠/٣).

(٥) إتحاف الورى (٣٤٣/٣-٣٤٥). وانظر: العقد الثمين (٩٣/٣)، وغاية المرام (١٨٩/٢-١٩٠، ٢٠٢-٢٠٣).

(٦) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٦٨/٤-٦٩)، والضوء اللامع (٩٧/٣).

السلطان الظاهر برقوق في أن يرسم لهما عليه بأمور، فأجاب سؤالهما؛ لأن عناناً رُزق قبولاً من السلطان. وكان السيد أحمد بن عجلان قد أتبعهم بكُبَيْش وهدية سنية للظاهر، فرأى كُبَيْش من الدولة إقبالاً على عنان وحاله رائج، فالتزم بالموافقة على ما رسم به السلطان لعنان وحسن بن ثقبة؛ لئلا يتم على أحمد سوء بمصر، [وسالمهما][1] حتى [توصّل][2] إلى مكة، فعرَّف أحمد بن عجلان الخبر، وقال له: لا بد من موافقتك على ما رُسِمَ به لهما أو الفتك بعنان، فمال إلى الثاني وأضمر ذلك.

واجتمع به عنان وحسن بن ثقبة بعد التوثُّق منه، فما أجاب لمرادهما. ثم إن بعض [المتكفّلين بعنان][3] عرّفه بقصد أحمد بن عجلان فيه -وكان ذلك بمنى-، ففرّ عنان إلى ينبع، ولحقه حسن بن ثقبة، وتوجّه صحبة الحاج محمد ابن عجلان بن رميثة إلى مصر مغاضباً لأخيه أحمد، وطالبا خيراً يحصل له بمصر، فلما وصلوا ينبع تكلم أمير الحاج المصريْ أبو بكر بن سنقر الجمالي المعروف ببهادر، وغيره من أحباب أحمد بن عجلان مع عنان وحسن بن ثقبة في الرجوع إلى أحمد بن عجلان، فهو يجيب إلى طلبهما، وقالوا نكتب إليه ذلك فلا يخالف، وهذا أخوه محمد يرجع معكما، وحَسَّنوا لمحمد أن يرجع معهما، وأنهم يأمروا أحمد بكرامته وإسعافه بما يرومه، وأطمعوه في المزيد

(١) في الأصل: وسألهما. والتصويب من إتحاف الورى (٣٤٤/٣)، وغاية المرام (١٨٩/٢).
(٢) في الأصل: يوصلا. والتصويب من العقد الثمين (٩٣/٣)، وغاية المرام (١٨٩/٢).
(٣) في الأصل: المتكلفين لعنان. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

بالإحسان من أحمد إذا وصل إليه بالمذكورين، فرجع الثلاثة إلى أحمد، وسافر الحاج.

وفي أول سنة سبع وثمانين وسبعمائة[١] وصل الأشراف؛ محمد بن عجلان، وعنان بن مغامس، وحسن بن ثقبة من ينبع إلى مكة يَتَوَثق محمد بن عجلان من أخيه أحمد لنفسه أولاً ولمن قدم بهم معه اعتزازاً منه بنفسه؛ لظنه أن أخاه لا يخفره ولا يسوؤه في نفسه ولا من معه، وأنه إذا لم يوافق على مقصودهما ردّهما إلى مأمنهما، فلم يصب ظنه.

فلما اجتمعوا بالسيد أحمد بن عجلان، وقد جلس لهم مجلساً عاماً فيه الترك والعبيد، وقرّر معهم أن يقبضوا على عنان وحسن بن ثقبة إذا أشار إليهم بذلك، فلما أشار بذلك قبضوا عليهما، وركب السيد أحمد بن عجلان من فوره إلى أحمد بن ثقبة[٢] وقبض عليه وعلى ولده علي بن أحمد ابن ثقبة[٣]، وكان أحمد بن ثقبة مُظْهِراً الطاعة لأحمد بن عجلان، ومُعْرِضاً عن مرافقة[٤] أخيه حسن بن ثقبة وعنان، فما أفاده ذلك، وقُيِّد الجميع، وضَمَّ إليهم أخاه محمد بن عجلان.

ومن الناس من يقول: إن السيد أحمد بن عجلان ندب أخاه محمداً لإحضار عنان وحسن بن ثقبة، فلما حضر بهما إليه قبض

---

(١) إتحاف الورى (٣/٣٤٧-٣٤٨). وانظر: العقد الثمين (٣/٩٣-٩٤).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣/٢٢-٢٣)، وغاية المرام (٢/٢٢٣-٢٢٤)، وشفاء الغرام (٢/٣٥٢)، والضوء اللامع (١/٢٦٦).

(٣) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٥/١٦٥).

(٤) كذا في الأصل وإتحاف الورى. وفي العقد الثمين: موافقة.

عليهما، فأنكر ذلك محمد على أخيه، فضمَّه إليهم، وسجن الخمسة بأجياد مدة يسيرة، ثم بالعلقمية عند المروة واستمروا بها إلى الموسم، ثم نقلهم إلى أجياد.

وفي الموسم وصل إلى السيد أحمد بن عجلان كتاب السلطان من مصر بإطلاقهم، فلم يفعل، ونقلهم بعد الموسم من أجياد إلى العلقمية عند المروة.

وفي سنة ثمان وثمانين وسبعمائة[١] -في أوائل جمادى الأولى- كاد محمد ابن عجلان، وعنان بن مُغامس، وحسن بن ثقبة، وأخوه أحمد، وولده علي ابن أحمد [يُفلِتُون][٢] من الحبس بحيلة دبَّروها، وهي أنهم ربطوا سُرُراً كانت عندهم بثياب معهم [وصعدوا][٣] فيها -غير محمد بن عجلان- حتى بلغوا طاقةً تُشْرف على منزل ملاصق لسجنهم، فنزلوا منها إليه، ففطن بهم بعض الساكنين فيه، فصاح عليهم يظنهم [لصوصاً][٤]، فسمع الصياح الموكّلون بهم من خارج السجن، وعرفوا الأشراف بتيقظ الموكلين بهم، فأحجموا عن الخروج، إلا عناناً فإنه أقدم، ولما بلغ باب الدار وثب وثبةً

---

(١) إتحاف الورى (٣/٣٥١-٣٥٨). وانظر: العقد الثمين (٦/٤٣٢-٤٣٤)، ومنائح الكرم (٢/٣٨٦-٣٨٨)، وخلاصة الكلام (ص:٣٤-٣٥)، وغاية المرام (٢/٢٠٣-٢٠٥).

(٢) في الأصل: يفلتوا. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٥١)، وغاية المرام (٢/٢٠٣).

(٣) في الأصل: صعدوا. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق، والعقد الثمين (٦/٤٣٢)، وغاية المرام (٢/٢٠٣).

(٤) في الأصل: لصوص. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

فانفكّ القيد عن إحدى رجليه، وما شعر به أحد حتى خرج، فسار إلى جهة سوق الليل[١]، وما كان غير قليل حتى رأى كُبَيْشاً والعسكر يفتّشون عليه بضوء معهم، فدنا إلى مزبلة بسوق الليل وأظهر أنه يبول، وأخفاه الله عن أعينهم، فلما رجعوا سار إلى أن لقيه بعض معارفه؛ وهو عمران الحليس، فعرَّفه خبره، وسأله في تغييبه، [فغَيَّبه][٢] في بيت بشعب علي، في صهريج فيه، ووضع على فمه حشيشاً [ودابّة][٣]؛ لئلا يظهر موضع الصهريج للناظر في البيت.

وفي الصباح أتى كُبَيْش بعسكره إلى ذلك البيت؛ لأنه أُنهي إليه أنه فيه، فما وجده فيه، فقيل له: إن في البيت صهريجاً، فأعرض عن ذلك؛ لما أراد الله من سلامة المختفي فيه.

ثم بعث عنان إلى بعض الأشراف ذوي راجح -وكان له منهم قرابة-، فحضر إليه غير واحد منهم، وسألهم في إعانته بمركوب له ولمن يسافر معه، فأجابوه لقصده، وأخرجوا له ركائب إلى المعابدة[٤]، وحملوا عليها فخّاراً وغيره ليخْفَى أمرها عمّن يراها.

---

(١) سوق الليل: يقع بجوار المسجد الحرام في طرفه الشرقي جنوب منطقة القشاشية، وهو حي من أحياء مكة.

(٢) قوله: "فغيبه" زيادة من إتحاف الورى، الموضع السابق، والعقد الثمين (٦/٤٣٣)، وغاية المرام (٢/٢٠٤).

(٣) قوله: "ودابة" زيادة من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٤) المعابدة: حي من مكة سبق التعريف به في (ص: ٢٠٦).

وخرج عنان من سوق الليل إلى المعابدة، ونزل عند امرأة يعرفها، فأخفته بإلباسها له ثياب النساء، وأجلسته معها ومع غيرها، ونمي الخبر إلى كُبَيْش، فأتى إلى المترل الذي فيه عنان بالمعابدة، وسأل [عنه](١) صاحبة المترل التي أخفته، فقالت: من عنان؟ وأتت بكلام فهم منه أنه ليس عندها، فصدّقها ورجع. فلما كان الليل ركب مع رجلين أو ثلاثة على الرواحل [التي](٢) أعدّت لهم، فوقفت بعض ركاهم قبل وصولهم إلى وادي مَرّ، وما وصل هو إلى خليص إلا وقد كلّت راحلته. فسأل بعض أهل خليص عن راحلة لبعض أصحابه بلغه أهًا بخليص، فأخبر بوجودها فأخذها، ويقال: إن صاحبها كان إذا فرغ من علفها يقول: ليت [عناناً](٣) يخلص فينجو عليك. فكان ما تمناه؛ فوصل عنان إلى ينبع فتزوج بها، وأقام عند زوجته ليلة أو أكثر، ثم توجه إلى مصر في جمادى الأولى في ست عشرة راحلة من بني حسن وغيرهم، وأقبل عليه الظاهر، ووصل إلى الظاهر كتاب من أحمد بن عجلان يسأله في رد عنان [إليه](٤)، فكتب إليه الظاهر يقول: وأما ما ذكرت من جهة عنان فإن الله سبحانه وتعالى يقول﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ

---

(١) في الأصل: عن. والتصويب من إتحاف الورى (٣٥٢/٣)، والعقد الثمين (٤٣٣/٦)، وغاية المرام (٢٠٤/٢).

(٢) في الأصل: الذي. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين، الموضعان السابقان.

(٣) في الأصل: عنان. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٤) قولــه: "إليه" زيادة من إتحاف الورى (٣٥٢/٣)، والعقد الثمين (٤٣٤/٦)، وغاية المرام (٢٠٥/٢).

كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ﴾ [التوبة:٦]، وأمره السلطان بإطلاق الأشراف، فامتنع السيد أحمد من ذلك، ثم قُدِّرَ بعد ذلك موت السيد أحمد بن عجلان في ليلة السبت تاسع عشر شعبان.

ولاية الشريف محمد بن أحمد بن عجلان منفردا

وأقيم عوضه ابنه محمد بن أحمد، وقام بأمر مكة كُبَيْش بن عجلان[١]، ثم بعد موت السيد أحمد بنحو عشرة أيام كَحَل[٢] السيد كُبَيْش بن عجلان الأشراف محمد بن عجلان، وحسن بن ثقبة، وأخاه أحمد، وولده علياً، وعمره اثنتا عشرة سنة.

وألِمَ لذلك الناس، وما حصل للراغب في ذلك راحة، وكان المتظاهر بذلك محمد بن أحمد بن عجلان، وكانوا ترقّقُوا لمحمد بن عجلان عند كَحْلهم فما أفادهم ذلك، وترققوا قبل ذلك لأبيه بأشعار كتبوها إليه فما أجدت، فسرت على كل منهم ما قضى الله [به][٣] عليه، والذي حمل كُبَيْشاً على ذلك ما توهّمه في أن ذلك [حسم][٤] لمادة شرهم عن ابن أخيه، فلم يتم له مراده[٥].

وبعث محمد بن أحمد بن عجلان إلى الملك الظاهر صاحب مصر الشريف

---

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٨٥-٩٠).

(٢) الكَحْل: هو إذهاب البصر بحديدة محماة أو نحوها، توضع أمام العين حتى يذهب بصرها (شرح مصطلحات صبح الأعشى).

(٣) قوله: "به" زيادة من إتحاف الورى (٣/٣٥٣)، والعقد الثمين (٣/٩٤).

(٤) في الأصل: حسماً. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٥٣).

(٥) انظر خبر كحل هؤلاء الأشراف في: غاية المرام (٢/١٩٦، ١٩٨، ٢٢٣).

عطيفة بن محمد بن عطيفة بن أبي نمي، وكتب معه كتاباً يخبر فيه بموت والده، ويسأل استقراره عوضه في إمرة مكة، ومحضراً فيه خطوط أعيان أهل الحرم بسؤال ولايته، فأجاب السلطان إلى ذلك.

ثم بلغ السلطان كَحْلُ الأشراف فتغيّر على كُبَيْش وابن أخيه محمد بن أحمد، وأضمر السلطان تولية عنان بمكة عوض محمد، وكتم ذلك على عنان، وخادع محمد بن أحمد بن عجلان بأن أرسل إليه العهد والخلعة بولاية مكة مع رسوله، فبلغ الرسول[١] مكة في آخر شوال أو في أواخر النصف الأول من ذي القعدة، فلبس السيد محمد بن أحمد الخلعة، وقرئ تقليده بالإمرة بالحرم الشريف على رؤوس الأشهاد، وزُيِّنَت مكة، وبقيت على ذلك حتى دخل المحمل مع الركب المصري إلى الزاهر[٢]، وأذن السلطان للسيد عنان في التوجه صحبة أمير الحاج أقبغا المارديني، وأمر أمير الحاج بقلّة مراعاته لعنان في الطريق، فكان لا يلتفت إليه، وربما أهانه؛ لئلا يتوهم محمد بن أحمد ابن عجلان فينفر فيفوت المراد منه، وتمت عليه هذه الخديعة لما قضى الله [له][٣] به من الشهادة[٤].

---

(١) الرسول هو: عطيفة بن محمد بن عطيفة بن أبي نمي (انظر: العقد الثمين ٣١٨/١).
(٢) الزاهر: تقدم التعريف به (ص: ٤٣).
(٣) قوله: "له" زيادة من إتحاف الورى (٣٥٤/٣)، وغاية المرام (٢٠٥/٢).
(٤) انظر: غاية المرام (٢٠٥/٢).

وعَرَّفَ السلطان الأمير جَرْكَس الخَليلي[١] أمير آخور الملكي الظاهري بما في نفسه من حق محمد وعنان، وكان جركس من الحجاج في هذه السنة، وهي حجته الأولى، وحجَّ بتجمل كبير.

فلما وصل الأمير جَرْكَس الخَليلي إلى مكة خدمه محمد وأمه السيدة فاطمة بنت ثقبة كثيراً، وبعثت أمّه إليه تسأله عن حال ابنها وعنان، فذكر لها أنه لا يعلم على ابنها سوءاً -وربما قيل إنه حلف لها على ذلك- فانشرح لذلك خاطرها، وحَسَّنَت لابنها الإقدام على مُلاقاة المحمل المصري [لخدمته][٢] على عادة أمراء الحجاز -وكان مُحْجِماً عن ذلك لإشارة كُبَيْش عليه بعدم ملاقاة المحمل-، وما زالت به أمُّه حتى وافقها على مُرادها، فخرج في عسكره في يوم الاثنين مستهل الحجة إلى أن حضر عند المحمل، فأحاط به الترك الذين حوله، فلما أخذ يُقَبِّل خُفَّ جمل المحمل على العادة، وَثَبَ عليه باطنيَّان[٣] فجرحاه جِراحَات مات بها من فوره، وحُمِلَ إلى معلاة

---

(١) جركس الخليلي: هو جركس بن عبد الله الخليلي، صاحب الخان المشهور بالقاهرة. مات قتيلاً في سنة ٧٩١هـ في محاربة الناصري خارج دمشق (السلوك ٢٧٠/٥، والدليل الشافي ٢٣٣/١).

(٢) قولــه: "لخدمته" زيادة من العقد الثمين (٣١٩/١)، وإتحاف الورى (٣٥٥/٣)، وغاية المرام (١٩٧/٢).

(٣) باطنيان: أي رجلان من الباطنية، وهي فرقة من الإسماعيلية الشيعة، كانت تقوم بأعمال الاغتيالات السياسية، مدفوعة بعقيدتها، وبالأجر الذي يدفع لها. أنشأ هذه الفرقة حسن الصباح المتوفى سنة ٥١٨ هـ في قلعة الموت، في الشمال الغربي من بلاد فارس، وكانت تسمى بالحشاشين، وهي بمثابة جمعية سرية يلتزم أعضاؤها بالطاعة العمياء للرئيس الأكبر، والاغتيال والقتل أهم أساليبها، وكان يطلق على الواحد من أعضائها اسم: فداوي "فدائي" (انظر: هامش السلوك ٢٧٧/٢/١ ط القاهرة).

مكة فدُفِنَ بها في جوار جدّه عجلان[١].

ولما رأى كُبَيْش إحاطتهم بابن أخيه فَرَّ إلى جهة جدة، وكان [منعزلاً عن ابن أخيه بمقربة منه؛ لأنه كان][٢] أشار عليه أن لا يحضر لخدمة المحمل؛ لما بلغه من إضمار الشر من أمير المحمل على ابن أخيه، وتبع بعض الترك كُبَيْشاً فلم يظفروا به، وظن أن ابن أخيه لا يصلون إليه بغير القبض عليه، فلما بلغه قتل ابن أخيه ألِمَ عليه، ووَدّ أنه كان حاضراً عنده وقاتل من قتله، وأقام بجدة ثلاثاً[٣].

ولاية الشريف عنان بن مغامس

ولما قتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان أشعر أمير الحاج بولاية السيد عنان لإمرة مكة عوض المذكور، وخدم السيد عنان المحمل، ودخل مكة مُتولياً مع الترك، وهم متسلحون حتى انتهوا إلى أجياد، فحاربوا من ثبت لهم [من][٤] جماعة السيد محمد بن أحمد، ثم ولّوا، وترك الترك الحرب مع التيقظ مخافة العدو[٥].

ونودي لعنان في البلد بالولاية، وأُلْبِسَ الخلعة السلطانية في يوم الاثنين، وقُرِئ توقيعه على قُبَّة زمزم، وكتاب السلطان بولايته، [وإلزام بني][٦] حسن

(١) العقد الثمين (١/٣١٨-٣١٩). وانظر: منائح الكرم (٢/٣٨٣-٣٨٤)، وغاية المرام (٢/١٩٦-١٩٨).
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣/٣٥٥)، والعقد الثمين (٧/٨٦).
(٣) انظر: العقد الثمين (٧/٨٦).
(٤) في الأصل: في. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٥٦).
(٥) انظر: العقد الثمين (٦/٤٣٤)، ومنائح الكرم (٢/٣٨٥).
(٦) في الأصل: والتأم بنو. والتصويب من العقد الثمين، الموضع السابق، وغاية المرام (٢/٢٠٦).

من الأشراف والقواد [بطاعته][١]. وكان بين كتابة تقليده وكتابة تقليد محمد ابن أحمد بن عجلان نحو أربعة أيام أو ستة أيام لا غير، وقام السيد عنان بخدمة الحاج حتى رحلوا، وحج الناس وهم خائفون[٢].

وأرسل عنان علي بن مبارك بن رميثة مع جماعة إلى جدة، ففارقها كُبَيْش[٣].

وسمح السيد عنان لبني شيبة سدنة الكعبة بما كان يأخذه منهم أمراء مكة قبله، وذلك جانب كبير من كسوة الكعبة في كل سنة، أو خمسة آلاف درهم عوضاً عن ذلك، مع ستارة باب البيت، وثوب مقام إبراهيم[٤].

ولما فارق كُبَيْش جدة قصد طريق الحاج، وتعرض للقاء الأمير جركس الخليلي، واستعطفه على آل عجلان، وقال كُبَيْش للخليلي: إنما تركت التعرض للحاج إكراماً لك، وسأله المساعدة على ما يعود نفعه على آل عجلان إذا وصل إلى الديار المصرية، ووعده الخليلي بذلك[٥].

---

(١) في الأصل: لطاعته. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٥٦)، والعقد الثمين، الموضع السابق، وغاية المرام (٢/٢٠٦).
(٢) انظر: غاية المرام (٢/٢٠٥-٢٠٦).
(٣) العقد الثمين (٧/٨٦).
(٤) المرجع السابق (٦/٤٤١).
(٥) المرجع السابق (٧/٨٦).

ثم إن كُبَيْشاً جمع جمعاً كثيراً من الأعراب وقصد بهم جدة، ومعه أيضاً القوّاد العِمَرة[١]؛ فملكها هو ومن معه، ونزل عند صهاريج جدة. ولما سمع بذلك عنان خرج من مكة ومعه من آل عجلان محمد بن عجلان المكحول، ونزل الموضع المعروف بالحديد[٢]، وحصل له ولأصحابه عطش كثير؛ لاستيلاء كُبَيْش ومن معه هناك ثلاثة عشر يوماً، ولم يقع بينهم قتال؛ لأن في كل يوم يُجير[٣] واحدٌ من الفريقين في ترك القتال في ذلك اليوم. ثم إن كُبَيْشاً رأى من أصحابه القوّاد العِمَرة انحلالاً عن القتال؛ واحتجّوا بأنهم يخشون أن يقتل أحد من الأعراب الذين مع كُبَيْش أحداً من جماعة عنان فيؤاخذون به لملائمتهم له، فلما رأى ذلك منهم كُبَيْش عاد إلى الموضع الذي كان به لما فارق جدة أولاً، وهو الموضع المعروف بأم الدمن عند خليص[٤].

ورتَّب السيد عنان بجدة نائباً عنه محمد بن عجلان؛ لملائمته له من السجن، وتوحيشه من كُبَيْش؛ بسبب قيامه في كَحْله، واستدعى

(١) العمرة: طبقة من القواد ظهرت في القرن السابع تقريباً بمكة ذكرهم الفاسي، وظل اسمهم يتردد حتى القرن التاسع، وهم بنو عُمَر ابن مسعود مولى الشريف حسن بن علي بن قتادة، والفاسي يضبط جمعهم بكسر العين، وواحدهم بالضم.
والفاسي إذا أطلق كلمة (القواد) جمع قائد، يعني بها الموالي، وهي اصطلاح عند أهل الحجاز لازال مسموعاً، يقول للعبد (القايد) أو (أبو قايد). وقد ظهرت في عهد الفاسي وقبله طبقات كثيرة من هذا النوع، كانوا يحاربون مع الأشراف حيناً ويحاربونهم أحياناً، وأشهر القواد الذين ذكرهم الفاسي: العِمَرة، والحميضات، واليواسفة، وغيرهم (معجم قبائل الحجاز ص: ٣٥٤-٣٥٥).

(٢) الحديد: موضع في وادي بني مالك شرقي جدة (معجم معالم الحجاز ٢٤٧/٢).

(٣) يجير: أي: يطلب. (المعجم الوسيط ١٤٦/١).

(٤) العقد الثمين (٨٧/٧).

جماعة كثيرة من عبيد أحمد فأحسن إليهم، وقال: أنا عوضكم في مولاكم وابن مولاكم، فأظهروا له الرضا عنه، وجعلهم بجدة، وجعل بها مولى أبيه[١] مغامس محمد بن [بركَتي][٢] عيناً له على محمد ومن معه من آل عجلان[٣].

وفي سنة تسع وثمانين وسبعمائة[٤] وقع من محمد بن عجلان بجدة تقصيرٌ، فأنكره عليه محمد بن بركتي، وأنهى ذلك عنه إلى عنان، فكتب عنان إلى محمد بن عجلان يزجره، ويغلظ له، فاستشاط محمد غضباً، واستدعى جميع من لائم [عناناً][٥] من آل عجلان بوساطته، ففارقوا عناناً، وحضروا إلى محمد بجدة، فقوي أمرُه بهم، وغلبوا على جدة. واستدعى محمد كُبَيْشاً للحضور إليه، فتوقف كُبَيْش؛ لما وقع منه في حق محمد من التقصير بسبب كحله، ثم حضر كُبَيْش إلى جدة بطلب ثانٍ من محمد بعد أن توثق منه، واقتضى رأيهما نهبَ ما في جدة من أموال التجار وغيرهم، من المراكب وغيرها، وكان تجار اليمن قد اجتمعوا بجدة للسفر منها إلى اليمن، وقد حضر إليها ثلاثة مراكب [للكارم][٦] متوجهة من اليمن إلى مصر، فنهب ذلك كله، ويقال: إن ذلك

---

(١) في العقد الثمين وغاية المرام: ابن مولى أبيه.

(٢) في الأصل: بركي. وكذا وردت في الموضع التالي. والمثبت من إتحاف الورى (٣/٣٥٨)، والعقد الثمين (٦/٤٣٥)، وغاية المرام (٢/٢٠٦).

(٣) انظر: العقد الثمين (٦/٤٣٥)، وغاية المرام (٢/٢٠٦).

(٤) إتحاف الورى (٣/٣٦١-٣٦٣).

(٥) في الأصل: عنان. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٦١).

(٦) في الأصل: الكارم. والمثبت من إتحاف الورى (٣/٣٦٢)، والعقد الثمين (٧/٨٨).

قُوِّمَ بستمائة ألف مثقال من الذهب -والله أعلم-، ثم نهب ما في جدة من الغلة المخزونة بها للأمير جَرْكَس الخليلي، وأَيْتَمش.

ولما وقع النهب في المراكب حضر إلى جدة جماعةٌ من الأشراف من أصحاب عنان، منهم علي بن مبارك بن رميثة، فأقبل عليه آل عجلان وأمَّرُوه، وجعلوا نصف المتحصل من ذلك له، وأضافوا إليه جماعةً منهم يكونوا في خدمته، والنصف الثاني لعلي بن عجلان يتصرف فيه جماعته، وعمّوا بالعطاء كل من حضر إليهم من الأشراف من أصحاب عنان.

ولما لم يبق بجدة شيء أجمع رأيهم على المسير إلى مكة، فتوجهوا إليها في ثامن جمادى الأولى، فلما بلغوا الرّكَاني[1] فارقهم علي بن مبارك بن رميثة، وقصد عناناً [متخفياً][2]؛ وذلك خوفاً من آل عجلان، ثم تبعه ابنه [وغيره][3] من إخوته، فقصد آل عجلان البرابر من وادي مَرّ، وأقاموا بها، وصار عبيدهم ينتشرون في الطرقات ويختطفون ما يجدونه، وأهل مكة في خوف منهم ووجل[4].

---

(١) الرّكاني: عين كانت بأسفل مر الظهران يمين الطريق من مكة إلى جدة عندما يهبط الوادي بعد الحديبية، ترى نخلها من هناك، ماؤه أجاج؛ لقربه من بحر جدة. وكانت ملكاً للشريف حسين الشهيد أمير مكة المقتول في جدة سنة ١٢٩٧هـ على يد أحد المعتوهين (معجم معالم الحجاز ٤/٦٧-٦٨).

(٢) في الأصل: مختفياً. والمثبت من العقد الثمين (٧/٨٨)، وإتحاف الورى (٣/٣٦٢).

(٣) في الأصل: وعشرة. والمثبت من العقد الثمين وإتحاف الورى، الموضعان السابقان.

(٤) انظر: العقد الثمين (٦/٤-٥).

وكان عنان في هذه المدة مقيماً بمكة، ولم يستطع الخروج إليهم، واحتاج، فأخذ ما كان في بيت شمس الدين ابن جنٍّ البير -وكيل الأمير جَرْكَس الخليلي أمير خور الملكي الظاهري، [وأحد خواصّ](١) السلطان- من الغلال والقماش والسكر وغير ذلك، -وكان شيئاً كثيراً-، وأعطى ذلك لبني حسن وغيرهم، فترفع به حال عنان، وكان الذين مع كُبَيْش يختلفون على عنان(٢)، فأرْضَى أحمد [بن ثقبة](٣) بن رميثة وعقيل بن مبارك

لما أتاه منافراً لآل عجلان، فصار لعلي بن مبارك وأخيه عقيل نصف البلاد، ولعنان وأحمد بن ثقبة النصف، وصار يُدعَى للأربعة على زمزم، وفي الخطب الصغار في رمضان. وأما في خطبة الجمعة فلا يُدعَى إلا لعنان؛ [لأن الخطيب بمكة لم يوافق](٤) على الدعاء لغيره. ورأى عنان أن في ذلك تقوية لأمره، فكان الأمر بخلاف ذلك؛ لكثرة ما حصل عليه من الاختلاف.

وبلغ ذلك جميعه -مع ما اتفق بجدة ومكة من النهب- السلطان بمصر، فعزل عناناً(٥).

---

(١) في الأصل: وأخذ حواصل. والمثبت من العقد الثمين (٤٣٥/٦)، وغاية المرام (٢٠٦/٢)، وإتحاف الورى (٣٦٣/٣).

(٢) كذا في الأصل وإتحاف الورى. وفي العقد الثمين وغاية المرام: وكان الذين مع عنان يختلفون عليه.

(٣) قوله: "بن ثقبة" زيادة من غاية المرام (٢٠٦/٢)، والعقد الثمين (٤٣٥/٦). وانظر: ترجمته في: العقد الثمين (٢٢/٣).

(٤) في الأصل: ولأن الخطب بمكة لم توافق. والتصويب من إتحاف الورى (٣٦٣/٣).

(٥) انظر: العقد الثمين (٤٣٥/٦)، وغاية المرام (٢٠٦/٢-٢٠٧).

ولاية الشريف علي بن عجلان بن رميثة على مكة ورجوعه إلى مصر حيث لم يمكنه منها عنان

وولّى علي بن عجلان[١] إمرة مكة عوضه؛ حنقاً عليه لما اتفق في ولايته.

ووصل إلى السيد علي في النصف الثاني من شعبان تقليدٌ وخلعةٌ مع نجاب[٢] [معتبر من العيساوية][٣]، فبعثه كُبَيْش إلى عنان لإعلامه بذلك وإخلاء البلد لهم، فامتنع من ذلك أصحابُ عنان، وصمموا على القتال، وتابعهم على ذلك عنان، فجمع كُبَيْش أصحابه القوّاد العِمَرة [والحُمَيْضَات][٤]، وأصرف عليهم مالاً عظيماً من

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٦/٢٠٦-٢١٦)، وغاية المرام (٢/٢٢٧-٢٤٢)، وشفاء الغرام (٢/٣٥٢-٣٥٣)، وخلاصة الكلام (ص:٣٦)، والأعلام (٤/٣١٢).

(٢) النجاب: هم فرقة من خواص السلطان يعتمد عليهم في المهمات الرسمية، وهم من العربان الذين يركبون النُّجُب "الإبل" (الخطط للمقريزي ٣/٣٦٦). وهو حامل الرسائل والمراسيم السلطانية إلى الأمراء والمكلف بالنداء عليها.

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣/٣٦٤)، وغاية المرام (٢/٢٢٨).

(٤) في الأصل: والخميضات. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٦٤)، والعقد الثمين (٧/٨٨).

والحميضات: جاء ذكرهم في القتال إلى جانب الشريف حسن بن عجلان الذي ولي مكة سنة ٧٩٧هـ، وكانوا ينتقلون حول مكة وفي وادي الأبيار. وهم أهل إبل وقتال بالارتزاق، أي كانوا يعينون من يدفع لهم من الأشراف.

ولا يوهم اسمهم أنهم من بني حميضة ابن أبي نمي، فلا صلة لهم إلا أن يكونوا موالي لحميضة أو بنيه.

قال البلادي: ولم أجد لهم ذكراً اليوم، وكان الفاسي يصفهم بالقواد، مما يدل على أنهم موالي (معجم قبائل الحجاز ص:١٢٤).

الزّبّاد[١] والمسك[٢] والإبل وغير ذلك[٣]، وتوجهوا إلى مكة في نحو مائة فارس وألف [راجل][٤]، في آخر اليوم التاسع والعشرين من شعبان، وأخذوا طريق الواسطية، وساروا قليلاً قليلاً حتى أصبحوا في يوم السبت الموفي ثلاثين من شعبان، وهم بآبار الزاهر [أو حولها][٥]، فاقتضى رأي الشريف محمد بن محمود بن أحمد بن رميثة النزولَ هناك يستريحون، ويلحق بهم من [يوادّهم][٦] ممن هو مع عنان في الليلة المسفرة، فأبى كُبَيْش، وخشي من طول الإقامة، وصمم على القتال في ذلك اليوم، وسار العسكر إلى مكة، وأخذوا الطريق التي تخرجهم إلى الزاهر إلى شعب أذاخر، فلما قطعوا الشعب افترق العسكر، فأخذ الحُمَيْضَات الطريق التي تخرجهم على مسجد الإجابة، وأخذ كُبَيْش ومن معه من القوّاد العِمَرة والعبيد ثنية أذاخر، وهو طريق

---

(١) الزباد: نوع من العطور يستخرج من حيوانٌ ثدييّ من الفصيلة الزبادية، قريبٌ من السنانير، يعيش في الهند وجنوب شرق آسيا، له كيس عطر قريب من الشرج، يفرز مادة دهنية تستخدم في الشرق أساساً للعطر (انظر: المعجم الوسيط ٣٨٨/١، والموسوعة العربية الميسرة ص:٩١٨).

(٢) المسك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان، وأجوده في الرائحة والنظر ما كان تُفّاحياً تشبه رائحته رائحة التفاح اللبناني، وكان لونه يغلب عليه الصُّفرة (المعجم الوسيط ٨٦٩/٢، وصبح الأعشى ١٢٨/٢).

(٣) انظر: غاية المرام (٢٢٨/٢-٢٢٩).

(٤) في الأصل: رجل. والمثبت من إتحاف الورى (٣٦٤/٣)، والعقد الثمين (٨٨/٧).

(٥) في الأصل: وحولها. والمثبت من إتحاف الورى، الموضع السابق، والعقد الثمين (٨٩/٧).

(٦) في الأصل: بواديهم. والمثبت من العقد الثمين وإتحاف الورى، الموضعان السابقان.

أقرب إلى الأبطح(١)، فرأوا بالأبطح عناناً وأصحابه -وكانوا قريباً منهم- [فأزال الرَّجْلُ الذي مع كُبَيْش الرَّجْلَ الذي](٢) مع عنان عن مواضعهم بعد قتال جرى [بينهم](٣)، وعقروا الجمال التي عليها طبلخاناهم(٤)، وصاح كُبَيْش بعنان يطلبه للبراز، فلم يجبه، وبرز إليه بعض الأشراف، فلم يَرَه كُبَيْش كُفُؤاً له، وضربه كُبَيْش برمح له فأصابت الضربة فرس المضروب فقتلها، وسقط راكبها، فعمد بعض أصحاب عنان إلى فرس كُبَيْش فعقرها، فسقط كُبَيْش إلى الأرض وصار راجلاً، فقصده أصحاب عنان من كل جانب وقاتلوه، فقاتلهم أشدّ القتال، ثم إن بعضهم استغفله في حال قتاله ورفع الدرع عن ساقه وضربه فيه ضربةً حتى جثا على ركبتيه، وقاتل وهو على تلك الحالة حتى أُزْهِقَت روحه، وانهزم أصحابه الذين شهدوا معه الحرب بعد سقوطه عن فرسه إلى الأرض.

ودخل عنان وأصحابه مكة مسرورين بالنصر، وحمل كُبَيْش إلى المعلاة

---

(١) الأبطح: سبق التعريف به في (ص: ٣١).

(٢) في الأصل: فأزال الرجال الذين مع كبيش الرجال الذين مع عنان. والمثبت من العقد الثمين (٨٩/٧)، وإتحاف الورى (٣٦٥/٣).

(٣) في الأصل: منهم. والمثبت من العقد الثمين وإتحاف الورى، الموضعان السابقان.

(٤) الطبلخانة: مجموعة من الطبول يدقّ بها في المواكب الرسمية، أو في المواقع الحربية، أو على أبواب السلاطين وبعض الأمراء (دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ص: ١٧٩).

فدفن بها[١]. وفُتحت الكعبة لعنان وأصحابه لما انتهوا إلى المسجد، فدخلها جماعةٌ منهم. وأقاموا بمكة إلى أن أطلَّ الحجاجُ المصريون على دخول مكة، ثم فارقوها وقصدوا الزّيمة[٢] بوادي نخلة اليمانية، وتخلّف عنان لما بلغه من تقرير السلطانِ له في نصف الإمرة بمكة المشرفة شريكاً لعلي بن عجلان، بشرط حضور عنان لخدمة المحمل[٣].

ذكر مشاركة علي بن عجلان مع عنان في إمارة مكة ورجوعه من مصر إلى مكة مع الحاج

وكان الشريف علي بن عجلان قد توجه بعد واقعة أذاخر إلى السلطان بمصر، فأقبل السلطان عليه، وولاّه نصف إمرة مكة في النصف الآخر من رمضان، وولّى [عناناً][٤] النصف الآخر، وشرط حضور عنان لخدمة المحمل المصري. وبلغ ذلك عناناً فتهيأ للقاء المحمل، [وبَرَزَ للقائه][٥] حتى كاد يصل إليه، فبلغه أن آل عجلان يريدونه بسوء عند لقائه، ففرَّ وتبع أصحابه إلى الزيمة[٦].

ودخل السيد علي بن عجلان مكة مع الحاج، وقرئ توقيعه على مقام

---

(١) انظر: العقد الثمين (٩٠/٧).

(٢) الزّيْمَة -الزيماء-: قرية قريبة من سولة بوادي نخلة اليمانية، تشتهر بكثرة بساتينها، على بعد ٤٥ كيلاً على طريق الطائف مكة القديم (انظر: معجم البلدان ١٦٥/٣، ومعجم معالم الحجاز ١٥٠/٤، ومعالم مكة ص:١٢٤).

(٣) انظر: العقد الثمين (٤٣٦/٦)، وغاية المرام (٢٠٧/٢-٢٠٨).

(٤) في الأصل: عنان. والتصويب من إتحاف الورى (٣٦٦/٣).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣٦٦/٣)، والعقد الثمين (٤٣٦/٦).

(٦) انظر: العقد الثمين (٤٣٦/٦)، وغاية المرام (٢٠٨/٢).

الحنابلة بالمسجد الحرام[١].

ثم بعد سفر الحاج توجه السيد حسن بن عجلان إلى مصر لتأييد أمر أخيه علي في إمرة مكة[٢].

وبعد سفر الحاج أيضاً نزل السيد عنان وأصحابه وادي مَرّ، واسْتَوْلوا عليه وعلى جدة، ونهبوا بعض تجار اليمن، وأفسدوا في الطرقات. ولأجل استيلائهم على جدة احتاج السيد علي إلى النفقة، فأخذ من تجار اليمن ما استعان به على إزالة ضرورته[٣].

وكتب السيد عنان إلى السلطان يعتذر عن ترك حضوره لخدمة المحمل لما بلغه من قصد آل عجلان له بسوء[٤].

وفي سنة تسعين وسبعمائة[٥] -في ربيع الآخر أو جمادى الأولى- وصل السيد حسن بن عجلان من مصر إلى مكة ومعه جماعةٌ من الترك نحو خمسين فارساً، استخدمهم لأخيه، وخلعةٌ من السلطان وكتابٌ منه يتضمن استمرار أخيه، فلبس الخلعة وقُرئ الكتاب بالمسجد الحرام.

وفيها[٦]: توجه السيد عنان إلى مصر وهو حَنِقٌ على بعض أصحابه، وما

---

(١) العقد الثمين (٦/٢٠٧)، وغاية المرام (٢/٢٢٩).
(٢) إتحاف الورى (٣/٣٦٨). وانظر: العقد الثمين (٤/٨٦).
(٣) انظر: العقد الثمين (٦/٢٠٧)، وغاية المرام (٢/٢٠٨، ٢٢٩-٢٣٠).
(٤) انظر: العقد الثمين (٦/٤٣٦)، وغاية المرام (٢/٢٠٨). وانظر لما تقدم: إتحاف الورى (٣/٣٦١-٣٦٨).
(٥) إتحاف الورى (٣/٣٧٠). وانظر: العقد الثمين (٦/٢٠٨)، وغاية المرام (٢/٢٣٠).
(٦) إتحاف الورى (٣/٣٧٠). وانظر: العقد الثمين (٦/٤٣٧)، والسلوك (٥/٢١١)، وغاية المرام (٢/٢٠٨).

وجد بها الإقبال الذي كان يعهده، وأقام بها مُطلقاً بعد أن استجار بالأمير الكبير [أَيْتمش][١] ونزل عنده، فشفع فيه، وأحضره إلى السلطان، فعفا عنه.

وفي سنة إحدى وتسعين وسبعمائة[٢] قدم إلى مصر محمد بن عجلان، فسعى في حبس عنان، فأجيب وحبس عنان.

مشاركة الشريف عنان مع الشريف علي بن عجلان في إمارة مكة ثانياً

وفي سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة[٣] -بعد استقرار الظاهر بالقلعة- شفع كبيرُ المماليك المستولين على القلعة، وهو [بُطا][٤] الدَّوادار للسيد عنان في ولاية مكة، فأجابه السلطان لسؤاله في رابع ربيع الآخر، ولكن أَقَرَّ علي بن عجلان على ولاية نصف إمرة مكة شريكاً لعنان. وتجهَّزَ [عنان][٥] إلى مكة ومعه شخص تركيٌّ من جهة السلطان ليُقَلِّده الولاية بمكة.

ثم توجّه عنان إلى مكة، وتلَقّاه كثيرٌ من بني حسن قبل وصوله إلى الوادي في النصف الأول من شعبان، ثم مشى الناسُ في الأُلْفَة بينه وبين آل عجلان، فمال كل منهم إلى ذلك، فتوافقوا على أن كلاً منهما يدخل مكة

(١) في الأصل: شمس. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٧٠).

(٢) إتحاف الورى (٣/٣٧٣). وانظر: العقد الثمين (٦/٤٣٧)، وغاية المرام (٢/٢٠٩).

(٣) إتحاف الورى (٣/٣٧٦-٣٧٧). وانظر: العقد الثمين (٦/٢٠٩)، وغاية المرام (٢/٢٣١، ٢١٠).

(٤) قوله: "بطا" زيادة من إتحاف الورى (٣/٣٧٦)، وغاية المرام (٢/٢١٠).

(٥) زيادة من إتحاف الورى (٣/٣٧٧)، وغاية المرام (٢/٢١٠).

إذا عرضت له حاجة فيقضيها، فإذا قضاها خرج من مكة، ولكل منهما [بها][(١)] نُوَّاب؛ بعضهم يقبض ما يخصّ [كلاً][(٢)] منهما من المُتحصِّل، وبعضهم للحكم بها، وأن يكون القوَّاد مع عنان، والأشراف مع علي؛ لملائمتهم له قبل وصول عنان، فرضيا بذلك، وفعلا ما اتفقا عليه، وكان أصحاب [كل منهما][(٣)] غالبين على أمره.

وفي سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة[(٤)] حصل للناس ضرر كثير من أعوان الشريفين، سيما الواردين إلى مكة؛ لزيادة العَرَافَة[(٥)] وقلَّة الأمْن وخَطْف الأموال، ونهب حجاج اليمن بالمعابدة بطريق منى وبمكة نهباً فاحشاً، ونهب أيضاً بعض الحجاج المصريين.

وفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة[(٦)] -في رابع عشر صفر- همّ سعد الدوادار عتيق السيد أحمد بن عجلان مع بعض سناديله[(٧)] بالفتك بالسيد عنان بالمسعى، ففرّ السيد عنان هارباً بعد أن كاد يهلك، وما نجا إلا بجهد عظيم.

---

(١) قوله: "بها" زيادة من إتحاف الورى (٣/٣٧٧).
(٢) في الأصل: كل. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٧٧)، وغاية المرام (٢/٢١٠).
(٣) في الأصل: وكان أصحاب علي غالبين. والمثبت من العقد الثمين (٦/٢٠٩)، وإتحاف الورى، الموضع السابق، وغاية المرام (٢/٢٣١).
(٤) إتحاف الورى (٣/٣٨٠). وانظر: العقد الثمين (٦/٢٠٩)، وغاية المرام (٢/٢٣١،٢١٢).
(٥) العرافة: وظيفة العرفاء، جمع عريف، وهو القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس، يلي أمورهم، ويتعرف الأمير منه أحوالهم (تاج العروس). ولعل المراد هنا هو الضريبة التي كان يفرضها العرفاء على المسافرين.
(٦) إتحاف الورى (٣/٣١٢). وانظر: منائح الكرم (٢/٣٩٢)، وخلاصة الكلام (ص:٣٦)، وغاية المرام (٢/٢١١، ٢٣١-٢٣٢).
(٧) كذا في الأصل، ولعلها: "سنادينه" بمعنى الرجال الأشداء (المعجم الوسيط ١/٤٥٤).

وبعد مفارقته مكة اجتمع به السيد علي بن عجلان [ومحمد بن محمود – وكان علي لا يفصل أمراً دون ابن محمود–](١) واعتذر إليه بعدم العلم [بتجرّي غلمانهم](٢) عليه.

وفيها: لما سمع السلطان بمصر ما اتفق للحجاج بمكة في سنة ثلاث وتسعين استدعى الشريفين علي بن عجلان [وعناناً](٣) مع جماعة من أعيان الأشراف والقوّاد، [فأعرضوا](٤) عن الوصول لباب السلطان غير علي وعنان، فإنهما لم يجدا بُدًّا من ذلك. وكان السيد عنان منقبضاً عن دخول مكة لما تقدم ذكره. فلما حصل هذا الاستدعاء تحرّك لنصرة عنان بعض الأشراف الذين مع السيد علي، وألزموا السيد علي بإخلاء مكة من العبيد وأتباعهم حتى يدخل السيد عنان إلى مكة ويتجهّز منها لسفره، فإذا تمّ جهازه خرج وعادوا إليها، فما وسع السيد علي إلا الموافقة، فخرج المشار إليهم إلى منى، ودخل عنان مكة، وأقام بها مدة يسيرة حتى انقضى جهازه. فلما انقضى

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من العقد الثمين (٦/٤٣٩)، وإتحاف الورى (٣/٣٨٣)، وغاية المرام (٢/٢١١-٢١٢).

(٢) في الأصل: بما جرى عليه. والمثبت من إتحاف الورى (٣/٣٨٣)، والعقد الثمين (٦/٤٣٩)، وغاية المرام (٢/٢١٢).

وانظر الخبر في: العقد الثمين (٦/٤٣٩)، وإتحاف الورى (٣/٣٨٢-٣٨٣).

(٣) في الأصل: وعنان. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٨٣).

(٤) في الأصل: فاعتذروا. والمثبت من إتحاف الورى (٣/٣٨٣)، والعقد الثمين (٦/٤٣٩)، وغاية المرام (٢/٢١٢).

جهازه سافر منها في جمادى الآخرة إلى مصر وتلاه إليها السيد علي، وترك بمكة أخاه محمد بن عجلان مع العبيد، وقصد المدينة الشريفة فزار جدّه المصطفى[١] ﷺ وغيره، وجمع الناس بالحرم النبوي لقراءة[٢] ختمة شريفة للسلطان والدعاء له عقبها، وكتب بذلك محضراً يتضمن ذلك. وما اتفق ذلك لعنان؛ لأنه قصد من [بدر][٣] ينبع ليسبق منها علياً إلى مصر[٤].

ولما وصل السيد علي إلى مصر أهدى للسلطان وغيره هدايا حسنة، واجتمع بالسلطان يوم الخميس خامس شعبان في يوم الموكب [بالإيوان][٥]، وأقبل عليه السلطان كثيراً، وأمره بالجلوس فوق عنان مع شيخوخته، وكان جلس تحته[٦].

ولاية الشريف على بن عجلان منفرداً مرة ثانية

ثم في حادي عشر شعبان فوّض السلطان إلى السيد علي إمرة مكة بمفرده من غير شريك، وأعطاه أربعين فرساً، وعشرة مماليك من الترك، وثلاثة آلاف إردب قمح، وألف إردب شعير، وألف إردب فول، ومما

---

(١) الزيارة إنما هي للمسجد النبوي للحديث الصحيح: لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

(٢) جمع الناس وقراءة القرآن بهذه الصورة وإهداء ذلك لشخص ما لم يرد به أثر صحيح يعتمد عليه.

(٣) في الأصل: بندر. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٨٤)، والعقد الثمين (٦/٢١٠)، وغاية المرام (٢/٢٣٢).

(٤) انظر: العقد الثمين (٦/٢٠٩-٢١٠)، وغاية المرام (٢/٢١٢، ٢٣١-٢٣٢).

(٥) في الأصل: بالأبواب. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٨٤)، والعقد الثمين (٦/٢١٠)، وغاية المرام (٢/٢٣٢).

(٦) إتحاف الورى (٣/٣٨٢-٣٨٤). وانظر: العقد الثمين (٦/٢٠٩-٢١٠)، وغاية المرام(٢/٢٣٢).

أحسن إليه [به][١] فرس خاص، وسرج مغرق بالذهب[٢]، وكُنْبُوش[٣] ذهب، وسلسلة ذهب، وأحسن إليه الأمراء لإقبال السلطان عليه، فَحَصَّلَ غلماناً من الترك، قيل إنهم مائة، وخيلاً قيل إنهم مائة، ونفقة جيدة، وخلع على السيد عنان خلعة[٤] إنعام، وأمره بالإقامة، ورتّب له شيئاً يصرفه ولم يسجنه.

وتوجه السيد علي مع الحاج إلى مكة فدخلها، وكان يوم دخولها يوماً مشهوداً[٥].

وفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة وشى بعض بني [حسين][٦] أهل المدينة بالسيد عنان بن مغامس إلى الملك الظاهر بمصر، وقال: إنه يريد الهرب إلى مكة يُفْسِد بها، وإنه أعدّ [نُجُباً][٧] لذلك، فسجنه السلطان ببرج القلعة في

---

(١) قولــه: "به" زيادة من العقد الثمين (٦/ ٢١٠)، وإتحاف الورى (٣/ ٣٨٤)، وغايــة المــرام (٢/ ٢٣٢).

(٢) التغريق بالذهب: هو الطلاء به (هامش غاية المرام ٢/ ٢٣٢).

(٣) الكنبوش: غطاء مزركش بالقصب أو غيره، يجعل على ظهر الحصان تحت السرج، ويطلق أيضاً على الستر أو الطرحة المزركشة التي تغطي الحصان (الخطط التوفيقية لعلي مبارك ١٠/ ٧٠).

(٤) في إتحاف الورى: خلعتي.

(٥) إتحاف الورى (٣/ ٣٨٤-٣٨٥). وانظر: غاية المرام (٢/ ٢١٢، ٢٣٢-٢٣٣)، والعقد الثمين (٦/ ٢١٠، ٤٤٠).

(٦) في الأصل: حسن. والمثبت من إتحاف الورى (٣/ ٣٨٩)، والعقد الثمين (٦/ ٤٤٠)، وغاية المرام (٢/ ٢١٢).

(٧) في الأصل: بخيالة. والمثبت من إتحاف الورى (٣/ ٣٨٩)، والعقد الثمين (٦/ ٤٤٠)، وغاية المرام (٢/ ٢١٣).

يوم الأربعاء ثالث جمادى الأولى[(١)].

وفي سنة سبع وتسعين وسبعمائة[(٢)] -في جمادى الآخرة- كان بين الشريف حسن بن عجلان وأخيه علي منافرة ووحشة، فسافر السيد حسن بعد ذلك إلى مصر راجياً لإمرة مكة، ومعه علي بن مبارك بن رميثة، فحضرا عند الملك الظاهر بالقلعة، ثم اعتقلا بقلعة الجبل في شهر رمضان، وبعث السلطان للسيد علي خلعةً وكتاباً أخبره فيه بما فعل، وأمره فيه بالإحسان إلى الرعية، والعدل فيهم؛ لما بلغه من [أن][(٣)] السيد علي تعرَّض لأخذ [شيء من][(٤)] المجاورين بمكة، فقرئ الكتاب بالمسجد الحرام، ولبس الخلعة[(٥)] في شهر رمضان، وأحسن السيرة، ونادى في البلاد: بأن من كان له حق فليحضر إليه ليرضيه فيه. وكان الذي حمله على الأخذ، فقده لما كان يعهده من النفع بجدة، ومطالبة بني حسن له بالعطاء. انتهى ما ذكره ابن فهد.

---

(١) إتحاف لورى (٣/٣٨٩). وانظر: العقد الثمين (٦/٤٤٠)، والسلوك (٥/٣٣٥)، ومنائح الكرم (٢/٣٩٣)، وخلاصة الكلام (ص:٣٦)، وغاية المرام (٢/٢١٢-٢١٣).

(٢) إتحاف الورى (٣/٣٩٣). وانظر: العقد الثمين (٤/٨٧، ٦/٢١٢-٢١٣)، وغاية المرام (٢/٢٣٥-٢٣٦، ٢٤٩).

(٣) قولـــه: "أن" زيادة من إتحاف الورى (٣/٣٩٣)، والعقد الثمين (٦/٢١٣)، وغاية المرام (٢/٢٣٥).

(٤) زيادة من العقد الثمين (٦/٢١٣)، وغاية المرام (٢/٢٣٥).

(٥) في العقد الثمين: بعد لبسه للخلعة.

ذكر قتل الشريف علي بن عجلان

قال السنجاري في منائح الكرم[١]: ودامت ولاية الشريف علي بن عجلان إلى أن استشهد في سابع شوال سنة سبعمائة وسبع وتسعين.

قال التقي[٢]: وكان مغلوباً عليه مع الأشراف. وسبب ذلك: أنه بعد شهر من وصوله من مصر قَبَضَ على جماعة من الأشراف والقوّاد، فخُودع فيهم، فأطلقهم. فصاروا يشوّشون عليه ويكلفونه بما لا تصل قوته إليه. فأفضى الحال إلى أن قلّ الأمان بمكة وجدة، فقصد التجار ينبع، ولحق أهل مكة لذلك شدة.

وما زال القوّاد به حتى عملوا على قتله، فقتلوه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان قتله يوم الأربعاء سابع شوال سنة سبع وتسعين وسبعمائة.

وقال الحضراوي في تاج تواريخ البشر[٣]: قتلوه بوادي مَرّ، وهرب الذين قتلوه، وحُمِلَ إلى مكة المكرمة ودُفن بالمعلا ليلاً. انتهى.

ولما قتل ولي مكة أخوه الشريف محمد بن عجلان[٤] يوم قتل أخيه.

---

(١) منائح الكرم (٢/٣٩٤). وانظر: خلاصة الكلام (ص:٣٦). وانظر خبر قتله في: غاية المرام (٢/٢٣٦-٢٣٧).

(٢) شفاء الغرام (٢/٣٥٤). وانظر: خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٣) تاج تواريخ البشر (٢/٢٤٧).

(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢/١٣٧-١٤٠)، وغاية المرام (٢/٢٤٢-٢٤٦)، وشفاء الغرام (٢/٣٥٤)، والضوء اللامع (٨/١٥٠-١٥١).

ولاية الشريف حسن بن عجلان

وتقوى بالعبيد إلى أن وصل أخوه الحسن بن عجلان(١) من مصر بولاية مكة عوض أخيه، وكان معتقلاً ثمة -كما مرّ-، فوصل خبر ولايته مكة في أثناء العشر الأخير من ذي القعدة، وحج بالناس أخوه محمد بن عجلان.

ولما رجع الحاج إلى مصر توجّه الشريف حسن إلى مكة ومعه نحو مائة وثلاثين من الترك، ومن الخيل تسعون فرساً، ووصل إلى ينبع، وطالب أميرها وبير بن [مخبار](٢) بقمح للسلطان كان بعث للبيع، فأخذه وبير وصالحه على خمسة وثلاثين ألف درهم، فرحل من ينبع إلى مكة، وكتب إلى أخيه يلاقيه بمن معه من الأشراف، فخرجوا للقائه إلى عسفان [أو](٣) السُّوَيْق(٤)، وهرب بعض الأشراف فلم [يواجهوه](٥)، ولم يزل حتى نزل ببئر [شُمَيْس](٦)، فأقام بها عشراً، ثم دخل مكة يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر

---

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٨٦/٤-١٥٥)، وغاية المرام (٢٤٦/٢-٣٩١)، وشفاء الغرام (٣٥٤/٢)، وخلاصة الكلام (ص:٣٦)، والأعلام (١٩٨/٢-١٩٩).

(٢) في الأصل: جماز. وفي العقد الثمين وغاية المرام: مخبار. انظر ترجمته في الضوء اللامع (٢١٠/١٠).

(٣) في الأصل: والسويق. والتصويب من العقد الثمين (٨٨/٤)، وغاية المرام (٢٥١/٢)، ومنائح الكرم (٣٩٦/٢).

(٤) السويق: لعل المقصود هو سوق خليص، فهو أقرب الأسواق إلى ثنية عسفان وغران (هامش غاية المرام، الموضع السابق).

(٥) في الأصل: يواجهه. والتصويب من منائح الكرم، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: شمس. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من العقد الثمين (٨٩/٤)، وغاية المرام (٢٥١/٢)، ومنائح الكرم، الموضع السابق.

سنة سبعمائة وثمان وتسعين، فلبس الخلعة، وقرئ عهده بالولاية، وطاف بالبيت، وأقام بها إلى أثناء ليلة الأحد، وخرج إلى بئر شميس ثم إلى العُدّ لقصد بعض الأشراف اللاجئين إلى تلك الأماكن، فساروا منه إلى وادي مَرّ بجيرةٍ من بعض أصحاب الشريف حسن، والتقوا بمكان يقال له: الزَّبَارة[١]، فقاتلهم، وقتل عدة منهم[٢].

وفي إتحاف فضلاء الزمن[٣]: فكان جملة من قتل من الأشراف ومن جماعتهم أربعين رجلاً، ولم يقتل من جماعة السيد حسن إلا رجل واحد أو اثنان، ثم صفت البلاد له وطاب العيش، وفخر أمره ورزقه الله القبول، وكان ذا ثروة عظيمة، وحشمة وافرة جسيمة، وخيرات كثيرة عميمة. بنى بمكة رباطاً للرجال ورباطاً للنساء. لم يَلِ مكة قبله من يدانيه في شيء من ذلك.

وقد مدحه كثير من الشعراء المعتبرين؛ منهم الشيخ شهاب الدين أحمد الفاسي، والد تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة، ومنهم قاضي القضاة شرف الدين إسماعيل المقرئ. وكان الحسن أديباً شاعراً. انتهى.

---

(١) الزبارة: موضع بين أبي عروة وخيف الرواجحة، وتبعد الزبارة قرابة ٢٨ كيلاً شمال مكة قرب سفح الحرة النهمية، ومنها تنظر إلى البرقة قبلة المصلي، وكانت البرقة قصبة مر الظهران في ذلك الوقت (معجم معالم الحجاز ١٠/٩٦).

(٢) انظر: العقد الثمين (٤/٨٨-٨٩)، وإتحاف الورى (٣/٣٩٥، ٤٠٠)، وغاية المرام (٢/٢٥٠-٢٥٣)، ودرر الفرائد (١/٤٢٦)، ومنائح الكرم (٢/٣٩٥-٣٩٧)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٦-٣٧).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (١/١٧١).

وقال ابن فهد في حوادث سنة تسع وتسعين وسبعمائة[1]: وفيها -في آخرها- أخرج السلطان السيد عنان بن مغامس من البرج بالقلعة، وأنفذه إلى الاسكندرية مع جماز بن [هبة][2] الحسيني صاحب المدينة، وكان قُبض عليه في هذه السنة بإثر وصوله إلى مصر، وبعث السلطان معهما إلى الاسكندرية علي بن مبارك بن رميثة وولديه، وسجن الجميع بالاسكندرية.

وفي سنة أربع وثمانمائة[3] -في صفر- حصل للسيد حسن خمسة وستون ألف مثقال وأزيد -فيما قيل- من القاضي شهاب الدين أحمد بن القاضي برهان الدين المحلي، وجماعة من تُجَّار الكارم؛ لأن المركب الذي كانوا فيه انصلح بقرب مكة، فأعطوه هذا المقدار عوضاً عن الربع الذي يأخذه وُلاة البلاد فيما ينصلح في بلادهم من الجلاب. ولما بلغ ذلك القاضي برهان الدين المحلي اشتد غضبه على السيد حسن، وسعى في إرسال شخص من خَواصّ السلطان بمصر يطالبه بذلك، فوصل إليه في آخر رجب، وبلّغ رسالته، فاعتذر بتفرّق ذلك من يده، ووعده بالخلاص، وماطل فيه.

---

(١) إتحاف الورى (٣/٤٠٥-٤٠٦)، والعقد الثمين (٦/٤٤٠)، والضوء اللامع (٦/١٤٨)، ونزهة النفوس (١/٤٤٩-٤٥٠)، وغاية المرام (٢/٢١٣).

(٢) في الأصل: رميثة. والمثبت من العقد الثمين (٦/٤٤٠)، وغاية المرام (٢/٢١٣)، وإتحاف الورى (٣/٤٠٥)، ونزهة النفوس (١/٤٥٠). وانظر ترجمته في: الضوء اللامع (٣/٧٨)، والدليل الشافي (١/٢٥٠).

(٣) إتحاف الورى (٣/٤٢٥-٤٢٦)، والعقد الثمين (٤/٩٩)، وغاية المرام (٢/٢٦٦).

وفيها - في آخرها أو في أول التي بعدها-[١]: نقل السيد عنان بن مغامس من الاسكندرية إلى مصر بسعي القاضي برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلي تاجر الخواصّ السلطانية، لتغيُّره على صاحب مكة السيد حسن؛ لما أخذه من الذهب من ولده القاضي شهاب الدين، لما انكسر المركب الذي كان فيه، وهو إذ ذاك متوجه إلى اليمن، وقصد المحلي بإطلاق عنان إخافة السيد حسن حتى يَرُدَّ عليه المال، أو ما أمكن منه، ونوَّه لعنان بولاية [مكة][٢]، فما قُدِّرَ ذلك؛ لمعاجلة المنية عناناً. انتهى.

وفي الخلاصة[٣]: نقل عنان إلى مصر سنة ثمانمائة وأربع، وحصل له مرض اقتضى إبطال بعض جسده، فعولج لذلك بإضجاعه في محل حمي بالنار، فاشتدت عليه الحرارة فاحترق ومات سنة ثمانمائة وخمس عن ثلاث وستين سنة.

وكان شجاعاً، مقداماً، جواداً، كريماً.

أجاز الشاعر ابن العليف في قصيدة[٤] بثلاثين ألف درهم. انتهى.

---

(١) إتحاف الورى (٣/٤٣١). وانظر: العقد الثمين (٦/٤٤٠-٤٤١)، وغاية المرام (٢/٢١٣، ٢٦٧).

(٢) قولـه: "مكة" زيادة من إتحاف الورى (٣/٣٤١)، والعقد الثمين (٦/٤٤١)، وغاية المرام (٢/٢١٣).

(٣) خلاصة الكلام (ص:٣٦). وانظر: منائح الكرم (٢/٣٩٣-٣٩٤).

(٤) وأول هذه القصيدة: "بروج زاهرات أو مغاني.... ". انظر: غاية المرام (٢/٢١٥).

وفي إتحاف الورى[١]: وفي سنة ست وثمانمائة أتى الخبر إلى السيد حسن بوفاة القاضي برهان الدين المحلي، فاستراح من طلبه.

وفيها[٢]: استخدم السيد حسن بجدة جابر الحراشي[٣]، وفوّض إليه الأمر في جميع ما يصل إليها من جهة الشام واليمن، فنهض بخدمته نهوضاً لم ينهض لمثله أحد من خُدَّامه فيما مضى، وعمّر الحراشي الموضع الذي يقال له: الفرضة[٤] بجدة؛ ليحاكي بها فُرْضَة عدن، وقرر لبني حسن الرسوم التي يتناولونها الآن، وجعلها لهم في ثلاث [حُلات][٥]، وأبطل رسومهم السابقة، وكانت تؤخذ من التجار مع الجبا، فلم يجعل لهم على التجار سبيلاً، فأراح الناس من مطالبتهم.

وفيها -أو في التي بعدها-[٦]: توجه الحراشي إلى حَلْي، وبنى فيها مكاناً يتحصن فيه أصحاب السيد حسن ومن انضم إليهم، وحفر حوله خندقاً.

---

(١) إتحاف الورى (٣/٤٣٦). وانظر: العقد الثمين (٤/١٠١)، والسلوك (٦/١٠٨)، والضوء اللامع (١/١١٢)، والدليل الشافي (١/٢٣)، وغاية المرام (٢/٢٦٩).

(٢) إتحاف الورى (٣/٤٣٥-٤٣٦). وانظر: العقد الثمين (٤/١٠٠-١٠١)، وغاية المرام (٢/٢٦٨).

(٣) هو جابر بن عبدالله، المعروف بالحراشي، تردد على مكة مرات كثيرة، وخدم الشريف حسن بن عجلان، وفوض إليه أمر جدة وغيرها، ولم يكن وفياً لمخدومه، وآل به الأمر إلى أن شنق في ذي الحجة سنة ٨١٦هـ على باب المعلاة (العقد الثمين ٣/٤٠٠).

(٤) الفرضة: هو ميناء جدة (معجم معالم الحجاز ١/١٧١).

(٥) في الأصل: حالات. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٤٣٦)، والعقد الثمين (٤/١٠٠)، وغاية المرام (٢/٢٦٨).

(٦) إتحاف الورى (٣/٤٣٦). وانظر: العقد الثمين (٤/١٠١)، وغاية المرام (٢/٢٦٩).

وفي سنة تسع وثمانمائة[١] قبض السيد حسن على جابر الحراشي؛ لخبث لسانه، وامتنانه عليه بالخدمة، فاستصفى أمواله، وبعثه إلى مكة، وسجنه بها إلى الموسم، ثم أطلقه بشفاعة الإمام صاحب صنعاء، ومَنَّ عليه بشيء من ماله، واستحلفه على ترك [أذاه][٢]، وتوجه إلى اليمن. ويقال: إن الذي حصل للسيد حسن من التجار ومن الحراشي نحو أربعين ألف مثقال.

مشاركة الشريف بركات بن حسن مع أبيه حسن بن عجلان في إمارة مكة

وفيها[٣]: سعى السيد حسن لابنه السيد بركات في أن يكون شريكه في إمرة مكة، فأجيب سؤاله، ووصل لابنه تقليدٌ مؤرخ بالنصف من شعبان، ووصل هذا التقليد في الموسم.

وفي سنة عشر وثمانمائة[٤] قدم جابر بن عبدالله الحراشي من اليمن إلى مكة، ولايم صاحبها السيد حسن بن عجلان.

---

(١) إتحاف الورى (٣/٤٥٠-٤٥١). وانظر: العقد الثمين (٤/١٠٣)، وغاية المرام (٢/٢٧٥-٢٧٦).

(٢) في الأصل: إذائه. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٤٥١).

(٣) إتحاف الورى (٣/٤٥٣). وانظر: العقد الثمين (٤/١٠٣)، والضوء اللامع (٤/١٣)، ومنائح الكرم (٢/٤٠٦)، وخلاصة الكلام (ص:٣٧)، وغاية المرام (٢/٢٧٦، ٣٩٤).

(٤) إتحاف الورى (٣/٤٥٨). وانظر: العقد الثمين (٣/٤٠١).

مشاركة الشريف أحمد بن حسن مع أخيه بركات في الإمارة

وفي سنة إحدى عشرة وثمانمائة[١] -في المحرم- ندب السيد حسن القائد سعد الدين جبروه[٢] إلى مصر بهدية طائلة؛ ليسعى له في أن يكون ولده السيد أحمد شريكاً لأخيه بركات، فأجيب إلى ذلك، وولي السيد حسن نيابة السلطنة للأقطار الحجازية في العشر الأوسط من ربيع الأول، ووصل سعيد جبروه إلى مكة [بغتة][٣] في النصف الثاني من ربيع الآخر، ووصل معه خلعة للسيد حسن، وخلعتان لولديه، وكتاب من السلطان يشهد بولايتهم لما ذكر، وصار يدعى للسيد حسن ولولديه في الخطبة بمكة وعلى زمزم.

وكان أمير المدينة ثابت بن نُعير بن منصور قد مات، فأرسل السيد حسن ابن عجلان إلى الشريف عجلان بن نعير بن منصور -بالمدينة- فاستدعاه إلى مكة، وفوَّض إليه إمرة المدينة في آخر ربيع الآخر، فثار بالمدينة الشريف جماز ابن هبة، فكتب إليه السيد حسن يقول: أُخرج بسلام وإلا فأنا قاصدك، فأظهر جماز الطاعة، ثم إن جمازاً أرسل إلى الخُدَّام بالمسجد النبوي يستدعيهم،

---

(١) إتحاف الورى (٣/٤٦٢). وانظر: العقد الثمين (٤/١٠٥)، وغاية المرام (٢/٢٧٩، ٤٦٨)، ومنائح الكرم (٢/٤٠٨-٤٠٩)، وخلاصة الكلام (ص:٣٧).

(٢) كذا في الأصل والعقد الثمين، وإتحاف الورى وغاية المرام. وفي الضوء اللامع (٣/٢٥٦): سعيد جبروه العجلاني القائد، مات بمكة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة. وسيرد بعد عدة أسطر باسم سعيد.

(٣) قولـه: "بغتة" زيادة من إتحاف الورى (٣/٤٦٢)، والعقد الثمين (٤/١٠٥)، وغاية المرام (٢/٤٦٨).

فامتنعوا، فأتى إلى المسجد وأخذ ستارة[١] باب الحجرة النبوية، وطلب من الطواشية خُدَّام المسجد المصالحة عن حاصل القبة بتسعة آلاف درهم؛ فأبوا ذلك، فطلب مفاتيح الحاصل من قاضي المدينة زين الدين أبي بكر بن الحسين المراغي، فمانعه، فأهانه وأخذها منه، وأتى إلى القبة، وضرب شيخ الخدام بيده وألقاه على الأرض، وكسر الأقفال ودخلها ومعه جماعة، فأخذ ما هناك. فمن ذلك: إحدى عشر حوائج خانات[٢]، وصندوقان كبيران وصندوق صغير، فيهم ذهب من ودائع ملوك العراق وغيرهم، وأخرج خمسة آلاف شقة بطاين معدة لأكفان الموتى، فنقل ذلك كله. وهمَّ أحد بني عمه بأخذ قناديل الحجرة الشريفة فمنعه، وأخذ آخرُ بُسْطَ الروضة الشريفة، فأمره جماز بردّها، وصادر بعض الخدام، ثم خرج من الغد راحلاً، فقصد العرب المجتمعة الرجوع فرماهم الناس بالحجارة[٣].

وجهز السيد حسن إلى المدينة الشريفة عسكراً مع ابنه السيد أحمد بن حسن على طريق الجادة، وتوجه السيد عجلان بن نعير من مكة إلى المدينة على طريق الشرق؛ ليضم إليه جماعة ويسير بهم إلى المدينة، فدخلها عجلان في ليلة تاسع عشر جمادى الأولى ومعه آل منصور بعد خروج جماز بن هبة منها بأيام، فنودي بالأمان. ومن الغد قدم العسكر من مكة مع السيد أحمد

(١) في إتحاف الورى والسلوك: ستارتي.
(٢) الحوائج خاناه: معناها بيت الحوائج، منها يصرف اللحم الراتب (أي المقرر بشكل دائم وثابت) للمطبخ السلطاني والدّور السلطانية ورواتب الأمراء والمماليك السلطانية وسائر الجند والمتعمّمين، وغيرهم من أرباب الرواتب الذين تملأ أسماؤهم الدفاتر (صبح الأعشى ١٢/٤).
(٣) السلوك (٢٠٩/٦-٢١٠).

ابن حسن، وهم مائتان وستون ما بين فارس وراجل، واثنان وعشرون مملوكاً، [وصحبتهم][١] رضي الدين أبو حامد محمد بن عبدالرحمن المطري متولياً لقضاء المدينة الشريفة من قبل السلطان، قدم من القاهرة بولايته، فقرئ توقيعه بعد توقيع السيد حسن بن عجلان، وتضمن استقراره في سلطنة المدينة وينبع وخُليص والصفراء وأعمالهم، وقرئ بعده مرسوم آخر باستقرار الشريف ثابت وتسليمه المدينة، وإيقاع الحوطة على الشريف جماز، وما تحت يده من ناطق وصامت، وقرئ توقيع من جهة الشريف باستنابة الشريف عجلان بن نعير على المدينة، ثم تبع طائفة من العسكر جماز بن هبة فلم يدركوه، فتوجه العسكر بعد أيام من المدينة عائداً إلى مكة[٢].

ووصل السيد عجلان بأثر قدومه إلى المدينة توقيعٌ من صاحب مصر بإمرة المدينة عوض أخيه ثابت.

وفيها -في آخرها-[٣]: أخذ السيد حسن من العفيف عبدالله بن أحمد الهِبِّي خمسة آلاف مثقال -على ما قيل- عوضاً عن بيت شعْر بعثه لصاحب اليمن لما طلب ذلك منه صاحب اليمن، وما كان عَوَّضه عن ذلك.

---

(١) في الأصل: وصحبته. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٤٦٤)، والسلوك (٦/٢١٠).
(٢) السلوك (٦/٢١٠).
(٣) إتحاف الورى (٣/٤٦٥). وانظر: العقد الثمين (٤/١٠٦)، وغاية المرام (٢/٢٨٠).

وفي سنة اثنتي عشرة وثمانمائة[١] وصل الخبر إلى مكة بأن صاحب اليمن أمر بحبس الجلاب عن مكة؛ غضباً على السيد حسن، [بسبب][٢] ما أخذ من [سفيره][٣] العفيف عبدالله الهِبِّي، فشقّ ذلك على السيد حسن، فأغراه الحراشي بغزو اليمن وقال له: أنا أقوم [بجهازك][٤] وأجمع لك الرجال من اليمن. فتحرّك لذلك، ثم أشير عليه بالملاطفة فمال إليها، وبعث [الشبيكي][٥] إلى اليمن رسولاً يعتذر ويلتزم عنه بما يطيب الخاطر، فقبل ذلك السلطان، وأذن للناس في السفر، فقدموا ولكن دون العادة.

وفيها[٦]: توجه جابر بن عبدالله الحراشي إلى مصر، ووشى بالسيد حسن إلى الناصر صاحب مصر مع منْ وشى به، وكان ممن بالغ في ذلك؛ لكونه يعرف حاله لخدمته.

وكان علي بن مبارك بن رميثة بالقاهرة يؤمل إمرة مكة، وقوي رجاؤه بها لما انحرف الناصر وتغيّر على السيد حسن، ورسم بالقبض عليه وعلى ولديه، والاحتفاظ بهم، وأسرَّ ذلك إلى أمير الحاج المصري الأمير بيسق، فاستعد

---

(١) إتحاف الورى (٣/٤٦٩). وانظر: العقد الثمين (٤/١٠٦-١٠٧).

(٢) في الأصل: لسبب. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق، والعقد الثمين (٤/١٠٦)، وغاية المرام (٢/٢٨١).

(٣) في الأصل: سفير. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٤) في الأصل: لجهادك. والمثبت من إتحاف الورى، الموضع السابق، والعقد الثمين (٤/١٠٧)، وغاية المرام (٢/٢٨١).

(٥) في الأصل: السبكي. والمثبت عن العقد الثمين وإتحاف الورى وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٦) إتحاف الورى (٣/٤٧٠-٤٧٧). وانظر: العقد الثمين (٣/٤٠١).

يبسق لحرب السيد حسن، وحصل مدافع وسلاحاً كثيراً، وأشير على السلطان بأن يكون علي بن مبارك مع يبسق فيما [ندب][1] إليه؛ ليستألف له بني حسن [لئلا] [2] ينفروا منه، وأن يبعث السلطان علي بن مبارك إلى الإسكندرية ليعتقل بها، فإذا خرج الحاج من مصر إلى مكة طُلِبَ علي وجُهز إلى مكة؛ بحيث يدرك أمير الحاج قبل وصوله إلى مكة، وإذا بلغ السيد حسن أن علي بن مبارك اعتُقل بالاسكندرية لا ينفر من الأمير يبسق، وتتم عليه المكيدة[3].

وسار الحاج إلى ينبع، فلما وصل أمير الحاج إلى ينبع أعلن للناس بها أن صاحب مكة معزول، وأنه يريد محاربته.

ثم بعد سفر الحاج من مصر سُعِيَ عند السلطان في تقرير السيد حسن وولديه في ولايتهم، على أن يخدمه السيد حسن بما يليق بمقامه؛ فأجاب إلى ذلك، وبعث إليهم بالعهد والخلع مع خادمه الخاص فيروز الساقي[4]، وكتب إلى أمير الحاج بالكفّ عن محاربتهم.

وبلغ السيد حسن بن عجلان في عاشر القعدة عزله وعزل ولديه، فاستعد للحرب، وجمع كثيراً من الخيل والرجال، وما انقضى شهر القعدة إلا وعنده ستمائة فرس وأكثر من ستة آلاف نفر، منهم أربعة آلاف من

---

(١) في الأصل: يندب. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين، الموضعان السابقان.

(٢) في الأصل: لا، والتصويب يقتضيه السياق.

(٣) انظر: العقد الثمين (٦/٢٢٤-٢٢٥).

(٤) فيروز الخازنداري الرومي الساقي. توفي سنة ٨١٤ هـ (انظر عنه: الضوء اللامع ٦/١٧٥).

الأعراب غير بني حسن والمولدين [والعبيد][١]. وتُوقع بمكة -لأجل ذلك- فتنة عظيمة، فضاقت منهم لذلك الخواطر، حتى كادت النفوس تبلغ الحناجر.

فبينما هم في كَرْب أتاهم من اللطف ما لم يخطر لهم ببال، وذلك أنه وصل مَنْ أخبر بأن صاحب مصر الناصر قد أعاد السيد حسناً وولديه إلى ولايتهم، وبعث إليه بالخلع والعهد مع خادمه فيروز الساقي، وبعد ذلك -بيوم أو يومين- وصل فيروز بما معه من العهد والخلع إلى مكة، وألبس صاحبها وولديه الخلع السلطانية، وقرئ عهدهم بعودهم لولايتهم، وتاريخ التوقيع في ثاني عشر القعدة، وسعى عند السيد حسن في عدم مؤاخذة أمير الحاج وتطمينه، [ودخوله][٢] مكة والعفو عنه، فأجاب السيد حسن إلى ذلك، على أن يُسلِّمَ أمير الحاج ما معه من السلاح، فأجاب إلى ذلك أمير الحاج، على أن يعاد إليه سلاحه عند سفره، فأمضى له شرطه، فسلَّم ذلك ودخل مكة، وحضر عند السيد حسن بمنزله بأجياد فأحسن ملاقاته، وخرج من عنده وانقبض كل منهما عن الاجتماع بالآخر إلى أن انقضت أيام الحج.

ولم يحج السيد حسن في هذه السنة ولا غالب عساكره، وحج ناسٌ قليلٌ من أهل مكة خائفين، فأصاب الحاج في توجههم إلى عرفة وفي ليلة النحر بمنى قتلٌ ونهبٌ، وذهب للناس أموالٌ كثيرة، وعُقرت جمال كثيرة عند مأزمي

(١) قولـه: "والعبيد" زيادة من إتحاف الورى (٣/٤٧١)، والعقد الثمين (٤/١٠٧)، وغاية المرام (٢/٢٨٢).
(٢) في الأصل: ودخول. والمثبت من إتحاف الورى، الوضع السابق.

عرفة، والفاعل لذلك جماعةٌ من غوغاء العرب.

وتوجه أمير الحاج بالحجاج بعد انقضاء أيام التشريق -بعد أخذه سلاحه-، وتأخر فيروز عن الحجاج بمكة لقبض ما التزم به السيد حسن من الخدمة، وذلك ألف زكيبة[١] للسلطان غير ما لفيروز، ومضى فيروز بعد أيام إلى جدة، فشحنت [الزكائب بحضوره][٢]، ووصلت سالمة إلى الطور، ثم إلى مصر، وبيعت بخمسين ألف مثقال فيما يقال[٣].

ووقفت على أرجوزة بخط خالي الفقيه محيي الدين يحيى بن عبدالرحمن بن أبي الخير محمد بن فهد الهاشمي[٤] من نظمه، تتضمن هذه القضية، وفيها زيادة ونقصان، فنذكرها لما فيها من الفائدة، وهي:

الحمد لله مجلي الكُرب ... ببعثة الهادي النبي العربي

محمد المختار ثم المجتبى ... حباه ربنا بأنواع الحِبى

وبعد يا صاح فاستمع لما ... أقوله صدقاً ولا تصمَّما

لقد جرى في سنة اثني عشرا ... من الخباط ما نفى عنا الكرا

واختبط الحجاز طراً وغدا ... موسمُنا مُشتَّتاً منكّدا

ما ذاك إلا من أمير الحاج ... يَبْسَقهم خليفة الحَجّاج[٥]

---

(١) الزكيبة: الغرارة المصرية (الشّوال) (المعجم الوسيط ١/٣٩٦).

(٢) في الأصل: الركائب. والتصويب والزيادة من إتحاف الورى (٣/٤٧٢)، والعقد الثمين (٤/١٠٨)، وغاية المرام (٢/٢٨٣).

(٣) انظر: العقد الثمين (٤/١٠٧-١٠٨)، وغاية المرام (٢/٢٨١-٢٨٣، ٣٩٤-٣٩٥).

(٤) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (١٠/٢٣٣).

(٥) هذا البيت مكسور، وكذا الذي بعده، ولايتفقا وروي القصيدة.

فقام من مصر وأبدى وَرَقَهْ ... مضمونها يا صاح زُورٌ نَمَّقَه

بأن سلطان الحجاز حسنا ... يَطْلُبُ منه النصر يبغى اليمنا

وأطلع الترك على ما أظهرا ... وفي الفؤاد سرّه قد أضمرا

فحملوا الأمر على ما ذكره ... ولم يكونوا علموا ما صوّره

وجهز الرايات والنُّشّابا ... حملها الجمال والركابا

ولم يكن معهم سوى خمسينا ... من الخيول بعدها عشرونا

وتركهم يا صاح بعد شدة ... ثلاثة من المئين عدة

وسار حتى قد أتى لينبع ... فاصغ لما قد قلته واسمع وعى

أقام فيها خمسة الأيام ... ولم يكن إذاً من الإمام

وأمر المنادي أن ينادي ... اسمعوا يا معشر العباد

فإن مكة أميرها على ... أمره السلطان فيها أن يلى

فاختبط الحاج جميعاً وعبّوا ... قماشهم في ينبع أيضاً خبّوا

وقالت الأتراك للأمير ... ماذا الفعال كان بالفقير

لو قلت هذا القول في مصر لقد ... كان لنا رأي نراه في مدد

فلم نسافر نطلب القتالا ... ولم نحج لنهلك العيالا

وكلها دسائس الحراشى ... وفعله ما زال فيها ماشى

فسار في الركب إلى الجحفة وقام ... وهمّ بالهروب والناس نيام

وليس يدري الناس أين سارا ... وأي عُرْب قد أتاهم جارا

حتى أتى الشريف من قد أخبرا ... عن المنادي وبكل ما جرى

فجمّع الجموع والخيولا ... من كل فج قد أتوا سيولا

ما طبق الأرض وسدَّ الأفقا ... وملأ السهل وعمّ الطرقا

وعدة الخيل الذي قد جمعا ... ثلاثة من المئين إذ دعا

وبعدها ستون من سوى التي ... لم تأت من موسى ومن كنانة

فخيل نفسه ثلاثون جواد ... ومائة يا صاح كله جياد

وعدة الرجال من الأصناف ... اثنان مع ثلاثة الآلاف

منهم قريش وكذا الجحادلة ... كذا بنو ريشة معهم صاهلة

أما هذيل صرخهم[1] يا صاح ... ألف مكملون بالسلاح

كذا بنو خالد مع سواده ... وغيرهم من العريب العاده

أما مطير مع عدوان فقد ... جاؤا كمثل السيل يرمى بالزبد

كذا خزاعة ولحيان أتوا ... يبغون قوماً قد طغوا وقد عتوا

لو قيل روس الجبال يا هذى ... فلم يكن ينجو لديهم من هرب

لكن حلم الطالبى قد غلب ... على الشريف والفقيه والعرب

ولم يزل في كل يوم رعب ... حتى أتى اللطف وزال الكرب

ثم أتى الحجاج وادي الجحفة ... ونزلوا فيها بكل رجفة

فجاءهم فيروز بالأمان ... من الإمام الناصر السلطان

يخبرهم أن البلاد لحسن ... وضده في الحبس متروك زمن

وجاء بالخلعة والمرسوم ... وردّ فعل الظالم الغشوم

والناس في خوف إلى يوم الهلال ... ويوم ثانى جاءهم ابن الجلال

يخبرهم بالخير والسلامه ... مما يخافون وبالكرامه

وكان في الثالث من ذي الحجة ... والناس في العشا أقامت هجة

فقيل يَبْسَق أتى على الدروب ... فشدت الخيل وسيقت للحروب

وذهبوا المعلاة يبغون القتال ... وكانت الخلق جميعاً في مجال

فوجدوا فيروز جاء في رجيف ... فأركبوه ثَمَّ من خيل الشريف

قد أخذت ركابهم وسلبوا ... ثيابهم وغُنِمُوا ونُهِبُوا

وقتلت هذيل منهم واحد ... ودخل الأتراك كل شارد

في ذلة منكسرين الجانب ... وذاك رأي لم يكن بالصائب

---

(١) المراد: صارخهم أو صريخهم، بمعنى: المغيث والخارج معهم للحرب (هامش إتحاف الورى ٣/٤٧٥).

فرُدَّ ما كان عنهم قد ذهب ... وزال عنهم كل همّ ونصب
وعصر ثالث أتوا للعمرة ... وقلب كل قد كُوي بجمرة
وقام فيروز يريد صلحا ... بين الأميرين وكان نجحا
فقال بدر الدين من يبغى فقد ... جاء بظلم وبرأسه يرد
فلا يقيم بيسق بذي البلد ... إلا بتسليم السلاح والعدد
فاتفقوا وأرسلوا القصادا ... بكتب قد حوت المرادا
فسلم الرايات والذي معه ... ثمان أحمال أتت مجتمعه
ودخل الحجاج عصر الرابع ... ما بين عطشان وبين جائع
واجتمع الحجاج يوم الخامس ... ولم يواسوا [أحداً][1] بدارس
ولم يزل أميرهم في خوف ... طول الثمان نادماً في حيف
وطاف بالسلاح والترك معه ... قلوبهم من خوفهم منقطعه
حتى أتى الثامن نادى الندا ... أن لا يحج أحد فليدر ذا
إني نصيح لكم يا ذي الأمم ... فلم يحج عرب ولا عجم
إلا قليل طلبوا الحج فلم ... يمنعهم فنهبوا وما ظلم
وحج من أم القرى خمسونا ... أو نحوها وكلهم يمشونا
كذلك الخلق جميعاً خلفوا ... في مكة فحزنوا وحلفوا
بأن هذا لم يكن جرى لنا ... نحن ولا آباؤنا من قبلنا
والعيد صلوه بمكه وما ... قط جرى نظير هذا فاعلما
وكان يوم النحر قامت ضجَّة ... فأُلْبسوا وخرجوا للهجة
فوجدوا ما قيل كله كذب ... ورجعوا بالأمن كل منقلب
وذاك من سعد شريفنا حسن ... ابن النبي والوصي والحسن

---

(١) في الأصل: أحد. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣/٤٧٦).

الأسد الضرغام والليث الهزبر	الفارس الكرار والنقع الممر
العاقر الكُومَ لكل ضيف	وقاصد الأعدا بكل حيف
عون اليتامى كهف أهل الفقر	ودافع الأسوا وكل الضر
من جَمَّلَ الله به البلادا	وأمن الباري به العبادا
وخصّه منه بحلم وكرم	مشتهراً كالنار في رأس علم
وفضلُه وجودُه لم ينقطع	وغيظه على العدا لم يندفع
أعطاه ربي كل ما قد طلبا	وزاده من فضله ووهبا
ما دامت الأرض مع السما	ومالت الأغصان [دوماً][1] بالهوى
ثم الصلاة والسلام أبدا	على النبي الهاشمي أحمدا
وآله وصحبه والعترة ما	غنّى حمام وشدا ترنما
والحمد لله على أن كملت	وعرف مسك ريحها ختمت

واستمر الشريف حسن وأولاده إلى سنة ثماني عشرة وثمانمائة، ثم عزل[2].

ولاية الشريف رميثة بن محمد بن عجلان

وفي سنة ثماني عشرة وثمانمائة[3] -في سادس عشر ربيع الأول- وصل الخبر إلى السيد رميثة[4] بولايته لإمرة مكة عوض عمه وابنيه -وكان رميثة بالجديد وعمه بمكة-، فرغب السيد حسن في أن يُعينه بنو حسن على حرب رميثة قبل أن يصل [إليه][5] المدد من مصر، فما أعانوه، فمضى إلى الشرق، وترك ابنيه في البلد وشُكْراً مولاه، وجماعةً من أصحابه. ثم إن القوّاد العِمَرة

(١) قوله: "دوماً" زيادة من إتحاف الورى (٣/٤٧٧).
(٢) إتحاف الورى (٣/٤٧٠-٤٧٧).
(٣) إتحاف الورى (٣/٥٢٥-٥٢٧). وانظر: غاية المرام (٢/٣٠٢-٣٠٣، ٤٧٩-٤٨٠).
(٤) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٣/٢٣٠)، وغاية المرام (٢/٤٧٤-٤٨٣)، وشفاء الغرام (٢/٣٥٦)، وإنباء الغمر (٣/٥٢٤)، والدر الكمين (٢/٧٣٢-٧٣٥).
(٥) قوله: "إليه" زيادة من إتحاف الورى (٣/٥٢٥)، وغاية المرام (٢/٣٠٢).

وترك ابنيه في البلد وشُكْراً مولاه، وجماعةً من أصحابه. ثم إن القوّاد العِمَرة استدعوه من الشرق وأطمعوه بنيل مراده من محاربة ابن أخيه ومن معه، ومضى إليه بعض كبارهم لإحضاره إليهم، فوصل إلى مكة في سلخ جمادى الأولى، وهَمَّ بالمسير من فوره إلى الوادي لابن أخيه، -وكان نازلاً بالجديد من الوادي-، فماطله الذين استدعوه، وآخر الأمر أنهم لم يوافقوه على المسير إلا بشيء جيّد يأخذونه منه، فلم يسمح به، وعاد إلى الشرق ثانياً في أول العشر الأوسط من رجب، وأقام به مدة، وذهب من هناك إلى المدينة النبوية فزار[1] جدّه المصطفى ﷺ، وعاد إلى مكة، وتوجه إلى جدة، فأزال منها رميثة وأصحابه -وكانوا قد أقاموا بها بعد رحيلهم من الوادي-، واندفع رميثة إلى جهة الشام.

ووصل الحجاج بإثر ذلك، فلايم رميثة الحجاج، ووصل معهم مكة؛ لتقرير المؤيد له على ولايته وهو بحلب، وكان قد خرج إليها لقتال بعض أعدائه، فظفر بهم غير واحد أو اثنين، فأقام لتحصيل عدوّه، وبعث مبشراً بالنصر إلى السيد رميثة، فوصله في أول شوال وهو بجدة، واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه في الخطبة وعلى زمزم إلى استهلال ذي الحجة؛ لاستيلاء السيد حسن على مكة إلى هذا التاريخ، ثم فارقها في هذا التاريخ وقصد الشُّقّان[2]. ودخل السيد رميثة مكة في مستهل الحجة، وقُرئ توقيعه ودُعي

(١) الزيارة المشروعة هي للمسجد النبوي للحديث الصحيح : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

(٢) الشقان: جمع شق للدلالة على كثرة الشقوق، وهي كثيرة بين جدة والليث، لها ذكر في القرن الرابع الهجري.

وفي أحسن التقاسيم للمقدسي ص: ٧٨: وشقان ميقات أهل اليمن في البحر، وهو موضع يقابل يلملم (من إملاء الأستاذ حسن إبراهيم الفقي).

له على زمزم وفي الخطبة، وتاريخ التوقيع رابع عشر صفر، وصرّح فيه بأنه ولي نيابة السلطنة بالحجاز عوض عمه، وإمرة مكة عوضاً عن ابني عمه[١].

وفي سنة تسع عشرة وثمانمائة[٢] -في أولها- نزل بالجديد من وادي مَرّ، واستولى على غلال أموال السيد رميثة وما قدروا على أخذها منه وهو بالجديد ساكن. فلما كان في صفر وصل وصلت المراكب الكارمية والجلاب الينبعية إلى الشُّقّان، فأخذ منها السيد حسن زالّة[٣] له ولخواصه ثلاثة عشر ألف مثقال ومائتي مثقال، ومكنهم السّقْية من جدة، ومضوا إلى ينبع[٤].

(١) انظر: العقد الثمين (١٢١/٤)، وشفاء الغرام (٣٥٦/٢).
(٢) إتحاف الورى (٥٣٠/٣). وانظر: العقد الثمين (١٢٢/٤)، وغاية المرام (٣٠٣/٢).
(٣) الزالّة: لعلها تعني في اصطلاح ذلك العصر المكس أو الضريبة على المرور والتزود بالزاد والمياه العذبة، أو لعلها الزلة بمعنى العطية، كما في تاج العروس (هامش إتحاف الورى ٥٢٥/٣، وهامش غاية المرام ٣٠٢/٢).
(٤) انظر: العقد الثمين (١٢٢/٤).

ولاية الشريف حسن بن عجلان ثانياً بعد عزل الشريف رميثة

وفيها[١] -في رجب- بعث السيد حسن ولده بركات ومولاه القائد [شُكراً][٢] لاستعطاف المؤيد[٣] ومعه خيل وغيرها، فقدمها فقبلت منه، وأنزل عند ناظر الخاص، والتزم السيد حسن للمؤيد بثلاثين ألف مثقال، فأنعم على السيد حسن بإمرة مكة، وكُتب له بذلك عنه توقيع ومثال مؤرخ بثامن عشر رمضان، وجهز له مع ذلك خلعة مع بعض الخاسكية[٤] المؤيدية، والنجابة السلطانية، وانتهوا إلى السيد حسن -وهو في ناحية جدة- في أوائل العشر الأوسط من شوال، فبعث السيد حسن إلى القوّاد العِمَرة -وكانوا قد بانوا عنه في شعبان، وانضموا إلى السيد رميثة بمكة- يأمرهم بالخروج من مكة، فتوقفوا في ذلك. ولما تحقق أنهم ورميثة ومن انضم إليهم مجمعون على المقام بمكة قَصَدهم ، وانتهى إلى وادي الزاهر[٥] ظاهر مكة في بكرة

---

(١) إتحاف الورى (٣/٥٣١-٥٣٤). وانظر: العقد الثمين (٤/١٢٢-١٢٥)، ومنائح الكرم (٢/٤٢٢-٤٢٣)، وخلاصة الكلام (ص:٣٩)، وغاية المرام (٢/٣٠٤-٣٠٨، ٣٩٥-٣٩٦).

(٢) في الأصل: شكر. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٥٣١)، والعقد الثمين (٤/١٢٢)، وغاية المرام (٢/٣٩٥).

(٣) السلطان المؤيد شيخ المحمودي الظاهري الجركسي، صاحب المدرسة المؤيدية بداخل باب زويلة بالقاهرة (نزهة الأساطين ص:١٢٧).

(٤) الخاسكية، أو الخاصكية: جماعة السلطان يدخلون عليه في أوقات خلواته وفراغه، ويقومون بخدمة القصر والاسطبل. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية: ٩٥.

(٥) الزاهر: تقدم التعريف به (ص: ٤٣).

يـــوم السبت ثاني عشر شوال، فخيَّم بوادي الزاهر ومعه الأشراف آل أبي نمي[١]، و[ذوو][٢] علي، وذوو عبدالكريم، والأدارسة، وصاحب ينبع الشريف مقبل بن مخِبْار، في عسكر جاء به معه من ينبع، غير مَن في خدمته من عبيده ومن الترك، وكان الترك مائة [وعشرين][٣] -فيما قيل-، وأرسل إلى مشايخ القوّاد [العمِرَة][٤]، فحضر إليه منهم ثلاثة نفر، فخوَّفهم من داهية الحرب، فسألوه أن يمهلهم هذا اليوم والذي يليه؛ ليلزموا أصحابهم بالخروج من مكة، فأتوا أصحابهم فعرفوهم الخبر، فَهَمَّ أكثرهم على عدم الخروج، فلم يسع الراغبون في ذلك إلا الموافقة، ولما تحقق ذلك السيد حسن رحل في بكرة يوم الاثنين الرابع عشر من شوال من الزاهر، وخيم بقرب العُسَيْلَة[٥]

---

(١) آل أبي نمي: ينتسبون إلى قتادة بن إدريس بن مطاعن بن سليمان، من ولد موسى الجون بن عبد الله المحض ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (انظر: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص: ٣١-٣٣).

(٢) في الأصل: وذوي. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٥٣١)، وغاية المرام (٢/٣٠٤).

(٣) في الأصل: وعشرون. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٥٣١)، والعقد الثمين (٤/١٢٢)، وغاية المرام (٢/٣٠٤).

(٤) زيادة من المراجع السابقة.

(٥) العسيلة: بئر من الآبار التي بمنى، وهي في منزلة بني حسن بمنى (هامش إتحاف الورى ٣/٥٣٢).

أعلى الأبطح، وأتى بعض أصحابه إلى رؤوس القوّاد الحميضات[١] –وكانوا مع السيد رميثة– فثبطهم عن القتال وخوّفهم غائلته، فلم يصغوا لذلك.

فلما كان بكرة يوم الثلاثاء خامس عشري شوال ركب السيد حسن في عسكره –وكانوا فيما قيل ثلاثمائة فارس وأزيد من نحو ألف راجل، وكان الذي بمكة على نحو الثلث من ذلك–، ولما انتهى إلى المعابدة[٢] بعث إلى الذين بمكة يحذّرهم[٣] عاقبة القتال؛ لرغبته في الإبقاء على أكثرهم، فلم يقبلوا نصيحته، ومَثَلُهم ومَثَله في ذلك كما قيل:

بذلت لهم نصحى بمنعَرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وسار بمن معه حتى دنوا من باب المعلاة، فأزالوا مَنْ كان عليه وقُرْبه من أصحاب السيد رميثة بالرمي بالنشاب والأحجار، وعمد بعضهم إلى باب المعلاة فدهنه، وأوقد تحته النار، فاحترق حتى سقط إلى الأرض، وهذا الباب

(١) الحميضات: تقدم ذكرهم في (ص: ٢٣٥)، هامش رقم (٤).

(٢) المعابدة: تقدم ذكرها في (ص: ٢٢٤)، هامش (٤).

(٣) في الأصل زيادة: عن. وانظر: إتحاف الورى (٥٣٢/٣)، والعقد الثمين (١٢٣/٤)، وغاية المرام (٣٠٥/٢).

كان عمل بكنباية[١] من بلاد الهند في سنة ست [وثمانين][٢] وسبعمائة، وأهدي للسيد أحمد بن عجلان، وركّبه على باب المعلاة السيد عنان بن مغامس في سنة تسع وثمانين لما ولي إمرة مكة بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان. وقصد بعض أصحاب السيد حسن طرف السور الذي يلي الجبل الشامي مما يلى المقبرة، فدخل منه جماعة من الترك وغيرهم، ورقوا موضعاً مرتفعاً من الجبل المشار إليه، ورموا بالنشاب والأحجار من كان داخل الدرب من أصحاب السيد رميثة، فتعبوا لذلك كثيراً، ونقب بعضهم -مما يلي الجبل الذي هم فيه- من السور عند البرج الذي هناك نقباً متسعاً سعته نحو عشرة أذرع، حتى اتصل الهدم بالأرض، فدخل منه جماعة من الفرسان من عسكر السيد حسن، ولقيهم جماعة من أصحاب السيد رميثة، وقاتلوهم حتى أخرجوهم من السور، وقد حصل في الفريقين جراحات، وهي في أصحاب السيد رميثة أكثر، وقصد بعض أصحاب السيد حسن وهم أصحاب عسكر صاحب ينبع [السور][٣] مما يلي بركة الصارم[٤] فنقبوه نقباً

---

(١) كنباية: ولاية من ولايات الهند قائمة بذاتها، وعاصمتها تسمى بها. وهي ذات أبنية عظيمة، كان يرد منها القماش والتيل واللك الكابلي (حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور لابن تغري بردى ص:٢٨٦).

(٢) في الأصل: وثمان. والتصويب من إتحاف الورى (٥٣٢/٣).

(٣) قولــه: "السور" زيادة من إتحاف الورى (٥٣٣/٣)، والعقد الثمين (١٢٤/٤)، وغاية المرام (٣٠٦/٢).

(٤) بركة الصارم: هي إحدى بركتين متلاصقتين، وكانتا بلصق سور باب المعلاة ببستان الصارم، وكانتا معطلتين، فعمرت إحداهما في النصف الثاني من سنة ٨١٣ هـــ، وملئت من عين بازان بعد جريها، والذي أمر بعمارتها هو الشهاب بركوت المكين (شفاء الغرام ٦٢١/١).

متسعاً، ولم يتمكنوا من الدخول منه، لأجل البركة فإنها مهواة، فنقبوا موضعاً آخر فوقه.

ثم إن بعض الأعيان من أصحاب حسن أجار من القتال -برغبة بعض القوّاد في ذلك على ما قيل-، وكان السيد حسن كارهاً للقتال، ولو أراد الدخول إلى مكة بكل عسكره من الموضع الذي دخل منه بعض عسكره لقدر على ذلك، وأمضى الجيرة، فترك القتال، وبإثر ذلك وصل إليه جماعة من القضاة والفقهاء والصالحين بمكة، ومعهم ربعات شريفة، وسألوه في كَفّ عسكره عن القتال، فأجاب إلى ذلك بشرط أن يُخرج من مكة الذي عانده، فمضى الفقهاء إليهم وأخبروهم بذلك، فتأخروا عنه إلى جوف مكة بعد أن [توثَّقُوا](١) ممن أجار في كفِّ القتال، فدخل السيد حسن من السور بجميع عسكره، وخيَّم بين(٢) بركتي المعلاة، وأقام هناك حتى أصبح، وفارق السيد رميثة مكة في ليلة الأربعاء، ودخل السيد حسن في بكرة يوم الأربعاء لابساً للخلعة، والعسكر في خدمته، وطاف بالكعبة سبعاً والمؤذن يدعو له على زمزم، وبعد فراغه من الطواف وركعتيه أتى إلى جهة باب الصفا، فقرئ هناك توقيعه بإمرة مكة -وتاريخه ثامن عشر رمضان-، وكتاب السلطان [بذلك](٣) بحضرة القضاة والأعيان، وخلق لا يحصون كثرة، وكان

(١) في الأصل: توقفوا. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٥٣٤)، والعقد الثمين (٤/١٢٤)، وغاية المرام (٢/٢٠٧).
(٢) في إتحاف الورى وغاية المرام والعقد الثمين: حول.
(٣) قوله: "بذلك" زيادة من المراجع السابقة.

يوماً مشهوداً، وركب بعد ذلك فدار البلد، ونادى بالعدل والأمان، وكان قد أَمَّن المعاندين له خمسة أيام، فتوجهوا إلى جهة اليمن، وبعث لابن أخيه رميثة بزوّادة ومركوب، وانتهى رميثة ومن معه إلى قرب حلي، وعوّض السيد حسن لباب المعلاة –عوض الباب المحروق– بباب جديد كان ببعض دوره بمكة، وكان ينقص عن مقدار باب المعلاة، فزيد فيه وأكمله، وأحكمت الزيادة فيه، ورُكّب في محله يوم الجمعة ثاني عشر القعدة، وأمر السيد حسن بعمارة ما أخرب من السور، فعمّر ذلك في بقية شوال وفي أول ذي القعدة، وبعث السيد حسن إلى القوّاد العِمَرة يستميلهم، فقدم عليه منهم جماعة أيام الحج وسألوه في مصافاهم والإحسان إليهم، فأجاهم إلى ذلك بشرط أن يَبينُوا عن ابن أخيه ويُلجئوه للسفر إلى اليمن، فإذا فارق حلي مسافراً لليمن قدموا عليه وأناهم قصدهم، فأظهروا له الموافقة على ذلك. انتهى ما ذكره ابن فهد.

وقال العلاّمة الدحلان في خلاصته بعد ذكر هذه الواقعة[1]: ثم إن الشريف رميثة اجتمع بعمه الشريف حسن واصطلحا، فتغير القوّاد على الشريف حسن وقاموا بنصرة ذوي رميثة بن أبي نمي، وهم أولاد أحمد بن ثقبة بن رميثة بن أبي نمي، وأولاد علي بن مبارك بن رميثة، وأعلنوا ولاية مكة لثقبة بن أحمد بن ثقبة وميلب بن علي بن مبارك، وجعلوا لكل منهما نواباً بجدة، فجهز عليهم الشريف حسن، فهربوا من جدة وقصدوا مكة، فحاربهم نائب الشريف -وهو حسن مفتاح الزفتاوي- فقتلوه، وقتلوا معه جماعة، ثم فرّوا إلى جهة اليمن في شوال سنة ثمانمائة وعشرين، وقدم من مصر الشريف بركات بن حسن شريكاً لوالده، فسرّ بذلك والده، ورشحه للأمر. انتهى.

وقال ابن فهد في حوادث سنة عشرين وثمانمائة[2]: وفيها -في النصف الثاني من شوال- قدم السيد بركات من مصر في تجمل زائد، وقد التزم عنه وعن أبيه الأمير فخر الدين الأستادار بمالٍ [للسلطان، فسرّ به][3] والده، وطاف السيد بركات بالكعبة، ودُعي له على زمزم كعادة أمراء مكة، وصار أبوه ينوّه له بالإمرة، ويقول لبني حسن وغيرهم: هو سلطانكم.

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٣٩-٤٠).

(٢) إتحاف الورى (٥٤٨/٣). وانظر: العقد الثمين (١٢٨/٤)، والسلوك (٤٥٠/٦)، وإنباء الغمر (١٤٢/٣)، وسمط النجوم (٢٧٣/٤)، والضوء اللامع (١٣/٣)، وغاية المرام (٣٩٦/٢،٣١٣).

(٣) في الأصل: السلطان فسرّه. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

وفي السنة المذكورة[١] -في المحرم- كتب المؤيد صاحب مصر إلى الناصر صاحب اليمن على يد سفيره القاضي مفلح التركماني كتاباً يستعطفه على السيد حسن، وذكر فيه شيئاً من حاله، [فمن][٢] الكتاب المذكور:

أما الشريف حسن بن عجلان فإنه بلغنا أنه طابق تسميته بالعكس، [فرسمنا][٣] بطرده، وقلنا: هذا الكدر لا يليق عند سكان الصفا، فقربنا إليهم المسرَّة ببعده، وعَلِمَتْ أهل مكة منّا بذلك؛ فأنكرت مشاركته في البيت، وأخرجته من الحرم الشريف، وأغلقت الأبواب وقالت: هيْت، وانقطع أمله من [ورود][٤] زمزم، وقد [جرّعتْه كؤوس البين][٥] مرارة الإصدار، وتيقّن قتل نفسه عند خروجه من الديار، ولم [تتعرَّف][٦] به عرفات لما طرد منكراً على وَجَل، ولا أمكنه أن يقول بعدها: سآوي إلى جبل، وأيقن أن يصاب من كنانة مصر بسهام يبلغ بها المقامُ الغرض، ويقول ببلاغة وإيجاز: سهم أصاب

---

(١) إتحاف الورى (٣/٥٤٦-٥٤٨). وانظر: العقد الثمين (٤/١٣٠-١٣٢)، وغاية المرام (٢/٣١٥-٣١٧).
(٢) في الأصل: في. والمثبت من إتحاف الورى (٣/٥٤٦).
(٣) في الأصل: فرسمناه. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق، والعقد الثمين (٤/١٣٠)، وغاية المرام (٢/٣١٥).
(٤) في الأصل: ورد. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.
(٥) في الأصل: صبر عنه كدوس اليمن. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.
(٦) في الأصل: يتعرف. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين، الموضعان السابقان، وغاية المرام (٢/٣١٦).

ورامِيه بذي سلم من الحجاز، وعلمنا أن سيفنا المؤيدي لا بد أن يسبق فيه العذل، ويدخله في خبر كان، وتتنغّص حياته، ويأتيه الموت كأبيه عجلان.

ويُمْـسي اليمـاني نائمـاً مـلء(1) ... ومن كثرة التطويل يُخْتَصَرُ الـرّمح
كـذاك مَديـد البحـر يمـضي(2) ... بتقطيعه قهـراً ويتَّـضِحُ الـشَّرْح
وفي [خده](3) يُمْسي السرور مجددا ... وللطير في أفنانهـا بالهنـا صَـدْح
ويعْذَبُ من [عيذاب أريـاق](4) ... [وَشَامٌ](5)بها من لذّة الشُّرب ما يـصحو
وأعداؤنا أعـداؤكم غـيرَ أنهـم ... ظَلامٌ محاهُ من صـداقتِه الـصبح

ونزل بعد ذلك على الطور، فقال له لسان الحال ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾ [الطور:٦-٧]، [وفَهِمَ](6) إغراب سيفنا عن صرفه، فصرَفَ نفسه ولم [يَتَقَوَّ](7) على الصرف بمانع، وتحقَّقَ أنه فعل فاحشة وظلم نفسه، فذكر الله واستغفر لذنبه، واستجار بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤ ﴾ إلى آخر الآية[التغابن: ١٤]،

---

(١) في الأصل: جفنته. والتصويب من إتحاف الورى (٥٤٧/٣)، والعقد الثمين (١٣١/٤)، وغاية المرام الموضع السابق.

(٢) في الأصل: زخارفه. وقد كتب على الهامش: لعله: زحافه. وهو الصواب، وهو مصطلح عَروض معروف.

(٣) في الأصل: جده. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٤) في الأصل: عيدان ارتفاق. والمثبت من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٥) في الأصل: وتسام. والمثبت من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٦) في الأصل: وفيهم. والمثبت من إتحاف الورى (٥٤٧/٣)، وغاية المرام (٣١٧/٢).

(٧) في الأصل: يتفق. والمثبت من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

فرأينا العفو أَلْيَق به، وعلى كل حال فهو شريف، ورتبته في الشرف رفيعة، وقد تاب من ذنبه، وطمع في أن يكون المقام الأحمدي شفيعه، والتزم بالتوصل إلى رضا الخواطر الكريمة عليه، ورد الأمانات إلى أهلها؛ ليفوز بالْتفات العواطف الناصرية إليه، وأقْسَمَ بالبيت العتيق أن يتقرب إلى المقام بإخلاص جديد، وقال: كل أحد يعرف أن الحُنُوّ الأحمدي على الحسن غير بعيد. انتهى. وهذا الكتاب من إنشاء الأديب تقي الدين بن حجة[١].

وفي سنة إحدى وعشرين وثمانمائة[٢] بعث السيد حسن ولده السيد إبراهيم إلى بلاد اليمن؛ مستعطفاً لصاحبها الناصر، فعطف عليه كثيراً بعد أشهر كثيرة، وجهَّزه إلى مكة بعد أن أمر له بصلة متوسطة.

وكتب الناصر صاحب اليمن إلى المؤيد صاحب مصر جواب كتابه الذي كتب له في سنة عشرين من جهة السيد حسن.

فمن الكتاب المذكور: وأما الإيماء [إلى][٣] الصفح عن الشريف بدر الدين فما كان إلا صديقاً صدوقاً، ورفيقاً [رفيقاً][٤]، ثم بَدا له في ذلك؛

---

(١) هو أبو بكر بن علي بن عبدالله، تقي الدين الحموي، ويعرف بابن حجة، أحد كتبة ديوان الإنشاء، مات في سنة ٨٣٧هـ (إنباء الغمر ٥٢٢/٣، والضوء اللامع ٥٣/١١).

(٢) إتحاف الورى (٥٥٨/٣-٥٦٠). وانظر: العقد الثمين (١٣٠/٤، ١٣٢)، وغاية المرام (٤٧١/٢، ٣١٥، و٣١٧-٣١٨).

(٣) في الأصل: عن. والمثبت من إتحاف الورى (٥٥٨/٣)، والعقد الثمين (١٣٢/٤)، وغاية المرام (٣١٧/٢).

(٤) في الأصل: رفوقاً. والتصويب من العقد الثمين (١٣٢/٤)، وغاية المرام (٣١٧/٢).

فأخذ ينقض غزل تلك الصداقة بعد القوة، ويحُلُّ عُرى ذلك الرفق عُرْوة عُرْوة، ويُحدثُ على التجار كل عام حادثة، وكلما تضجروا من واحدة أتبعها ثانية وثالثة، حتى [تواصلت][1] بشكواه الألسنة، فأردنا إيقاظه من هذه السِّنَة، بأن [ينقل][2] موسم التجار إلى ينبع، وأن تشحن المراكب بالمقاتلة صيانةً لها عن التتبُّع، ليعلم أن العدل هدى وعمارة، وأن الجور خراب وخسارة.

ولما حصلت الإشارة الشريفة بتلافي ما فرط منه، وتدارك ما صدر عنه، أرسل ولده وشرط على نفسه هذه الشروط الصادرة، وقد تحاملنا له فيها على التجار ليطيب خاطره؛ فإن زيادتها على ما كان يأخذه سلفه منهم ظاهرة، وأردنا أن يكون تمام ما بدا به المقام الشريف على يديه، ويعرف ما شرط على نفسه لينفذه ويقضي به عليه، وقد رضينا به جميعاً أن يكون هو الحاكم، والآخذ على يد الظالم، وحتى يعلم من يَحُورُ بعد الكَوْر[3]، ويركب مطية الخُلْف والجوْر، ويسأله كَتْبَ منشور عن المرسوم الشريف، يعتصم به السفراء والتجار عند الحاجه إليه، ويشار فيه إلى أمير الحاج أن يكون في الوفاء به شاهداً وحاكماً عليه، فما ينتقض أمرٌ أبرمته عنايته، ولا يضل سالك أرشدته هدايته[4]. انتهى.

---

(١) في الأصل: توصلت. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٢) في الأصل: تنتقل. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين، الموضعان السابقان.

(٣) أي من ينقص بعد الزيادة، ومنه قولهم: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، أي من النقص بعد الزيادة (المعجم الوسيط ٢/ ٨٠٤).

(٤) العقد الثمين (٤/ ١٣٢).

وهذا الكتاب من إنشاء شيخنا شرف الدين المقري[١].

وفيها[٢] -في شهر ربيع الأول- أظهر السيد حسن أنه تخلى عن إمرة مكة لابنه السيد بركات[٣]، بحيث أجلسه على المفرشة بالمسجد الحرام، وجلس هو على مفرشة عنده، وأمر من في خدمته بالحَلِف له، فحلفوا له، فَجَمَحَ السيد أحمد بن حسن عن طاعة أبيه، فأرسل إليه أبوه من يستعطفه، ويعده عنه بذَهَب ومركوب، فلم يمل السيد أحمد لذلك، واجتمع عليه جماعة من الطماعة ومضوا لجدة، وتخطفوا منها أشياء، ثم إن كثيراً من الذين كانوا معه تخلفوا عنه؛ لمَلامَة أقاربهم لهم على ملاءمته؛ لكون ذلك لا يُرضي أباه، ولما عرف هو ذلك حضر إلى حَدّا[٤]، ونزل بها، ثم دخل في الطاعة، وأقام على ذلك وقتاً، ثم خالف ومضى إلى ينبع، وأتى منها مع الحجاج إلى أبيه بمكة، فلم يَرَ ما يُعجبه، فعاد مع الحجاج إلى صوب ينبع بعد الحج من هذه السنة.

---

(١) هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله المقري، الشرف أبو محمد الشغدري، فقيه اليمن وقاضيها، وناظمها وناثرها. صاحب كتاب عنوان الشرف، المتوفى سنة ٨٣٧هـ (الضوء اللامع ٢/٢٩٢).

(٢) إتحاف الورى (٣/٥٥٥-٥٥٦). وانظر: العقد الثمين (٤/١٢٩-١٣٠)، وسمط النجوم (٤/٢٧٣-٢٧٤)، ومنائح الكرم (٢/٤٢٥-٤٢٦)، وخلاصة الكلام (ص:٤٠)، وغاية المرام (٢/٣١٣-٣١٥، ٣٩٦).

(٣) انظر ترجمته في: غاية المرام (٢/٣٩٢-٤٦٧)، والضوء اللامع (٣/١٣-١٤)، والدر الكمين (١/٦٤٧-٦٥٤)، وشذرات الذهب (٧/٢٩٤)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٠-٤٣).

(٤) حدّا: مدينة على الطريق بين مكة وجدة في منتصف الطريق تقريباً. وقد تهمز فيقال: حداء، كما يقال: حدة (انظر: معجم البلدان ٣/١٧٣).

وفيها[١] -في حادي عشر ربيع الأول- وصل من صاحب مصر إلى السيد حسن كتاب فيه إعلامه بقوة عزْمه على الحج في هذه السنة، وأمره [بتسلّم][٢] ما وصل من الغلال إلى جدة، ونقل ذلك إلى مكة والاحتفاظ بذلك، وفيه مطالبة بعشرة آلاف مثقال بقيت عنده من الثلاثين ألف مثقال التي التزم بها للخزانة لما سأل العود إلى إمرة مكة المشرفة، ثم انثنى عزم السلطان في شعبان، وكتب ببيع الغلال المجهزة في البحر.

وفيها[٣] -في العشر الأول من ربيع الآخر- توجه السيد حسن من مكة قاصداً للشرق، وعَدَلَ إلى صوب الطائف، فخرب أماكن [بلُقيم][٤]، والعقيق[٥]، ووَجّ من وادي الطائف خراباً كثيراً، وهدم حصناً

---

(١) إتحاف الورى (٣/٥٥٧). وانظر: العقد الثمين (٤/١٣٣-١٣٤)، وغاية المرام (٢/٣٢٠).

(٢) في الأصل والعقد الثمين: بتسليم. والمثبت من إتحاف الورى (٣/٥٥٧)، وغاية المرام (٢/٣٢٠).

(٣) إتحاف الورى (٣/٥٥٧-٥٥٨). وانظر: العقد الثمين (٤/١٣٣)، وغاية المرام (٢/٣١٩).

(٤) في الأصل: بالقيم. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٥٥٧)، والعقد الثمين وغاية المرام، الموضعان السابقان.

ولُقَيم إذا تجاوز عقيق الطائف بلدة الطائف سمي لُقيماً، فأعلاه لقيم الأعلى، وأسفله لقيم الأسفل، وهو واد زراعي تكثر فيه الأعناب والرمان والخضار، وجلّ ملكه للأشراف العبادلة (معجم معالم الحجاز ٧/٢٦٣).

(٥) عقيق الطائف: واد يأخذ من جبل الغمير الذي يظلل الطائف وقت الأصيل ثم يمر بطرف الطائف من الغرب والشمال، وعليه أحياء من الطائف، ثم يعدل شمالاً فإذا وصل إلى الحوية سمي شَرِب، وملاكه الأشراف وخاصة العبادلة، وفيه أخلاط من عتيبة، والحمدة من ثقيف ملاكه الأصليين (معجم معالم الحجاز ٦/١٣٠-١٣١).

لعوف بليَّة[١]، وسبب ذلك: توقُّفُ أهل الأماكن المشار [إليها][٢] عن تسليم ما قرَّره عليهم من القطيعة [لزيادها][٣] على العادة مع ما هم فيه من ضيق الحال بسبب الجباية التي أخذها منهم في العام الماضي، ومع ذلك فما وَسِعَ أهل الأماكن المشار إليها إلا استعطافه وتسليم ما رضيه، واتهموا جُوَيْعِد بن نمير صاحب [أبي][٤] الأخيلة بأنه أغرى بهم السيد حسن بن عجلان، فلما عاد السيد حسن من الشرق إلى مكة خادعوا جويعد بن نمير، واستحضروه إليهم بقرية السلامة[٥]، ومنعوه الخروج من المنزل الذي اجتمعوا فيه، وقصد طائفة كثيرة منهم حصنه [أبا الأخيلة][٦]، فأخربوه خراباً فاحشاً، ثم أطلقوه سالماً في بدنه.

---

(١) لية: واد فحل من أودية الحجاز الشرقية، له ما يزيد على عشرين رافداً كبيراً، يمر جنوب الطائف على ١٥ كيلا، ويأخذ سيله من شفا بني سفيان وشفا هذيل، ثم يتجه شرقاً متعرجا إلى الجنوب الشرقي حتى يذهب ماؤه في سيح البَرْث قرب حضن، وهو في أعلاه لثقيف، وبعض فروعه لهذيل، وأسفله للأشراف العبادلة والعُصَمة من عتيبة، ويسمى أسفله وادي عدوان (معجم معالم الحجاز ٧/٢٧٢-٢٧٣).

(٢) في الأصل: إليهم. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٥٥٧)، والعقد الثمين (٤/١٣٣).

(٣) في الأصل: بزيادها. والتصويب من العقد الثمين وإتحاف الورى وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٤) زيادة من إتحاف الورى (٣/٥٥٨)، والعقد الثمين وغاية المرام، الموضعان السابقان.

(٥) قرية السلامة: من قرى الطائف، كثيرة البيوت والبساتين، وبها عين، وكان يترلها أعيان مكة وفضلاؤها بل غالب أهلها، وضربت في سنة ١٠٨٠ هـ، وانهدمت بيوتها في مدة يسيرة، ولم يبق منها إلا القليل، وأصبحت عبرة لمن يعتبر (إهداء اللطائف من أخبار الطائف ص: ٨٧). وفي معجم معالم الحجاز (٤/٢١٨): أنها حي من أحياء الطائف، بها مسجد ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في الأصل: بالأخيلة. والمثبت من العقد الثمين وإتحاف الورى وغاية المرام، المواضع السابقة.

وفي سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة[١] -في آخر اليوم الثاني عشر من ربيع الأول- توجه السيد حسن لصوب الشرق؛ لأنه بلغه أنه كثير المطر، وليقوى به أمر العسكر الذين أرسلهم إلى الطائف وليَّة لقبض القطيعة التي قرّرها على أهل الطائف وليّة، فلما وصل العسكر أخربوا أماكن [بلُقيم][٢]، والعقيق، ووجّ[٣] -من وادي الطائف-، وأمر بإخراب حصن الطائف المعروف بحصن الهجوم [بسعي][٤] جماعة من الحُمَدة[٥] عنده في ذلك، فأُخْرب جانب كبير منه، وأعان المخرّبين له على إخرابه، وذلك أن بعض أعيان عسكر الشريف استدعوا بعض أعيان أصحاب الحصن، فحضروا إليهم وهم لا يشعرون بما يريده عسكر الشريف، فلما أوثقهم عسكر الشريف ساروا لإخراب الحصن، فرماهم منه بعض النسوة اللاتي به، وكادوا[٦] يحمونه، ثم قيل لمن فيه: إما أن تسلموا الحصن، وإلا ذبحنا الذين عندنا منكم، فرقّ لهم الذين

---

(١) إتحاف الورى (٣/٥٦٣-٥٦٤). وانظر: العقد الثمين (٤/١٣٤-١٣٥)، وغاية المرام (٢/٣٢١-٣٢٢).

(٢) في الأصل: بالقيم. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٥٦٣)، والعقد الثمين (٤/١٣٥)، وغاية المرام (٢/٣٢١).

(٣) وجّ: واد من أودية الطائف، قيل إنه أحدث في وادي وج قرية في المائة السادسة من الهجرة، وقيل: إنها قرية قديمة دمرت، ثم عمّرت في المائة السادسة (إهداء اللطائف ص: ٨٨).

(٤) في الأصل: فسعى. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٥) الحمدة: فرع صغير من ثقيف في وادي الغيم ونواحيه من الطائف الشمالي. والحمدة أيضاً: بطن من بني جاهل من ثقيف ترعة (معجم قبائل الحجاز ص: ١٢٠).

(٦) أي من بالحصن من المدافعين عنه.

بالحصن وسلّموه، فهدم. ثم سعى أصحابه عند الشريف في أن يقف عسكره عن هدمه وفي عمارته، فأجابهم لقصدهم، وأعادوا كثيراً مما هدم بالبناء، وأمر بإخراب الموضع المعروف [بأم السُّكارى][1]، -جبل بالسلامة من وادي الطائف-؛ لأن الذين بنوا فيه من الحمدة هم الذين قاموا في هدم حصن [أبي][2] الأخيلة "حصن جويعد"؛ لانتمائه إلى الشريف، فهدم ذلك هدماً دون هدمه الأول، وعاد الشريف إلى مكة بعد أن صارت إليه القطيعة التي قررها على أهل الطائف وليّة، وسلك في طريقه طريق نخلة اليمانية.

فلما كان بالزيمة منها أمر بقطع نخيل فيها وبإخرابها؛ لعَتْبِه [أمراً][3] على أهلها، فاستعطفوه وهادوه بخيل، ومضى منها إلى سُولة[4]، ثم إلى خيف بني عُمير[5]، ثم إلى

---

(١) في الأصل: المعروف بالسكارى. والتصويب من العقد الثمين (١٣٥/٤)، وإتحاف الورى (٥٦٤/٣)، وغاية المرام (٣٢٢/٢).
وأم السكارى: هي الهضبة المنقادة في الأرض المطلة على حي قَرْوى من الجنوب، في الطائف (معجم معالم الحجاز ٢١٢/٤).
(٢) زيادة من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.
(٣) قوله: "أمراً" زيادة من إتحاف الورى (٥٦٤/٣)، والعقد الثمين (١٣٥/٤)، وغاية المرام (٣٢٢/٢).
(٤) سولة: قلعة على رابية بوادي نخلة، تحتها عين جارية ونخل، وهي لبني مسعود، بطن من هذيل (معجم البلدان ٢٨٥/٩).
وقال البلادي في معالم مكة التاريخية (ص:١٣٩): سولة: عين جارية بنخلة اليمانية أسفل من الزَّيمة، عند مصب وادي سَبُوحة في نخلة اليمانية، وهي والزيمة قريتان بنخلة اليمانية.
(٥) قال البلادي في معجم معالم الحجاز (٨٥/١٠): خيف بني عمير: هو ما يعرف بالزبارة، وقد تقدم، غير أني رأيتهم يطلقون هذا الاسم كثيراً، وصاروا يسمون ما كان يعرف بوادي المسد، يسمونه وادي بني عمير، وهو ما بعد مجمع النخلتين وأسفل من مر الظهران.
وبنو عمير قبيلة من قبائل هذيل تسكن هذا الوادي.

المُبارك[١]، ثم إلى وادي مَرّ، وأتى إلى مكة في أثناء رجب.

وفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة[٢] -في رابع عشر صفر- وصل كتاب من المؤيد صاحب مصر للسيد حسن يتضمن عتبه عليه في أمور، منها: أخذه الموجب من المتاجر السلطانية، فإن في المراكب المشار إليها حملاً منسوباً لصاحب مصر.

ومنها: كونه [كان][٣] في العام الماضي يشتري ما يرد بجدة من الحب والتمر ويُخزّنه ويبيعه للناس.

ومنها: تأخره إرسال العشرة آلاف المتبقية عليه للخزانة السلطانية المؤيدية مما التزمه لها حين ولي مكة في سنة تسع عشرة[٤].

وفي الكتاب عتب قوي لتأخيره إرسال هذا المبلغ، وكلمات مزعجة للخاطر، منها ما معناه: ولا [تظن][٥] أن إهمالنا لك عجزٌ عن حصولك في قبْضَتنا الشريفة، وإنما لما أُحْسنت منك السيرة في بعض الأمور قلنا: لعل الله

---

(١) المبارك: واد عظيم، به عين جارية في وادي الزّبارة، وهو بين وادي مر ونخلة، يبعد عن مكة (٣٥) كيلاً شمالاً (انظر: العقد الثمين ٢/٣٧٧، ومعجم معالم الحجاز ٨/١٢).

(٢) إتحاف الورى (٣/٥٧١-٥٧٢). وانظر: العقد الثمين (٤/١٣٧-١٣٨)، وغاية المرام (٢/٣٢٣-٣٢٤).

(٣) قولـــه: "كان" زيادة من إتحاف الورى (٣/٥٧١)، والعقد الثمين (٤/١٣٧)، وغاية المرام (٢/٣٢٤).

(٤) في إتحاف الورى: سبع عشرة.

(٥) في الأصل: يظن. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٥٧١)، والعقد الثمين (٤/١٣٧)، وغاية المرام (٢/٣٢٤).

أن يُحسن في الباقي. فانزعج خاطر السيد حسن لذلك كثيراً، وحمله ذلك على التنصل من إمرة مكة، فكتب يسأل في تفويضها لولديه بركات وإبراهيم، وذكر أنهما يقومان للخزانة بالعشرة آلاف المثقال المطلوبة منه عند ولايتهما، وأنهما أولى بالإمرة منه؛ لقوتهما، ولضعف بدنه، وحبه للعبادة[١]، وذكر أنه لم يأخذ موجباً من المتاجر السلطانية، وأنه لم [يَشْتَرِ][٢] ما اشتراه من الحب والتمر في العام الماضي لقصد الاحتكار، وإنما اشتراه لحاجته إليه؛ لنفقته ونفقة عسكره. فلما رأى اضطرار الناس باعه عليهم، فكان في خَزْنه لذلك وبيْعه [نفعٌ][٣] للناس. انتهى.

وفي خلاصة الكلام[٤]: وفي سنة ثمانمائة وثلاث وعشرين طلب الشريف حسن من السلطان المؤيد صاحب مصر تفويض إمارة مكة لولديه: بركات وإبراهيم، وتنصل عن الإمارة؛ لرغبته في العبادة لكبره وضعفه، وتوجه عقب الإرسال إلى حلي في شهر صفر، فوصل جوابه ثاني عشر ربيع الأول سنة ثمانمائة وأربع وعشرين، وجاء عهد مكة له ولابنه بركات، ولم يسمح بها لإبراهيم، فحصل التنافر بين الأخوين، فخرج إبراهيم إلى اليمن، ثم جاء

---

(١) سمط النجوم (٢٧٤/٤).
(٢) في الأصل: يشتري. والتصويب من إتحاف الورى (٥٧٢/٣)، والعقد الثمين (١٣٧/٤)، وغاية المرام (٣٢٤/٢).
(٣) في الأصل: نفعاً. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق، والعقد الثمين (١٣٨/٤)، وغاية المرام، الموضع السابق.
(٤) خلاصة الكلام (ص:٤٠). وانظر: إتحاف الورى (٥٧٩/٣-٥٨١)، ومنائح الكرم (٤٢٦/٢-٤٢٩).

ومعه جمعٌ من الأشراف وغيرهم، ودخل مكة وألزموا المؤذن بالدعاء له، فدعا له الخطيب مع أخيه وأبيه بالكره عليهما.

واستمر الأمر على ذلك سنة ثمانمائة وست وعشرين، فأمر الشريف حسن بترك الدعاء لابنه إبراهيم؛ لأنه أمره بمباينة ذوي راجح، فلم يفعل.

وجاءت خلعتان للشريف حسن وابنه بركات من صاحب مصر الملك المظفر بن الملك المؤيد، وجعل للشريف حسن ألف أحمر تُحمل إليه من مصر في مقابلة تركه المكوس على الخضروات بمكة، وأمر أن يكتب ذلك في بعض أساطين المسجد الحرام. ثم ولي مصر السلطان برسباي، فجعل إمارة مكة للشريف رميثة بن محمد بن عجلان، وكان باليمن، فلم يصادف الأمر محلاً، وكان أمير الحاج فيروز الناصري، فدخل مكة وهو في غاية الوجل والخوف، وكان يظن عدم مقابلة الأشراف له فتسقط حرمته، فخرج الشريف حسن إلى لقاء المحمل على جري العادة، ولبس التشريف الوارد، ثم قابل الأمير المذكور مقابلة خاصة، وقال له: بلغنا أن مولانا السلطان عزلنا عن إمارة مكة لكلام الحسّاد [الباطل](١)، فلما بلغنا ذلك لم نفعل فعل أهل الظلم والجور الذين إذا بلغهم عزلهم نهبوا البلاد وأضرّوا العباد، فأجابه الأمير بأن هذه بلدتكم خلفاً عن سلف، وأن مولانا السلطان محبٌّ لهم، وسوف

---

(١) في الأصل: والباطل. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٤٠).

تعلمون صحة قولي إذا رجعت وجاءتكم المكاتيب [منه][١] بعدم صحة ما نقل لكم عنه. فلما أن سافر الأمير المذكور أرسل معه الشريف هدية عظيمة للسلطان، فلما وصل الأمير إلى مصر وذكر للسلطان ما قاله الشريف حسن وأخبره بما وقع من تحرره من الفتنة، وحفظه للحاج، وقدم له الهدية رضي السلطان، فأرسل إلى الشريف حسن بالتأييد والاستمرار، وقضى جميع مطالبه.

ولاية الشريف علي بن عنان بن مغامس على مكة

وفي سنة ثمانمائة وسبع وعشرين توجه الشريف علي بن عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي[٢] إلى مصر فولّاه السلطان برسباي إمارة مكة، فورد من مصر ومعه عسكر جرّار، فدخل مكة سادس جمادى الأولى من السنة المذكورة، وخرج منها الشريف حسن وأهل بيته. انتهى ما في الخلاصة[٣].

وقال الفاسي في شفاء الغرام[٤]: ولي إمرة مكة السيد علي بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسني بمفرده سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وتوجه إليها من مصر صحبة العسكر المنصور الأشرفي، واستولى على مكة بغير قتال؛ لأن السيد حسن وابنه وجماعتهم فارقوها، ودخل السيد علي بن عنان إلى مكة

(١) قوله: "منه" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٤٠).
(٢) انظر ترجمته في: غاية المرام (٢/٤٨٣-٤٨٧)، وشفاء الغرام (٢/٣٥٨).
(٣) خلاصة الكلام (ص: ٤١). وانظر: منائح الكرم (٢/٤٣١-٤٣٢)، وغاية المرام (٢/٤٨٥)، وإتحاف الورى (٣/٦٠٥).
(٤) شفاء الغرام (٢/٣٥٨). وانظر: سمط النجوم (٤/٢٧٤).

لابساً خلعة الولاية، ضحوة يوم الخميس سادس جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وطاف بالكعبة المعظمة سبعاً والمؤذن يدعو له على زمزم، وبعد فراغه من صلاة الطواف قُرئ توقيعه بالولاية بظلّ زمزم، وفيه: أنه ولي إمرة مكة عِوَضَ السيد حسن بن عجلان، وركب بعد ذلك من باب الصفا، ودار في شوارع مكة والخلعة [عليه](١)، ثم مضى في ثالث يوم إلى جدة لتنجيل(٢) ما وصل إليها من الهند وغير ذلك، ورفق بالقادمين، وعاد بالعسكر إلى مكة في سابع جمادى الآخرة، وضُربت باسمه السكّة، وابتدأت الخطبة باسمه في سابع جمادى الأولى.

رجوع الشريف حسن في الإمارة

وفي سنة ثمان وعشرين وثمانمائة(٣) عُزل السيد علي بن عنان عن إمرة مكة المشرفة، ورسم السلطان الأشرف بطلب السيد حسن بن عجلان إلى الأبواب الشريفة، وتقدم له بذلك القاضي نجم الدين بن ظهيرة من عقبة أيلة، ومعه دوادار أمير المحمل في هذا العام الأمير [تغرى](٤) بردى المحمودي،

---

(١) في الأصل: عليها. والتصويب من شفاء الغرام، الموضع السابق.

(٢) التنجيل: إنزال التجارة من السفن إلى البر، وهي كلمة شائعة على ألسنة سكان جدة (هامش شفاء الغرام ٣٥٨/٢).

(٣) إتحاف الورى (٦٢٢/٣-٦٢٣). وانظر: العقد الثمين (١٥١/٤-١٥٢)، ودرر الفرائد (٤٤٢/١-٤٤٣)، وسمط النجوم (٢٧٥/٤)، وغاية المرام (٣٤٥/٢-٣٤٧).

(٤) في الأصل: تغر. والتصويب من إتحاف الورى (٦٢٢/٣)، والعقد الثمين (١٥١/٤)، وغاية المرام (٣٤٦/٢). وانظر ترجمته في: الضوء اللامع (٢٩/٣).

فذهبا إلى السيد حسن [بالليث][1] وأخبراه برضى السلطان عليه، وبشّراه بالبلاد إن قابل المحمل ووطئ البلاد والبساط، وطمّنا خاطره، فبعث معهما ولده السيد بركات، فاجتمع بأمير الحاج -وقد نزل بطن مَرّ- في ثامن عشري القعدة، فسرّ بقدومه، ودخل به مكة أول ذي الحجة، وحلف له بين الحَجَر الأسود والملتزم أن أباه لا يناله مكروه من قِبَله ولا من قِبَلِ السلطان، فعاد إلى أبيه وقدم به معه مكة يوم الأربعاء رابع ذي الحجة، وخرج للقائه أمير الحاج، والأمير قرقماس، وأمير الأول، وجماعة من في الركب من أعيان المملكة، ودخل مكة المشرفة في خدمة الأمراء والأعيان، فابتدأ بالطواف، وحلف له أمير الحاج ثانياً، والتزم له رضى السلطان عليه، وطمّن خاطره، وألبسه التشريف السلطاني، وقرّره في إمارة مكة على عادته. ثم حج الشريف حسن في محفّة[2] أعطاها له أمير الحاج، وحج الناس وهم طيبون.

وتوجه السيد حسن إلى القاهرة في المحفة صحبة أمير الحاج وصحبته عتيقه شُكْر، واستخلف ولده السيد بركات على مكة، وتجهز الأمير قرقماس وبعض الأتراك وصحبتهم السيد علي بن عنان إلى القاهرة.

---

(١) في الأصل: بالبيت. والمثبت من إتحاف الورى وغاية المرام، الموضعان السابقان.
والليث: واد بأسفل السراة يدفع في البحر أو موضع بالحجاز (معجم البلدان ٢٨/٥) وهي إمارة ذات قرًى كثيرة من إمارات مكة (المعجم الجغرافي ص: ١٠٧٤).

(٢) المحفة: كرسيان من الخشب يجلس فيهما راكبان على مثل جلوسهما على الكرسي، ويكون وجههما إلى رأس الجمل (الرحلة الحجازية للبتنوني حاشية ص: ٢٦٨، والملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص: ٩٢).

وفي سنة تسع وعشرين وثمانمائة[١] -في رابع عشري المحرم- وصل السيد حسن بن عجلان إلى القاهرة بعد أن أمر السلطان أعيان الدولة من أمرائه ومباشريه بتلقيه وإعزازه وإكرامه، فلما أن حضر بين يدي السلطان أنعم عليه بالخلع والإنعامات، وقدّم لـه كلّ واحد من أركان الدولـة التقاديم[٢] والضيافات، وأهدوا له الخيول المسوّمة، والسروج المغرقة[٣]، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً، وفرح به السلطان وأحبه وأكرمه، وأقبل عليه إقبالاً كلّياً.

فلما كان في سابع عشري المحرم -ويقال في العشرين من جمادى الأولى- قرَّرَه السلطان في إمرة مكة، والتزم بثلاثين ألف دينار، وبعث عَبْدَه زين الدين شُكْراً إلى مكة لحفظ ساحل جدة ومتحصلها، ولتجهيز العسكر المقيم بها، فوصل شكر إلى مكة، وجهز العسكر. ثم رسم السلطان للسيد حسن بالتوجه إلى مكة وجهزه، فبرز ثَقَلُه[٤] خارج الديار المصرية، فاعترض له الضعف فعاد إلى القاهرة، ومكث بها أياماً يسيرة، ثم توفي في ليلة الخميس سابع عشر[٥] جمادى الآخرة. انتهى.

---

(١) إتحاف الورى (٦٢٧/٣-٦٣٠). وانظر: العقد الثمين (١٥٢/٤-١٥٣)، وغاية المرام (٣٤٧/٢-٣٤٩)، ودرر الفرائد (٤٤٥/١-٤٤٦)، وسمط النجوم (٢٧٥/٤-٢٧٦).

(٢) التقاديم: مصطلح في ذلك العصر، يعني ما يقدم من الهدايا (هامش إتحاف الورى ٦٢٧/٣، وهامش غاية المرام ٣٤٧/٢).

(٣) المغرقة: أي المحلاة بالذهب والفضة (هامش إتحاف الورى، الموضع السابق).

(٤) الثقل: المتاع (لسان العرب، مادة: ثقل).

(٥) في العقد الثمين: سابع عشري.

وفي الخلاصة[١]: كانت ولاية الشريف حسن سنة سبعمائة وخمس وسبعين وكانت مدة ولايته انفراداً ومشاركةً لابنه بركات ستة عشر سنة وشهوراً.

وكان صاحب ثروة وخيرات كثيرة. بنى بمكة رباطاً للرجال وآخر للنساء، ولم يكن بمكة من يدانيه في جوده وكرمه، وكان من الفضلاء، أجازه بالتحديث جماعة من علماء مصر والشام، وخرّج له التقي ابن فهد أربعين حديثاً، ومدحه كثير من الشعراء، منهم: العلاّمة شرف الدين إسماعيل ابن المقرئ صاحب الروض والإرشاد في مذهب الشافعية، وله في مدحه قصائد، منها قصيدة مطلعها[٢]:

أحسنت في تدبير ملكك يا حسن   وأجدت في تحليل أخلاط الفتن

انتهى.

وقال ابن فهد[٣]: فلما توفي السيد حسن وصلت النجابة من القاهرة صحبتهم المراسيم إلى الشريف بركات وأخيه إبراهيم ابني حسن ابن عجلان تتضمن: الحضور إلى الأبواب والتأكيد في ذلك، وأنهما إن لم يحضرا كلاهما –أو أحدهما– يُخرِج عنهما السلطان البلد إلى غيرهما،

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٤١). وانظر: سمط النجوم (٤/٢٧٦)، ومنائح الكرم (٢/٤٣٧، ٣/٧)، والمشهور أن ولاية الشريف حسن كانت سنة ٧٩٧هـ، واختلف في مدة ولايته. انظر: العقد الثمين (٤/٨٦، الضوء اللامع (٣/١٠٣)، غاية المرام (٢/٢٤٧.

(٢) انظر القصيدة بأكملها في: سمط النجوم (٤/٢٧٦-٢٧٨).

(٣) إتحاف الورى (٣/٦٣٠، ٦٣٢). وانظر: العقد الثمين (٤/١٥٣)، وغاية المرام (٢/٣٤٩-٣٥١).

فتجهز السيد بركات وأخوه إبراهيم في أثناء السنة إلى القاهرة، وخلّفا بمكة أخاهما أبا القاسم يحفظها، وبجدّة زين الدين شُكْراً يحفظ متحصّلها، وسافرا إلى القاهرة، ووصلاها في الثالث عشر من رمضان، وحضرا بين يدي السلطان فأكرمهما، وخلع عليهما خلعتين.

ولاية الشريف بركات بن حسن

وفوضت إمرة مكة إلى السيد بركات في السادس عشر، على أن يقوم بما تأخر على والده، وهو مبلغ [خمسة وعشرين ألف دينار؛ فإنه كان قد حمل قبل موته -من الثلاثين ألف دينار التي التزم بها][1]- خمسة آلاف دينار، وألزم السيد بركات بحمل عشرة آلاف دينار في كل سنة، وأن لا يتعرض لما يؤخذ من جدة من عشور بضائع التجار الواصلة من الهند وغيره[2].

وألزم السلطان السيد إبراهيم بموافقة أخيه بركات، وعاهد بينهما، وأخذ على إبراهيم العهود والمواثيق أن يكون طائعاً أخاه، ولا يخالف في البلاد، وحلف إبراهيم له على ذلك، وخلع عليهما خلعة التسفير، وتجهزا إلى مكة، وسافرا في حادي عشر شوال، فوصلا مكة في أول العشر الأوسط من ذي

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٦٣٢/٣)، وغاية المرام (٣٥٠/٢-٣٥١)، والسلوك (١٣٨/٧-١٣٩)، والنجوم الزاهرة (٢٩٨/١٤).

(٢) انظر: العقد الثمين (١٥٣/٤)، والنجوم الزاهرة (٢٩٨/١٤)، وبدائع الزهور (١٠٧/٢)، والسلوك (١٣٨/٧-١٣٩).

القعدة، وقرئ عهد الولاية للسيد بركات، وطاف بالكعبة، ونودي له على زمزم، وأُلْبِسَ التشريف بالمسجد الحرام.

وحج في هذه السنة من الأعيان: الطواشي ياقوت مقدم المماليك، وتأخر بمكة بعد الحج حتى قبض من السيد بركات مبلغ ثلاثة عشر ألف دينار مما أُلْزِم به السيد بركات[١].

وفي سنة ثمانمائة واثنتين وأربعين[٢] -في الموسم- حصل بين السيد بركات وأخيه السيد علي منافرة، فسافر السيد علي صحبة الحاج ومعه الشريف ثقبة بن أحمد إلى القاهرة، فتوجه ثقبة إلى الروم، وأقام السيد علي بن حسن بالقاهرة.

وفي سنة أربع وأربعين وثمانمائة[٣] ورد كتاب السلطان إلى السيد بركات ابن حسن بن عجلان بأن يحضر إلى الأبواب الشريفة، فأراد السفر، فاجتمع به التجار والمجاورون وأهل مكة، فسألوه ورَغَّبُوه في أن يقيم ولا يسافر، فإنه متى سافر لا يأمنون على أنفسهم، وأنه يعرض ذلك على الآراء الشريفة، فإن اقتضت أن يحضر حضر، [أو أن][٤] يقيم أقام، وكتب بذلك محضراً، وكتب الأمير سودون كتاباً بذلك إلى السلطان، ويشير بأن المصلحة في إقامة السيد

(١) إتحاف الورى (٣/٦٣٢-٦٣٣).

(٢) إتحاف الورى (٤/١٣٠)، وانظر: الدر الكمين (٢/١٠١٦)، وغاية المرام (٢/٤٩٠)، ومنائح الكرم (٣/٢٩).

(٣) إتحاف الورى(٤/١٦١). وانظر:غاية المرام (٢/٤١٧-٤١٨)، والسلوك (٧/٤٦٤، ٤٧٤)، والدر الكمين (١/٦٤٩).

(٤) في الأصل: "وأن". والمثبت من إتحاف الورى (٤/١٦١)، وغاية المرام (٢/٤١٨).

بركات بمكة وعدم سفره، وكتب السيد بركات بأن يحمل الخزانة الشريفة من صُلْب ماله عشرة آلاف دينار عن[١] نفسه، وخمسة آلاف عن ذوي شُكر وشُميلة، فوصل ذلك إلى السلطان في يوم السبت خامس عشري[٢] جمادى الأولى، فأذن السلطان للسيد بركات في الإقامة بمكة، وأُعفي من الحضور، وجُهِّزَ له تشريف، وأذن لذوي شُكر بأن يدخلوا مكة وجدة على جاري عادتهم، ووصل القاصد إلى مكة في رجب بهذا الخبر، فجَهَّزَ الشريف بركات للسلطان فلفلاً بخمسة عشر ألف دينار في البحر المالح إلى الطور.

وفيها[٣]: كتب السلطان لأمير مكة وأمير المدينة وأمير ينبع، بإعفائهم مما كانوا يقومون به من المال لأمير الركب في كل سنة، وأكد السلطان على الأمراء أن لا يأخذوا منهم شيئاً، فما أجمل هذا وأحسنه لو عُمل به.

ولاية الشريف علي بن حسن بن عجلان على مكة

وفي سنة خمس وأربعين وثمانمائة[٤] -في أواخر ربيع الأول- وصل قاصد من القاهرة إلى السيد بركات أن يحضر إلى القاهرة، فاستعفى عن الحضور مع قاصد له يسمى: السكيكي، وأرسل معه عدّة أوراق، فخامر عليه القاصدُ

(١) في الأصل زيادة: ماله. وانظر: إتحاف الورى وغاية المرام، الموضعان السابقان.

(٢) في إتحاف الورى: خامس عشر.

(٣) إتحاف الورى (١٦٣/٤). وانظر: غاية المرام (٤٢٠/٢)، ودرر الفرائد (ص: ٣٢٨)، والسلوك (٤٧٤/٧).

(٤) إتحاف الورى (١٧٠/٤-١٧١). وانظر: غاية المرام (٤٢١/٢-٤٢٢).

ولم يوصِّلْها، وأرسل السيد بركات عَيْناً له بينبع سعيداً[١] وعلياً ابني محمد بن مفلح البُلَيْني يتجسَّسانِ له أخبار مصر، وهما مقيمان عند صاحب ينبع السيد صَخْرَة[٢] يظهران أنهما وافدان عليه، لأنه كان بينه وبين أبيهما صحبة. فلما تحقق السيد صَخْرَة أنهما عينان للشريف بركات أخرجهما عن بلده، فأقاما عند ابن [دُوَيْعِر][٣] بقرب بدر، فبعد أيام وردَ عليهم مَزْرُوع –من مولدي ذوي عجلان– وأخبرهم بولاية السيد علي بن حسن لإمرة مكة، فتوجَّها إلى السيد بركات، فوصلا إليه في رابع[٤] رجب –وكان مقيماً بوادي الآبار[٥] من الموسم– وأخبراه بذلك، فتوجه إلى صوب اليمن، ووصل مزروع إلى مكة المشرفة في ضحى يوم الأربعاء رابع عشر رجب، وأخبر بولاية السيد علي بن حسن بن عجلان الحسني لإمرة مكة عوضاً عن أخيه بركات، وقطع الدعاء للسيد بركات من ليلة الخميس، ودُعِيَ لصاحب مكة ولم يُعَيَّن اسمه، ثم في ليلة الجمعة سلخ رجب دُعِيَ للسيد علي بن حسن، واستمر الدعاء له، فلما كان قرب العصر من يوم السبت مستهل شعبان، دخل السيد علي بن حسن مكة المشرفة محرماً، وطاف وسعى، ثم عاد في ليلة الأحد إلى الزاهر

---

(١) كذا في الأصل وغاية الرمام، وفي إتحاف الورى: محمداً.

(٢) هو صخرة بن مقبل بن نخبار، أمير ينبع. مات سنة ٨٤٦ هـ (الضوء اللامع ٣/٣١٧).

(٣) في الأصل: دويغر. والتصويب من إتحاف الورى (٤/١٧٠)، وغاية المرام (٢/٤٢١).

(٤) في إتحاف الورى: تاسع.

(٥) وادي الآبار: على طريق اليمن على بعد ٩٠ كلم جنوب مكة المكرمة. وكان يُعدّ المرحلة الأولى على طريق اليمن القديم، وسمي بذلك؛ لكثرة ما فيه من الآبار (انظر: بين مكة واليمن للبلادي ص: ٢٥).

خارج مكة وبات به، ودخل مكة في صبح يوم الأحد لابساً الخلعة، وقرئ توقيعه، وهو مؤرخ بسادس عشر جمادى الأولى من هذه السنة[١]، بحضرة القضاة الشافعي والمالكي ونائب الحنبلي، والأمير سودون المحمدي، والأمير يشبك الصوفي[٢].

وفي سنة ست وأربعين وثمانمائة[٣] -في خامس عشري المحرم- وصل الخبر بأن السيد بركات بن حسن جمع جموعاً وعزم على التوجه لحرب العساكر، وكان أمير الترك يشبك الصوفي والسيد علي بن حسن بن عجلان أمير مكة ببندر جدة، فعند ذلك اقتضى رأي السيد علي أن الأمير يشبك يتوجه إلى مكة، ويقيم بها هو ومن عنده من المماليك السلطانية، ويتأهبوا لحفظ البلد، والسيد علي يقيم بجدة يحفظها، إلى أن [يجوز أمر][٤] بركات، فلما كان يوم السبت سابع عشر صفر تحررت الأخبار على أن السيد

(١) انظر خبر عزل بركات وتولية أخيه في: النجوم الزاهرة (٣٤٩/١٥)، وبدائع الزهور (٢٣١/٢)، والتبر المسبوك (ص:١٤)، والدر الكمين (٦٤٩/١)، وغاية المرام (٤٩٠/٢).

(٢) الأمير يشبك: هو الأمير يشبك بن عبد الله بن جانبك المؤيدي شيخ المعروف بالصوفي. صار خاصكياً بعد موته أستاذه، ثم ترقى حتى أصبح من رؤوس النواب، وتوجه إلى الحجاز مقدماً على المماليك السلطانية، ثم ولي نيابة حماة ثم طرابلس، ثم أنعم عليه بأتابكية دمشق فمات بها (انظر: النجوم الزاهرة ٢٠٠/١٦، والدليل الشافي ٧٨٨/٢-٧٨٩، وإتحاف الورى ٤/أخباره متفرقة بين ص:١٤١-٣٤٠، والضوء اللامع ٢٧٠/١٠).

(٣) إتحاف الورى (١٧٨/٤-١٨٣). وانظر الخبر في: الدر الكمين (١٠١٧/٢)، وغاية المرام (٤٢٢/٢-٤٢٤، ٤٩٤-٤٩٥).

(٤) في الأصل: يتحرزا من. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

بركات نزل بجموعه العُدّ، فلما تحقق نزول السيد بركات بالعُد أخذ مباشروا جدة الأمير شاهين، والأمير تقي الدين ابن نصر[١] المتحصل للسلطان، وتحصنوا به في المراكب المسمارية[٢] بالبحر، وصار القوّاد ذوو عمر وبعض جماعة من الأشراف يتسللون قليلاً قليلاً وينسحبون إلى جهة السيد بركات، فعند ذلك أشار على السيد علي بن حسن بعض أصحابه بأن يتوجه إلى نحو مكة، فتوجه السيد علي من ليلة الأحد إلى حَدّا -بفتح الحاء المهملة- هو ومن معه من ذوي عجلان والأشراف، وفارقه عبيد أبيه وأقاموا بجدة. فلما كان صبح يوم الأحد دخل جدة السيد بركات ومن معه، ولاقاه عبيد أبيه وعسكر المراكب، وكانت دخلة عظيمة قطع كُلُّ مَنْ رأى تلك الدخلة بأنه لا يخرج من جدة، ونادى بالأمان والاطمئنان، والبيع والشراء، وأرسل إلى المباشرين بأن ينزلوا إليه، فامتنعوا. فلما كان صبح يوم الاثنين طلبَ الشريف بركات التجار والنواخيذ الهنود وغيرهم، وطلب منهم عن كل مركب أربعة آلاف دينار، فأجابوه: أن المراكب [مختلفة][٣]، فيها كبير وصغير، ومن المراكب [ما][٤] لا تساوي شحنة خمسمائة دينار. فاتفق رأي التجار على أن

---

(١) في إتحاف الورى: أبو النصر.

(٢) المراكب المسمارية: هي السفينة التي تستعمل فيها المسامير الحديدية لربط ألواحها بعضها ببعض، بخلاف السفن االتي تربط ألواحها بالألياف (البحرية في مصر الاسلامية ص: ٣٦٨).

(٣) في الأصل: مختلف. والتصويب من إتحاف الورى (١٧٩/٤)، وغاية المرام (٤٢٣/٢).

(٤) في الأصل: من. وهي للعاقل، والمثبت يقتضيه غير العاقل وهي السفن. انظر: إتحاف الورى، الموضع السابق.

يعطوه نصف العُشر نظير ما أخذ الشريف علي، وكان [نحواً][١] من أربعين ألف دينار، فلم يرض السيد بركات بذلك، وقال: إن أقل ما يأخذ مائة ألف درهم. فبينما هم كذلك وإذا بالبلد قد ارْتَجَّتْ والناسُ على صوت واحد بأن الشريف علياً والأمراء والعسكر قد أقبلوا، فعند ذلك أطلق السيد بركات التجار والنواخيذ[٢]، ولبست عساكره، وخرجوا إلى ظاهر البلد ليحوزوا[٣] الماء عن العساكر، فأقاموا خارج البلد ساعة إلى قرب الظهر، فلم يكن الصياح عن حقيقة، فرجعوا إلى مساكنهم. هذا ما كان من خبر السيد بركات.

وأما خبر السيد علي بن حسن فإنه توجه إلى حَدّا، فوجد في أثناء الطريق الأمير سودون المحمدي قاصداً جدة متجهّزاً إلى القاهرة فردّه إلى حَدّا، وأرسل الشريف رسله إلى مكة إلى الأمير يشبك الصوفي وجماعة الأتراك، وأرسل رسله أيضاً إلى خيف بني شديد[٤] إلى الأشراف، فخرجت الأتراك من مكة ظهر يوم الأحد، وتتابعت بقية ذوي عجلان، فاجتمعت العساكر جميعها في ليلة الاثنين بحَدّا، وأقاموا بها يوم الاثنين، وساروا في ليلة الثلاثاء إلى

(١) في الأصل: نحو. والمثبت من إتحاف الورى، الموضع السابق، وغاية المرام (٤٢٣/٢).
(٢) النَّاخُذاة (النوخذة): مالك السفينة أو ربانها (المعجم الوسيط ٩٠٨/٢).
(٣) كذا في الأصل وغاية المرام، وفي إتحاف الورى: ليحجزوا.
(٤) خيف بني شديد: الخيف: هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ويقع هذا الخيف بمر الظهران، يسكنه الأشراف ذوو راجح من بني حسن، ولهم فيه قوة ومنعة، ويجيرون من يدخل إليهم ويحتمي بهم، ولعله ينسب للشريف الحسين بن ثابت الشديدي (انظر: معجم معالم الحجاز ١٨٢/٣، وحسن القرى بأودية أم القرى ص:٨٧).

جدة، فباتوا بأطراف [الحديد][١] إلى الصبح، ثم ساروا إلى جدة في صبح يوم الثلاثاء العاشر من صفر، فاستقبلهم السيد بركات بمن معه، والتقى الجمعان، فخامر من أصحاب السيد بركات الأشراف ذوو أبي نمي، والقوّاد ذوو حُميضة، ووقع بين الفريقين حرب عظيم، كان النصر فيه لأصحاب السيد علي، وقتل من أصحاب السيد بركات جماعة من القوّاد العِمَرة وغيرهم، وفرَّ عسكر السيد بركات إلى جهة اليمن، وثبت السيد بركات، وقاتل هو وعبيده وأبدى الجهد، لكن الكثرة تغلب الشجاعة، فتوجَّه السيد بركات ومن فَرَّ من جماعته إلى العُد[٢]، ثم ساروا إلى صوب اليمن. وتوجه الأمير يشبك والأتراك بعد ذلك إلى مكة المشرفة، فدخلوها بعرضة [عُرضت][٣] لهم، وأقام أهل جدة على وَجَلٍ وخوف بعد ذلك، وتوجهت المراكب الهندية من البندر وارتفعوا إلى [ما][٤] بين العلمين، وأقاموا به قريب الشهر، ثم سافروا في أوائل ربيع الأول، وبعد سفر الهنود أقام السيد علي بن حسن وجماعته بالركاني من وادي مَرّ، ثم توجّه بجماعته وثلاثين مملوكاً من المماليك السلطانية نحو وادي الآبار فأقاموا بها.

---

(١) في الأصل: الحدبة. والتصويب من إتحاف الورى (٤/١٨٠). وانظر: غاية المرام (٢/٤٩٥). والحديد: ناحية في بني مالك شرقي جدة (معجم معالم الحجاز ٢/٢٤٧، ١٠/٨٧).

(٢) العدّ: ماء جنوب غربي مكة في الساحل، يتردد ذكره في النزاع بين الأشراف (معالم مكة التاريخية ص: ١٨٠).

(٣) في الأصل: عرض. والتصويب من إتحاف الورى (٤/١٨٢).

(٤) زيادة من غاية المرام (٢/٤٢٤).

وفيها[١] -في ليلة الجمعة سابع عشر شعبان- وصلت الرجبية ومقدمها الأمير آقْبَرْدِي الظاهري المظفري، وهو أيضاً مقدم الأتراك المقيمين بمكة بدل يشبك الصوفي، وصحبته الأمير تنم المؤيدي، ودخلا مكة فطافا سبعاً، وسعيا، ثم عادا إلى الزاهر، وباتا به إلى الصبح، ثم دخلا مكة لابسين الخلعة السلطانية، وخرج للقائهما صاحب مكة السيد علي بن حسن وأمير الترك بمكة يشبك الصوفي.

وفيها[٢] -في عصر يوم السبت مستهل شوال- قدم قاصد [من][٣] مباشري جدة وأخبر أنهم بوادي مَرّ، وأنهم يصلون في صبح يوم الأحد. فلما كان بعد العشاء من ليلة الأحد، قدم المباشرون وهم: الأمير تِمْراز المؤيدي، وأحمد بن تاج الدين، فطافا سبعاً، ثم عادا إلى الزاهر وباتا به. فلما كان في صبح يوم الأحد دخل جميع الركب إلى مكة المشرفة، وخرج الأمير آقْبَرْدي الظاهري -مقدم الأجناد المقيمين بمكة- مع جماعة من الترك للقاء مباشري جدة، فامتنعا أن يدخلا إلى أن يحضر أمير مكة السيد علي بن حسن، وكان غائباً بوادي الآبار مع جماعته وثلاثين من المماليك المقيمين بمكة، فأرسل الأمير آقبردي قاصداً إلى السيد علي بن حسن بأن يحضر هو وأخوه السيد إبراهيم، فإنه وصل لكما خلعتان، فتجهز الشريفان في بعض أصحابهما وسارا نحو مكة

---

(١) إتحاف الورى (١٨٣/٤-١٨٤).

(٢) إتحاف الورى (١٨٥/٤-١٩٦).

(٣) في الأصل: عن. والتصويب من إتحاف الورى (١٨٥/٤).

إلى شجرات السلولي(١)، فبلغ السيد علياً أن عليه وعلى أخيه إبراهيم تخوفاً من أهل مصر، فاقتضى رأي السيد إبراهيم أن يرجع، فرجع إلى وادي الآبار، ووصل السيد علي إلى مكة، فخرج هو والأمير آقبردي وجماعة من الأتراك فلاقوا المباشرين، وسألوه عن أخيه السيد إبراهيم، فاعتذر عنه بأنه لم يتأخر عن الوصول إلا تخوفاً على الحلة(٢) من جماعة أخيهما السيد بركات، فألبس المباشرون السيد علياً خلعة ودخلوا إلى مكة، فاجتمع الأميران والأمير تَنَم -ناظر الحرم- والقُضاة والأعيان، فقرئ مثال(٣) إلى السيد علي مؤرخ بثامن عشر شعبان، يتعلق [بمباشرة](٤) جدة، وفيه: بأنه بلغ السلطان أن السيد علياً متشوشُ الخاطر بأنه بلغه أن السلطان يريد التغيير به،

---

(١) يبدو أنه كانت هناك شجرات يستظل بها في الطريق من وادي الآبار إلى مكة، تنسب لشخص من بني سلول، ومثل هذا يحدث كثيراً مما للشجر من قيمة في الصحراء، ولكن كتب البلدان والأماكن لم تعن بالتعريف بها؛ لأنها لا ثبات لها ولا دوام.

(٢) الحلة: هي المكان الذي يعد للحلول به، ويجهز بالخيام وما أشبه، ويكون بها المجلس والمجتمع حيث يحل القوم (انظر: لسان العرب، مادة: حلل).

(٣) المثال: أمر دون الفرمان والمنشور، استعمله سلاجقة الروم، وكان للوزير عندهم الحق في إصدار المثالات، واستعمله أيضاً الإيلخانيون، فقد كانت المثالات من المحررات التي تعد في ديوان الرسائل.

وكان المثال في العصر المملوكي أمراً يصدر عن ديوان الجيش بمنح إقطاع أو بتحويله أو بإعادته أو بزيادته. وأما عند العثمانيين فلم يكن يفرق بين المثال والفرمان والتوقيع والنشان، بل ربما جمع بين الفرمان والمثال في عبارة واحدة (انظر: هامش صبح الأعشى ٧/٢٠٠، وتأصيل الدخيل ص:١٨٣-١٨٤).

(٤) في الأصل: بمباشري. والتصويب من إتحاف الورى (١٨٦/٤).

فليَطِب نفساً وليقرّ عيناً، فإنه لا [يتغير][١] عليه أبداً، لما بيننا من العهود والمواثيق [وما][٢] دام على طاعة السلطان، وأنه عند السلطان أعز من الولد.

وفيه أيضاً: أنه وصل له تشريف فليلبسه على العادة.

وفيه أيضاً: أنه وصل كاملية[٣] للسيد إبراهيم فليلبسها. فقرَّت بذلك عين السيد علي، وطابت نفسه، فطاف [الشريف][٤] في ضحى يوم الاثنين، ودُعَيَ له على قبة زمزم، ثم توجّه السيد علي إلى مترله بالخلعة، واطمأنت فكرته، وعاد للسلام على الأمير تِمْراز، وكان نازلاً بالباسطية، فألزمه الأمير تِمْراز بحضور أخيه السيد إبراهيم للبس الخلعة وطاعة السلطان، فأرسل السيد علي قاصداً إلى أخيه السيد إبراهيم، وكتب له كتاباً ذكر له فيه أنه لم يجد صحة عن تلك الأخبار، فلتطب نفساً ولتصل ولتلبس الخلعة. فحضر السيد إبراهيم إلى مكة في صبح يوم الثلاثاء، واجتمع بالمسجد الحرام أمام باب الصفا هو وأخوه السيد علي، والقُضاة، والأمير تَنَم المؤيدي –ناظر الحرم الشريف ومشد العمارة به يومئذ– والأمير تمراز –مباشر جدة–، وأحمد –ناظر جدة–، وأرسلوا إلى الأمير آقْبَرْدي، فذكر أنه شرب دواء، فقرئ المثال المتعلق بمباشري جدة، الذي قرئ يوم الاثنين، وأُلبس السيد إبراهيم

(١) في الأصل: يغير. والتصويب من إتحاف الورى (١٨٥/٤).
(٢) في الأصل: ما. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.
(٣) الكاملية: هي ثوب ضيق الأكمام يلبس فوق القباء، به فتحة من منتصف الظهر حتى أسفل حافة الذيل، وقد يبطن بفرو أو تكون له قلابات من فرو (هامش النجوم الزاهرة ٤٥/١٤)، وينسب للكامل الأيوبي.
(٤) في الأصل: بالتشريف. والتصويب من إتحاف الورى (١٨٧/٤).

الكاملية، ثم توجه السيد علي وأخوه السيد إبراهيم والأمير تَنَم والأمير [تمراز](١) للسلام على الأمير آقْبَرْدي بإشارة من الأمير تَنَم، فدخلوا عليه بدار المضيف بالصفا، فسلّموا عليه، ثم أخرج الأمير تمراز مرسوماً وسلّمه إلى الأمير آقْبَرْدي مقدم المماليك، فناوله الأمير آقْبَرْدي لموقعه فتأمله، ثم قرأ لهم معناه بلسان الترك، وهو يتضمن: أن يقبض على الشريف علي بن حسن وأخيه إبراهيم، ويجهزا في البحر المالح إلى القاهرة، فقبض الأمير تمراز على السيد إبراهيم، وقبض الأمير آقْبَرْدي على السيد علي، ثم جعل في عُنق كل منهما باشة(٢)، فتفرق أصحاب الشريفين الذين كانوا صحبتهما بمكة المشرفة، وذهبوا كل مذهب، وكان في أيديهم النجدة، لكن فرّقهم عدم التئام قلوبهم وضعفها، ولم ينتطح في مسكهما عنزان، ولا تحرك لهما اثنان، فكان ذلك من الحوادث العجيبة، فسبحان الفعال لما يريد(٣).

فحصل بمكة أمر عظيم استهاله كل أحد، فأمر الأمراء منادياً فنادى بالأمان والاطمئنان، والبيع والشراء، وأن سلطان مكة السيد أبو القاسم ابن حسن بن عجلان(٤) حسب ما رسم به المقام الشريف، وأمر الأمير تمراز

---

(١) في الأصل: تمرازاً. والتصويب من إتحاف الورى (٤/١٨٧).

(٢) الباشة: قيد كالحلقة، يوضع في العنق أو اليدين والرجلين، يتصل بسلسلة من الحديد يقال لها: الجنزير (هامش السلوك ٨٨٣/٣/٢ ط القاهرة). وتسمى حالياً بالكلبشات.

(٣) انظر: سمط النجوم (٢٨٢/٤)، ودرر الفرائد (٤٥٦/١-٤٥٧)، وغاية المرام (٤٩٥/٢-٤٩٦).

(٤) انظر ترجمته في غاية المرام (٤٩٨/٢-٥٠٦)، والدر الكمين (١٣٢٩/٢-١٣٣٢)، والضوء اللامع (١٣٤/١١)، وخلاصة الكلام (ص:٤٢-٤٣)، والتبر المسبوك (ص:٢٨٣).

السيد علياً بأن يرد الخلعة التي خلعت عليه بالأمس، فردّها لهم، وأخذوا الكاملية من السيد إبراهيم، وأمر الأمراء السيد علي بن حسن بأن يكتب كتاباً إلى مَن بوادي الآبار من الأشراف ومولدي ذوي عجلان -وكانوا في جمع كثير يُفْتَتح بمثلهم القرى والمدن- بأن يرسلوا من عندهم من الأتراك وجميع آلاتهم وحوائجهم، وأن لا يشوش على أحد منهم، [فإن شوّشوا على أحد منهم][(١)] ما يحصل خير، فكتب السيد علي كتاباً بذلك وأرسله مع نائبه علي بن بركوت العجلاني، وكان قد قبض عليه الأمراء، وأرسل الأمراء فأحضروا حسب الله بن محمد بن بركوت الشبيكي العجلاني، وهو من خواص أصحاب السيد أبي القاسم، وسألوه في أن يُحْضر لهم أحداً من أولاد السيد أبي القاسم ليُلبسوه الخلعة نيابة عن أبيه، وأرادوا بذلك تسكين الفتنة، فامتنعت الشريفة أم الكامل بنت رميثة بن محمد بن عجلان زوج السيد أبي القاسم بن حسن أن ترسل أحداً من أولادها، ثم إن الأمراء أرسلوا حسب الله الشبيكي إلى السيد زاهر بن أبي القاسم[(٢)]، وكان نازلاً بالشَّاقَّة يماني جـــدة[(٣)]، وأعطوه مرسوماً للسيد زاهر، يتضمن: أنه شملت الصدقات

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٤/١٨٨).

(٢) زاهر بن أبي القاسم هو: زاهر بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني، ممن له ذكر في أيام أبيه وسطوة وتجبر، إلى أن قيده أبوه ثم رضي عنه، ومات بعد (الضوء اللامع ٣/٢٣٢،وانظر عن حياته في عهد أبيه: إتحاف الورى ٤/أخباره متفرقة بين ص:١٨٩-٢٤٤، وغاية المرام ٢/٤٩٦).

(٣) الشاقة اليمانية: واد فحل من أودية الحجاز الغربية، يأخذ من السراة فيمر جنوب الشاقة الشامية حتى يدفع في البحر، أعلاه (عُلّيب) وادٍ مُرْجِع يسح ماؤه على وجه الأرض، فيه نخل =

السلطانية والده أبا القاسم بإمرة مكة عوضاً عمن بها، وأعطوه أماناً وخاتماً ومنديلاً ونشابة، فتوجه حسب الله الشبيكي في ظهر يوم الثلاثاء إلى صوب السيد زاهر.

وفي صبح يوم الأربعاء أرسل الأميران آقبردي وتمراز إلى قاضي القضاة [جمال][1] الدين أبي السعادات بن ظهيرة الشافعي، وسألاه في أن يتوجه إلى الشريفة أم الكامل زوجة السيد أبي القاسم ويتكلم معها في أن ترسل إلى ولد زوجها السيد زاهر أن يحضر لِيُلبسوه الخلعة نيابة عن أبيه، فإن البلاد بلاد أبيه، فتوجه إليها القاضي فتكلّم معها على لسان الأمراء بذلك، فقالت: إنْ كان مقصود الأمراء بوصول السيد زاهر درء الفتنة ومصلحة المسلمين، فمصلحة المسلمين أبدى، وسيأتيكم إن شاء الله.

وأرسلت إلى السيد زاهر، حسن بن علي الشُبيكي بأن يحضر، فلما كان في عصر يوم الأربعاء حضر حسب الله الشبيكي وابن أخيه حسن، وذكرا أن السيد زاهراً واصل بعدهما، وأنه يريد من الأمراء أن يحلفوا له أنهم لا يريدونه بسوء، فاجتمع القُضاة والأمراء آقْبَرْدي وتِمْراز وتَنَم في المسجد الحرام أمام مقام الحنابلة تجاه الحَجَر الأسود، وأحضروا مصحفاً شريفاً، فحلّف القاضي الشافعي الأمير آقبردي وتمراز على المصحف

=

وزراعة، فيه سوق الحَجْرة يوم الأحد، وهي بلدة عامرة. سكانها الأشراف ذوو حسن (معجم معالم الحجاز ٥/٩-١٠).

(١) في الأصل: جلال. والمثبت من إتحاف الورى (١٩٠/٤).

الشريف بالله الذي لا إله إلا هو أهما لا يعلمان على السيد زاهر سوءاً ولا مكراً، ولا أضمرا له شيئاً يؤذيه، وأن البلاد بلاد أبيه السيد أبي القاسم، فحلفا.

فلما كان صبح يوم الخميس اجتمع القضاة والشريف زاهر والأميران آقبردي وتمراز بالحطيم[1] من المسجد الحرام، وقرئ التوقيع بأن الصدقات السلطانية شملت السيد أبا القاسم لإمرة مكة عوضاً عمّن بها، وأنه واصل عقيب ذلك، وأن السيد زاهر يتقدم لجمع العربان، ويحفظ البلاد، وهو مؤرخ بتاسع[2] عشر شعبان، وخلع على السيد زاهر الخلعة التي خلعت على عمه السيد علي في يوم الاثنين مع الحياصة[3]، وطاف بالبيت، وأمر الأمراء المؤذن أن يدعو له على زمزم كعادة أمراء مكة، فدعي له، وصلى خلف المقام، وخرج من باب السلام ومعه الأميران آقبردي وتمراز، وطلع إلى

(١) الحطيم: اختلف في موضعه، وفي سبب تسميته بذلك على عدة أقوال:

الأول: أن موضعه ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحجر إسماعيل، وبه قال الأزرقي عن ابن جريج.

والثاني: أن مكان الحطيم هو الموضع الذي فيه الميزاب. وبه قالت كتب الأحناف.

والثالث: ما ذكره المحب الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: الحطيم هو الجدار، يعني جدار الكعبة.

والرابع: أن الحطيم هو الشاذروان، سمي بذلك؛ لأن البيت رفع وترك هو محطوماً (انظر: الأزرقي ٢/٢٣-٢٤، وشفاء الغرام ١/٣٧٤-٣٧٥).

(٢) في إتحاف الورى: سابع.

(٣) في الأصل: الخياطة. والتصويب من إتحاف الورى (٤/١٩١).

والحياصة: هي المنطقة، تلبس في الوسط مثل الحزام (أسماء الألبسة عند العرب ص:١٤٥-١٤٦. وانظر: الملابس المملوكية ص:٤٧).

الردم كعادة أمراء مكة، وأقام الشريفان تحت الحفظ في دار المضيف أمام باب الصفا إلى صبح يوم السبت ثامن شوال، فتوجه الأميران آقبردي وتمراز وجماعة الأتراك شاكين في سلاحهم، فكان جملة خيلهم الملبسة اثنين وتسعين، غير أتباعهم من أهل البغال والحمير والمشاة وغيرهم [من][١] الخدّام والمقاتلة ومعهم آلة الحرب، وخرج معهم السيد زاهر وصحبتهم الشريفان علي وإبراهيم في شُقْدُفَيْن، كل واحد منهما على شُقْدُف وعديله[٢] مملوك، وكل منهما في حلقه الباشة، وفي عنق عديله طرف الباشة الآخر، وتوجهوا بهما إلى جدة، فوصلوا جدة ضحى يوم الأحد، فتوجهوا على الفور بالشريفين فأركبوهم من الشقدف إلى السنبوك[٣]، ثم إلى جلبة، وأصعدوا معهم عشرة مماليك، وفكّ عن عنق الشريفين الأغلال، وثقلت أرجلهما بالقيود.

فلما كان في يوم الاثنين، أحضر الأمراء قاضي جدة كمال الدين أبا البركات محمد بن القاضي نور الدين علي بن أبي البركات بن ظهيرة القرشي، وابن عمه الفقيه جمال الدين محمد بن القاضي نجم الدين، وأمرهما بكتابة ورقة على العشرة المماليك [الذين تسلموا][٤] الشريفين بأنهما

---

(١) قوله: "من" زيادة من إتحاف الورى (١٩٢/٤).

(٢) الشقدف هو المحمل الذي يوضع على الراحلة وله عديلان، والعديل:الذي يركب في الطرف الآخر.

(٣) السنبوك –السنبوق–: سفينة صغيرة، أو قارب صغير (البحرية في مصر الإسلامية ص: ٣٤٩، وأساس البلاغة للزمخشري).

(٤) في الأصل: الذي سلموا. والمثبت من إتحاف الورى (١٩٣/٤).

تسلماهما، ولم تكن بهما جراحة، وهما طيبان في خير وعافية[١].

فلما كان ضحى يوم الأربعاء ثاني عشر شوال، توجه الشريفان علي وإبراهيم ومن في صحبتهما إلى القاهرة، وقد أنشد العلامة قطب الدين أبو الخير محمد بن عبد القوي المالكي في هذا المعنى[٢]:

مـــا جاءنـــا قَـــطُّ ولَمْ يَأْتنَـــا ... مثْلُكَ يـــا تمْـــرَازُ في الفَتْـــك
تسيرُ بالأخـــشب مـــنْ مَكَّـــة ... والأَخْشَب الثاني على الفُلْـــك
ومثلُ هذا لَـــمْ يَكُـــنْ قَـــطّ في ... مُلْك بـــني العَبَّـــاس والتُّـــرْك
أنّ شـــريفيْ مَكَّـــةَ يُمْـــسَكا ... منْ غَيْر [مَا][٣] طَعْن ولا سَفْك
هَـــذا بتقـــدير الـــذي قَهْـــرُهُ ... يَنْزَعُ مَنْ شَـــاءَ مـــنَ المُلْـــك

ولاية الشريف أبي القاسم بن حسن

وفي يوم الأربعاء سادس عشر شوال وصل قاصد من مصر، وأخبر أن السيد أبا القاسم بن حسن خُلع عليه في ثالث شوال، وولي إمرة مكة، وأن القائد علي بن محمد الشبيكي واصل قريباً.

وفي ليلة الثلاثاء ثاني ذي القعدة قدم علي بن محمد الشبيكي مكة

(١) انظر خبر القبض على الشريفين علي وإبراهيم من أوله وحتى وصولهما إلى القاهرة وتولية أبي القاسم ضمن تراجمهم في: الدر الكمين (ترجمة الشريف علي رقم: ٩٩٢، وترجمة الشريف إبراهيم رقم: ٥١٤)، وغاية المرام (ترجمة الشريف علي رقم: ٢٠٢، وترجمة الشريف إبراهيم رقم: ١٩٩). وانظر: بدائع الزهور (٢/٢٣٦-٢٣٧)، والتبر المسبوك (ص:٤٥)، والنجوم الزاهرة (١٥/٣٥٦)، ودرر الفرائد (ص:٣٢٩).

(٢) الأبيات في: درر الفرائد (ص:٣٢٩)، وتاريخ مكة للسباعي (ص:٣٠٤)، وغاية المرام (٢/٤٩٧)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (هامش ص:١٩١-١٩٢).

(٣) قوله: "ما" زيادة من إتحاف الورى (٤/١٩٥)، ودرر الفرائد وغاية المرام، الموضعان السابقان.

المشرفة، وأمر بضرب دراهم ينقش عليها اسم السيد أبي القاسم[١].

وفي صبح يوم السبت السابع عشر من ذي القعدة دخل السيد أبو القاسم مكة محرماً، فطاف وسعى، ثم عاد إلى الزاهر خارج مكة، ولبس خلعة، ودخل المسجد الحرام، وقرئ التوقيع، وزيّنت مكة المشرفة. انتهى.

وفي الخلاصة[٢]: واستمر الشريف أبو القاسم إلى ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثمانمائة، فهجم عليه الشريف بركات ففرَّ.

رجوع الشريف بركات إلى مكة وفرار أخيه أبي القاسم

فولي مكة الشريف بركات، وشاع في آخر السنة: أن السلطان غضب من فعل الشريف بركات، وأنه بعث بعزله مع الحج، فجاء الحج وقد احترز الشريف بركات غاية الاحتراز، وورد مع الحج نحو عشرين أميراً، فخرج الشريف بركات للقاء الأمراء على جري العادة في أكمل عدة، فلما بصروا به على هذه الصفة ألبسوه الخلعة الواردة معهم، وحج بالناس، إلا أنه اعتزلهم بالموقف، فوقف جانباً عنهم إلى أن نفروا، ثم خرج بعد النزول عن مكة، ولم يجتمع بأحد من أرباب الدولة[٣].

---

(١) انظر: تاريخ مكة للسباعي (ص: ٣٠٤).
(٢) خلاصة الكلام (ص:٤٢). وانظر: إتحاف الورى (٤/٢٧٣)، وغاية المرام (٢/٤٤٠)، ومنائح الكرم (٣/٤٧-٤٩).
(٣) خلاصة الكلام (ص:٤٣).

رجوع الشريف أبي القاسم إلى مكة

فعاد الشريف أبو القاسم إلى مكة، واستمر إلى سنة إحدى وخمسين[١].

رجوع الشريف بركات إلى ولاية مكة

فلما كان سابع عشر ربيع الأول من السنة المذكورة ورد قاصد من مصر بإعادة الشريف بركات إلى إمارة مكة، ورضي عنه السلطان؛ لأن ابنه محمد بن بركات توجه إلى مصر وتلطف بالسلطان، فأكرمه ورضي عنه، وأعاد والده إلى مكانته. ولما جاء هذا القاصد إلى مكة خرج منها الشريف أبو القاسم إلى وادي الآبار، ثم توجه إلى مصر، ومات بها هو وأخوه علي سنة ثمانمائة وثلاث وخمسين[٢].

استدعاء السلطان جقمق الشريف بركات إلى مصر

وفي سنة ثمانمائة وإحدى وخمسين استدعى السلطان الشريف بركات إلى مصر، فقدم إلى القاهرة مستهل رمضان[٣] فخرج السلطان

---

(١) خلاصة الكلام، (ص: ٤٣).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر هذا التاريخ في: سمط النجوم (٢٨٤/٤). أما في النجوم الزاهرة (٣٧٩/١٥)، والمنهل الصافي (٣٤٥/٣)، وإتحاف الورى (٢٧٢/٤)، وغاية المرام (٤٣٩/٢)، وبدائع الزهور(٢٦٠/٢) فذكروا أنه دخلها يوم الخميس مستهل شعبان، وهو الأصح لقول المصادر المعاصرة زماناً ومكاناً به.

للقائه بالرّميلة(١)، وبالغ في إكرامه، وقابله بالإجلال والإكرام، وأخذ عنه العلماء بالقاهرة، وازدحموا على القراءة عليه لعلوّ سنده(٢)، وأجازهم.

ورجع إلى مكة ودخلها خامس جمادى الأولى محرماً بالعمرة، فطاف وسعى بالليل، وخرج إلى الزاهر وبات به، ودخل مكة في الصبح لابساً خلعة الولاية، وقرئ توقيعه بالحطيم(٣). انتهى.

وقال العلامة [السخاوي](٤) في التبر المسبوك في ذيل السلوك في

---

(١) انظر: سمط النجوم، الموضع السابق. أما في النجوم الزاهرة (٣٧٩/١٥)، وإتحاف الورى (٢٧٢/٤)، وغاية المرام (٤٣٩/٢)، وبدائع الزهور (٢٦٠/٢) فورد فيهما أن السلطان خرج للقائه إلى مطعم الطير بالريدانية خارج القاهرة.

وأما الرميلة: فهي من الميادين الكبيرة الواسعة تحت قلعة الجبل في القاهرة، وتعرف اليوم بالمنشية، وبها ميدان صلاح الدين الأيوبي (انظر: خطط المقريزي ٢٢٨/٢-٢٢٩، وهامش النجوم الزاهرة ١٧٩/٩، ٥٣/١٢، وبدائع الزهور ٥٦/٤).

(٢) علو سنده: السند في اللغة: المتكأ. وفي الاصطلاح: هو مجموعة الرجال والأشخاص الذين أخذ الحديث أحدهم عن الآخر من الرسول ﷺ إلى آخرهم الذي أوصله إلينا. وعلو الإسناد: هو الوصول إلى حديث الرسول ﷺ بعدد قليل من الرواة، أي أقل ما يمكن من الرواة. ويتحقق العلو في الإسناد بأن يروي الحديث راو ثقة من كل جيل من أجيال الرواة، كأن يرويه واحد من الصحابة إلى واحد من التابعين إلى واحد من تابعيهم وهكذا إلى الراوي، ولا يقصد أن يكون الحديث فرداً، ولكن كل من طرقه تكون هكذا أو إحدى طرقه تكون هكذا، فتكون هي العالية (انظر: التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ص:٢٥٧-٢٦٢، والموجز في علوم الحديث ص:٤٨، ١٤٩-١٥١).

(٣) خلاصة الكلام (ص:٤٣). وانظر: منائح الكرم (٤٧/٣-٤٩).

(٤) في الأصل: السنجاري. وهو خطأ.

حوادث سنة ٨٥١[١]: وفي شعبان قدم الشريف بركات بن حسن بن عجلان الحسني أمير مكة إلى الديار المصرية، ونزل السلطان للقائه [بمطعم الطير بالريدانية][٢] خارج القاهرة، وبالغ في إكرامه إلى الغاية بحيث إنه قام إليه، ومشى من أجله خطوات واحتضنه، ثم أجلسه بجانبه، ولم يجلس هو إلا خارجاً عن مقعده، ثم خلع عليه وقيّد له فرساً بسرج ذهب وزركش، وارتجت القاهرة لدخوله؛ بحيث خرجت العذارى فضلاً عن غيرهن لرؤيته، وكان يوماً مشهوداً، وركب مع السلطان حتى رسم له بالتوجه للمحل الذي أنزل فيه، وهرع الناس من القضاة والأمراء والأعيان للسلام عليه، وكنت ممن لقيه أنا والقلقشندي والبقاعي والسنباطي وآخرون، وسمعنا عليه بإجازته من الزين العراقي والهيثمي عشرة أحاديث، وسمع معنا القاضي أبي البركات ابن ظهيرة[٣]، ورتب له السلطان الرواتب السنية اللائقة به، وأقام بالقاهرة إلى يوم الخميس خامس عشرة، فتوجه إلى بلده بعد أن ألبسه السلطان خلعة السفر، وكان وصوله مكة ثامن عشر رمضان[٤]. انتهى.

---

(١) التبر المسبوك (ص:١٨٤-١٨٥). وانظر: غاية المرام (٢/٤٣٩-٤٤٠).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من التبر المسبوك (ص:١٨٤).

ومطعم الطير: كان مخصصاً لطيور الصيد، ويقع في الريدانية التي كانت تطلق على البستان الذي أنشاه ريدان الصقلي -أحد خدام العزيز بالله الفاطمي- شمال شرق القاهرة والصحراء التي تمتد شرقه إلى ما بعد حي مصر الجديدة. وفي أطرافها تقع بركة الحاج، وكانت تسمى جب عميرة، وبسبب نزول الحاج عنده في أول مرحلة من مراحل السفر أطلق عليه اسم بركة الحاج (انظر: الخطط المقريزية ١٣٩/٢، ١٧٤).

(٣) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:١٩٣-١٩٤).

(٤) انظر: سمط النجوم (٢٨٤/٤).

وقال العلامة الحضراوي رحمه الله في تاج تواريخ البشر في ذكر الشريف بركات بن حسن بن عجلان[١]: ومن الحوادث العجيبة ما كتبه أحمد ابن إسماعيل الغساني -ملك اليمن- إلى الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة المكرمة لما أراد الحج بأن يفرغ له بيوت مكة المشرفة ويتلقاه إلى حلي، فأنشأ له هذه القصيدة الغراء السيد عفيف الدين عبدالله بن قاسم الذروي على لسان أمير مكة المذكور لأحمد بن إسماعيل فقال[٢]:

بالقَنَا الخَطِّيِّ والبِيضِ الظُّبَا ... وبخَيْلٍ تتبارَى سُرّبا[٣]
سابحات مُغْزِيات ضُمَّرٍ ... أَهْوَجيَّاتٍ عتَاق شُزَّبا
بُرِّئَتْ آذانُها عنْ جُودَةٍ ... مثل آذان بِهَا كَمْ كَتَبَا
ذا حُصيَّات إذا ما اطَّرَدَتْ ... فائتاً ما بانَ عنها هَرَبا
وإذا ما انْجَدَت عَنْ طارد ... سَبَقَتْ لم يَبْقَ منها أَرَبا
عُوِّدَتْ بالحرب حتى أنها ... لم تَزَلْ تَهْوَى التَّلاقي طَرَبا
بدُرُوعٍ سابغات زُغَفٍ[٤] ... شاهدَتْ أيامَ عادٍ وسَبَا
صافيات ذات نَسْجٍ مُحْكَمٍ ... وقتيل مثل أعيانِ الدَّبا
وبيضٍ روميَّةٍ لامعةٍ ... نْصَّهُ صانعَه فانْتَصَبَا
وبأبطالٍ إذا ما اسْتَعَرَتْ ... نار حرب ولظَاها الْتَهَبا
وردوها برِماحٍ ذُبَّلٍ ... وبأسيافٍ تَجُزُّ العَصَبا

---

(١) تاج تواريخ البشر (٢/٢٥٧-٢٦٠). وانظر: بين مكة واليمن (ص: ١٨٠-١٨٣).

(٢) انظر الأبيات في: تاج تواريخ البشر (٢/٢٥٧-٢٥٨)، وسمط النجوم (٤/٢٨٧-٢٨٨)، وبعضها في: تاريخ مكة للسباعي (ص: ٣٠٤-٣٠٥).

(٣) سرّباً: أي سار به على رأسها لا يخطمها (هامش تاج تواريخ البشر ٢/٢٥٧).

(٤) الزَّغْفَةُ: الدرع اللينة الواسعة المحكمة، أو الرقيقة الحسنة السلاسل. (القاموس المحيط ص: ١٠٥٤).

تحمي البيتَ وتحمي جُدّة ... ورُبَا حَلّي وأكناف قَبا
بسيوف جُرِّدَتْ من غمُد ... كبُرُوق تخترقن الحُجُبا
قل لمن رامَ يناوينا ومَنْ ... رام يأتي بيتنا مُغْتَصبا
لا يَحُجَّ البيتَ إلا خاضعاً ... دافعاً عُشْراً لنا ثمَّ جَبا(١)
وإذا ما حَجَّهُ ذو عزّة ... ترك الأمْرَ وجا مُصْطَحبا
وإذا ما كان رأساً لم يَعُدْ ... عندنا يا صاح إلا ذَنَبا
سورةَ الفيلِ لنا كافيةَ ... اترك الجَهْلَ وَخَلِّ الكذبا
ليس بيتَ الله وادي زمع ... لا ولا دَمث لمَنْ قد طَلَبا
إن بَيْتَ الله بيْتٌ خصَّهُ ... منه بالنَّصْرِ فلَنْ يَنْغَلبا
دونه خَيْلٌ عتاقٌ شُزَّبٌ ... عُسِّفَتْ بالدارعينَ النُّجَبا
ومليك من بني حيدرة ... طابَ أجداداً وأمّاً وأبا
بركاتُ المنتقى من حَسَنٍ ... فارسُ الهيجا إذا ما انتدبا
المَكنَّى بالنَّبيِّ الهاشمي ... جدّه الكاشفُ عنّا الكَربا
أطولَ الناسِ فخاراً سامياً ... وأجلَّ النَّاس طرّاً حسبا
كم جَنَى من غُرُب ذي عزّة ... ولمالِ الضدّ كم قد نَهَبا
ولكَمْ مِنْ مَلك عاندةً ... فغدا عن مُلْكه مُنقلبا
لو رآه الموتُ في يومِ الوغى ... تَركَ الأمْرَ وحطَّ السَّلَبا
أو لو أن الليث وافى سطْوَهُ ... نكَسَ الرأسَ وهَزَّ الذَّنَبا
لا ولا يقرى [لَحوحاً](٢) ضَيْفَهُ ... لا ولا يقطَعُ حَقَّ الأدبا

---

(١) الجبا: عطاء إكرامياً، أي ليس مستحقاً بأية صفة، فهو هبة (هامش تاريخ مكة للسباعي ص:٣٠٦).
(٢) في الأصل: لحوماً. والتصويب من تاج تواريخ البشر (٢/٢٥٧).

وإذا [ما][1] البَغْلَ مِنْ قلَ الحيا رامَ سَبْقَ الخيل جَهداً تَعِبا

فلما بلغه الجواب تخلّف عن الحج، وأمر من يترصّد لعبدالله الذروي في بلاد صَبْيَة[2]، فترصّدوه حتى نزل ساحل جازان[3]، فتحيّلوا عليه حتى ركب معهم إلى الجبلة، فسافروا به وأوصلوه إلى أحمد بن إسماعيل، فحبسه وضيّق عليه الحبس، فأمر الشريف بركات بن حسن بن عجلان بفداه بمائة ألف ناقة، فقال: والله ما أخرجه من الحبس حتى يتشعّب هذا الصدع، فأنشأ قصيدة في الحبس، فأرسل الله في تلك الليلة المطر، فأصبح الحجر قد انشعب بقدرة الله تعالى، فأطلقه وأحسن إليه، وأوصله مأمنه. والقصيدة طويلة ذكرها بتمامها في تاج تواريخ البشر، ومطلعها[4]:

مَنْ لصَبٍّ هاجهُ نَشْرُالصَّبَا لم يزدْهُ البَيْن إلا نصبا
قل لمن كان لما دون القضا ولأحداث الليالي سَبَبا
والذي أوقد نيران الغضا زِدْ على نارَك يا ذا حَطَبا
واسْتَشبَّ ما شئتَ عمداً فعسى عن قليل ستَرد السَّلبا
إن تكنْ سَرَّكَ ما سا فعَسَى كَيْ نرى من بعد هذا عَجَبا
إن ظننْتَ الدَّهْرَ يوماً واحداً فلقدْ حاولْتَ أمراً كَذبا

---

(١) قوله: "ما" زيادة من تاج تواريخ البشر (٢/٢٥٨).

(٢) صبية –صبيا–: مدينة عامرة مزدهرة عمرانياً وتجارياً، هي ثانية مدن مقاطعة جازان، وأول من اختطها هو الأمير دريب بن مهارش الخواجي سنة ٩٥٨هـ، ثم صارت عاصمة المنطقة من سنة ١٣٢٦ إلى سنة ١٣٥١هـ في العهد الإدريسي (بين مكة واليمن ص: ٢٦٠).

(٣) جيزان –جازان–: مدينة مشهورة من مدن المملكة العربية السعودية.

(٤) انظر القصيدة بتمامها في: تاج تواريخ البشر (٢/٢٥٨–٢٦٠)، وسمط النجوم (٤/٢٨٤–٢٨٦). وانظر بعضها في: تاريخ مكة للسباعي (ص:٣٠٦).

رُبَّ صدعٍ كان أعيا شَعْبُه ... أدركَتْهُ رَحْمَةٌ فانْشَعَبا
وسرور بعد يأسٍ قد أتى ... وزمان بعد بُؤْسٍ أعشَبا
ولكَمْ فتحٍ منَ الله أتَى ... حيثَ لاَ يُدْرِكُ ساعٍ هربا
فجلا همّاً وأطفا حرقاً ... وشفا غلاً وجَلاَ كربا
فينالُ الملتجي منْ ربِّه ... في أعَاديه الذي قد طَلَبا
وصلاةَ الله تغشَى دائماً ... أحمد [المختار][1] ما هَبَّ الصَّبا

انتهى.

وفي خلاصة الكلام[2]: وفي سنة ثمانمائة وتسع وخمسين مرض الشريف بركات، فعرض لابنه محمد أن يكون ولي عهده من بعده.

ثم توفي الشريف بركات تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة، بأرض خالد من وادي مَرّ، وحُمل على أعناق الرجال إلى مكة. -وفي إتحاف فضلاء الزمن[3]: وحُمل على أعناق البغال إلى مكة-، وغسّل وصُلّي عليه، وطيف به سبعاً على عادة أشراف مكة، ودُفن بالمعلا، وبُني عليه قبة، ورثاه الشعراء.

قال العلامة محمد بن علي بن فضل بن عبدالله الطبري[4]: كان الشريف بركات ظاهر الكرم، طاهر الشيم، شجاعاً، مقداماً، بطلاً ضرغاماً، مسعوداً

---

(١) في الأصل: المختا. والتصويب من تاج تواريخ البشر (٢/٢٦٠).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٤٣). وانظرخبر موت الشريف بركات في: النجوم الزاهرة (١٦/١٧٨-١٧٩)، وإتحاف الورى (٤/٣٤٦، ٣٤٧)، وغاية المرام (٢/٤٥١، ٤٥٢)، ومنائح الكرم (٣/٥٨)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (هامش ص:١٩٤-١٩٥).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٤٤-٢٤٥).

(٤) إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٤٤).

في سائر أحواله، مشكوراً في جميع أفعاله، وقد أجاز له جماعة من الحفّاظ: العراقي، والهيثمي، والبرهان بن صديق البخاري، والمراغي، وجماعة. وحدّث عنه البقاعي وغيره. كذا ذكره الإمام السيوطي في كتابه نظم العقيان في أعيان الأعيان.

ومن شعره رحمه الله تعالى، قوله[1]:

يا مَنْ بتذكاره قد [زادَ][2] وَسْواسي ... وقد شُغلْتُ به عَنْ سائرِ النّاسِ

ومَنْ تَقَرَّرَ في قلبي محبّتُه ... وجئتُه طَائعاً أسْعى على الراسِ

سألتكم شربةَ مِنْ ماء مشرَبِكَمْ ... تُغْني عن الرَّاحِ إذْ لا راحَ في الكاسِ

انتهى.

تفويض الولاية للشريف محمد بن بركات

وجاء جواب عرضه ثاني يوم دفنه، وفيه تفويض مكة للشريف محمد بن بركات[3] -وكان غائباً في اليمن- لقبض بعض أموال والده.

ولما رجع قرئ مرسومه بالحطيم والخطاب فيه لوالده الشريف بركات[4].

---

(١) انظر الأبيات في: سمط النجوم (٢٨٩/٤)، ومنائح الكرم (٦٠/٣)، وغاية المرام (٤٥٤/٢)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (هامش ص:١٩٥).

(٢) في الأصل: زال. والتصويب من سمط النجوم وغاية المرام، الموضعان السابقان.

(٣) انظر ترجمته في: غاية المرام (٥٠٦/٢-٦٣٣)، والدر الكمين (١٠٣/١-١٢١)، والضوء اللامع (١٥٠/٧)، والتحفة اللطيفة (٤٥٢/٢)، والنور السافر (ص:٣٧-٣٨)، وخلاصة الكلام (ص:٤٤)، والسنا الباهر (ص:٣٠-٣١)، والأعلام (٥١/٦-٥٢).

(٤) خلاصة الكلام (ص:٤٤). وانظر: منائح الكرم (٦١/٣).

قال الطبري في الإتحاف[١]: وكان في المرسوم: ورد إلينا كتاب جاني بك مشدّ جدة بالثناء على المخدوم، وقد بلغنا ضعفك وتوعكك، وقلّة حركتك، فأقمنا مقامك في إمارة مكة ولدك السيد محمد، والمرسوم مؤرّخ بسادس عشرين شهر رجب من السنة المذكورة. انتهى.

وفي شهر شوال ورد إليه مرسوم من السلطان يتضمن التعزية في والده وتأييده في ولاية مكة، وكان مولد الشريف محمد بن بركات في رمضان سنة ثمانمائة وأربعين، وكان جمّ الفضائل، شريف الشمائل، واستمر إلى سنة ثلاث وتسعمائة متولياً على مكة، مظهراً للعدل في الرعية، ودانت له العباد، واتسع ملكه وتصرفه في البلاد، وكانت مدة ولايته ثلاثاً وأربعين سنة.

وفي سنة ثمانمائة واثنتين [وسبعين][٢] تولى سلطنة مصر الملك الأشرف قايتباي، وأرسل الخلعة لمولانا الشريف محمد بن بركات، وخلعة لقاضي مكة القاضي برهان الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي، وأرسل مراسيم تقتضي رفع المكوس بمكة، وأمر أن يُنقر ذلك على أسطوانة بالمسجد الحرام بباب السلام.

---

(١) إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٤٩-٢٥٠). وانظر: إتحاف الورى (٤/٣٤٨)، وغاية المرام (٢/٤٥٣، ٥٠٨).

(٢) في الأصل: وتسعين. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٤٤)، ومنائح الكرم (٣/٦٨)، وإتحاف الورى (٤/٤٨٣).

وفي سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة[١] غزا مولانا الشريف محمد بن بركات قبيلة زبيد -بين خليص ورابغ-، وقتل شيخهم رومي وأخاه مالكاً ونحو سبعين رجلاً، وغنم نحو ثلاثين ألفاً من المواشي.

وفي سنة ثمانمائة وسبع وسبعين[٢] وصل مع الحج مرسوم من السلطان يطلب صاحب مكة مولانا الشريف محمد بن بركات، والقاضي إبراهيم بن ظهيرة، فأرسل مولانا الشريف عوضه ابنه الشريف بركات، وصحبته القاضي برهان الدين إبراهيم بن ظهيرة، والقاضي أبو السعود بن ظهيرة، وجماعة من أقاربهم، فقوبلوا بالإجلال والإكرام من السلطان قايتباي، ثم رجعوا[٣].

وفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة غزا مولانا الشريف جازان من أرض اليمن، فخرب حصونها وأوديتها، وأخذ الأموال، وغنم غنائم جزيلة منها، ورجع سالماً[٤].

وفاة الشريف محمد بن بركات

وفي سنة تسعمائة وثلاث توفي الشريف محمد بن بركات في الحادي عشر من محرم بوادي مرّ الظهران، وحمل إلى مكة، وصُلّي عليه،

---

(١) إتحاف الورى (٤/٤٩٣). وانظر: منائح الكرم (٣/٦٩-٧٠)، وسمط النجوم (٤/٢٩٠)، ودرر الفرائد(ص:٣٣٦)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٢٧٢)، وغاية المرام (٢/٥١٣-٥١٤).

(٢) إتحاف الورى (٤/٥٥٨). وانظر: منائح الكرم (٣/٧٥-٧٦)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٢٧٤)، وغاية المرام (٢/٥١٨).

(٣) خلاصة الكلام (ص:٤٤).

(٤) إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٧٩)، وسمط النجوم (٤/٢٩١).

ودفن بالمعلا، وبني عليه قبة[١]. انتهى.

وفي بلوغ القرى[٢] في حوادث سنة ثلاث وتسعمائة: وفيها في يوم الثلاثاء حادي عشر[٣] شهر محرم الحرام مات السيد الشريف الحسيب النسيب جمال الدين محمد بن بركات بن حسن بن عجلان -صاحب الحجاز كلّه؛ مكة، والمدينة، وينبع، والحجاز، وحلي، بل وصاحب جازان من تحت أمره، ويحمل الخراج إليه كل سنة- بوادي الآبار، [ووصل][٤] الخبر إلى مكة المشرفة، وحُمِلَ إلى مكة في سرير على أعناق الرجال، فوصل إليها في أثناء ليلة الأربعاء، ومعه أولاده وعسكره، ولحقهم النساء في الفجر إلا اليسير جداً، فوصلوا ليلة الخميس، وجهّز بيته وحُمِلَ إلى الكعبة المشرفة وطيف به أسبوعاً كعادة أسلافه، ومعه بعض أولاده وعسكره، ثم بعد الفراغ وضع عند البيت إلى أن صلّي الصبح يوم الأربعاء، فصلّى عليه الناس، وأمامهم القاضي الشافعي الجمال أبو السعود، ونادى الريّس فوق ظلة زمزم بالصلاة عليه، ووصفه بألقاب حسنة مسجعة، فزاد الناس بالبكاء والنحيب، وشيّعه جميع الناس، حتى الأمير أزبك، بل خرج معه من البيت، والمخدّرات من البيوت، ودفن بحوطة قبة أبيه، ورام الأمير أزبك بالمعلاة كتابة محضر حينئذ

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٤٦). وانظر: منائح الكرم (٩٨/٣)، وسمط النجوم (٢٩٢/٤)، ودرر الفرائد (ص:٣٤٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢٨٩/١)، وغاية المرام (٥٩٦/٢)، وقد هدمت القبة المذكورة.

(٢) بلوغ القرى (ص:١٠٠). وانظر: غاية المرام (٥٩٦/٢-٥٩٧).

(٣) في بلوغ القرى: عشري.

(٤) في الأصل: وصل. وانظر: غاية المرام (٥٩٦/٢).

للسيد بركات، واستدعى إليه القاضيين الحنفي والمالكي، والشافعي [كان][1] عنده، وحضر جميع النساء اللاتي يبكين إلى المعلاة، وجزّ كثير منهن شعورهنّ، وتعطّل البيع والشراء بعده بالمسعى والشوارع إلى يوم الاثنين سابع عشري الشهر.

قال العلامة الطبري في إتحاف فضلاء الزمن[2]: كان السيد محمد بن بركات جامعاً لأشتات الفضائل، حاوي المحاسن والشمائل، بنى بمكة رباطاً للفقراء، وبالنوّارية[3] سبيلاً في طريق وادي مَرّ، وبنى سبيلاً بطريق جدة، وأوقف على ذلك أوقافاً كثيرة، وهي بوادي مَرّ شهيرة، وخلّف من الأولاد ستة عشر ذَكَراً غير الإناث، منهم: حميضة، ورميثة، وجازان، وهزاع، وقايتباي، وعلي، وراجح، وبركات.

ولاية الشريف بركات بن محمد

فولي مكة مولانا الشريف بركات بن محمد بن بركات[4]، وقُرئ توقيعه بالحطيم يوم الأربعاء، رابع ربيع الآخر عام تاريخه، من قبل الناصر محمد بن قايتباي. انتهى.

---

(١) في الأصل: كانا. والتصويب من بلوغ القرى (ص: ١٠٠).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٨٩-٢٩٠).

(٣) النوارية: كانت محطة بوادي سرف، وأقيمت هناك مصانع للنورة فتكونت هذه المحطة وانتعشت، فلما توقفت تلك المصانع تقهقرت المحطة أو المنهل وكاد يندثر. ثم خططت وعمرت، وأصبحت اليوم حياً جميلاً مأهولاً (معجم معالم الحجاز ٩/٩٤).

(٤) انظر ترجمته في: غاية المرام(٣/٣٣٥-٣٣٩)، والضوء اللامع (٣/١٤)، والنور السافر (ص:١٥٢)، وخلاصة الكلام (ص:٤٦-٥٢)، والأعلام (٢/٤٩)، والسنا الباهر (ص:٣٠٢-٣٠٨).

وفي منائح الكرم[١]: قرئ توقيعه بحضرة كاتم السر[٢] البدري محمد بن مزهر لوصوله بقصد ولايته من صاحب مصر السلطان محمد بن قايتباي، وأشرك معه أخوه هزاع في لبس الخلعة الثانية، وفوّض إليه أمر الأقطار الحجازية والحرمين.

فلبس الخلعة الواردة عليه وطاف بها والريس يدعو له، ثم صعد إلى داره ولم يزل إلى أن خالفه أخوه هزاع وأحمد الجازاني سنة تسعمائة وأربع كما سيأتي بيانه[٣].

ومولده سنة ثمانمائة وإحدى وستين بمكة المشرفة إما في ربيع أو بعده، ونشأ في كفالة والده.

قال في النشأة[٤]: وترجمه السخاوي في "الضوء اللامع"[٥]، وكذا ترجمه العلامة عبدالعزيز بن فهد في مؤلف له سماه: "غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام"[٦].

وكان دخل القاهرة سنة ثمانمائة وثمان وسبعين، ورجع شريكاً لوالده، وأخذ في مصر على نحو أربعين شيخاً وأجازوه، وأجازه بمكة جماعة خرَّجُوا له

---

(١) منائح الكرم (٣/١٠١-١٠٣).

(٢) كاتب السر: هو صاحب ديوان الإنشاء، ويطلق عليه العامة: كاتم السر؛ لأنه يكتم سر الملك. وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل. ومن مهماته: التوقيع على القصص بدار العدل، وتلقي أخبار الممالك وعرضها على السلطان وتولي الإجابة عنها، وغيرها (انظر: صبح الأعشى ٥/٤٣٦، ومعيد النعم ومبيد النقم ص: ٣٠).

(٣) في الصفحة التالية.

(٤) هو كتاب نشأة السلافة بمنشآت الخلافة في التاريخ، لمحيي الدين عبدالقادر الطبري.

(٥) الضوء اللامع (٣/١٤).

(٦) غاية المرام (٣/٣٥).

عن مشايخه، ففرح بذلك وأحسن إليهم. ذكرهم بأجمعهم ابن الفضل في "الوسيلة"[١].

قال الطبري في الإتحاف[٢]: خرَّج له الشيخ الرُّحَلَة جار الله بن عبدالعزيز بن فهد عن أربعين شيخاً من مشايخه أربعين حديثاً في فضل أهل البيت، سماها: "غاية الأماني والمسرات لعلو سلطان الحجاز بركات"[٣].

واستمر الشريف المذكور إلى أن خالفه أخوه هزاع وأحمد، سنة تسعمائة وأربع، فوقع الحرب بينهم بوادي الجموم[٤]. وسبب ذلك: أن طومان باي[٥] لما ولي مصر بعد جنبلاط[٦] طرد رجلاً من جماعة جنبلاط يقال له: قانصوه المحمدي، ويعرف بالبرج[٧]، فجاء إلى مكة فلم يلتفت إليه صاحب مكة

---

(١) أورد أسماءهم العز ابن فهد في غاية المرام (٣/٣٧-٤٣).
(٢) إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٩٠-٢٩٤).
(٣) انظر: سمط النجوم (٤/٢٩٤). وقد أورد معناه ابن فهد في غاية المرام (٣/٢٣٤-٢٣٥).
(٤) وادي الجموم: يبدو أنه جزء من وادي مر الظهران إذا تعدى هذا الوادي قرية أبي حصاني، سمي عندها وادي فاطمة، وفيه قرى عديدة منها الجموم قصبة هذا الوادي (انظر: معجم معالم الحجاز ٢/١٧٦-١٧٧).
(٥) طومان باي:هو طومان بن قانصوه. ولد عام٨٧٩ هـ، جركسي الأصل. تسلطن عام ٩٠٦ هـ، وخلع بعد مائة يوم (بدائع الزهور ٤/٤٧٧).
(٦) جنبلاط: هو ابن يشبك الأشرفي. ولد عام ٨٦٥ هـ، وتسلطن عام ٩٠٥ هـ، وخلع بعد ستة أشهر، ثم قتل في سجنه بالاسكندرية عام ٩٠٦ هـ (بدائع الزهور ٤/٤٦٢).
(٧) قانصوه المحمدي: من القادة الأقوياء. توفي عام ٩١٠ هـ، ويعرف بالبرجي؛ لأنه كان نائب البرج الذي بناه قايتباي بالاسكندرية. كان أصله من مماليك الأشرف قايتباي. ولي عدة وظائف سنية منها: نيابة البرج، وأمير مجلس، وأمير محمل الحج، ثم صار نائباً للشام حيث مات فيها (انظر: غاية المرام ٣/٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٨، ١٠٩، ١٧٥، وبدائع الزهور ٣/٤٣٣، ٤٦٩، [illegible] ومفاكهة الخلان [illegible]

الشريف بركات بن محمد، ولا قاضيها[١]؛ خوفاً من السلطان طومان، فلما فقد طومان وتولى الغوري ليلة عيد الفطر من سنة تسعمائة وست، أرسل إلى قانصوه (البرج) بولاية الشام، فوصلت إليه الكتب في أول ذي القعدة، وهو بمكة، فجاءه الشريف بركات والقاضي أبو السعود بن ظهيرة للسلام عليه، فلم يأذن لهما؛ لعدم التفاهما إليه أولاً، وكان الشريف هزاع بن محمد بن بركات بمكة، فعامله قانصوه على أن يجعل إمرة مكة إليه، ويخلع أخاه بركات، وأمره بالخروج إلى ينبع، فخرج في خمسمائة فارس ونزلوا بالينبع، وكان واليها يحيى ابن سبيع الحسيني[٢]. وكاتبوا السلطان في إمرة مكة المشرفة بمائة ألف دينار شريفي[٣] جديد، فأمر مولانا السلطان بتعيين المَقَرّ البدر بن مزهر[٤]

(١) أبو السعود بن ظهيرة.

(٢) يحيى بن سبيع الحسيني: تولى إمارة ينبع عوضاً عن دراج في عهد السلطان محمد بن قايتباي عام ٩٠٣هـ (بدائع الزهور ٣/٣٨٦).

(٣) شريفي، وأشريفي، وأشرفي: هي كلمة فارسية بمعنى نبيل، أطلقت في القرن السادس عشر لتدل على العملة الذهبية التي ضربتها الأسرة الصفوية بفارس، وهي بحجم وزن الدينار الذهب. أما في العصر المملوكي في مصر فأطلق لفظ أشرفي على العملة الذهبية التي ضربها السلطان الملك الأشرف برسباي سنة ٨٢٩ هـ، وهي عيار مرتفع ووزن قدره درهم، وثمن الدرهم ويساوي زنة الافرنتي المستعمل قبله، وبعد الفتح العثماني لمصر أطلق لفظ الشريفي على العملة الذهبية المضروبة في القسطنطينية وأصبح مرادفاً لكلمة سلطاني (انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢٨٤، والموسوعة العربية الميسرة ص:١٦٥).

(٤) المقر: من الألقاب. وأصله في اللغة: موضع الاستقرار. استعير في المكاتبات للإشارة إلى صاحب المكان تعظيماً له عن التفوه باسمه، أطلق في أول عصر المماليك على السلطان، ثم تدهور فيما بعد فأصبح يختص بكبار الأمراء وأعيان الوزراء وكتاب السر ومن يجري مجراهم كناظر الجيش وناظر الخاص وناظر الدولة وكتاب الدست، ومن في معناهم (انظر:صبح الأعشى٥/٤٦٣-
=

بإخماد هذه الفتنة[١].

ولاية الشريف هزاع بن محمد بن بركات

ثم إن قانصوه المذكور أرسل إلى أمير الحج المصري سودون العجمي[٢] ودولات باي[٣] أمير أول يأمره أن يعطي المراسيم والخلع للشريف هزاع[٤]، ففعل ذلك أمير الحاج لما وصل إلى ينبع، وأتاه الشريف هزاع بكتب طومان، وتوجه إلى مكة مع الحاج المصري، ومعه الأشراف بنو إبراهيم[٥] في نحو مائة فارس، فلما علم بذلك -بركات- خرج إلى وادي مَرّ، والتقى الجمعان هناك[٦]، وتقاتلا فانكسر هزاع، وقتل من أصحابه نحو الثلاثين، فأعانه الأمير المصري والحجاج على أخيه بمال بذله إليه الشريف هزاع، فكثرت

=

٤٦٤، والألقاب الإسلامية ص:٤٨٩-٤٩٤). والمقر البدري: من القضاة. تولى كتابة السر عام ٩٠٣ هـ، ثم عزل مرتين، وسجن وعذّب، وأطلق سراحه العادل طومان عام ٩٠٦ هـ. توفي عام ٩١٦ هـ.

(١) انظر: منائح الكرم (٣/١٠٥-١١١)، وسمط النجوم (٤/٣١٣).

(٢) سودون العجمي: تولى نيابة الشام، ثم أتابك العسكر بمصر. قتل بمرج دابق عام ٩٢٢ هـ (مفاكهة الخلان ١/٢٨١، ٢/٢٤، وبدائع الزهور ٤/٦).

(٣) دولات باي قرموط: أخو السلطان طومان باي. تولى إمرة الحاج الشامي في نيابة حلب وطرابلس، ثم الشام جميعاً. مات عام ٩١٧ هـ (مفاكهة الخلان ١/١٨٣، ٣٥٥، وبدائع الزهور ٤/٦).

(٤) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:٤٦)، والأعلام (٨/٨٣)، والسنا الباهر (ص:٥٩-٦٠).

(٥) بنو إبراهيم: يبدو أنهم ذوو إبراهيم الذين هم فرع من الأشراف بني بركات بن أبي نمي والذين يسكنون وادي مر الظهران (معجم قبائل الحجاز ص:١٢).

(٦) في رأس الجموم (انظر: غاية المرام ٣/١٠٣).

المقاتلة على الشريف بركات، وقتل ابنه السيد أبو القاسم، وجماعة من العسكر[١]، وأخذت محطته[٢] بما فيها، وانتهكت الحرم والأطفال، فهرب الشريف بركات إلى جدة، ودخل الشريف هزاع مكة صحبة الحاج المصري، واضطربت أحوال الناس، ونهبت الأطراف، فضجّت الناس، وطلعوا إلى الشريف هزاع وأسمعوه ما شقَّ عليه، فدخل عليه عمه الشريف إبراهيم بن بركات، وأمره بالخروج معه إلى الشريف بركات، فخرج معه، وأصلح بينهما. والتزم للشريف بركات أن يأخذ له من الشريف هزاع ثلاثة آلاف أشرفي [فوافقه الشريف هزاع[٣]، ولم يحج الشريف بركات][٤] في هذا العام، وخرج من جدة إلى بدر، وأقام هناك بجموع جمعها.

ثم إن الشريف هزاع لم يأمن من أخاه، فخرج مع الحج المصري إلى ينبع، وانحاز إلى يحيى بن سبيع أمير ينبع وغيره من زبيد -أخوال أخيه جازان-، وجمع هناك الجموع.

فدخل الشريف بركات مكة لثمان بقين من ذي الحجة[٥]. ثم إنه تأهب

---

(١) أي عسكر الشريف بركات.

(٢) أي مكان إقامته.

(٣) في هامش منائح الكرم: الأصح: الشريف بركات.

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من منائح الكرم (٣/١٠٩)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٢٩٣).

(٥) أي سنة [illegible] هـ. وقد ذكر ابن فهد في [illegible] [illegible]

لقتال أخيه هزاع، وأقبل هزاع نحو مكة، فخرج للقائه، والتقيا بالبرقاء[١] في العشر الأول ضحى يوم الأحد، تاسع جمادى الأولى، سنة تسعمائة وسبع، فهزم عسكر الشريف بركات وقتل أخوه [أبو][٢] دعيج وجماعة من الأتراك، وسبعة من آل أبي نمي، وخلق من الفريقين[٣].

فتوجه الشريف بركات إلى الليث -من جهة اليمن-، فتبعه الشريف هزاع، وجَدّ خلفه، ولما فاته الشريف بركات رجع إلى جدة، وأقام بها وزيراً[٤] وحاكماً[٥]، وقرر أحوالهما، ووصلته المراسيم والخلع من البحر على يد الأمير إلياس[٦]، وطلع الأمير المذكور إلى مكة، فكان دخوله جدة يوم الثلاثاء حادي عشر الشهر المذكور، [وقرأ][٧] المراسيم، وألبسه الخلع.

واستمر بمكة[٨]، ثم وعك، فخرج إلى وادي الآبار وهو مريض، فقدّر

---

(١) البرقاء: يبدو أنها برقاء الغميم، وكانت تعرف بكراع الغميم بين مكة والمدينة، وهي برقاء على كراع من الحرة يسار الطريق الصادر من عسفان على (١٦) كيلومتراً تقريباً، تقع بين وادي راين وشامية ابن حمادي (انظر: معجم البلدان ٤/٤٤٣، ومعجم معالم الحجاز ٦/٢٦٣-٢٦٥).

(٢) قوله: "أبو" زيادة من إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٩٤)، ومنائح الكرم (٣/١١٠).
وأبو دعيج هو: ابن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان (انظر: غاية المرام ٢/٦٠٠، ٣/١١٤).

(٣) انظر أسماءهم في: غاية المرام (٣/١١٤-١١٥).

(٤) هو محمد بن راجح بن شميلة.

(٥) هو عبد من قواده.

(٦) كذا في الأصل ومنائح الكرم وإتحاف فضلاء الزمن. وسيأتي: الماس.

(٧) في الأصل: وقرئ. والتصويب من منائح الكرم (٣/١١١)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٢٩٤).

(٨) أي الشريف هزاع.

الله عز وجل وفاته بوادي الآبار، في خامس عشر رجب، وحُمل إلى مكة وصُلّي عليه، وطيف[١] به سبعاً على عادهم، ودفن بالمعلا بقبة أبيه. انتهى[٢].

وفي بلوغ القرى[٣]: وفي يوم الثلاثاء خامس عشر شهر رجب سنة سبع وتسعمائة مات السيد هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بالسمرات بين وادي الآبار والعُدّ، وحمل في فردة شقدف على رؤوس الرجال إلى مكة، فوصل بها بعد العشاء، وجُهّز بداره، وحُمل إلى المسجد قبل التسبيح، ثم طيف به أسبوعاً[٤]، وصلّى عليه قاضي القضاة الشافعي بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة، ونادى الريّس بالصلاة عليه فوق ظلة زمزم: "الصلاة على السيد الشريف الحسيب النسيب زين الدين هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان صاحب الحجاز، الصلاة رحمكم الله" وشيّعه القضاة، والفقهاء، والأمراء، والترك، والتجار، وغوغاء الناس، وكان الجمع وافراً، وكذا النساء، ولم يبك عليه إلا بعد إتيانه المسجد، جاء أهله من الفريق فبكوا، وطلعوا المعلاة فتتابع النسوان، ودفن بقبّة أبيه. انتهى.

---

(١) الطواف بالميت من الأمور المبتدعة التي وقعت في تلك الفترة، وقد زالت ولله الحمد والمنة.

(٢) منائح الكرم (٣/١٠٥-١١١). وانظر أحداث ولاية الشريف هزاع في: غاية المرام (٣/١٠٠-١١٧)، ودرر الفرائد (ص:٣٤٨-٣٥٠). وانظر: سمط النجوم (٤/٢٩٧-٢٩٨).

(٣) بلوغ القرى (ص: ١٢٥). وانظر: (هامش غاية المرام ٣/١١٦-١١٧).

(٤) انظر التعليق رقم(١) المتقدم.

ولاية الشريف أحمد بن محمد بن بركات، الملقب الجازاني

فولي مكة أخوه الشريف أحمد بن محمد بن بركات الملقب بالجازاني[(١)]، -ويقال فيه: جازان-، ودخل مكة خامس عشر رجب بمساعدة القاضي [أبي][(٢)] السعود بن ظهيرة.

قال السيد السمرقندي: وبعد موت الشريف هزاع وقع عقد مجلس بالحرم الشريف حضره القاضي أبو السعود [وابنه][(٣)] صلاح الدين بن ظهيرة، والقضاة، والحكام، والأمراء من العرب، والأروام[(٤)]، وفيهم الشريف جازان، ومالك بن رومي شيخ طائفة زبيد[(٥)]، وأعيان الشرفاء الكرام، وتفاوضوا فيمن يليق بإمارة مكة، فقال مالك بن رومي: ما أمير مكة إلا جازان -في كلام تكلم به-، فسكت الحاضرون، فقال القاضي

(١) انظر ترجمته في: بدائع الزهور (٤/٦٢،٤٧)، وخلاصة الكلام (ص:٤٦-٤٨)، والأعلام (٢٣٢/١).

(٢) في الأصل: أبو. وهو خطأ، وانظر: منائح الكرم (١١٢/٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢٩٤/١).

(٣) في الأصل: بن. والتصويب من منائح الكرم، الموضع السابق.
وهو: صلاح الدين بن أبي السعود بن ظهيرة المكي الشافعي، قاضي القضاة، وناظر المسجد الحرام، وأحد علماء مكة الأفاضل. توفي سنة ٩٢٧هـ، ودفن بالمعلاة (انظر: غاية المرام ٢٣٥/٣، ٢٤٧، ٢٨٠، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤)، والمختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٢٣).

(٤) الأروام: هم الأعاجم الذين ترجع أصولهم إلى بلاد الروم (آسيا الصغرى).

(٥) هو مالك بن رومي، أمير خليص، وخال الشريف جازان، توفي سنة ٩١٣هـ (عنه وعن دَوْره في الأحداث انظر: غاية المرام ٨٧/٣، ١١٦، ١١٧، ١٢٧، ١٨٤، ٢٠١، وبدائع الزهور ٣٦/٤، ودرر الفرائد ص: ٣٥٠، ٣٥٦، ٣٥٧).

أبو السعود: ومن يليها الآن [وتكون][١] في وجهه؟ فقال مالك بن رومي: جازان وبنو إبراهيم معه في ذلك. انتهى. ذكره الطبري في إتحاف فضلاء الزمن[٢].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن فهد في بلوغ القرى[٣]: ونودي في شوارع البلد أن البلد لجازان بن محمد، وأن البلاد وجميع العربان في وجهه، وأظن أنهم يكتبون محضراً بذلك ويأخذون فيه خطوط الناس ويرسلونه مع قاصد بمصر، وجمع التجار في مدرسة السيد محمد بن بركات، ولم يظهر بعضهم، فكسر باب بعضهم، وبعضهم أرادوا به ذلك، وجعل عليهم مال، أُخبِرْتُ أنه جعل على رستم خمسمائة -وقيل: ثمانمائة-، وعلى علي راحات أربعمائة، وعلى الشيخ علي ألف، وعلى كل من محمد سلطان وابن المزين ومعين الدين وابن القاري وابن الشيخ علي مائتين مائتين، وعلى ناس مائة مائة، وآخرين خمسين، وعلى غيرهم أربعمائة وثلاثمائة، واجتمع من ذلك شيء كثير، وأخذوا من أخي أبي ناصر كثيراً من تركة [القرّاء][٤] الذي هو وصيٌّ عليها، وهو شاشات، ورمى ذلك على التجار.

ثم في يوم الجمعة ثامن عشر الشهر دعا الخطيب محب الدين النويري للسيد جازان، وسماه: شهاب الدين أحمد، ثم بعد الصلاة والدعاء طاف

(١) في الأصل: ونكون. والتصويب من منائح الكرم(٣/١١٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٢٩٥).
(٢) إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٩٤-٢٩٥). وانظر: منائح الكرم (٣/١١٢-١١٣)، وسمط النجوم (٤/٣١٤)، وخلاصة الكلام (ص:٤٧).
(٣) بلوغ القرى (ص:١٢٥-١٢٦). وانظر: (هامش غاية المرام ٣/١١٧).
(٤) قوله: "القراء" زيادة من بلوغ القرى (ص:١٢٥).

السيد جازان، ودُعي له على ظلّة زمزم على عادة أمراء مكة.

ثم في صبح يوم السبت تاسع عشر الشهر توجه السيد جازان إلى الفُرَيق[(١)]، فأنكر عليه يحيى بن سبيع أخذه من التجار والشاشات [خصوصاً جماعة للحامين بالقلعة][(٢)]، فأرسل [بردّ][(٣)] الشاشات، فوجدوهم قد أخذوا فيها من التجار والمتسببين وهو ألف دينار، وأعطوه للشرفاء ذوي أبي نمي، ووقع الاتفاق بين السيد جازان والعسكر على أن يعطى الفارس عشرين أشرفياً، والراجل عشرة أشرفية، فأعطاهم النصف على أن يكمل لهم.

ثم في آخر يوم الثلاثاء الثاني عشر من الشهر وصل جازان [لمكة][(٤)] من الفُرَيق.

ثم في أوائل يوم الخميس الرابع عشر من الشهر توجّه السيد جازان إلى جدة، وتوجهت بنو إبراهيم في آخر النهار، وتوجه مالك بن رومي أيضاً إلى جدة بمن معه وبعض عسكر يحيى بن سبيع، وتوجه يحيى بمن معه إلى جهة ينبع، ولما وصل السيد جازان إلى جدة اجتمع هو ومالك وعسكرهما ونهبوا، وكان ذلك في يوم الجمعة، واستمروا في نهبها إلى آخر النهار، ولم يصلّى في ذلك اليوم جمعة ولا جماعة، ورضي ابن قيماز وبعض جماعته بأخذ مبلغ من

(١) الفُرَيق: تصغير فرق، وهو اسم موضع بتهامة (معجم البلدان ٤/٢٦٠).
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من بلوغ القرى (ص:١٢٥).
(٣) في الأصل: لردّ. والتصويب من بلوغ القرى، الموضع السابق.
(٤) في الأصل: بمكة. والتصويب من بلوغ القرى، الموضع السابق.

أهل دور [أو حارة][١]، ومنعوا بيوهم من النهب. انتهى.

رجوع الشريف بركات بن محمد لولاية مكة، واعتذار صاحب مصر له

واستمر الشريف أحمد بن محمد الجازاني بمكة إلى أن بلغه قدوم الشريف بركات في شعبان عام تاريخه[٢]، فخرج من مكة إلى ينبع[٣].

قال الشيخ عبدالعزيز بن فهد[٤]: وفي شعبان من السنة المذكورة ترادفت الأخبار بوصول الشريف بركات من اليمن، ووصل منه بعض أناس قليلون، ثم في يوم الأربعاء ثامن الشهر نودي بوصول السيد بركات، وأن العرضة[٥] غداً، فلما كان صبح الخميس وصل من الحجاز جوهر الطويل [والجمال محمد النُّقَري][٦]، ومعهما نحو عشرين فرساً ورجال كثيرون، وعرض لهم من بمكة من العبيد وأهلها، ودخلوا إلى بيت الشريف، واستمر اللعب عند بيت الشريف صباحاً ومساءً، وخرج القضاة والأمراء إلى الزاهر للقائه، ولما وصل الزاهر ألبسه الأمير ألماس خلعة سلطانية، ثم ركب وركبت معه القضاة

(١) ما بين المعكوفين زيادة من بلوغ القرى (ص:١٢٦).
(٢) أي سنة ٩٠٧هـ.
(٣) منائح الكرم (٣/١١٤).
(٤) بلوغ القرى (ص:١٢٦)، وغاية المرام (٣/١١٧-١١٩).
(٥) العرضة: نوع من الاستعراض العسكري، تخرج القبائل فيه لاستقبال زائرها، يلوحون بسيوفهم، ويلعبون ببنادقهم (هامش تاريخ مكة للسباعي ٢/٤٦٤).
(٦) في الأصل وبلوغ القرى: والنضر. والمثبت من غاية المرام (٣/١١٧).
والنقري: واحد النقرة، بطن من رفاعة من مالك من جهينة (معجم قبائل الحجاز ص:٥٣٢).

والأمراء والأتراك وجميع الخيالة والعساكر الذين وصلوا معه، وهم كثيرون جداً، واستمروا إلى أن دخلوا المسجد من باب بني شيبة، فسجد الشريف شُكراً لله تعالى، ثم طاف، ودعا له الريّس على زمزم في جميع أشواطه كالعادة، ثم بعد صلاته في المقام جلس هو والأمراء وقاضي القضاة الشافعي بالحطيم تحت زمزم، وقرأ ابن الحناوي المرسوم، وفيه -بعد السلام والتحية-: الاعتذار عما وقع من الأمراء من تولية السيد هزاع، وأنهم ما فعلوا ذلك إلا لما رأوه هو وابن سبيع في جمع كثير، فخافوا على الحاج، ولم يكن هذا عن أمرنا، وساءنا موت ولدك، وكان ينبغي لك لما سمعت تجمعهم توجهت لهم، وقد جهزنا لك خلعة ومرسوماً على يد الأمير ألماس -أحد أمراء الطبلخانات-[1]، والتوصية به، وشافَهْنَاه بما يُشافِهُكَ به، فلتقرّ عيناً، ولتنشرح صدراً. بتاريخ ثامن ربيع الآخر.

وبعد قراءته دخل الحِجْر وصلى به ركعتين، وتوجّه إلى داره والناس مشاة أمامه، ثم إنه جمع التجار وسألهم في قرض مال، فأذعنوا له، فكثّر على بعضهم، فاشمأزوا وتركوا، ثم طلبوا المرة بعد الأخرى، ثم خُفِّفَ عمّن كثر عليه.

وكان في المطلوب منهم: عبدالله وعثمان ابنا محمد البوني، فطلب منهما

(١) أمير الطبلخانة: سبق التعريف به.

ثلاثة آلاف، ثم حبسا، ثم خُفِّفَ عنهما، فجعل على الأول ألف، وعلى الثاني ألف وخمسمائة، فباع الأول بيتاً وحوشاً بسبعمائة على ابن العيني، وبيتاً بالسوق الصغير بثلاثمائة، والثاني باع بيتاً له على [عنقاء][1] بن وُبَيْر، وهو يسوم باقي بيوته ليوفي ما صودر به، والله يلطف بالمسلمين. انتهى.

قال السنجاري[2]: ثم إنه لما استقر أمر الشريف بركات قبض على قاضي القضاة جمال الدين أبي السعود بن ظهيرة في تاسع رمضان من العام المذكور[3]، وذلك لأن جماعة الشريف بركات ظفروا بكتب من القاضي المذكور إلى الشريف أحمد يستحثه إلى مكة بعد وفاة هزاع، فظفروا بها قبل أن تصل إلى أحمد، فجاؤوا بها إلى الشريف بركات، فعقد عليه مجلساً في داره، واستدعاه من درسه في تاسع رمضان سنة تسعمائة وسبع، فاستمهل إلى آخر درسه، فلم يُمهل، ودخل الطواف ليطوف فلم يمكَّن، فلما حضر المجلس لم يقابله الشريف بما يعتاده من الإكرام، وأمر بإجلاسه مجلس العوام، ثم أخرج كتاباً قرأه على الحاضرين من القضاة والأعيان، وباش

---

(١) في الأصل: عنقان. وهو خطأ. والتصويب من بلوغ القرى (ص:١٢٦).
وعنقاء بن وبير: هو الشريف عنقاء بن وبير بن محمد بن عاطف بن أبي دعيج، قريب صاحب الحجاز، وصهره على ابنتيه -واحدة بعد الأخرى- وعلى أخته قبلهما، إلا أنه سخط عليه في آخر أيامه؛ لتوهمه استمالته مع المصريين، وأمره بطلاق ابنته (الضوء اللامع ٦/١٤٩).

(٢) منائح الكرم (٣/١١٤-١١٦)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٢٩٥-٢٩٦). وانظر: سمط النجوم (٤/٢٩٨).

(٣) أي سنة: ٩٠٧هـ.

[العسكر][1]، والمحتسب، والشهاب العيني.

وسأل الجماعة الحاضرون له العفو فلم يجابوا إلى ذلك، بل أقيم من المجلس بعد أن لطمه السيد قايتباي بن محمد، وأُودع السجن، وأُخذت أمواله الظاهرة، وأمر ببيع عقاره، فبيع غالبه. انتهى.

وقال ابن فهد في بلوغ القرى[2]: وبعدما أمر الشريف بركات بالمواظبة والحفظ على القاضي الشافعي، توجه البوقيري وابن قنيد إلى بيته وأخرجوا أولاده وبناته وعيالهم إلى بيت بهاء الدين، وختموا على بيوت القاضي وأولاده صلاح الدين وبهاء الدين، وبنتيه، وأخيه سيد الناس داخلاً وخارجاً، إلا باب بهاء الدين الكبير، فجمعوا النسوان في الدهليز وغلقوا الباب من خارج، ثم توجّهوا بصلاح الدين وإخوانه وبني عمه والبطيني فردّوهم كلهم، إلا ولده صلاح الدين وأخاه سيد الناس والبطيني، وترك الأولان ببيت البوقيري، وحبس البطيني عند ابن قنيد، ثم لما كان بعد المغرب أو العشاء حضر ابن قنيد إلى بيت بهاء الدين، وأخرج النسوان وذهب ببنات القاضي الثلاثة، ثم في صباحها حضر البوقيري إلى بيت القاضي وسمّر بعض الخوخ والباب الذي من حارة قريش، وكان هذا الأمر فظيعاً، وشقّ على الخيرين من الناس ولا قوة إلا بالله، والله يفرّج عنا وعنهم وعن المكروبين.

---

(١) في الأصل: عسكر. والمثبت من منائح الكرم (١١٦/٣).
وهو قانصوه الجوشن (انظر: غاية المرام ١١٥/٣).

(٢) بلوغ القرى (ص: ١٢٦-١٢٧).

ثم كتب للشريف محضر وفيه: أن السيد الشريف محمد بن بركات والقاضي الشافعي برهان الدين بن ظهيرة كانا شيئاً واحداً، ثم السيد بركات والقاضي أبو السعود كذلك، ثم إن العسكر صاروا ينقلون للسيد بركات عن القاضي أشياء وهو يكذّبها، إلى أن اتفق في الموسم مما اتفق، ثم لما وصل بعد الموسم السيد بركات وهرب السيد هزاع أراد السيد بركات يتجهز لزبيد، فصار القاضي يفخده[١] ويقول له: نيتهم مع جازان الصلح، وصار يكاتب جازان ويرسل له بالثياب والحلوى والأوراق، ثم أرسل له السيد بركات ولامه فاعتذر، وقال: إنهم واصلون، وإني أريد أن أظهر ولدي، فإذا أظهرته يجيء جازان بلا شك، فأظهره فلم يصل، ثم جاء السيد هزاع ومعه أخواه جازان وحميضة، وزبيد، وصاحب ينبع وعسكره، وبنو إبراهيم، والصَّيَادِلة[٢] ومن يلتمّ عليهم، فكان أيضاً ما قدر، ثم لما مات السيد هزاع أقام جازان وأمر الخطيب فدعى له، ثم طاف ودعي له على زمزم، وكل ذلك [افتيات][٣] منه، ثم صار بعض الفقهاء بعد أن وصلنا يخبرنا عنه بأشياء، ثم ظفرنا بأوراق له فيها ورقة بخطه وقائمة وذكراً برمّتهما، ثم ورقة أخرى، فلما تحققنا ذلك اعتقلناه، وختمنا على أبوابه، وطالعنا الأبواب الشريفة لنعتمد على ما يرد علينا، والسلام. وكتب في المحضر القضاة والفقهاء والتجار وخلق كثير رغبة ورهبة، وبالله المستعان.

---

(١) في النسخة الأخرى لبلوغ القرى: يفخذه.

(٢) الصيادلة: بطن من بني إبراهيم من مالك من جهينة، منازلهم حول أم لج (معجم قبائل الحجاز ص: ٢٧٠).

(٣) زيادة من بلوغ القرى (ص: ١٢٦).

ثم بعد مدة أخرج البطيني بشفاعة ابن العيني.

وفي ليلة الأحد خشب على الصلاحي وسيد الناس، ثم سمع أهلهما في الصباح، فتوجه أقرباؤهما والقضاة وغيرهما إلى ابن العيني فشفع لهما عند السيد بركات، وجعل عليهما خمسة آلاف دينار وخمسمائة ترسيم للبوقيري، ثلاثة على صلاح الدين وألفان على سيد الناس، فتقدم أقرباؤهما من النسوان وأخرجوا صيغتهم ورهنوا، وباع سيد الناس على البوقيري مكانين بالجموم وواسط بثلاثمائة وستين.

وفي ليلة الأحد تاسع الشهر خرج القاضي صلاح الدين بن ظهيرة وعمه سيد الناس، وفتح بيت الأول وأبيه، ويقال: إنه جعل على القاضي ستة عشر ألفاً محققاً، وسُلِّم صلاح الدين المفاتيح والحوائج، وشرع في ثاني تاريخه في بيع جميع الموجود في بيت والده والله يدبره، ثم شرع في بيع الكتب يوم الخميس ثالث عشر الشهر، وبيع يوم الجمعة والسبت، والبيع بنحو مائة وستين أو سبعين، ثم بيع في نحو المرتين بنحو الثلاثمائة، وباع جميع ما هو في البيت من الثياب والأثاث والصيني والنحاس والمفارش والأقمشة والمراطبين والسمن والعسل والقمح ونخيل وبيوت، فمن النخيل بالهدة النزهة بألف دينار على عنقاء، وأموال أخر عليه بأربعة آلاف دينار وعلى غيره، ومن البيوت بمكة بيت [الغلة][1] بمائة وخمسة عشر، وغير ذلك، وأوردوا عشرة آلاف دينار عيناً، وأخذوا على سبيل القرض ستة آلاف، ولم يفرجوا

(١) زيادة من بلوغ القرى (ص:١٢٧).

عن القاضي، بل عاقبوه بعد ذلك وأخذوا منه عشرة آلاف أيضاً، باعوا دوراً وأصايل وثياب.

وفي غرة ذي القعدة يوم الأحد سافر السيد الشريف صاحب مكة الزيني بركات إلى جدة لأجل التوجه إلى زبيد، وخلّف أخاه قايتباي لأجل القاضي الشافعي، وكذا سافر الشهاب أحمد بن العيني بجدة لأجل إخراج الواصلين في المراكب.

ثم في ليلة الاثنين ثاني الشهر أمر قايتباي من عاقب القاضي الشافعي، فجعلوا في يديه الخشب، وجعلوا ألواحاً على صدره وظهره وأضلاعه، ففُعل به ذلك إلى أن خشي عليه الفوات، وأظنه استمر إلى أثناء النهار، فسمع ولده، فأخذ القاضي المالكي والرافعي وذهبوا إلى الشريف قايتباي، فدخلوا عليه فأطلقوه من العقاب، ويقال: إنه كان أطلقه قبل ذلك لما سكت أنينه وتدلّى لسانه، وقيل له يفوت، ويقال: إنه أُعيد عليه بعد ذلك، والله أعلم بما قدره عليه من المهالك، ثم جعل عليه عشرة آلاف أشرفي، فشرع ولده في بيع الأملاك والثياب والنخيل وبقية الأثاث ببيت البنات وغيرهم، بل وأرسل الجمال محمد بن أحمد الدقوقي إلى جدة ليبيع البيوت والصهاريج بجدة، والله يحسن العاقبة، ولا يسلّط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا.

ثم في ليلة السبت سابع الشهر سفّر إلى جهة جدة في شقدف؛ لأن يرسل بحراً إلى جزيرة ابن بركوت، ثم سفّر من جدة صبح ليلة الثلاثاء عاشر الشهر.

وفي ليلة الاثنين تاسع عشر الشهر سفّر من مكة أيضاً أولاده؛ صلاح الدين، وبهاء الدين، وتاج الدين، وسعادة، وكمالية، وأم الحسين، وسفروا بحراً إلى أبيهم بجزيرة ابن بركوت. انتهى.

وقال العصامي[١]: بعث به وأهله إلى جزيرة القنفذة[٢]، وأمر نائبه عليها أن يركبه سنبوقاً ويغرقه، ففعل ذلك به، وغرق يوم الأحد الثاني من ذي الحجة سنة سبع وتسعمائة، وأولاده وعياله ينظرون إليه.

وفي إتحاف فضلاء الزمن[٣]: أغرق في البحر يوم الجمعة ثاني عيد النحر من السنة المذكورة.

ثم إن الشريف بركات سنة تسعمائة وسبع خرج لقتال أخيه أحمد الجازاني إلى ينبع، فالتقيا سادس عشر ذي الحجة، فكسر الشريف بركات، وقتل ولده السيد إبراهيم وجماعة من عسكره. فرجع مكة ومرض بها. وتوفي بمكة ابن٠٥ السيد عجلان، وأتاه الخبر بأن أخاه الجازاني جمع جموعاً وهو قاصده، فلما تحقق ذلك خرج إلى اليمن، وأقام بها إلى رجب[٤] حتى قوي من مرضه[٥].

---

(١) سمط النجوم (٢٩٨/٤). وانظر: منائح الكرم (١١٧/٣).
(٢) القنفذة: مدينة صغيرة وميناء على ساحل البحر الأحمر الشرقي، على قرابة ٣٤٣ كيلاً جنوب مكة، وقد برزت هذه المدينة على حساب مدينة حلي التي أخذت في الاضمحلال (بين مكة واليمن ص: ١١٢-١١٣).
(٣) إتحاف فضلاء الزمن ٢٩٦/١).
(٤) سنة ٩٠٨ هـ.
(٥) منائح الكرم (١٢٧/٣-١٢٨)، وسمط النجوم (٢٩٨/٤-٢٩٩)، وإتحاف فضلاء الزمن (٣٠٨/١).

دخول الشريف أحمد الجازاني إلى مكة وخروج الشريف بركات منها إلى اليمن

فدخل الشريف أحمد مكة سنة تسعمائة وثمان، وحصل الخوف والنهب، وصادر أهلها، وأخذ أموالهم، وسبى الأرقاء، وأمهات الأولاد[١]، وكثيراً من الأولاد [الأحرار][٢]، وخرج بما أخذه إلى ينبع فافتدى جماعة من أهل مكة أولادهم بدراهم سلّموها. كذا في منائح الكرم[٣].

وفي بلوغ القرى[٤]: وفي ليلة السبت سابع شهر ربيع الأول، سنة ثمانية وتسعمائة توجه الشريف جازان إلى جدة، ورسم بجدة على ناظر جدة القاضي نور الدين الوفائي وطلب منه عشرون ألفاً، ويقال: إنه حبس بمخزن، ورسم على الناصري في ألف دينار أخذها منه، وشفع للناظر السيد حميضة فلم يقبل، ورجع بمكة مغضباً، ثم يقال: إنه لم يأخذ منه إلا ما ذكره حميضة، وهو عشرة آلاف دينار، وكان أن يأخذ منه[٥] عشرين ألفاً أو خمسة عشر، وذلك من مال السلطان المتحصل من العشور.

وفي يوم الاثنين سادس شهر جمادى الأولى طلب السيد جازان بن محمد ابن بركات القاضي أبا القاسم الحنفي، والقاضي شرف الدين الرافعي،

(١) أمهات الأولاد: الجواري اللواتي ولدن لأسيادهن.

(٢) في الأصل: والأجرار. والتصويب من منائح الكرم (١٢٩/٣).

(٣) منائح الكرم (١٢٨/٣-١٢٩).

(٤) بلوغ القرى (ص: ١٢٩-١٣٠).

(٥) كذا في الأصل، والجملة غير ظاهرة في مصورة بلوغ القرى.

والشيخ خير الدين [بن][1] أبي السعود بن ظهيرة، والنوري علي بن أبي بكر المرشدي، وشافههم بأنكم كتبتم فيّ المحضر وكفّرتموني وقلتم: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...الآية﴾ [المائدة:٣٣] وأنا أطلب [القاضي][2] المالكي، واثبتوا على ما ذكرتم، فأنكروا أن هذا لم يكن، وجرى بينهم بعض كلام، وقام عنهم وتركوا بدهليز بيت ابن كرسون، واستمروا إلى عصر يوم الأربعاء فخرجوا على مال إلا ابن المرشدي، فجعل على الرافعي ثلاثة آلاف، وعلى أبي القاسم الحنفي وخير الدين ثلاثمائة، ويقال أن المرشدي جعل عليه ألف، ثم في ليلة السبت حادي عشر الشهر اختفى الرافعي وجميع أهل بيته.

وفي يوم الأربعاء خامس عشر الشهر أمر الشريف جازان أن يهدم بيت الرافعي، فشرعوا في ذلك، ثم أرسل الرافعي محمد بن عنقا ليجيء بالأمان ويعطي ألفين، وإلا يهدم بيته ويقطع نخله.

ثم في يوم السبت ثامن عشر الشهر مسك جماعة من التجار وضيّق عليهم بالخشبة، فدفعوا ما طلب منهم وخلصوا أنفسهم، وباع بعض منهم دوراً له وبعضهم نخلاً لنجاة نفسه، واختفى كثير من التجار، بل هرب وترك أهله، والناس في أمر مَريج، والله يلطف بهم. انتهى.

---

(١) قوله: "بن" زيادة من بلوغ القرى (ص: ١٣٠).

(٢) زيادة من بلوغ القرى (ص: ١٣٠).

دخول الشريف بركات مكة

ثم إن الشريف بركات جمع جموعاً كثيرة وعاد إلى مكة، فلقي أخاه أحمد بالْمُنْحَنَى[١]، فقاتله هناك، ففرّ جماعة من الأشراف[٢] الذين مع الشريف بركات إلى جهة حراء؛ لمباطنتهم لأخيه أحمد، فكُسِرَ بركات، فهرب من منى على طريق الحسينية[٣] متوجهاً إلى اليمن، فتبعه أخوه أحمد بعسكره، فأتى الشريف بركات الخبر بأنه وراءه بعسكره، فأخلف الطريق، ودخل مكة بعد خروج أحمد في طلبه، وذلك يوم الجمعة حادي عشر شهر رمضان[٤].

ففرح به أهل مكة -لظلم من أحمد جرى عليهم- فعاهدوه على القتال معه، وبذلوا الهمّة في مساعدته، وحفروا خندقاً علو مكة[٥] وأسفلها[٦]، وحاربوا معه لما عاد[٧]، فعاد إليه أخوه أحمد المذكور صبح يوم الأربعاء ثالث

---

(١) المنحنى: هو انحناءة وادي المحصب عندما يدفع في الأبطح، وعنده اليوم القصر الملكي، والجبل الذي ينحني عليه هو جبل العَيْرة اليمانية، ويسمى اليوم جبل الشبي (معجم معالم الحجاز ٢٨٢/٨).

(٢) وهم ذوو أبي نمي (انظر: غاية المرام ١٢٦/٣).

(٣) الحسينية: عين جنوب منى على ١٢ كيلومتر في وادي عرنة قبيل اجتماعه بنعمان، والحسينية أيضاً: قرية تلك العين جنوباً بكيلين تحت برث تكتنفه سيول عرنة ونعمان يسكنها، والعين لأشراف ذوي زيد أحد أمراء مكة المكرمة (انظر: معجم معالم الحجاز ١٣/٣-١٤).

(٤) انظر: غاية المرام (١٢٧/٣)، وسمط النجوم (٢٩٩/٤)، وفيه: يوم الجمعة حادي عشر شعبان.

(٥) عند مسجد الراية وما يليه من سوق الليل (انظر: غاية المرام، الموضع السابق).

(٦) في الشبيكة بالقرب من بيت الجمال الطنبداوي وخندق عند دار الهجن (انظر: غاية المرام، الموضع السابق).

(٧) في الأصل زيادة: إليه.

عشر رمضان[١] من أسفل مكة –من جهة المسفلة– فقاتله الشريف بركات، وأهل مكة معه، وأظهر له المجاورون من الأروام[٢] الصدق، فكسر الشريف أحمد بعد قتل جماعة من الفريقين، ثم استعان واستنجد صاحب ينبع، فأعانه بجيش بعثه له فتقوى به، وقصد مكة يوم السبت رابع عشر شوال من السنة المذكورة[٣].

ودخل مكة من أذاخر، فتلقاه الشريف بركات بمن معه من أهل مكة، وقاتلهم عند باب المعلاة قتالاً شديداً، وفرّ جماعة الشريف بركات، وثبتت معه الأروام المجاورون، وأبان في ذلك اليوم عن شجاعته وقوته، وما زال حتى زحزحهم عن مصافّهم.

قال الإمام الطبري رحمه الله في النشأة: وأخبرني من أثق به أنه كان تحته ذلك اليوم فرس تسمى: الجرادة، وأنه اقتحم بها الخندق الذي [حفرته][٤] الأتراك حول سور المعلا، وهو بمفرده، وجعل يضرب بسيفه في الجيش، فانهزموا وهو يضربهم حتى أبعدهم، فذُرع[٥] بعد ذلك عرض الخندق فكان سبعة أذرع. انتهى.

وانهزم القوم راجعين إلى ينبع[٦].

---

(١) انظر: غاية المرام (١٢٧/٣، ١٢٨).

(٢) أي المقيمين من الأتراك.

(٣) أي سنة ٩٠٨هـ. انظر: غاية المرام (١٣٠/٣، ١٣٣)، وبلوغ القرى (ص:١٣٢).

(٤) في الأصل: حفرت. والمثبت من منائح الكرم (١٣٢/٣).

(٥) أي: أخذ مقاسه بالذراع.

(٦) منائح الكرم (١٢٩/٣–١٣٣)، وانظر: سمط النجوم (٢٩٨/٤–٢٩٩)، وإتحاف فضلاء الزمن (٣٠٨/١–٣٠٩)، وخلاصة الكلام (ص:٤٧–٤٨).

دخول الشريف أحمد مكة في غيبة أخيه الشريف بركات

ثم إن الشريف بركات خرج إلى اليمن، فدخل الشريف أحمد بن محمد بن بركات مكة في غيبة الشريف بركات، وأذلّ[١] أهلها، وعاقبهم أشد عقاب، وأهانهم أشد إهانة، وقتل خلقاً كثيراً، ونهب البيوت، وسبى الأرقاء وأمهات الأولاد، وكثيراً من [أولاد][٢] الناس. كذا في منائح الكرم[٣].

قال الشيخ عبدالعزيز بن فهد[٤]: واستفك الناس كثيراً من العبيد والإماء، وغالبهم ذهبوا به وأبوا عليه، وتوجهوا بكثير من النهب لينبع، وباعوا الكثير بمكة بأرخص الأثمان، وبيع النحاس والصيني بما لا يذكر، واشترى من لا يخاف الله ذلك، واستفك من له قدرة بعض قماشهم وحوائجهم بما هو أحسن من الشراء، ونُهبنا في جملة من نُهب، وأخذ لنا عبد وجارية، وتعبنا في تخليصهما لقلّة الدراهم، ولقينا بعض الحوائج بأبخس الأثمان، فعجزنا عن شرائها لعدم القدرة، بل عجزنا عن النفقة، وأراد الله لبعض الناس خيراً بأن سلمت بيوتهم على مال جُعلت لمن حضرهم، وغلب بعضهم بأن [أخذ][٥] زائداً ونهب شيئاً آخر، بل أخذ للشريف

---

(١) في منائح الكرم (١٣٣/٣): وآذى.

(٢) زيادة من منائح الكرم (١٣٣/٣).

(٣) منائح الكرم (١٢٧/٣-١٣٣). وانظر: سمط النجوم (٢٩٩/٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (٣٠٩/١)، وبلوغ القرى (ص:١٣٣).

(٤) بلوغ القرى (ص:١٣٣-١٣٤).

(٥) في الأصل: أخذا. والتصويب من بلوغ القرى (ص:١٣٤).

جازان بعض من سلم ودار الشريف جازان وأخوه حميضة بمكة، وقال لبعض العسكر حالة النهب: لا تفعل، فقالوا: ما بيننا وبينك هذا، بل بيننا وبينك أن ننهب ثلاثة أيام، ولم يسمعوا له.

قال السنجاري[١]: ثم رجع الشريف أحمد إلى ينبع، فصادف إقبال تجريدة[٢] من مصر إلى مكة، فاجتمع بأميرها، وجعل له ستين ألف شريفي أحمر على أن يقبض على الشريف بركات ويوليه مكة، فترك ينبع وعاد إلى مكة. وكان قد رجع الشريف بركات من اليمن في ثالث عشر ذي القعدة، فخرج لملاقاة مقدم التجريدة المقرّ الأشرف [قيت][٣] الرجبي أمير التجريدة، فخلع على الشريف بركات [ومن معه من الأشراف][٤] بالزاهر، ودخل مكة وهو لابس الخلعة ومعه إخوانه، وأمير التجريدة معه، ولم يزالوا إلى أن وصلوا مدرسة الأشرف قايتباي، فقبض على الشريف بركات ومن معه من الأشراف، وجُعلوا في الحديد، ونهب بيوهم، وأخذ خيولهم وأسلحتهم[٥]، ونادى في البلد للشريف أحمد الجازاني، وحج بهم مكبلين في الحديد.

---

(١) منائح الكرم (٣/١٣٣-١٣٦). وانظر: سمط النجوم (٤/٢٩٩)، وغاية المرام (٣/١٣٩)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٣٠٩-٣١٠)، وخلاصة الكلام (ص:٤٨).

(٢) التجريدة: الكتيبة من الفرسان ليس فيها راجل، كتيبة من الجند، حملة عسكرية أثناء السنة. (انظر: تكملة المعاجم العربية ٢/١٧٥-١٧٦، والمعجم الوسيط ١/١١٦).

(٣) في الأصل: قتب. والتصويب من غاية المرام (٣/١٤٤)، وسمط النجوم (٤/٢٩٩)، وبدائع الزهور (٣/٢٧٧). وفي منائح الكرم: قيتب الرجبي.

(٤) زيادة من منائح الكرم (٣/١٣٤).

(٥) في منائح الكرم: وإبلهم. وانظر تفصيلات ذلك في: غاية المرام (٣/١٤٥-١٤٧).

ثم رجع بهم إلى مصر، فغضب السلطان الغوري لذلك وأمر بإطلاقهم، وأنزل الشريف بركات في منزل خاص به هو ومن تبعه من الأشراف[١]. انتهى.

وصول الشريف أحمد الجازاني مكة

قال الشيخ عبدالعزيز بن فهد[٢]: وفي آخر يوم الأربعاء السادس عشر من شهر ذي الحجة سنة تسعمائة وثمانٍ وصل الخبر بأن الشريف أحمد الجازاني وصل الوادي أو قربه.

وفي أوائل يوم الخميس اجتمع الأمراء والقاضيان الحنفي والمالكي وكتب صورة حلف الشريف جازان، وتوجه [إليه][٣] إلى وادي الجموم في الضحى العالي القاضيان، وقاضي المحمل، [والشاهدان له][٤]، والأمير شاهين، والباش بكبيه، ودويداره؛ ليلبسوه الخلعة ويحلفوه بصورة الحلف المكتوب، فوصلوا الوادي بعد العصر فلم يجدوه، وجلسوا بالجموم عند المسجد إلى أن جاء في نحو نصف الليل، في خيل قليلة، فحلفوه وألبسوه الخلعة المعتادة ولعلها التي كانت ألبست لأخيه الشريف بركات.

قال الطبري في الإتحاف[٥]: وما زال الشريف بركات بأرض مصر ينتهز

---

(١) انظر خبر وصول الشريف إلى مصر في: بدائع الزهور (٥٧/٤).
(٢) بلوغ القرى (ص:١٣٦).
(٣) زيادة من بلوغ القرى (ص:١٣٦).
(٤) زيادة من بلوغ القرى، الموضع السابق.
(٥) إتحاف فضلاء الزمن (٣٢٠/١-٣٢٢). وانظر: غاية المرام (١٦٦/٣)، وبلوغ القرى (ص:١٤٢)، وسمط النجوم (٣٠١/٤)، ومنائح الكرم (١٤٦/٣-١٤٩).

الغفلة، ويستنجد المهلة، حتى أمكنه الفرار، وساعدته الأقدار، فتوجه إلى مكة في ساعة مخوفة، وما شعر به الغوري إلا بعد يومين، فأرسل خلفه[١] فلم يلحقه[٢]. وظفر[٣] في طريقه بالسيد بطاح الحسيني مرسولاً من أخيه الشريف أحمد بهدايا وأموال إلى السلطان الغوري، فكانت من نصيبه، لأنه قتله وأخذ ما معه.

وأما الغوري فلما فقد الشريف بركات منع جميع من كان بمصر من جماعته وعياله وحرس عليهم، فخرج أمير الحاج[٤] بعدة عظيمة من العسكر والمدافع؛ خوفاً من الشريف بركات، فبعث إليه رسولاً إلى عين القصب[٥] بمكاتيب يؤمنه ويأمره بالحج على أسر الأحوال، ويعرفه: أني من خدمة السلطان فلا يحصل [مني][٦] شيء في أمر الحاج. فلما بلغ هذا الخبر حضرة

---

(١) الأمير قايتباي أمير آخور (انظر: درر الفرائد ص: ٣٥٤).

(٢) وسبب هروبه: أن أركان الدولة أفهموه السوء في نفسه، وأخبره بعضهم أن بني إبراهيم أوعدوا الأمير الكبير بمال على أن يسعى في إرساله إلى الاسكندرية، فأشار عليه أمير سلاح قانصوه بالهرب (انظر: غاية المرام ١٦٦/٣). وفي رواية أخرى: أن السلطان الغوري قرر عليه وعلى إخوته مالاً له صورة، فما وافقوا على ذلك وهربوا (انظر: بدائع الزهور ٦٢/٤). وانظر خبر هروبه في: (درر الفرائد ص: ٣٥٤، وخلاصة الكلام ص:٤٨).

(٣) أي الشريف بركات.

(٤) هو قيت الرحبي.

(٥) عين القصب: هي عينونا، وادٍ يسيل من جبل زهد يصب بالبحر الأحمر، وعند مصبه منهل فيه مياه ونخل كان محطة للحجاج على مرحلتين من مغارة شعيب شعيب في بر مدين (البدع اليوم) وهي عيون سارحة ضعيفة المنبع ينبت عليها القصب، لهذا سمى الحجاج هذه المنطقة بعيون القصب نسبة لأبرز شيء فيها وجهلهم باسمها الحقيقي، كما كان الحجاج يقيمون بها يوماً بكامله فيها للاغتسال وغسل القماش [illegible]

[illegible]

السلطان رَضِيَ عنه، وجهَّزَ له عياله وجميع ما هو له بمصر.

وفي سنة تسع وتسعمائة مدة غيبة مولانا الشريف بركات بمصر صبح يوم الجمعة، التاسع من شهر رجب، قُتل الشريف أحمد بن محمد الجازاني في الطواف في الشوط الثالث، قتله جماعة من الأتراك بمواطأة من أخيه حميضة. انتهى[١].

قال عبدالعزيز بن فهد[٢]: وبعدما قتل -وكان ملقى بالمعجنة- صار النساء والرجال يأتون إليه ويشتمونه، ويذكرون له قبائح ما فعله، فأمر الباش عبدالله المصري مشيع الطرحا يأخذه ويذهب به إلى بيته، ويسأل أخاه حميضة ما يفعل به، فحمل إلى بيته وشاور أخاه، فأمر بدفنه على أخيه مهيزع، فحمله بحاله إلى المعلاة، ودفن على أخيه المذكور ببعض ثيابه بلا غسل ولا صلاة، ولم يشيّعه أحد، بل حضر دفنه مسعود بن قنيد وأبو القاسم الهيصمي. انتهى.

ولاية الشريف حميضة بن محمد بن بركات

قال السنجاري[٣]: وبعد دفن الشريف أحمد الجازاني ألبس الأمير

---

(١) انظر: منائح الكرم (٣/١٤٦-١٤٩)، وبلوغ القرى (ص:١٣٩)، والسنا الباهر (ص:٦٩-٧٠)، وسمط النجوم (٤/٣١٥-٣١٦)، وخلاصة الكلام (ص:٤٨)، وغاية المرام (٣/١٦٦).

(٢) بلوغ القرى (ص:١٣٩). وانظر: غاية المرام (٣/١٦٦).

(٣) منائح الكرم (٣/١٤٩-١٥٣). وانظر: السنا الباهر (ص:٧٠)، وخلاصة الكلام (ص:٤٨).

بلباي[1] باش [العسكر][2] أخاه السيد حميضة خلعة لولاية مكة، وأقامه على الحجاز حتى يأتي أمر السلطان من مصر، وكتبوا إلى السلطان الغوري بذلك.

ثم إن الشريف حميضة بن محمد قابل أمير الحاج المصري[3] مع يحيى بن سبيع بالينبع، فلبس الخلعة الواردة وحج بهم ذلك [العام][4].

وأما ما كان من أمر الشريف بركات؛ فإنه سار من ينبع إلى المدينة، ومنها إلى الشرق، فترل على السيد حميدان بن شامان الحسيني، وكان بعض الأشراف [قد][5] خطب ابنته الشريفة عيشة[6]، فقبله -وفي الحي زير يضرب، وقد تهيؤوا للزواج، ولم يبق غير العقد-، فسأل الشريف بركات

---

(١) بلباي: هو بكبيه أو بكباي أو بك باي دوادار الأتابكي. انظر هذا وعن دوره في الأحداث في: غاية المرام (٣/١٤٦، ١٤٨، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٩)، وبلوغ القرى (ص:١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٨، ١٦٠، ١٦٩)، وبدائع الزهور (٤/٦٢)، ودرر الفرائد (ص:٣٥٣، ٣٥٤).

(٢) في الأصل: عسكر. وباش العسكر: اسم وظيفة يتألف من لفظة: باش، وهي تركية بمعنى رأس أو رئيس، والعساكر بمعنى الجنود، ولفظة باش كانت اسم وظيفة في العصر المملوكي، حيث كان لكل مائة جندي من أجناد الحلقة في زمن المماليك البحرية باش، أي رأس أو رئيس، كما أطلقت بصفة عامة على الرئيس، ويضاف إلى ما تقدم أن باش العساكر أو باش الأعسكر كانت وظيفة عسكرية عالية في هذا العصر (انظر: الفنون الإسلامية ١/٢٩٣).

(٣) وهو أنص باي أو أنسباي بن ولي الدين الذي كان أمير الركب الأول سنة ٩٠٨ هـ (انظر: بدائع الزهور ٤/٥٠، ٦٢، ودرر الفرائد ص:٣٥٣، ٣٥٤).

(٤) زيادة من منائح الكرم (٣/١٥٠). وانظر هذا الخبر في: درر الفرائد (ص:٣٥٤)، وخلاصة الكلام (ص:٤٨).

(٥) زيادة من منائح الكرم (٣/١٥١).

(٦) في منائح الكرم: غبية. وفي سمط النجوم: عبية.

من العريس أن يسمح له بهذه البنت فيتزوجها، فسمح له بها، فعقد لها على الشريف بركات، فدخل بها الشريف بركات، فحملت منه بالشريف أبي نمي ابن بركات، فولدت له السيد المذكور ليلة التاسع من ذي الحجة سنة تسعمائة وإحدى عشر[١].

رجع[٢]: ولما كان يوم التروية[٣] سنة تسعمائة وتسع[٤] هجم الشريف بركات بمن معه من العرب -بني عقبة[٥] وبني لام[٦]، وأخلاط من العرب-

---

(١) انظر خبر ولادته في: درر الفرائد (ص:٣٥٥)، وسمط النجوم (٤/٣٠٥-٣٠٦)، وخلاصة الكلام (ص:٤٩).

(٢) أي: رجع الحديث إلى بركات.

(٣) وهو اليوم الثامن من ذي الحجة الذي يسن للحاج أن يتوجه به إلى منى قبل الزوال وأن يصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والمبيت بها، ولا يغادرها حتى تطلع شمس يوم عرفة تأسياً بفعل رسول الله ﷺ (انظر: القرى لقاصد أم القرى ص:٣٧٦-٣٧٩، ودرر الفرائد ص:٥٩٥). واختلف في تسمية ذلك اليوم يوم التروية، فقيل: مشتق من الرواية، لأن الإمام يروي الناس مناسكهم. وقيل: من الارتواء؛ لأنهم يرتوون الماء في ذلك اليوم ويجمعونه بمنى. وقيل: من الروية، وهي الفكر؛ لأن إبراهيم عليه السلام أري ليلة الثامن ذبح ولده، فأصبح يتروى في ذلك، أي يفكر فيه (القرى لقاصد أم القرى ص:٣٧٨).

(٤) في منائح الكرم (٣/١٥٢): تسعمائة وثمان.

(٥) بنو عقبة: هم بطن من جذام، من القحطانية. وهو بنو عقبة بن مخرمة بن حزام، كانت ديارهم من الكرك إلى الأزلم في بيرة الحجاز وعليهم درك الطريق ما بين مصر والمدينة المنورة إلى حدود غزة من بلاد الشام، وفي رواية أخرى: عليهم درك الحجيج من العقبة إلى الأزلم. وفرقة منهم بالحجاز من بني واصل بن عقبة، وبأفريقية منهم بقية بنواحي طرابلس (انظر: نهاية الأرب ص:٣٦٤، ومعجم قبائل الحجاز ص:٣٣٧-٣٣٩).

(٦) بنو لام بن عمرو: بطن من جديلة، من طيء، من زيد، من كهلان، من قحطان. كانت [illegible]

على مكة، ونهبت العرب[١]، فأرسل الأمراء للشريف بركات، وضمنوا له أن يأخذوا له من -الشريف حميضة- أخيه خمسة آلاف دينار[٢]، فقال حميضة: ما لي قدرة، فأعطاه الأمراء من مال الصر[٣] الذي جاؤوا به[٤]، فكف العرب[٥].

قال عبدالعزيز بن فهد[٦]: فصعد الأمراء والحجاج في صبح اليوم التاسع يوم الجمعة إلى عرفة، فتبعهم كثير من الناس فلم يحصل لهم ضرر، وتوجه بعض الناس بعدهم فحصل لهم تشويش، فبعضهم نهب، وبعضهم رجع، وبعضهم توجّه بعد أن حصل لهم بعض مناوشة بينهم وبين الأعراب قرب منى، وغالب أهل مكة لم يحجوا، وتخلّف قاضي القضاة المالكي وعيال الشافعي، وكنا ممن تخلّف.

---

(١) في غاية المرام (٣/١٧٠)، وبلوغ القرى (ص:١٤٣): "وفي اليوم الثامن خرج جماعة من الفقراء مشاة للحج فخرج عليهم خيل ورجل ونهبوهم".

(٢) في غاية المرام وبلوغ القرى: "ألفي دينار، ألفاً حاضرة، وأخرى إلى منى".

(٣) مال الصر: هو مصطلح تاريخي أطلق على الاعتمادات المالية المخصصة للحجاز، والتي كانت ترصده الحكومة المصرية في ميزانيتها وترسله سنوياً مع قافلة الحج المصري، ثم ألزمت مصر بإرسال هذه الالتزامات القديمة والمستحدثة في عهد الدولة العثمانية، وأصبح ذلك من أهم واجبات الباشا العثماني فيها، ويحاسب حساباً إذا قصر في إرسالها(انظر:الدولة العثمانية ٦٥/١، والإعلام ص:٢٨٥).

(٤) في غاية المرام (١٧١/٣)، وبلوغ القرى (ص:١٤٣): "فدل الأمير شاهين الأمراء على الواصل لأهل مكة من الروم".

(٥) انظر هذا الخبر في: غاية المرام (٣/١٧٠)، وبلوغ القرى (ص:١٤٣) بشكل مخالف لما أورده السنجاري، ومنائح الكرم (٣/١٥٢-١٥٣)، وخلاصة الكلام (ص:٤٩).

(٦) بلوغ القرى: (ص:١٤٣-١٤٤).

وأقام الحاج بعرفة إلى آخر النهار، والشريف بركات بعسكره نازل بعرفة تحت الجبل الذي يباع عنده الغنم والسمن وغيرهما، ووقف الحاج كعادتهم مع تخوفهم من بركات وجماعته؛ لكثرتهم وكثرة ضجيجهم، ويقال: إنهم كانوا يودون الغارة على الحاج، ولكن يمنعهم السيد بركات، ونفر الكل سالمون إلى مزدلفة، ثم من مزدلفة إلى منى ليلاً، فنُهب بعضهم، ومن جملتهم الخطيب، وأُخذ جمله.

وفي ضحى يوم الخميس ثاني عشر ذي الحجة من سنة ٩٠٩ سافر [إلى][١] جدة قافلة كبيرة تزيد على ألف جمل، وسافر معها جماعة من زبيد وبني إبراهيم، وجبيت القافلة يقال لمالك[٢] أخذ على كل شقدف ستة محلقة، وقيل: على كل جمل مطلقاً ستة محلقة، وعلى كل حمار محلقان، فهذه سيئة ابتدعت، أخزى الله فاعلها.

وفي يوم الجمعة ثالث عشري الشهر سافر إلى جدة قافلة ثانية مثل الأولى، وسافر معها الأمير شاهين الجمالي نائب جدة، وقاضيها الشافعي فجبيت القافلة كالأولى.

وفي صبح يوم السبت ثاني شهر محرم الحرام سنة ٩١٠ توجه إلى جدة قافلة، فبعد خروجها من مكة حطّت عند سبيل شميلة إلى أن تكاملت، ثم رحلت من ذلك الموضع بعد الزوال وتوجهت إلى جدة، فجبيت بجدة كما فعل بالقوافل التي تقدمت. انتهى.

---

(١) زيادة من بلوغ القرى (ص:١٤٤).
(٢) لعل المراد بذلك مالك بن رومي الزبيدي الآتي ذكره في الصفحة التالية.

رجوع الشريف بركات لولاية مكة

وفي سنة عشر وتسعمائة أرسل السلطان الغوري بولاية مكة لمولانا الشريف بركات بن محمد، وكان قد دخل مكة بالسيف، وأخرج حميضة وأمَّن الحجاج، وجاءه التفويض طبق ما في مراده. ذكره الطبري في الإتحاف[١].

وفي منائح الكرم[٢]: ثم إن السلطان الغوري أرسل بالتفويض إلى الشريف بركات بأمر مكة سنة تسعمائة وعشرة، وأن المعول في الأمور عليه، فأمر أن يخلع على أخيه قايتباي ويدعى له ولابنه علي بن بركات، ويختص الشريف بركات بالدعاء على المنبر.

وفي سنة تسعمائة وثلاث عشرة خرج الشريف بركات لقتال مالك بن رومي الزبيدي الذي كان سبباً في نهب مكة المشرفة زمن أخيه أحمد إلى جبل الروحاء[٣]،وقُتل مالك بن رومي وأولاده الثلاثة: مقرض[٤]، وقادم، وزاعر[٥]،

---

(١) إتحاف فضلاء الزمن (١/٣٢٢).

(٢) منائح الكرم(٣/١٥٤-١٥٧،و١٧٣-١٧٧، و١٩٨-١٩٩).وانظر:خلاصة الكلام(ص:٤٩).

(٣) في غاية المرام (٣/٢٠٠)، وبلوغ القرى (ص:١٧٣، ١٧٤): "أنهم ظفروا بهم بجبل قرب الروحاء" وهو الأصح. فالروحاء: كانت قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة بينهما واحد وأربعون ميلاً، واليوم ٧٥ كيلومتراً، وهي ليست عامرة، بل فيها بيوتات ومقاه، وسكانها الرحلة وعوف من حرب، وبها بئر كانت تسمى سجسج، وواديها يسمى سجاسج، واليوم الدارة (انظر: معجم ما استعجم ٦٨١/١، ٦٨٢، وقلب الحجاز ص:١٥٧).

(٤) في غاية المرام (٣/٢٠١): مقرّظ.

(٥) في منائح الكرم: داعر. وفي غاية المرام: ذاعر، وفي إتحاف فضلاء الزمن: أذاعير.

وأخاه مشهور بن رومي، وطائفة منهم، وبعث برؤوسهم إلى الغوري، ونصبت على أبواب مصر، وحصل بذلك غاية الفرح للسلطان[١].

وفي هذه السنة[٢] توفي السيد علي بن بركات[٣]، فجعل عوضه أخاه محمد بن بركات، وكان كل منهما يلبس معه الخلعة -أعني محمداً وقايتباي-[٤].

وفي سنة تسعمائة وخمس عشرة بعث مولانا الشريف السيد عرار بن عجل[٥] إلى السلطان الغوري بهدية، من جملتها عشرون عبداً حبشياً، وعشرون ألف دينار ذهباً، وعشرون فرساً، وثلاثة آلاف دينار للدويدار. فقابلهم السلطان، وخلع عليه وعلى من معه، وأرسل إلى مولانا الشريف بخلعة وهدية سنية، وخاطبه بخطاب بليغ، وفوّض إليه جميع أمور الأقطار الحجازية حتى ينبع وغيرها[٦].

---

(١) انظر هذه الأخبار في: درر الفرائد (ص:٣٥٦)، وغاية المرام (٣/٢٠٠-٢٠٢)، وبلوغ القرى (ص:١٧٤)، وسمط النجوم (٤/٣١٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٣٢٤).

(٢) أي سنة: ٩١٣هـ.

(٣) انظر سنة وفاته في: غاية المرام (٣/٢٠٧-٢٠٨)، وبلوغ القرى (ص:١٧٦)، وخلاصة الكلام (ص:٤٩).

(٤) انظر: غاية المرام (٣/٢١١-٢١٢) وفيه أن تعيين محمد بن بركات كان سنة ٩١٤هـ، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٣٢٤).

(٥) عرار بن عجل بن رميح النموي الشريف، أخو زوجة الشريف بركات أم الكامل. كان رسوله الدائم إلى السلطان قانصوه الغوري ويده اليمنى في أكثر الأمور. توفي بالطاعون في اسطنبول سنة ٩٤٥هـ (انظر: البرق اليماني ص:٩١-٩٢).

(٦) انظر هذه الأخبار في: غاية المرام (٣/٢١٦-٢١٨) إلا أنه لم يذكر تفويض السلطان له بإمرة الأقطار الحجازية،وسمط النجوم (٤/٣١٧-٣١٨)، وإتحاف فضلاء الزمن(١/٣٢٤ و٣٣١)، وخلاصة الكلام (ص:٤٩).

وحصل بمكة فرح عظيم بقتل من قتل من زبيد، ومدح الشعراء الشريف على ذلك[١].

وفي سنة تسعمائة وثمان عشرة توفي السيد قايتباي في يوم الأحد حادي [عشري][٢] صفر بأرض حسان، فحمل إلى مكة على أعناق الرجال، ومعه أخوه الشريف بركات، فدخل به مكة ربع الليل، فجهزه في منزله ونزل به إلى المسجد، وصلى عليه، وطيف به سبعاً[٣]، ودفن في المعلا بجوار قبر أبيه.

وكان جواداً كريماً، حزن عليه الناس، ورثاه الشعراء بعدة قصائد[٤].

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة أرسل السلطان الغوري يطلب الشريف بركات إلى عنده، فأرسل يعتذر إليه، وأرسل ابنه أبا نمي بن بركات بدله إلى مصر ومعه السيد عرار بن عجل، وقاضيا مكة: صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي، ونجم الدين بن يعقوب المالكي، [وولديه][٥] القاضي محمد، والقاضي تاج الدين، وجملة من القوّاد. فتوجهوا إلى مصر ومعهم السيد

---

(١) منائح الكرم (١٥٧/٣).

(٢) في الأصل: حادي عشر. والمثبت من منائح الكرم (١٧٣/٣)، وسمط النجوم (٣٠٢/٤). وانظر تاريخ وفاته في: خلاصة الكلام (ص:٤٩). وفي غاية المرام (٢٤٧/٣): حادي عشري ربيع الأول، وفي إتحاف فضلاء الزمن(٣٣٠/١):حادي عشر صفر الخير، وفي درر الفرائد(ص:٣٥٨)، والسنا الباهر (ص:١٤٣): حادي عشر ربيع أول.

والراجح: حادي عشري ربيع الأول، لقول المصادر به ومن بينها المعاصرة زماناً ومكاناً.

(٣) من البدع التي استحدثت في تلك الفترة الطواف بالميت ثم أزالها الله.

(٤) انظر: غاية المرام (٢٤٧/٣-٢٤٨).

(٥) في الأصل: وولداه. والمثبت من منائح الكرم (١٧٥/٣).

أبو نمي -وعمره إذ ذاك ثماني سنين-. فلما دخلوا مصر قابلهم السلطان الغوري بالإعزاز والإكرام، وأجلس السيد أبا نمي على حجره، وقبّل يده، وفرح به غاية الفرح.

وكان السلطان الغوري يتجهز للخروج إلى قتال، فسأل السيد أبا نمي: ما سورتك؟ فقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ [الفتح: ١]، فاستبشر الغوري بذلك، ثم جعله شريكاً لوالده في إمرة مكة وجدة وينبع وسائر الأقطار الحجازية، وكتب له توقيعاً شريفاً بكل ذلك وأعاده إلى والده.

وأكثر الشعراء المدائح والتهنئة، وكان يُدعى لهما على المنابر(١).

وفي سنة تسعمائة وعشرين حجّت زوجة السلطان الغوري ومعها ولده محمد، وصاحب السر محمود(٢)، فأكرمهم مولانا الشريف بركات، [وقام](٣) بكل ما يحتاجونه أتم قيام(٤).

---

(١) انظر هذا الخبر في: سمط النجوم(٤/٣٠٢-٣٠٣، ٣٢٢-٣٢٣)، ومنائح الكرم(٣/١٧٥-١٧٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٣٣١)، وخلاصة الكلام (ص:٤٩-٥٠).

(٢) هو محمود بن محمد بن محمود بن خليل بن أجا التدمري الأصل الحلبي ثم القاهري الحنفي، محب الدين أبو الثناء. ولد بحلب سنة ٨٥٢هـ. طلبه الغوري وولاه كتابة السر بالقاهرة عوضاً عن ابن جيعان سنة ٩٠٦هـ، واستمر فيها إلى آخر الدولة الجركسية، فكان آخر كتاب السر في الديار المصرية، ولما دخل السلطان سليم مصر عرض عليه وظيفته فاستعفى وعاد إلى حلب حيث توفي فيها سنة ٩٥٢هـ (انظر: بدائع الزهور ٥/٣٤، ٤٠٩، ٤١٢، ٥/٣٠٧، والكواكب السائرة ١/٣٠٣، وشذرات الذهب ٤/١٣٩-١٤٠).

(٣) في الأصل: وأقام له. والمثبت من منائح الكرم (٣/١٩٩).

(٤) انظر: خبر حج ابن السلطان ووالدته في: غاية المرام (٣/٢٩٩-٣٠٠)، وبدائع الزهور (٤/٤٠٩، ٤١٣، ٤٣٢)، ودرر الفرائد (ص:٣٦٠)، وسمط النجوم (٤/٣٢٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٣٣٩-٣٤٠)، وخلاصة الكلام (ص:٥٠).

فسألاه أن يتوجه معهم إلى مصر ليجازوه على فعله، فسار معهم، وأكثر شعراء مصر من مدائح الشريف بركات بقصائد كثيرة لما وصل إلى مصر. انتهى[١].

قال في الخلاصة[٢]: وكانت هذه ثالث مرة لدخوله مصر، وأكرمه السلطان وأجزل برّه والإحسان إليه، ثم رجع إلى مكة في شهر رجب من العام المذكور، وزيّنت مكة لقدومه، وكان يوم قدومه أكبر فرح.

وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة كان القتال بين السلطان الغوري والسلطان سليم خان ملك القسطنطينية بمرج دابق[٣]، وكسرت الجراكسة، وفقد السلطان الغوري في المعركة تحت سنابك

---

(١) انظر خبر حج زوجة السلطان الغوري في: غاية المرام (٣/٢٩٩-٣٠٠)، وبدائع الزهور (٤/٤٠٩، ٤١٣، ٤٣٢)، ودرر الفرائد (ص:٣٦٠)، وسمط النجوم (٤/٣٢٨)، ومنائح الكرم (٣/١٩٨-٢٠٠)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٣٣٩-٣٤٠)، وخلاصة الكلام (ص:٥٠). وانظر أخبار زيارة الشريف بركات إلى مصر في: غاية المرام (٣/٣٠١-٣١٦)، وبلوغ القرى (ص:٢٢٣-٢٢٦)، وبدائع الزهور (٤/٤٣٩-٤٤٢، ٤٤٧-٤٤٩، ٤٥٣، ٤٥٥-٤٥٧)، ودرر الفرائد (ص:٣٦٠)، وسمط النجوم (٤/٣٢٩).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٥٠-٥٢).

(٣) مرج دابق: مرج معشب نزه شمالي مدينة حلب عند قرية دابق، من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ على الطريق بين منبج وأنطاكية على نهر قويق (معجم البلدان ٢/٤١٦-٤١٧، ودائرة المعارف الإسلامية ٩/٦٩-٧٠).

الخيل[١]، ودخل السلطان سليم مصر يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة.

وكان السلطان سليم كثير المحبة لأهل الحرمين، وهو أول من رتّب لهم صدقة الحب[٢].

ولما فرغ من أمر مصر أراد أن يجهز جيشاً إلى مكة المشرفة، وكان بالديار المصرية القاضي صلاح الدين بن أبي السعود بن ظهيرة معتقلاً بها، صادره الغوري يطلب منه عشرة آلاف دينار، فعجز، فأمر بحمله إلى مصر، فاعتقله ثمة[٣]، فأطلقه السلطان سليم لما دخل مصر[٤]، فلما سمع القاضي تجهيز الجيش[٥] اجتمع بوزير[٦] مولانا السلطان سليم وعرّفه عظمة صاحب

---

(١) انظر في هذا: منائح الكرم (٣/٢٠٧-٢٠٨)، والإعلام (ص:٢٤٣، ٢٧٧-٢٧٨)، والكواكب السائرة (١/٢٩٥-٢٩٧)، وشذرات الذهب (٤/١١٤-١١٥، ١٤٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٣٥٨).

(٢) انظر صدقة الحب هذه والتي كانت زنتها ٧ آلاف إردب لأهل مكة والمدينة وكيفية توزيعها في: الإعلام (ص:٢٨٧-٢٨٩)، وأعلام العلماء (ص:١٠٦).

(٣) انظر خبر اعتقال القاضي في: غاية المرام (٣/٣٣٤-٣٣٥)، وبدائع الزهور (٥/٨٠-٨١)، وسمط النجوم (٤/٣٣٠) نقلاً عن السمرقندي.

(٤) في بدائع الزهور (٥/٨٠)، والإعلام (ص:٢٨٤): أن من أطلق سراحه هو السلطان طومان باي.

(٥) وسبب تجهيزه الجيش كما ذكر العصامي في سمط النجوم (٤/٣٢٩-٣٣٠) نقلاً عن السمرقندي: "أنهى إليه بعض الحساد أن جميع الملك والسلطان طرازه الأعظم ملك الحرمين الشريفين واعمالهما، والدعاء لمولانا على منابرهما، فشرع في تجهيز جيش كثيف للحرمين الشريفين".

(٦) واسمه: بير محمد الجالي الصديقي المعروف ببيري باشا الأعظم أو الصدر الأعظم. تولى الوزارة بعد مقتل يونس باشا من قبل السلطان خان. عزل نفسه عنها سنة ٩٢٩ هـ (انظر: بدائع الزهور ٥/٣١٠-٣١١، والإعلام ص:٢٩٥-٢٩٦، وسمط النجوم ٤/٣٣٠).

مكة، ومترلته من الشرف، وأنه من خدم مولانا السلطان، وأن الرأي إرسال مكتوب إليه، ولا تبدو منه مخالفة أبداً، ولا يحتاج إلى تجهيز جيش.

فاستقر الحال على إرسال توقيع شريف لمولانا الشريف بركات، وإبقاء الشريف أبي نمي على شركة أبيه، نظير توقيع السلطان الغوري، وكتب القاضي صلاح الدين لمولانا الشريف يعرّفه بما وقع، [ويسأله](١) إرسال ابنه الشريف محمد أبي نمي إلى الحضرة السلطانية [ليتشرف](٢) باللقاء، ويكون دليلاً على الرضا والبقاء. فقبل الشريف ذلك.

فلما وصل إليه الأمر السلطاني أرسل ابنه أبا نمي(٣)، وأطلق السلطان سليم الجماعة الذين كانوا بمصر من أعيان مكة -في حبس الغوري- وأرسل بهم بعد إكرامهم إلى مكة(٤).

وأرسل الأمير مصلح بك(٥) بمحمل رومي(٦) وكسوة للكعبة وصدقات(٧).

---

(١) في الأصل: ويسأل منه. والمثبت من منائح الكرم (٣/٢٢٧).

(٢) في الأصل: يتشرف. والمثبت من منائح الكرم، الموضع السابق.

(٣) انظر خبر هذا التوقيع وإرسال ابن الشريف في: سمط النجوم (٤/٣٣٠) نقلاً عن السمرقندي.

(٤) انظر هذه الأخبار في: منائح الكرم (٣/٢٢٤-٢٢٧)، والإعلام (ص:٢٨٤).

(٥) هو الأمير مصلح الدين بك، أحد أمراء السلطان سليم خان وخازنداره (انظر هذا والأعمال التي قام بها في مكة والمدينة في: الإعلام ص:٢٨٤-٢٩٠، وبدائع الزهور ٥/٢١٣-٢١٥، ٢٢٨).

(٦) المحمل الآتي من الدولة العثمانية.

(٧) منائح الكرم (٣/٢٢٤-٢٢٧)، والإعلام (ص:٢٨٤).

ولما وصل الشريف أبو نمي إلى مصر قابله السلطان سليم بالإجلال والإكرام، وأعاده شريكاً لوالده، وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة.

وخطب يوم التروية الشريف النويري، ودعا لحضرة مولانا السلطان سليم، وخطب بعرفة قاضي مكة القاضي صلاح الدين بن ظهيرة، ودعا للسلطان في الموقف الأعظم.

وتوفي السلطان سليم سنة تسعمائة وست وعشرين، وتولى ابنه مولانا السلطان سليمان[١]، وأرسل بالتأييد لصاحب مكة مولانا الشريف بركات وابنه السيد أبي نمي.

واستمر الشريف بركات إلى أن توفي رابع عشر ذي [القعدة][٢] سنة تسعمائة وإحدى وثلاثين، وصُلّي عليه تجاه الكعبة، وطيف به[٣] سبعاً، ودفن بالمعلا، وبني عليه قبة[٤]، وله من العمر إحدى وسبعون[٥] سنة، وكانت مدة ولايته استقلالاً ومشاركة لأبيه وولده وإخوته نحو ثلاث وخمسين سنة[٦].

---

(١) السلطان سليم خان القانوني (٩٠٠-٩٧٤ هـ) هو ابن السلطان سليم خان ابن السلطان با يزيد الأول سلطان الدولة العثمانية. بلغت الدولة العثمانية في حكمه أعلى درجات الشرف والكمال. كان عالي الهمة عالماً. اشتهر بالعدل والفتوحات. له خيرات كثيرة في الحرمين الشريفين والقدس وغيرها من البلاد، وعمّر الكثير من المدارس. توفي في بعض غزواته بعد أن أوصى بالخلافة لولده سليم (انظر ترجمته في: بدائع الزهور ٥/أحداث سنة ٩٢٦، ٩٢٧ هـ، والإعلام ص:٢٩١-٣٥٥، وتاريخ سلاطين آل عثمان ١/٤٠-٥١، والكواكب السائرة ٣/١٥٦-١٥٧).

(٢) في الأصل: ذي الحجة. وهو خطأ. والمثبت من منائح الكرم (٣/٢٤٣).

(٣) من البدع التي احدثت الطواف بالميت ثم أزالها الله تعالى.

(٤) بناء القباب على الأموات من البدع المستحدثة وليست من الإسلام في شيء.

(٥) انظر مقدار عمره في: سمط النجوم (٤/٣٠٥)، وخلاصة الكلام (ص:٥٢)، وهو خطأ؛ لأنه ولد حسب اتفاق المؤرخين سنة ٨٦١ هـ. (انظر: غاية المرام ٣/٣٦) فيكون عمره حوالي ٦٨ سنة وأشهراً أو ٦٩ سنة وأشهراً.

(٦) انظر ما سبق من الأخبار في: منائح الكرم (٣/٢٣١-٢٤٤).

وفي الإتحاف[١]: جملة ولايته استقلالاً وشراكة أربع وخمسون سنة. وأعقب من الأولاد: ثقبة، وأبا القاسم، وحازماً، وواصلاً، وسنداً، وعلياً، ومحمد أبا نمي. انتهى.

وفي الخلاصة[٢]: أعظمهم وأعلاهم قدراً الشريف أبو نمي[٣].

ولاية الشريف أبي نمي استقلالاً بعد وفاة أبيه

فولي مكة بعد وفاة أبيه وعمره عشرون سنة، وقد أعز الله الشريف أبا نمي هذا وأعلاه ورفع شأنه، وجعل له من الذكر والصيت ما لم يكن لأحد من أسلافه وآبائه. شارك والده في ولاية مكة وعمره ثمان سنين، ثم أبقاه السلطان سليم على المشاركة، ثم استقل بأعباء سلطنة الحجاز بعد موت أبيه، [وعمره إذ ذاك عشرون سنة][٤]، وجاءته المراسيم السلطانية السليمانية، فخمدت بولايته نار الفتن، وأبهج بمكة وجه الزمن، وأرسل ابنه السيد أحمد بصحبة سليمان باشا الذي كان في اليمن حين أراد التوجه إلى مصر، وأصحب معه السيد عرار بن عجل والقاضي تاج الدين المالكي، فوصلوا الروم[٥]، واجتمعوا بمولانا السلطان سليمان، ففرح بهم وأحسن إليهم،

---

(١) إتحاف فضلاء الزمن (٤٠٥/١).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٥٢).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:٥٢-٥٥)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٠٤-١٠٦)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:٢١٥)، والأعلام (٥٢/٦)، والسنا الباهر (ص:٧٩٩-٨٠٤).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٥) انظر: البرق اليماني (ص:٨٧-٨٨، ٩٠-٩١).

وأشرك السيد أحمد[1] مع أبيه في إمرة مكة. والسيد أحمد هذا هو جد السادة آل منديل[2] وآل حراز[3]، وتوفي السيد عرار هناك، ورجع السيد أحمد سنة تسعمائة وسبع وأربعين، ودخل مكة غرة ربيع الأول، وقرئ توقيعه بالحطيم يوم العاشر من ربيع، ولبس الخلعة السلطانية، وطاف بها، والمؤذن يدعو له ولوالده. وامتدحه الأدباء والشعراء بالشعر الرائق[4].

وفي سنة تسعمائة وإحدى وستين[5]: توفي السيد أحمد بن أبي نمي، وبعد وفاته التمس مولانا الشريف من السلطنة أن يكون عوضه السيد حسن أكبر أولاده، فجاءت التشريفات والمراسيم والخلعة من السلطنة للشريف حسن في مشاركة أبيه في ولاية مكة، وزينت البلد سبعة أيام.

---

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:٥٣-٥٥)، والنور السافر (ص:٢٥٣)، والأعلام (١/٢٣٣-٢٣٤)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٠٥)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢١٦).

(٢) آل منديل: فرع من الأشراف النحويين، وهم بنو أحمد بن أبي نمي، أبوهم منديل بن حيدر بن أحمد بن أبي نمي، كانت ديارهم مكة فنزح منهم قسم إلى وادي يبا من تهامة عسير، ومنهم جماعة في ذوي حسن حول الليث. وكان منديل والي مكة سنة ٩٣٢هـ (معجم قبائل الحجاز ص:٥١٢).

(٣) بنو حراز: ويقال لهم الحرازات: فرع من الأشراف، وهم بنو حراز بن أحمد بن أبي نمي ابن بركات. وديار الحرازات كانت بين جدة وبحرة، يخترقها الطريق وتُسمّى: الحرازية، وكانوا أهل إبل فتحضّروا، ومنهم حي في أسفل وادي العرج شرق الطائف (معجم قبائل الحجاز ص:١٠٦).

(٤) خلاصة الكلام (ص:٥٢-٥٣). وانظر: منائح الكرم (٣/٢٤٦-٢٤٧، ٢٦٦-٢٧١)، وسمط النجوم (٤/٣٣٦-٣٣٧).

(٥) خلاصة الكلام (ص:٥٥). وانظر: منائح الكرم (٣/٣٣٠ و٣٣٣).

وفي سنة أربع وسبعين وتسعمائة[١] طلب مولانا الشريف من السلطنة تفويض الأمر إلى ابنه الشريف حسن[٢]، وأراد هو العكوف [على][٣] العبادة، فجاء الأمر بالتفويض لابنه الحسن، بحيث فوض إليه أمر مكة، وجدة، والمدينة، وينبع، وخيبر، وحلي، وجميع أقطار الحجاز [من خيبر إلى حلي][٤] إلى نجد وما دخل في ذلك، وعكف مولانا الشريف أبو نمي على العبادة واجتناء العلوم، وكان جامعاً لأشتات الفضائل، حاوياً لمحاسن الشمائل، وله النثر الفائق، والشعر الرائق.

واستمر الشريف أبو نمي إلى أن توفي تاسع شهر المحرم سنة تسعمائة واثنين وتسعين بوادي الآبار من جهة اليمن، وحُمِلَ إلى مكة، وصلّي عليه تجاه الكعبة، ودُفن بالمعلا، وبُني عليه قبة[٥]، وكان عمره ثمانين سنة وشهراً ويوماً. ومدة ولايته منفرداً ومشاركاً لولديه ثلاث وسبعون سنة.

وأعقب من الذكور: الحسن، وثقبة، وبشير[٦]، وراجح، ومنصور، وسرور.

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٥٥-٥٦).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٢/٢-١٤)، وخلاصة الكلام (ص:٥٦-٦١)، والأعلام (٢/٢١٨-٢١٩)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٠٦-١٠٧)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢١٦-٢٢٢).

(٣) في الأصل: إلى. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٥٥).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنائح الكرم (٣/٣٦٤).

(٥) وقد أزيلت ولله الحمد وهي من البدع المحدثة.

(٦) في خلاصة الكلام: وشبير.

ومن البنات: ناصرة، وصالحة، وشمسية، وعنبسة[١]، [وموزة][٢]، وراية، وغيرهم[٣].

ولاية الشريف حسن بن أبي نمي استقلالاً

استقل الشريف حسن بولاية مكة بعد وفاة والده، وكان جامعاً بين الفتوة والبسالة، وكان آية عظيمة في حلّ المشكلات، مع وفور العقل وصحة الفراسات، وكان يجيز على التأليف والقصيدة الألف وأكثر، وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد على إمارة مكة، فقام بسلطنة الحجاز أحسن قيام، وضبط الأمور والأحكام على أحسن نظام، وأمنت البلاد واطمأنت العباد، وقطع دابر أهل الفساد، فكانت القوافل والأحمال تسير بكثير من الأموال مع آحاد الرجال ولو في المخاوف والمهالك، وخافه كل مقدام فاتك، وأبرزت له مخدرات العلوم من أنواع ما ينظم وينثر، فهو أول من كتب في التوقيعات، يجري على الوجه الشرعي، والقانون المحرر المرعي، فكان يكتب ذلك على الحجج الشرعية، وتبعه على ذلك من بعده من الملوك، ويكتب على القصص وهي الإنهاءات ليجاب إلى سؤاله، زاد الله في نواله، وكتبه فلان، ويمهر[٤] الحجة والقصة، ويكتب على التقارير اسمه فقط من غير أن يمهر عليها. ولما

---

(١) في منائح الكرم: وعيشة. وفي سمط النجوم: وغبية.

(٢) في الأصل: وفوزة. والتصويب من منائح الكرم (٣/٣٧٥)، وسمط النجوم (٤/٣٤٨).

(٣) خلاصة الكلام (ص:٥٥-٥٦). وانظر:منائح الكرم (٣/٣٦٣-٣٦٤، ٣٧٢-٣٧٥)، وسمط النجوم (٤/٣٤٧-٣٤٨).

(٤) ويقصد به أنه يدمغه بخاتمه (عن الدمغة انظر: تأصيل ما ورد في الجبرتي من الدخيل ص:١٠٧).

تولى مكة بعد وفاة والده[١]، وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد، وهنأه الشعراء، ومدحوه بقصائد كثيرة[٢].

ولما بنى دار السعادة التي هي متزله، جعل له بعض الأفاضل أبيات شعر كتبت في بعض الطرازات هي هذه:

يا سائلي عن محلِّ الملك من كثب   له السعادة ما أن سارت الفلك
هذي الديار التي قد عزّ منشؤها   فما بنى مثلها عجم ولا ترك
أرخت بنياها إذ تم معظمها   بنظم بيت كدرٍّ زانه السلك[٣]
ما متزل الملك إلا ما حوى حسن   وفي بنيه يكون العز والملك

فكتب ذلك في الطراز، فعظم على أخيه السيد ثقبة بن أبي نمي بيت التاريخ، فأنشأ داره المعروفة به، وكتب في طرازها شعراً أنشأه له بعض الفضلاء، وجاء فيه بقوله:

ما متزل الملك إلا ما حوى ثقبة

ففرح به السيد ثقبة غاية الفرح لمناقضته للسابق في دار الشريف حسن. فاتفق أنه لما جلس فيه للسكنى أتاه الشريف حسن للتهنئة، وجعل يقرأ الطراز، فلما وصل إلى هذا النصف قرأه بكسر الميم من الملك، فلا تسأل عما وقع للسيد ثقبة من الخجل، وعجب الحاضرون من حسن هذا التحريف من مولانا الشريف حسن.

(١) في خلاصة الكلام (ص:٥٦): ولما توفي والده تولى إمارة مكة.
(٢) انظر بعض هذه القصائد في: منائح الكرم (٣/٣٨٣-٤٣١).
(٣) السلك: الخيط (المعجم الوسيط ١/٤٤٥).

وللشيخ عبدالقادر الطبري أبيات فيها تاريخ دار السعادة في شطر هي هذه:

إن بيتاً بناه خير مليك أسس الملك كفه وأشاده
فاق في وصفه وحسن بناه كل قصر لأهل العلا والسياده
جاء تاريخ وصفه في نصيف أنا بيت الملوك دار السعاده

يقال: إن دار السعادة كان في موضع التكية المصرية الآن[١].

وقال الشيخ جعفر لبنى رحمه الله في شرح رسالة ابن زيدون: دار السعادة كانت قبالة المسجد الحرام تجاه باب أم هانئ وباب الشريف وباب أجياد -أي موضع التكية المصرية والحميدية دار الحكومة الآن-، واحترقت في حدود سنة ١١٨٤ لما ولي مكة من ذوي بركات الشريف عبدالله بن حسين بن يحيى بن بركات.

وكان من تولى من ذوي زيد[٢] ينزله، وأما ذوو بركات فينزلون في دار الهناء، ويقال: إنه في موضع بيت الشريف أبي نمي[٣] الذي تجاه باب الوداع.

وذكر السيد محمد مدني المعروف بكبريت: أنه دخل الشيخ عبدالرزاق

(١) خلاصة الكلام (ص:٥٦-٥٧). وانظر: منائح الكرم (٣/٣٧٥، ٤٣٢-٤٣٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٤٩٩).
(٢) ذوو زيد: فرع من الأشراف، كانوا أمراء مكة، نزح عدد كبير منهم إلى مصر، والباقون موزعون في كثير من مدن الحجاز، وهم بنو زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن محمد أبي نمي بن بركات. ومنهم اليوم: الأشراف ذوو غالب بن مساعد، والأشراف ذوو سرور، وآل عبدالله سكان الجال بالطائف، وآل يحيى سكان مكة، وآل سعيد سكان مكة أيضاً، وذوو مبارك، وذوو مساعد، وذوو ماضي، والعواجية (معجم قبائل الحجاز ص:٢٠٣).
(٣) في خلاصة الكلام: الشريف نمي.

الشيبي على مولانا الشريف حسن يستأذنه في السفر إلى الهند، فأنشده مولانا الشريف بيت الطغرائي:

فيم اقتحامك لج البحر تركبه وأنت تغنيك منه مصّة الوشل
أريد بسطة كفّ أستعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلي

فأجابه بقول الطغرائي من القصيدة:

فاستحسن استحضاره الجواب من القصيدة، حيث لم يكن مذكوراً عقب البيت الذي ذكره مولانا الشريف، فأمر له بألف دينار. انتهى ما في الخلاصة[1].

وفي سنة ست وثمانين وتسعمائة: سار الشريف حسن بن أبي نمي صاحب مكة إلى نجد، وحاصر معكال المعروف في الرياض ومعه من الجنود مقدار خمسين ألفاً، وطال مقامه فيها، وقتل فيها رجالاً، ونهب أموالاً، وأسر من رؤسائهم أناساً، وأقاموا في حبسه سنة، ثم أطلقهم على أنهم يعطونه ما يرضيه، وأمر فيهم محمد بن الفضل. انتهى. ذكره في عنوان المجد[2].

وقال الطبري في الإتحاف[3]: وفي سنة ألف وثلاثة توفي السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان[4]، وتسلطن بعده ابنه السلطان محمد خان، وأرسل إلى صاحب مكة الشريف [حسن][5] بالاستقرار.

(١) خلاصة الكلام (ص:٥٧).
(٢) عنوان المجد (١/٣٩٢).
(٣) إتحاف فضلاء الزمن (٢/١٣-١٤). وانظر: منائح الكرم (٣/٤٩٩-٥٠٠).
(٤) انظر خبر وفاته في: خلاصة الأثر (٤/٣٥٤)، وسمط النجوم (٤/٣٦٦).
(٥) قوله: "حسن" زيادة من إتحاف فضلاء الزمن (٢/١٣).

وفي سنة ألف وثمانية توفي الشريف ثقبة بن أبي نمي أخو الشريف حسن[١]. انتهى.

وقال السنجاري في المنائح[٢]: وفي سنة ألف وثمانية بعث الشريف حسن بن أبي نمي صحبة الحج المصري الآغا بهرام الشريفي إلى حضرة السلطان الأعظم، والخاقان الأفخم السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان يطلب من حضرته العلية أن يكون ابنه السيد أبا طالب شريكه في إمرة مكة، وولي عهده بعده.

فوصل الآغا المذكور إلى الأبواب، وقوبل بالإجلال، ورجع بما يروم من الجواب، وعاد بخلع التفويض السنية، وتقليد الولاية الحسنية على الجهات الحرمية للشريف أبي طالب بن حسن، ودخل مكة وقرئ التوقيع[٣] المذكور بالحطيم، ولبس الشريف أبو طالب الخلعة الواردة، وطاف بها على جري العادة، والريّس يدعو له بأعلا زمزم. انتهى.

وفي خلاصة الكلام[٤] نقلاً عن خلاصة الأثر في أعيان أهل القرن الحادي عشر[٥] في ترجمة الشريف حسن: أنه كان عظيم القدر، مفرط السخاء، بصيراً بفصل الأمور، شجاعاً، مقداماً، صاحب فراسة عجيبة.

(١) انظر خبر وفاته في: سمط النجوم (٣٦٨/٤).
(٢) منائح الكرم (٥٠٤/٣-٥٠٥).
(٣) انظر محتويات هذا التوقيع (أي: التشريف) في: ريحانة الألبا للخفاجي (٣٩٨/١-٤٠٥)، وهو من إنشائه بأمر رئيس الكتاب، وعقد الجواهر والدرر (أحداث سنة ١٠١٢هـ)، ومقتطفات منه في: خلاصة الأثر (١٣٢/١-١٣٣)، وخلاصة الكلام (ص:٦٢).
(٤) خلاصة الكلام (ص:٥٨-٥٩).
(٥) خلاصة الأثر (٣/٢، ١٢-١٣).

حكي أنه سرقت الفرضة السلطانية بجدة، وضاع منها قماش له صورة وأموال كثيرة، ولم يكسر بابها، ولا نقب جدارها، ولا أثر يحال عليه معرفة المطلوب والطالب، بل وجد حبل مسدول من بعض الجوانب. فلما عرض الأمر عليه طلب الحبل، ثم شمّه، فقال: هذا حبل عطّار. ثم دفعه إلى ثقة من خُدّامه وأمره أن يدور على العطّارين، فعرفه بعضهم وقال: هذا حبل كان عندي، اشتراه مني فلان، فسألوا عن ذلك، فوجدوا الحبل قد نقل من رجل إلى رجل، إلى أن وصل لشخص من جماعة أمير جدة، ثم وجدت السرقة بعينها في المحل الذي ظنها فيه.

ومن ذلك: أنه اختصم عنده رجلان؛ مصري ويماني في جارية، فادّعى كل منهما أنها له، وأقام بذلك بيّنة. فأجال فكرته الوقّادة، وطلب قليلاً من الحَبّ، وقال لها: ما اسم هذا في بلادكم؟ فقالت: بُرّ، فحكم بها لليمني. فظهر بعد ذلك أنها ملكه.

ومن ذلك: أنه اختصم لديه رجلان؛ شامي ومصري في جمل، فادّعى كل منهما أنه له، وأقام بذلك حُجّة، ثم قال لهما: إني سأحكم بحكم، فإن ظهر لي أن الحق بيد أحدكما غرمت الآخر ثمن الجمل، فأمر بذبح الجمل، فذبح وأمر باستخراج مخه، فاستخرج، فتأمّله وقضى بالجمل للشامي، وأمر المصري بتسليم القيمة، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت مخه منعقداً، فاستدللت بذلك،

فإن أهل الشام يعلفون دوابهم الكِرْسَنَّة[١]، وهي تعقد المخ، وأهل مصر يعلفون الفول، وهو يعقد الشحم دون المخ، فظهر بعد ذلك أن الحق كما قال.

ومن ذلك: أن شخصاً دفن مالاً بالمزدلفة -أي ليكون محفوظاً مدة مقامه بالمزدلفة- وكان شخص يرقبه، فلما قصد النفر منها إلى منى، وجد المال قد حفر عنه وأخذ، ولم يظفر بأثر من آثار الغريم إلا بعصا ملقاة، فأخذها ورفع شكواه إليه، وذكر له القصة، فسأله: هل وجدت من أثر؟ فقال: نعم، وجدت عصا ملقاة، فطلبها منه، فأحضرها، ثم تأملها، فأمر بإحضار جماعة مخصوصين من العرب فحضروا، فأشرفهم على العصا، وسألهم هل يعرفون صاحبها ؟ فقالوا: نعم، هي عصا فلان، فأحضره وسأله، فأنكر، فشدَّد عليه فأقرَّ بالمال.

ومن ذلك: أن شخصاً من سادات اليمن وصل إلى مكة بجارية حسناء سنّها نحو العشر سنوات، فتعصب عليه طائفة من الجبرت[٢]، وادّعى بعضهم أنها من أصل وأنها بنت فلان، وشهد منهم شاهدان من طلبة العلم بذلك، واستخلصوها من يد ذلك السيد قهراً، فرفع القضية له، فطلب الشاهدين، وأخذ يستدرجهما بمدحهما، وأنهما من مشاهير من جاور بمكة من مدة طويلة، وأن شهادتهما مقبولة، ثم سألهما عن الشهادة فأدّياها كما سبق، وأنها

(١) الكرسنة: عشب حولي من الفصيلة القرنية، يزرع لحبه الذي يجعل علفاً (المعجم الوسيط ٧٨٣/٢).

(٢) الجبرت: طائفة مشهورة تنتسب إلى الحبشة ارتريا حالياً.

بنت فلان الجبرتي، ولدت ببلده ونحن بها قبل وصولنا بمكة، فقبل شهادتهما، ثم سألهما عن مدة إقامتهما بمكة وهل خرجا بعد دخولهما، فذكرا أن المدة تنوف على ثلاثين سنة، وأنهما ما خرجا منها إلى بلدهما بعد أن دخلا، فشاغلهما بالكلام ساعة، ثم سألهما عن سنّ الجارية فقالا: نحو عشر سنين، فأخذ يسبّهما ويتكلّم عليهما حيث شهدا بولادتها وهما ببلدهما [وقصد إتلافهما][1]، وأعاد الجارية إلى سيّدها، وكانت هذه الحكومة منه حكمة بالغة، فإنه قصم بها طائفة الجبرت عن مثل ذلك، فإنهم سلكوا هذا المسلك مدة، واستخلصوا به أرقاء الناس من أيديهم. انتهى.

قال السنجاري[2] بعد ذكر مناقب الشريف حسن وأوصافه: وبالجملة: فلا أحسن من الحسن، إلا أن الناس استضرت في زمنه بوزيره عبدالرحمن بن عبدالله بن عتيق[3]، الحضرمي الأصل، المكي المولد، فإنه كان ظالماً غير شفيق، وله منكرات عظيمة، وبليات جسيمة، تزوج والده ابنة الشيخ محمد جار الله بن أمين الدين بن ظهيرة وأولدها عبدالرحمن هذا، فنشأ بمكة، وزاحمت به السادة ذوي بركات[4]. فلما بلغ مبلغ الرجال لم يزل يترقى إلى أن استوزره الشريف حسن سنة ألف وثلاثة، فاستولى على مولاه وتعدى حدود الله. انتهى.

---

(١) في الأصل: وقصدا إتلافها. والتصويب من خلاصة الكلام(ص:٥٩)، وخلاصة الأثر(١٣/٢).
(٢) منائح الكرم (٤٣٥/٣-٤٣٦).
(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٣٦١/٢)، وخلاصة الكلام (ص:٦٣).
(٤) ذوو بركات: هم الأشراف أولاد بركات بن أبي نمي، جميعهم يسكنون مكة المكرمة ووادي فاطمة -مر الظهران- (انظر: قبائل الطائف وأشراف الحجاز ص:٤٠-٤٢).

قال المحبي في خلاصة الأثر[١]: وأفهمه النصح في الخدمة، وسحره إلى أن تمكن منه غاية التمكن، وبقي حاله معه كما قال الشاعر:

وأمرُهُ ليسَ له ردٌّ أمرُكَ مردودٌ إلى أمرِهِ

فتسلّط على جميع المملكة، وتصرف فيها كيف شاء، وبقي كل من يموت من أهل البلد والحجاج يستأصل ماله، لا يترك لوارثه شيئاً، فإذا تكلم الوارث أظهر له حجة أن مورثه كان قد اقترض منه في الزمن الفلاني كذا وكذا ألف دينار، و[يقول][٢]: هذا الذي أخذته دون حقي، وبقي لي كذا وكذا، وطريق كتابته لهذه الحجة وأمثالها: أن كَتَبة المحكمة تحت أمره وقهره، فيأمرهم بكتابة الحجة، فيكتبونها، وعنده أكثر من مائة مهر للقضاة والنواب السابقين، فيمهرها، ويأمر عبدالرحمن المحالبي أن يكتب إمضاء القاضي الذي قد مهر الحجة بمهره، ويكتب خاله الشيخ علي بن جار الله وعبدالقادر بن محمد بن جار الله شهادتهما، ويكتب الشيخ علي أيضاً عليها ما نصه:

تأملت هذه الحجة فوجدتها [مسدَّدة][٣]، وشهد بذلك محمد بن عبد المعطي الظهيري، وابن عمه صلاح الدين بن أبي السعادات الظهيري، وأحمد ابن عبدالله الحنبلي الظهيري وغيرهم.

---

(١) خلاصة الأثر (٢/٣٦١). وانظر: سمط النجوم (٤/٣٩٠).

(٢) زيادة من خلاصة الأثر (٢/٣٦١).

(٣) في الأصل: مسدودة. والتصويب من: خلاصة الأثر، الموضع السابق، وسمط النجوم (٤/٣٩١).

ثم إنه يظهر الحجة ويقرؤها بين الناس، وجميعهم يعرف أنها زور ولا أصل لها، ولا يقدرون أن يتكلموا بكلمة واحدة خوفاً من شرّه وقوة قهره، واستولى بهذا الأسلوب على ما أراد كما أراد، وإذا شُكِيَ على الشريف حسن يقول: هذه حجة شرعية، وشهودها مثل هؤلاء الجماعة الأجلاء، فنفرت قلوب الناس من ابن عتيق، وضجّوا وضجروا، وكل من أمكنه السفر سافر، وما تأخر إلا العاجز.

ومن جملة معاملاته الشنيعة: ما ذكره الشيخ الحضراوي في تاج تواريخ البشر[1]: أنه طلب من خضر أفندي الرومي أن يشهد له شهادة زور لأجل اغتصاب بعض الدور، فلم يجبه فيما دعاه، فنصب له العداوة والبغضاء حتى كان لا يلقبّه إلا بالنصراني، ولم يزل به إلى أن رماه عند الشريف حسن ببهتان، وقال له: إنه ينسب إلى دولتك الظلم والمظالم، وأنه يكتب فيك لأمراء الأروام، فإذا لم [تتلق][2] أمره شبَّ نار التلاقي جمره، وحسن له في جلائه عن البيت الحرام، فأذن له الشريف في إجلائه، فشمَّر له عن ساعد بلائه، وأمره بالخروج في الحال، ولم يُمْهله إلى أن ينقل ماله ويرى ما عليه وما له، فخرج متوجهاً إلى مدينة الرسول الأكرم ﷺ، وما بَعُدَ عن مكة قيد مرحلتين حتى استولى الوزير على داره، وأظهر صولة قدره واقتداره، واصطفى ما فيها قبل الوفاة، ونادى عليها في الأسواق كما ينادى على تركة

(١) تاج تواريخ البشر (٢/٢٧٦).

(٢) في الأصل: تتلف. والتصويب من تاج تواريخ البشر، الموضع السابق.

الأموات، فبلغ الشيخ الخبر وهو في أثناء الطريق، فمات قهراً على ماله، وكان الأفندي المذكور رجلاً صالحاً طالب علم.

قال المحبي[١]: وكان الشريف أبو طالب بن حسن كلما سمع شيئاً من هذه الأمور تألّم غاية التألم، فأول ما استقلّ بالشرافة أرسل من المبعوث[٢] قبل وصوله إلى مكة رسله بمسك ابن عتيق، فمسك يوم الجمعة بعد العصر، واستمر في الحبس يوم السبت والأحد، فلما وصل الشريف أبو طالب إلى مكة وتولى أمر والده الشريف حسن ودفنه استدعى ابن عتيق وسأله عن أحواله فقال: قد فعلت جميع ذلك، ثم ردّه إلى الحبس.

ففي ليلة الاثنين أخذ ابن عتيق جنبية[٣] العبد الوصيف المرسم عليه وهو نائم، فاستيقظ العبد وخلصها منه، فأخبر سيده الشريف أبا طالب بذلك، فأعطاه [جنبية][٤] وقال له: خذ هذه وقل له: لا تسرق الجنبية بالليل، هذه جنبيتي إن كنت تريد أن تقتل نفسك فاقتلها، وأسرع بإرسالها إلى جهنم وبئس المصير، فأخبره الوصيف بما قاله الشريف، فأخذها منه، وأدخلها في

(١) خلاصة الأثر (٣٦٢/٢).

(٢) المبعوث: أحد أودية الطائف يصب في سهول ركبة في سيوح هناك، يقطعه طريق الطائف، المنجد على قرابة (٦٠) كيلاً (معجم معالم الحجاز ١٥/٨).

(٣) الجنبية: مدية لنصلها حدان، سميت بذلك؛ لأنها تثبت في حزام وتوضع في الجنب، لها أشكال متنوعة، تستعمل في شبه الجزيرة العربية والغرب الأقصى، وألبانيا، وتركيا، وأجودها ما صنع في فارس والهند واليمن (انظر: الموسوعة الميسرة ص:٦٤٨).

(٤) في الأصل: جنبيته. والمثبت من خلاصة الأثر (٣٦٢/٢).

بطنه نحو إصبع، ثم أخرجها، ثم أعادها وأدخل منها ضعف الأول، ثم أدخلها جميعها، ثم أخرجها وقال: وا مالي، واستمر ذلك اليوم إلى ظهر يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة سنة عشر وألف، فمات، ورمي به في درب جدة في حفرة صغيرة بلا غسل ولا صلاة ولا كفن، ورمت عليه العامة الحجارة، وعملت الفضلاء فيه تواريخ، فمنها قول بعضهم:

أشـــقى النفـــوسِ الباغيَـــهْ ابـــنُ عتيـــق الطاغيَـــهْ
نـــار الجحـــيم اســـتعْوَذَتْ منـــه وقالـــتْ ماليَـــهْ
لَمـــــا أتـــــى تاريخَـــــهُ أَجِـــبْ لظـــى والهاويَـــهْ

انتهى ما في خلاصة الأثر[١].

وفي سنة ألف وعشرة توجه مولانا الشريف حسن إلى نجد غازياً، فتوفي هناك في ثالث جمادى الآخرة[٢].

قال العصامي[٣]: بعدما توفي حمل في تختروانه[٤] الذي كان يركبه في حياته على البغال، وقد حصلت علامات الموت من عصر يوم الأربعاء، حتى إن [أبناءه][٥] الذين كانوا معه بذلك المحل أعدوا البغال والبراذين في المنازل

(١) خلاصة الأثر (٢/٣٦١-٣٦٢). وانظر: سمط النجوم (٤/٣٩٠-٣٩٣)، ومنائح الكرم (٣/٤٣٥-٤٣٧)، وخلاصة الكلام (ص:٦٣).
(٢) انظر: منائح الكرم (٣/٥٠٧-٥٠٨)، وخلاصة الكلام (ص:٦١).
(٣) سمط النجوم (٤/٣٧٠).
(٤) التختروان: محفّة لها ذراعان من أمام ومثلهما من الخلف، يحمله دابتان (المعجم الوسيط ٨٢/١).
(٥) في الأصل: ابناه. والتصويب من سمط النجوم، الموضع السابق.

صوب مكة؛ لغلبة ظنهم بوقوع الوفاة، وبُعد المسافة عن مكة لتكون كخيل البريد. فلما توفي جدّوا به السير، فساروا ليلة الخميس وليلة الجمعة ويومها، ووصلوا به إلى مكة في أوائل النصف الثاني من ليلة السبت.

قال السنجاري(١): في محل يقال [له](٢): فاعية -بفاء وألف وعين مهملة فياء تحتية مثناة بعدها هاء [السكت](٣)- وكان في مسافة عشرة أيام عن مكة، فحُمِلَ في مِحَفَّة على البغال إلى مكة ومعه بعض أولاده، وراح النعي إلى الشريف أبي طالب إلى المبعوث، فسار من وقته إلى مكة، فدخلها ليلة السبت خامس الشهر، ودخلت جنازة والده بعد دخوله في النصف الثاني من تلك الليلة، وبمجرد وصوله غُسِّلَ وكُفِّنَ وصُلِّيَ عليه تجاه الكعبة، ودُفن بالمعلاة، وبُني عليه قبة(٤). وله من العمر تسع وسبعون سنة ونحو ثلاثة أشهر.

ومدة ولايته مشاركاً لأبيه ومستقلاً نحو خمسين سنة.

عدد أولاد الشريف حسن وأسماؤهم

ورزق من الأولاد الذكور سبعة وعشرون، ومن الإناث خمس وعشرون.

فأولاده الذكور: أبو طالب، وحسين، وباز، وسالم، وأبو القاسم،

---

(١) منائح الكرم (٣/٥٠٧-٥٠٨)، وانظر: خلاصة الكلام (ص:٦١).

(٢) في الأصل: لها. والتصويب من منائح الكرم (٣/٥٠٧).

(٣) في الأصل: السكتة. والتصويب من منائح الكرم (٣/٥٠٨).

(٤) وقد أُزيلت ولله الحمد والمنة.

ومسعود، وعبد المطلب، وعبد الكريم، وإدريس، وعقيل، وعبدالله، وعبد المحسن، وعبد المنعم، وعدنان، وفهيد، وشنبر، والمرتضى، وهزاع، وعبدالعزيز، ومضر، وعنان، وجود الله، وعبيد الله، وبركات، ومحمد الحارث، وقايتباي، وآدم.

[وأولاده](١) الإناث هنّ: شمسية، وروضة، وزينب، وحمدة، وياقوتة، وفاطمة، وعزيزة، وزين الحبوش، وجربوعة، وزين الشرف، وسلافة، وكثيرة، وغريبة، ومنى، ومزنة، وغيرهن.

ومات منهم جملة من الذكور والإناث في حياته، وورثه سبعة عشر ذكراً وأربع عشرة أنثى. كذا في الإتحاف للطبري(٢)، وخلاصة الكلام(٣).

ولاية الشريف أبي طالب بن حسن بن أبي نمي

قال في خلاصة الكلام(٤): ولما توفي مولانا الشريف حسن تولى إمارة مكة ابنه مولانا الشريف أبو طالب(٥).

قال في خلاصة الأثر(٦): كان من أمره أنه لما كبر أبوه فوّض أولاً نيابة

(١) في الأصل: وأولاد.
(٢) إتحاف فضلاء الزمن (٢/١٩-٢٠).
(٣) خلاصة الكلام (ص:٦١). وانظر: منائح الكرم (٣/٥١٦-٥١٧).
(٤) خلاصة الكلام (ص:٦٢-٦٤).
(٥) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (١/١٣١-١٣٥)، وخلاصة الكلام (ص:٦٢)، والأعلام (٣/٢١٨)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٠٧-١٠٨)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٢٣-٢٢٤).
(٦) خلاصة الأثر (١/١٣١-١٣٥).

الإمارة لابنه الشريف حسين، فلم يطل أمره فيها، فمات، فولاها شقيقه الشريف مسعوداً، وكان موصوفاً بالشجاعة والقوة، لكنه لم يسلك مسلكاً مرضياً، فتوفي وهو شاب، فآلت إلى أبي طالب صاحب الترجمة.

وكان ذا فكر صائب، وشجاعة عظيمة، وفضيلة باهرة، وبعدما حكم بالنيابة عن أبيه مدّة، أمر أبوه أمراء الحاج أن يلبسوه الخلعة الكبرى، وألبسوا ولده عبدالمطلب الخلعة الثانية، فألبساهما، ثم جهّز من أتباعه الأمير بهرام بهدية سنية إلى الأبواب السلطانية في هذا الخصوص، والتمس من السلطان محمد بن السلطان مراد تقريراً بذلك، فأجيب إلى ملتمسه، ورجع بهرام بالتقارير وصورة منشورة مطوّلة مذكورة في ريحانة الخفاجي[1].

ومن جملة ما في ذلك المنشور: ثم ليعلم كل من كحل بصره بإثمد منشورنا الكريم، وشنَّف مسامعه بلآلئ لفظه العظيم ممن في دارة تلك الديار، وهالة تلك الأقطار، وانتظم في سلك سكان القرى والأمصار، من السادة الكرام، والقضاة والحكام، وولاة الأمور من الأعيان، والوافدين على تلك الديار والسكان، أن إمارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر، وما أحاطت به من الأصاغر والأكابر، وسائر الوظائف والمناصب، والجهات والمراتب، مفوّضة إلى السيد السند الشريف أبي طالب، ناظراً بعين الإنصاف، متجنباً سبيل الاعتساف، ويصرف المستحقين بحسن التصريف، ويصرف من لا يستحق برأيه الشريف، أقمناه مقام نفسنا في ذلك المقام، وفوّضنا إليه النقض

(١) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا (ص: ١٥٠-١٥١).

والإبرام، والعلامة السلطانية حجة لما فيه مرقوم، محققة كافية من منطوق ومفهوم، فليتحقق من وقف على هذا الخطاب، ومن عنده علم الكتاب، من أهل مكة ومن في جوارها، وطيبة الطيبة وسائر أقطارها، وبقية الثغور الباسمة لدولتنا بمباسم السرور من حاضرها وباديها، أنا أعطينا القوس باريها، فلم تَكُ تصلح إلا له، ولم يَكُ يصلح إلا لها، سدّد الله سهام رأيه في أغراض الصواب، وفتح له بمفاتيح السر كل مغلق من الأبواب، ما سقطت من أكفّ الثريا الخواتم، ورقت على منابر الأغصان خطب الحمائم، والسلام.

وفي سنة وفاة الشريف حسن توفي ابنه الشريف عبدالمطلب، وكانت ولادة الشريف أبي طالب سنة تسعمائة وخمس -أو ست- وستين. واستقل بالملك بعد وفاة أبيه من غير شريك فيه، وهنّأه الله بما صار إليه، وأصلح الله به أمور العباد والبلاد، وقام بأعباء الملك، وأظهر السطوة، وقهر أهل العناد، فهابته النفوس، وأنصف في أحكامه، وسار السيرة المرضية.

وكان حسن الهيئة، شديد الهيبة، فإذا حضر الناس مجلسه سكتوا لمهابته، وكانت تخافه البوادي وأهل النوادي، وكان سخياً، ندي الكف.

ومما يحكى من كرمه: أنه زار[1] النبي ﷺ قبل أن يلي أمر مكة، فلما أمسى نزل في وادٍ هناك هو ومن معه، فأضافه رجل من أهل الوادي يقال له: السوداني، فذبح الذبائح ومدّ الموائد وقدّمها، ثم بلغه أن الشريف أبا طالب لم

---

(١) الزيارة الصحيحة إنما هي لمسجده صلى الله عليه وسلم للحديث الصحيح الوارد: " لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد".

يأكل من ذلك الطعام ولم يحضره لشغل عرض له، فعمد السوداني إلى أربع أو خمس دجاجات فذبحهن وطبخَهنَّ، وقدمهن على كيلتين من العيش في زبدية كبيرة من الصيني، وجاء بها إليه وقال: ياسيدي، هذا عشاء عبدك، اجبر خاطره جبر الله خاطرك، فغسل الشريف يده وأكل من تلك الزبدية لقيمات، ودعا له. فلما استقلّ بالولاية وفد عليه السوداني بعد سنة، فقال له الشريف: الزبدية التي تعشينا فيها عندك، فقال: نعم، قال: ائتني بها، فملأها له ذهباً. وله كثير من هذا القبيل. ولأهل عصره فيه مدائح كثيرة.

ولم يزل الشريف أبو طالب في أعلى درجات الحبور، مالكاً لأزمة الأمور، والعلماء عاكفة على أبوابه، والشعراء ناظمة محاسن صفاته في أحاسن ألقابه، إلى أن توفي راجعاً من بعض في غزواته بمحل يقال له: العُشّ[١]، من نواحي بيشة[٢]، في العشر من جمادى الآخرة سنة ألف واثنتي عشرة، فغُسّل وكُفّن هناك، وقصد به مكة[٣].

قال العصامي[٤]: وحمل في التخت على البغال إلى أن انقطعت[٥]

(١) في خلاصة الأثر: العشة.

والعش: بلد شرق الطائف (معجم معالم الحجاز ٦/١٠٥).

(٢) بيشة: مدينة كبيرة مشهورة، تقع جنوب مكة المكرمة، وانظر معجم البلدان: ١/٥٢٩.

(٣) انظر: منائح الكرم (٣/٥١٩-٥٢٠).

(٤) سمط النجوم (٤/٣٩٣-٣٩٤).

(٥) في سمط النجوم: تقطعت.

وعجزت عن المسير، فجعل في شبرية[١] على بعير[٢]، ودخلوا به مكة ضحوة يوم الأربعاء ثاني عشر الشهر المذكور، وصُلّي عليه عند باب الكعبة الشريفة بعد أن فتحت، ونادى عليه الريّس من أعلى زمزم. انتهى.

ودفن بالمعلا، وبُني عليه قبة[٣]، فكانت ولايته سنتين وأربعة عشر يوماً، وعمره سبع وأربعون سنة.

ولاية الشريف إدريس بن حسن

فولي مكة بعده أخوه مولانا الشريف إدريس بن حسن بن أبي نمي[٤]، وكانت ولايته بإجماع من السادة الأشراف، وأشركوا معه أخاه السيد فهيد بن حسن وابن أخيه السيد محسن بن حسين بن حسن، وأرسلوا قاصداً إلى الروم بما وقع عليه الاتفاق، فقوبل بالإجلال والإكرام من مولانا السلطان أحمد، وبعث إليه بخلعة الاستمرار، وقرئ توقيعه بالحطيم حادي عشر صفر سنة ألف وثلاث عشرة[٥].

---

(١) الشبرية: كالشقدف، محفة توضع على الجمل فيركب فيها (هامش معجم معالم الحجاز ٦/١٠٥).

(٢) انظر: تاريخ مكة للسباعي (ص:٣٥٦).

(٣) وقد أزيلت.

(٤) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (١/٣٩٠-٣٩٤)، وخلاصة الكلام (ص:٦٤-٦٦)، والأعلام (١/٢٧٩)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٠٨).

(٥) انظر: منائح الكرم (٣/٥٢٧-٥٢٩)، وانظر هذا الخبر مختصراً في: إتحاف فضلاء الزمن (٢/٢٦-٢٧)، وسمط النجوم (٤/٤٠٠-٤٠١).

قال في خلاصة الأثر في ترجمة الشريف إدريس[1]: وكان من أجلّ الناس، من سَراة الأشراف، شهماً، هابه الملوك والأشراف، شجاعاً، حسن الأخلاق، وكان يكنى أبا عون.

وكان له من العبيد المُوَلّدين والرقيق الجلب ما يزيد على أربعمائة، ومن المقاديم من العرب جماعة كثيرون.

واستمر أخوه الشريف فُهيد[2] وابن أخيه الشريف محسن مشاركين له في الربع في جميع أقطار الحجاز الداخلة تحت حكم صاحب مكة، فكثرت أتباع فهيد من الأشراف وغيرهم، بحيث صار موكبه يضاهي موكب الملك، واتخذ رماة للبندق نحو مائتين أو أكثر، ولم يحفظ أتباعه وعبيده من النهب والسرقة، فكثر ضررهم على الناس، وعجز عن مداراته الشريف إدريس، ولما اشتد أمره أخذ [بجانب][3] أكمل الدين القطبي، وأراد أن يصيّره مفتياً، فلم يرض الشريف إدريس، ووقع بينهما تنافر بسبب ذلك، فأرسل الشريف لابن أخيه محسن، وكان إذ ذاك باليمن، وكان خروجه إلى اليمن مغاضباً لعمه الشريف إدريس، وكتب إليه أن يأتي بجميع من معه من الأشراف والقوّاد والعرب، فحضر ومعه أمير حلي محمد بن بركات الحرامي، ونودي في البلد

(١) خلاصة الأثر (١/٣٩٠-٣٩٣، ٣/٢٨٨).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٣/٢٨٨)، والأعلام (٥/١٥٨)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٠٩).

(٣) في الأصل: بجانبه. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٦٤)، وخلاصة الأثر (٣/٢٨٨).

بأن البلاد لله، وللسلطان، وللشريف إدريس والشريف محسن، وخلع الشريف فهيد من الذِّكْر، ومنع من الربع، وجعل ما كان له للشريف محسن، ولم يخطب له، وكان يومئذ في بيته جموع وافرة، فاستعدّ أصحابه للقتال، وأشار إليه أعيانهم بالحرب، فامتنع من ذلك، وطلب من الشريف إدريس مقدار شهر مهلة؛ ليتأهب للخروج من مكة إلى حيث أراد، فأعطاه، ثم خرج من مكة سنة تسع عشرة وألف بعد أن طلب من أخيه إدريس أن يمكنه من سكنى مكة بغير ربع، فامتنع، فانضم إلى بعض أكابر الحج المصري، وسافر إلى مصر، ثم توجه إلى الديار الرومية، واجتمع بالسلطان أحمد، فيقال: إنه أنعم عليه بإمارة مكة، فعاجلته المنية، ومات هناك في سنة عشرين بعد الألف.

واستمر الشريف محسن مشاركاً لعمه الشريف إدريس على صدق الكلمة، والنصح، والمساعدة في الأحوال المهمة. ثم وقع بين [الشريفين][1] إدريس ومحسن تنافر بسبب خدّام الشريف إدريس وتجاوزهم في التعدي، وعمّت البلوى بما يصدر عنهم من الأمور المشتملة على التلبيس، خصوصاً من وزيره أحمد بن يونس، وكان الشريف متغافلاً عما يصنعونه، ولم يلق سمعه إلى ما ينهى إليه من فعلهم، ولا ينصف أحداً من شكايتهم، [وراجعه][2]

---

(١) في الأصل: الشريف. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:٦٥)، وخلاصة الأثر (٣٩٢/١).
(٢) في الأصل: وراجع. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق، وخلاصة الأثر (٣٩٣/١).

الشريف محسن في شأنهم مراراً، [وردّد](١) القول عليه، فكانت الشكوى إلى غير منصف، فرأى الشريف محسن وخامة عواقب الحال، فعند ذلك اجتمع أهل الحلّ والعقد من بني عمه السادة الأشراف والعلماء والفقهاء والأعيان، ورفعوا الشريف إدريس عن ولاية الحجاز(٢).

استقلال الشريف محسن بولاية الحجاز

وفوّضوا الأمر إلى الشريف محسن(٣)، وكان ذلك في سنة أربع وثلاثين وألف. ولما أشيع بمكة أن السادة الأشراف نيّتهم إقامة الشريف محسن مستقلاً بالأمر، حصل اضطراب عظيم في البلد وحركة عظيمة، وقسمت آلات الحرب من الجانبين، وكان ذلك يوم الأربعاء ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين وألف.

فلما كان يوم الخميس أَلْبس كلٌّ منهما آلةَ الحرب لمن معه من العساكر والجنود، ووقف كل منهما عند باب داره، فبرز من جماعة الشريف محسن شرذمة من جانب مقعد السيد بشير بنية عقد النداء في البلد للشريف محسن استقلالاً، فقبْل وصولهم المقعد رمتهم

---

(١) في الأصل: وردوا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٦٥)، وخلاصة الأثر (٣٩٣/١).
(٢) خلاصة الكلام (ص:٦٤-٦٥).
(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٣٠٩/٣-٣١١)، وخلاصة الكلام (ص:٦٥)، والأعلام (٢٨٦/٥)، وتاريخ الدول الإسلامية (ص:١٥٢)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٠٩-١١٠).

[الجبالية][1] المجعولون في مدرسة السيد [العيدروس][2] بالبندق، فقتل من الجماعة المذكورين بالبندق: السيد سليمان بن عجلان بن ثقبة، والقائد مرجان بن زين العابدين وزير الشريف محسن، فرجع الباقون[3].

وفي ضحى هذا اليوم ركب الشريف أحمد بن عبدالمطلب بن حسن ومعه خيل، والمنادي ينادي بالبلاد للشريف محسن، ولم يزل هذا الاضطراب في البلد ذلك اليوم جميعه.

ومن ألطاف الله تعالى أن الجماعة بالمسجد الحرام قائمة ذلك اليوم، والأسواق فاتحة، وفيها الأقوات، ولم يحصل [تغير][4] أبداً.

فلما كانت ليلة الجمعة خامس المحرم وقع الصلح بينهما على أن يستقل الشريف محسن بالأمر، ويكون الكفّ عن المحاربة ستة أشهر، منها ثلاثة يكون الشريف إدريس فيها في البلد، وثلاثة في البر، فاتّفق الحال، ودعا الخطيب للشريف محسن يوم الجمعة بمفرده، ثم خرج إدريس من مكة ليلة المولد.

وقال في خلاصة الأثر[5]: ونقل الثقات: أنه لما ضويق عليه وأجلبت عليه

---

(١) في الأصل: الجالية. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٦٥)، وخلاصة الأثر (٣٩٣/١)

(٢) في الأصل: عيدروس. والتصويب من خلاصة الكلام وخلاصة الأثر، الموضعان السابقان.

(٣) انظر: منائح الكرم (٥٧٦/٣-٥٧٧).

(٤) في الأصل: تغيير. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٦٦)، وخلاصة الأثر (٣٩٣/١).

(٥) خلاصة الأثر (٣٩٣/١-٣٩٤).

الأشراف ومن معهم، بحيث إنه أصيبت جويرية بين يديه بالبندق، فسقطت ميتة بين يديه، فارتاع لذلك وحزن، ووضع منديلاً لطيفاً على وجهه، وبكى لفقد الناصرين، فدخلت عليه في تلك الحالة أخته الشريفة زينب بنت الحسن، فقالت له: علام ذا الحزن والعناء، دعها لابن أخيك، فقد وليتها مدة طويلة، فحينئذ أرسل إلى الشريف محسن والأشراف، وطلب منهم مهلة شهرين في البلد، وأربعة أشهر خارجها، ليتأهب للسفر حيث شاء، فأعطاه الشريف محسن ذلك، وشرط عليه: أن لا يحدث شيئاً من المخالفات، فاستمر شهر محرم وصفر، فمرض فيه حتى خيف عليه.

وفي ليلة المولد خرج من مكة، فما طاف للوداع إلا في مِحَفّة[1]، وخرج وقد أضعفه المرض فتوفي سابع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة عند جبل شمر، ودفن بمحل يسمى: ياطب.

ومن الاتفاق العجيب: أن "ياطب" حسابه بالجمل: اثنتان وعشرون سنة، وهي مدة ولايته مجبورة، فإن ولايته إحدى وعشرون سنة ونصف، وعمره ستون سنة، ووصل خبر وفاته إلى مكة مستهل رجب، وصُلّي عليه صلاة الغائب بالمسجد الحرام.

واستمر الشريف محسن على إمارة مكة، وعرض إلى الأبواب السلطانية بما وقع، فجاء الجواب بالتأييد، وقرئت المراسيم رابع عشر رمضان سنة ألف

---

(١) المحفة: سبق التعريف بها (ص: ٢٨٧)، هامش (٢).

وأربع وثلاثين، وكان القارئ لمرسومه: العلامة الشيخ عبدالرحمن المرشدي.

ومدحه الشعراء بقصائد، وأرّخوا عام ولايته، فمن ذلك قول الإمام علي ابن عبدالقادر الطبري:

عـــام ولايـــة المليـــك محـــسن ابن الحسين بـــن الـــشريف
مَنْ رام أن يضبطه فقـــد أتـــى تاريخه خـــير ملـــوك الـــزمن

ولم يزل مولانا الشريف محسن منفرداً بمراده، قامعاً لأضداده، آمناً في سربه، عزيزاً في حزبه، إلى أن دخلت سنة سبع وثلاثين وألف، فورد من السلطنة العلية أحمد باشا[1] متولياً على اليمن، فلما ندخ[2] مركبه جدة، ومعه نحو ألفين من العسكر غرق بالقرب من جدة، ونجا هو ونحو ثلاثمائة من عسكره، وكان دخوله إلى جدة في صفر من السنة المذكورة[3]، فطلب الباشا المذكور من خدام مولانا الشريف محسن الذين في جدة غوّاصين لطلب أسبابه، فعيّنوا أقواماً غاصوا نحو خمسة عشر يوماً، ولم يخرجوا شيئاً من أسبابه، فتخيل أنهم مأمورون بذلك من مولانا الشريف محسن، مع أنه بعث إلى مولانا الشريف بهدية سنية، وأرسل له مولانا الشريف الشيخ عبدالرحمن المرشدي

---

(١) هو الوزير أحمد باشا. جهزه صاحب مصر من قبل السلطان العثماني لليمن بأموال كثيرة وعساكر، فتجهز بأمواله في البحر في مركب كبير (انظر: عقد الجواهر والدرر/أحداث سنة ١٠٣٦ هـ، وغاية الأماني في أخبار القطر اليماني ٨٢٨/٢، وسمط النجوم ٤٢٠/٤، وخلاصة الأثر ٣١٠/٣).

(٢) ندخ: صدم (المعجم الوسيط ٩١٠/٢).

(٣) انظر تاريخ وروده هذا في: سمط النجوم (٤٢٠/٤)، وخلاصة الأثر (٣١٠/٣). أما في عقد الجواهر والدرر، وإتحاف فضلاء الزمن فذكرا أن وصوله كان في سنة ١٠٣٦ هـ.

مفتي السلطنة بمكة بمكاتيب منه، وأوصى عليه خدمه.

فلما استحكم ذلك الخيال من الباشا أَنِفَت نفسه، وشنق حاكم مولانا الشريف بجدة، وهو القائد راجح، ونزل إلى جدة الشريف أحمد بن عبدالمطلب بن الحسن بن أبي نمي[١].

قال في خلاصة الأثر[٢]: إنه كان بين الشريف مسعود بن إدريس بن حسن وبين الشريف أحمد بن عبدالمطلب ممالأة ومواطأة قبل نزوله لبندر جدة، مضمونها: أن الشريف أحمد قال للشريف مسعود: إني لا أريد الملك لنفسي، إنما أريده لك، وهو بيننا، [فخذّل عني][٣] من استطعت من آل أبي نمي وثبّطهم وحلّ عزائمهم، فوعده الشريف مسعود بذلك، وفعل. فلما نزل الشريف أحمد إلى جدة تداخل مع أحمد باشا المذكور[٤].

ولاية الشريف أحمد بن عبد المطلب[٥]

فولاّه شرافة مكة، ونادى له في جدة، وأبان عزل الشريف محسن، ثم قدّر الله أن الباشا مات في تلك الأيام، فكتب كيخية[٦] الباشا المذكور

(١) انظر: منائح الكرم (٣/٦٣٩-٦٤١).

(٢) خلاصة الأثر (١/٢٤٠). وانظر: سمط النجوم (٤/٤٢٩).

(٣) في الأصل: فخذ. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٦٨)، وقوله: "عني" زيادة من خلاصة الأثر وسمط النجوم، الموضعان السابقان.

(٤) خلاصة الكلام (ص:٦٥-٦٨)، وتاج تواريخ البشر (٢/٢٨٩).

(٥) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (١/٢٣٩-٢٤١)، وتاريخ الدول الإسلامية (ص:٢٥١)، وخلاصة الكلام (ص:٦٨)، والأعلام (١/١٦٣)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١١٠-١١١).

(٦) كيخية أو كخيا تؤدي معنى كتخدا -كدخدا-: وهو الموظف الكبير، ويقصد بها الوزير الأول في حكومة الولاية التي يحكمها باشا (انظر: مقدمة البرق اليماني ص:٧٩، والتشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية من بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥م، ص:٩٥).

يوسف آغا إلى الشريف محسن بوفاة الباشا، وطلب منه عشرة آلاف قرش[١] ليتوجه بها إلى اليمن. قال: والبلاد بلادكم.

فبلغ فعل الكيخية الشريف أحمد بن عبدالمطلب، فاستمال العسكر، فقتلوا الكيخية ومَنْ بقي من جماعة الشريف محسن، وصادر التجار وأهل البلد، فأخذ منهم جملة من الأموال، وتأهب لحرب الشريف محسن.

فلما بلغ ذلك الشريف محسناً خرج لهم إلى [الحديد][٢] -موضع مقابل لجدة- فخرج إليه بعض الأتراك، وأخذوا قطيع غنم [العرب][٣]، فقاتلهم

---

(١) القرش: قرش "بياستر"، البياستر في الأصل: نقد أسباني من الفضة قدره ثمانية ريالات. وقد بدأ تداوله في بداية القرن السادس عشر الميلادي، ثم استقر في التعامل التجاري مع بلدان الشرق. وقد أطلق اسم البياستر على العملة الفضية التركية التي تسمى قرش أو غرش والتي ضربت لأول مرة في تركيا في عهد السلطان سليمان الثاني (١٦٨٧-١٦٩٠) يزن القرش ٢٤٨ حبة، وقيمته أربعون بارة.

ولفظ قرش مشتق من الألمانية جروشن، وهناك نوعان من القروش، قرش صاغ وقيمته أربعون بارة، وقرش بربع هذه القيمة. وكانت الشعوب العربية تطلق أحياناً على القرش الصاغ اسم القرش الرومي، وتعني بذلك القرش التركي، وقيمته أربعون بارة. (الموسوعة العربية الميسرة ص:١٣٧٥).

(٢) في الأصل: الحدبة. والتصويب من إتحاف الورى (١٨٠/٤). وانظر: غاية المرام (٤٩٥/٢). والحديد: ناحية في بني مالك شرقي جدة (معجم معالم الحجاز ٢٤٧/٢، ٨٧/١٠).

(٣) في الأصل: العرب. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٦٨).

بعض الأشراف[1]، فقتل السيد ظفر بن سرور بن أبي نمي، والسيد أبو القاسم ابن جازان، وغيرهما، ومن الأتراك نحو الخمسين. ثم انحاز [كل إلى فئته][2]، وأتى الخبر لمولانا الشريف محسن أن السيد مسعود بن إدريس دخل مكة، واستمال الأشراف بني حسن بكتاب جاءه من الشريف أحمد بن عبدالمطلب، أطمعه فيه بمناصفة مكة إن هو استمال الأشراف إليه.

فكرّ الشريف محسن راجعاً إلى مكة، وترك على جماعته هناك السيد قايتباي ابن سعيد بن بركات، فخرج خلفه الشريف أحمد ومعه العسكر الذين وردوا مع الباشا السابق ذكره، وسار من جدة إلى مكة في سبعة عشر يوماً، ولما وصل التنعيم[3] لأربع عشر ليلة بقيت من رمضان، خرج الشريف محسن للقائه بجيش جرّار، إلا أن غالب مَنْ معه كان مباطناً للشريف أحمد بواسطة السيد مسعود ابن إدريس.

فلما التقى الفريقان وتبين للشريف محسن انحلال عقد مَنْ معه كفّ عن القتال بعد أن أطلق جماعة الشريف أحمد مدفعين، وتوجه الشريف محسن

---

(١) انظر هذا الخبر في: عقد الجواهر والدرر /أحداث سنة ١٠٣٦ هـ، وسمط النجوم (٤/٤٢٠-٤٢١)، وخلاصة الأثر (٣/٣١٠).

(٢) في الأصل: كل فئة. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:٦٨).

(٣) التنعيم: سبق التعريف به في (ص: ٢١).

ومعه بعض جماعته إلى اليمن، واستمر هناك إلى أن توفي سنة ألف وثمان وثلاثين، وعمره أربع وخمسون سنة، ودفن بصنعاء، وبُني عليه قبة هناك[١].

دخول الشريف أحمد بن عبدالمطلب بن حسن مكة، ومعاقبته بعض أعيانها

فدخل مكةَ الشريف أحمد بن عبدالمطلب بن حسن ضحى يوم الأحد سابع عشر رمضان سنة سبع وثلاثين وألف، وفرّ مِنْ مكة مَنْ كان فيها من جماعة الشريف محسن، واختفى مَنْ اختفى. وممن اختفى من الأعيان: الشيخ عبدالرحمن ابن عيسى المرشدي الحنفي مفتي الحرم المكي، فلما بلغه اختفاءه حَثّ في طلبه، ونادى عليه ببراءة الذمّة ممن وجد لديه، فأظهره مَن أضمره، فنهب داره وقبض عليه وحبسه، وأخاه القاضي أحمد بن عيسى المرشدي، ثم قتل الشيخ عبدالرحمن المرشدي في السجن كما سيأتي[٢].

قال في خلاصة الأثر[٣] نقلاً عن الضوء اللامع للسخاوي[٤] في ترجمة

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٦٨). وانظر هذه الأحداث في: منائح الكرم (٣/٦٤١-٦٤٥)، وعقد الجواهر والدرر /أحداث سنة ١٠٣٦ هـ، وسمط النجوم (٤/٤٢١-٤٢٢)، وخلاصة الأثر (٣/٣١٠-٣١١)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٣٨-٣٩).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٦٨-٦٩). وانظر: منائح الكرم (٤/٧-٩)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٤٠).

(٣) خلاصة الأثر (٢/٣٦٩-٣٧١، ٣٧٥).

(٤) لم أقف له على ترجمة في الضوء اللامع، وعبارة المحبي في الخلاصة لا توحي بأن السخاوي قد ترجم له في الضوء.

الشيخ عبدالرحمن المرشدي: نشأ بمكة، وحفظ القرآن، وصلّى به التراويح إماماً في المسجد الحرام، وحفظ الألفية، والأربعين للنووي، وكنز الدقائق، إلا القليل منه، والجزرية، وغيرها، وشرع في الاشتغال من سنة تسع وثمانين وتسعمائة، فلازم الشيخ [عبدالرحيم][1] بن حسان. وأخذ عن [الشيخ][2] علي بن جار الله بن ظهيرة، والمنلا عبدالله الكردي، والسيد غضنفر.

وروى الحديث عن الشمس الرملي، وعن الشيخ المعمّر المنلا حميد السندي، والشيخ أحمد الشربيني، والشمس النحراوي.

وأخذ القراءات عن الملا علي القاري الهروي، وولي تدريس مدرسة المرحوم محمد باشا في حدود سنة تسع وتسعين وتسعمائة، فدرّس بها صحيح البخاري، وأملى عليه شرحاً بلغ فيه إلى باب: رفع العلم وظهور الجهل، فعُزل عنها وليها مدرّسها الأول، ونظم منظومة في علم التصريف سماها: "ترصيف التصريف"، وشرحها شرحاً نفيساً سمّاه: "فتح اللطيف"، وشرح [كتاب][3] "الكافي في علمي العروض والقوافي"، سمّاه: "الوافي في شرح الكافي"، وشَرَحَ "عقود الجمان في المعاني" للأسيوطي شرحاً حافلاً، مزج فيه عبارة النظم في الشرح، فاق على شرح مؤلفها بكثير. وولي إمامة المسجد الحرام وخطابته، والإفتاء السلطاني في سنة عشرين وألف، ثم تولى تدريس المدرسة السليمانية الحنفية سابع عشر رجب سنة سبع وعشرين وألف،

---

(١) في الأصل: عبدالرحمن. والتصويب من خلاصة الأثر (٢/٣٦٩).

(٢) قوله: "الشيخ" زيادة من خلاصة الأثر، الموضع السابق.

(٣) في الأصل زيادة: شرح. وقوله: "كتاب" زيادة من خلاصة الأثر، الموضع السابق.

وباشر الدرس فيها سادس شعبان منها، وافتتح الدرس في تفسير البيضاوي من قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة:١٨٣]، وحضر مجلسه فيها يومئذ جميع العلماء والأعيان.

وذكره السيد علي في السُّلافة[١]، وذكر وصفه إلى أن قال: ولم يزل ممتطياً صهوة العز المكين[٢]، راقياً ذروة طود الجاه الركين، لا يقاس به قرين، ولا تطأ آساد الشرى له عرين، إلى أن تولى الشريف أحمد بن عبدالمطلب مكة المشرفة، ورفل في حلل ولايتها المفوّقة، وكان في نفسه من الشيخ المشار إليه ضغن، حَلَّ بصميم مهجته [وما ظعن][٣]، فأمر أولاً بنهب [داره][٤] وخفض محله ومقداره، ثم قبض عليه. انتهى.

وفيه أيضاً[٥]: قبض على المرشدي في أواخر شهر رمضان [من][٦] سنة سبع وثلاثين وسجنه، ونهب داره وكتبه، [وطلبه][٧] يوماً إلى مجلسه وهو غاص بأهله، وعاتبه أشدّ عتاب، فأجابه بأحسن جواب، ثم أعاده إلى السجن، وقال للحاضرين: والله إني أعلم وأعتقد أنه من أفضل علماء زمانه، وأتقى أهل عصره. واستمر في السجن إلى يوم النحر، فأمر بخنقه. انتهى بحذف واختصار.

---

(١) سلافة العصر (٦٨-٦٩).
(٢) في سلافة العصر: المتين.
(٣) ما بين المعكوفين زيادة من سلافة العصر (ص:٦٩).
(٤) قوله: "داره" زيادة من سلافة العصر، الموضع السابق.
(٥) خلاصة الأثر (٢/٣٧٦).
(٦) في الأصل: في. والتصويب من خلاصة الأثر، الموضع السابق.
(٧) في الأصل: وطلب. والتصويب من خلاصة الأثر، الموضع السابق.

قال الرضي في تاريخه: [اختلفت][1] الأقوال في سبب قتل الشيخ عبدالرحمن المرشدي، فقيل: تعريضه بالشريف أحمد بن عبدالمطلب في خطبة عقده التي خطب بها في زواج سلطانة بنت علي شهاب، وكان الشريف أحمد طلب التزوج بها فلم يُزوّج، فعرض الشيخ بذلك، حيث قال في ابتداء الخطبة: الحمد لله الذي أعز سلطانه، وأدحض شيطانه.

وقيل: إنه جاء إلى الشريف المذكور عند موت أخيه السيد محمد بن عبدالمطلب معزياً لابساً صوفاً أبيض، وكانت عادهم لبس السواد في مثل ذلك اليوم.

وقيل: إن الشريف أحمد حين استولى على مكة وطلع إلى دار السعادة على فرش الشريف محسن، وجد تحت طرف المرتبة فتيا من الشيخ المذكور بتسميتهم بغاة جائرين ظالمين، وبوجوب قتالهم، بخطه المعروف واسمه الموصوف، وكان الشريف أحمد بعد أن حبس الشيخ عبدالرحمن المرشدي يخرجه في كل شهر لحضور ديوانه، وهو في أصفاده وأحزانه، فأقبل مرة، فلما قرب من حضرة الشريف أحمد بن عبدالمطلب أنشد:

لا تضع للعزيز قدراً وإن كنـــ ـــت مـــشاراً إليـــه بـــالتعظيم
فالعزيز الكـــريم يـــنقص قـــدراً بالتعدي على العزيـــز الكـــريم

فالتفت الشريف إلى الحاضرين وقال: انظروا إلى جرأته في ثلبي، وقوة جنانه لحربي! فجعل عين ذلك المجلس -وهو الإمام زين العابدين بن

(١) في الأصل: اختلف. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٦٩).

عبدالقادر الطبري- يعتذر ويحسن التعليل بما قدر، فقصره الشريف عن التطويل وقال: هيهات! إنما قصد من القطعة ما قيل:

ولع الخمر بالعقول رمى الخمـ ـر بتنجيسها وبالتحريم

ثم قال: والله إني لأعلم أنه أفضلكم على الإطلاق، وقد عنّ لي العفو عنه، إلا أنه جاء نُكْراً إذ جعل نفسه عقلاً، وجعلني خمراً. وأمر بإعادته إلى حبسه، إلى أن نقله إلى رمسه، فإنه لم يزل في الحبس إلى الموسم، فورد الحج المصري وأميره قانصوه باشا، ومعه الخلع الواردة لصاحب مكة، فخرج للقائه الشريف أحمد، فألبسه الخلعة على جري العادة، وحج بالناس، ولم يحج من أهل مكة في هذا العام إلا القليل.

ولما كانت ليلة الحادي عشر من ذي الحجة جاء إلى الشريف من أوحى إليه أن الأمراء عزموا على إطلاق الشيخ عبدالرحمن المرشدي وتخليصه من يد الشريف، فبعث من ليلته إلى الحبس، وأمر بقتل الشيخ وأخيه، فشفع حاكمه عتيق بن عمر في القاضي أحمد [أخي][1] الشيخ، لصحبة كانت بينهما، فشفعه فيه، ونزل المأمورون بقتل الشيخ عبدالرحمن، فقتلوه صبراً في تلك الليلة، ودفن بالشبيكة[2]. وقتل معه تلك الليلة: حيدر الشامي -أحد تجار مكة- بدلاً عن القاضي أحمد بن عيسى المرشدي؛ لكونه أمر بقتل الاثنين.

---

(١) في الأصل: أخ. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٢) الشبيكة: سبق التعريف بها (ص: ١٠٠).

فلما كانت صبيحة يوم النحر جاء الأمراء إلى الشريف، وذكروا له أمر الشيخ وشفعوا فيه، فقال: قد تفرطنا فيه، وهلا ذكرتم لنا قبل هذا؟

وكان عمر الشيخ المرشدي حين قُتل إحدى وستين سنة، وأصاب الناس عليه أعظم حسرة، وقتل الشريف أحمد هذه القتلة بعينها، كما سيأتي[١].

وفي الأثر: "كما تدين تدان"، وهذا حال الدهر مع كل قاصٍ ودان[٢].

قال في خلاصة الأثر[٣]: ولما تولى الشريف أحمد أمر مكة استولى على أموال الناس، ولم يرحم أحداً، وعاقب كثيراً ممن كان قبل استبعدها عنه [وسخر منه][٤]، وكان له أخدان وجلساء قبل الولاية، فعجل لهم الأذية، منهم: السيد سالم بن أحمد شيخان، والشيخ أحمد القشاشي، والشيخ محمد[٥] المقدسي خليفة سيدي أحمد البدوي، فحبس الجميع وثقل عليهم، حتى افتدوا أنفسهم بمال جزيل، وذلك بوشاية شخص يقال له: المياس[٦]، واستمرّ متغلباً على مكة، واستولى على أموال مكة ورقاب أهلها، وصادر التجار،

---

(١) انظر: منائح الكرم (٣/٩-١١، ٢٢-٢٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٤٠-٤١، ٤٢-٤٣). وانظر هذه الأحداث مع الكثير من الاختلاف في: عقد الجواهر والدرر /أحداث سنة ١٠٣٧هـ، وسمط النجوم (٤/٤٢٦-٤٢٨)، وخلاصة الأثر (١/٢٣٩، ٢٤٠).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٦٩-٧٠).

(٣) خلاصة الأثر (١/٢٣٩). وانظر: سمط النجوم (٤/٤٣١)، وخلاصة الكلام (ص:٧٠)، وتاج تواريخ البشر (٢/٢٨٨).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من المراجع السابقة.

(٥) في تاج تواريخ البشر: أحمد.

(٦) في خلاصة الأثر وتاج تواريخ البشر: الماس.

وحبس من حبس، وقتل من قتل، فنفرت الناس وجلت عن مكة، وخالفت القبائل، وتقطعت الطرق، وأكثر العسكر الفساد في أشراف البلاد، وسكنوا بيوت الأشراف، وانتهكوا حرمتهم.

وفي منائح الكرم[١]: وعاثت عساكره بمكة حتى حجر ذوو الهيئات غلمانهم، وسكنوا الدور، وهتكوا الستور، فصار الحرم مباحاً يدخله العسكري بنعاله فلا يمنعه أحد.

وذكر الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي: أن بعض العسكر سَكِرَ، فدخل الحرم وضرب الحَجَر الأسود بسيفه، وضرب البيت الشريف، فأراد تأديبه، فتعصبت له جماعته ومنعوه.

وصادر الشريف المذكور أهالي مكة وتجارها، وأخذ منهم أموالاً لا تحصى.

وذكر شيخنا السيد محمد الشلي باعلوي[٢]: أنه خرص ما أخذه من المال، فكان نحو ثلاثين ألف دينار من الذهب.

وفي إتحاف فضلاء الزمن[٣]: ثلاثين ألف ألف دينار من الذهب. انتهى.

---

(١) منائح الكرم (٤/١٣-١٤). وانظر: إتحاف فضلاء الزمن (٢/٤٢)، وعقد الجواهر والدرر / أحداث سنة ١٠٣٦هـ.

(٢) عقد الجواهر والدرر /أحداث سنة ١٠٤٠هـ.

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (٢/٤٢).

وكان ممن فرّ منها: الشيخ جمال الدين محمد باقشير، فتوجّه مع الحج المصري إلى مصر مختفياً، وفي ليلة خروجه مختفياً صادف في خروجه في طريقه الشريف أحمد عائداً من العمرة، فكتب بطاقة، وأمر بعض العامة أن يعطيها الشريف أحمد، فأوصلها له، فقرأها في ضوء الشمع، وكان يسير به ليلاً بدلاً عن المشاعل، فإذا فيها:

تستحل الدماء وتحرم بالعمـــــــرة دعها وعن دما الناس أمسك
ما رأينـــا والله أعجـــب حـــالاً منك واهاً لفاتـــكٍ متنـــسك

فسأل عن صاحب الرقعة فلم يعرف.

وبقي الشيخ جمال الدين باقشير بمصر إلى أن قتل الشريف أحمد، فرجع إلى مكة، واستمر الشريف أحمد على ولاية مكة، ولم يفِ للشريف مسعود بن إدريس ببعض تلك العهود، بل أراد قتله، ففرّ إلى قانصوه باشا والتجأ إليه، فوجد قانصوه مملوءاً على الشريف أحمد، فلما أقبل قانصوه قاصداً لليمن لاقاه الشريف مسعود من الينبع أو الحوراء[1]، وجاء معه مختفياً، وكان قانصوه مأموراً أن ينظر في أمر مكة ويولي فيها من يختار.

ولما أن قضت الحجاج مناسكهم وذهبوا إلى بلادهم، تخلّف قانصوه بثقله أسفل مكة، فلما تحرك للسفر قدم ثقله ولم يبق إلا مخيمه وخيام العسكر، فأشار قانصوه إلى شخص يتعاطى خدمته من أبناء الطواف يسمى محمداً المياس[2] أن يُحسِّن للشريف أحمد الوصول إلى

(١) الحوراء: كورة من كور مصر القبلية في آخر حدودها من جهة الحجاز على البحر في شرقي القلزم، وهي مرفأ سفن مصر إلى المدينة (معجم البلدان ٢/٣١٦).
(٢) في تاج تواريخ البشر: إلياس.

قانصوه للوداع، ففعل، وذهب إلى الشريف أحمد وحسّن له ذلك يوم السبت رابع عشر صفر.

فلما كانت ليلة الأحد خامس عشر الشهر المذكور سنة تسع وثلاثين وألف، ركب الشريف أحمد إليه وصحبته جماعة من الأشراف ومن الخدم، فلم يزالوا يدخلون المخيم من باب إلى باب حتى وصلوا إليه، فتحادثا ملياً، ثم نصبا الشِّطْرَنْج[١].

فلما كانت الساعة الخامسة من الليلة المذكورة قبض على الجميع، فقتل الشريف أحمد، وأطلق الباقين، فتحركت عساكره، فأظهره لهم مقتولاً، ونشر العلم، ونودي: المطيع للسلطان يقف تحته، فوقفت العساكر تحته، وخلع على الشريف مسعود بن إدريس، وكانت مدة ولاية الشريف أحمد بن عبد المطلب: سنة واحدة، وأربعة أشهر، وثمانية عشر يوماً[٢].

ولاية الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نمي

ثم استدعى الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نمي[٣] وخلع

(١) الشطرنج: لعبة تلعب على رقعة ذات أربعة وستين مربعاً، وتمثل دولتين متحاربتين باثنتين وثلاثين قطعة تمثل الملكين والوزيرين والخيَّالة والقِلاع والفِيَلة والجنود ((هندية)) (المعجم الوسيط ٤٨٢/١).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٧٠-٧١). وانظر: منائح الكرم (٢٨/٤-٢٩، ٣٢-٣٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (٤٤/٢-٤٥)، وخلاصة الأثر (٢٤٠/١)، وسمط النجوم (٤٣٠/٤، ٤٣٢)، وعقد الجواهر والدرر /أحداث سنة ١٠٣٩هـ، وتاج تواريخ البشر (٢٨٩/٢-٢٩٠).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٣٦١/٤-٣٦٢)، وخلاصة الكلام (ص:٧١)، والأعلام (٢١٦/٧). وفي رحلة العياشي (٢٣٧/٢) قصيدة في مدحه، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١١١)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٣١-٢٣٣).

عليه في اليوم المذكور، وولاّه مكة، فدخلها وصحبته قانصوه.

ثم إن قانصوه صادر تجار مكة، وأخذ منهم جملة أموال، ثم توجه إلى اليمن فيما أمر به، واستقل بمدخول جدة من العشور، وخرجت من يد صاحب مكة أصالة، ولم تزل إلى أن استرجع الشريف زيد نصفها بعد تعب شديد، فهي اليوم نصفين؛ النصف للشريف صاحب مكة، والنصف للسلطنة، وطمع فيها أصحاب الدولة حتى صار يجعل فيها باشا[١] من جهة الأبواب. انتهى[٢].

وفي خلاصة الكلام[٣]: كان الشريف مسعود ملكاً جواداً، شجاعاً، حسن التدبير، محباً للأدب، عارفاً بمقادير العلماء والأفاضل، فبلغت به الناس المنى، وكثر عليه الثناء، ومدحه الشعراء بقصائد، وفي أيامه كان سقوط البيت الشريف.

قال السنجاري[٤]: وفي أيامه كان الغلاء الشديد بمكة، حيث إنه كان لا يوجد إلا الدخن[٥]، فسمي العام: عام دخنه، وأعقب ذلك الغلاء مرض عام غريب حصل منه اعتلال في الركب بحيث إن الإنسان كان يخرج

---

(١) أي باشا للأبواب يتولى أمرها على مقدار تلك النفقة (هامش إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (٢/٤٥)، ومنائح الكرم (٤/٣٦-٣٧)، وعقد الجواهر والدرر /أحداث سنة ١٠٣٩هـ.

(٣) خلاصة الكلام (ص:٧١). وانظر: منائح الكرم (٤/٣٨).

(٤) منائح الكرم (٤/٨٨). وانظر: إتحاف فضلاء الزمن (٢/٥٠).

(٥) الدخن: نبات عشبي من النجيليات، حبه صغير أملس كحب السمسم، ينبت برياً ومزروعاً (انظر: المعجم الوسيط ١/٢٧٦).

[إلى][1] السوق على رجليه، فيعاد محمولاً لا قدرة له على القيام من غير داء يشكوه، وكان دواء الناس منه شرب ماء الليم[2] مع السكر بعد تحميته في جلده على النار. انتهى.

وفي ثاني عشرين ربيع الثاني سنة أربعين وألف توفي الشريف مسعود ببستانه بالمعابدة[3] بمرض الدّق[4]، ودفن بقبة السيدة خديجة رضي الله عنها. وكانت مدة ولايته: سنة، وشهرين، وستة وعشرون يوماً. ذكره في تحصيل المرام[5].

وفي شرح رسالة ابن زيدون للشيخ جعفر لبنى: توفي الشريف مسعود ببستانه بأم عابدة بمرض الدق، وأم عابدة الحارة التي يقال لها اليوم: معابدة، وبستانه الظاهر أنه الذي عند حوض [أبي][6] طالب، لأنه مشهور سابقاً ببستان مسعود، واليوم عند الشريف دخيل الله العواجي من آل زيد[7]. انتهى.

---

(١) قوله: "إلى" زيادة من منائح الكرم (٤/٨٨).
(٢) الليم: من الحوامض من فصيلة النارنج (هامش تاريخ مكة للسباعي ص:٣٦٤).
(٣) المعابدة: سبق التعريف به.
(٤) الدّق: حمى معاودة يومياً تصحب غالباً السل الحار (اللسان، مادة: دقق، والمعجم الوسيط ٢٩١/١).
(٥) تحصيل المرام (ورقة ١٩٧). وانظر: سمط النجوم (٤/٤٣٧)، وإعلام الأنام (ص:١٦٦)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٥٠).
(٦) في الأصل: أبو.
(٧) انظر: تاريخ مكة للسباعي (ص:٣٦٥).

ولاية الشريف عبدالله بن حسن بن أبي نمي، وهو جد [الأشراف][1] آل عون أمراء مكة حالاً

فاجتمع السادة الأشراف، واتفقوا على تولية الشريف عبدالله بن حسن ابن أبي نمي[2]، وعرضوا ذلك إلى السلطنة العلية، فجاءته مراسيم التأييد، وهذا الشريف عبدالله بن حسن بن أبي نمي هو جد الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون أمير مكة، فإنه: محمد بن عبدالمعين بن عون بن محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبي نمي.

وقد ترجم صاحب خلاصة الأثر الشريف عبدالله بن حسن بن أبي نمي فقال[3]: كان سيداً جليلاً، عظيماً، صالحاً.

ولي مكة بعد ابن أخيه الشريف مسعود -وهو إذ ذاك أكبر آل أبي نمي- بالاتفاق من الأشراف، وكان ممتنعاً في الولاية، وتخلف عن جنازة الشريف مسعود لذلك، فألزموه بذلك حقناً لدماء العالم، وما زالوا به حتى رضي، وحصل بولايته الأمن والأمان، واستمر الشريف عبدالله بن حسن إلى أن حجّ بالناس سنة أربعين[4].

---

(١) في الأصل: أشراف.

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٣/٣٨-٣٩)، وخلاصة الكلام (ص:٧١)، والأعلام (٤/٧٨)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١١١-١١٢)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٣٣-٢٣٦).

(٣) خلاصة الأثر (٣/٣٨-٣٩).

(٤) خلاصة الكلام (ص:٧٢). وانظر: سمط النجوم (٤/٤٤١-٤٤٢).

نزول الشريف عبدالله بن حسن عن الإمارة لولده محمد، ومشاركة زيد بن محسن لولده المذكور

وفي شهر صفر سنة إحدى وأربعين وألف خلع نفسه، تعففاً وديانةً، وقلّد أمر مكة لولده الشريف محمد بن عبدالله[١]، وأرسل إلى اليمن يطلب مولانا الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي[٢]؛ لأنه بقي هناك بعد أن توفي والده، وأخبره أنه يريد أن يجعله شريكاً لولده، فوفد عليه الشريف زيد بن محسن من اليمن، فأشركه مع ولده في النصف الآخر، وتخلى مولانا الشريف عبدالله عن الأمر، وتجرّد للعبادة، إلا أنه كان يُدعى له على المنبر معهما.

واستمر مولانا الشريف عبدالله بن حسن بعد أن خلع نفسه إلى أن توفي ليلة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة[٣]، وصُلّي عليه، ودفن في قبة والده الشريف حسن. فكانت مدة ولايته: تسعة أشهر، وثلاثة أيام[٤].

وأعقب جملة من الذكور، وهم: محمد، وأحمد، وحمود، وحسين، وهاشم،

---

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر(٤/٢٧)، وخلاصة الكلام(ص:٧٢-٧٣)، والأعلام (٦/٢٤٠)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١١٢)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٣٦).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر(٢/١٧٦-١٨٦)، وخلاصة الكلام (ص:٧٤-٧٩)، والأعلام (٣/٦٠-٦١)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١١٣-١١٥)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٣٦).

(٣) أي سنة ١٠٤١ هـ.

(٤) انظر: منائح الكرم (٤/١٢٤-١٢٦)، وسمط النجوم (٤/٤٤٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٥٨-٥٩).

وثقبة، وزامل، ومبارك، وزين العابدين.

واستمر بعد وفاته ابنه الشريف محمد والشريف زيد بن محسن على ولاية مكة، وجاءهما التأييد من السلطة العلية، ولبسا خلعتين، وقرئ مرسومهما في سابع جمادى الأولى من هذه السنة.

وفي أواخر هذه السنة كانت وقعة الجلالية، وملخّصها:

أن عسكراً من اليمن خرجوا عن طاعة قانصوه باشا، وجاء الخبر أنهم لما وصلوا القنفذة[(١)] اجتمع بهم السيد نامي بن عبدالمطلب بن حسن بن أبي نمي، واستمالهم على أخذ مكة، فأرسلوا مكاتيب لمولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد يطلبون الإذن في دخول مكة، ثم يتوجهون إلى مصر، فرجع إليهم الجواب بعدم الإذن في دخول مكة، ثم جاء الخبر بأن الأتراك وصلوا السعدية[(٢)]، فخرج مولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد ومعهم العساكر إلى قَوْز المَكَّاسَة أسفل مكة، ووقع اللقاء بين العسكرين هناك، فحصلت ملحمة عظيمة، وقتل الشريف محمد بن عبدالله صاحب مكة، وجماعة من الأشراف، منهم: السيد أحمد بن حراز، والسيد حسين بن مغامس، والسيد [سعيد][(٣)] بن راشد، وأصيبت يد هزاع [بن محمد الحارث، وقتل من

---

(١) القنفذة: مدينة صغيرة وميناء على ساحل البحر الأحمر على قرابة ٣٤٣ كيلاً جنوب مكة المكرمة (بين مكة واليمن: ١١٢-١١٣).

(٢) السعدية: في جنوب مكة أسفل وادي يلملم على درب اليمن، ميقات أهل اليمن، تبعد عن مكة حوالي ١٠٠ كيلومتراً، كانت محطة للحجاج، وهي المرحلة الثانية على نظام القوافل. وفي عام ١٣٩٨ هـ عُبّد طريق اليمن، فابتعد عنها إلى الساحل فقلّ رائدها (انظر: هامش تاريخ مكة للسباعي ص:٣٦٧، ومعجم معالم الحجاز ٤/٢١٠).

(٣) في الأصل: سعد. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:٧٣)، ومنائح الكرم (١٤٣/٤)، وسمط النجوم (٤٤٤/٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (٦١/٢).

الجماعة نحو المائتين، ورجع الأشراف بالشريف محمد عصر][1] ذلك اليوم، وغسلوه وصلوا عليه، ودفنوه في المعلاة مع آبائه. وكانت مدة ولايته: سبعة أشهر إلا ستة أيام.

وتوجّه من نجا من الأشراف إلى جهة وادي مرّ الظهران، بعد أن قاتل الشريف زيد قتالاً شديداً، ثم بعد تمام الواقعة دخلت الأتراك مكة ومعهم الشريف نامي بن عبدالمطلب[2].

ولاية الشريف نامي بن عبدالمطلب[3] سنة ١٠٤١هـ

فنودي له في البلد، وأشركوا معه السيد عبدالعزيز بن إدريس بن حسن في ربع مكة، لكن لم يشركوه في الدعاء على المنبر، وأرسلوا إلى أمير جدة دولار آغا أن يسلمها إليهم، فمنع من ذلك، فجهز إليه الشريف عبدالعزيز والعسكر، وحاصروا الأمير المذكور، ثم دخلوا جدة ونهبوا بيته، وأخذوه وأهانوه وضربوه، ثم أطلقوه، ونهبوا غالب التجار بجدة، ثم رجعوا إلى مكة، وتفرق العسكر إلى غالب بيوت الأشراف وبقية البيوت، وعاثت العسكر في مكة، وصادر الشريف نامي بعض التجار، وقتل مصطفى بك كبير العسكر

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:٧٣).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٧٢-٧٣). وانظر هذه الأخبار في: منائح الكرم (٤/١٤٠-١٤٤)، وسمط النجوم (٤/٤٤٤-٤٤٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٦١-٦٢)، والأرج المسكي (ص:١٣١-١٣٢).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٤/٤٤٨)، وخلاصة الكلام (ص:٧٣-٧٤)، والأعلام (٨/٦)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١١٣)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٣٨).

الذين كانوا مع شريف مكة، وفرّ بقية العسكر الذين كانوا معه إلى جدة، ثم إلى سواكن.

ولما كان أثناء شهر ذي القعدة أشيع بأن صاحب مصر بعث أربعة صناجق مع تجريدة وأسلحة لمولانا الشريف زيد بن محسن، وكان بعد الواقعة توجه إلى المدينة، فصادف ببدر السيد علي بن هيزع يريد مصر، فكتب معه إلى صاحب مصر، فوصل السيد علي المذكور وأخبر الباشا، وهوَّل الأمر فيما وقع بمكة من الجلالية، فجهز الباشا ثلاثة آلاف عسكري ومعهم خمسة صناجق سافروا براً، وجهز قبطان السويس ومعه خمسمائة عسكري، وأرسل قفطانين لمولانا الشريف زيد، وأمره بلبسهما والتوجه إلى ينبع لملاقاة العسكر، فلبسهما بالمدينة المنورة في حجرة النبيﷺ ، وتوجه إلى ينبع ولاقى العسكر، وسار معهم إلى أن وصلوا الجموم[1]، ووصل خبرهم إلى مكة، فبعث الشريف نامي عيوناً يبصرون له العسكر في وادي الجموم نحو ثلاثين خيالاً، وعشرة هجانة، فوصلوا الوادي ليلاً، فشعر بهم العسكر المصري، فلحقتهم الخيل فقتلوا منهم ثلاثة عشر خيالاً، وخمسة أو ستة هجانة، وفرّ الباقون إلى مكة، فجاؤوا إلى الشريف نامي وأخبروه بما هالهم، فلما تيقن ذلك خرج من مكة ومن معه من الجلالية، ومعه أخوه [سيد][2] بن عبد المطلب، والسيد عبدالعزيز بن إدريس لأربع خلون من ذي الحجة بعد صلاة العصر سنة إحدى وأربعين وألف،

---

(١) تقدم التعريف به في (٢/٣٠٥).

(٢) في الأصل: أسيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٧٤)، ومنائح الكرم (٤/١٥٤).

وتوجهوا إلى تربة[١]، وتحصنوا بها، وفارقهم في أثناء الطريق السيد عبدالعزيز ابن إدريس، وانحدر إلى ينبع.

وكان بمكة السيد أحمد بن قتادة بن ثقبة بن مهنا، فنادى في البلاد لمولانا السلطان، فأمن الناس واطمأنوا، وأرسل لمولانا الشريف زيد يعرفه بخلو البلاد[٢].

دخول الشريف زيد بن محسن مع العسكر المصريين

فلما كان وقت شروق الشمس يوم الخميس سادس [ذي][٣] الحجة، دخل مولانا الشريف زيد ومعه الصناجق، ونزل بدار السعادة، ودخل المحمل المصري عقب دخوله، ولم يكن معهم حجاج غير العسكر، ثم نزل مولانا الشريف زيد المسجد وقت الضحى من ذلك اليوم، وطاف بالبيت، والريّس يدعو له، والمنادي ينادي له في شوارع مكة، وحج بالناس في السنة المذكورة.

ثم بعد قضاء المناسك توجه مولانا الشريف زيد مع الأشراف إلى تربة لمحاصرة المتحصنين بها، فحاصروهم، وخرج من الحصن بعضهم بالأمان،

---

(١) تربة: بلدة عامرة في وادي تربة بالقرب من مكة على مسافة يومين منها، ولواديها ذكر في خبر عمر رضي الله عنه حين أنفذه رسول الله ﷺ غازياً حتى بلغ تربة (معجم البلدان ٢١/٢، ومعجم معالم الحجاز ٢٠/٢-٢٣).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٧٣-٧٤). وانظر هذه الأخبار في: منائح الكرم (١٤٤/٤-١٤٦، ١٥٤-١٥٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (٦٢/٢-٦٤)، وانظر هذه الأخبار مع بعض الاختلاف في: سمط النجوم (٤٤٥/٤-٤٤٦)، والأرج المسكي (ص:١٣٢)، ومختصراً في: عقد الجواهر والدرر /أحداث سنة ١٠٤١هـ.

(٣) في الأصل: ذو.

وهجم العسكر على الحصن ودخلوه، وقتلوا غالب مَنْ فيه، وأمسكوا كور محمود والشريف نامي وأخاه [سيداً][١]، وجاء الخبر إلى مكة، فزينت البلد سبعة أيام، وكان دخولهم الحصن عاشر[٢] محرم سنة اثنتين وأربعين وألف، فرجعوا ودخلوا مكة سابع عشر[٣] محرم، فاستفتوا بمكة على قتل الشريفين نامي وأخيه، فأفتى العلماء بقتلهما[٤].

تعليق الشريف نامي وأخيه بالمدعى

شنق الشريفين بالمدعى في روشنين[٥] متقابلين يوم الخميس ثامن عشر محرم، وأمرت العساكر بتخريق[٦] سواعد كور محمود ، وأركبوه جملاً[٧]،

---

(١) في الأصل: أسيداً. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٧٤).

(٢) في منائح الكرم (١٦٣/٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (٦٥/٢): أن دخولهم الحصن كان ليلة الجمعة الحادي عشر من محرم.

(٣) في سمط النجوم (٤٤٧/٤) أن دخولهم مكة كان ثامن عشر محرم.

(٤) خلاصة الكلام (ص: ٧٤). وانظر هذه الأخبار في: منائح الكرم (١٥٥/٤-١٥٧، ١٦٢-١٦٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (٦٤/٢-٦٥)، وسمط النجوم (٤٤٦/٤-٤٤٧)، والأرج المسكي (ص:١٣٣).

(٥) الروشن: الرف (لسان العرب، مادة: رشن).

(٦) الخرق: هي الفرشة والشق (لسان العرب، مادة: خرق).

(٧) وفي تاريخ العصامي: عذب محمود بأنواع العذاب، وطيف به على جمل في شوارع مكة عاري [الجسد]١، ومدّ باعه بعصا وربطت يداه عليها وعورضت من خلفه، وشق عضداه وذراعاه، وغرز فيها مصطفة خرق الزيت الموقدة، ووكل من يضربها من خلف حيناً بعد حين، فيتناثر شققها على جسده والعياذ بالله، ثم علق بكلاّب أدخل في رأس ذراع يده اليمنى، ثم أدخل تحت عصب عقب رجله اليسرى، ورفع إلى شجرة جميز عند باب المعلاة، فمكث كذلك نحو يومين٢ حياً يسب ويفحش ويفجر، ثم قطع رأسه، وسحب برجله إلى شعب العفاريت فأحرق. انتهى (سمط النجوم ٤٤٧/٤). (غازي).

=

وطافوا به في شوارع مكة، ثم علقوه بالجميزة[١] التي في المعلا، وبقي حياً إلى آخر النهار، فأنزلوه وقتلوه وحرقوه، وذروا رماده في الهواء[٢].

وفي تاج تواريخ البشر[٣]: أخذته العامة وأحرقته في شعبة العفاريت[٤] بمكة في أعلا [فلق][٥] عبدالمطلب. انتهى.

وتخلف أمير الحاج المصري والشامي إلى أن رجع العسكر من تربة، وتوجهوا جميعاً أواخر صفر.

واستمر الشريف زيد حاكماً بمكة، ضابطاً لها، مؤمناً لها ولأهلها، إلى أن توفي إلى رحمة الله. وكانت مدة الشريف نامي: مائة [يوم][٦] ويوماً، على قدر حروف اسمه[٧].

=

١- قوله: "الجسد" زيادة من سمط النجوم (٤/٤٤٧).

٢- في سمط النجوم: ثلاثة أيام.

(١) أي شجرة جميز.

(٢) خلاصة الكلام (ص:٧٤). وانظر هذه الأخبار في: منائح الكرم (٤/١٦٣-١٦٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٦٥)، وسمط النجوم (٤/٤٤٧)، والأرج المسكي (ص:١٣٣).

(٣) تاج تواريخ البشر (٢/٢٩٣).

(٤) شعبة العفاريت: هو شعب أبي دب، ويسمى أيضاً: شعبة الجن. وهو الشعب الذي فيه الجزارون، وأبو دب رجل من بني سواءة بن عامر (معجم معالم الحجاز ٣/٢٠١-٢٠٢).

(٥) في الأصل: صلق. والتصويب من تاج تواريخ البشر (٢/٢٩٣).

(٦) في الأصل: يوماً. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٧٤).

(٧) خلاصة الكلام (ص:٧٤). وانظر هذه الأخبار في: منائح الكرم (٤/١٦٥-١٦٦)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٦٦)، وسمط النجوم (٤/٤٤٧)، وعقد الجواهر والدرر/أحداث سنة ١٠٤٢ هـ.

وفي سنة سبع وأربعين وألف غزا مولانا الشريف بني سعد وغامد، ورجع سالماً غانماً[١].

وفي سنة تسع وأربعين وألف حج بشير آغا الطواشي، من مماليك السلطان مراد، وكان حظياً عنده، فاستأذنه في الحج، فأذن له، وأخرج دستوراً مكرماً بيده، ومعناه جواز تصرفه في كل ما يريد من عزل وتولية.

فلما دخل مصر خرج للقائه صاحب مصر[٢] إلى خارج البلد، فلما نظر إليه ترجّل عن فرسه، وسار إلى أن قبّل ركبته، ومشى إلى أن أمره بالركوب، فدخل مصر، ووصل الخبر بما وقع لمولانا الشريف زيد، فأخذته أنفة الأريحية والهمة العلية، وأقلقه ما ورد عليه من الخبر وحدوث هذه العبر، فعزم على الخروج من مكة ليكون عذراً في عدم اللقاء، وحاجزاً عن التسافل بعد الارتقاء.

ولما تزايد عليه هذا الطارئ قصد السيد عبدالرحمن المحجوب، وذكر له ما خطر بباله لتزايد بَلْباله[٣]، فقال له مولانا السيد عبدالرحمن: دَعْ عنك هذا،

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٧٥). وانظر هذا الخبر في: منائح الكرم (١٨٣/٤)، وفي إتحاف فضلاء الزمن (٧١/٢)، والأرج المسكي (ص:٦٣) أن غزوه لبني سعد وغامد كان سنة ١٠٤٥، وهو الأصح؛ لكون المؤرخ معاصراً للأحداث.

(٢) هو محمد باشا زلعة السم. قدم إلى مصر في ثاني رجب سنة ١٠٤٧ هـ، فاستمر بها والياً إلى أن عزل في ثاني عشر جمادى الأولى سنة ١٠٥٠ هـ، وهو ابن أخت السلطان سليم الثاني (انظر: أوضح الإشارات ص:١٤٧).

(٣) البَلْبال: شدَّة الهم والوَسْواس في الصدور وحديث النفس (لسان العرب، مادة: بلل).

فالله يكفيك من ذلك، وطب نفساً، فما يقع إلا الخير، ولله التدبير، فاعتمد على قوله.

فلما أن وصل بشير آغا إلى رابغ[١]، أتاه نجاب بخبر وفاة مولانا السلطان، فبطل ما بيده من الأحكام، وصار كأحد الناس بعد أن كان رئيس الحكام.

وجاء الخبر إلى مولانا الشريف زيد بالتأييد، وأن السلطان توفي في أوائل شوال، فولي بعده مولانا السلطان إبراهيم بن أحمد خان[٢]، أخو السلطان مراد، فورد بشير آغا مكة، فلاقاه مولانا الشريف بقرب مكة، وبشير آغا عنده أن خبر موت السلطان مكتوم، فلما تقاربا وتصافحا ركض مولانا الشريف فرسه متقدماً على بشير آغا [وناكبه][٣] وقال: "الله رحمة أيله سلطان مراد"[٤]، فحين سمعه بشير آغا تداخل في جسمه، ومشى كالأسير. كذا في خلاصة الكلام[٥].

---

(١) رابغ: بلدة حجازية ساحلية بين جدة وينبع على (١٥٥) كيلاً من جدة شمالاً و (١٩٠) كيلاً من ينبع جنوباً (معجم معالم الحجاز ٤/٥).

(٢) هو السلطان إبراهيم خان الأول ابن السلطان أحمد خان الأول. جلس على تخت الملك سنة ١٠٤٩ هـ. كان غير ميال للحرب، إلا أنه كان شديد المحافظة على كرامة الدولة. عزل سنة ١٠٥٨ هـ، وولي بدلاً منه ابنه محمد خان الرابع، وبعد عدة أيام من سجنه قتل خنقاً. من أهم أعماله: فتح جزيرة كريت (تاريخ الدولة العثمانية ص:١٥٠-١٥٥، والتحفة الحليمية ص:١٣٦-١٤٠، وتاريخ الدولة العلية ص:٢٨٦-٢٨٨).

(٣) في الأصل: ونائبه. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٧٦).

(٤) أي رحم الله السلطان مراداً.

(٥) خلاصة الكلام (ص:٧٥-٧٦). وانظر: منائح الكرم (٤/١٨٧-١٩٠)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٧٢-٧٣)، وسمط النجوم (٤/٤٦٤-٤٦٥)، وخلاصة الأثر (٢/١٨٥).

وفي منائح الكرم[١]: وفي سنة ألف وتسع وخمسين رحل مولانا الشريف زيد إلى المدينة لزيارة جدّه الأعظم النبي ﷺ[٢]، فاتفق أن قتل بعض العرب زفر أفندي قاضي المدينة، فظن أهلها أن ذلك بأمر مولانا الشريف، فاحتشدوا وغلقوا أبواب السور.

فلم يزل مولانا الشريف يتلطف بهم إلى أن تمكن منهم، فأخذ رؤوس الفتنة في الحديد، نحواً من تسعة أنفس، وسار بهم راجعاً إلى مكة معه، وحبسهم في ينبع.

ولم يزالوا به إلى أن ورد الحج، فشفع فيهم أمير الحج رضوان بك، وأتى بهم مكة. انتهى.

وذكر العلامة الفاضل الشيخ عبدالله العياشي رحمه الله في رحلته للحرمين بعد أن ذكر مجيئه من المدينة ووقوفه بعرفات وذكر جلوسه بمنى ما نصه[٣]: بينما نحن جالسون إذ مرّ أمير مكة المشرفة الشريف زيد في موكبه، وله شارة حسنة، معه طائفة من الأشراف والجند ذاهباً لرمي الجمار، قد ظلّل على رأسه بمظلّة كبيرة من حرير كأنها قبة خباء، يحملها فارس بجانبه يُسايِرُه وهو في ظلّها، والناس يحيّونه عن اليمين وعن الشمال، فالعوام يقولون في تحيتهم:

---

(١) منائح الكرم (٤/٢١٠-٢١١). وانظر: إتحاف فضلاء الزمن (٢/٧٧-٧٨)، وسمط النجوم (٤/٤٧١-٤٧٢)، وخلاصة الأثر (٢/١٨٠-١٨١)، وخلاصة الكلام (ص:٧٧).

(٢) كان وصوله في اليوم الثامن من شهر شعبان، ونزل بالقاضيّة خارج سور المدينة (انظر: سمط النجوم ٤/٤٧١-٤٧٢، وخلاصة الأثر ٢/١٨٠، وإتحاف فضلاء الزمن ٢/٧٧)، والزيارة إنما ينبغي أن تكون للمسجد النبوي كما صحت بذلك الآثار.

(٣) الرحلة العياشية (ص:١٩٩-٢٠٠).

"نصرك الله يا زيد"، والخواص يقولون: "السلام عليكم"، وهو يردّ على كل من حيّاه من وضيع وشريف، ولا يهمل أحداً، ويشير برأسه إلى كل من حيّاه، وذلك لشدة تواضعه رضي الله عنه. وهو رجل أسمر اللون، أبيض اللحية، سمح الوجه، ضرب من الرجال، إلى النحافة أميل، وأثنى من حضر المجلس عليه كثيراً في سيرته وعقيدته، وأثنى لي عليه شيخنا العلامة الماهر الفهامة أبا مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري المغربي، المجاور بحرم الله وحرم رسوله. وهذا الأمير من أحسن أمراء عصره[١] سياسة وحسن تدبير.

ولم تزل الإمارة في أسلافه منذ أعصار متطاولة، وأسلافه [هم][٢] المشهورون بآل أبي نمي، وهو بطن من بني حسن، وإخوانهم بنو حسين لهم إمرة المدينة وولاية الحجاز الآن بأطرافه من أطراف اليمن إلى أقصى نجد مما يلي البصرة، ثم إلى خيبر[٣] مما يلي ناحية الشام، ثم إلى الينبع كلها للأمير زيد بن محسن ولأسلافه، وليس لبني حسين في ولاية المدينة في هذا الزمان إلا الاسم فقط، وبعض تصرف من تحت يد الأمير زيد.

وكان هذا الأمير فيما [مضى][٤] على معتقد أهل بيته كاعتقاد الزيدية، ثم باينهم، ورجع إلى معتقد أهل السُّنَّة، وتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة،

---

(١) في الأصل زيادة: في. وانظر: الرحلة العياشية (ص:١٩٩).

(٢) قوله: "هم" زيادة من الرحلة العياشية، الموضع السابق.

(٣) خيبر: هي مدينة تاريخية شمال المدينة بـ (١٧١) كيلاً على الجادة إلى تبوك، فيها من العيون (١٨٠) عيناً جارية (معجم معالم الحجاز ٣/١٧٠).

(٤) قوله: "مضى" زيادة من الرحلة العياشية (ص:٢٠٠).

وحَسُنَ اعتقادُهُ في علماء أهل السُّنَّة، وبالغ في تعظيمهم، وكَفَّ أهل بيته عن كثير مما كانوا ينالون من أهل السُّنَّة، ومنعهم من إظهار معتقداهم. وقد بلغنا أنهم اجتمعوا ذات يوم ولاموه على رجوعه عن مذهبهم، فقال لهم: ألا يكفيكم مني أني لم أجبركم وأقهركم على الرجوع عمّا أنتم عليه، إنما هو دين لا يسع [المرء][1] فيه إلا اعتقاد ما هو[2] الحق، واتباع من يغلب على ظنه أنه على الحق والهدى، وقد ظهر لي صحة ما رجعت إليه، فإن رأيتم ما رأيت وتبيّن لكم ما تبيّن لي، فينبغي لكم أن ترجعوا إلى الحق والهدى، وإن لم تروه فلكم دينكم ولي دين، فمن ذلك اليوم أيسوا منه. انتهى.

وفي خلاصة الأثر في ترجمة الشريف زيد بن محسن[3]: أن الشريف أجاز السيد أحمد الأنسي اليمني على قصيدته التي أنشدها في مدحه بألف ذهب، وعبد، وفرس، والذهب الواحد عندهم بمثابة ثلث القرش في بلادنا. انتهى.

وفي خلاصة الكلام[4]: وفي سنة سبع وسبعين وألف مرض الشريف زيد، ثم توفي يوم الثلاثاء ثالث محرم الحرام، فمدة ولايته: خمس وثلاثون سنة، وشهر، وأيام، وعمره إحدى وستون سنة.

---

(١) في الأصل: للمرء. والتصويب من الرحلة العياشية، الموضع السابق.

(٢) في الأصل زيادة: على. وانظر: الرحلة العياشية، الموضع السابق.

(٣) خلاصة الأثر (٢/١٨٥).

(٤) خلاصة الكلام (ص:٧٩-٨٠). وانظر: منائح الكرم (٤/٢٣٦-٢٤٠)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٨٤-٨٥، ٨٧-٨٨).

وأعقب الشريف: [سعداً][١]، ومحمد يحيى، وأحمد، وحسناً. وأما ابنه حسين فمات في حياة أبيه، وخلف محسناً. ولي إمارة مكة كما سيأتي، ولم يحضر وفاته غير الشريف سعد وحسن.

وبعد وفاة الشريف زيد انحازت الأشراف بأجمعها إلى دار السيد حمود بن عبدالله بن حسن بن أبي نمي، وكان يرى أنه الأحق بولاية مكة بعد الشريف زيد؛ لكون أبيه الشريف عبدالله بن حسن هو الذي طلب الشريف [زيداً][٢] من اليمن وأشركه في الأمر مع ابنه محمد -كما تقدم-، ولم يبق مع الشريف [سعد][٣] إلا جماعة يحصيهم العدد، فترددت الرسل من الجانبين، السيد حمود والشريف سعد إلى عماد أفندي، وكان هو صنجق جدة وشيخ الحرم المكي، ووقعت رجة عظيمة بمكة في التولية على المسلمين فيمن يقوم مقام الشريف زيد، بين ولده الشريف سعد والسيد حمود بن عبدالله، وقام كل من الرجلين أشد قيام، وجمع الجموع، وبذل المال، وتحصنوا في البيوت والمنائر، فرد الأمر إلى عماد أفندي شيخ الحرم، فاستحسن تولية الشريف سعد، فأرسل الخلعة إليه، فلبسها في بيته، فقيل لعماد أفندي: إن الشريف زيداً كان قد أخذ أمراً سلطانياً من الدولة لابنه السيد محمد يحيى، وكتمه لأمر خشيه، ولم يُظهره خوفاً من الاختلاف، فهو ولي العهد بعده، فقال: قولوا للشريف سعد: بشرط أنك قائمقام، فجاء جماعة من الأشراف من جهة السيد حمود يراجعون عماد

---

(١) في الأصل: سعد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٧٩).
(٢) في الأصل: زيد. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.
(٣) قوله: "سعد" زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

أفندي، فقال لهم: نحن ألبسنا الشريف سعد بشرط أنه قائمقام مقام أخيه السيد [محمد](١) يحيى، لأنه هو القائم بعد أبيه بأمر سلطاني، فلم يردوا له جواباً، ورجعوا إلى بيت السيد حمود فأخبروه.

وفي خلاصة الأثر(٢): أنهم راجعوا عماد أفندي، فقال له بعضهم -وهو السيد مبارك بن فضل بن مسعود-: حمود شيخنا وكبيرنا، ولا نرضى إلا به، وكان عند عماد أفندي السيد راجح بن قايتباي من جانب الشريف سعد، فوقع بينهما كلام طويل، ثم ذهب الأشراف إلى الشريف حمود.

وكان للشريف زيد عبد حبشي اسمه: بلال، ومملوك تركي اسمه: ذو الفقار، وكان شيخاً للعسكر، وأوصاه الشريف زيد على بنيه، فقام عليهم أحسن قيام، وكان ذا هيبة ورأي سديد، فقام على قدميه، وشمّر عن ساقيه، ورتب العسكر في المواضع الحصينة، والسيد حمود لم يبرح من بيته بين بني عمه وشيعته، ونار الفتنة أشد قيام.

---

(١) قوله: "محمد" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٨٠).

(٢) خلاصة الأثر (٤٣٧/١).

جلوس الشريف سعد بن زيد[١] للتهنئة بالإمارة سنة ١٠٧٧

فجلس الشريف سعد للتهنئة، ودعا مشايخ العرب وأهل الإدراك، وفعل ما تفعل الملوك حال الجلوس، وامتدحه الشعراء بعده قصائد.

وفي اليوم الثالث من جلوسه حصل اضطراب عظيم من بعد الظهر إلى بعد العصر بين الشريف سعد والسيد حمود [وكل منهما جمع جيوشه، وتحصنوا في البيوت والمنائر، وركب جماعة السيد حمود][٢] على الجبل الذي خلف بيته، وعلى الجبل المعروف بجبل عمر[٣]، وتراموا بالرصاص من بُعد، ولم تحصل مواجهة، واستمر بهم الحال، وكل يوم يصبحون في [قيل وقال][٤]، وكل من الفريقين واقف على قدميه كالسبع الصائل.

ولما كان اليوم الثالث عشر وقع الاتفاق بين الشريف سعد والسيد حمود على قدر معلوم من المعلوم، وعينت جهاته، وكان يوماً عظيماً عند الناس،

---

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:٨٠، ١٤٢، ١٢٥، ١٢١، ١١٩)، وتاريخ الدول الإسلامية (١٥٤-١٥٨)، والأعلام (٣/٨٥)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١١٥-١٢١)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٤٣-٢٤٦).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٨٠).

(٣) جبل عمر: هو الجبل الطويل المشرف على ريع عمر، اسمه العاقر. وهو الجبل المشرف على حق آل عمر، وحق آل مطيع بن الأسود، وآل كثير بن الصلت الكندي. وعمر الذي ينسب إليه: عمر بن الخطاب رضي الله عنه،وكان يسمى في الجاهلية: ذا أعاصير(الأزرقي ٢/٢٩٢، ٢٩٦). ويذكر البلادي أن جبل عمر هو شق من ثبير الزنج، وهو ما يلي حي الشبيكة وريع الحفائر (معجم معالم الحجاز ٦/١٦٦-١٦٧).

(٤) في الأصل: قال وقيل. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ٨٠).

وحصل بذلك الأمن، وارتفع البأس، وأمر الشريف سعد بالزينة ثلاثة أيام، ثم كتب محضر من الشريف سعد إلى الدولة العلية بإنهاء ما صار من وفاة الشريف زيد، وجلوس الشريف [سعد][1] بعده، [والتماس][2] تأييده خطوط الأعيان، وذهب به عبد والده المذكور سابقاً بلال آغا إلى مصر، وسلّمه لصاحب مصر، فأرسله إلى الدولة العلية مع مزيد الاعتناء منه، وأصحبه مكتوباً من عنده، وصدر أيضاً عرض آخر من السيد حمود بنقض ما كتبه الشريف سعد، ولم يكن عليه إلا خطوط السادة الأشراف، أرسله مع رجل من أهل مصر يسمى: الشيخ عيسى، فقضى الله عليه قبل [دخوله][3] مصر بيومين، فوجدوا العرض في تركته، فلم يُجد نفعاً، وصدر أيضاً عرض ثالث من السيد [محمد][4] يحيى بن زيد من المدينة، لأنه كان بها، وعليه خطوط الأعيان من أهل المدينة، وألزم السيد محمد يحيى نفسه أربعين ألف دينار لوزير الدولة العثمانية.

فلما كان اليوم الثاني والعشرون من رجب جاءت الأخبار الصحيحة بأن الدولة العلية قد أنعمت على الشريف سعد بشرافة مكة.

وفي السادس والعشرين من رجب وصل رسول حضـــرة السلطان بالخلعة

---

(١) قوله: "سعد" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٨٠).

(٢) في الأصل: والتماسه. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: دخول. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٨١).

(٤) قوله: "محمد" زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

الشريفة والأمر السلطاني، فلبس الخلعة بالمسجد الحرام، وقرئ الأمر السلطاني، وجلس للتهنئة، وامتدحه الشعراء.

ثم استمر الشريف سعد والسيد حمود على كيفية حسنة وحالة مستحسنة، إلى أن حصل بينهما التنافر؛ وذلك بأسباب عدم إيفاء الشريف سعد بما رتبه للسيد حمود من تلك المقررات والوعود، فخرج الشريف حمود والسيد أحمد ابن محمد الحارث وغيرهم من الأشراف والخدم والأتباع إلى وادي مَرّ، وأقاموا إلى قدوم الحاج المصري، فاجتمع بأميره السيد حمود والسيد أحمد وغيرهما، فأنهوا إليه الحال وعدم الوفاء من الشريف سعد فيما التزم لهم به من معاليمهم، وقالوا: إننا أيها الأمير لا ندع أحداً يحج إلا أن نأخذ ما هو لنا، وكان قدره مائة ألف أشرفي، فالتزم للسيد حمود أن ينقده الشريف سعد قبل الصعود خمسين ألفاً منها، فقبل ذلك وخلّى سبيله ومن معه.

فلما دخل أمير الحج مكة خامس ذي الحجة خرج إليه الشريف سعد ولبس الخلعة المعتادة، ثم كلّمه أمير الحج فيما التزمه للسيد حمود ومن معه فصدق التزامه، وأعطى خادم السيد حمود الخمسين الألف قبل الصعود، وبقي السيد حمود ومن معه بالوادي إلى عشرين من ذي الحجة، فدخل مكة ومن معه من الأشراف، وقصد أمير الحج وكبار العساكر الصلح بينه وبين الشريف سعد، وعقدوا مجلساً، ولكن لم يقع بينهم اتفاق، وتوجه السيد حمود إلى ينبع، ولحق به السيد محمد يحيى أخو الشريف سعد مغاضباً لأخيه، فإنه طلب أن يكون له ربع مكة بشعار الدعاء مع الشريف سعد، فامتنع الشريف سعد من

ذلك، ولم يزل السيد حمود بينبع، ثم انتقل إلى الشرق، وبقي هناك إلى أن أذن الله بالصلح بينه وبين الشريف سعد، فوفد عليه السيد حمود بالطائف -وقيل بالمبعوث- سنة إحدى وثمانين وألف، فقابله بالإجلال والإكرام، ثم دخل معه الطائف، وتكاتبا وتعاهدا على تشييد مباني الصلح المحكم الأساس بمرأى من ضريح سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وأقاما في أرغد عيش بعد ذلك الطيش[١].

وفي سنة تسع وسبعين وألف طلب مولانا السيد أحمد بن زيد من أخيه أن يكون شريكاً له في مكة، فوافقه على ذلك، وفوّض إليه ربع مدخول مكة، فطلب أن يدعى له في المنبر معه، فأمر مولانا الشريف بذلك، ثم عرض على السلطنة، وطلب الوزير ذلك، فجاءت المراسيم بذلك.

وفي هذه السنة ورد مع الحج الشامي حسن باشا[٢] وفوضت الدولة إليه أمر جدة، ومشيخة الحرم، والنظر في أمر مكة، ولما دخل المدينة أغراه بعض الناس -منهم محمد ظافر- ببعض خَدَم الشريف سعد الذين كانوا بالمدينة،

---

(١) انظر: سمط النجوم (٥٢١/٤) مع بعض الاختلاف، وإتحاف فضلاء الزمن (٨٩/٢)، وعقد الجواهر والدرر /أحداث سنة ١٠٨١ هـ.

(٢) حسن باشا: كان له دور كبير في مجريات الأحداث بين سنتي ١٠٧٩-١٠٨٢ هـ منها: قطع نصيب الشريف سعد من مال جدة، ومنها: قطع الدعاء للشريف له بالمدينة، وتولية الحجاز للشريف أحمد بن الحارث. عزل من منصبه هذا سنة ١٠٨٢ هـ فارتحل عن المدينة، ولما كان بطريق غزة توفي فيها (انظر: سمط النجوم ٥١١/٤-٥٢٦).

فقبض عليهم وحبسهم بالقلعة[١]، ومنع الخطيب من الدعاء للشريف سعد.

وفي خلاصة الأثر[٢]: أن سبب إرسال حسن باشا: أن أهل المدينة رفعوا إلى السلطان شكايات من الشريف سعد، فلما بلغ الشريف سعداً ما فعله حسن باشا بالمدينة أخذ حذره منه وجمع جموعاً، فلما دخل حسن باشا مكة، دخلها وهو في تخت إلى باب السلام، ثم استلم الصرّ المكي، ولم يقسم منه شيئاً، فدعا مولانا الشريف كبراء الحج وسألهم عن حال هذا الرجل، وقال: لِيُظْهِر ما بيده إن كان بيده عزل أو تولية، وكادت أن تقوم فتنة، فالتزم له الأمراء بأنه لا يقع منه محذور، فتوثق منهم، وحج مولانا الشريف بالناس بعد اضطراب شديد وقع بمكة، بحيث عزل السوق، فلما حج ونزل فرّق حسن باشا الصر على أهاليه، ولم يجتمع مولانا الشريف بالباشا، إلى أن سعى بينهما أمراء الحج وضمنوا عدم المخالفة، وطيّبوا خاطر مولانا الشريف، فاجتمع به في الحرم ثاني محرم الحرام خلف مقام الحنفي ساعة، وحضر أعيان الدولة وجمع من المسلمين، وأصلحوا بينهما، ثم قام مولانا الشريف إلى منزله. ثم إن الشريف أتاه إلى منزله هو والشريف أحمد بن زيد، فلما أرادوا الانصراف ألبس كل منهما قفطاناً يليق به، وقام مشيعاً لهما إلى باب الطريق.

---

(١) انظر سبب ورود حسن باشا هذا في: منائح الكرم (٤/٢٨٩-٢٩٠)، ومختصراً في: سمط النجوم (٤/٥١١)، وخلاصة الأثر (١/٤٤١)، وخلاصة الكلام (ص:٨٣).
(٢) خلاصة الأثر (١/٤٤١).

وفي اليوم العاشر من محرم وصل المذكور إلى زيارة مولانا الشريف فاجتمع به، ولما أراد القيام أمر له مولانا الشريف بفرس تساوي ألف دينار، فترل من عنده وسافر من وقته إلى جدة، ولما نزل إلى جدة بارز مولانا الشريف بالعداوة، وقطع معاليمه من جدة، وطلع إلى الحج ختام سنة إحدى وثمانين -وقيل اثنتين وثمانين- وألف. فلما فرغ من تعريفه[1] توجّه إلى المزدلفة، ثم إلى منى، وأقام بها. فلما كان اليوم الثالث من أيام منى رمي برصاصة -وقيل بثلاث رصاصات- عند غروب الشمس تجاه جمرة العقبة وهو منحدر إلى مكة، فأصيب في فخذه، فوقع من فوق حصانه، فاحتمله العسكر إلى التخت، ونزلوا به، وقتلوا من وجدوه تجاههم من الحجاج والفقراء إلى أن وصلوا باب الباسطية[2] مسكنه.

وبلغ مولانا الشريف الخبر، فترل من منى بمن معه من العسكر والأشراف في لُباس الحديد، ونزل إلى بيته، واعتدَّت عساكر حسن باشا للحصار، وجعلوا المدافع على باب السدة ورباط الباسطية ومن جهة باب الشبيكة[3]،

---

(١) أي الوقوف بعرفة.

(٢) باب الباسطية: -ويسمى باب العجلة- نسبة إلى عبد الباسط ناظر الجيش في دولة الملك الأشرف برسباي؛ لأنه عمّر بجواره مدرسة للفقراء في غاية الإحكام والإتقان، أنشأه الخليفة العباسي محمد المهدي في عمارته سنة ١٦٠هـ، وجدد في سنة ٩٨٤هـ (انظر: الأزرقي ٩٣/٢، والإعلام ص:٤٢٤، ومرآة الحرمين ٢٣٤/١، وتاريخ عمارة المسجد الحرام ص: ١٣٠).

(٣) الشبيكة: حي كبير من أعرق أحياء مكة، تقدم التعريف به في (ص: ٣٩٣).

ومن جهة سويقة[١]، فاقتضى الحال تحريز مولانا الشريف أيضاً.

ولم يزل الحال هكذا إلى الصبح، فاجتمع أمراء الحج بمولانا الشريف، فأخبرهم أن هذا الأمر ليس لي به خبر، وقد وقع ذلك والله أعلم بفاعله، ولا لنا علم به.

وطلب الشريف محاسبته مادام في قيد الحياة عما هو له من مدخول جدة؛ لأنه منعه من غير أمر يقتضي ذلك بعد إنعام السلطنة عليّ به، وصمّم في الدعوى، ووكل الخواجه محمد سعيد بن مصطفى السيوري وزير جدة من جهته، فجاء إلى حضرة القاضي وادّعى على الباشا المذكور، وأحضر دفاتر بندر جدة، فصحّ للشريف عنده أربعة وعشرون ألف قرش، فتوسطت الأمراء في ترك البعض، فأخذ عشرة آلاف وسامح بأربعة عشر ألفاً[٢]. وقيل: كان المبلغ ثلاثون ألفاً، فترك عشرة، وأخذ عشرين.

ثم إن الباشا المذكور توجه إلى جدة في سابع عشر ذي الحجة، ثم توجه إلى المدينة المنورة، فلما دخلها وأقام بها أياماً حسَّن له محمد ظافر -السابق

---

(١) السويقة: بالتصغير موضع مشهور كان على فم شعب قعيقعان، لكنه دخل في توسعة المسجد الحرام سنة ١٣٧٥، إلا أن الاسم بقي يطلق على سوق كان لها شأن ولا يزال في مكة قرب المروة، وكان يباع فيها ما يحتاجه الحاج ويتموله، ثم أصبح أكثر ما يباع فيها القماش، وإذا أطلقت لفظة (السويقة) فإنما يراد بها (سوق السويقة).

(٢) انظر هذه الأخبار مختصرة في: عقد الجواهر والدرر /أحداث سنة ١٠٨١ هـ، وسمط النجوم (٤/٥٢٢-٥٢٣)، وخلاصة الأثر (١/٤٤٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٩٧-٩٨).

ذكره- أن يبعث إلى السيد أحمد بن محمد الحارث بن الحسين بن أبي نمي ويوليه شرافة مكة، فبعث إليه، فجاء إلى المدينة فألبسه حسن باشا خلعة في الروضة الشريفة، ونادى له في البلد، وأمر بالدعاء له على المنبر، وأرسل إلى جدة يريد ذخيرة ليتوجه بها إلى مكة. فلما بلغ مولانا الشريف الخبر توجه إلى ينبع وتحقق أن حسن باشا ألبس الشريف أحمد الحارث(١).

صورة ما كتبه الشريف سعد للسيد أحمد بن محمد الحارث حين ولّاه حسن باشا إمارة مكة بالمدينة

فكتب إلى السيد أحمد كتاباً سلك فيه مسلك مثله من الاعتراف بحق الأكبر مع مزيد اللطافة، ومضمونه كما في تاريخ العصامي(٢):

بعد مزيد الثناء وحميد الدعاء: إن هذا [الواقع](٣) الذي سمعنا به، من تقمصك لبرد الملك وأثوابه، فهذا أمر أنت بيته الأعلى، ومثلك أحرى به وأولى، فإنك أنت الشيخ والوالد، الحائز كل كمال طريف وتالد، فإن كان هذا محكم الأساس والبنيان، جارياً على مقتضى [مرسوم](٤) السلطان، فنحن بالطاعة أعوان، وإن كان الأمر خلاف ذلك، وإنما كان من تسويلات هذا الظالم الغادر، وتنميقات ذلك المذمم الغير الظافر، فأُجِلُّ حلمك أن تستخفه

---

(١) خلاصة الكلام (ص: ٨٠-٨٥). وانظر: منائح الكرم (٤/٣٠٤-٣٠٨).

(٢) سمط النجوم (٤/٥٢٤-٥٢٥). وانظر: خلاصة الأثر (١/٤٤٣-٤٤٤).

(٣) قوله: "الواقع" زيادة من سمط النجوم (٤/٥٢٤)، وخلاصة الأثر (١/٤٤٣).

(٤) في الأصل: رسوم. والتصويب من سمط النجوم وخلاصة الأثر، الموضعان السابقان.

نكباء الطيش، وأن [تستزله][(١)] أخلاط [الأوباش][(٢)] وغوغاء الجيش.

فأرسل إليه بالجواب مولانا السيد أحمد بأن الأمر لم يكن على هواي، وإنما هو إلزام، مع علمي بأن هذا الابتداء لا يكون له تمام. والسلام.

وأقام السيد أحمد بن الحارث بالمدينة مع حسن باشا، وطلبا السيد حمود بن عبدالله هنالك للمعونة، وكان نازلاً بالمبعوث، فأتاه رسول أحمد بن الحارث وحسن باشا بكتابين يستدعيانه إليهما للانضمام، ووعداه بما يريده من الجهات والمعينات، وكذلك أتاه كتاب من الشريف سعد يستحثه بالمسير إليه، وأرسل إليه ألف دينار، واتفق وصول الرسولين إليه في يوم واحد، فقال له بعض الحاضرين: ما رأيت، لمن تتوجه؟ قال: إلى سعد صاحب الفضل ومولاه، فإن بيني وبينه في ضريح الحبر عبدالله عهوداً، لو عارضني فيها والدي عبدالله لكفحت وجهه بالسيف دون ذلك، ثم توجه على الركائب يومه الثاني، [وقوض الأخبية وفارق المباني][(٣)]، حتى وصل إلى سعد وأخيه وهما بمحل يقال له: ملجا، فوافى ذلك عزل حسن باشا، وأتى الخبر لمولانا الشريف سعد بالخزانة والذخيرة التي طلبها حسن باشا، فأرسلت له من جدة، فتعرّضها

---

(١) في الأصل: تستزل. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٨٦)، وسمط النجوم وخلاصة الأثر، الموضعان السابقان.

(٢) كذا في الأصل. وفي خلاصة الكلام وخلاصة الأثر، الموضعان السابقان: الأشارب. وفي سمط النجوم (٤/٥٢٤): الأشاوب.

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:٨٦-٨٧).

وأخذها عن آخرها، وقسمها على من عنده، ثم جاء الخبر من السلطنة بعزل حسن باشا وطلبه إلى الأبواب، وجاء لمولانا الشريف خلعة مع ذلك القاصد [فلبسها ثمة.

وفي خلاصة الأثر[١] عند ذكر هذه الخلعة: وكان إرسالها ضرباً من المكايد.

وتوجه القاصد][٢] بخبر العزل إلى المدينة، فتوجه حسن باشا من المدينة على طريق غزة، وتوفي في الطريق، وتوجه معه محمد ظافر وأغاة القلعة، وذهب محمد ظافر إلى غزة، ثم إلى مصر، ثم انقطعت الأخبار عن مولانا الشريف، وكثرت الأقاويل عند الوزير[٣]، وكان الشيخ محمد بن سليمان المغربي المشهور بالروداني إذ ذاك في القسطنطينية، وكان مجاوراً بالمدينة ثم بمكة، وله عداوة مع الشريف سعد، وذلك أنه تشفع عنده في شفاعة فلم يقبلها، ثم سافر إلى الروم واتصل بالوزير، واجتمع بالسلطان محمد بن إبراهيم، وطلب منه أن يزيل أشياء كانت بمكة، فأمر السلطان بإبطالها، فلما كانت قضية حسن

---

(١) خلاصة الأثر (٤٤٤/١).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:٨٧).

(٣) هو أحمد فاضل باشا بن محمد باشا الكوبرلي. تولى الصدارة بعد موت والده عنها سنة ١٠٧٢ هـ. توفي سنة ١٠٨٧، وتولى بعده زوج أخته قره مصطفى باشا. وكان أحمد من أفاضل الوزراء وأحسنهم سياسة. أعاد للدولة العثمانية ما كان لها من المجد (انظر: تاريخ الدولة العثمانية ص:١٧١-١٧٦، والتحفة الحليمية ص:١٤٤-١٤٥، وتاريخ الدولة العلية ص:٢٩٤-٣٠٠).

باشا حضر عند الوزير، وانفتح ذلك المجال فوجد مكاناً فسيحاً للمقال، فعند ذلك أمر الوزير الأعظم بإخراج أمر سلطاني إلى صاحب مصر أحمد باشا بتجهيز ثلاثة آلاف عسكري من مصر إلى مكة، وكتب إلى حسين باشا[١] صاحب حلب أن يحج في هذا العام بألفي عسكري، وينظر في أمر الحرمين، ولا يبرم شيئاً دون إشارة الشيخ محمد بن سليمان، وأمر الشيخ بالحج وإصلاح البلد، وتولية من يرى فيه الصلاح، وجعل إليه أمر ذلك.

فلما كان ثالث شوال ورد من مصر الخبر بتجهيز العساكر إلى الجهة الحرمية، وكثر الهرج والمرج. واستمر مولانا الشريف بينبع إلى ذي القعدة، فرجع ووصل إلى مكة يوم الحادي عشر من ذي القعدة.

ولما كان يوم الثالث والعشرين[٢] من ذي القعدة وصل ثلاثة آلاف من العسكر، ورئيسهم محمد جاوش، ونزلوا بجرول[٣] خارج الشبيكة، فخرج إليهم الوزير والحاكم، وبعث مولانا الشريف لمحمد جاوش هدية من جملتها فرس عربية [مزهبة][٤]، وكذلك أخوه الشريف أحمد، فشكر فعلهما. ثم

---

(١) هو حسين باشا الأصغر. تولى حلب ثم نيابة الشام ثم أناضول ثم الشام. توفي عام ١٠٩٤ هـ (خلاصة الأثر ٢/١٢٤).

(٢) في منائح الكرم (٤/٣١٦)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/١٠٢): الثاني والعشرين.

(٣) جرول: حي كبير من أحياء مكة، يقع غرب جبل قعيقعان، ويمتد غرباً فلا تعرف حدوده الواضحة، ومن أحيائه: الزاهر، والزهراء، والتَّنْضَباوي، ومُلقّية، ومُطشّش، وجلّ سكانه من قبيلة حرب التي تحضّر كثير من أبنائها هنا بعد الحرب العالمية الثانية (معجم معالم الحجاز ٢/١٤٣).

(٤) في الأصل: مذهبة. والتصويب من منائح الكرم (٤/٣١٧).
ومزهبة: أي مجهزة بما تحتاجه.

اجتمعا به واستخبراه عن مجيئه بهذا العسكر، فلم يخبرهما، وقال: لا علم لي، وإنما جهزت بهذا العسكر إلى مكة، وقيل لي: يصل إليك مع الحج [الشامي](١) حسين باشا صاحب حلب، والأمر إليه، وأمرني حضرة الباشا صاحب السعادة(٢) أن لا أدخل البلد بهذه العساكر.

ثم جاء كتاب من الشيخ محمد بن سليمان لمولانا الشريف من المدينة يخبره بوصوله مع حسين باشا، وأنه من المحبين لكم، فقابلوه بما يليق، فإنه عين للوزير الأعظم.

فلما قرأ الشريف كتابه أمر القاضي إمام الدين بن الشيخ أحمد المرشدي أن يتلقى المشار إليه، وأرسل معه كاتب الجراية(٣) محمد [جلبي](٤).

وفي اليوم الثالث من ذي الحجة بعث مولانا الشريف إلى محمد جاوش أن يترفع عن طريق العرضة يوم خروج الشريف للقاء الأمير، ولبس الخلعة، فامتنع من ذلك، فعند ذلك ظهر لمولانا الشريف المراد من هذا المترل.

وفي اليوم الخامس من ذي الحجة ورد الأمير المصري(٥)، وانتظر مجيء مولانا الشريف للخلعة ، فلم يأته ، فأرسل إليه يسأل عن سبب التأخر،

---

(١) قوله: "الشامي" زيادة من منائح الكرم (٣١٧/٤).

(٢) أي صاحب مصر، وهو إبراهيم باشا الوزير.

(٣) كاتب الجراية: كاتب الوكالة أو كاتب الجاري من الرواتب (الفنون الإسلامية ٩٠١/٢، والمعجم الوسيط ١١٩/١).

(٤) في الأصل: حلبي. والتصويب من منائح الكرم (٣١٧/٤).

(٥) وهو الأمير أزبك بيك (انظر: منائح الكرم ٣١٨/٤).

فأخبره مولانا الشريف بامتناع محمد جاوش عن الترفع من طريقه، فبعث إليه أن أقبل واترك العسكر اليمانية، فلا يضيق بكم الطريق.

وترددت المراسيل إلى قبيل الزوال، فأرسل محمد جاوش بعض الصناجق رهائن في أن لا يحصل شيء من العسكر. فخرج مولانا الشريف وأخوه ومن معهما، فطلعوا من الحجون ونزلوا على الزاهر[١]، ولبسا الخلعة، ورجعا من الشبيكة، وهو أول الاختلاف، فإنه لم يعهد من صاحب مكة أنه خرج للقاء الأمير من الحجون.

فلما وصلا إلى مترلهما أطلقا الصناجق الرهائن، فرجعوا إلى العسكر. كذا في تاريخ السنجاري[٢].

وفي تاريخ الرضي: أن مولانا الشريف لما خرج من الحجون وقف منتظراً لإرسال الخلعة إليه، فأرسلوا إليه بالطلب للحضور، فأبى، وعاد إلى مكة عازماً على الحرب والقتال، فأرسلوا إليه الخلعة بنهاية الإسراع.

ولما كان سادس ذي الحجة ورد الشيخ محمد بن سليمان مكة

---

(١) الزاهر: تقدم التعريف به (ص: ٢٢٧).
(٢) منائح الكرم (٣٠٥/٤-٣١٩). وانظر ما سبق من الأخبار في: إتحاف فضلاء الزمن (٩٨/٢-١٠٣).

وصحبته القاضي إمام الدين بن الشيخ أحمد المرشدي، والجمال محمد بن مصطفى -كاتب الجراية- وحسين الميري، فسألهم مولانا الشريف عما رأوه وفهموه من حسين باشا، فأخبروه أنهم لاقوهُ ورأوا منه غاية الكمال، وسألوه عن العساكر المصرية، فقال: ما عندي علم بهم، وإنما أمرت بالخروج مع الحج الشامي وحفظه من العرب.

ولما كان يوم السابع من ذي الحجة ورد حسين باشا مكة ونزل بالزاهر، وخرج مولانا الشريف للقائه تلك الليلة بعد صلاة المغرب بالمعلا، وتصافحا على خيولهما.

ولما كان يوم الثامن من ذي الحجة خرج مولانا الشريف سعد وأخوه مولانا الشريف أحمد للقائه على جري العادة للبس الخلعة الواردة مع الأمير، إلا أنه ترك عسكر اليمن وطلع من الحجون، وقال مولانا الشريف لبعض جلسائه لما رجع: لما نزلنا من الحجون نظرت بعين الفراسة، فإذا هو قد جمع عسكره إلى العسكر المصري، وأظهر في طي ذلك غدري، وأوقفهم موقف البراز[١] وكل في يده جزاز، وخلفه الملبس للدروع، والكل [منهم][٢] خدوع، فعلمت أنه أمر بُيِّت بليل، وقدمنا في الحصون من ظهور الخيل، فلم نزل حتى خلصنا إلى سعة، وأخذنا ناحية مرتفعة، فأرسلنا له السيد حسين بن حسن بن يحيى[٣] وطلبنا منه الخلعة بعد البناء على مفارقة الأحياء، فأرسل

---

(١) موقع النزال بالسيف ونحوه (المعجم الوسيط ١/٤٩).

(٢) قوله: "منهم" زيادة من خلاصة الكلام (ص:٨٩)، ومنائح الكرم (٣٣٨/٤).

(٣) في منائح الكرم: حسين بن عيسى.

يأمرنا بالوصول إليه لشرب القهوة، وقد أعدّ لنا بساطاً على سهوة، فأرسلت أقول: ما جرت بهذا عادة، وشرب القهوة من غير [هذه][1] المادة، فأرسل يقول: إن في هذا تعظيم شأن السلطان، ولكم منا الأمان، وإن لم يكن منكم وصول إلينا، فلا خلع لكم لدينا، فعند ذلك ثنيت عنان فرسي راجعاً، وفي القتال طامعاً، فنادى مناديه: الأمان الأمان. فلما علم الانصراف عن وطاقه والثبات لشقاقه، أرسل بالخلع منشورة، فعلمت أن الأمر شورة، فلبست الخلع أنا وأحمد، ورجعت أشكر الله وأحمد.

ثم ركب مولانا الشريف حاجاً بالقوم وهو محترس[2]، وبات بمنى، ثم صعد إلى عرفات، واستمر في منزله بعرفات إلى أن نفر الباشا إلى المزدلفة مع المحملين، فعند ذلك ركب مولانا الشريف إلى الموقف الأعظم، ثم إلى المزدلفة، ثم إلى منى.

ولما كان ثاني يوم النحر الذي فيه ترد الخلع السلطانية والمرسوم المتضمن ببقاء الشرافة والوصايا على الحجاج والرعايا، تأخر أمين الصرة في وصوله إلى مولانا الشريف عن الوقت المعهود، فأرسل مولانا الشريف يطلبه، فوجده عند الباشا، وبعثوا يطلبونه إلى عنده لإلباسه، فأرسل يعرفهم أن القواعد جرت بإتيانهم إليه، فامتنعوا، فعلم حينئذ القضية[3].

---

(١) في الأصل: هذا. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ٩٠)، ومنائح الكرم (٤/٣٣٨).

(٢) في منائح الكرم: متحرز.

(٣) خلاصة الكلام (ص:٨٥-٩٠). وانظر الأخبار السابقة في: منائح الكرم (٤/٣٣٤-٣٤١)، وسمط النجوم (٤/٥٢٦)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/١٠٤-١٠٦).

ارتحال الشريف سعد ووصوله إلى الديار الرومية سنة ١٠٨٢هـ

وارتحل هو وأخوه الشريف أحمد ليلة الثاني عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وألف، وتوجه إلى تربة، ثم إلى بيشة، وأقام بها، ثم سار عنها إلى جهات عديدة، ثم توجه إلى الديار الرومية وأقام بها، وقابل الدولة العلية، ثم عاد إلى ولاية مكة سنة ألف ومائة وثلاثة -كما سيأتي بيانه-.

وحاصل الأمر: أنه تولى شرافة مكة أربع مرات -سيأتي إن شاء الله تعالى بيانها في محلها- فهذه المرة الأولى.

وكانت مدة ولايته في هذه المرة: ست سنوات إلا أحد عشر يوماً، وقيل: إلا إحدى وعشرين يوماً.

فلما أصبح الناس يوم الثاني عشر من ذي الحجة شاع بين الناس ارتحال مولانا الشريف وأخيه، فاجتمع حسين باشا، وأمين الصرة، وكاتب الديوان، ومحمد جاوش في مترل الشيخ محمد بن سليمان بمنى، واستدعوا جماعة من الأشراف منهم: السيد أحمد بن محمد الحارث، والسيد بشير بن سليمان.

ولاية الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات على مكة سنة ١٠٨٣هـ

واستدعوا الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي[١]،

---

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:٩٠-٩١)، وخلاصة الأثر (٤٣٦/١-٤٥٠)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٢٢-١٢٣)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٤٣-٢٤٦).

وأظهر الباشا أمراً سلطانياً بتولية المشار إليه شرافة مكة، وألبسوه خلعة الولاية.

وكان بعض من حضر من الأشراف وصلتهم كتب من الوزير الأعظم ومن صاحب مصر بالتوصية والمعاونة، وكل ذلك كان برأي الشيخ محمد بن سليمان وتدبيره.

ومن جملة من له كتب مع السادة الأشراف من الوزير الأعظم؛ السيد حمود بن عبدالله بن حسن -المتقدم ذكره-، ولم يحضر معهم، بل لما تولى الشريف بركات خرج من مكة ثم رجع. ولفظ كتابه:

فرع ذؤابة هاشم، وشيخ المحامد والمكارم، السيد حمود نظم الله عقوده، وأباد حسوده، وبعد: فلا يخفاكم أن الكعبة البيت الحرام، ومطاف طواف الإسلام، وهو أول بيت وضع للناس، وأسس على التقوى منه الأساس، وإنه لم يزل في هذه الدولة العثمانية أمناً لأهله من النوائب، وروضاً مخصباً بأحسن الأطايب، إلى أن ظهر من السيد سعد من الأمر الشنيع، ما يشيب عنده الطفل الرضيع، وما كفاه ذلك حتى شد الخناق على أهل المدينة البهية، وأذاقهم كأس المنون روية. فلما بلغ هذا الحال السمع الكريم السلطاني أمر بعزل السيد سعد عن شرافة مكة وتفويضها إلى الشريف بركات، فيعمل فيها بحسن التصرفات، وتكونوا له عوناً وظهيراً، وناصحاً ونصيراً، وكل ما يتفرع غصنه من دوحة فاطمة الزهراء، وتتصل نسبته إلى مكة المكرمة الغراء، تهدونه إلى

طريق الصلاح، وترشدونه إلى معالم النجاح والفلاح، وأنتم على ما تعهدونه من التكريم والتبجيل، والله على ما نقول وكيل.

وأما بقية الكتب فكلها بهذا المضمون إلا أن العبائر مختلفة.

ثم إن مولانا الشريف بركات نزل من منى إلى مكة في موكب عظيم، وجاءه الناس يهنئونه بالملك من السادة والأشراف والأعيان والعربان، وامتدحه الشعراء بقصائد.

وممن جاءه مهنئاً: الشيخ محمد بن أحمد الزرعة، فقرأ عند لقائه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [النساء: ٥٤-٥٥]. وكان الشريف بركات من آل إبراهيم بن بركات بن أبي نمي، فعجب الحاضرون، وكذا الشريف بركات من هذا الاستحضار.

ولما كان يوم الخامس عشر من ذي الحجة نزل مولانا الشريف بركات إلى الحطيم، واجتمع كبراء العسكر، وقرئ مرسوم يتضمن: عزل الشريف سعد ابن زيد وتولية الشريف بركات، وألبس مولانا الشريف قفطاناً.

ولما كان يوم التاسع والعشرين من ذي الحجة اجتمع مولانا الشريف وكبير العسكر، [وحسين باشا][1] في مترل الشيخ محمد بن سليمان، فأظهر

---

(١) في الأصل: وكبير العسكر حسين. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:٩٢)، ومنائح الكرم (٣٤٨/٤).

أمراً سلطانياً يتضمن: نظره في الحرمين وإصلاحهما والتصرف في أحوالهما، فأذعن [له][1] مولانا الشريف بركات ومكّنه من زمام وفق التصريف، فنشر منشور العسف، وبث جيوش الكبرياء، فنفرت عنه القلوب، وشرع في إظهار المطلوب. وكان مولانا الشريف بركات يحضر درسه في كثير من الأوقات، وكذا شيخ الحرم صاحب جدة.

وفي رابع محرم الحرام من سنة ثلاث وثمانين وألف أخرج الشيخ محمد بن سليمان أمراً يتضمن: إخراج من كان في الخلاوي الموقوفة ممن له بيت وعيال، فروجع في ذلك، فلم يقبل، وأخذ ما بأيدي الناس من حَبّ السلطان جقمق الوارد إلى مكة، وحَبّ السلطان سليمان الواصل من مصر لأهل مكة، وكذا حَبّ السلطان قايتباي، ومال المصرية، وعمّر بذلك تكية في محل وقف الدورلي الكائن بأعلى المدعا من جهة سوق الليل، وطبخ فيها شربة للفقراء بالحب المذكور.

وعمّر الشيخ محمد بن سليمان عدة أوقاف بمكة كانت خربت قد استولت عليها الأيدي، وصرف على الدشيشة[2] من كراء جقمق وقايتباي وأموال الحرمين ومن الأوقاف الباقية، وأمر أن تدهن السواري المكتوب فيها إبطال المكوس ليظهر للناس ما فيها من الكتابة، فدهنت، وأمر بترك الدفوف ليلة المولد، ومنع من ذلك أهل الزوايا.

---

(١) قوله: "له" زيادة من خلاصة الكلام (ص:٩٢).

(٢) الدشيشة: طعام رقيق يصنع من القمح المدقوق (المعجم الوسيط ١/ ٢٨٤).

وفي سنة ثلاث وثمانين وألف خرج الشريف بركات بعد خروج الحاج وصحبه محمد جاوش في طلب الشريف سعد وأخيه أحمد، فجاءهم الخبر بخروجه من الطائف، وكان خروج الشريف سعد من الطائف يوم الثامن عشر من المحرم، وتوجه إلى عباسة[1]، ثم إلى تربة، ودخلا بيشة، فلما [رأى][2] الشريف بركات ومحمد جاوش أنهما أبعدا كرّا راجعين ولم يتبعوهما، ونزل مولانا الشريف إلى الطائف، واستمر هناك.

وأما الشريف أحمد بن زيد فإنه فارق أخاه الشريف سعداً من بيشة، وتوجه إلى دويرة بني حسين[3]، لمصاهرته إياهم، واستمر مقيماً عندهم إلى أن ورد الحج [فرحل][4] إلى المدينة، ودخلها ليلة دخول الحج المدينة، واجتمع بأمير الحج الشامي، ثم ارتحل من المدينة ثاني ذي الحجة، ونزل ديار حرب

---

(١) عباسة: قرية في جنوب الطائف، تبعد عن وادي سلاّمة (٣٥) كيلومتراً، سكانها بنو سعد (معجم معالم الحجاز ٦/٣٤).

(٢) في الأصل: رآهما.

(٣) ديار بني حسين: ذكر ياقوت في معجم البلدان (٣/٥١) تحت عنوان رضوى: ورضوى جبل بالمدينة... وبقربه مما يلي البحر فيما بينه وبين ديار جهينة ديار للحسينيين حزرت بيوت الشعر التي يسكنونها نحواً من سبعمائة بيت، وهم بادية مثل الأعراب.

(٤) قوله: "فرحل" زيادة من منائح الكرم (٤/٣٦٣).

على أحمد بن رحمة، واستمر إلى أن رجع الحج الشامي، فلم يتفق له [معه][(١)] مسير، فتوجه في أول سنة أربع وثمانين وألف إلى الفرع، واستمر بها مدة.

ثم لما خرج مولانا الشريف بركات لقتال حرب رجع إليهم الشريف أحمد وحضر القتال، ثم لما كسرت حرب رجع إلى الفرع، ثم وصل إليه أخوه الشريف سعد[(٢)]. وكان خروج مولانا الشريف بركات لقتال حرب في أواسط سنة أربع وثمانين وألف، خرج هو وجميع السادة الأشراف والعساكر المصرية والعربان، وكان شيخهم أحمد بن رحمة، فكسرهم واستأصلهم، وأقام في قتلهم نحو ستة أيام، وجيوشه تحمل أدباش حرب إلى بدر، وقطع نخيلهم. وأما جثث القتلى فهي متراكمة على بعضها في كل جبل وواد من تلك الجبال والأودية، مع سبي النساء والأطفال، حتى أبادهم، ومهد تلك الأقطار، وأجرى فيها أحكامه.

وفي سنة خمس وثمانين في سابع رجب كان خروج مولانا الشريف بركات إلى الفرع[(٣)] وأقطاره[(٤)]؛ لتمرّد أهله عليه وخروجهم عن طاعته، وقيل: لأنه بلغه أن الشريف أحمد بن زيد نزل الفرع واستمال أهله، فسار إليهم مولانا الشريف بركات ومعه السادة الأشراف، ولم يتخلف إلا من وضح عذره،

---

(١) قوله: "معه" زيادة من خلاصة الكلام (ص:٩٣)، ومنائح الكرم (٣٦٤/٤).

(٢) انظر الأخبار السابقة في: منائح الكرم (٣٤١/٤، ٣٤٦-٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٦٢-٣٦٤)، وسمط النجوم (٥٢٧/٤-٥٣١)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٠٧/٢-١٠٩).

(٣) تقدم التعريف به في (١٧٠/٢).

(٤) انظر هذا الخبر في: إتحاف فضلاء الزمن (١١٢/٢)

وخرج معه صاحب بندر جدة [بعساكره][1] ومدافعه، فتلاقيا على عسفان، وسارا جميعاً، فعادوا إلى طاعته راغبين من غير قتال.

ولما قصد مولانا الشريف بركات الفرع انتقل منه الشريف سعد بن زيد والشريف أحمد بن زيد، وتحولا إلى وادي النفير من ديار حرب، ثم قصدا المدينة ونزلا الغابة[2]، ثم توجها قاصدين الأبواب السلطانية متوجهين إلى الشام، فلما وصلوا الشام تلقاهم أهلها وأمراؤها وكبراؤها ونقيبها، ودخلوا بموكب عظيم، ثم دخلا أدرنة[3] في ربيع الأول سنة ست وثمانين، ودخلا إسلامبول في ربيع الثاني من السنة المذكورة، فأنعم مولانا السلطان محمد بن إبراهيم على الشريف سعد بباشوية المعرة[4] في حادي عشر جمادى الأولى من السنة المذكورة، وأقام الشريف أحمد بإسلامبول إلى سنة ثلاث وتسعين وألف، فأعطي قصبة تسمى: كليسة، وكان قبل ذلك أرسل مولانا السلطان إلى أخيه الشريف سعد، فورد عليه من المعرة، فأعطاه بلداً هناك تسمى: وزة، قريبة من طرف كليسة، واستمر هناك إلى سنة أربع وتسعين وألف.

---

(١) في الأصل: بعساكر. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٩٤).

(٢) الغابة: مجتمع السيول، غرب أحد (انظر: خلاصة الأثر ١/١٩١).

(٣) أدرنة: مدينة تقع في تركيا في تراقيه بأوروبا، ذات أهمية استراتيجية عظيمة، لذلك كان تاريخها عاصفاً، فتحها العثمانيون سنة ١٣٦١ م واتخذوها عاصمة لهم إلى أن فتحت القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م (انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص:٩٨، وتاريخ الدولة العلية "حاشية ص:١٢٩").

(٤) المعرة: أي معرة النعمان، وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة، منها الشاعر المعروف أبو العلاء المعري (معجم البلدان ٥/١٥٦).

ثم في أثناء ذلك[١] عاد إلى إسلامبول، ثم صارت ولاية الشريف أحمد شرافة مكة، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى[٢].

وفي سنة خمس وثمانين وألف خرج جماعة من السادة الأشراف مغاضبين لمولانا الشريف بركات يدّعون عليه أنه أخذ ما وصل إليهم من الإنعامات السلطانية، فنزلوا بوادي مرّ الظهران، فبعث إليهم السيد بشير بن سليمان بن لؤي بن بركات، فما زال بهم حتى رجعوا، ففرّق عليهم الإنعام الواصل بينهم بالسوية، وذلك نحو أربعة آلاف دينار، وألفي إردب حب.

وفي سنة خمس وثمانين أيضاً ورد مرسوم من السلطنة مضمونه: قسمة مدخول مكة أربعة أقسام: الربع لمولانا الشريف بركات، وثلاثة الأرباع للسادة الأشراف على السوية[٣].

وذكر السنجاري في وقائع سنة ١٠٨٥[٤]: وفي يوم الأربعاء خامس محرم الحرام دعا مولانا الشريف[٥] بالخواجه يحيى بن عبدالوهاب الميري الحلبي التاجر المشهور بعد صلاة العصر، فدخل وما خرج، ودرج من هناك إلى ما درج.

وكان السبب: انتهاء الرئاسة في ذلك الوقت إليه، وتعويل الدولة الرومية عليه.

---

(١) قوله: "ثم في أثناء ذلك" مكرر في الأصل.
(٢) انظر الأخبار السابقة في: منائح الكرم (٤/٣٦٥-٣٦٩)، وسمط النجوم (٤/٥٣١-٥٣٢).
(٣) خلاصة الكلام (ص: ٩٠-٩٥).
(٤) منائح الكرم (٤/٤٠٥-٤٠٦).
(٥) في الأصل زيادة: ابن محمد. انظر: منائح الكرم (٤/٤٠٥).

واتفق بعد ثالث يوم من وقعته [ورود][1] مركب من السويس إلى جدة، وفيه سردار العسكر[2] الإنقشارية المقيمين بمكة، فكتب العسكر إليه بالخبر، فأرسل جاووشه من جدة لاستدراك الرجل، وأعاده مولانا الشريف بكتاب كتبه له.

فاستمر هناك إلى أول صفر، وطلع، فخلع عليه مولانا الشريف وعلى من معه على جري العادة.

وبعد ثلاثة أيام من وصوله اجتمع الإنقشارية بالحرم تحت مدرسة القاضي، وأرسلوا إلى مولانا الشريف من جهة الخواجه يحيى المذكور، فلم يحصلوا على طائل، وتفرقوا من غير نائل.

وفي أوائل ربيع الأول سنة ١٠٨٦[3]: استأجر الشيخ محمد بن سليمان بيت الغوري الذي بجانب المدرسة الداودية، وغصب أهله على إيجاره، فهدمه وعمره عمارة ملوكية، وزخرفه بأنواع النقوش، وواصل تلك الأماكن إلى باب إبراهيم.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرين ربيع الثاني شرع الشيخ محمد المذكور في هدم قبور المعلاة، وبنى مقبرة خاصة جعلها أربع جدارات، وفصّلها تفصيل الشطرنج، وجعل لها بابين، وهتك بذلك حرمة الأموات. انتهى.

---

(١) في الأصل: ورد. والتصويب من منائح الكرم (٤/٤٠٥).
(٢) سردار العسكر: أي رئيسهم (انظر مقدمة حمد الجاسر في: البرق اليماني ص:٧٨).
(٣) منائح الكرم (٤/٤٢١-٤٢٢). وانظر: إتحاف فضلاء الزمن (٢/١١٥).

وفي شهر رمضان من سنة ست وثمانين جاء الخبر إلى مكة بموت الوزير الأعظم أحمد باشا الكبرلي وهو مستند الشيخ محمد بن سليمان، فما جاءه خبر أعظم من ذلك، وأصابه عليه من التعب ما لا مزيد عليه، ومن هذا اليوم ظهر الاختلال في أمر الشيخ، وولي الوزارة بعده مصطفى باشا.

وفي سنة ست وثمانين أرسل مولانا الشريف بركات ابنه الشريف [سعيداً](١) إلى الأبواب السلطانية، والتمس أن ينعموا على ابنه المذكور بإمارة مكة بعده، وأن يكون وليّ عهده، فأجابته الدولة إلى ذلك، وقابلت ابنه المذكور [بالإجلال](٢) والإكرام، ورجع إلى مكة رابع ذي الحجة ومعه خلعة ومرسوم سلطاني يتضمن الإنعام عليه بذلك، فقرئ ذلك المرسوم بالحطيم، وألبس الخلعة المذكورة، وجاء أمر من الوزير الأعظم المتولي، مضمونه: أن الشيخ محمد بن سليمان يرفع يده عن تعارض أمور الحرمين، فأغلق بابه وترك مخالطة الناس، واضطرب أمره، فقصد الطائف ثم نزل منه في شعبان، وتوجه إلى المدينة. قيل: إن ذلك كان بأمر من الوزير الأعظم، وأن الأمر كان أولاً بإخراجه من الحرمين، ثم شُفع فيه فأمر بإخراجه إلى المدينة، فلما وصل المدينة اعتزل الناس إلا من لا بدّ منه.

وفي سنة ثمان وثمانين وألف ورد أمر سلطاني لمولانا الشريف بأن يخرج مع الحج الشامي إلى أن يتعدى به على العرب القاطعين لطريقه، إلى أن يخرج

---

(١) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٩٦).
(٢) في الأصل: بالإجلام. وهو وهم، والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

عما هو تحت قطر الحجاز، فخرج معهم يوم السابع من المحرم سنة تسع وثمانين وألف ومعه عدة من الأشراف، وأقام [مقامه][١] أخاه السيد عمرو ابن محمد.

وفي عاشر ذي القعدة سنة تسعين ورد مرسوم سلطاني مضمونه: الإنعام على مولانا الشريف بعشرة آلاف أحمر في مقابلة خروجه كل سنة مع الحج الشامي، ومع المرسوم خلعة، فلبس الخلعة، وقرئ المرسوم بالحطيم.

وفي ربيع الأول من سنة ثلاث وتسعين وألف خرج الشريف أحمد بن غالب من مكة مغاضباً لمولانا الشريف بركات، وخرج لخروجه عدة من الأشراف نحو الثلاثين، وسار متوجهاً إلى الأبواب السلطانية شاكياً من مولانا الشريف بركات[٢].

وفي هذه السنة تشفع الدفتردار عند الوزير الأعظم في أن الشيخ محمد بن سليمان يعود إلى مكة، فجاء الإذن له بذلك، وأن يكفّ يده عن مخالطة الدولة، فدخل مكة في التاسع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة كثرت الحرامية بمكة، فأوجب إلى أن عسَّ الشريف بنفسه ومعه أولاده والأتراك العسكر أصحاب الرتب، فوقعوا ببعض العبيد بعض

---

(١) في الأصل: معه. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٩٧).

(٢) انظر هذا الخبر في: منائح الكرم (٤/٤٧٤)، وسمط النجوم (٤/٥٣٦-٥٣٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/١٢٣)، وخلاصة الأثر (١/٤٤٦).

الأتراك فقتلوهم[١].

ثم إن مولانا الشريف ازداد به التعب والهم، فأصبح مريضاً يوم الثلاثاء خامس ربيع الثاني من سنة أربع وتسعين بمرض باطني لا يعلم سببه إلا القهر، فازداد به المرض إلى أن توفي ليلة الخميس التاسع والعشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة، فصُلِّي عليه بعد الشروق، ودفن بالقرب من المعلا بجوار الشيخ النسفي بوصاية منه، وبُني عليه حائط غير مسقف، وأسفت الناس عليه. وكانت مدته: عشر سنين، وأربعة أشهر، وعشرين يوماً[٢].

قال السنجاري[٣]: وكان وحيد دهره، وإنسان عين عصره، لولا ما اعترض دولته من استيلاء الشيخ محمد بن سليمان.

ورثاه كثير من الشعراء بقصائد، وكان كثير الإحسان، عارفاً بأحوال الزمان.

وفي خلاصة الأثر في ترجمة الشريف بركات[٤]: وحظي عند السلطنة، وكان مقبول الكلمة عندهم معتقداً؛ لما كان يكثره من مداراتهم، وكان كثير الإحسان للأشراف والتعطف بهم، وتقووا في زمنه وقويت شوكتهم، وكثرت أموالهم، وبسبب ذلك بقي كبار الأشراف وصغارهم تحت طوعه، وحمدت

---

(١) كذا في الأصل. وفي خلاصة الكلام (ص:٩٨): أنه كثر النهب ووقعت فتنة بين العبيد والأتراك وقتل بعض الأتراك المجاورين فصار الشريف يعس في الليل بنفسه وأولاده.

(٢) انظر: منائح الكرم (٤/٤٧٧-٤٧٨)، وسمط النجوم (٤/٥٣٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/١٢٤).

(٣) منائح الكرم (٤/٤٧٨، ٤٨٤).

(٤) خلاصة الأثر (١/٤٤٥).

طريقته، وأمنت في زمنه السبل، وربحت التجارة، وانتظم الأمر خصوصاً للحجاج[١].

ولاية الشريف سعيد بن بركات بن محمد سنة ١٠٩٤

وبعد وفاة الشريف بركات تولى ابنه مولانا الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي[٢]. ألبسه قاضي مكة خلعة الاستمرار بموجب أمر السلطان الذي بيده، المتضمن كونه ولي عهد أبيه، ولم ينازعه في ذلك أحد من السادة الأشراف.

ولما كان يوم الجمعة سلخ ربيع الثاني نزل مولانا الشريف سعيد إلى الحطيم، وحضر الفقهاء وأكابر الدولة، وقرئ مرسومه [الوارد][٣] في حياة أبيه، ثم جهز قاصداً إلى الأبواب السلطانية بخبر وفاة والده، [وبطلب][٤] صريح الاستمرار، وكتب له على عرضه علماء مكة، فوصل جوابه من صاحب مصر ثاني رجب المبارك من السنة المذكورة، وفيه التعزية في المتوفى، وصحبته خلعة الاستمرار على ما كان عليه والده من إمارة مكة، ثم ورد الأمر السلطاني في الرابع والعشرين من شعبان.

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٩٦-٩٩).

(٢) انظر ترجمته في: أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٢٣)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٥٣).

(٣) في الأصل: الواردة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٠٠).

(٤) في الأصل: ويطلب. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

وفي الثامن والعشرين ورد من الروم آغا وأخبر أنه ورد [صحبة][١] مولانا السيد أحمد بن غالب، وأنه معه أمر سلطاني مخاطب به المرحوم الشريف بركات، مضمونه: إرضاء السيد أحمد بن غالب [وإيفاؤه جميع][٢] معاليمه، والوصاية على السادة الأشراف، وأن لا يحوج مولانا الشريف أحداً منهم إلى الوصول إلى الأبواب، وأن تكون البلد أرباعاً، الربع منها لمولانا الشريف، والثلاثة الأرباع للسادة الأشراف، وأخبر الآغا أن السيد أحمد واصل، وأنه فارقه في الطريق[٣].

وكان قد وصل قبل ذلك أمر بذلك للشريف سعيد عقيب وفاة أبيه، فما أظهره. ثم وصل السيد أحمد بن غالب وصار تقسيم الأرباع، فحصل بذلك التشاجر في القسمة والتعب والتشاحن، ووقع في البلاد السرقة والنهب، واختلفوا فيما بينهم، وصارت الرعية بلا راع، ولزم من ذلك أن كل صاحب ربع يكون له كتبة وخدام يجمعون ما هو له، وجمع السيد أحمد بن غالب عسكراً، وانضم إليه من العبيد كثير، فتعب الشريف سعيد بذلك وأمرهم بترك العسكر، فامتنعوا، وقالوا: إن السوالف سبقت بمثل هذا لصاحب الربع، وشهد بذلك كبار الأشراف.

ثم اشتد البلاء بالسرقة ليلاً ونهاراً، وكُسرت البيوت والدكاكين، وترك الناس صلاة العشاء والفجر بالمسجد خوف القتل والطعن، وصار العبيد لا

---

(١) في الأصل: صحبته. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٠٠).
(٢) في الأصل: وإبقاؤه وجميع. والتصويب من منائح الكرم (٤/٤٨٨).
(٣) انظر: منائح الكرم (٤/٤٨٦-٤٨٩).

يأتون إلا ثمانية أو عشرة، [وانقلب ليل الناس نهاراً، وكثرت القتلى في الرعية، حتى ضبطت القتلى في رمضان فبلغت تسعة][1] أشخاص، فضجّت الناس من هذه الأحوال، فأرسل الشريف سعيد إلى الأبواب السلطانية ترجمانه [يذكر][2] فساد مكة، وأنها خربت، وأرسل يطلب عسكراً لإصلاحها.

وفي مدته كان إخراج الشيخ محمد بن سليمان من مكة، وذلك أنه في شهر شوال سنة خمس وتسعين، ورد أمر سلطاني يتضمن إخراجه من الحرمين، قدم به السيد أحمد بن غالب، وسجل عند قاضي الشرع[3]، فلما سجله القاضي أرسل إلى الوزير عثمان حميدان وبعثه مع نائبه إلى الشيخ محمد بن سليمان يأمره بالخروج من الحرمين، ويخبره بورود الأمر السلطاني، فامتنع الشيخ من الخروج، وقال: ليس هذا وقت خروج من البلد، وإذا جاء الحج خرجت مع الحج، فصعب القاضي في خروجه وعدم إبقائه إلى الحج، وطلع بنفسه إلى مولانا الشريف وألحّ على إخراجه، فأرسل مولانا الشريف سعيد ابن عمه السيد رضوان بن عمرو بن إبراهيم[4] والقائد أحمد بن جوهر إلى الشيخ يأمره بالخروج وأنهم يعطونه كل ما يريد، أو أنه يحضر عند القاضي ويبدي عذراً، فامتنع، وقال: الأمر السلطاني ورد بأن أخرج، وأنا خارج إذا

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٠٢).

(٢) في الأصل: بذكر. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٣) كواكبي زاده.

(٤) في منائح الكرم: رضوان بن عمرو بن محمد.

جاء الحج، وأما الآن فلا ألقي بيدي إلى التهلكة، وليس في الأمر أن أخرج يوم وصول هذا الأمر وتسجيله، فزادت صعوبة القاضي، وبعث ترجمانه إلى الوزير ليرسل معه عشرة من صارجية[1] الشريف، وأمرهم أن يأتوا بالشيخ مكرهاً البتة، فجاؤوا إلى باب دار الشيخ وهو في المدرسة التي عند مدرسة الداودية المشهورة بمدرسة ابن سليمان، والباب مغلق، فهمّوا بكسر الباب، والشيخ واقف في الطاقة يستغيث بالناس وينادي بأعلى صوته: يا أهل مكة! يا مسلمين!، أطلب شريعة محمد بن عبدالله، إنْ أَمَرَ السلطان بقتلي فأمضوه، وإن كان بإخراجي فأنا خارج إذا جاء الحج، والازدحام على بابه يجمع بين الخاص والعام، وأهله يضجّون بالبكاء والنحيب، فخرج عند ذلك العلاّمة الشيخ أحمد بن عبداللطيف البشبيشي المصري، وكان مجاوراً بمكة، وكان أعطاه الشيخ المدرسة الداودية يقيم فيها ويأخذ معلومها، وطلع إلى القاضي فلم يقبل شفاعته، فرجع من عنده، فرآه الشيخ محمد بن سليمان، فصاح بأعلى صوته مستغيثاً به، فوقف الشيخ وقال له: ياشيخ محمد: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فقال: أنا مطيع لله ورسوله ولأولي الأمر، ولم يأمر السلطان بتخريجي في هذا اليوم، وأنا خارج مع الحج ولست بكافر، وأودع من يسمعني شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنا [غير][2] مدافع للشرع، ولست بخارج من داري، فليصنعوا ما يرونه، والعامة

---

(١) صارجية أو صاريجة: اسم طائفة من الجند (معجم الدولة العثمانية ص:١١٧).

(٢) قوله: "غير" زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٠٣)، ومنائح الكرم (٤/٤٩٥).

عن آخرهم تصرخ بسبّه بأنواع السبّ الشنيع، وجعل هو يسبّ مولانا الشريف سعيداً والمرحوم مولانا الشريف بركات بأنواع السب، وعمّ الجميع القول الفاحش، ثم إن بعض أصحاب الشيخ لحق بمولانا الشريف ثقبة بن قتادة واستغاثه، وأطمعه فيه، فخرج من بيته ودخل من باب رباط الغوري الذي عند باب الوداع، وتسبب في الوصول إلى الشيخ، فدخل عليه وأمّنه، وأمر مولانا السيد ثقبة بفتح باب الدار، فلما رآه العسكر ومن معهم وقفوا ورجعوا إلى مولانا الشريف والقاضي، وأخبروهم بأن مولانا السيد ثقبة عند الشيخ، وأنه أمنه، وأرجعهم إلى من أرسلهم، ثم إن السيد ثقبة قال للشيخ: إن كان لا بدّ من خروجك فأخرج أنت وأنا إلى بلدي بخليص، واستمر عندي إلى الحج، فرضي.

ثم إن مولانا السيد ثقبة فرّق الناس، وطلع إلى الشريف والقاضي وكلّمهما بأنه في جواره، واستأذنهما في بقائه بمكة إلى الحج، [فبقي][1] وقد ذلت صعوبته، ولانت صعدته، وانقبض انبساطه، [وتطأطأ اشتطاطه][2]، ثم سافر مع الحج. ثم توفي في حادي عشر ذي القعدة سنة أربع وتسعين بالشام، ودفن بالصالحية بسفح قاسيون[3].

---

(١) قوله: "فبقي" زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٣) انظر الأخبار السابقة في: منائح الكرم (٤/٤٩٢-٤٩٧، ٥١٠)، ومختصرة في: إتحاف فضلاء الزمن (١٢٧/٢، ١٢٩).

وكان الشيخ محمد بن سليمان المذكور من أكابر العلماء، وأصله من سوس[١]، وولد بها سنة ثلاث وثلاثين وألف، وأخذ العلم بالمغرب، وصحب أجلاء الشيوخ من أهل المغرب، ولازم أكابر العلماء، ثم رحل فطاف المغرب، ثم رحل إلى المشرق، فدخل مصر، وأخذ عن أكابرها وعلمائها، ثم دخل أرض الحرمين، وأقام [بالمدينة المنورة ملازماً غالب أوقاته للذكر والخلوة عن الناس، ثم وصل مكة المشرفة وأقام][٢] بها، وصحب الفضلاء، وأخذوا عنه.

وكان رحمه الله عالماً متفنناً، متسعاً، عديم النظير، فصيح النطق، ذا هيبة، وجلالة، وفراسة في إصابة الرأي، وصار له بمكة شهرة، فاعتقده كثير من الناس، ثم رحل إلى الديار الرومية صحبة أخي الوزير مصطفى باشا، وبلغه بواسطة أخيه الوزير من ترقي مراتب العز ما شا، حتى قلّده السلطان والوزير النظر في أمر الحرمين، فرجع وحصل جميع ما تقدم.

وكان له اليد الطولى في المعقول، وعلم الفلك وغيرهما.

وله تآليف كثيرة، منها: حاشية على "التصريح" للشيخ خالد، في علم النحو.

قال السنجاري[٣]: كان دخوله في هذه الدائرة من المحن السائرة، وإلا

---

(١) سوس: مدينة من أقصى المغرب في الإقليم الثاني، وهي على طرف من البر داخل في البحر أربعين ميلاً، وفي جانبها الشمالي نهر يأتي من الشرق من جبل لمطة (صبح الأعشى ٥/١٦٤-١٦٥).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٠٣).

(٣) منائح الكرم (٤/٥١٢).

فهذا إمام جليل، ومحقق نبيل، تقصر عن وصفه العبارة، وتحدو بذكره السيّارة[١].

وكان شريف مكة وصاحب جدة لا يقطعان أمراً دونه، وانتهت إليه رئاسة مكة. وبنى بمكة رباطاً للفقراء يعرف الآن برباط ابن سليمان، عند باب إبراهيم، يسكنه أهل اليمن، وبنى مقبرة بالمعلا تعرف الآن بمقبرة ابن سليمان، فأقام بمكة تلك المدة وأمره نافذ على غلاظة وشدة، إلى أن تبدلت تلك السعودات بالنحوس، وهبط بعد أن كان على الرؤوس، فورد الأمر بإخراجه، إلى آخر ما تقدم، رحمه الله وسامحه.

وتقدم ذكر ما وقع من اختلاف السادة الأشراف، واستمر ذلك إلى سنة خمس وتسعين[٢].

ولاية الشريف أحمد بن زيد سنة ١٠٩٥

فولي مولانا السطان الشريف أحمد بن زيد[٣]، وجاء الخبر إلى مكة في عشرين من ذي القعدة.

وفي تاريخ الرضي: ثم لما جاءت الأخبار إلى مولانا السلطان بما وقع في

---

(١) السيارة: القافلة (انظر: المعجم الوسيط ٤٦٧/١). ويقصد بذلك الشيخ محمد بن سليمان المغربي.

(٢) خلاصة الكلام (ص:٩٩-١٠٥).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (١/١٩٠-١٩٧) وخلاصة الكلام (ص:١٠٥-١٠٩)، والأعلام (١٢٨/١)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٢١-١٢٢)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٥٥-٢٥٧).

الحجاز من الخراب والفساد والعناد والنهب -وكان السلطان بأدرنة- طلب مولانا الشريف أحمد ثالث شوال، وولّاه بعد استقرار رأي رجال دولته على أن الصلاح لا يكون إلا به.

وقد ذكر في خلاصة الأثر كيفية توليته حيث قال(١): ولم يزل مقيماً بالروم والأحوال تنتقل به، إلى أن [حصل](٢) لمكة ما حصل من الاختلاف بين الأشراف، فبلغ ذلك السلطان، فأرسل إلى الشريف أحمد يطلبه، فلما أتاه ودخل، قام إليه وقابله بغاية الإجلال، ووضع كفّه بكفّه وصافحه من قيام قائلاً: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، وأول خطاب من السلطان قال له: يا شريف أحمد، الحجاز خراب، أريدك تصلحه، فامتثل ذلك، فعند ذلك ألبسه ما كان عليه، ثم جلس السلطان وأمره بالجلوس، وأعاد عليه ما قاله أولاً مرتين، وهو يجيبه بالامتثال والقبول، فحينئذ قال السلطان: إذا آن أوان الشيء أبرزه الله تعالى، ثم أمر الوزير والكُتَّاب أن يكتبوا له ملتمسه، فخرج الشريف وقدّم له مركوب من خيل السلطان، ورحل على خيل البريد إلى دمشق، وقد خرج الحاج منها.

قال صاحب الخلاصة(٣): فدخلتُ عليه مهنئاً [له](٤) بالشرافة، وأنشدته هذه الأبيات:

---

(١) خلاصة الأثر (١/١٩٦).
(٢) قوله: "حصل" زيادة من خلاصة الكلام (١٠٦)، وخلاصة الأثر، الموضع السابق.
(٣) خلاصة الأثر (١/١٩٦).
(٤) قوله: "له" زيادة من خلاصة الأثر، الموضع السابق، وخلاصة الكلام (ص:١٠٦).

الحقُّ عادَ إلى محله ... والشيء مرجعه لأصله
يا طالما وعد الزما ... ن به وأعياننا بمطله
حتى تحقق أنه ... في الناس مفتقر لمثله
والسيف عند الاحتيا ... ج إليه يعرف فضل نصله
والدهر ينفر تارة ... ويعود معتذراً لأهله
لا ريب قد سرّ الورى ... بفعاله الحسنى وعدله
فالكل شاكر صنعه ... ولساهم وصاف فضله

وأقام بدمشق ثلاثة أيام، ثم خرج قاصداً الحاج حتى لحقه بالعُلا[١]، ودخل المدينة الشريفة، وتلقاه عسكرها، ولبس الخلعة السلطانية تجاه الحجرة الشريفة كما لبسها أبوه، ثم دخل مكة سابع ذي الحجة ختام سنة خمس وتسعين وألف.

وذكر في الخلاصة أيضاً عند ذكر آخر ولاية الشريف سعيد بن بركات في ضمن ترجمة أبيه[٢]: أن الشريف سعيداً عرض للدولة خراب الحجاز، وطلب عسكراً لإصلاحه، وكان هو وعمه عمرو ينتظران الجواب.

فلما كان سابع عشر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ركب الشريف سعيد إلى أحمد باشا صاحب جدة، وكان بالأبطح ببستان الوزير عثمان حميدان، واستمر عنده إلى جانب يسير من الليل، ثم ركب وقصد ثنية الحجون ذاهباً

---

(١) العلا: مدينة حديثة يمر فيها طريق سكة حديد الحجاز في منتصف المسافة بين المدينة وتبوك، غير بعيدة عن وادي الحِجْر، وكان واديها قديماً يعرف بوادي القُرى، وهي مشهورة بكثرة نخيلها وجودة ثمرها، تلتقي عندها ديار عنزة من الشرق، وبليّ من الغرب (معجم معالم الحجاز ٦/١٥٤-١٥٥).

(٢) خلاصة الأثر (١/٤٥٠).

إلى السيد غالب بن زامل، وكان نازلاً بذي طوى[١]، فلما جاوز الحجون إذا هو برجل على ذلول، فاستخبره من أي العرب؟ فقال: من بني صخر[٢]، فقال له الشريف سعيد: أمعك كتاب من يحيى بن بركات –وهو أخو الشريف سعيد–، فقال: لا، وكان الشريف يحيى ذهب لملاقاة الحج الشامي، فأمر بضربه، وهدده بالقتل، فأقرّ بأنه رسول من الشريف أحمد بن زيد إلى السيد أحمد بن غالب، وأنه قد جاء متولياً إلى مكة، ولحق الحج الشامي بالعلا. ثم ذهب ليلة الثلاثاء تاسع عشر[٣] الشهر إلى بيت عمه السيد عمرو، واستدعى السيد غالب بن زامل، والسيد ناصر بن أحمد الحارث، والسيد عبدالله بن هاشم[٤] بن محمد بن عبدالمطلب بن حسن بن أبي نمي، وتشاوروا في إظهار هذا الأمر كيف يكون، فاتّفق الأمر على أن يرسلوا إلى السيد مساعد ابن الشريف سعد بن زيد، فأرسلوا له السيد عبدالله بن هاشم، فأتى به، فلما دخل بيت السيد عمرو ورأى الجماعة مجتمعين جلس معهم، فقال الشريف سعيد: يا سيد مساعد، لم أرسل إليك في هذا الوقت

---

(١) ذي طوى: وادٍ بأسفل مكة (معجم البلدان ٤٥/٤)، وهو بمحلّة جرول معروف إلى الآن، ويستحب الاغتسال فيه للمحرم.

(٢) بنو صخر: من عشائر البدو الكبرى التي كانت تقطن في جهات العلا بالحجاز، نزحت إلى بلاد الكرك والبلقاء وغزة، ثم ما لبثوا أن رجعوا من غزة، واستقروا في البلقاء. ويقال في نسبهم أن جماعة منهم ينتسبون إلى بطن من بطون طيء، وأخرى إلى بطن من بطون جذام وأنهم اندمجوا مع بعضهم بحكم الاسم (صخر) والجوار (انظر: نهاية الأرب للقلقشندي ص:٣١٣، ومعجم قبائل الحجاز ص:٢٤٥–٢٤٦، ومعجم قبائل العرب ٦٣٤/٢–٦٣٥).

(٣) في خلاصة الأثر: عشري.

(٤) قوله: "بن هاشم" مكرر في الأصل.

إلا قصدي أودعك أهلي، فإن عمك الشريف أحمد تولى مكة، وأنك تقوم مقامه حتى يصل، وأرسل الشريف سعيد إلى آغاوات العسكر، وقال لهم: إن الأمر للسيد أحمد بن زيد، فاخدموا سيدكم، وخرج الشريف سعيد تلك الليلة إلى الوادي، وأقام به حتى سافر الحج المصري، فذهب معه إلى مصر.

وفي تاريخ السنجاري[١]: أنه في صبح الليلة التي سافر فيها الشريف سعيد انعقد مجلس في المسجد [خلف][٢] مقام الحنفي، وحضره سائر الأشراف، وصاحب جدة، والقاضي، والمفتي، والعلماء، ووجوه الناس، وأقيم السيد مساعد بن سعد بن زيد نائباً عن عمه الشريف أحمد بن زيد، ونودي له في البلد، وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذي القعدة سنة خمس وتسعين.

ثم توجه الشريف سعيد بن بركات إلى مصر، وتوفي بها.

وفي ثاني ذي الحجة جاءت مكاتيب من الشريف أحمد بن زيد لكبار الأشراف مضمونها: التلطف بالرعية، والوصية على البلد إلى حضوره. وخرج الناس إلى لقاء مولانا الشريف أحمد بن زيد، فوصل يوم السابع من ذي الحجة، ودخل مكة في موكب أعظم، وكادت الناس أن تقتل من الزحام، وجلس للتهنئة، ومدحته الشعراء بقصائد، وفرح الناس به، وحج بالناس، ثم نشر لواء العدل والإنصاف، فحصل له في القلوب هيبة، وأمنت الطرق،

(١) منائح الكرم (٤/٥٢٩-٥٣٢).

(٢) في الأصل: حلف. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٠٧)، ومنائح الكرم (٤/٥٢٩).

واستقر الناس، واستمر في ولايته إلى سنة تسع وتسعين وألف.

وفي شهر المحرم افتتاح سنة تسع وتسعين حصل اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف والسيد أحمد بن غالب، فخرج السيد أحمد بن غالب من مكة مغاضباً في شهر صفر[١]، وتبعه جماعة من الأشراف، ثم في شهر ربيع الثاني توجه السيد أحمد بن غالب إلى جهة الشام.

وفي أواخر ربيع الثاني مرض مولانا الشريف أحمد بن زيد، وجاءته حمى، واستمر مرضه نحو خمسة عشر يوماً، ثم توفي إلى رحمة الله يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى وقت الضحى، وكتم موته ابن أخيه السيد سعيد بن سعد إلى بعد صلاة الظهر، وكان الشريف سعيد هذا مقرّباً عند عمه مولانا الشريف أحمد بن زيد، يخصّه بمزيد محبته، لما يرى من نجابته، وربما أمره بالجلوس في ديوان بدايته في مدة توعكه[٢].

الولاية الأولى للشريف سعيد بن سعد[٣] سنة ١٠٩٩

فلما توفي مولانا الشريف أحمد جلس مولانا الشريف سعيد في الديوان العام، وبعث إلى الوزير وكبار العسكر فتكلم معهم في المكانة، فأذعنوا له،

---

(١) انظر هذا الخبر في: إتحاف فضلاء الزمن (١٣٥/٢).

(٢) خلاصة الكلام (ص:١٠٥-١٠٧، ١٠٩). وانظر: منائح الكرم (٤٣/٥-٤٦).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:١٠٩، ١١٢، ١١٧، ١٢٨، ١٣٦، ١٤٨، ١٦٥، ١٦٧)، وتاريخ الدول الإسلامية (ص:١٥٧، ١٥٨)، والأعلام (٩٥/٣)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٢٦-١٢٨)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٥٧-٢٥٨، ٢٦٦، ٢٧٧-٢٧٨، ٢٨٣).

وطلعوا إلى قاضي الشرع مع جماعة من وجوه الفقهاء، واتّفق رأيهم على إقامة المذكور مقام عمه، وأخذوا الخلعة وطلعوا بها إلى دار السعادة وألبسوه إياها، واستقر الحال على أحسن ما يكون، وأخرجوا الجنازة وقت العصر، فصلّوا عليه، ودفنوه بالمعلا على والده. فكانت مدة دولته: أربع سنين إلا ثلاثة أيام، ومولده سنة اثنتين وخمسين وألف، فعُمره سبع وأربعون سنة. وأسف الناس عليه، وحزنوا بموته، ورثاه الشعراء بقصائد.

ومولد الشريف سعيد سنة خمس وثمانين وألف، وسافر والده من مكة وهو عند مراضعه، وهذه الولاية الأولى من ولاياته شرافة مكة، وفرّق يوم السبت على العسكر جوامكهم[1]، وزاد من أراد زيادته، وختم على جميع مخلفات عمه الشريف أحمد بحضرة السيد ثقبة بن قتادة، وكتب إلى ابن عمه السيد عبدالمحسن بن الشريف أحمد بن زيد وإلى أخيه السيد مساعد بن سعد يخبرهم بذلك، وكانا بينبع، فأمرهم بالمقام هناك لمحافظة ما يليهم، وزينت البلد ثلاثة[2] أيام.

وفي جمادى الثانية يوم السادس منه ورد قابجي بخبر خلع السلطان محمد بن

---

(١) الجوامك: جمع جامكية، وهو اصطلاح شائع في العالم الإسلامي في القرون الوسطى المتأخرة، وهي ترادف كلمة راتب، وأصل الكلمة فارسية بمعنى لباس، وكانت الجامكية ملابس خاصة تصرف لأصحاب الوظائف الرسمية، وكانت الجامكية تعتبر جزءاً من الراتب المنتظم. أما بالنسبة لأمراء مكة فإن أول من صرفها منهم هو السيد بركات بن حسن بن عجلان، فكان يصرفها على الأمير الراكز (انظر: هامش صبح الأعشى ٥٢٤/٣، ٤٢/٤-٤٣، وتأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ص:٥٩).

(٢) في منائح الكرم: خمسة.

إبراهيم وتولية أخيه السلطان سليمان بن إبراهيم، ومعه مرسوم باسم الشريف أحمد بن زيد وقفطان، مضمون المرسوم: الإنعام على الشريف أحمد بحماية الحرمين الشريفين على ما كانت عليه أوائله، فحضر الشريف سعيد بالحطيم، والقاضي، والمفتي، وأعيان الناس، وقرؤوا المرسوم، ولبس الشريف سعيد القفطان، وخلع [على الناس][1]، ثم جلس في بيته للتهنئة.

وكتب الشريف سعيد عرضاً لصاحب مصر يطلب التقرير له على شرافة مكة، وبلغه أن الفقهاء يتكلمون فيما لا يعنيهم، فبعث إليهم أن يلزموا منازلهم ويحفظوا ألسنتهم بعد التهديد لبعضهم من حاكمه القائد أحمد جوهر.

وفي غرة شعبان جاء الخبر بأن السيد أحمد بن غالب اعترض المكاتيب والعرض الذي أرسله الشريف سعيد، وأخذه في ينبع ممن كان معه، وكان مرسَلاً مع الشيخ محمد المنوفي، ثم كتب الشريف عرضاً آخر عليه خطوط العلماء، وعرّفهم بواقعة الحال وما جرى من السيد أحمد بن غالب، وبعثه من جهة الشام، وكان الشريف أحمد بن غالب مقيماً بينبع، وبعث إلى صاحب مصر يطلب ولاية مكة، وبذل لصاحب مصر مالاً، يقال: إنه مائة كيس، وكان بمصر مال يجمع للفقراء من أهل مكة من باقي الحب نحو خمسة وسبعين ألف قرش، فقام إبراهيم بك القاسمي أمير الحاج المصري ويوسف آغا وكيل صاحب مكة، وأعطيا الباشا ذلك من قبل السيد أحمد بن غالب، وقاما في

---

(١) في الأصل: للناس. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ١١٠).

توليته لكتب وردت إليهما منه، وتصالحا على ذلك، وأخذا بعضاً من المال، واستخرجوا أمراً من الباشا بولاية الشريف أحمد بن غالب شرافة مكة، فجاء الأمر مع بعض أعوان الباشا، وبعثوا به إلى صاحب جدة ومعه أمر لصاحب جدة في تنفيذ ذلك، وأرسل صاحب مصر إلى أبواب السلطنة بطلب الولاية للشريف أحمد بن غالب.

فلما كان ليلة الرابع عشر من رمضان ورد من صاحب جدة [قاصد](١) إلى قاضي الشرع وأغاة الانكشارية يعرّفهم بأن صاحب السعادة صاحب مصر وصلنا منه أمر بأن مكة قد تولاها السيد أحمد بن غالب، وقد بعث إلينا السيد أحمد بعض الأشراف وأنهم واصلون إليكم مع مستلم مولانا الشريف أحمد بن غالب وهو السيد محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن، فطلع مولانا القاضي إلى مولانا الشريف سعيد وأخبره بذلك، فما أجاب إلا بالتصميم على القتال، وأنه لا يسلم مكة بأمر باشوي، وعلى فرض ذلك فكان وصوله إليك هو الواجب لا إلى صاحب جدة.

وفي تاريخ الرضي: أن الشريف سعيداً قال للقاضي: إن كان بيد السيد أحمد بن غالب أو صاحب جدة أمر سلطاني فليأتوا به، ونحن مطيعون للأمر السلطاني، وإن كان ليس بأمر سلطاني فحُكْم الباشا على مصر وصعيدها، يعزل فيه ويولّي من شاء، وما دون مكة إلا السيف، فقال له القاضي:

---

(١) في الأصل: قاصداً. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١١٠).

يا مولانا هذا وزير مصر يعزل ويولّي، فكذبه صريحاً، فقال: يعزل ويولّي مثلك، فلما تعقل القاضي كلامه بعث إلى صاحب جدة يحذّره عاقبة الأمر، فجاء جوابه بأنّا نادينا للسيد أحمد بن غالب بجدة في ثالث عشر رمضان، وأنه طالع إلى مكة مع قائمقام المذكور السيد مساعد، فلما بلغ مولانا الشريف سعيداً ذلك تأهب للقتال، وجمع عبيد ذوي زيد، وكلّم العساكر، فظهر له إحجامهم، وبعث نحو عشرين خيالاً من عبيده إلى نحو جدة، فجاء النذير بأن صاحب جدة وصل هو وبعض الأشراف ممن كان مع الشريف أحمد بن غالب، ونزلوا الركاني بلد الشريف أحمد بن غالب في طريق جدة، وأن جماعة الشريف سعيد واجهوه، وقالوا له: لا تدخل مكة، فإن الشريف [سعيداً][(١)] غير مسلّم للبلد بدون قتال أو أمر سلطاني، فقال لهم: إنه لا بد من دخول مكة، ثم جاؤوا للشريف سعيد بكتاب ظفروا به من قاضي مكة لصاحب جدة يأمر بالدخول ويخبره بأنه استمال له أغوات العسكر، فحفظ الكتاب وزاد في التحرز، وحفظ الطرقات، وأقام عسكراً ببابه محافظين، وأقام آخرين في بعض البيوت التي على الطريق، ثم ظهر للشريف سعيد أن شيخ عسكره محمد البغدادي موافق للشريف أحمد بن غالب، وأنه بعث إلى صاحب جدة يأمره بالطلوع، وأنه عازم على تثبيط العسكر، فأمر الشريف بقتله، فقتل بعد الاعتراف، وبعث إلى بيته من يثق به من العسكر، فقام عبيده وحموا منزله، فتواقعوا مع العسكر، ثم تكاثرت العسكر عليهم، وكسروا

---

(١) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١١٠).

الباب، وقتلوا ثلاثة أعبد بعد جراحات حصلت، ونهب البيت، ولم يصبح له أثر.

ثم جاء الخبر بوصول الشريف أحمد العمرة، وجاء جماعة من الأشراف للشريف سعيد وأخبروه بأن الأمر قد خرج عنه، وأظهروا له التخلي عنه بالكلية، حتى أخوه وابن عمه، فلما رأى انحلال الأمر وكّل الأمر إلى الله تعالى، وقال: اليوم بعد اليوم، وأودع طوارفه[١] السيد أحمد بن سعيد بن شنبر، وسار متوجهاً إلى الطائف، فدخل مكة الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي ضحى يوم الجمعة ثاني شوال سنة تسع وتسعين وألف في آلاي أعظم من الحجون لابساً خلعة الباشوية ومعه جميع الأشراف، ونزل دار الشريف محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي، وجلس للتهنئة، وحقن الدماء، وعزل كثيراً من أهل المناصب، وولى غيرهم[٢].

ولاية الشريف أحمد بن غالب[٣] سنة ١٠٩٩

وفي شهر القعدة جاء المرسوم السلطاني مضمونه: أن صاحب السعادة صاحب مصر حسن باشا رفع إلى الأبواب السلطانية، أنه بعد وفاة الشريف

---

(١) الطارف من المال: المُسْتحدث، وهو خلاف التالد والتليد (لسان العرب، مادة: طرف).

(٢) خلاصة الكلام (ص:١٠٩-١١٢). وانظر: منائح الكرم (٥/٥٠-٦٢).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:١١٢-١٢٤)، والأعلام (١/١٩٢)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٢٣-١٢٥)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٥٩)، والمقتطف من تاريخ اليمن (ص:١٧٢)، والمخلاف السليماني (١/٤٠٣-٤١٩).

أحمد بن زيد يستحق الشرافة الشريف أحمد بن غالب، وأن الأشراف راضون به، فحصل من السلطان الإنعام عليه بذلك، فقرئ المرسوم بالحطيم، ولبس الشريف أحمد القفطان الوارد، وجلس للتهنئة، وزينت البلد ثلاثة أيام.

ولما جاء الحج خرج للقائه على العادة، وحج بالناس.

وبعد سفر الحج جاء الخبر: أن الشريف سعيداً توجه مع الحج الشامي إلى جهة والده[1]، وجهز الشريف أحمد بن غالب قاصداً إلى الروم أوائل سنة ألف ومائة بهدية سنيّة، وجاء الجواب بالقبول في شوال مع مرسوم وخلعة، فقرئ المرسوم بالحطيم، وفتحت الكعبة للدعاء على المعتاد، ولبس الخلعة.

وفي سنة واحد ومائة وألف في أوائل المحرم تنافر الشريف أحمد بن غالب مع جماعة من الأشراف ذوي زيد، فخرجوا من مكة مغاضبين له، ولم يبق بمكة منهم إلا السيد عبدالمحسن بن الشريف أحمد بن زيد، ووصلوا إلى ينبع، واستمالوا العرب[2]، واتفقوا على تولية الشريف محسن بن الحسين بن زيد، ونادوا له بشرافة مكة في ينبع، وأخذوا ستمائة إردب حب كانت هناك للشريف أحمد بن غالب، وكتبوا إلى صاحب مصر يعرّفونه بإخراج الشريف أحمد لهم من مكة، وخرج جماعة من الأشراف من ذوي عبدالله وأخذوا

---

(١) الذي كان يقيم في مركز الدولة العثمانية بعد خروجه من مكة.

(٢) المقصود بهم القبائل البدوية هناك مثل جهينة وحرب وصبح.

القنفذة[١]، ومنعوا الزالة[٢]، وانقطع طريق اليمن، وكثر القطّاع في طريق جدة، وكثرت السرقة بمكة، ووقع القتل بها ليلاً ونهاراً.

ثم جاءه الخبر أنه نودي في جدة للشريف محسن بن الحسين بن زيد، فاضطرب حال الشريف[٣] وفرّق العسكر في المدارس والطرقات والشعاب، واضطرب الناس لذلك، ثم اجتمع العلماء وكتبوا محضراً لصاحب جدة يسألونه عن هذا الأمر، ونزل به السيد عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبي نمي ومعه السيد عبدالمحسن بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي ومعهم جماعة من القاضي ومن أصحاب البلكات، فرجعوا وأخبروا بعدم الوفاق، ولم يزل الأمر يتفاقم.

وسبب انقلاب صاحب جدة على الشريف أحمد بن غالب: توليته وزارة جدة لابن حميد القرشي، فإنه ورد جدة وجعل يناقض الباشا في كل أمر، إلى أن تكدر خاطره بعد صفائه، فرجع لغدره بعد وفائه.

ثم جاء الخبر من الطائف بأن السيد حسن بن أحمد بن الحارث نادى في الطائف للشريف محسن بن الحسين بن زيد، وتدانت الأشراف الذين مع

---

(١) القنفذة: مدينة صغيرة وميناء على ساحل البحر الأحمر .
تقدم التعريف بها (ص: ٤٠٢).
(٢) الزالّة: سبق التعريف بها (ص: ٢٦٥).
(٣) حال الشريف أحمد بن غالب.

السيد أحمد بن سعيد إلى البلد، وأخذوا إبلاً للشريف أحمد بن غالب نحو خمسمائة ناقة من نحو السعدية.

ولم يزل الشريف أحمد في التحرز، وأمر عسكر اليمن بملازمته في الأروقة التي خارج المسجد ليلاً ونهاراً، ثم كتب أهل مكة عَرْضاً إلى صاحب مصر وإلى أبواب السلطنة، وينهون فيه ما وقع من صاحب جدة، وأكثروا فيه من [التشنيع](١) عليه.

وفي سادس رجب عقدوا مجلساً في الحطيم، حضره جماعة من الأشراف، والعلماء، والقاضي، فجعل مولانا الشريف يشكو للقاضي ما وقع من صاحب جدة في حقه، وأنه كان سبب تفرّق الكلمة، وتفحل الأشراف عليه، وقد انقطعت السبل، وقد نادى في جدة للشريف محسن بن حسين بن زيد من غير أمر السلطنة، وأن مطلوبي أن تكتبوا لي حجة في تجويز مقاتلته؛ لئلا تنقم عليّ السلطنة. فقال له كبير آغا -سردار العسكر-: يا شريف! نحن محافظون لمكة، نذود عنها العدو ونقاتل، وأما الأشراف فهم بنو عمّك، لا ندخل بينكم. وأما الباشا فتسأله عما فعل، فإنه لا يفعل شيئاً من ذاته في بلد السلطان.

فاتّفق الأمر على أن يرسلوا إلى صاحب جدة رسولاً من القاضي، وانقضى المجلس عن شناعة ظاهرة، فأرسل القاضي رسولاً إلى صاحب جدة، فعاد بلا مراد.

(١) في الأصل: الشنيع. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١١٣).

وفي هذا اليوم أخرج الشريف بعض المدافع إلى جهة الشبيكة(١)، [وبعضها](٢) إلى جهة المعلا، وبعضها إلى جهة بركة ماجن(٣) من جهة اليمن، في كل جهة مدفعان.

وفي ثامن عشر رجب جاء الخبر: أن الشريف محسن بن حسين بن زيد ومن معه نزلوا الزاهر، وأن السيد أحمد بن سعيد بن مبارك بن شنبر في أول القوم، وأطلق الصنجق سبع مدافع لما نزل الزاهر، فركب من بقي مع الشريف أحمد من الأشراف وغيرهم، وخرجوا إلى جرول ومعهم بيرق(٤) عسكر اليمن. وأخرج إلى جهة المعلا جماعة من العسكر وجماعة إلى جهة البركة، والشريف أحمد بن غالب في بيته.

وفي يوم السبت تاسع عشر رجب أرسل الشريف محسن بن حسين بن زيد جماعة من الأشراف، فدخلوا مكة وقصدوا قاضي الشرع، واستدعوا رؤوس البلكات، وأظهروا صورة بيوردي(٥) باشوي، وطلبوا من القاضي تسجيله، فامتنع، ومضمونه: تولية الشريف محسن، وطلب القاضي نفس

---

(١) الشبيكة: تقدم التعريف بها (ص: ١٠٠).

(٢) في الأصل: وبعضاً. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنائح الكرم (١٠٣/٥).

(٣) بركة ماجن: أسفل مكة بدرب اليمن. وهي أحد المنتزهات التي كان يخرج إليها أهل مكة كل مساء في زمن الصيف، وقد انتشر العمران الآن حتى تعدّاها (هامش شفاء الغرام ٤١/١).

(٤) بيرق: راية أو علم. وهي إحدى الرتب العثمانية العسكرية، ومعناها حامل العلم أو الراية (المعجم الوسيط ٥١/١).

(٥) بيوردي أو بيورلدي: أمر صادر من ديوان الصدر الأعظم، أو أمر يصدر من قبل الوالي أو من شابهه إلى صاحب مصلحة (معجم الدولة العثمانية ص:٥٢).

البيوردي الباشوي، وثارت الانكشارية؛ لعدم تنفيذ البيوردي الوارد صورته من الباشا، وهجموا على القاضي، وأعانتهم العامة؛ لما لحقهم من التعب، فهرب القاضي من سطح المدرسة، فلم يجدوه، ونهبوا ما وجدوه، وأطلقوا البنادق على المدرسة، وجاءت طائفة من جماعة مولانا الشريف، ودخلوا المسجد، ورموا في وسط الحرم[١]، وتطاردوا ساعة، ودخل بعض العسكر مدرسة المفتي عبدالله أفندي عتاقي زاده على أهله وعياله، وأرادوا قتله، ففرَّ منهم واستتر عنهم، ثم أخرجوهم من الحرم بعد قتل بعض العبيد، وقتل رجل في المسجد من الهنود، وعَزّل السوق[٢].

ثم جاء من جهة الشريف محسن بن حسين السيد عبدالله بن سعيد، واجتمع بالشريف أحمد بن غالب، ثم خرج من عنده، وأرسل الشريف أحمد [لجماعة][٣] الشريف محسن بن حسين يطلب منهم أن يعيّنوا له رجلاً يودعه أطرافه، فعيّنوا له السيد أحمد بن سعيد، وطلب مهلة عشرين يوماً يتجهّز فيها.

ولما كان ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من رجب، خرج الشريف أحمد بن غالب إلى الحسينية[٤] قاصداً جهة اليمن. ومدة دولته: سنة كاملة، وتسعة

---

(١) أي أطلقوا النار في الحرم.

(٢) المقصود بتعزيل السوق: إغلاق المحلات فيه عن البيع والشراء خوفاً من القتال والفوضى.

(٣) في الأصل: بجماعة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١١٤).

(٤) الحسينية: سبق التعريف بها (٢/٣٥٤).

أشهر، وعشرين يوماً[١].

ولاية الشريف محسن بن الحسين[٢] سنة ١١٠١هـ

فلما كان ضحى يوم الثلاثاء دخل مكة مولانا الشريف محسن ومعه محمد باشا صاحب جدة في آلاي أعظم، ولبس قفطاناً كان [قد][٣] ورد للشريف أحمد بن غالب، فاحتبسه الشريف محسن عنده، وجلس في دار السعادة للتهنئة، وامتدحته الشعراء.

وكانت ولادة الشريف محسن بعد الخمسين وألف. نشأ في كفالة جدّه الشريف زيد بعد انتقال والده بعد الستين، ولم يزل إلى أن سافر إلى الأبواب مع عمّيه[٤]، ثم انتقل قبلهم إلى مصر، وأقام بها، إلى أن رجع إلى مكة مع عمه الشريف أحمد، ثم خرج هذا المخرج، فرجع وقد كمل بدره وبذخ فخره.

وعاقب بعد دخوله مكة جماعةً كانت أيديهم مع الشريف أحمد بن غالب، فنزع مفتاح الكعبة من الشيخ عبدالواحد بن محمد الشيبي، وأعطاه لأخيه الشيخ عبدالله بن محمد الشيبي -وكان أصغر من أخيه الشيخ عبدالواحد-،

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١١٢-١١٤). وانظر ما سبق من الأخبار في: منائح الكرم (٥/٧٠-٧٣، ٩٥-١٠٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/١٤٤-١٤٥، ١٥٦-١٥٨).

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ الدول الإسلامية (ص:١٥٦)، والأعلام (٥/٢٨٦)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٢٥-١٢٦)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٦٠).

(٣) قوله: "قد" زيادة من خلاصة الكلام (ص:١١٤).

(٤) الشريف أحمد بن زيد والشريف سعد بن زيد.

ومنع مولانا الشريف محسن الشيخ عبدالواحد من الخروج والاجتماع بأكابر الحج زمن الحج، وما أخذ منه المفتاح إلا بعد أن عقد عليه مجلساً أحضر فيه القاضي والعلماء، وادّعى عليه بأنه أعطى بعض قناديل الكعبة للشريف أحمد ابن غالب جعلها سكة، وأحضر الصوّاغَ الذين سكّوها، فسألهم الشريف فقالوا: سككناها بأمر الشريف أحمد، فسألهم: ما الذي سككتموه؟ فقالوا: أسورة وحجول. فقامت العامة فقالت: إنه من ذهب قناديل الكعبة التي مكّنه منها الشيخ عبدالواحد، وتكاثر الكلام من بعض الفقهاء الحاضرين لذلك المجلس، إلى أن أخذت العامة الشيخ عبدالواحد بالأيدي، فقام الصنجق وأخذه من أيدي العامة، ودخل به محلاً مختصاً من دار مولانا الشريف، وفزع أهل الشيخ عبدالواحد إلى السيد ناصر الحارث، فركب وأتى إلى دار مولانا الشريف، وخرج به إلى داره، ثم إن الصنجق بعث إلى جدة يطلب الشيخ عبدالله بن محمد الشيبي -وكان بجدة-، فلما حضر أمر مولانا الشريف بعض الفقهاء أن يدعي عند القاضي بطريق الوكالة عن مولانا الشريف على الشيخ عبدالواحد بالخيانة، وأنه أعطى الشريف أحمد بن غالب أربعة قناديل من الكعبة، فادّعى عليه، وأثبت ذلك بشهود -الله أعلم بهم-، فحكم القاضي بعزله عن هذه المكانة التي هي [حجابة][1] البيت الشريف، وألبس مولانا الشريف محسن الشيخ عبدالله، وأسلمه المفتاح، وخرج إلى بيته.

---

(١) في الأصل: حماية. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١١٥).

ثم بعد يومين حضر هو وأخوه عند مولانا الشريف، فأمر كلاً منهما بالعمل بحق الأخوة، وأن يكونا شيئاً واحداً، فتصافحا بحضرته، وتعاهدا على ذلك[١].

وفي تاج تواريخ البشر للحضراوي[٢] نقلاً عن العصامي[٣]: وكان الشريف أحمد بن غالب قد أحدث سكة بمكة يقال أنه سكّها من قناديل الكعبة الذهب التي أرسلت هدية للكعبة من ملك الهند، فلما تولى الشريف محسن بن حسين، قال الصنجق للقاضي: هذه السكة التي ظهرت في البلاد ما هي إلا غش وفساد في بلد السلطان، فقال الشيخ عبدالواحد الشيبي: والله يا مولانا يحتاج أن تبطلوا هذه السكة، فضجّ الخاص والعام من الناس، ووصفوه بالظلم والفساد، ونسبوا إليه أنه هو الذي أعطى للشريف أحمد بن غالب قناديل الكعبة ليسكّها[٤] ويتلف بها المعاملة، ثم يقول: الآن يحتاج أن تبطلوها.

والحال: أن المذكور تقوّلوا عليه بهذه الدعوة التي ليست لها ثبوت، ثم دخل بهم الصنجق على الشريف محسن، وعزل الشيخ عبدالواحد المذكور، ودعى الشيخ عبدالله الشيبي، وأتى له بقفطان بولاية المفتاح، فامتنع أن يلبسه الشيخ عبدالله حتى يكتب له حجة ويستلم المفتاح.

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١١٤-١١٥). وانظر الأخبار السابقة في: منائح الكرم (١٠٨/٥، ١١٥-١١٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٥٨/٢-١٥٩).

(٢) تاج تواريخ البشر (٣٠١/٢-٣٠٢).

(٣) لم أقف عليه في المطبوع من سمط النجوم.

(٤) في تاج تواريخ البشر: ليسبكها.

وفي ثاني يومه دخل الشيخ عبدالله الشيبي والصنجق إلى الشريف محسن، فألبس الشيخ عبدالله بعد صلاة العصر قفطاناً للمنصب المذكور، وركب إلى بيته على فرس الشريف، بين يديه السعاة وأرباب الدرك والعساكر.

وفي مستهل شعبان أرسل الشريف يطلب المفتاح من الشيخ عبدالواحد الشيبي وأن يُخلي له بيت وقف السلطان مراد على من بيده المفتاح الكائن بالصفا، فطلع للشريف فوجد عنده الشيخ عبدالله بن محمد الشيبي، فسلّمه إلى الشيخ عبدالله بحضرة الشريف، فقال له: يد فرغت في الأخرى، وأنت مثل [ولدي](١) عبدالمعطي، فسلّم الشيخ عبدالله على يد الشيخ عبدالواحد(٢)، وطلب منه مهلة في البيت إلى طلوع الطائف، فأمهله، ونزل الشيخ عبدالله إلى ولاية مفتاح البيت الحرام. انتهى.

واستمر عنده المفتاح إلى أوائل محرم سنة ثلاث ومائة وألف، وذلك سنة وخمسة أشهر إلا ثمانية أيام، وهي مدة ولاية الشريف محسن.

فلما ولي الشريف سعيد أعاد المفتاح للشيخ عبدالواحد، ثم طلب الشيخ عبدالواحد أن يكون المفتاح لابنه عبدالمعطي، وأفرغ ذلك له، فأجيب، ثم توفي ابنه عبدالمعطي سنة عشرة، فطلب الشيخ عبدالواحد ثانياً أن يكون لابن ابنه

---

(١) في الأصل: والدي. والتصويب من تاج تواريخ البشر (٣٠٢/٢).
(٢) أي قبّل يده.

الشيخ محمد بن الشيخ عبدالمعطي، فأجيب لذلك، وارتفع صيت محمد هذا وعظم بمكة مقامه، حتى صار أوحد زمانه وفريد أقرانه، [واستمرت سدانته][(١)] وشهرت بين أهالي مكة ووارديها أمانته وديانته إلى أن توفي[(٢)].

وفي سابع عشر شوال ورد الآغا بقفطان الاستمرار للشريف، ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف محسن للقاء الأمراء على المعتاد ولبس الخلعة، وحجّ بالناس.

وفي يوم النحر ظهرت بمنى كتب بأيدي السادة الأشراف، وأنها وردت من اليمن من الشريف أحمد بن غالب، من جملتها كتاب لمولانا الشريف محسن، ومضمونه: الإنذار وطلب المواجهة، وأن القصد إليكم عن قريب، فاضطرب الحال بمنى، وحصل للعالم قلق عظيم.

ثم إن مولانا الشريف جمع أكابر الدولة وأمراء الحج والفقهاء بعد النزول من منى، [وتجادلوا][(٣)] في هذا الأمر، فاقتضى رأيهم تعريف صاحب مصر[(٤)] بذلك، وأمر صاحب جدة [بتحييز][(٥)] أموال التجار وضبطها بجدة، واشتد الأمر، وكثر القيل والقال، ثم ظهر أن

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١١٥).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء الزمن (١٥٩/٢).

(٣) في الأصل: وتجاوبوا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١١٥)، ومنائح الكرم (١٢٢/٥).

(٤) أحمد باشا.

(٥) في الأصل: بتجهيز. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١١٥).

ذلك كله مختلق من مكة من بعض الأشراف(١).

وأما الشريف أحمد بن غالب فإنه توجه إلى صنعاء، فأكرمه إمام صنعاء، وأراد أن يرسل معه جيشاً لتخليص مكة له، ثم مات الإمام وعاقه عوائق، فمكث في اليمن، ثم رجع إلى الركاني، فكانت غيبته في اليمن ثلاث سنين وعشرة أشهر.

وفي أواخر ذي الحجة وقع بيد مولانا الشريف عرض حال إلى صاحب مصر وعليه خطوط السادة الأشراف، مضمونه: عدم الرضا بالشريف المذكور، فعاتبهم على ذلك ولام.

ثم إن السيد عبدالله بن هاشم خرج مغاضباً مع السيد أحمد بن [سعيد](٢) ابن شنبر، وأخذوا الطريق على المارة، وارتفعت الأسعار بسبب ذلك، واشتد الأمر، ونهبت أموال من طريق جدة، ثم وقع الصلح بين مولانا الشريف والمذكورين في شهر صفر سنة اثنتين ومائة وألف، ودخل مكة السيد أحمد بن سعيد، واتفقوا على أن المنكسر للسادة الأشراف وقدره أربعة وعشرون ألف قرش يقطع منه الثلث [ويعطيهم الثلث](٣)، ويصبرون على الثلث الباقي إلى أن ترد المراكب، وكتبوا بذلك وثيقة، وماطلهم في تسليم الثلث إلى أن ورد مكة قاصدٌ معه قفطان بالاستقرار لمولانا الشريف، ودخل مكة في آلاي أعظم عاشر صفر، وقد نزل مولانا الشريف المسجد، وحضر القاضي، والمفتي،

---

(١) انظر: منائح الكرم (٥/١٢١-١٢٢).

(٢) في الأصل: سعد. وقد سبقت على الصواب في عدة مواضع كما أثبتناه.

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١١٦). وانظر: منائح الكرم (٥/١٢٧).

والفقهاء، والأشراف، وقرئ المرسوم بالحطيم، وألبس مولانا الشريف الخلعة، وقرأ بعده ثمانية أوامر، منها: أن تُعطى السادة الأشراف ما كان لهم من غير زيادة تضر بمولانا الشريف، والتحرز من المخالفة، وأمران من الوزير مخاطباً بهما أصحاب البلكات بالأمر بالطاعة لمولانا الشريف، وأمران من صاحب مصر، أحدهما: بالتعريف بمضمون الأوامر السابقة، والثاني: مخاطباً به أصحاب البلكات بالسمع والطاعة، ولم [تعتن](1) السلطنة بغيره مثل ما اعتنت به من هذه المخاطبات(2).

وفي أوائل جمادى الثاني تفرّقت كلمة الأشراف وخرجوا إلى الطرقات، وأكثروا النهب في طريق جدة وغيرها، وأخذوا ذخيرة للصنجق من جدة، واشتد الحال على الناس، حتى أن الصنجق صار لا يقدر على إيصال الذخيرة من جدة إلى مكة إلا بعسكر وبيرق(3).

وفي ثالث رجب اجتمع القاضي وسرادير العسكر بمولانا الشريف وأسمعوه غليظ القول، بحيث إنهم قالوا له: إن كنتَ عاجزاً عن إصلاح البلد فعيّن لهذا المنصب من يقوم به، فكان عذره أن قال لهم: إن الأشراف لا تقاتل بني عمها، وإذا أردتم الخروج بالعسكر المصري فأنا أخرج بهم، فأمرهم القاضي بالخروج ومقاتلة من قاتلهم، فقال كبار العسكر: نحن حفظة لمكة، ليس هذا الأمر مما بعثنا إليه.

(١) في الأصل: تعتني.
(٢) انظر: منائح الكرم (٥/١٢٤-١٢٥، ١٢٧-١٢٨).
(٣) انظر: منائح الكرم (٥/١٣١).

ولم يزل الأمر يتفاقم، ولا يطلع أحد من جدة إلا مع عسكر وأشراف تصحبهم من جدة إلى مكة، ثم يرجعون بهم ولا يرد من جدة إلا حَبّ العسكر، وارتفع السعر.

ثم لما كان أواخر ذي القعدة ورد الخبر بوصول الشريف سعيد بن سعد ابن زيد المدينة متوجهاً إلى مكة، فاختبط العالم، وكثر القيل والقال، ثم ورد الخبر أنه وصل وادي مَرّ، وأرسل رجلاً إلى مكة يطلب الدخول، فقال الشريف محسن: لا يدخل مكة إلا بأمر سلطاني إن كان متولياً، ثم وصل الشريف سعيد إلى فخ، ثم انتقل إلى ريع أذاخر(١)، واستمر هناك(٢).

ودخل شهر ذي الحجة، وحج مولانا الشريف محسن بالناس، ولم يحج الشريف سعيد، واستمر بريع أذاخر إلى أن سافر الحج الشامي والمصري، فخرجت الأشراف عن طاعة مولانا الشريف محسن، وعاد الأمر إلى انقطاع الطريق ونهب الأموال(٣).

وهلّ شهر المحرم افتتاح سنة ثلاث بعد الألف ومائة فتفرّقت العسكر من يد مولانا الشريف، ولم يَبْقَ معه من يعول عليه، ونُمي إليه أن الشريف

---

(١) أذاخر: جبل يشرف على الأبطح من الشمال، ويتصل بالحجون من الشرق، ولا زالت هناك ثنية تعرف بثنية أذاخر، منها دخل النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة، وريع أذاخر لا زال معروفاً بمكة حتى الآن (معالم مكة التاريخية ص: ٢٢-٢٣، والأزرقي ٢٨٩/٢).

(٢) انظر: منائح الكرم (١٣٣/٥-١٣٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٦١/٢).

(٣) انظر: منائح الكرم (١٣٥/٥-١٣٧)، وإتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.

[سعيداً][1] والسيد عبدالله بن هاشم كل منهما يطلب هذه المنزلة، فطلب من صاحب جدة أن يبعث له عسكراً يبيتون بالباب، فباتوا ليلة ثالث المحرم، ثم طلع صاحب جدة والقاضي لمولانا الشريف، وتذاكروا في هذا الأمر، فاقتضى الحال أن يركب الصنجق وستمائة من العسكر ليبعدوا الشريف سعيداً. فلما وصل سوق المعلا خرج في ساقته السيد مساعد بن سعد، والسيد عبدالمحسن ابن أحمد بن زيد، وجماعة آخرون، واعترضوه عند النسفي، فردّوه مكرهاً، وأخبروه أنه إن جاوز هذا الحدّ قتل، فرجع وبات بذي طوى، ثم سار إلى جدة.

ولما كان يوم السبت سادس محرم نزل مولانا الشريف سعيد إلى المعلا بالدفتردارية، ولاذَ به بعض عسكر الشريف الذين نفروا عنه، واجتمعت عليه العامة، فلما بلغ ذلك عسكر مصر طلعوا إلى القاضي، فاستدعى القاضي بعض الأشراف وبعض وجوه الناس، وبعثوا إلى الشريف سعيد يسألونه عن هذا الفعل، فقال: مرادي أنزل دار أبي، فمن يمنعني؟

وجاء الخبر إلى مولانا الشريف محسن، فنزل عن شرافة مكة لمولانا السيد مساعد بن سعد، وجاء السيد مساعد إلى القاضي لتسجيل هذا النزول، فجاءهم الخبر أن الشريف سعيداً وصل المسعى، فخرج مولانا الشريف محسن من دار السعادة إلى منزل السيد ثقبة بن قتادة. ولم يزل الشريف سعيد سائراً

---

(١) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١١٧).

إلى أن دخل مترل أبيه، والمنادي ينادي بين يديه بأن البلد له، وليس معه أحد غير العامة[١].

الولاية الثانية للشريف سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٠٣

فلما بلغ ذلك أخاه السيد مساعداً نزل عما نزل له به الشريف محسن من المكانة، بحضرة القاضي، والمفتي، وكبار العسكر، فسجل ذلك، وبعث له القاضي بقفطان نيابة عن مولانا السلطان، فلبسه في مترله، وجلس للتهنئة، ومدحته الشعراء، ونودي له في البلد بالزينة سبعة أيام، ولم يخالف أحد من الأشراف، فولي مكة مولانا الشريف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن، وجلس للتهنئة يوم الأحد سابع المحرم سنة ثلاث ومائة بعد الألف[٢].

فكانت مدة ولاية الشريف محسن بن الحسين بن زيد: سنة، وخمسة أشهر إلا ثمانية أيام. وهذه الولاية الثانية للشريف سعيد، وتقدمت الأولى عند موت عمه الشريف أحمد، وكلاهما بغير أمر سلطاني.

وكتبوا إلى الباشا صاحب جدة، فامتنع من النداء له، ثم روجع في ذلك فوافق، ونادى له بجدة سلخ محرم. ثم خرج جماعة من الأشراف مغاضبين للشريف سعيد[٣].

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١١٥-١١٧). وانظر: منائح الكرم (١٣٧/٥-١٤٠).
(٢) انظر: منائح الكرم (١٤٠/٥).
(٣) انظر: منائح الكرم (١٤١/٥).

وأما الشريف محسن فإنه توجه إلى المدينة، وأخبرهم أنه خرج من مكة قهراً، وأنه آثر عدم القتال، وأن الشريف سعيد تولاها من غير رضا الأشراف، فتوقف شيخ الحرم من النداء للشريف سعيد بالمدينة، وأجرى على الشريف محسن ما يقوم به، ثم جاءهم كتاب من مولانا الشريف سعيد ومعه خطوط القاضي والمفتي والعلماء بصورة الواقعة، فنادى له بالمدينة، ودعا له على المنبر يوم الجمعة رابع عشر صفر، وأمر القاضي الشريف محسناً بالخروج من المدينة خوف الفتنة، فخرج عنها، وأرسل الشريف سعيد أخاه السيد دخيل الله بن سعد ومعه ثلاثمائة من العسكر إلى القنفدة لإخراج الأشراف [الذين](١) فيها، وجاء الخبر سابع ربيع الثاني أنه التقى معهم وانتصر عليهم، وقتل من الأشراف خمسة، ومن العسكر [كثيراً](٢)، وأنه دخل القنفذة بعد هروب من فيها، واختبطت الأشراف بمكة لذلك، ثم إن الأشراف الذين أخرجوهم من القنفدة جاؤوا إلى طريق جدة وأخذوا قفلاً(٣)، فبعث مولانا الشريف سعيد عسكراً يترصدوهم في الطريق(٤).

وفي ليلة الاثنين [الثاني](٥) من جمادى الأولى ورد قفطان ومرسوم من صاحب مصر فأدخلوه في آلاي إلى أن وصل لباب السلام، ودخل الحطيم،

---

(١) في الأصل: الذي. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١١٨).
(٢) في الأصل: كثير. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.
(٣) أي قافلة (لسان العرب، مادة: قفل).
(٤) انظر: منائح الكرم (٥/١٤٢-١٤٤).
(٥) قوله: "الثاني" زيادة من خلاصة الكلام (ص:١١٨).

ونزل مولانا الشريف سعيد وبعض الأشراف ووجوه أهل مكة، فقرئ المرسوم، ومضمونه: أنه وصل إلينا واتصل بمسامعنا أن مولانا الشريف محسن ابن الحسين بن زيد نزل عن الشرافة للشريف سعيد، وما أحسن هذا، يد فرغت في أخرى، وأن الواصل إليكم قفطان من جانبنا، وأمر آخر مخاطب به العسكر المحافظون، مضمونه: أن يكونوا تحت أمر مولانا الشريف، والحذر من المخالفة إلى أن يأتي الأمر السلطاني من الأبواب، فلبس مولانا الشريف سعيد القفطان الوارد، وخلع على من يستوجب ذلك في مثل ذلك اليوم، وطلع داره، وجلس للتهنئة[١].

ولما كان يوم الاثنين رابع عشر جمادى الثانية ورد سلحدار[٢] مولانا الشريف سعد بن زيد ومعه صورة أمر مولانا السلطان[٣] بتفويض أمر الأقطار الحجازية لمولانا الشريف سعد بن زيد، وخلعة سلطانية للشريف سعيد؛ ليكون نائباً عن أبيه الشريف سعد، فنزل مولانا الشريف سعيد إلى الحطيم في جمع من الأشراف، وحضر القاضي، والمفتي، وأكابر العساكر، ووجوه الناس، وقرئ الأمر الوارد، ومضمونه: إنه لما بلغنا عجز الشريف محسن عن حفظ الديار المكيّة، أنعمنا على الشريف سعد بولاية مكة والمدينة، وضبط العربان

(١) انظر: منائح الكرم (٥/١٤٤-١٤٥).

(٢) السلحدار: هو المنوط بحمل سلاح السلطان، أو الأمير الذي هو في خدمته. وفي وظيفته أيضاً الإشراف على دار السلاح (سلاح خاناه). ولفظ السلحدار مركب من كلمتين، أولاهما عربي ومعناها: آلة القتال، والثانية فارسية ومعناها: ممسك، ويكون المعنى: ممسك السلاح (صبح الأعشى ص:١٨٢، والقاموس الإسلامي ٣/٤٢٣).

(٣) أحمد خان بن إبراهيم خان (انظر: منائح الكرم ٥/١٤٥-١٤٦).

والأشراف، وحفظ الحجاج، وقلّدناه جميع الأقطار الحجازية من غير مراجعة في ذلك، إلى غير ذلك من الوصاية على الفقراء وأصحاب الوظائف. وأمرٌ آخر من صاحب مصر مخاطباً فيه مولانا الشريف سعيداً، وقاضي الشرع، وبلكات العساكر، مضمونه: حكاية الواقع، وأن مولانا السلطان أنعم بشرافة مكة لمولانا الشريف سعد قبل وصول عرضنا إليه، وأنه أقام نائباً عنه بمكة مولانا الشريف سعيداً إلى وقت وصوله، فالله الله بالطاعة وعدم المخالفة. وكتاب ثالث من مولانا الشريف سعد إلى نجله[١] ذي الشرف المنيف، مضمونه: التعريف بالواقع، وأنه قائم مقامه في الوصاية، إلى غير ذلك[٢].

ولم تزل الأخبار تتوارد بمجيء مولانا الشريف سعد إلى أن وصل الحج، فجاء معه فدخل مكة ليلاً، وطاف وسعى، ورجع إلى الزاهر، ودخل وقت الضحى في آلاي أكبر من الشبيكة، ولم يزل إلى أن دخل المسجد، وحضر القاضي، والمفتي، والعلماء، والأشراف بالحطيم، ودخل قابجي بالأمر السلطاني، فقرئ بالحطيم، ولبس الخلعة السلطانية، وصعد إلى داره للتهنئة، ومدحته الشعراء[٣].

الولاية الثانية للشريف سعد سنة ١١٠٣

وهذه الولاية الثانية لمولانا الشريف سعد. وبين انفصاله من الولاية الأولى وهذه الولاية: إحدى وعشرون سنة، وهي مدة غيبته.

---

(١) المقصود به: الشريف سعيد.

(٢) انظر: منائح الكرم (٥/١٤٥-١٤٧).

(٣) خلاصة الكلام (ص:١١٧-١١٩). وانظر: منائح الكرم (٥/١٥١-١٥٢).

وفي سنة خمس ومائة وألف، خرج جماعة من ذوي عبدالله بن حسن بن أبي نمي مغاضبين لمولانا الشريف سعد إلى جهة اليمن، واعترضوا القوافل الواردة من تلك الجهة[١].

وتفاقم الأمر، وشرع أهل الفساد في التلصص والسرقات بمكة، إلى أن أمر مولانا الشريف بعض الأشراف أن يعسّ مع العسكر، ثم أدّى الأمر إلى أن يخرج بنفسه في الليل مختفياً ليصادف أحداً من المفسدين[٢].

وفي تاسع عشر شعبان جاءت كتب من الشريف أحمد بن غالب لبعض الأشراف يطلبون له الإذن بدخول مكة، فامتنع أكابر العسكر[٣].

ثم جاءت الأخبار بأن الشريف أحمد بن غالب هجم على القنفذة، فدخلها قهراً، ثم جاء الخبر أنه سار متوجهاً إلى مكة، فوصل الليث، ونادى باسمه، وأخذ الزالة من أصحاب الجلاب[٤].

ولم يزل ينتقل في المنازل إلى أن طرقه وصول إسماعيل باشا من جهة الروم، ومعه محمد باشا صاحب جدة، فاضطرب حاله، ثم كاتب مولانا الشريف سعداً، وذكر له: أنه ليس لي بمكة حاجة، وإنما أنا عابر سبيل، فأذن له بدخول

---

(١) انظر: منائح الكرم (٥/١٦٥).
(٢) انظر: منائح الكرم (٥/١٦٦-١٦٧).
(٣) انظر: منائح الكرم (٥/١٧٣).
(٤) انظر: منائح الكرم (٥/١٧٥، ١٧٧-١٧٨).

مكة، فجاء وحج، ثم نزل ببلاده الركاني[١].

ومازال الشريف سعد نافذ الكلمة، حسن الذكر عند الدولة العلية، إلى أن حصل الكدر بينه وبين صاحب جدة محمد باشا، المتولي عليها من قِبَل السلطنة بأسباب أوجبت المشاحنة والمباغضة، وصدرت منه سعايات في الشريف المذكور عند الدولة العلية، ثم عزل عنها وتوجه إلى الأبواب العثمانية، واجتهد فيما هو بصدده، حتى غيّر خاطر الدولة عليه، وصمّمت على عزله، فبعث محمد باشا المذكور وجردة من العسكر ليسير بهم إلى مكة صحبة الحاج الشامي، وعلى الحاج إسماعيل باشا أميراً بعساكره وخيله، وأوصتهما بأن تكون كلمتهما واحدة، ويتعاضدا على عزل الشريف سعد وتولية السيد عبدالله بن هاشم إمارة أقطار الحجاز، فوصلا جميعاً إلى مكة المشرفة، فخرج مولانا الشريف سعد للبس الخلعة على المعتاد، وكان مع إسماعيل باشا عسكر كثير، وضم إليهم العسكر المصري، فلما قرب من موضع الخلعة المعتاد [تقدم][٢] جماعة من عسكر إسماعيل باشا يريدون أن يحيطوا بالشريف، فاتسع إلى جهة يساره، فظنت الأشراف حدوث واقعة، فانهزموا راجعين، وثبت مولانا الشريف، وتواقع أطراف العسكر مع عسكر مولانا الشريف، فلما شعر إسماعيل باشا بهذا بعث [بالقفطان][٣]، فلبسه

(١) انظر: منائح الكرم (٥/١٧٩).
(٢) في الأصل: وتقدم. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٢٠).
(٣) في الأصل: القفطان. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

مولانا الشريف، ورجع. ووقع بمكة اضطراب وتشويش لأهل البلد، وعزّل السوق، ثم بعث [إليهم][(١)] مولانا الشريف بما محصله[(٢)]: إن كان معكم أمر بعزلي، فأنا طائع للسلطان، فانزلوا فاقرؤوه بالحرم الشريف، وإن لم يكن الأمر كذلك فأخبروني عن سبب هذه العساكر، وابعثوا لي بالأمر السلطاني الذي يقرأ يوم النحر لأنظر فيه، فلم يعيدوا له جواباً شافياً، فبات ليلة سبع[(٣)] سنة ألف ومائة وخمسة[(٤)].

ولما كان يوم السبت سابع ذي الحجة طلع أمير الحج، ويوسف آغا شيخ الحرم المدني، وسرادير العسكر، وقاضي الشرع، والمفتي إلى بستان حميدان، وكان إسماعيل باشا نازلاً به، فلما أن وصلوا بعثوا إلى مولانا السيد عبدالله بن هاشم بن محمد بن عبدالمطلب بن حسن بن أبي نمي، وأظهر محمد باشا أمراً سلطانياً فيه: عزل مولانا الشريف سعد، وتولية السيد عبدالله بن هاشم شرافة مكة، فألبسه إسماعيل باشا قفطاناً في المجلس، وأمره بالنزول إلى البلد، فركب ومعه محمد باشا والأمر السلطاني بين أيديهم، والمنادي ينادي بالبلد للشريف عبدالله بن هاشم.

فلما وصلوا المحناطة[(٥)] جاءهم الخبر: أن بعض جماعة الشريف سعد سطوا

---

(١) قوله: "إليهم" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٢٠).

(٢) محصله: أي خلاصة الأمر (لسان العرب، مادة: حصل).

(٣) المقصود ليلة سبع من ذي الحجة.

(٤) انظر: منائح الكرم (٥/١٧٨-١٨٢).

(٥) الحناط: بائع الحنطة، والحناطة حرفته. والمقصود: مكان بيع الحنطة، أي البُر. (لسان العرب، مادة: حنط).

في المنادي، وحصل عليهم الرمي، وتحصّن مولانا الشريف سعد في داره وحصر عن الوصول، واستمروا إلى صلاة الظهر، ونزل مولانا الشريف عبدالله بن هاشم بدار الشفاء وبقيت العساكر، وانضمت إليهم العرب والانكشارية، وملكت جماعةُ مولانا الشريف جبل أبي قبيس[(١)]، فانحازوا إلى المسعى، ونهب جماعة الشريف سعد بعض دور الأتراك، وقُتل جماعة في المسعى، ونُهب رباط الهندية بسوق الليل، وبعض دور مكة.

ولما طال الأمر على محمد باشا نزل بنفسه وأخذ مدفعاً وجاء به إلى باب السدة المسمى بباب العتيق[(٢)]، وأراد رميه على بيت الشريف سعد، فأصيب طبجيه[(٣)] برصاصة مات بها، فنقل المدفع عن ذلك المحل، ورجع به المسعى، وقتل من جماعته خلق كثير بالمسعى، واستمر الحال إلى الليل. فلما رأى مولانا الشريف سعد أن الأمر يطول، رحل ليلاً هو وابنه الشريف سعيد إلى جهة الحسينية، ثم إلى اليمن، وأصبحت الناس وقد رحل مولانا الشريف سعد، فجمع محمد باشا القاضي المتولي

---

(١) أبو قبيس: الجبل المشرف على الكعبة المشرفة .
سبق التعريف به (ص: ١٦).

(٢) نسبة إلى عبدالرحمن بن عبدالله بن عتيق الحضرمي، وزير الشريف حسن بن أبي نمي، وكان يسكن بجوار باب العتيق، وكان يسمى باب ابن العتيق نسبة له، ثم حرّفه العامة إلى باب العتيق (عن حياته وأعماله، انظر: منائح الكرم حوادث سنة ١٠١٠هـ، والأزرقي ٩٣/٢، وأعلام العلماء ص:١٣٩).

(٣) الطبجي: المدفعي الذي يقوم بإطلاق قذائف المدفع (التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية ص:٤٣-٤٥).

والمعزول والمفتي وبعض العلماء بالحطيم[١].

ولاية الشريف عبدالله بن هاشم[٢]

وأظهر الأمر السلطاني ملخصه: أن مولانا السلطان عزل الشريف سعداً عن شرافة مكة؛ لأمور بلغته، وأنه أنعم بها على مولانا الشريف عبدالله بن هاشم بن محمد بن عبدالمطلب بن حسن بن أبي نمي، وألبسه القفطان، وركب من باب السلام، وطاف شوارع مكة والمنادي ينادي بالبلد له، ونهبت العسكر مترل مولانا الشريف سعد، ونحو عشرة بيوت من بيوت ذوي زيد.

ثم إن مولانا الشريف عبدالله بن هاشم لما بلغه ذلك ركب بنفسه وجاء لمحمد باشا، وقال له: إن هذا النهب لا نرضاه، واستردّ بعض أشياء لا تذكر، [وسلّم ذلك][٣] لبعض خدم مولانا الشريف سعد، وعدّ من قُتِلَ ذلك اليوم فكان زهاء مائة رجل، ولم يحج أحد من أهل مكة إلا القليل، وأخذ بعض الحجاج في طريق منى، ونهبت عتيبةُ[٤] بعرفة من الحاج قبل وصول الأمراء، وقتلوا بعرفة نحو أربعة من أهل اليمن، ثم بعد الحج خرج جماعة إلى جدة فأخذوا، فاحتاج الأمراء إلى أن تجمع أهل جدة ويترلوا دفعة واحدة، ولم يزل

(١) خلاصة الكلام (ص:١١٩-١٢١). وانظر: منائح الكرم (١٨٢/٥-١٨٤).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:١٢١-١٢٤)، وتاريخ الدول الإسلامية (ص:١٥٧)، والأعلام (١٤٣/٤)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٢٨)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٦٣-٢٦٤).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٢١).

(٤) عتيبة: احدى القبائل الكبيرة شرق الحجاز ونجد، كانت ديارها حرة الحجاز شمال مكة على مدركة ورهاط ممتدة شرقاً وجنوباً إلى الطائف، وتمتد اليوم ديار عتيبة من رهاط غرباً إلى قرية الغطغط شرقاً. (معجم قبائل الحجاز (ص: ٣١٥-٣٦١).

الأمر في شدة، وصار [الناس][١] يترلون إلى جدة ببيرق عسكر من عسكر الباشا ومعهم شريف[٢]، وأخذت قافلة، فانتدب الشريف أحمد بن غالب وهو ببلده الركاني، فأرجع البعض إلى أهله.

ومازال الشريف أحمد بن غالب بالركاني معتزلاً عن شريف مكة، ومولانا الشريف عبدالله بن هاشم كان يحب أن يواليه ليكون معيناً له وليأمن من شرّه، فلم يزل يتلطف به إلى أن [وافقه][٣] على المعاملة، فلزم مولانا الشريف، وطلب من الباشا أن يكتب له حجة بأن دخوله برضا مولانا الشريف وضمانته، أن لا يقع منه ما يضرُّ بالرّعية، فكتب له، وضمن مولانا الشريف أنه ما يقع منه خلاف، فدخل مكة مولانا الشريف أحمد بن غالب سابع صفر، واجتمع بمولانا الشريف عبدالله بن هاشم، ثم اجتمعا مع الباشا، وأرسل الباشا له هدية.

وفي أواسط ربيع الأول جاء خبر بقوة الشريف سعد في بندر القنفذة وأنه أخذ عشورها، وانعقد مجلس بمكة عند مولانا الشريف حضره الباشا، والقاضي، والمفتي، واتفقوا على إرسال عسكر للقنفذة، وطلبوا دراهم من التجار، فامتنعوا، ثم حبسوا، فأخذوا من بعضهم، ثم أطلقوا، ثم وردت كتب من الشريف سعد لمولانا الشريف والباشا والشريف أحمد بن غالب، مضمونها: أن ما وقع من السلطنة إنما كان لما وصلهم من الأعداء أني قتلت شيخ الحرم

---

(١) في الأصل: الترول. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:١٢١).

(٢) في الأصل زيادة: باشا. وانظر: خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنائح الكرم (١٨٨/٥).

(٣) في الأصل: وافق. والتصويب من خلاصة الكلام ومنائح الكرم، الموضعان السابقان.

المدني وبعض الأروام بمكة، ونهبت الحُجرة، وكل ذلك لم يكن. وأنا داخل البلد أطلب شرع الله[1]، وحجة من القاضي أتوجه بها إلى الأبواب السلطانية، فإياكم والمنع، فإني مقاتل على الدخول من قاتلني، فاستدعى الشريف أحمد آغاوات العسكر وأخبرهم أن الشريف سعداً متعدٍّ، وعرّفوا الباشا بذلك في جدة، فطلع الباشا من جدة ومعه العساكر، وجاء الخبر بأن الشريف سعداً وصل الليث مقبلاً، ففرّق العساكر على جبال مكة، وعمر المدارس، وفرّق المدافع في الطرق.

وفي غرّة ربيع الثاني نادى منادي مولانا الشريف عبدالله بن هاشم في البلد بالنفير العام، فاغتمّ الناس لذلك.

وفي ثالث ربيع الثاني وصل السيد أحمد بن حازم بن عبدالله والسيد عنان ابن جازان من عند الشريف سعد، وأخبرا بأن الشريف سعداً في أقوام عظيمة لا تكاد توصف، فاجتمع مولانا الشريف عبدالله بن هاشم ومولانا الشريف أحمد بن غالب عند الباشا من الضحى إلى الظهر، واستدعوا كبار العسكر المصري من السبع بلكات، ثم خرجا من عند الباشا، ثم إن الباشا كتب صورة فتوى كتب عليها المفتي عبدالله عتاقي، وأمر العلماء بالكتابة عليها، ومضمون ذلك: جواز قتال الداخل على صاحب مكة، وأن القائم بأمرها مخاطب بذلك، وجميع من بها من أرباب الدولة وذوي القدرة على الدفاع، فكتبوا عليه.

---

(١) أي القضاء.

وفي ليلة رابع ربيع الثاني تفرقت عساكر مصر، عند كل رئيس منهم جماعة، وباتوا ساهرين إلى الصبح، مخافة أن يدهموا ليلاً، ولم يزالوا كذلك إلى ليلة السابع من ربيع الثاني.

وفي صبح ذلك اليوم جاء الخبر بوصول مولانا الشريف سعد من أعلا مكة، فكان أول من قام في هذا الأمر والقتال الشريف أحمد بن غالب، فركب في خيله وسلاحه وجماعته ومن يلوذ به، وأظهر الهمة، وكذا من معه من الأشراف، وطلع بهم المعلا هو ومولانا الشريف عبدالله ابن هاشم.

ثم إن مولانا الشريف سعداً لما وصل إلى المعابدة[1] عند بستان الوزير عثمان حميدان، رجع مولانا الشريف ومن معه إلى مكة، وانطلقت العربان على جبال مكة والمتارس فذبحوا مَنْ بها، وفرّ مَنْ فرّ، واستولوا على المعلا، ثم انطلقوا إلى ما حول البلد من المتارس، وشرع القتل في المعلا في جماعة الشريف أحمد بن غالب والشريف عبدالله بن هاشم إلى أن قتل أغلبهم، وأسعف الله بمطرٍ أبرد ما كان هناك بالمتارس من النار، وفرّق بين الفريقين، ونزل الشريف عبدالله والشريف أحمد بن غالب من المدعا إلى باب السلام، ودخل الليل. فلما أصبحوا رجع الأمر إلى ما كان من الحرب والقتل، والسيف يعمل،

---

(١) المعابدة: سبق التعريف به (ص: ٢٠٦).

والعسكر تقتل، وكان ذلك يوم الجمعة، فما جاء وقت الصلاة إلا وقد ملكت العرب جبل أبي قبيس، وعطف جماعة منهم على جياد[١].

وفي إتحاف فضلاء الزمن[٢]: فلما أصبح يوم الجمعة استولت عرب الشريف سعد على جميع ما في الجبال، مثل القرود ويأجوج ومأجوج، ونزلوا على شعب عامر[٣] وهبوه، ونزلوا على أجياد فنهبوه، وهبوا بيوت الأشراف، فوصل الخبر إلى عبدالله بن هاشم وأحمد بن غالب بأن بيوتكم هبت، ففزع السيد أحمد بن سعيد بن شنبر ومعه جمع من الأشراف، فحموا بيوهم.

وأما العسكر الذين كانوا في الدفتردارية وفي الجنينة [فتبعوا][٤] معهم البدو، فاقتحموا عليهم جدار المصلى، ودخلوا عليهم وعلى أهل الدفتردارية، وقتلوا غالبهم، وقتلوا من الحافظية ناساً كثيراً، ولا سَلِمَ إلا مَنْ هرب، فلما رأوا أهل السردارية ما وقع بأصحابهم سلّموا وطلبوا الأمان، فأرسل لهم الشريف سعيد منديل الأمان؛ لأنه كان عند قبة أبي طالب واقفاً، والشريف سعد في بستان عثمان حميدان، وجاء مرسول الشريف سعيد فأرسل إلى والده،

---

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٢١-١٢٤). وانظر: منائح الكرم (١٨٤/٥-١٩٦).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (١٩٣/٢-١٩٤).

(٣) شعب عامر: شعب بمكة عليه حي من أشهر أحيائها يجاور شعب علي من الشمال، يصب من الخندمة في الغزة (معجم معالم الحجاز ٦١/٥).

(٤) في الأصل: فتعبوا. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (١٩٣/٢).

فأمّنهم، فدخلت خيل الشريف سعد إلى الخريق[١] فانتشرت فيه وفي شعب عامر، فلما رأى الشريف عبدالله وأحمد بن غالب أن سعداً استولى على مكة، طلعا من القرارة[٢] على سويقة[٣] إلى بيت الباشا، وحاولاه أن يركب معهم إلى جدة ويتحصنوا فيها، ويرسلوا يعرّفوا السلطان بما صار، فقال: لا أخرج عن بيتي ولو قتلت، فعزم الشريف عبدالله وأحمد بن غالب إلى الشبيكة، وجلسا على دكة الشيخ البيتي وصلّيا العصر على الدكة، ثم رجعا إلى الباشا وحاولاه على الخروج معهما فامتنع. اهـ.

فلما ظهر للسادة الأشراف ما ظهر من تلك الأمور والأهوال العظيمة خرج الشريف عبدالله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب ومن معهم من الأشراف متوجهين من أسفل مكة إلى الركاني بين مكة وجدة، بلد مولانا الشريف
أحمد بن غالب، ونزلا به، ثم ارتحلا إلى الديار الرومية إلى أن توفيا بها، فتوفي الشريف أحمد بن غالب سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، وتوفي الشريف عبدالله ابن هاشم في السنة المذكورة أيضاً.

---

(١) الخريق: واد من أودية الحجاز الغورية ذو شعبتين: مسر الشامي ومسر الجنوبي، وتجتمع الشعبتان في مقرن يسمى مقارن مسر، وبعدها يسمى الوادي الخريق إلى أن يدفع في الخبت بطرف وادي قديد من الجنوب (معجم معالم الحجاز ٣/١٢٠).

(٢) القرارة: حي من أحياء مكة في قرارة شمال الحرم في جبل قعيقعان تفصل جبل شيبة شرقاً يصعد إليها من الفَلَق، كانت تعرف بقرارة جبل شيبة (معجم معالم الحجاز ٧/١٠٥).

(٣) السويقة: سبق التعريف بها (ص: ٤٢١) ، هامش (١).

ومدة دولة مولانا الشريف عبدالله بن هاشم: أربعة أشهر من غير زيادة ولا نقصان.

وبعد ارتحال الشريف عبدالله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب إلى الركاني، اجتمع ناس من العلماء عند القاضي، وقالوا له: إن كان لهذا الباشا قدرة على دفاع هذا الرجل فليخرج لدفاعه، فإن جلوسه في بيته -وقد استحرّ القتل بعسكره- مضرّ به وبالناس، وإن لم يكن لكم قدرة على دفاعه، فالواجب عليكم درء هذه الفتنة بالنداء للشريف سعد، فاقتضى رأي الجماعة حضور شريف من كبار الأشراف، فطلب القاضي حضور السيد أحمد بن سعيد، فامتنع، فبينما هم في المجلس جاء رسول من الباشا يقول: إن الباشا يقول: لا غرض لي في أحد، فإذا جاءكم ناس يريدون عدم القتال وذكروا من يولّون من الأشراف، فأنا تَبَعٌ لهم، فقالوا له: أين الأشراف الذين يريدون أن يولّى واحد منهم، فإنك لا تجد الآن أحداً يقدم على هذه المكانة، فالرأي أن تسجلوا للشريف سعد وتنادوا له، وتخمدوا هذه الفتنة، فرجعوا إلى الباشا فأخبروه، فطلب الجماعة الذين عند القاضي، فما وصل إليه منهم إلا أربعة، فلما أدخلوا عليه [حصل لهم خوف كثير، فجعل يعذلنا][1] ويقول: نحن قاتلنا على حفظكم بعد أن كتبتم لنا على الفتوى بجواز قتاله، فكيف هذا الاختيار

---

(١) في الأصل: فلما أدخلوا عليه جعل يعذبهم ويقول. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ١٢٤).

منكم له اليوم، فقالوا له: أتينا ذنباً وهلكت الناس، فكأنه عرف الحق، [فأمرنا][1] بالخروج، وخاف على أبناء جنسه، فأمر بالتسجيل والنداء، فسجل ذلك[2].

قال الطبري في الإتحاف[3]: وسجلوا للشريف سعد، وكتبوا له صورة الحكم صحبة القاضي مرشد، فطلع راكباً والناس حوله للشريف سعيد بن سعد وهو عند قبة أبي طالب، وأشرفوه على الحكم، وطلع بعد ذلك لوالده الشريف سعد في بستان عثمان حميدان، فأمر الشريف بكفّ الرمي والنهب، ونزل المنادي ينادي: أن البلاد بلاد الله، وبلاد السلطان، وبلاد الشريف سعد ابن زيد، ونزل مع المنادي السيد عدنان بن حسن ومعه جملة من العرب، ثم نزل السيد سعيد بن سعد من عند قبة أبي طالب، ونزل إلى السوق، فواجه الشيخ سعيد المنوفي عند سوق الغنم، ومعه رجل من جماعة الباشا المعتبرين يطلبوا منه الأمان ومن الشريف سعد بن زيد، فأمّنهم، وأرسلهم إلى الشريف سعد ببستان حميدان، فأعطاهم الأمان، واستمر الشريف سعيد في بيته إلى العشاء، ثم رتب أموره ووزع بعض العرب في دار السعادة، وبعضهم في بيته، وطلع وبات عند والده بالبستان، فأصبحت عسكر مصر طالعين إلى البستان يتلقوا الشريف سعد بالآلاي، فامتنع العرب وقالوا: هؤلاء كانوا بالأمس

---

(١) في الأصل: فأمر. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٢٥).

(٢) خلاصة الكلام (ص:١٢٤-١٢٥). وانظر: منائح الكرم (١٩٦/٥-٢٠٠).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (١٩٥/٢-١٩٦).

حربية لنا، وتريدوا أن نترل صحبتهم، فقالوا: هذا أمر غير ممكن، لا يصحبك سوانا، فتغلبوا على الشريف، وأمر ولده سعيد والسيد أحمد بن سعيد أن يترلا في آلاي العسكر، فترلوا ومعهم النوبة التركية والعربية، وفي أثرهم الشريف سعد بالعرب. انتهى.

قال في الخلاصة[١]: نزل الشريف سعد في آلاي ضحى يوم السبت تاسع ربيع الثاني، وقدم العسكر المصرية، وجاء العرب من خلفه وهم كالسيل حتى ملؤوا ذلك الوادي، إلى أن وصلوا سوق المعلا، فعطف بالعسكر على سوق الليل، ولم يزل سائراً إلى أن وصل باب علي، فبعث للعسكر أن يعطفوا من السوق الكبير إلى بيوهم، فلما انتهى آخرهم تقدم هو بمن معهم من العرب حتى دخل مترله، وامتلأ بهم ذلك الوادي، ثم أمر بهم إلى أجياد فدخلوها، وجعلوا يدخلون شيئاً فشيئاً إلى ثاني يوم، وجلس للتهنئة يوم السبت، وطلع له الناس، ومدحته الشعراء، واستقرت البلد ولله الحمد، وبعث إليه الباشا بفرو سمور ألبسه إياه، إلا أن بعض العرب خرج بما نهب من الأموال يبيعها في السوق على رؤوس الأشهاد، وما أمكن ردّ شيء مما نهبوه، واستمر مولانا الشريف، وكتب للأبواب السلطانية يعتذر لهم مما وقع، فقبلوا عذره، [وجاءه][٢] التأييد والتشريفات.

الولاية الثالثة للشريف سعد

وهذه الولاية الثالثة لمولانا الشريف سعد.

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٢٥). وانظر: منائح الكرم (٥/٢٠٠-٢٠١).

(٢) في الأصل: وجاء. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

ثم إن مولانا الشريف أمر وزيره الخواجه عثمان حميدان أن يصنع ضيافة للعرب في بستانه في المعابدة، فجعل لهم هناك سماطاً، حضره مولانا الشريف وابنه، واستمروا هناك إلى العصر، ثم أقام العرب بعد هذا مدة يسيرة، وأذن لهم في الرجوع، فرجعوا شاكرين، وأبقى أناساً منهم بمكة، ثم جاء الخبر من المدينة بامتناعهم من النداء لمولانا الشريف، ثم عند ورود الخلعة له نادوا له، ثم جاءت الأخبار بأن الشريف أحمد بن غالب والشريف عبدالله بن هاشم توجها إلى ينبع، وأخذا منه آلفي أردب حب لأهل مكة، ومائتين لقاضي مكة، وربع صاحب مكة، وجاء الخبر أيضاً بأنهم كتبوا عرضاً لصاحب مصر وبعثوه. ثم إن الشريف جهز جماعة من العسكر المقيمين بمكة وبعثهم إلى جدة ليعزموا إلى ينبع على البحر، وما رأى الباشا في إرسالهم فائدة، فرجعوا.

وفي شهر رمضان ورد من الأبواب السلطانية خلعة لمولانا الشريف ومرسوم، فقرئ المرسوم بالحطيم، ولبس الخلعة، وأمر بالزينة ثلاثة أيام.

وفي سنة سبع ومائة وألف أرسل مولانا الشريف ابن أخيه الشريف محسن ابن حسين متولياً على المدينة، واستمر هناك إلى أن توفي[١].

وفي كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٢٥-١٢٦). وانظر: منائح الكرم (٥/٢٠٣-٢٠٤، ٢١٧).

رحمه الله[١]: وفي سنة سبع ومائة وألف تجهز الشريف سعد بن زيد غازياً أهل نجد، ونزل بلد أشيقر، وحاصر أهلها، وفعل الأفاعيل، وطلب أن يخرج إليه الشيخ حسن بن عبدالله أبا حسين، والشيخ محمد بن أحمد القصير، فخرجا إليه، وحبسهما، وذلك في [أيام][٢] من شهور رمضان، فأفتى الشيخ أحمد القصير بالفطر؛ ليحصد الناس زرعهم خوفاً من عدوهم. قاله ابن يوسف في تاريخه. انتهى.

ولم يزل مولانا الشريف سعد متّفقاً مع السادة الأشراف متألّفاً لهم إلى سنة اثنتي عشر ومائة وألف، فحصل بينه وبين الأشراف ذوي عبدالله منافرة؛ لعدم الوفاء بمعاليمهم، فثار عليه ذوو عبدالله عن آخرهم، وكان من جملتهم السيد أحمد بن حازم بن عبدالله، وعزموا على الخروج، ثم خرجوا من مكة وهم نحو أربعين شريفاً، فتلافى أمرهم ووعدهم، ونزل إلى جدة، ونزل منهم معه جماعة، وأخذ لهم من التجار دراهم وأعطاهم[٣].

ثم [ثاروا][٤] عليه مرة أخرى سنة ألف ومائة وأربع عشرة، فطالبوه في معاليمهم، وادّعوا عليه بعدم الوفاء بها، ولم يتم لهم معه حال، فخرجوا مغاضبين له جالين على الشريف، وتوجهوا إلى جهة الطائف، وتعرض بعضهم

---

(١) عنوان المجد (٢/٤١٢).

(٢) بياض في الأصل قدر كلمة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) انظر: منائح الكرم (٥/٢٦٥).

(٤) في الأصل: ساروا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٢٦).

[لقافلة][1] عند خروجهم، وبعض الحمّارة[2]، فأخذوا الجميع، فأرسل الشريف لمشايخ ذوي عبدالله وعرّفهم ما وقع من رفقائهم، ثم استدعى السيد عبدالكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات بن أبي نمي، وكان في ذلك الوقت شيخ ذوي بركات، ودرَّكه[3] بدرب جدة، وجعله في وجهه، فقبل ذلك، فأرسل السيد عبدالكريم لذوي بركات [الذين][4] في الوادي، وأكّد عليهم حفظ الدرب، وقال لهم: متى آنستم أحداً من السادة الأشراف الجلوية حولكم قريباً منكم، فأسرعوا في تعريفنا بذلك، ودبرهم على شيء يعرفه[5].

وفي أواخر جمادى الثانية اصطلحت الأشراف الجلوية مع مولانا الشريف، وكان الساعي بينهم بالصلح: السيد أحمد بن سعيد بن شنبر، والسيد حسين بن زين العابدين بن عبدالله، وتوجهوا لملاقاته، واتفقوا معه على أن يعطيهم معلوم شهر، ويكونوا أسوة رفقائهم، وأن ما مضى لا يعاد، واستمر معهم على الاتفاق والمحبة[6].

---

(١) في الأصل: بقافلة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٢٦).

(٢) الحمّارة: الحمّار: صاحب الحمار والعامل عليه (المعجم الوسيط ١/١٩٧). ولعل المقصود: البائع الذي يضع بضاعته على حمار ويتجول بين القرى للبيع.

(٣) درّكه: أي جعله مسئولاً عن جند الأمن بدرب جدة، لأن الدرك تأتي بمعنى المكان الذي تحدد عليه الحراسة المستمرة. ورجال الدرك هم رجال الشرطة لإدراكهم الفارّ والمجرم (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص:١٣٥، والمعجم الوسيط ١/٢٨١).

(٤) في الأصل: الذي. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٢٦).

(٥) أي وعدهم بعطاء معين. انظر هذا الخبر في: منائح الكرم (٥/٢٧٤-٢٧٥).

(٦) انظر هذا الخبر في: منائح الكرم (٥/٢٨٠-٢٨١).

وفي سنة ألف ومائة وثلاث عشرة استحسن الشريف سعد أن يعرض للدولة العلية إقامة ولده الشريف سعيد مقامه في شرافة مكة ويتزل عنها له، فكتب عرضاً وأرسله إلى الأبواب العالية، فأجيب إلى ذلك، وجاءه الجواب في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، وجاءت المراسيم بولاية الشريف سعيد مع أغاة مخصوص، وأدخلوه مكة بآلاي أعظم، وجلس في الحطيم مولانا الشريف وصاحب جدة والقاضي والمفتي وأعيان الناس، فورد الأغاة إلى الحطيم بالأمر السلطاني والتشريف للبس مولانا الشريف سعيد، وألبس أرباب المناصب على جري العادة، وجلس للتهنئة، ومدحه الشعراء بقصائد[١].

الولاية الثالثة للشريف سعيد بن سعد سنة ١١١٣هـ

ولما كان يوم السبت طلع الأغاة الوارد بالقفطان بخلعة سمور، وكتاب آخر خاص لمولانا الشريف سعيد، وألبسه الفرو الوارد عليه من الأبواب زيادة في الإكرام والعناية، وخوطب في كتابه بغاية اللطافة. وهذه الولاية الثالثة للشريف سعيد، لكن ما قبلها كان بغير أمر سلطاني.

ولم يزل مولانا الشريف سعيد [ووالده][٢] متفقين مع الأشراف إلى سنة خمس عشر ومائة وألف، فتنافر الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٢٦-١٢٨). وانظر: منائح الكرم (٥/٢٧٠).

(٢) في الأصل: وولداه. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٢٨).

ابن موسى بن بركات مع مولانا الشريف سعيد لأمر اقتضاه[١]، فخرج مغاضباً، وخرج لخروجه جماعة من بني عمه آل بركات[٢].

ثم اتسع الخرق، فخرج جماعة من كبار الأشراف، ومشايخ من آل حسن[٣]، وآل قتادة[٤]، وأعظم الأسباب للجميع: المطالبة في المعاليم، وأَخَذَ كلٌّ لنفسه أجَلَة[٥]، وتوافق الخارجون وتعاهدوا على اتحاد الكلمة، فقام مولانا الشريف سعد ساعياً في الصلح بينهم وبين ولده، وقام معه في الصلح جماعة من الأشراف، واجتهدوا غاية الاجتهاد، فما أمكن، وتقطعت بسبب ذلك السبل، ونهبت الأموال من طريق جدة وسائر الجهات، فكم من مال أخذوه، وقتيل نبذوه.

---

(١) التنافر الذي حصل كان بسبب الخلاف على المعلوم.

(٢) آل بركات: قسم كبير من أشراف الحجاز، بعضهم يقيم بمكة، وغالبهم سكان مر الظهران، وهم بنو بركات بن محمد بن أبي نمي بن بركات من بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وأبو نمي هذا تولى إمارة مكة من سنة ٩٢٣-٩٣٢هـ، وتفرع من ذوي بركات هؤلاء الأشراف ذوو حسين، وذوو إبراهيم، وذوو عمر، وذوو عبدالكريم (معجم قبائل الحجاز ص:٤٠، والرحلة اليمانية ص:١٣٥-١٣٦).

(٣) آل حسن: هم بنو حسن بن محمد أبي نمي بن بركات، من أشراف الحجاز، وتفرع من حسن هذا: الأشراف العبادلة، والأشراف ذوو زيد، والشنابرة، وسرور، والحُرَّث، والمناعمة، وجيزان، وجود الله، وهم منتشرون بين مكة والطائف ومر الظهران ونخلة. عرفوا بالأشراف من عهد أبي نمي (معجم قبائل الحجاز ص:١١٢-١١٣، والرحلة اليمانية ص:١٣٦).

(٤) آل قتادة: قبيلة من الأشراف حكموا مكة ردحاً من الزمن، وتفرق كثيرون منهم في الأمصار، وهم بنو قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم... وينتهي نسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وانتسب إليهم ملوك المغرب اليوم (معجم قبائل الحجاز ص:٤١٢-٤١٣، وتاريخ مكة للسباعي ص:٢٢٤-٢٢٥).

(٥) أي مهلة.

ثم إن الشريف سعداً ذهب إليهم بنفسه بوادي مَرّ، وضمن لهم وفاء جميع ما اجتمع لهم من المعلوم، وقال لهم: إن ألزمت ولدي بتسليمه الآن يعتذر بالعجز، وحسّن لهم أخذ البعض، وعيّنه لهم، وما بقي فأنا كفيل لخلاصه، فرضوا بذلك، وشرطوا عليه شروطاً، منها: [الدفان[1] عما وقع في الطريق من النهب والقتل.

ومنها: أنهم يكونون على ما تعاهدوا عليه من غير نقض إبرام منه.

ومنها:][2] أنه إذا لم يتم ما التزمته لنا تكون يدك مع يدنا، ونكون نحن وأنت عليه. فَقَبِل ذلك، ودخل مكة ومعه جماعة من الأشراف.

ولما عرض الشريف سعد على ولده ما صار بينه وبين بني عمه، امتنع وأبى، وقال: بل أحاسبهم على جميع ما أخذوه من الناس من الأموال، وأحسبه من معاليمهم، فلما بلغهم ذلك رجعوا إلى مرّ الظهران ونفوسهم غير طيبة، بعد أن ألزموا الشريف سعداً أن يعطيهم اليد، وفاءً بالشرط.

ولما قرب شهر الحج واحتاج الناس إلى قضاء شعائر الحج، وضاق الوقت، تصدّى الوزير سليمان باشا صاحب جدة لتسكين هذه الحركة والفتنة الطامة،

---

(١) الدفان: من الدفن، وهو السَّتر والمُواراة. وهنا بمعنى السكوت والتغاضي عما حدث (لسان العرب، مادة: دفن).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٢٩)، ومنائح الكرم (٥/٢٩٢-٢٩٣).

فكاتب السادة الأشراف ووعدهم، وضمن لهم خلاص ما هو لهم في الذمة من المال، وبذل لهم ما وسعته قدرته في الحال، وشرط عليهم حفظ طريق جدة، ففعلوا ما شرط عليهم وأمَّنوا الطريق، وسارت القوافل، بل صاروا يمشون مع القوافل بأنفسهم إلى أن تدخل مكة ذهاباً وإياباً.

ثم إن سليمان باشا أخبر مولانا الشريف سعيداً بما وقع، وقال له: إني التزمت لهم في ذمتي بخلاصهم، فأجابه بأنّ ما فعلته هو الصواب.

ثم إن الشريف سعيداً بعث إلى الأشراف -وكانوا نحواً من ثلاثمائة شريف- يسألهم أن يعرضوا معه في خروجه إلى أمراء الحج على جري العادة، فامتنعوا، ولم يعرض منهم أحد، إلا بعض أشراف كانوا في عملته لم يجاوزوا الثلاثين.

ولما أقبل الحج والأمراء تنقلت الأشراف إلى [الحميماء][1] بوادي مَرّ، فحجَّ الناس وهم في غاية الخوف، ولم يحجّ من أهل مكة إلا اليسير، وظنوا أن الأشراف يدخلون مكة والناس بعرفة، فلم يكن ذلك. فلما أن سافر الحج

---

(١) في الأصل: الحيماء. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣٠).
والحميماء (الحميمة): تصغير حمة. وهي الحجارة السوداء. وهي قرية ببطن مر من نواحي مكة بين سروعة والبريراء، فيها عين ونخل، وتبعد عن مكة بحوالي (١٤٥ كلم) شمالاً. وكانت توجد بها عين ماء، ثم انقطعت في السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري (انظر: معجم البلدان ٣٠٧/٢، ومعجم معالم الحجاز ٦٦/٣-٦٧، ومعالم مكة التاريخية والأثرية ص:٨٦).

وأقفر الفجّ[١]، أخذ الأشراف في الارتحال من الحميماء، ونزلوا بالزاهر في السابع والعشرين من ذي الحجة، فشعر بهم الشريف سعيد، وأرسل يطلبهم إلى الشرع الشريف، فوكّلوا من جانبهم السيد عبدالله بن سعيد بن شنبر، فجاء إلى المحكمة ومعه السيد [عبيدالله][٢] بن حسن بن جود الله، وزين العابدين بن إبراهيم بن محمد شهوداً على الوكالة.

وكان الشريف سعيد قد نزل قبلهم إلى المحكمة، وكان قاضي مكة ذلك العام القاضي أحمد البكري، أحد السادة البكرية[٣] المقيمين بالشام، فادّعى السيد عبدالله بموجب وكالته عن جماعته[٤] على مولانا الشريف سعيد بأنه منعهم من حقوقهم من مداخيل البلد ومخاليفها[٥]، ولم يعطهم ما يستحقونه،

---

(١) أي أقفر الطريق من الحجاج، لأن الفج بمعنى الطريق الواسع البعيد (المعجم الوسيط ٦٧٤/٢).

(٢) في الأصل: عبدالله. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٣٠)، ومنائح الكرم (٢٩٥/٥).

(٣) هو أحمد بن كمال الدين البكري (١٠٤٢-١١١٧هـ) قدم جده محمد بدر الدين من مصر إلى دمشق، وبها استقر. وفي دمشق ولد ونشأ أحمد البكري. وقد تقلد قضاء المدينة المنورة سنة ١١٠٢هـ، وقضاء دمشق سنة١١٠٤هـ،ثم قضاء مكة سنة ١١١٥هـ.وفي سنة ١١١٧هـ رحل إلى القاهرة وبها توفي (انظر ترجمته في: سلك الدرر ١٤٨/١-١٥١). ويعود أصل السادة البكرية إلى الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه. كان منهم بالديار المصرية جماعة من ولد عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق بن تيم بن مرة (نهاية الأرب للقلقشندي ص:١٢٠-١٢٢، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٩٩/١).

(٤) الذين هم: السيد عبدالكريم بن يعلى وبنو عمومته من آل بركات.

(٥) المخلاف: وجمعه مخاليف، وهو الكورة أو الإقليم من البلد، وهو تسمية يمانية (المعجم الوسيط ٢٥٢/١، والمنجد ص:١٩٠). والمقصود هنا: المناطق الأخرى.

واختص بكل ذلك دونهم، وهم شركاء فيه، وقد مضت قواعدهم من زمن الشريف قتادة بذلك، وأنهم لا يعاملونه إلا [على ذلك][١]، فإن بذلك قوام معاشهم. فأنكر ذلك مولانا الشريف سعيد، وقال: ليس لكم حقّ، وإنما تأخذون من صاحب مكة ما يعطيكم من قبيل صلة الرحم، ومدخول مكة خاصّ به.

واتسع بينهم المجال بحضرة القاضي والعلماء بما لا يليق بمقامهم، فتأثرت نفوسهم بزيادة، ثم انقضى المجلس على غير خاتمة، ورجع الأشراف إلى جماعتهم بالزاهر بعد أن اجتمعوا بالشريف سعد، وعاتبوه على دعواهم إلى القاضي، فاعتذر وحلف أنه لا علم له بهذا القدر، فقبلوا عذره.

ثم إن الشريف ركب بنفسه وخرج إليهم في الزاهر، وخطّأ ابنه في فعله، واستسمحهم وقال: هبوها لأجلي، وسترون ما أفعل في حقكم معه، [وأنا][٢] المطالب بجميع ما هو لكم، فقبلوا ذلك. وطلب جماعة منهم يدخلون معه مكة، فدخل معه السيد أحمد بن زين العابدين لاستلام ما قام به لهم، فلما دخل بهم البلد رأوا زنده قد صلد[٣]، وكان ذلك آخر يوم من شهر ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائة وألف[٤].

---

(١) في الأصل: بذلك. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣٠)، ومنائح الكرم (٢٩٦/٥).

(٢) في الأصل: وأن. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنائح الكرم (٢٩٧/٥).

(٣) صلد: صلداً وصلوداً، أي بخل وجمد على ماله. والصلد أيضاً بمعنى الحجر الصلد (انظر: لسان العرب، مادة: صلد، والمعجم الوسيط ٥٢٠/١) والمقصود: أنه أصبح قوياً أو أصبح مصراً على رأيه.

(٤) انظر لما تقدم: منائح الكرم (٢٩١/٥-٢٩٧).

ودخل عقب ذلك المحرم من سنة ست عشرة، فرفعت الفتنة رأسها، ووطئت أساسها[١] يوم الثالث، فانتشر عبيد الأشراف بأعالي تلك الجبال، وشنوا

الغارة، وملكوا تلك الجبال إلى الجبل الطالّ على تربة العيدروس[٢] بالشبيكة[٣]، وانتهوا إلى أسفل جبل عمر[٤] من المسفلة، ومن جبل قعيقعان[٥] إلى الجبل الطالّ على سويقة[٦]، وأخذ باطنة الشبيكة جماعة من الأشراف حتى انتهوا إلى مقبرة الشبيكة، ووصل جماعة من العبيد إلى جهة المعلا، فملكوا الجبل المطل على الوادي بحيث لا يفوتهم الصاعد من هناك، وبات الأشراف في مضاربهم[٧].

---

(١) كناية عن قيام الفتنة بين الشريف سعيد والأشراف.

(٢) العيدروس: عبدالله بن علي بلفقيه بن عبدالله العيدروس، كان من العلماء. توفي سنة ١٠٥٠هـ، ودفن في الشبيكة مع ابنه وحده، على خلاف المشهور من آل العيدروس الذين دفنوا في المعلاة كما ظهر لي من خلال المصادر والمراجع (خلاصة الأثر ٣/٦٢-٦٣).

(٣) الشبيكة: تقدم التعريف بها (ص: ١٠٠).

(٤) جبل عمر: تقدم التعريف به (ص: ٤١٥).

(٥) قعيقعان: سبق التعريف به (ص: ١٠٠).

(٦) وهو جبل جزِلّ. ذكره السباعي وقال: إن طائفة من الجنود تعرف بهذا الاسم كانت تلعب فيه بالطبل (انظر: السباعي ص:٤٦٠-٤٦١، ومعالم مكة التاريخية ص:٦٣-٦٤، ومعجم معالم الحجاز ٢/١٤٦).

(٧) المقصود: مضاربهم في الزاهر.

فلمـا رأوا شـدة الحركـة انتقلـوا من الزاهـر إلى طـوى(١)، ووقفوا هناك.

وتقدم بعض العبيد فدخلوا بيت عتاقي أفندي في الشبيكة -نحو السبعة-، فانحازوا فيه، وجعلوا يضربون من أقبل [عليهم](٢).

فتهيَّأَ الشريف سعيد للخروج عليهم، وجمع الجند، وترَّس المنافذ، وجمع جماعة في دار السنجاري(٣)، وجماعة في دار الشيخ عبدالله البصري(٤) في الشبيكة، وجماعة في منائر المسجد من عسكر المصري، ومن عسكر اليمنية.

ثُمَّ أحضر بقية عسكر مصر من متفرقة وأسباهية(٥) وعرب

---

(١) طوى: معروف اليوم ببئر طوى بجرول بين القبة وريع أبي لهب، وهي بئر مطوية عليها بناء، وهو الموضع الذي بات فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة فتح مكة (معجم معالم الحجاز ٥/٢٣٦-٢٣٧، ومعالم مكة التاريخية ص:١٦٨-١٦٩).

(٢) في الأصل: إليهم. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٣١)، ومنائح الكرم (٥/٣٠٠).

(٣) الشيخ أبو السعود السنجاري، من أبناء عمومة مؤلف كتاب منائح الكرم علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري.

(٤) الشيخ عبدالله بن محمد بن سالم البصري، ولد عام ١٠٤٨هـ. شافعي مكي، ولد ونشأ بالبصرة، لذا سمي بالبصري، من أئمة المحدثين (انظر: طبقات السادة الحنفية لمحمد أمين ورقة ١٢٩، وموائد الفضل للدهلوي ورقة ١٤٥، والمختصر من كتاب نشر النور والزهر ص: ٢٩٠-٢٩٣).

(٥) الأصباهية أو الأسباهية (السباهي): هم بمثابة الفرسان النظاميين في الجيش العثماني (انظر: الدولة العثمانية والشرق العربي لمحمد أنيس ص: ٧٩).

[وانقشارية][١]، فركب، وركب معه خاصته من الغلمان والوصفان وصارجية[٢] وسقمان[٣]، وأرادوا الخروج، فلم يتمكن من ذلك، ووقف بسوق الصغير. ووصل الرمي من جبل عمر إلى محلّ وقوفه، بل أصاب بعض الخيل بعض ذلك الرمي، واستمر إلى ضحوةٍ عالية، وكان من التقدير أنه حضر عند القاضي المفتي وبعض العلماء، وأخذوا من القاضي حكماً حكم به: أنه لا يجوز عزل مَنْ ولاّه السلطان، ويجب على العامة أن يقاتلوا [معه][٤] هـؤلاء الجماعة، وأمـروا منادياً ينادي في شوارع مكة. فاضطربت الناس

---

(١) في الأصل: وانفشارية. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣١)، ومنائح الكرم (٣٠١/٥).

والانقشارية أو الانكشارية: جيش عثماني ، تقدم التعريف به في (٦٠٤/٢).

(٢) الصارجية أو الصاريجه: اسم طائفة من الجند (معجم الدولة العثمانية ص:١١٧).

(٣) سقمان أو سكبان أو سيمان: كلمة من أصل فارسي مكونة من مقطعين (سك) وتعني كلب، و (بان) وتعني حامي. ولقد أطلقت هذه التسمية في الأصل على فرقة المشاة العثمانية قبل إنشاء الانكشارية، وبقيت إلى جانب الانكشارية كفرقة مستقلة بعد إنشائها، ولم توضع تحت سلطة قائد الانكشارية إلا بعد سنة ١٤٥١م (انظر عن هذه الفرقة: التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية لمحمود شوكت ص:٥٠-٥١ حاشية (٣)، ومعجم الدولة العثمانية ص:١٠٧).

(٤) في الأصل: مع. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٣١)، ومنائح الكرم (٣٠١/٥).

وهو ينادي بالنفير العام حسبما رسم شيخ الإسلام[١].

فلما بلغ ذلك سليمان باشا صاحب جدة -وهو إذ ذاك بمكة- وجاءه الحكم [وتأمّله][٢] امتثل الأمر وأطاع، وخادع خداعاً، وبعث نحو ثلاثين مدرعاً[٣] من الترك مع كيخيته[٤]، فلحقوا بالشريف سعيد. وأخذ محمد بن جمهور العدواني الحكم وطلع به إلى أمير العراق[٥]، فأعانه بنحو مائتي عسكري، فخرج بهم من ريع أذاخر، وعطف على الأشراف بالزاهر.

وفرغ بارود الأشراف لطول رميهم، فهمدت الفتنة ساعة، فانتهزها الشريف سعيد من سوق الصغير، وسار بِمَنْ معه من عسكر الباشا إلى أن وصل بيت عتاقي أفندي الذي فيه العبيد، المعروف ببيت عبدالباقي الشامي.

فلما وصل إلى البيوت المسامتة لذلك البيت صدَّه من كان فيه من العبيد

---

(١) لقب شيخ الإسلام عادة كان يطلق على المفتي الذي كان في القسطنطينية نظراً للمهام الجسيمة التي كانت على عاتقه، وقد اختلف المؤرخون حول تحديد الوقت الذي أطلق فيه هذا اللقب على مفتي العاصمة. فالبعض يرى أنه ظهر في عهد السلطان مراد الثاني، والبعض الآخر يقول: في عهد السلطان سليمان القانوني أو محمد الثاني (انظر عن هذا: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها للشناوي ٣٩٩/١-٤٠٢، ومعجم الدولة العثمانية ص:١٢٢-١٢٣). وهنا ربما أطلق اللقب مجازاً على قاضي مكة أو ربما ليعطي الأمر أهمية كبرى، أو أن القاضي أمر هذا الأمر بناء على فتاوى سابقة من شيخ الإسلام في مثل هذا الموضوع.

(٢) قوله: "وتأمله" زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٣١)، ومنائح الكرم (٣٠٢/٥).

(٣) أي من لابسي الدروع.

(٤) علي آغا (انظر: منائح الكرم ٣٠٢/٥).

(٥) أي أمير الحج العراقي.

السابق ذكرهم[١]، فتوقف، وقُتل هناك بيرق دار الإنقشارية، وعبد من عبيد الشريف، وخرج آخرون من جماعته، وطال وقوفه ثمة، ثم عطف على سويقة على بيت الباشا، وأمر بجرّ مدفع، وانتهى به إلى قريب من بيت عبدالباقي الشامي، ورمى به على البيت، ففرَّ مَنْ كان فيه من الأسطحة، وهربوا، فكرّ عند ذلك، وحصل من خيالته اختلاط بِمَنْ كان هناك من الأشراف حول بيوت الشبيكة، وقُتل عبدٌ [لعبد][٢] المحسن بن أحمد بن زيد، وصوب فرس السيد مبارك بن زامل، فحَوّل عنها وتركها، وأصيب السيد محسن بن حسين ابن عبدالله بن حسن برصاصة في رجله، فتمنّعوا بعد ذلك من الاختلاط، وافترقوا عن البلد.

هذا كله والشريف سعد واقف تحت دار السعادة يرتجز[٣] كالغلام، ثم لحق بولده، وساروا حتى وصلوا جبال أبي لهب[٤]، فكانوا من الأشراف بعيان وهم وقوف حول مضاربهم، فامتنع الفتيان من القدوم، فأقام الأشراف ثمة ثلاثة أيام، ثم انتقلوا إلى الحميماء، فلحق بهم الشريف سعد ونزل عليه، وشيع

---

(١) العبيد السبعة الذين دخلوا بيت عتاقي أفندي الذي أخذه من عبدالباقي الشامي.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٣١)، ومنائح الكرم (٥/٣٠٣).
وعبدالمحسن هذا سيصبح فيما بعد شريفاً لمكة.

(٣) الرجز: داء يصيب الإبل ترتعش منه أفخاذها عند قيامها (المعجم الوسيط ١/٣٣٠). والمقصود أن الشريف سعد أصبح يرتعش من شدة الموقف.

(٤) جبل أبو لهب: هو الجبل الواقع بين ريع أبي لهب وريع الكحل، يشرف على الزاهر غرباً وذي طوى شرقاً، ويقال: إن قبر أبي لهب قريب من هذا الجبل (معجم معالم الحجاز ٧/٢٦٨).

المشايخ منهم، فاستعطى منهم ذلك القدر الذي يطلبونه [بعد](١) التنزل لهم، فسمحوا به كرامة لمجيئه إليهم، والتزم لهم العوض، وأصلح لهم الأمر على أن يأخذوا الآن من الشريف سعيد مشاهرة شهر واحد، وطلب منهم الدخول معه إلى مكة وملاقاة الشريف سعيد، فدخل معه كبارهم، فأقاموا بمكة أياماً، فما وقعوا على طائل، فعند ذلك رجعوا إلى الحميماء، إلا أن السيد أحمد بن زين العابدين ومَنْ في عملته، والسيد أحمد بن حازم ومَنْ في عملته، والسيد محمد بن أحمد بن حسين ومَنْ في عملته، نقضوا ما أبرموه مع القوم، وعزموا على الجلاء بعد أن [أَوْدعوا](٢) طوارفهم على عادتهم.

وأما السيد عبدالمحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبدالكريم بن يعلى فأرادا المقام بمكة، رجاء أن يكون الصلح. فبينما هم في المشاورة إذ جاء الخبر: أن الأشراف أخذت قافلة عظيمة خرجت من جدة، وقتلوا الرجال، ونهبوا الأموال، فاشتد غضب الشريف سعيد ووالده الشريف سعد، وقالا لِمَنْ كفلهم من بني عمهم: [أعطوا الحق من أنفسكم، فإنكم كفلتم هؤلاء الجماعة أياماً معدودة، واستردُّوا منهم ما كانوا](٣) أعطوهم مما هو لهم، فعسر استيفاؤه.

ثم إن السيد عبدالمحسن بن أحمد بن زيد خرج إليهم حيث لم يتم ما أراده

---

(١) قوله: "بعد" زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٣١).

(٢) في الأصل: ودعوا. والتصويب من منائح الكرم (٥/٣٠٥).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٣٢)، ومنائح الكرم (٥/٣٠٥).

عمه من الصلح مع حدوث أخذهم لهذه القافلة، مع أن معها السيد مبارك بن حمود، خرج معها من جدة، وأودعه إياها الشريف سعيد في كتاب كتبه إليه، ومعه من العسكر الصارجية والسقمان نحو الأربعين فارساً، وكانت قافلة عظيمة موفورة، وفيها من كل الأنواع، وقتل من الصارجية نحو خمسة عشر، وأخذت خيولهم، وبلغت القتلى من أصحاب القافلة وغيرهم نيفاً وثلاثين، ولم يسلم إلا مَنْ هرب، واستجار بعضهم بالأشراف، فسلم مَنْ كتبت له السلامة بروحه دون ماله، فأخذوا القافلة بالرماح، ونادوا بحيّ على الفلاح، وأغلبهم كانوا شُبّاناً.

فلما أن وصل إليهم الشريف عبدالمحسن جعلوا كلمتهم إليه، واعتمدوا في تصريف الأمور إليه، وبايعوه على شرافة مكة وعزل ابن عمه الشريف سعيد، فرضي بعد تأبٍّ شديد، ثم ارتحلوا من الحميماء ونزلوا ماءً قريباً من جدة يقال له: غُلَيْل[1] -مصغّراً-، وأرسلوا إلى الوزير سليمان باشا يعرّفونه بما اتّفقوا عليه، فأمرهم بدخول جدة، فدخلها مولانا الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد، والسيد عبدالكريم بن محمد بن يعلى، والسيد أحمد بن هزاع، والسيد عبدالله بن سعيد بن شنبر، وآخرون من الأشراف، وأقام الباقي بالغُليل، فأرسل الباشا كتاباً للشريف سعيد وإلى والده الشريف سعد، وملخصه: أن

(١) غُلَيْل: وادٍ يسيل من الحرازية، يباري أم السلم من الجنوب، ويجتمع معها في الرغامة بطرف جدة من الشرق، وحيث يدفع غليل في خبت جدة قام حي سمي غليلاً، فهو من أحياء جدة الجنوبية الشرقية (معجم معالم الحجاز ٦/٢٥٢-٢٥٣).

السادة الأشراف نزلوا غُلَيْلاً، وقصدهم محاصرة جدة ومنعهم أهليها من الماء، وربما يحصل منهم خلاف على البندر، وليس لنا قدرة على دفعهم، فالقصد أن تخرجوا إليهم، ونحن من عندنا معكم، أو تدفعوا إليهم ما هو لهم ليرجعوا عما فيه من الضرر عليكم وعلينا، ويدخلون تحت الطاعة، وإن كنتم تعجزون عن ذلك فاخرجوا من البلاد، فقد تعيّن لها من يقوم بحفظها، فردّوا له الجواب: ليس لهم عندنا إلا السيف أو يرضون بالحيف.

فلما جاء هذا الجواب استدعى الباشا مولانا الشريف عبدالمحسن بن أحمد ابن زيد هو وجماعة[1] من الأشراف، وحضر قاضي جدة وجماعة من أعيان الناس، فألبسه الوزير فرواً عظيماً، وولّاه شرافة مكة، فخرج من عنده في آلاي عظيم والخلق بين يده من عساكر وغيرها، ومعه الأشراف، إلى أن وصل سبيل محمد جاووش خارج جدة، ووضع عبدالمحسن يده على البندر، ورفع يد وزير الشريف سعيد وجميع المباشرين الذين من جهة الشريف سعيد، وأجلس آخرين غيرهم[2].

ثم إن الوزير سليمان باشا هيأ لمولانا الشريف عبدالمحسن كلّ ما يحتاج إليه الملك من نوبة، وصنجق، وسعاة، وعساكر دبابة، وخيالة[3]، وقام بما يكفيهم

---

(١) هم السادة الأشراف الذين دخلوا جدة معه، وهم: السيد عبدالكريم بن محمد بن يعلى، والسيد أحمد بن هزاع، والسيد عبدالله بن سعيد بن شنبر، والذي مر ذكرهم آنفاً.

(٢) المقصود هنا أن الشريف عزل الموظفين الذين كانوا في عهد الشريف سعيد وعيّن موظفين من قبله.

(٣) في هذه الفقرة يتبين لنا المكونات التي كانت في الموكب الشريفي.

من الملبس والمطعم وغيره، وأخرج لهم الذخيرة الوافرة من كل شيء، وأرسل [كيخيته][١] حفيظاً على العساكر، فصرف مولانا الشريف على الأشراف معلوم شهر، وأرسل إلى المدينة لينادى له فيها، فنودي له بها، وخُطب باسمه على المنبر النبوي، وكتب إلى قبائل حرب وغيرهم، فأجابوا بالطاعة[٢].

ثم إن الشريف عبدالمحسن أرسل أخاه عبدالمطلب بن أحمد بن زيد ومعه الأشراف، فنادوا له بالطائف، وجمع الشريف سعيد والشريف سعد جماعة من العلماء ومعهم القاضي والمفتي وقوم آخرون، وتفرق المجلس على [أنهم][٣] يكتبون إلى الوزير سليمان باشا صاحب جدة كتاباً، فكتبوه وأغلظوا فيه، إلى أن قالوا: إن بيدنا فتوى المفتي، وحكم بموجبها قاضي الشرع بكفر مَنْ تجرّأ على عزل مَنْ ولاّه السلطان على بلد إذا كان بيده أوامر سلطانية، وأنه لا يُعزل إلا بعزل السلطان، وأنه قد جاءنا الخبر بعزلك ومحاسبتك، فكيف لك بالعزل والتولية مع أنك معزول عن منصبك؟!.

ثم أرسلوا هذا الكتاب عند الباشا مع السيد دخيل الله بن حمود ومعه جوخدار[٤] القاضي، فلما أن وقف الباشا المذكور على ذلك قال: أنا بيدي

(١) في الأصل: كيخته. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٣٣).

(٢) انظر هذا الخبر مختصراً في: إتحاف فضلاء الزمن (٢/٢٣٩).

(٣) في الأصل: أن. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٣٤).

(٤) الجوخدار: من الحرس الذين كانوا في فرقة الانقشارية، حرس يدعون صالمه، ورئيسهم يدعى صالمه جوقداري؛ للبسه قبعة من الجوخ الأخضر. وكانت مهمتهم المحافظة على النظام والأمن في =

من السلطان مصطفى بن السلطان أحمد ومن أخيه المتولي بعده أوامر سلطانية أن أعزل وأولّي مَنْ أرى فيه الصلاح لمكة المشرفة.

فلما علم السيد دخيل الله حقيقة الحال لم يطلع من جدة، وعامل الشريف عبدالمحسن من جملة من عامله، وجاء بالجواب جوخدار القاضي بما قاله الوزير المذكور[(١)]. فاغتاظ الشريف سعد وابنه الشريف سعيد، وأرسلا يطلبان من الباشا الإشراف على ما بيده من الأوامر السلطانية[(٢)]، فأرسل إليهما: إن كنتما تريدان ذلك، فأرسلا رجلاً من جهة القاضي ومن كلّ بلك من العساكر [رجلاً][(٣)] يشرفون على ما بيدي من الأوامر.

ثم انقطعت بينهم الوسائط، إلى أن رحل مولانا الشريف عبدالمحسن من جدة متوجهاً إلى مكة، وذلك يوم السبت ثاني عشر ربيع الأول، ومعه الجموع والأشراف، إلى أن وصل وادي الجموم، فخرج إليهم الشريف سعيد بِمَنْ معه من العساكر المكية والمصرية، ونزل بذي طوى[(٤)]، وأخذ الشريف سعيد [ما][(٥)] يلي الحجون ومعه عبيده وجماعة من

= الأماكن المختلفة في البلاد، مثل الأسواق والحوانيت والمقاهي، إضافة إلى مراقبة أزياء الجند وانضباطهم في أعمالهم (انظر: التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية ص:٩٧).

(١) سليمان باشا.

(٢) أي الاطلاع عليها.

(٣) قوله: "رجلاً" زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٣٤)، ومنائح الكرم (٣١٣/٥).

(٤) ذي طوى: وادٍ بأسفل مكة (معجم البلدان ٤٥/٤)، وهو بمحلّة جرول معروف إلى الآن، ويستحب الاغتسال فيه للمحرم.

(٥) في الأصل: مما. والتصويب من خلاصة الكلام ومنائح الكرم، الموضعان السابقان.

النفعة[١]، وفرّق على الجبال المطلة على المحصّب[٢] بعض العبيد، وجماعة من اليافع والجبالية.

ولما كان يوم الأربعاء سادس عشر ربيع الأول سار الشريف عبدالمحسن من الجموم، ونزل صبيحة يوم الخميس بالزاهر، وأمر بحفر آباره، وكان قد طمّها الشريف سعيد.

فلما تلاقى الجمعان، حمل بعض عساكر الشريف عبدالمحسن على جبل كان به بعض جماعة من عسكر الشريف سعيد، فأنزلوهم عنه وملكوه، وقُتل فيه بيرقدار العسكر، وعسكري آخر أراد أن يأخذ البيرق عند قتل الأول، وحصل صواب[٣] لآخرين.

وأما النفعة مما يلي جانب الشريف سعيد، فجاءهم بادية من جماعة الشريف عبدالمحسن، فأثخنوهم قتلاً وجرحاً وضرباً وطرحاً. ولم يزالوا على ذلك إلى الليل، فأرسل الشريف سعيد إلى مشايخ الحارات[٤]، وأخذ منهم الزرابطين[٥] التي [يطلقونها][٦] ليلة العيد، فرمى بها على الجبال، فأصاب

(١) النفعة: أحد فرعي البطنين من بني سعد من برقا في عتيبة (قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص:١٨٧-١٨٩، ومعجم قبائل الحجاز ص:٥٣١، والرحلة اليمانية ص:١٣٠-١٣١).

(٢) المحصب: اسم المفعول من الحصباء، والحصّب: هو الرمي بالحصى، وهو موضع فيما بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وهو خيف بني كنانة، وحدّه من الحجون ذاهباً إلى منى (معجم معالم الحجاز ٨/٤٣).

(٣) أي إصابات في الطرفين.

(٤) أي شيخ الحارة، وهو ما يعرف الآن بالعمدة.

(٥) الزرابطين: نوع من المفرقعات.

(٦) في الأصل: يلقونها. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٣٥)، ومنائح الكرم (٥/٣١٤).

مضرباً فيه عسكر من عساكر سليمان باشا.

ثم أمر باستخراج مدفع كبير كان مدفوناً بدار السعادة، فأخرجوه وساروا به إلى طوى، فطلعوا به إلى قلعة، وحشوه وأطلقوه، فما أفاد إلا الصوت[١].

ولما كان ليلة الأحد -وهو اليوم الرابع- ظهرت الغلبة للشريف عبدالمحسن، وضاق الأمر على الشريف سعيد، فنزل ضحوة يوم الأحد المذكور الشيخ سعيد المنوفي، والسيد علي ميرماه، وأنهوا إلى القاضي ما لحق الشريف سعيد، وأمروه بكتابة حجة بالنفير العام، فكتب لهم حجة بذلك، وأمر منادياً ينادي في الشوارع: كلّ مَنْ لم يأت إلى محكمة القاضي الآن فهو منهوب الدار، مصلوب بلا اعتبار، فاجتمع العالم[٢] تحت المدرسة السليمانية بالمسجد الحرام، فقرأ عليهم المنوفي الحُجّة، وهو مطلّ من طاقة المحكمة، ومضمونها: أن الشريف سعيداً قد ولاّه السلطان مصطفى شرافة مكة، وأيّده السلطان أحمد، وقد رأيتم ما صار عليه من هذا الباشا، فيجب عليكم بَذْل الطاعة والخروج معه للقتال، ودفع هؤلاء البغاة قطاع الطريق، فبينما هو كذلك إذ صاح بعض الناس الحاضرين: هذا باطل! باطل!، [وأنطقت][٣]

---

(١) أي كان قصير المدى فلم يفعل شيئاً.

(٢) أي الناس.

(٣) في الأصل: وانطبقت. وفي خلاصة الكلام: وانطلقت. والتصويب من منائح الكرم (٣١٦/٥). وأنطقت: أي صاحت ببطلان ذلك.

العالم بلسان واحد، وكاد أن يُرْجَم المنوفي والقاضي ومَنْ معه، وفرَّت العالم من المسجد.

فلما رأى القاضي قيام العامّة أمر بالخروج إلى الزاهر للشريف سعيد وإخباره بما وقع، فخرج ومعه المنوفي، والسيد علي ميرماه، وجماعة من العلماء، والمفتي، وأعيان الناس، فلما وصلوا إليه وأخبروه، أنكر الأمر بذلك، وزجر مَنْ سعى في هذا الأمر، وقال: مَنْ أمركم أن تنادوا في العامة؟!، واتّفق الرأي هناك أن يكتبوا كتاباً لكيخية الوزير سليمان باشا، خطاباً من الشريف سعيد وأبيه بأن لهم عليهم دعوى إلى القاضي، فإن لم تجب وتمتثل كفرت[1]، وأرسلوه مع درويش[2] كان حاضر المجلس، قال لهم: أنا أصل بهذا الكتاب إليه -بعد أن لم يوافق أحد على إيصاله-. فأوصله ذلك الدرويش إلى الكيخيا المشار إليه، فلما قرأه أشرفه على الشريف عبدالمحسن، فكتب الجواب الشريف عبدالمحسن إلى الشريف سعيد: نحن إن شاء الله غداً لابدّ لنا من دخول مكة، والكيخيا معنا، وتكون الدعوى عليه بحضورنا، والنصيحة لله ولرسوله، ولك أن تأخذ الحذر لنفسك والخروج من البلاد، وتترك ما لا طائل تحته، فإن أصبح عليك الصباح وأنت في البلاد فقد برئت منك الذمة، وهذا غاية ما لكم علينا، والسلام.

---

(١) أي خرجت من طاعة الشريف سعيد، لأن طاعة أولي الأمر واجبة.

(٢) درويش: بفتح الدال وكسرها: يقال في تفسير هذا اللفظ عادة أنه مشتق من الفارسية بمعنى الذي يطلب الأبواب، أي الشحاد، لأن معنى (در): باب، و (ويش) مصدر يعني: التسول. وفي معنى آخر تعني الفقير والمعدم، والناسك (انظر: دائرة المعارف الاسلامية ٩/٢١٩-٢٢٣، ومعجم الدولة العثمانية ص:٨٦-٨٩).

فلما جاءهم الكتاب رجعوا إلى الصواب، فأَوْدعوا طوارفهم للسيد عبدالكريم بن محمد بن يعلى، وخرج الشريف سعيد بعد المغرب من أعلى مكة ليلة الحادي والعشرين من ربيع الأول، ونزل [الهميجة](١) من جهة جعرانة.

وأما أبوه الشريف سعد فدخل مكة وبات في دار السعادة، ثم خرج في الساعة الثانية من يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الأول، وطلع إلى بستان الوزير عثمان حميدان بالمعابدة بعد أن أودع طارفته للسيد عبدالكريم ابن محمد بن يعلى(٢).

دخول الشريف عبدالمحسن مكة متولياً إمارتها

ثم لما كانت الساعة الرابعة من النهار من ذلك اليوم دخل مولانا الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد(٣) من أعالي مكة، ومعه بنو عمه، وهم في الدروع الضافية واللامات(٤) اللامعة الصافية في آلاي أعظم من سائر العساكر المصرية، وجميع العساكر الذين كانوا مع الشريف سعيد، وما انضم إليهم من عسكر الباشا وأنواع العرب الذين أجابوا داعيه.

---

(١) في الأصل: الهميمة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٣٦).

(٢) خلاصة الكلام (ص:١٢٨-١٣٦). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٢٩٩/٥-٣١٨).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:١٣٦-١٧١)، والأعلام (١٥١/٤)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص:٢٦٩-٢٧٠).

(٤) اسم للدرع، وقيل: عدة السلاح من رمح وبيضة ومغفر وسيف ونبال. (تاج العروس ٥٣/٩).

ولم يزل سائراً إلى أن دخل المسجد الحرام، وقد بُسط له بساط في الحطيم، وفتح باب الكعبة المشرفة، وحضر القاضي، والمفتي، والعلماء، والخلق كافة، ومَنْ دخل معه من الأشراف، وقرئ عليهم الأوامر السلطانية، وهما أمران؛ أحدهما من السلطان مصطفى، والآخر من السلطان أحمد، مضمونهما: أن سليمان باشا مفوّض من قِبَلنا على الحرمين الشريفين، قائم مقامنا، قد نصبناه بصدد مَنْ رأى فيه صلاحاً للعباد والبلاد، فمن رأى فيه غير ذلك عزله ونفاه، وأقام مَنْ يرى فيه الصلاح، وهذا خطاب شامل لمن كان تحت طاعتنا، محمياً بحمايتنا.

ثم بعد تمام القراءة للأمرين دعا على باب الكعبة المعظمة الشيخ محمد بن عبدالمعطي الشيبي، والرئيس دعا من أعلى زمزم على العادة المعروفة.

ثم جاء إلى دار السعادة، وجلس للتهنئة، وامتدحته الشعراء بقصائد، وأجازهم، ونادى المنادي في شوارع مكة بالزينة، فزينت له مكة ثلاثة أيام، واستمرّ والياً ليوم الأربعاء، فكانت مدة ولايته تسعة أيام، عدد حروف اسمه[1]، فنزل عن الولاية، وقلّدها ابن عمّه الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات بن أبي نمي، فنزل إلى المسجد الحرام بالحطيم، وحضر لحضوره وجوه السادة الأشراف، والوزير سليمان باشا، والقاضي، والمفتي، والعلماء، والخطباء، وكبار العساكر، وأهل الإدراك[2]،

---

(١) اسمه عبدالمحسن.

(٢) نلاحظ أن الشريف عندما يريد أمراً ما يجتمع بهؤلاء الأشخاص ويتداول معهم الرأي، فكأن هؤلاء هم مجلس شورى للشريف.

وعامة الناس[١].

ذكر نزول مولانا الشريف عبدالمحسن للشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى[٢] عن شرافة مكة

ولما انعقد المجلس، قال مولانا الشريف عبدالمحسن: أيها الناس، اشهدوا أني نزلت عن شرافة مكة إلى الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى بطيب نفس وسماحة، فإنه أهلٌ لذلك.

فأمر حينئذ القاضي[٣] أن يخاطب السادة الأشراف: هل رضيتم بما رضي به مولانا الشريف عبدالمحسن من ولاية مولانا الشريف عبدالكريم؟!

فقال الجميع: نعم رضينا بما رضيه لنا، وفيه الكفاية والكفاءة.

ثم أمر القاضي أن يسألوا ثانياً: هذا إذعان منكم عن غير كراهة ولا إجبار، على شرط أن لا تكلفوه ما لا يستطيع؟.

فقالوا: نعم، لا نكلفه ما لا يستطيع، وليس مرادنا إلا الصلاح لبلدنا، ونحن معه في إصلاح البلد، وما وقع فيه من فساد فعلينا إزالته.

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٣٦-١٣٧). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٣١٨/٥-٣٢٤).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:١٦٦،١٥٤،١٤٣،١٣٧)، والأعلام (٥٦/٤)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٢٩)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٧١).

(٣) وهو: عيد زاده المكي (انظر خلاصة الكلام ص:١٣٧، ومنائح الكرم ٣٢٤/٥).

فسجل عليهم القاضي ذلك في المجلس المذكور[١].

فعند ذلك أشار الوزير سليمان باشا لبعض أتباعه، فأتى بفرو، فألبسه مولانا الشريف عبدالكريم، ثم دخل الكعبة مولانا الشريف عبدالمحسن، ومولانا الشريف عبدالكريم، ومعهم الوزير سليمان باشا، ومكثوا بها ساعة، وتعاهدوا ثمة على الصدق فيما بينهم، وخرجوا جميعاً.

فسار الشريف عبدالكريم إلى بيت الشريف بركات بن محمد، وجلس للتهنئة، وخلع على أرباب المناصب، والعساكر، والحشم، ونادى المنادي أيضاً بالزينة ثلاثة أيام، وبعث إلى الطائف فنودي له فيها، وخطب له على المنبر، وأطاعته جميع العرب، وبعث إلى المدينة، ومدحته الشعراء بقصائد، وأجازهم.

وأما الشريف سعيد فإنه توجه إلى جهة المدينة ونزل ببني إبراهيم[٢]، واستمر بديارهم أياماً حتى اجتمع إليه بعض عرب منهم، ومن جهينة، وآخرون من لفق هناك، فأخذ بندر ينبع، وأنزل فيه ابنه السيد عبدالله بن سعيد، وأقام هو بالجابرية[٣]، وصار يعطي كل بدوي عشرين أحمر وأردبين حباً

---

(١) هو المجلس الذي تنازل فيه الشريف عبدالمحسن عن شرافة مكة للشريف عبدالكريم في الحطيم بالمسجد الحرام.

(٢) بنو إبراهيم: بطن من بني مالك من جهينة، كان لهم خطر فيما قبل القرن العاشر الهجري، فآل الأمر إلى إخضاعهم، وهدم معقلهم، وديارهم ينبع النخل، ولهم فروع عديدة منها الصراصرة، والمسافرة، والشطارية وغيرهم (انظر: معجم قبائل الحجاز ص:١١-١٢، وقلب جزيرة العرب ص:١٤٥-١٤٦، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٢/١).

(٣) الجابرية: من قرى ينبع النخل بمنطقة إمارة المدينة المنورة (المعجم الجغرافي ٣٤١/١، ومعجم معالم الحجاز ١٠٣/٢).

من حب لأهالي مكة وجدة كان هناك من بقية الجراية، وأخذ بعض أموال أهل مصر المرسلة للوكلاء بجدة، واستمر ابنه بينبع، إلى أن جهّز إليه[١] مولانا الشريف عبدالكريم السيد عبدالله بن محمد بن بركات بن محمد، ومعه بعض الأشراف وعسكر، فنزل بالصفراء، وأرسلوا للشريف سعيد وقالوا له: اخرج من بلاد الشريف. فردّ لهم جواباً غير لائق، فأيقنوا منه الخلاف. فسارت الأشراف بِمَنْ معهم من العساكر ومعهم ابن زياد شيخ أهل الفرع بما معه من قومه، ومبارك بن رحمة شيخ حرب بمن معه من قومه، إلى وصلوا إلى ينبع البحر، فمانعهم السيد عبدالله بن سعيد، فحاصروه أياماً، ثم عجز، وطلب الأمان فأمّنوه، وخرج ليلاً إلى أن لحق بأبيه، وأقام معه بالجابرية. وتفرقت عنهم العرب، ولم يبقَ معهم إلا عبيدهم ومَنْ يلوذُ بهم، وكانت هذه الواقعة رابع عشر جمادى الأولى. هذا ما كان من أمر الشريف سعيد[٢].

وأما الشريف سعد: فبعد أن خرج إلى المعابدة، أرسل إلى ابن أخيه الشريف عبدالمحسن، وطلب الإقامة بنجد، مكفولاً مكفوفاً معاملاً له[٣].

ثم بعد خلع الشرافة على الشريف عبدالكريم، بعث إليه فيما طلبه من

---

(١) في خلاصة الكلام ومنائح الكرم: عليه.

(٢) انظر لما تقدم: منائح الكرم (٥/٣٢٤-٣٢٨).

(٣) طلب الشريف سعد هذا الطلب من ابن أخيه الشريف عبدالمحسن، ثم من الشريف عبدالكريم فيما بعد لمعرفتهما بهذه المنطقة، فهو قد دخلها غازياً عام ١١٠٥هـ و ١١٠٧. أي أن يكون عاملاً لها من قبلهم (انظر: عنوان المجد ٢/٤١٢).

الشريف عبدالمحسن، فأجابه إلى ذلك، وذلك بعد خروجه من مكة إلى نواحي الشرق.

ثم [بعد][1] برهة جمع جماعة من الرُّوْقة[2] ومخلد[3] والنفعة، وقبائل من الأعراب، وأطمعهم بالمال، وأراد أن يدخل بهم الطائف، فصدّه وكيل الديرة السيد عبدالله بن حسين[4] بن جود الله وجماعة من الأشراف كانوا بالطائف في عملة الشريف عبدالكريم، وكانوا ينيفون على السبعمائة، مع جملة عبيدهم وحواشيهم من ثقيف[5] وبني سعد[6] وغيرهم، وتجهّزوا للقائه، فتوجه إلى مكة، وكان الشريف عبدالكريم لما سمع بقدوم الشريف سعد خرج إلى المعابدة، واستمر هناك متهيئاً للقائه.

فلما كان ليلة الثلاثاء سادس جمادى الأولى وصل الشريف سعد إلى

(١) قوله: "بعد" زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٣٨)، ومنائح الكرم (٣٢٩/٥).

(٢) الروقة: بضم الراء وسكون الواو: أحد فرعي عتيبة الرئيسيين، وتمتد ديارهم من رهاط شمال مكة آخذة بشرق إلى داخل نجد قرب الرياض (معجم قبائل الحجاز ص:١٨٤، وقلب جزيرة العرب ص:١٨٧).

(٣) مخلد: أحد فروع بلي. إذ أن بلياً تقسم إلى خُزام، ومخلد. والمخلد فروع عديدة، وبطون كثيرة، فمن فروعها: الحُمَر والزَّبّالة، والسُّحَمة، والعرادات، والبُرَكات، والهُروف، والقواعين (معجم قبائل الحجاز ص:٤٧٦).

(٤) كذا في الأصل وخلاصة الكلام ومنائح الكرم، وقد سبقت: عبيد الله بن حسن.

(٥) ثقيف: إحدى القبائل الحجازية العريقة، لا زالت في مساكنها القديمة حول الطائف (معجم قبائل الحجاز ص:٦٦).

(٦) بنو سعد: قبيلة شريفة الأرومة، تنتسب إلى سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وديارهم من الطائف إلى جهة الجنوب الشرقي، وهم أصحاب غنم، وهم حضنة رسول الله ﷺ، وتنقسم بنو سعد اليوم إلى: الثبتة، والبطنين (معجم قبائل الحجاز ص: ٢١٧-٢١٨، ونهاية الأرب للقلقشندي ص:٢٩٠، وقلب جزيرة العرب ص:١٦٣).

الهميجاء ونزل بها -وهي محل على ميل من مكة مما يلي الجعرانة-.

وسار في آخر الليل بِمَنْ معه، فما [شعروا به][1] إلا وهو قد وصل بيوت المعابدة -مما يلي أذاخر-، فنهب مَنْ معه من البدو[2] أهل المعابدة، فركب الشريف عبدالكريم بِمَنْ عنده، وطلع له عسكر الباشا من ترك ومغاربة[3]، ومعهم كيخية سليمان باشا[4] وبعض أشراف من آل أبي نمي[5]، فَكَرَّ الشريف سعيد راجعاً إلى أن نزل الخرمانية[6] -محل قريب من الهميجاء- ووقعت العسكر في البدو، وعمل السيف فيهم. ولحق بالشريف عبدالكريم السيد بشير بن جازان، ومعه نحو سبعين مقاتلاً من هذيل يقال لهم:

---

(١) في الأصل: شعر. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:١٣٩)، ومنائح الكرم (٣٣١/٥).

(٢) مثل الروقة والنفعة وغيرهم.

(٣) المقصود الجند من الشام ومصر وغيرهم.

(٤) وهو علي آغا التركماني (منائح الكرم ٣٣١/٥).

(٥) أبو نمي بن باز بن هاشم بن عبدالله.

(٦) الخَرْمَانِيَّة: هي حائط خرمان، وهو من ثنية أذاخر إلى بيوت جعفر العلقمي وبيوت ابن أبي الرزام وماجله قائم إلى اليوم، وكان فيه النخل والزرع حديثاً من الدهر، وكان له عين، ومشرع يرده الناس (الأزرقي ٢٢٩/٢)، وقد أصبح اليوم ميداناً واسعاً بين مصب شعب أذاخر الجنوبي والشعبة -شعبة النور- وهو اليوم موقف السيارات إلى الطائف، يشرف عليه من الشرق صفي السباب، وقد نقل موقف السيارات إلى العدل، وأقيم في الخرمانية بناء ضخم لأمانة العاصمة المقدسة (معجم معالم الحجاز ١١٧/٣).

الصلمان[1]، ولحق به [أيضاً سليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر، وكان قد ورد هذا اليوم][2] من جدة، وكان قد تفرق عن الشريف عبدالكريم كثير من الأشراف مغاضبين له، ولم [يحضر][3] هذه الواقعة منهم أحد، واستمر في المقاتلة إلى الساعة الثالثة من النهار، فصُوِّبَت فرس الشريف سعد برصاصة، وصُوِّب السيد [أبو][4] نمي بن باز بن هاشم بن عبدالله برصاصة، فسقط من [على][5] فرسه. وقتل نحو خمسة عشر فرساً من خيل الأشراف، وقتل من قوم الشريف سعد ما ينيف على الثلاثين، وعقر من إبلهم ما ينيف على العشرين، وقتل من جماعة الشريف عبدالكريم نحو سبعة أو ثمانية، وامتزجت الدماء من الخرمانية إلى رأس الشعبة من ريع أذاخر، دماء الناس والخيل والإبل.

وفي الساعة الرابعة ظهر عجز جماعة الشريف سعد، فولُّوا هاربين، فحمل عليهم الشريف عبدالكريم بِمَنْ معه حملة واحدة، وصاروا يقتلون فيهم، وصاروا هاربين، وخرج من عامَّة الرعية أكثر من عامَّة المحاربين، وهم يصيحون برفع الصوت ويكبّرون عليهم.

---

(١) من صُليم. ويقال لهم: الصلمان، وهم فرع كبير ذو فروع عديدة من فُلَيت من هذيل، تتركز دياره في نخلة اليمانية وما حولها كحنين وسولة وما جاورها (معجم قبائل الحجاز ص:٢٦٨).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٣٩)، ومنائح الكرم (٣٣٢/٥).

(٣) في الأصل: يحضروا. والتصويب من خلاصة الكلام ومنائح الكرم، الموضعان السابقان.

(٤) في الأصل: أبي. والتصويب من خلاصة الكلام ومنائح الكرم، الموضعان السابقان.

(٥) قوله: "على" زيادة من خلاصة الكلام ومنائح الكرم، الموضعان السابقان.

وكانت مقتلة عظيمة ومصيبة مهولة، ولم يزالوا يقتلون فيهم إلى أن أوصلوهم الهميجاء، فكمن الشريف سعد ببستان هناك فيه ابنته الشريفة سعدية[(١)] بنت سعد بن زيد، فوقف إليه السيد عبدالكريم من جانب، والسيد عبدالمحسن من جانب، ووقف لوقوفهما من معهما من الأشراف والعرب، إلا أنهم رموا الرصاص على نفس البستان، وكادوا يصيبون الشريف [سعداً][(٢)]، فخرج من الجانب الآخر، وتبعه مَنْ سلم مِنَ القتل، ورجع الشريف عبدالمحسن من الهميجاء.

وأما الشريف عبدالكريم فلحق بالشريف سعد ومَنْ معه مِنَ الأتراك والعسكر، وجدّوا إلى أن وصلوا بستان سليمى[(٣)]، وهم يثخنون القتل وينهبون ما قدروا على نهبه من الإبل والخيل، وقتل بين سليمى والهميجاء أكثر مما بين الهميجاء وأذاخر، فصاح الشريف سعد وطلب الأمان، ودخل على السيد محمد بن عبدالله بن حسين بن عبدالله، فأدخله، وطلبه أن يأخذ له مهلة عشرة أيام، ويقيم ببستان سليمى، فكلّم فيه الشريف عبدالكريم في ذلك، فامتنع، وأبى إلا أن يسير من وقته من حيث جاء وإلا فلا أدعه أبداً.

فرجع الشريف محمد بن عبدالله وأخبره بما قاله الشريف عبدالكريم، فسار

---

(١) كان للشريف سعد بن زيد ابنتان عرفتا بالتقوى والصلاح، وهما الشريفة سعدية، والشريفة عيناء (هامش منائح الكرم ٥/٣٣٣).

(٢) في الأصل: سعد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٣٩).

(٣) بستان سليمى يقع شمال شرق الهميجاء (هامش منائح الكرم ٥/٣٣٤).

ماراً ببستان سليمى، وبات بالزيماء[١]، وتفرّق مَنْ بقي معه من العربان، فرجع الشريف عبدالكريم عند ذلك إلى مضاربه بالمحصب، وبات هناك، ودخل صبيحة يوم الأربعاء ثامن الشهر في آلاي أعظم بجميع عساكر مصر وعساكر الباشا، إلى أن وصل منزله، وجلس للتهنئة، وامتدحه الأدباء.

ثم إن الشريف سعد لما وصل إلى كلاخ[٢] تيامن عن طريق عَفَار[٣] إلى الليث[٤]، ثم إلى القوس[٥]، ونادى في بني علي[٦] وبني

---

(١) الزِّيْمَة -الزيماء-: قرية قريبة من سولة بوادي نخلة اليمانية، تشتهر بكثرة بساتينها، على بعد ٤٥ كيلاً على طريق الطائف مكة القديم (انظر: معجم البلدان ١٦٥/٣، ومعجم معالم الحجاز ١٥٠/٤، ومعالم مكة ص:١٢٤).

(٢) كلاخ: قرية وسط وادي كلاخ، وهو وادٍ كثير القرى جنوب الطائف على مسافة ٤٦ كيلاً، وهي تابعة للنفعة وغيرهم من عتيبة (معجم معالم الحجاز ٢٢٤/٧، والمعجم الجغرافي ١٢١٩/٣). وقال ياقوت الحموي (٤٧٤/٤): كلاخ: موضع قرب عكاظ.

(٣) عفار: موضع بين مكة والطائف (انظر: معجم البلدان ١٣١/٤، ومعجم معالم الحجاز ١١٩/٦).

(٤) الليث: واد وبلدة في الجنوب الغربي من الحجاز، يأخذ وادي الليث من السراة الواقعة جنوب الطائف على قرابة سبعين كيلاً فيدفع غرباً بين وادي يلملم شماله والشاقة السامية جنوبه، وهو واد فحل كثير القرى والزرع، يمر على ١٥٠ كيلاً تقريباً جنوب مكة. أما بلدة الليث فهي على مصب ذلك الوادي في البحر جنوب جدة بحوالي ٢٠٠ كيل (معجم معالم الحجاز ٢٦٩/٧-٢٧٠).

(٥) أي قوس الغزيري. وبالبحث عنه لم أجد تعريفاً للاسم كاملاً، إنما وجدت القوز فقط، حيث ذكر حمد الجاسر في المعجم الجغرافي (١١٩٣/٣) أن القوز قرية من قرى الليث، وهذا ربما يكون الموقع.

(٦) بنو علي: بطن من بني دوس من زهران (معجم قبائل الحجاز ص:٣٤٦).

عُمَر[١]، وبقية قبائل زهران[٢] وغامد[٣]، وأطمعهم في أخذ القنفذة وما فيها من الأموال، فأجابوه، فأخذوا القنفذة.

فلما بلغ الخبر الشريف عبد الكريم أرسل إليهم عسكراً من عسكر الوزير سليمان باشا من طريق البحر، وأمَّرَ عليهم مملوكاً[٤] للشريف أحمد بن زيد، فوصلوا القنفذة، وحاصروا أولئك القوم، فخرجوا منها ونزلوا بمداسة[٥] علو دَوْقَة[٦]، واجتمع إليهم كثير من العربان، حتى بلغوا ثلاثة آلاف، ومعه خمسة

(١) بنو عمر: بطن من بني سفيان من ثقيف، لهم شفا يعرف باسمهم جنوب الطائف على ٣٠ كلم (معجم قبائل الحجاز ص: ٣٥٠).

(٢) زهران: بطن من الأزد كان ولا زال يسكن السراة التي كانت تعرف بسراة الأزد، وتعتبر من القبائل الرئيسية الشهيرة في جنوب الحجاز، وتقع ديارها جنوب الطائف على (١٩٠) كيلاً، يحدها شمالاً بنو مالك، وشمالاً شرقياً بلحارث، وشرقاً وجنوباً شرقياً غامد، وجنوباً غربياً زبيد (من حرب) والأشراف ذوو حسن بن عجلان، وغرباً الساحل وبعض ديار الأشراف ذوو حسن (معجم قبائل الحجاز ص:١٩٩).

(٣) غامد: هم بنو غامد بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر. كانت ديارهم من القديم مجاورة لديار زهران، وتقع ديار غامد اليوم في السراة على (٢١٥) كيلاً جنوب الطائف، وتميل بطون عديدة منها إلى تهامة، ولها قرى وأودية زراعية هناك. وتنقسم غامد إلى: حاضرة وبادية. فالحاضرة هم سكان مدن: الباحة، وبلجرشي، والظفير، ومن البادية: رفاعة، والزُّهران، والحلَّة، وآل طالب، والقنازعة، وفرع من بني كبير، والهجاهجة، وآل سُلّم، والزوايع (معجم قبائل الحجاز ص: ٣٧٧).

(٤) هو إيواز آغا (منائح الكرم ٥/٣٣٩).

(٥) مداسة: ذكرها حمد الجاسر في المعجم الجغرافي (٣/١٢٩٢) باسم: مدسة، وهي من قرى إضم بمنطقة الليث.

(٦) دوقة: وادٍ على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكوا تهامة، بينه وبين يلملم ثلاثة أيام، وهو من أودية القنفذة المأهولة، وفيه قرية بهذا الاسم وتقع جنوب الليث (معجم البلدان ٢/٤٨٥، ومعجم معالم الحجاز ٣/٢٤٠).

أشراف، فخرج الشريف عبدالكريم من مكة لملاقاهم وحرهم ومعه الشريف عبدالمحسن، وكثير من الأشراف والعساكر، وكان قد أرسل قبله جماعة من الأشراف وغيرهم مدداً لمن كان هناك، وأمرهم بالتؤدة إلى أن يصلهم، فكان من قدر الله أن وقعت الملاقاة بين الفريقين قبل وصوله، واشتدّ القتال، وكادوا أن يهربوا لكثرة مَنْ مع الشريف سعد من العرب، ثم هبَّتْ عليهم ريح النصر، فانكسرت قبائل الشريف سعد، وطلب الشريف سعد منهم الذمة ثلاثة أيام، فسمحوا له بذلك بشرط أن يرحل ويدخل الحجاز، فلم يرد لهم جواباً، وكان ذلك بمداسة.

فلما كان اليوم الثالث من أيام الذمة، لم يشعروا إلا وقد دهمهم[1] بعد أن أفسدت قبائله قبائلهم، فلما ظهر للأشراف ذلك انحاز بعضهم إلى قوم الشريف سعد. وأما جماعة الشريف عبدالكريم فترفعوا وعادوا إلى دَوْقَة، فلما بلغوا دَوْقَة وجدوا بها الشريف عبدالكريم، فتقوّوا به، ورجعوا إلى قتال الشريف سعد، فلما علم بذلك القبائل الذين معه تفرقوا عنه، ولم يَبْقَ معه أحد، فقصد الشريف سعد أرض غامد، وليس معه إلا ثلاثة أو أربعة من الخيل، ومثلها من الركاب، فأقام الشريف عبدالكريم بالقنفذة، وجهز أخاه الشريف حامداً إلى الطائف ومعه مائتان خوفاً من أن الشريف [سعداً][2] يقصد الطائف، فلما دنا من الطائف بلغه أن الشريف سعداً سبقه إليه،

---

(١) دهمهم: أغشوهم فجأة (لسان العرب، مادة: دهم).

(٢) في الأصل: سعد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٠).

[ودخل][1] الطائف ومعه نحو ألف وثلثمائة من غامد وزهران، وذلك لستّ وعشرين خلت من رمضان، ونادى فيه لنفسه، وخرج متوجهاً إلى مكة، والتفّ على من معه كثير من العربان وغيرهم، حتى صاروا أمماً كثيرة.

وأما السيد حامد فدخل الطائف ونادى فيه لأخيه الشريف عبدالكريم.

ولما بلغ ذلك الوزير سليمان باشا جمع محضراً حضره القاضي والمفتي والعلماء، والسادة الأشراف، وأكابر العساكر عند مقام الحنفي في الثامن والعشرين من رمضان، وقال لهم الباشا: إن الشريف سعداً جمع جموعاً وقصده مكة وأخذها بالغلبة، والحال: أنه نزل عنها لولده الشريف سعيد سابقاً؛ لادّعائه العجز عن القيام بها، وإنا عزلنا ابنه الشريف [سعيداً][2] لعدم رضا بني عمه [به][3]، حيث قطع معاشهم، ووقع بذلك فساد الطرق، وقتل العالم، ونهب الأموال، وتولّد من ذلك ما شاهده العالم من القحط[4] والغلاء، ووضعنا محل الشريف ابن عمه الشريف عبدالمحسن، ثم إنه نزل عن طيب نفس وانشراح صدر للشريف عبدالكريم؛ لما رأى فيه من الصلاح، وقد صلحت معه العباد والبلاد، وأمنت الطرق، وعاش الناس، فقال كلُّ مَنْ في المجلس: نعم، لا يصلح لها إلا هو.

---

(١) في الأصل: ووصل. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٠)، ومنائح الكرم (٥/٣٤١).

(٢) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤١).

(٣) قوله: "به" زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنائح الكرم (٥/٣٤٣).

(٤) كما حدث في عام ١١١٥هـ.

ثم قال: أعرضنا على الأبواب بعد رضاء أهل الحلّ والعقد، ثم نسأل الحاضرين عن الحكم في هذا المتغلب، فقالوا: على عسكر السلطان وعونة الإسلام دفعه وقتاله. فحكم القاضي بذلك، وكتب بموجب ذلك حجّة، فأجاب جميع العساكر بالسمع والطاعة والخروج لدفع هذا المتغلب.

فلما كان يوم التاسع والعشرين من رمضان حملوا سلاحهم، وباتوا ليلة الثلاثين مظهرين الاستعداد للمقاتلة، ونزلوا في المتارس، فلما أقبل الشريف سعد بقومه نزلوا عن متارسهم بغير قتال، والله أعلم بحقيقة الحال.

وبلغنا أن الشريف [سعداً][1] لما رجع إلى غامد وزهران جاءه بعض الرمّالين[2]، فقال له: إني أرى لك أنك تلي أمر مكة، ولابد لك من دخولها، ولكن إن أمضيت مجدّاً في السير هذا، فإنك تملكها ما دام الشريف عبدالكريم بأرض اليمن.

فعند ذلك جدَّد العزم، وسار مُجدّاً في ليله ونهاره، قاطعاً للجبال[3] والرمال برجله؛ لعدم سلوك الخيل مركوبة في تلك الأماكن، فما راع الناس صبح الثلاثين من رمضان إلا وهو بالأبطح[4].

---

(١) في الأصل: سعد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤١).

(٢) الرمّالون: من يتعاطى علم الرمل، وهو علم يبحث فيه عن المجهولات (المعجم الوسيط ٣٧٤/١).

(٣) لأن هذه المنطقة جبلية وعرة، فيها سلسلة جبال السراة.

(٤) الأبطح: تقدم التعريف به.

وكان مولانا الشريف عبدالكريم بأرض اليمن، ولم يكن بمكة من الأشراف إلا شرذمة قليلة، وكان قائمقام الشريف عبدالكريم بمكة السيد محمد بن عمرو بن محمد بن بركات، فتهيّأ بِمَنْ معه من الأشراف، واستعان بعسكر الوزير سليمان باشا ومَنْ تلفّق معهم، فأطلعوهم على جبال المعلا المتصلة بالمعابدة، وجعلوا عسكر مصر الإنقشارية على جبل أبي قبيس، وركب هو ومن معه من الأشراف وتبطنوا[1] وادي إبراهيم[2] المعروف بالخريق[3]، ومعه بعض العسكر، ورموا بالرصاص إلى أن تكاثر عليهم العربان، وانتشروا في الجبال كالجراد.

ونزلت العساكر من مراكزهم، فملكها حينئذ جماعة الشريف سعد، وصار رميهم بالرصاص يصل إلى محل وقوف الأشراف بالخَرِيق.

---

(١) أي: نزلوا إلى بطن الوادي متحصنين به.

(٢) وادي إبراهيم: هو الوادي الذي يقع فيه البيت الحرام، منابعه من ثبير غيناء وثبير النصع وجبل الطارقي وحراء، ثم يدفع غرباً ماراً بين الحجون والخنادم، ثم بالمسجد الحرام، ثم بالمسفلة حتى يدفع في وادي عرنة شمالاً (معجم معالم الحجاز ٢٩/١).

(٣) الخريق: هذا أحد المواضع المسماه بالخريق، وهناك خريق العشر، وخريق الموالي.

فلما وصل الشريف سعد بستان الأزمرلي علمت الأشراف أن لا قدرة لهم عليه، فخرجوا من مكة، ودخلها الشريف سعد ضحوة النهار من أعلى مكة من غير مقاومة ولا مقاتلة.

وتغلبت البادية التي مع الشريف سعد على النهب من كل جهة، فنهبت البيوت، وأخذوا ما وجدوا من نقود، وقوت، وماعز، وهان من متاع وأثاث، وأراعوا الذكور والإناث، فكم من رجل نزعت من فوقه ثيابه، وكم من حرّة شريفة هتكت، وكاسية سلبت، وحامل أسقطت، فما زالوا ينهبون الرفيع والوضيع، ويسومونهم الضرب والتقطيع حتى دخل الليل، فمن الناس من مات فجأة، ومنهم من مرض، ومنهم من اختبل[١].

وفي إتحاف فضلاء الزمن[٢]: ونادى الشريف سعد في مكة لنفسه، ونزلت عربه ونهبت مكة جميعها في ساعة رملية، حتى بيوت الأشراف، فهذا النهب أول من سَنَّهُ بمكة الشريف سعد، وتبعه الملوك الذين بعده، وقد كان قديماً تحصل الحرائب بين الأشراف والسوق عامر، والأبواب مفتحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم نادى مناديه بالكف عن النهب. انتهى.

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٣٧-١٤٢). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٥/٣٢٤-٣٤٧). وانظرها مختصرة في: إتحاف فضلاء الزمن (٢/٢٤٤-٢٤٩).
(٢) إتحاف فضلاء الزمن (٢/٢٤٩).

فلما حلَّ الشريف سعد دار السعادة أرسل إلى سليمان باشا بالأمان لِيُسَكِّن الشأن، غير أنه لم يأمنه، فجمع الباشا جميع جنده عند بابه، وملأ المدافع، وفرّق بعض العسكر في البيوت حوله أياماً عديدة، والشريف سعد يأمره بترك ذلك [ويقول له: أنت آمن على نفسك ومالك، فقال: ليس إلى ترك هذا سبيل، والله حسبنا ونعم الوكيل][١]، [ثم أرسل][٢] إليه يقول له: أنت من الوزراء وأرباب الدولة، فلا بأس أن [تلبسني][٣] خلعة[٤] التشريف لتأمن العباد والبلاد، ويطيع الحاضر والباد، فلم يجبه إلى مطلوبه معتمداً على استعداده.

فلما أيس من ذلك أمر الشريف سعد بمجلس في الحرم الشريف حضره القاضي، والمفتي، وجماعة من العلماء، وبني عمه، فلما تكامل المجلس نزل لهم بنفسه، وقال: اعلموا أيها الناس أني كنت نزلت عن شرافة مكة لولدي سعيد، فلما لم يصلح لها عزله [بنو][٥] عمه، وولّوا ابن عمه عبدالمحسن، ثم إنه نزل عنها للشريف عبدالكريم، فالتمست منه إقامة أودي[٦]، فأبى بعد الرضا

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٤٢)، ومنائح الكرم (٣٤٨/٥).

(٢) في الأصل: وأرسل. والتصويب من خلاصة الكلام ومنائح الكرم، الموضعان السابقان.

(٣) في الأصل: تلبس. والتصويب من خلاصة الكلام ومنائح الكرم، الموضعان السابقان.

(٤) لبس الخلعة هنا كناية عن الاعتراف الرسمي بشرافته.

(٥) في الأصل: بني. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٤٢).

(٦) المقصود هنا أن الشريف عبدالمحسن لم يولي الشريف سعد ما أراد من توليته ولاية نجد.

بذلك، فوثبت عليها الآن[١]، فهل ترون أني أحق بها وأهلٌ لها؟ فقال الجميع: نعم. فقال: اذهبوا إلى سليمان باشا وألزموه أن يُلبسني خلعة التشريف، لتقرّ العباد والبلاد.

فذهبوا إليه، فقال: أمر سهل، لكن على شرط أن يكتب حجة شرعية تتضمن: أن الشريف سعيداً قد أفسد البلاد وأضرّ بالعباد، وأن ذلك [سبب][٢] قيام بني عمه عليه، وعزلهم له، وأنهم ولّوا عبدالمحسن برضاهم، وأنه نزل عنها بطيب نفسه للشريف عبدالكريم برضاه ورضى بني عمه الأشراف؛ لكونه أحق بهذه الشرافة، وأصلح لها، وأنه خرج لإصلاح بعض الطرقات، فتغلب عليها الشريف سعد بسبب غيبته، ودخل مكة. فأنهى ذلك إلى الشريف سعد، فعجّل بإذنه بكتابة ذلك، فكتب بذلك حجة، وأرسل له الباشا قفطاناً ألبسه إياه بعد أخذ الحجة، فنادى مناديه في شوارع مكة سادس [عشر][٣] شوال بالأمان والاطمئنان، وأن البلاد بلاد السلطان وبلاد الشريف سعد[٤].

الولاية الرابعة للشريف سعد

وهذه الولاية الرابعة، ومدتها ثمانية عشر يوماً.

وثاني يوم النداء -سابع عشر شوال- جاء الخبر أن الشريف عبدالكريم

(١) المقصود بذلك أخذ الشرافة.
(٢) في الأصل: بسبب. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٤٢)، ومنائح الكرم (٣٤٩/٥).
(٣) قوله: "عشر" زيادة من منائح الكرم، الموضع السابق.
(٤) خلاصة الكلام (ص:١٤٢). وانظر: منائح الكرم (٣٤٧/٥-٣٤٩).

في الحسينية قافلاً من اليمن، ومعه بنو عمه وقبائل من عتيبة وحرب، واستمر هناك إلى الظهر، وانتقل منها إلى المَفْجر[١]، فقاومته هذيل، وقوّموا شرار الحرب، وكانوا مع الشريف سعد، جمعهم له السيد أحمد بن جازان معونة له، فحمل عليهم جماعة من عتيبة[٢] وحرب[٣] الذين كانوا مع الشريف عبدالكريم، فأثخنوا فيهم الجراح، وطردوهم عن مواقفهم.

وأما الشريف سعـــد فإنه لما بلغه انتقال الشريف[٤] ومسيره بِمَنْ معه إلى

---

(١) المفجر: سمي مفجراً، لما فجر فيه وسفك فيه من الدماء وانتهك من حرمة الحرم (الأزرقي ١٠٦/١). والمفاجر في مكة ثلاثة: المفجر الغربي: فجّ يفصل بين جبال مكة وجبل ثور جنوب مكة، يأخذه طريق كُدي إلى منى وعرفات.

والمفجر الأوسط: فجّ تخرج فيه من المحصب بصدر مكة إلى جهات جنوب منى في حي العزيزية "حوض البقر" سابقاً.

والمفجر الشرقي: فجّ في طرف مزدلفة من الشمال، يفصل بين ثبير النصع وثبير الأثبرة، يخرجك إلى وادي أفاعية وجبل حراء. والمقصود هنا المفجر الأوسط (معجم معالم الحجاز ٢١٨/٨).

(٢) عُتَيْبة: تقدم التعريف بها (ص: ٤٨١).

(٣) حرب: قبيلة يمانية النسب حجازية الوطن، تنسب إلى حرب بن سعد بن سعد بن خولان، ديارهم تمتد من القنفذة في جنوب مكة إلى حدود العراق. وتنقسم قبيلة حرب اليوم إلى فرعين عظيمين هما: بنو سالم، ومسروح (معجم قبائل الحجاز ص:١٠٧-١٠٨).

(٤) الشريف عبد الكريم.

المفجر، خرج ظهر الاثنين السابع عشر من شوال بِمَنْ معه من الأشراف مكملون [اللبسة بالدروع][1]، وهم خمسة وأربعون، ومعه من بقي ممن كان معه من العرب، وصعد بِمَنْ معه إلى أعلى مكة، ونزل المنحنى.

وأما الشريف عبدالكريم ومن معه من الأشراف والعرب، فإنهم بعد هزيمة هذيل شمّروا عن ساعد الجدّ، ودخلوا جميعاً سائرين إلى أن وصلوا المحصب، فانصبّ عليهم الرصاص من الجبال المحدقة بالمحصب، فلم يبالوا بذلك، إلى أن شارفوا الشريف سعداً ومن معه، فوقع القتال، ووقعت مطاعنة من الأشراف في بعضهم البعض، فضربت فرس الشريف سعد برصاصة فوقعت به على الأرض، ونودي عليه، فدخل على السيد عبدالمعين بن محمد بن حمود، فأكبَّ عليه ومنعه من الطعن، ويقال: إنه طعن ثلاث طعنات، فأركبه على فرسه، وحضنه، ومضى به إلى العابدية[2]، ووقع انكسار شنيع بقبائله، وذلك عند غروب الشمس من ذلك اليوم، وحصل قتل في جماعته، وهرب مَنْ هرب، منهم ابن جمهور العدواني.

ودخل الشريف عبدالكريم والشريف عبدالمحسن مكة بين المغرب والعشاء، [ونزلا][3] على سليمان باشا، وتلاهم مَنْ معهم من الأشراف وسيوفهم شاهرة في أيديهم، ورماحهم مشرعة على أكتافهم،

---

(١) في الأصل: ألبسة الدروع. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٤٣)، ومنائح الكرم (٣٥٠/٥).

(٢) العابدية: عين مشهورة كانت تنبع من وادي نعمان ثم تسقي أرضاً خصبة على التقاء عرنة بنعمان. وفي سنة ١٣٩٩هـ ضربت إبر ارتوازية (طلمبات أعماق) في وادي نعمان فجف ماء العين وتوقفت عن الجريان (معجم معالم الحجاز ٩٩/١٠).

(٣) في الأصل وخلاصة الكلام: ونزل. والتصويب من منائح الكرم (٣٥١/٥).

إلى أن دخلوا بيوتهم، ثم نودي في تلك الليلة بالأمان، وأن البلاد بلاد الشريف عبدالكريم[١].

الولاية الثانية للشريف عبدالكريم

وهذه الولاية الثانية للشريف عبدالكريم، وإن كان الشريف سعداً أخذها بالغلبة.

وحال نزوله بيت الباشا، أرسل للرئيس وأمره بأذان العشاء وإقامة الصلاة، فامتثل الرئيس ذلك، فأقيمت الصلاة، ثم بعد الصلاة رجع إلى المحصب ومعه تلك البادية، وبات تلك الليلة هناك، ودخل في الصبح ثامن عشر شوال في آلاي عظيم، وكان جماعة ممن كانوا مع الشريف سعد لما فرّوا هاربين دخلوا دار السعادة، وجماعة دخلوا دار جوهر آغا وغيره من البيوت، وجماعة في جبل أبي قبيس بزاوية الشيخ بابقي والبيوت التي حوله، فأقاموا يومهم وليلتهم محاصرين إلى الضحوة الكبرى. ثم أرسل الباشا مدافع وعسكراً، ورموا بالمدافع إلى الأماكن التي فيها أولئك المحاصرون، فكسرت الأبواب، فدخل العسكر وقتلوا من كان هناك، وربطوا جماعة وذهبوا بهم إلى بيت الباشا، فقتلوا هناك، واستمر القتل بقية ذلك النهار حتى لم يَبْق إلا من توارى، ثم تتبعوا من كانوا في جبل أبي قبيس فقتلوهم، حتى وصلوا بالقتلى إلى

(١) خلاصة الكلام (ص:١٤٢-١٤٣). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٥/٣٤٩-٣٥١).

الصفا، وكانوا نحو الستمائة، وكان يوم سخط، وكل محل من مكة تجد فيه القتلى. قيل: إن عدة القتلى في ذلك اليوم ألف ومائتا رجل، حتى عجز الناس عن مواراتهم، وصاروا يحملونهم على [العجلات][(١)] ويرمونهم من [رواشن][(٢)] دار السعادة وأسطحتها إلى الأرض، فيجرونهم جرّ الرمم، ويلقونهم في العجلات، ويحفرون لهم حفراً، ويلقونهم فيها، وجمعت الرؤوس في حوش الشريف، وحملت في الخَيْش[(٣)]، وبني منها رضم على خارجة سبيل السلطان مراد في المعلا ليعتبر المارّ بهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

واستمر الشريف سعد بالعابدية مريضاً، حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد خامس ذي القعدة سنة ست عشرة ومائة وألف، وغسّل، وصلّى عليه الشيخ عبدالقادر المفتي الصديقي [بوصاية][(٤)] وعهد منه إليه، وطلع في جنازته الشريف عبد الكريم وجميع الأشراف، ودفن في قبة الشريف أبي طالب عند والده الشريف زيد[(٥)].

---

(١) في الأصل: العجلان. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٤٤).

(٢) في الأصل: رواشين. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنائح الكرم (٣٥٣/٥).

(٣) الخيش: ثياب تتخذ من مُشاقة الكتان ومن أردئه (المعجم الوسيط ٢٦٥/١).

(٤) في الأصل: بوصايته. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٤٤)، ومنائح الكرم (٣٥٤/٥).

(٥) انظر: منائح الكرم (٣٥١/٥-٣٥٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢٥٢/٢)، وقد ازيلت هذه القبة.

وقد تبيّن لك أن ولايات الشريف سعد على مكة أربع مرات؛ فالمرة الأولى مدته فيها: ست سنوات إلا إحدى وعشرين يوماً، والثانية: سنتان، والثالثة: سبع سنين، وسبعة أشهر، واثنا عشرة يوماً، والرابعة: ثمانية عشر يوماً. فمدة الولايات الأربع: خمس عشر سنة، وسبعة أشهر، وتسعة أيام، وولادته سنة اثنتين وخمسين وألف، فيكون عمره: أربعاً وستين سنة.

وفي هذه الفتنة قبل وصول الشريف عبدالكريم من اليمن تعطلت جميع الطرقات والجهات، وصارت الناس تؤخذ من المعلاة والشبيكة والمسفلة، وقلّ أن تجد أحداً يمشي منفرداً وحده فيها[١]؛ لكثرة العربان وانتشارهم، وكثر القتل والنهب سيما[٢] جهة المعابدة.

وفي اليوم الحادي والعشرين من شوال ورد إلى الشريف عبدالمحسن مكاتيب من ينبع من قبل السيد عبدالله بن بركات يخبر: أن الشريف سعيداً قدم من الجابرية إلى ينبع، ومعه من لفائف العرب جماعة يريد أخذ البندر، لما بلغه أن أباه دخل مكة، فخرجنا له ورددناه، فرجع إلى الجابرية وأقام بها.

وبعد استقرار الشريف عبدالكريم بمكة كتبت عروض منه ومن سليمان باشا عليها خطوط العلماء والأشراف بشرح ما قد صار، فلما وصلت إلى مصر أخّروها بمصر؛ لتواطئ بين أيوب بك أمير الحج المصري وبين الشريف

(١) في هذه العبارة يبين المؤلف سوء الأحوال الأمنية في مكة المكرمة.

(٢) أي لا سيما من جهة المعابدة لوجود الأعراب من عتيبة وغيرهم فيها.

سعيد؛ لما كان في نفس أيوب بك[١] من صاحب جدة، وكتبوا من مصر عروضاً غيرها، وأرسلوها إلى الأبواب السلطانية، مضمونها: أن صاحب جدة[٢] عزل الشريف سعيداً وولى الشريف عبدالكريم من غير جناية.

فلما وصلت إلى الأبواب السلطانية أمر الوزيرُ الأعظم[٣] صاحب مصر أن يجهز عسكراً تجريدة ليرجعوا الشريف سعيداً إلى مكانته، ويكون باشا التجريدة أيوب بك.

فلما جاءهم الأوامر السلطانية توافق صاحب مصر مع أيوب بك أمير الحج المصري وإيواز بك على إرسال التجريدة إلى مكة إعانة للشريف سعيد، فكان الأمر كذلك، ثم بعد ذلك أطلقوا الوارد بعروض الشريف عبدالكريم وعروض سليمان باشا صاحب جدة، فوصل بها إلى الأبواب، فأراد الوزير كتمها، فنما خبرها إلى السلطان أحمد[٤]، فأمر بإحضارها، فقرئت بين يديه، فاستدرك الأمر، وكتب إلى سليمان باشا صاحب جدة بأن ينظر فيما هو الأصلح للحرمين، وفوّض إليه الأمر أن يولّي[٥] مَنْ فيه الإصلاح، فجهّز صاحب مصر التجريدة وجعل إيواز بك باشا [التجريدة][٦]، وأيوب بك أمير

(١) لما في نفسه من ميل إلى تعيين الشريف سعيد على شرافة مكة.

(٢) الوزير سليمان باشا (منائح الكرم ٣٥٧/٥).

(٣) وكان الوزير محمد رامي باشا (تاريخ الدول الإسلامية لأحمد زيني دحلان ص:١٠٧).

(٤) السلطان أحمد خان بن السلطان محمد الرابع.

(٥) في الأصل زيادة: فيه. انظر: خلاصة الكلام (ص:١٤٥)، ومنائح الكرم (٣٥٨/٥).

(٦) في الأصل: التجزيدة. وهو تصحيف.

الحج المصري، وعجّلوا بخروجهم، وباعوا حبّ السلطان[١] المعيّن لأهالي مكة، واستعانوا بثمنه على ما أرادوه، فورد إيواز بك بالتجريدة إلى ينبع في ذي القعدة، وسألوا عن الشريف، فأخبروا أنه بالجابرية، فبعثوا إليه واستدعوه، فاعتذر إليهم بعدم وجود لوازم الهمة العلية مما يحتاج إليه في هذه القضية، فبعثوا إليه بما يليق بمقامه من جهازه، وخدمه، وطعامه، فأقبل إلى إيواز بك فخلع عليه قفطان الشرافة الوارد صحبته مع محمود آغا -أحد أغوات السلطان أحمد- ونادى له بينبع.

ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة ورد مكة سبعة أنفار من [غزى][٢] مصر، ودخلوا إلى قاضي مكة وبيدهم كتب من إيواز بك أمير التجريدة ومن الشريف سعيد، وفيها خطاب لقاضي مكة وللسرادير، ومضمونها: أن السلطنة أنعمت على الشريف سعيد بشرافة مكة، فأنتم أطيعوا الله والرسول والسلطان، وإياكم والمخالفة، وقد ألبسناه قفطان الشرافة الذي ورد به محمود آغا صحبتنا -وهو أحد أغوات السلطان أحمد-، وهو وارد صحبتنا، ووقع هذا حال ورودنا ينبع ثالث شهر ذي القعدة. فوقع بمكة بموجب هذا الشأن رجّة عظيمة.

فلما بلغ ذلك الشريف عبدالكريم، أرسل إليهم، وسامهم القتل،

(١) السلطان سليمان بن سليم (منائح الكرم ٣٥٨/٥).
(٢) قوله: "غزى" زيادة من منائح الكرم (٣٥٩/٥)، وفي خلاصة الكلام: غز. وهم الأتراك المقيمين بمصر.

وحبسهم إلى الظهر، ثم أطلقهم، ثم شاع ما ينافي ذلك، وأن القفاطين إنما أرسلت باسم الشريف عبدالكريم، وأن هذا الأمر مزيف، وسببه قيام أيوب بك أمير الحج المصري مع الشريف سعيد لغرض في نفسه.

ثم جعل الشريف عبدالكريم محضراً في المسجد، جمع فيه القاضي، والمفتي، والعلماء، والأشراف، وكبار العسكر، واجتمع معهم كثير من الناس، فقال الشريف عبدالكريم: اعلموا أني دخلت مكة وقد حلّ بها ما حلّ من الغلاء وانقطاع الطريق، وهذا كله سببه الشريف سعيد وحكامه. فقال الناس: صدقت. ثم قال: هل تشهدون أني ظللت البلاد، وأرحت العباد، وأمنت الناس بعد أن وُلّيت؟ قالوا: نعم. ثم قال: هل حدث مني من المظالم ما يوجب رفعي عنها؟! قالوا: حاشا لله. قال: هل ترضون بولايتي عليكم، أو ترضون بولاية الشريف سعيد؟. قالوا: لا نرضى إلا بك.

قال: هؤلاء الأتراك يريدون تولية سعيد وعزلي. فقالت العامّة: باطل، باطل، عن لسان واحد.

ثم إن الأشراف الحاضرين وقع منهم تهديد للقاضي ولمن حضر من العساكر المصرية، وقالوا: لا نسلم لما جاء به إيواز بك ولو كان معه أمر سلطاني بولاية الشريف سعيد، فنحن لا نعصي أمر السلطان، غير أن السلطان لا يرضى علينا الخلاف، ولا يولّي علينا إلا مَنْ نرضاه.

فسجّل القاضي صورة ما وقع في هذا المجلس، وكتب به حجة، ووضعت خطوط الأشراف والعلماء والسرادير عليها، وبعثوا بها إلى إيواز بك، فأجاب:

أن صحبتنا أغاة من أغوات السلطان معه أمر سلطاني ناصّ: بأن شريف مكة لا يكون إلا سعيداً، وليس لنا قصد إلا الإصلاح، ولم نؤمر إلا به، فإذا وصلنا نحن والشريف سعيد إليكم أشرفناكم على ما أُمرنا به، ويحصل هناك الاتفاق إن شاء الله تعالى، فأعاد إليه الشريف عبدالكريم والسادة الأشراف: أن دخول الشريف سعيد غير صلاح، وإنما يجلس في موضعه إلى أن يفرغ الناس من الحج، ثم ندعوه إلى مكة وننظر الأمر، فقال إيواز بك: لا بد من دخوله صحبتنا.

فأرسل إليه الشريف عبدالكريم والأشراف يقولون: إذا دخلتم به فما عندنا إلا السيف، فاجهدوا ونجهد، فعند ذلك تخلف إيواز بك بمن معه من العسكر التجريدة، وجلسوا ينتظرون قدوم الحاج المصري بالجموم من وادي مَرّ، وصمم الشريف عبدالكريم على منعهم من الدخول بالشريف سعيد أو يقاتلهم، فخرج رابع ذي الحجة إلى بئر طوى في عبيده، وتلاحقته [بنو][1] عمه الأشراف، فما غربت الشمس إلا وقد اجتمع عنده نحو ألف مقاتل من حرب وعتيبة وغيرهم، وأصبح ذلك الوادي وهو بحر غاصّ بالبوادي، واستمر إلى سادس ذي الحجة.

ومن الغريب أنه ورد ثاني ذي الحجة على سليمان باشا وهو بجدة أمر

---

(١) في الأصل: بني. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٤٦)، ومنائح الكرم (٣٦٢/٥).

سلطاني من البحر مضمونه: إبقاؤه على جدة وزيادة سواكن[١]، وأنا أبقيناك على ما في يدك من تفويض أمر [الحرمين][٢]، والأمر إليك في ولاية من ترى فيه الصلاح للبلاد والرعية، ولمن يرضاه أهل الحلّ والعقد ويرون فيه الصلاح، وعزل مَنْ ثبت فساده.

فبعث سليمان باشا للشريف عبدالكريم يخبره بذلك، فارتاضت نفسه عند ذلك، وعلم أن الله ناظر إليه، فألبس القاصد، ودقّ الزير، وأظهر السرور، واستفاض [الخبر][٣] عند القاصي والداني، ففرح الناس بهذا الأمر.

ثم إن سليمان باشا خرج من جدة، ونزل طوى مع مولانا الشريف عبدالكريم ثالث ذي الحجة.

ثم لما كان خامس الشهر دعى سليمان باشا بالقاضي، والمفتي، وبعض العلماء، وأكابر العسكر المصرية الذين بمكة ما عدا عسكر [الإنقشارية][٤]،

---

(١) ورثت الدولة العثمانية ممتلكات الدولة المملوكية في كل من مصر والحجاز واليمن، ثم أخذت في التوسع في الساحل الغربي للبحر الأحمر، حيث سيطرت على مصوع وسواكن، وأطلقت على هذه المنطقة اسم ولاية الحبش، رغم أن الحبشة لم تدخل تحت سيطرة الدولة العثمانية. لكن أطلق هذا الاسم لأنه المخرج لبلاد الحبشة، ووضعت هذه الولاية تحت إشراف والي جدة، وكان يحكمها عن طريق أحد الأغوات حتى عام ١٨٦٥هـ (نوال ششة - جدة في مطلع القرن العاشر الهجري ص:٩٠-٩١، محمد ثابت الفندي وآخرون - دائرة المعارف الإسلامية ٣٢٢/١٢-٣٢٣).

(٢) في الأصل وخلاصة الكلام: الحرب. والمثبت من منائح الكرم (٣٦٣/٥).

(٣) قوله: "الخبر" زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٤٧)، ومنائح الكرم (٣٦٣/٥).

(٤) في الأصل. الإنفشارية. وكذا وردت في جميع المواضع التالية، والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٤٧).

فإنهم لم يحضروا، واجتمع الجميع بطوى عند الشريف عبدالكريم والوزير سليمان باشا، وتشاوروا في هذا الأمر، واتفقوا على أنهم يرسلون لإيواز بك ومن معهم ويعذلونهم[١] عمّا في نفوسهم، ويحذّرونهم فتكة بني حسن الأشراف، ويعرفونهم بما جمعوا من العرب[٢]، وأن هذا أمر يترتب عليه إبطال الوقوف بعرفة وأداء المناسك، والسلطان لا يرضى بذلك، فإن كان معكم أمر[٣] فابعثوا به إلينا، ونحن مطيعون لأمر السلطان، فكتبوا ذلك كله، وبعث القاضي بالكتاب مع جوخداره وبعض البلكات، فلما قرؤوه اضطربوا وشارفوا الانقياد إليه، إلا أنه كان من قضاء الله وقدره أن سليمان باشا نزل إلى القاضي بالمحكمة سادس ذي الحجة قبل ورود الجواب إليه من إيواز بك، وأراد أن يجمع وجوه الناس عند القاضي ويظهر أمره الذي بيده ليشهد عليه الناس، وليشهد الناس باستحقاق الشريف عبد الكريم، وأن عزله الشريف سعيد وقع في محله.

فلما اجتمع الناس بالمحكمة ثارت الإنقشارية على الباشا والقاضي والعلماء، وربما شهرت السيوف في المسجد، فهرب الناس ولم يَبْقَ إلا الباشا وحده عند القاضي، فأخرج القاضي صورة أمر قرئ بحضرة الباشا والعسكر الإنقشارية، مضمونه: أنّا قد ولّينا الشريف سعيداً مكة، [ورددناه][٤] إليها

(١) العذل: اللوم والتقريع (انظر: لسان العرب، مادة: عذل).
(٢) القبائل السابق ذكرهم من عتيبة وحرب وغيرهم.
(٣) أي أمراً سلطانياً.
(٤) في الأصل: ورددنا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٤٧)، ومنائح الكرم (٥/٣٦٥).

بعد عزلكم، فأنتم أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم.

فبرد سليمان باشا عما أراد، فقال له الأتراك: اذهب أنت والقاضي وجماعة من العلماء إلى الشريف عبد الكريم بطوى، وأْمُره بالخروج من بلد السلطان، وإلا فأنتم الخصماء، فذهب سليمان باشا والقاضي وجماعة من العلماء إلى الشريف عبد الكريم بطوى، فسألوه أن يحقن الدماء ويقيم شعار الحج بخروجه من البلد لله ورسوله.

فجمع البوادي والأشراف، وأخبرهم بما جاء فيه القاضي والوزير والعلماء، فأطاعوه بعد تأبٍّ من الأشراف، فرحل بمن معه يوم السادس من ذي الحجة إلى الركاني، وبعث إلى الشريف سعيد وإلى إيواز بك وإلى أيوب بك أمير الحج المصري: أن ادخلوا، فإني أخّرت اللقاء إلى بعد الحج، فنودي للشريف سعيد بالوادي[1]، وتعاطى وكالته على مكة السيد ناصر بن أحمد الحارث.

وبمجرد خروج الشريف عبد الكريم تقطعت الطرق، وحصل النهب في طريق جدة، وذهبت جملة أموال للناس، وكذلك طريق اليمن، وحصر عن الحج خلق كثير.

ثم إن الشريف عبدالكريم ركب من الركاني، وواجه بيرام باشا أمير الحج الشامي، ومعه جماعة من الأشراف، فاجتمع به في وادي الجموم ثامن شهر ذي

(١) وادي طوى، وهو أحد أودية مكة المشهورة، تقدم التعريف به (ص: ٥٠٨).

الحجة، وصار منهم من [التدابير][١] ما تولّد منه النافع الكثير -كما ستراه إن شاء الله-.

وأما الشريف سعيد فإنه دخل مكة يوم السابع[٢] من ذي الحجة، ودخل معه أمير الحاج المصري أيوب بك وأمير التجريدة إيواز بك، مع التجريدة وسائر عساكر الحج المصري، ومعه نحو أربعين من الأشراف لم يكونوا مع الشريف عبدالكريم في عملته.

وكان دخوله من الشبيكة[٣] إلى المسجد هو ومَنْ معه، وقد فُرِشَ له بساط[٤] في الحطيم، وفتحت الكعبة الشريفة، وقُرئت له الأوامر على مَنْ حضر من الأعيان، ثم خرج إلى منزله الذي بسويقة[٥].

الولاية الرابعة للشريف سعيد في سادس ذي الحجة سنة ١١١٦هـ

وهذه الولاية الرابعة للشريف سعيد.

---

(١) في الأصل: التدبير. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٤٨)، ومنائح الكرم (٣٦٦/٥).
(٢) في منائح الكرم: ولم يدخل مكة إلا يوم التاسع.
(٣) الشبيكة: تقدم التعريف بها.
(٤) البساط: كل ما يبسط، وهو ضرب من الفرش ينسج من الصوف ونحوه (المعجم الوسيط ٥٦/١).
(٥) خلاصة الكلام (ص:١٤٣-١٤٨). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٣٥٥/٥-٣٦٦).
والسويقة: بالتصغير موضع مشهور كان على فم شعب قعيقعان.
تقدم التعريف بها (ص: ٤٢١).

وفي ليلة التاسع من ذي الحجة دخل أمير الحج الشامي بيرام باشا، وأراد أن يؤخّر القفطان إلى منى، فامتنع الشريف سعيد من تأخيره، فبعث به إليه، وألبسه في مترله، ثم خرج إلى عرفات من أعمال نصف الليل بعد بيرام باشا، [ومرّ بمنى][1] ولم يَبتْ بها، ووقف الناس، وكانت الحجة بالجمعة، وحصل للناس الأمان، ولم يحجّ [أحد][2] من أهل مكة إلا القليل، وارتفعت الأسعار بعرفة حتى إن بعضهم اشترى كبشاً بعشرة أحمر.

وفي الخامس عشر من ذي الحجة نزل الشريف عبد الكريم ومَنْ معه من الأشراف بوادي التنعيم، وبعثوا إلى الأمير بيرام باشا أمير الحج الشامي، فبعث إليهم الخيام والصواوين[3].

واستمر الشريف عبد الكريم بالتنعيم أياماً، حتى ركب إليه بيرام باشا في بعض ليالي الحج، فاستمرّ عنده إلى نصف الليل أو قرب الفجر، ورجع عنه.

وفي مدة إقامة الشريف عبد الكريم بالتنعيم هو ومن معه لم يحصل منهم أذى للناس، يطرقهم الطارق آمناً، ويسير إلى مكة آمناً، ولم تزل الرسل بينه وبين إيواز بك وبيرام باشا أمير الحج الشامي.

ثم ارتحلت الأشراف إلى [اليَفاع][4] من أعلى الجموم، وشاع في العامة

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٤٨)، ومنائح الكرم (٣٦٦/٥).

(٢) في الأصل: أحداً. والتصويب من خلاصة الكلام ومنائح الكرم، الموضعان السابقان.

(٣) الصواوين: الخيام الكبيرة (هامش منائح الكرم ٣٦٨/٥).

(٤) في الأصل: البقاع. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٤٨)، ومنائح الكرم (٣٦٨/٥).
واليفاع: عين جارية بأسفل وادي الهدة، عندها يفترق سيل الهدة إلى شامية ابن حمادى والقعرة، تبعد عن مكة (٥٦) كيلاً شمال مكة (معجم معالم الحجاز ٢٦/١٠).

أنهم يريدون أخذ الحج المصري، وقَتْلَ أيوب بك، فدخله من الخوف ما أخّره عن السفر في معتاده عقب النزول من منى بيومين أو ثلاثة، فقامت عليه الحجاج لشدة ما لحقهم من الغلاء، وعدم الوجدان لما يريدونه، فخرج تاسع عشر ذي الحجة، وكان سبب إقدامه على السفر -بعدما حصل له من الخوف- أن السيد ناصر الحارث وجماعة من كبار الأشراف خرجوا إلى الشريف عبدالكريم ومَنْ معه من الأشراف وسايسوهم، وضمنوا لهم الصلح، وتواطؤوا معهم على حالة، وتكافلوا على ما يصلح الفريقين، وأخذوا منهم عهداً على عدم تعرضهم للحج، فخرج الأمير مسافراً، ووصل سالماً، إلا أنه وقع نهب في أطراف الحج المصري[(١)].

وهلَّ محرم الحرام افتتاح سنة ألف ومائة وسبع عشرة: [وفي][(٢)] سادسه دخل مولانا الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد مكة، ومعه جماعة من الأشراف، طمعاً فيما جرى بينهم وبين السيد ناصر الحارث من العهد المتقدم، فنزلوا على مولانا الشريف سعيد بداره التي بسوق الليل، ولم يتخلف إلا ذوو بركات، فإن الشريف عبدالكريم أفهمهم أنه يريد التوجه إلى الشام بمن معه من ذوي بركات، ثم عنَّ له أن ينزل الحميماء، ثم ارتحل عنها إلى محل يقال له: دغيم[(٣)] ومعه من البدو ما لا يُحصى، ولم يزل إلى أن نزلت عليه قبائل حرب

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٤٨-١٤٩). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٥/٣٦٦-٣٦٩).

(٢) في الأصل: في. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٤٩).

(٣) دغم أو دُغَيْم: هو خليج في البحر الأحمر عليه نخل وزرع جنوب مصب وادي الحمض، بينه وبين أملج، سكانه جهينة. (معجم معالم الحجاز ٣/٢٢٤).

بجملتهم، وقالوا: لا نفارقك حتى تموت أو نموت.

فبلغ ذلك الشريف سعيداً، واشتد عليه الأمر، فجمع كبار الأشراف وأطلعهم على ما بلغه من قوة الشريف عبد الكريم، ووصول حرب إليه، وطلب منهم أن يسعفوه بالمسير معه إليهم، فما أجابه منهم أحد إلى ذلك - هذا فعل مَنْ معه في عملته.

وأما بقية الأشراف الذين يريدون مكة من جماعة الشريف عبدالكريم فطلبوا منه ما هو لهم، فأخذ في جمع دراهم لهم، وأعطاهم مما لهم شيئاً يساوي الثلث.

ثم تجهز وخرج إلى طوى، فأقام بها أياماً، إلى أن لحقه الأشراف الذين في عملته، ثم سار مريداً[1] الشريف عبد الكريم، وأودع البلاد السيد [أحمد][2] ابن حازم، وبعث إلى هذيل، فأقبلوا عليه. فلما وصلوا منى نهبوا ما وجدوه من أموال الناس، فلما دخلوا مكة عاثوا فيها بالسرقة والنهب.

فلما شارف الشريف سعيد زحف إليه الشريف عبدالكريم بمن معه، فركب إليه جماعة من الأشراف يصدّونهم عن الملاقاة، وطلبوا منه مهلة ثلاثة أيام حتى ننظر في أمرنا معه ومعك، فأجابهم إلى ذلك، فرجعوا للشريف سعيد وأخبروه بأن الشريف عبد الكريم مقاتلك بعد أن خرجت إليه، فإن لم تصلحه

---

(١) في الأصل زيادة: إلى. انظر: خلاصة الكلام (ص:١٤٩).

(٢) في الأصل: بلاد. وهو خطأ. والمثبت من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنائح الكرم (٣٧١/٥).

وإلا فلا بعد هذا إلا الملاقاة، وقد أخذنا لك مهلة ثلاثة أيام.

فجلسوا معه مجلساً وتشاوروا بينهم، فرأوا أن يجعلوا له كل شهر ألف شريفي أحمر، وأن يقيم حيث شاء غير مكة، إلى أن تأتيه أجوبة كتبه من الأبواب، فرضي الشريف سعيد بذلك، فرجعوا إلى الشريف عبدالكريم وأخبروه، فقال: إنه ينقض هذا القول بلا شك، فأعطوه العهود أنه إن نقض هذا نقضوا عملته، وعاملوا الشريف عبدالكريم، ويكونون وإياه يداً واحدة. فأخذ عليهم العهود.

ثم رجعوا إلى الشريف سعيد وأخبروه بذلك، فقال له ذلك، ثم قال: مُروه فليرتحل من محله، لتعلم الناس من البادية والأتراك أنّا اصطلحنا، فضمنوا له ذلك، وكفل جماعة هذا وجماعة هذا، وبعثوا إلى الشريف عبدالكريم بذلك، فارتحل من محله إلى محل يقال له: شَعْثاء[1] قريباً من جدة، فبقي بها مدة والشريف سعيد بساقة جدة لتسليك طريق جدة، فتارة تؤمن الطرقات وتارة تخاف، واستمر الحال نحو أربعين يوماً.

ثم إن الشريف [سعيداً][2] حدثته نفسه بالنزول إلى جدة ومقابلة سليمان باشا، فمنعه من دخولها، ومنع جماعة من الأشراف بعثهم الشريف سعيد إلى جدة، فدخل منهم السيد محمد بن [عبدالكريم][3] بعد جهد جهيد، وحاول

---

(١) شعثاء: عين للحُمْران من حرب في صدر وادي الغَوْلاء على (٣) أكيال من عُسْفان، ماؤها دبج والسيل يخربها دائماً (معجم معالم الحجاز ٥/٦٨).

(٢) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٥٠).

(٣) ما بين المعكوفين بياض في الأصل قدر كلمتين، والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ١٥٠)، ومنائح الكرم (٥/٣٧٣).

الباشا أن يأخذ له من التجار شيئاً للشريف سعيد ليستعين به، فما وافقه [لا قرضاً ولا على الزالة][1]، وأمرهم بالرجوع، وأن لا يدخلوا جدة لخوف أن يؤذوا أهلها.

فتقرر عند الشريف سعيد أن سليمان باشا يده مع يد الشريف عبد الكريم وجماعته، فأرسل إلى ابن عمه الشريف عبدالمحسن –وكان بالحسينية– وأخبره، وطلب منه أن [يأتيه][2] بجدة، فأتاه، فتوسل به إلى أن يترل إلى الباشا ويأخذ له شيئاً من المال يستعين به، أو يحيله على [الزالة][3]، فأبى. [ثم التمس منه أن يركب معه لملاقاة سليمان باشا فقال له: وكيف نقاتل أحد وزراء السلطان ولم يوافقه][4].

ثم إنه بعث إلى إيواز بك صاري العسكر الحج المصري وإلى الإنقشارية وسائر البلكات [يشكو][5] من سليمان باشا، ويستدعيهم إلى قتاله، فلم يوافقوه، وبقي في حيرة عظيمة مقلاً من المال والرجال، ففارقه مَنْ معه من الأشراف لذلك، ولما تقدم لهم مع الشريف عبدالكريم من العهود والوفاء

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٥٠)، ومنائح الكرم (٥/٣٧٤).
(٢) في الأصل: يأتي. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.
(٣) في الأصل: الترالة. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.
(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنائح الكرم (٥/٣٧٤).
(٥) في الأصل: ليشكو. والتصويب من خلاصة الكلام ومنائح الكرم، الموضعان السابقان.

والمفارقة له، فذهبوا إلى الشريف عبد الكريم.

فلما تكاملت الأشراف عند الشريف عبدالكريم، انتقل من شعثاء ناوياً أن يصبّح الشريف سعيداً ويأخذه، فلما استحسَّ بذلك أشار على الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبدالمحسن أن يرجع إلى مكة، فأودعه عزبته، وسرى من ليلته فأصبح مكة وذلك تاسع شهر ربيع الثاني[١].

ولما وصل إلى مكة أطلق المنادي في شوارعها وطرقاتها على أرحام كل من كان من الأشراف مع الشريف عبدالكريم، مثل ذوي شنبر[٢]، وذوي جازان[٣]، وذوي بركات[٤]، وذوي ثقبة وغيرهم، ورجالهم: أن لا يبيت أحد منهم بمكة هذه الليلة، ومن بات منهم فهو مصلوب، وبيته منهوب.

فحصل عنـــد طـــوارف السادة الأشـــراف من الخوف ما أوجب أنهم

---

(١) من سنة ١١١٧هـ.

(٢) ذوو شنبر: هم بنو شنبر بن الحسن بن أبي نمي الثاني، وهم متفرقون في المدن الحجازية، وجلّ باديتهم في سعيا جنوب مكة، ومنهم هناك: ذوو عمر، وذوو شنبر، وذوو عبدالله، والغيوث (ذوو غيث)، والدخايلة (ذوو دخيل الله)، والسلامين، ومنهم قرب الحوية بالطائف فخذ يسمى: الطوالب (معجم قبائل الحجاز ص:٢٥١-٢٥٢).

(٣) ذوو جازان: فرع من الأشراف بني حسن بن أبي نمي، موزعون في سكناهم في مكة وشمال الهدى بين مكة والطائف والبجيدي شرق مكة، وهم بنو جازان بن محمد بن بركات بن أبي نمي (معجم قبائل الحجاز ص:٩٦-٩٧).

(٤) ذوو بركات: هم الأشراف أولاد بركات بن أبي نمي، جميعهم يسكنون مكة المكرمة ووادي فاطمة -مر الظهران- (انظر: قبائل الطائف وأشراف الحجاز ص:٤٠-٤٢).

[يأوون][(١)] بيوت ساداتهم داخلين عليهم مما يخاف، فركب إليه السيد حسن ابن غالب والسيد أحمد بن حازم ولاموه على هذا النداء، وقالوا له: هذا لا يكون، فإنه يتأتى منه سالفة بيننا، أن كل من خرج من البلد تنهب طوارفه [ويُقتل][(٢)]، وهذا أمر لا يمكن الوفاق عليه؛ لكونه مضراً بالعالم، فرجع المنادي عند العصر ينادي بخلاف النداء الأول، [وأن][(٣)] النداء الأول مرجوع عنه، وعليهم الأمان.

ثم إنه ثاني عشر الشهر[(٤)] بعث الشريف سعيد المفتي وجماعة من السبع بلكات إلى الشريف عبد الكريم ومن [معه][(٥)] يطلبهم إلى الشرع، فركب الجماعة المذكورون إلى الشريف عبد الكريم، والتمسوا منه ذلك، فقال: سمعاً وطاعة. وبعث جماعة من كبار الأشراف منهم الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد، وسليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر، وأحمد بن هزاع، وزين العابدين بن إبراهيم بن محمد بن بركات، وعبدالله بن حسن، وغيرهم، فدخلوا مكة ونزلوا

---

(١) في الأصل: يأووا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٥٠)، ومنائح الكرم (٣٧٥/٥).

(٢) في الأصل: وتقتل. والتصويب من خلاصة الكلام ومنائح الكرم، الموضعان السابقان.

(٣) في الأصل: أن. والتصويب من خلاصة الكلام ومنائح الكرم، الموضعان السابقان.

(٤) ثاني عشر ربيع الثاني.

(٥) في الأصل: معهم. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٥١)، ومنائح الكرم (٣٧٥/٥).

على إيواز بك، فأخذوا إيواز بك معهم، ووصلوا إلى القاضي، واستدعوا الشريف [سعيداً][١]، فنزل ومعه السيد أحمد بن حازم، فصارت بينهم وبين الشريف سعيد مقاولة أنتجت زيادة الشقاق وأبعدت الاتفاق، ثم انصرفوا والقلوب مشحونة، والنفوس مغبونة غير مأمونة، فانصرفوا على غير صفاء، والأشراف يطالبونه بالوفاء.

ثم إن الشريف سعيداً اجتمع بالشريف عبدالمحسن، واتفقوا على أن يعطيهم ثلث المنكسر، وعلى أن يسمحوا له في الثلث، ويصبروا عليه في الثلث الباقي، فوافقت الأشراف على ذلك، ورأوا أن هذا عين الصلاح، فعملوا مجلساً لذلك الأمر في مجلس السيد علي بن أحمد بن باز بأجياد ليلة التاسع عشر[٢] من ربيع الثاني، فبينما هم كذلك عند السحر جاءهم الخبر أن الشريف عبدالكريم وصل طوى هو ومَنْ معه من الأشراف.

فلما بلغ ذلك الشريف سعيداً أرسل إليهم مرسولاً لبيت السيد علي ابن أحمد يقول لهم: ما هذا بيني وبينكم، وهذا عين الغدر. فاعتذروا له بعدم علمهم بذلك، ونحن نخرج إليه ونرده، فانصرف الكلّ، وخرجوا من طريق المسفلة، وعرجوا على الطندباوي[٣] مما يلي الشبيكة، وأرادوا أن ينفذوا على طوى.

(١) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٥١).

(٢) في منائح الكرم: ليلة الجمعة السادس –أو السابع– عشر.

(٣) الطندباوي: حي من أحياء مكة المشهورة، وبه أحد شوارعها الرئيسية، والمعروف بشارع المنصور.

وأما الشريف عبدالكريم فإنه لما وصل طوى وجد على جبالها جماعة من هذيل، ووجد بعض مضارب، وبها عسكر وعبيد للشريف سعيد، فلما أقبل عليهم هربوا وتركوا منازلهم، فنهبها العبيد وما فيها، فبينما هم بطوى إذ خرج عليهم الشريف سعيد من الشيخ محمود[١]، فتلاقيا، فانهزم الشريف عبدالكريم، وامتنع إلى جبال أبي لهب، ثم كرَّ بِمَنْ معه من الأشراف وغيرهم من جماعته على الشريف سعيد، فانهزمت قومه، ووقع فيهم القتل، فقتل نحو الستين من جماعته.

ولما وصل الشريف عبد الكريم الطنبداوي، وجد الشريف عبدالمحسن بن أحمد ومعه الأشراف السابق ذكرهم، فلم يعرج عليهم، وسار خلف الشريف سعيد بمن معه من الأشراف، حتى أوصله إلى دار السعادة من السوق الصغير، وكان معه نحو أربعين شريفاً، فأشاروا على الشريف سعيد بالخروج من المعلا وترك البلد، فإنها أخذت، فلم يلتفت إليهم، وعطف على سويقة، وجاء بيت سردار الإنقشارية واستغاث بهم، فأجابوه، وخرجوا معه، ودخلوا معه من المسجد على بيت إيواز بك وعنده عسكر العرب وبقية البلكات، فطلب

---

(١) قبة الشيخ محمود بجرول.

منهم الخروج معه، فامتنعوا، فصاحوا على إيواز بك وقالوا له: إنك موالس[١]، ثم خرجوا من باب إبراهيم على سوق الصغير، فرموا الشريف عبدالكريم بالرصاص، فظن أن جميع الأتراك خرجوا، فترفَّع عنهم حتى خرج من الشبيكة، وقد فرّق قومه على الجبال، فأشار إليهم بالنزول، فنزلوا هاربين من طريق الزاهر، ولحق به الشريف سعيد إلى الزاهر، فتناظروا هناك، وأخذ كلٌّ من صاحبه مهلة على قواعدهم.

ثم رجع الشريف سعيد إلى داره، ورجع الشريف عبدالكريم إلى دغيم، وأقام هناك إلى أن وردت إلى سليمان باشا الأخبار السارة بجدة ضمن [كتب][٢] من صاحب مصر، ومن بعض الصناجق ومضمونها: أنه ورد إلى مصر المحروسة في السابع والعشرين من جمادى الأولى محمد باش جاووش ومعه أربعة أوامر سلطانية:

أحدها: بعزل أيوب بك عن إمارة الحج، لما تحققنا ما حصل منه من الفساد، وتولية غيطاس بك إمارة الحج.

---

(١) أي مخادع ومداهن، لأن الموالسة من ولس، وهو الخداع والخيانة (انظر: لسان العرب، مادة: ولس، والمعجم الوسيط ١٠٥٦/٢).
(٢) في الأصل: كتاب. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٥٢)، ومنائح الكرم (٣٧٩/٥).

والثاني: بعزل الشريف سعيد، وأنعمنا على الشريف عبدالكريم بشرافة مكة، وأن أمره برز سنة ألف ومائة وسبعة عشر.

والثالث: أنّا ولينا إيواز باشا جدة، ومرادنا وصول سليمان باشا إلى حضرتنا.

والرابع: أنّا أنعمنا على الشريف سعيد بسكنى مصر، وأقطعناه بعض فدادين، ورتبنا له كفايته من المصرف كل يوم.

ولم تزل الأخبار تقوى مع الواردين في المراكب المصرية، وتنتشر في الناس وعند الأتراك، والشريف سعيد [غير][1] معترف بذلك، وكثر القيل والقال، واستمر الشريف عبد الكريم ومن معه بالوادي [إلى][2] أن بلغهم أنّ الشريف سعيد أغرى أغاوات الإنقشارية على إيواز بك؛ لاتهامه [له][3] أن له يداً مع الشريف عبدالكريم، وصالوا عليه غفلة، وحصروه في بيته، وأفهموا الشريف سعيداً أن إيواز بك ورد إليه غرة جمادى الثانية ركائب من بدو عنزة، بعثهم إليه بيرم باشا من طريق الشام يخبره أن السلطنة وصلت إلينا منهم أخبار بأنهم أنعموا على الشريف عبد الكريم بشرافة مكة.

فلما وردت هذه الأخبار وعلم به الشريف عبدالكريم حمى الطرق وأمر بكفّ الأشراف الذين معه عن النهب.

---

(١) قوله: "غير" زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٥٢)، ومنائح الكرم (٥/٣٨٠).

(٢) قوله: "إلى" زيادة من خلاصة الكلام ومنائح الكرم، الموضعان السابقان.

(٣) قوله: "له" زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

ولما تحقَّق سليمان باشا أمسك على ما بيده من مال البندر حتى يتعيَّن صاحب الشرافة، فكان هذا سبب تغير الشريف سعيد على إيواز بك، مع كونه في الأصل هو السبب في تأييد شرافته ودخوله مكة، فحصره في مترله، ونهب أثاثاً كان له في دار السعادة، واضطرب الأمر بمكة، وأبطلت خمس صلوات بالمسجد الحرام بموجب القتال في جوف المسجد[1].

وفي الإتحاف[2]: وتعطل المسجد عن الأذان ثلاثة أيام. انتهى.

وانحازت الستة بلكات إلى إيواز بك، ولم يخرج عن طاعته إلا الإنقشارية، ثم أجمع الإنقشارية على الهجوم عليه في بيته وقتله ونهبه، فحملوا أسلحتهم ونزلوا المسجد، وأرسلوا إلى الشريف سعيد وأخبروه، فترل بنفسه إلى القاضي بجميع عسكره وعبيده، وأرسل إلى العرب من هذيل وغيرهم، وأمرهم أن يقفوا على أبواب الحرم، فلما خرج القاضي قالوا له: إن لنا دعوى على إيواز، فأحضره لنا نتداعى على يدك، فبعث إليه القاضي، فأعاد الرسول وهو يقول: أنا بعيني أشاهد الفتنة من مترلي، وأعاين اجتماع العسكر، وأمر الشرع مطاع، وغاية الأمر أمهلونا هذا اليوم لئلا تكبر الفتنة إذا جئت في ذلك المكان، فإذا تفرقت العساكر حضرت أنا وخصمي عند القاضي ويحكم بما أراده الله تعالى.

فعرض القاضي مقالته على الشريف سعيد والحاضرين من العسكر الإنقشارية، فلم يقبلوا ذلك، إلا أن الشريف سعيد أصرف جنده، وبقيت

(١) خلاصة الكلام (ص:١٤٩-١٥٣). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٥/٣٧١-٣٨١).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (٢/٢٦٧).

الإنقشارية على حالهم، وأرسلوا رسولاً آخر إلى إيواز بك، فقال لهم: ما دامت الإنقشارية موجودة عندكم فالعذر واضح، وليس لي قصد إلا حقن الدماء بيننا وبينهم، ولي قدرة على مكافأتهم، ولكن ما في المهلة بأس، فإن الأمر ما يحمل قتل المسلمين. فحصل للشريف سعيد أنفة من هذا القول لعدم نفاذ مراده، فأظهر للقاضي غلاظة، وقامت الغوغاء من الإنقشارية في المحكمة، وارتفعت الأصوات، وقالوا: هذا عصى الشرع، فاكتب حجة بعصيانه. فامتنع القاضي، فهجموا عليه يريدون قتله، فهرب مَنْ كان هناك من العلماء، ولحقوا القاضي ولزّوه[1] بالأيادي، ورمى بعض الناس في جوف المحكمة بالبندق إرهاباً له، فلما رأى ذلك كتب لهم حجة بما في نفوسهم. فعند ذلك خرج الشريف سعيد من المحكمة، وأمر الإنقشارية بالهجوم على إيواز بك في بيته، فسار بيرقهم من ممشى باب السلام على يسار المنبر قاصدين بيت إيواز بك.

فلما وصلوا إلى مقام المالكية بادر غلمانه إلى البنادق، وكمنوا خلف عواميد[2] المسجد مما يلي بيت مولاهم.

فلما أقبلوا طلع في وجوههم الرصاص، فولّوا هاربين إلى أن دخلوا باب الزيادة، واجتمعوا في زيادته وما حولها من البيوت والمدارس، ولم يزل الحصار بينهم.

وأما الشريف سعيد فسلط على إيواز بك عسكره وعبيده وبدوه من

---

(١) لزّه: شده وألصقه (المعجم الوسيط ٢/٨٢٣).

(٢) المقصود أعمدة المسجد.

جهة عقد بشير، فلما شعر بذلك أرسل جماعة من البلكات إلى تلك الدور فترّسوها هناك، ومنعوا ما حولهم من العبيد والعرب بالرصاص.

واستمر الرمي من البيوت والمدارس في جوف المسجد من الفريقين، وإيواز بك ومَنْ معه من البلكات محصورون في البيت.

ولم يزل الأمر يتزايد حتى كثرت القتلى والجرحى في البيوت وخارجها، وفي المسجد، وسطح المسجد، وما بين الأروقة، وعَزّل السوق، وأظلم الجو من دخان البارود، وبقي الأمر على هذا إلى اليوم الثاني، فالتمس الشريف من إيواز بك الصلح، وبعث إلى القاضي يأمره بإرسال جماعة من العلماء إلى إيواز بك يلتمس منه الكفّ، فبعث إليه أن ذلك لا يكون إلا إنْ كفَّ هو وجماعته.

واتفق الأمر على إرسال جماعة من رؤوس البلكات حضروا عند القاضي، فأمرهم القاضي بالسعي في الصلح، فسعوا في ذلك بعد التأبّي الأعظم، وهمدت الفتنة بعد أن نهب لإيواز بك ما يساوي مائة كيس من القروش والأمتعة، وغير ذلك.

وفي اليوم الثاني جمع القاضي بين إيواز بك والشريف سعيد عنده، وأبان إيواز بك حجته، وذكر ما أخذ عليه، فقال الشريف: أردّ كلّ ما قدرت عليه مما هو لك، وما لم أجده أعطيك ثمنه. وقاما من عند القاضي وذهب كل إلى بيته -والله أعلم بما في نفوسهم-.

ثم لما كان يوم الاثنين ثامن عشر رجب ورد مكة خبر أغاة القفطان، وصحبته الأمر السلطاني شرافة مكة للشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى،

وأنه وصل إلى جدة، وأن الوزير [سليمان][١] باشا أرسل القفطان للشريف عبدالكريم وألبسه إياه، ونادى له بجدة يوم السابع عشر من الشهر.

فلما وصل هذا الخبر للشريف سعيد أجاب: بأن البلاد للسلطان، ونحن خدمٌ له، فإن كان الأمر صحيحاً فأنا مطيع الأمر، وإن كان بالزور والبهتان فما عندي غير السيف.

وكتب كتاباً لسليمان باشا عليه خطوط من معه من الأشراف وخطوط العلماء، وأعيان الناس، مضمونه: أن الشريف سعيداً متولٍّ بأمرٍ سلطاني، ولا يعزل إلا بمثله. وأرسلوا الكتاب مع السيد مبارك بن حمود بن عبدالله بن حسن، فتوجه إلى الباشا، ورجع بالجواب إلى الشريف يوم الجمعة ثاني شعبان، وذكر له أن الشريف عبد الكريم وجميع من معه من السادة الأشراف وأغاة القفطان وجماعة الباشا وصلوا جدة.

ثم أعقبه الخبر أنهم نزلوا وادي مَرّ، فأرسل إليهم الشريف ليلة الأحد رابع شعبان سليمان جاووش الإنقشارية، ومعه جاووش المتفرقة، وجاووش الجاووشية، ومعهم السيد جار الله بن صامل إلى الوادي بخطاب إلى الشريف عبدالكريم وأغاة القفطان، مضمونه: [أن][٢] يشرفوهم على الأمر السلطاني ليحيطوا به علماً.

فحين وصلوا وسمع أغاة القفطان أحمد آغا كلام سليمان جاووش زجره

(١) في الأصل: سليماناً. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٥٤).
(٢) قوله: "أن" زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنائح الكرم (٣٨٥/٥).

بالسبّ واللعن. ومن جملة ما قال له: لولا أنك رسول لقطعت رأسك.

فرجعوا إلى الشريف سعيد، وكانوا وهم ذاهبون إلى الوادي واجههم خمسة من الأشراف متوجهون إلى مكة، ومعهم واحد من خدم أحمد آغا حامل القفطان، ومعهم صورة الأمر السلطاني، وهم لا يعرفون حقيقة حالهم، فأتى الجميع ونزلوا على إيواز بك، فأخذهم وتوجّه بهم إلى قاضي الشرع، وسجلوا صورة الأمر في المحكمة، فلما بلغ الشريف سعيداً ذلك أرسل إلى إيواز بك يلومه على هذا الفعل، ويخطئه في نزول هؤلاء الأشراف عنده، فأجابه إيواز بك: أن الأمر السلطاني قد تحققناه، وأن البلاد صارت للشريف عبدالكريم، وأما هؤلاء الأشراف فإنهم يعرفون قواعدهم، وهم يردون عن أنفسهم الجواب.

فأرسل إليهم الشريف سعيد يأمرهم بالخروج من البلد، وكرّر عليهم الرسل بذلك، فجلسوا عند الصنجق إيواز بك ذلك اليوم، وجعل لهم [الغداء][1]، ثم بعد ذلك توجه منهم اثنان إلى الشريف عبد الكريم يعرفانه بالواقع، والثلاثة ذهبوا إلى السيد عبدالمعين بن محمد بن حمود وقالوا له: يقول لك الشريف عبد الكريم تكون أنت القائم مقامه في البلد إلى أن يصل.

فلما تحقّق الشريف سعيد حقيقة الحال، جمع عسكره وعربه، وأفهمهم أن نيّته الحرب، وأرسل عربان هذيل وعتيبة إلى جهة أبي لهب وبساتين العمرة،

(١) في الأصل: الغذاء. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٥٤)، ومنائح الكرم (٥/٣٨٦).

وأمر صاحب الزير أن يدق، وأظهر حركة المقاومة.

فلما كان قرب المغرب وصل المراسيل الذين أرسلهم، ومن جملتهم سليمان آغا جاووش الإنقشارية، وكان يعتمد عليه في الصدق والخدمة، فأخبره بجميع ما صار عليهم في الوادي وما وقع من أغاة القفطان، وأن الأمر السلطاني صحيح ليس فيه شك، ولا يختلف فيه أحد، ففي ذلك الوقت أخرج نساءه ودبشهم من البيت، وأرسل الجميع عند كريمته الشريفة سعدية.

فلما كان قرب التذكير[١] ركب هو ومَنْ معه من السادة الأشراف وأتباعه، وتوجهوا إلى العابدية، فجاء السيد ظافر بن محمد ومعه شريف آخر إلى الأمير إيواز بك، وأرسل معهما بعض مماليكه وعسكره، ونادوا في ذلك الوقت في شوارع مكة: البلاد بلاد الله، وبلاد السلطان مولانا أحمد خان، وبلاد مولانا الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى، وعسّوا[٢] البلد بقية تلك الليلة، وأصبح الناس يوم الاثنين والبلاد خالية[٣].

---

(١) أي قبل موعد صلاة الفجر كالعادة التي كانت جارية سابقاً قبل صلاة الفجر، ولا تزال جارية في كثير من بلاد المسلمين.

(٢) أي طافوا البلاد بالليل لتحسس الأخبار، لأن العسّ: الطواف بالليل من أجل الحراسة (لسان العرب، مادة: عسس).

(٣) خلاصة الكلام (ص:١٥٣-١٥٥). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٥/٣٨١-٣٨٨).

دخول الشريف عبدالكريم مكة متولياً إمارتها سنة ١١١٧هـ (وهي الولاية الثالثة له)

ولما كان يوم الثلاثاء سادس شهر شعبان المكرم، دخل مولانا الشريف عبدالكريم متولياً مكة المشرفة بآلاي أعظم، ومعه السادة الأشراف، وسائر عساكر مصر، وعسكر الوزير سليمان باشا، وأغاة القفطان[١]، إلى أن دخلوا المسجد الحرام، وفتحت الكعبة، وقرئ الأمر السلطاني، وألبس الآغا مولانا الشريف عبدالكريم القفطان السلطاني، ثم توجه إلى داره السعيدة وجلس للتهنئة، ومدحه الأدباء، وهنئوه بالقصائد الفائقة، ونودي له في البلد وبالزينة سبعة أيام[٢].

وفي يوم الخميس ثامن شعبان أرسلوا الأمر الوارد للشريف سعيد جهة الشرفية[٣] وقرؤوه عليه، ومضمونه: أنّا قد عزلناك، وولينا الشريف عبد الكريم، وهيّأنا لك ما يكفيك بمصر، كل يوم ألف ديواني، وجميع ما تنفقه من مكة إلى مصر المحروسة، وما تحتاج إليه تعطاه من خزينتنا. فلما فهم

(١) وهو أحمد آغا باش جاووش (خلاصة الكلام ص:١٥٥، ومنائح الكرم ٣٨٨/٥).

(٢) خلاصة الكلام (ص:١٥٥-١٥٦). وانظر: منائح الكرم (٣٨٨/٥-٣٩٠).

(٣) في منائح الكرم: الشرقية. والشرقية: حي بالطائف بين وادي العقيق ووادي وج، يعتبر من أكبر أحياء الطائف (معجم معالم الحجاز ٤١/٥).

والشرفية: عين في وادي ضِيَم، كانت للشريف سليمان باشا الكريمي قائمقام مكة في عهد الحسين بن علي، وضِيَم: وادٍ لهذيل يسيل من جبال الفرع وشعار، من سراة طود جنوب غربي الحجاز الطائف، فيه مزارع، ويبعد عن مكة حوالي ٤١ كيلاً جنوباً (معجم معالم الحجاز ٤٠/٥، ٢١٢-٢١٣).

مضمون الأمر ما استحسن ذلك، وتوجه إلى جهة اليمن هو ومَنْ معه[١].

وفي ثاني عشر[٢] شعبان عقد مولانا الشريف عبدالكريم مجلساً جمع فيه السادة الأشراف، وسليمان باشا، وشيخ الحرم إيواز بك، وقاضي الشرع، والمفاتي، والعلماء، وأغاة القفطان، وأغوات العسكر، وكثيراً من الناس، فلما اجتمعوا تكلم مولانا الشريف مع السادة الأشراف، وشرط عليهم شروطاً فقال: يا رفاق قد شاهدتم ما وقع من التعب والشقاق وعدم الوفاق، حتى آل الأمر إلى الحرب والقتال، وتعبنا نحن والرعايا، وعمّت الفتن، وأصيب فيها الغني والفقير، وذهب بسببها الأموال والرجال، ومضى على هذا الحال زمن، والكلّ منكم قد تحقق ما صار، وشاهده بالعيان، والموجب لهذا الشقاق كله زيادة المعاليم[٣] الخارجة عن المعتاد التي عجز عن تحصيلها العباد والبلاد، فكلّ ملك يتولى يحصل بينكم وبينه التعب والمشقة بسبب المعلوم. فالقصد منكم أن تنظروا في مدخول البلاد وتوزّعوه أرباعاً، فثلاثة أرباعه تكون بينكم، والربع لي ولجماعتي وعسكري ومهمات البلد، وإن كان فيكم مَنْ يقدر على القيام والوفاء بالمعلوم الذي كان في زمن الشريف سعيد والقيام به فليتقدم، وأنا أنزل له عن الشرافة وأكون كواحد منكم. وطلب منهم الجواب، فانتدب السيد محمد بن أحمد شيخ ذوي عبدالله وقال: قد سمعتم ما

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٥٦). وانظر: منائح الكرم (٥/٣٩٠-٣٩١).

(٢) في منائح الكرم: ثاني عشرين.

(٣) معظم الخلافات التي بين الأشراف كانت بسبب كيفية تقسيم الأموال المخصصة لهم من الدولة، وكذلك الخلاف على الحكم.

قاله الشريف لكم، فأجيبوه بما في نفوسكم، فأجابوا جميعاً بقولهم: رضينا بذلك، فسجل القاضي ما سمعه من رضاهم في المجلس، وكتب عليهم بموجبه حجة شرعية[١].

وفي النصف من شوال وردت أخبار من اليمن بأن الشريف سعيداً وصل القنفذة، وتعرض لبعض الجلاب الواصلة من اليمن وأخذ ما فيها، وأنه اجتمع معه من العربان نحو خمسة آلاف مقاتل، وقصده يدخل بهم مكة، فلما بلغ الشريف عبد الكريم ذلك شرع في جمع القبائل، وأرسل إليهم بعض الأشراف يأتيه بهم، فاجتمع عنده من كل قبيلة خلق كثير، ثم ذهب بنفسه عند القاضي وجمع المفتين وبعض العلماء، وأغاوات العسكر، وقال لهم: تحيطون علماً أن الشريف سعيداً جمع أشقياء العرب المفسدين البغاة، وقصده يدخل بهم مكة بلاد السلطان ويحاربنا، فما تقولون؟ فأجابوا جميعاً: نحن تحت الطاعة للسلطان وتحت أمرك وأمر السلطان، وليس فينا مَنْ يخرج عن الأمر، فقال لهم الشريف: إن قصدي إقامة أحد إخواني بمكة، فتكونوا جميعاً تحت طاعته، فتحفظوا أنفسكم ومن يلوذ بكم من الفساد، وتجتهدوا في محافظة العباد والبلاد، وأنا خارج لمقابلته خارج البلد، فأجابوا جميعاً: نحن في خدمتك وتحت أمرك وأمر السلطان، ثم طلب منهم جماعة يمشون معه من العسكر، فأعطوه مطلوبه[٢].

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٥٦-١٥٧). ومنائح الكرم (٥/٣٩٢-٣٩٣).
(٢) خلاصة الكلام (ص:١٥٧-١٥٨). وانظر: منائح الكرم (٥/٣٩٦-٣٩٨).

وفي عاشر ذي القعدة برز الشريف عبد الكريم بعسكره عند بركة ماجن، وخرج إليه جميع العربان الذين تجمعوا، وخرج أيضاً الوزير سليمان باشا بعسكره، ثم توجهوا إلى الحسينية، وجاءهم الخبر أن الشريف سعيداً ومن معه نزلوا الشرفية، ثم انتقل إلى أن وصل العابدية، فأرسل إليه الشريف عبد الكريم السيد دخيل الله بن حمود وعرّفه أن هذا الفعل ليس بصواب، وأن مجيئك بهؤلاء القوم -كلاب الحجاز- ما ترضى به السلطنة[1]، والأوْلى أن تحقن دماء المسلمين، وترجع بهم من حيث جئت، فما الْتَفَتَ لهذا الكلام؛ لأن قومه كانوا في غاية الكثرة، فاغترّ بهم، فرجع السيد دخيل الله وأخبر الشريف عبدالكريم بما سمعه من الشريف سعيد، فالتقى الجمعان ووقع الرمي بينهم ساعة، ثم رمت المدافع التي مع الشريف عبدالكريم، فارتجت العربان الذين كانوا مع الشريف سعيد من صوتها ورجعوا القهقرى، وتحصنوا برؤوس الجبال، وركضت عليهم خيل الشريف عبدالكريم والباشا، فانهزموا، وركب خلفهم الشريف عبدالكريم بعسكره إلى أن نزل جهة مسجد نمرة[2]، ونزل الباشا بعسكره بعرفة، وباتوا تلك الليلة، ولما أصبحوا شرعوا في الحرب، ووقع بينهم الرمي بالبندق من بُعد.

---

(١) أي الدولة العثمانية.

(٢) مسجد نَمِرة: -ويقال له: مسجد إبراهيم الخليل أو مسجد عرفة-: جاء في أخبار مكة للأزرقي (٢/٧٠، ١٩٠): أن أول من جمع بالحاج صلاة الظهر والعصر بعرفة هو إبراهيم عليه السلام في (مسجد إبراهيم) ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة، وهذا المسجد يعرف بمسجد (نمرة) ونمرة جبل تراه غرب المسجد بينهما بطن عُرنة، وهو معروف أيضاً في عهد الأزرقي، وبعضهم يسمي المسجد بالمكان فيقول: (مسجد عرفة)، والأزرقي سماه: مسجد إبراهيم خليل الرحمن.

وفي هذا اليوم وصل الأمير إيواز بك بعسكره من جدة، وحضر الحرب، فوقعت مقتلة عظيمة، فانهزم الشريف سعيد ومن معه، وتركوا ما وصلوا به من جمال، ومال، وبقر، وغنم، وحمير، وغير ذلك من الذخائر، فغنمه من كان مع الشريف عبدالكريم، وصار الناس يأتون بالكسب إلى مكة فوجاً بعد فوج، ووصل البشير إلى مكة، فحصل به السرور، ودق الزير.

وفي ثاني يومه وصل الشريف عبدالكريم إلى مكة، ومعه الباشا، وإيواز بك، والعساكر، وكل من كان معهم، ودخلوا في آلاي أعظم، وجلس الشريف في داره للتهنئة، ومدحه الشعراء بقصائد، وحمد الناس فعله، حيث خرج لهم خارج مكة، فوقع الحرب بعيداً عن البلد والناس آمنة مطمئنة، والأسواق عامرة، وجماعة المسجد قائمة، فجزاه الله خيراً.

ثم بلغ الشريف عبد الكريم أن الشريف سعيداً دخل الطائف، فأرسل خلفه بعض إخوانه مع عرب ثقيف، فخرج من الطائف، ودخل موسم هذه السنة والناس في أمن وأمان[١].

وفي أواخر صفر سنة ألف ومائة وثمانية عشر وردت الأخبار بأن الشريف [سعيداً][٢] جمع جموعاً من العرب يريد بهم مكة، فشرع الشريف عبدالكريم يتهيأ للقائه، وجمع جموعاً وبرز له بالأبطح أوائل ربيع الأول، وبعد عيد المولد

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٥٨). وانظر: منائح الكرم (٥/٣٩٨-٤٠٢، ٤١٤).

(٢) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٥٨).

توجه بمن معه لملاقاة الشريف سعيد، ونزل الشرفية، فجاءه الخبر أن الشريف سعيداً دخل الطائف ثامن عشر ربيع، وأن قومه أربعمائة، فتوجه إليهم الشريف عبدالكريم فبرز إليه الشريف سعيد جهة المليساء[١]، ووقع القتال بينهم، فانهزم الشريف سعيد، وتوجه إلى جهة ليّة[٢]، فمشى خلفه إلى الجال[٣]، ثم رجع إلى الطائف، وجاء البشير إلى مكة، واستمر الشريف عبدالكريم بالطائف في المَثْنا[٤] بمماليكه وعساكره إلى شهر رجب[٥].

وفي شهر صفر سنة ألف ومائة وتسعة عشر[٦] جاء خبر لمولانا الشريف أن الشريف سعيداً وصل إلى الحسينية، ونزل على الشريف مبارك بن أحمد بن

---

(١) المليساء: حصن بالطائف (القاموس المحيط ص: ٧٤٢)، وهي الآن قرية، وفيها بيوت وحولها بساتين وآبار (إهداء اللطائف من أخبار الطائف ص: ٨٦).

(٢) ليّة: واد من نواحي الطائف، مرّ به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حنين يريد الطائف، وأمر وهو به أن يهدم حصن مالك بن عوف قائد غطفان. وهو وادٍ فحل من أودية الحجاز الشرقية، يمر جنوب الطائف على ١٥ كيلاً، وهو مشهور بزراعة الرمان، ورمانه من أجود أنواع الرمان (معجم البلدان ٥/٣٠، معجم معالم الحجاز ٧/٢٧٢-٢٧٣، وإهداء اللطائف ص: ٩٠).

(٣) الجال: وادٍ كبير في الشرق من الطائف، به قرى للأشراف ذوي سرور تعرف بالجال نسبة إلى الوادي (معجم معالم الحجاز ٢/١٠٨، والمعجم الجغرافي ١/٣٤٤).

(٤) هي المثناة: من وادي وج جنوب الطائف، مشهورة بجودة الرمان، وكانت للمثناة عين جارية يضرب بها المثل في تدفق المياه والغزارة، فأجريت لسقي الطائف، وهي للأشراف ذوي غالب، وكانت تعتبر من قرى الطائف. أما اليوم فهي حي من أحياء الطائف (معجم معالم الحجاز٨/٢٢، والمعجم الجغرافي ٣/١٢٥٧).

(٥) خلاصة الكلام (ص:١٥٨-١٥٩). وانظر: منائح الكرم (٥/٤١٨-٤٢٠).

(٦) في منائح الكرم وخلاصة الكلام: سنة ١٢٢٠.

زيد، فأراد الشريف عبدالكريم أن يركب إليه بعسكره، فأرسل الشريف سعيد يطلب مهلة خمسة عشر يوماً، فأعطاه المهلة، وبعد تمامها توجه إلى اليمن، وكان جماعة من الأشراف تنافروا مع الشريف عبدالكريم فخرجوا مغاضبين، وانضموا إلى الشريف سعيد، وصادفوا حمولاً من البُنّ[١] واصلة من اليمن، فأخذوها، فأرسل خلفهم جماعة من الأشراف والعسكر، ثم لحقهم بنفسه، فلما قربوا منهم دفنوا بعض البن، وأطلقوا في بعضه النار، وأخذوا البعض، وأودعوا البعض، وتركوا البعض الذي عجزوا عنه، وفرّ بعضهم إلى المخواة[٢]، وبعضهم إلى ديرة بني سليم[٣]، فلما جاء جماعة الشريف أخرجوا ما دفنوه وأخذوا ما وجدوه ورجعوا[٤].

وفي أواخر شهر جمادى الآخرة جاءت الأخبار بأن الشريف سعيداً جمع جموعاً وقصده مكة، ثم في رجب جاء الخبر بأنه دخل بجموعه دوقة، فأخذ الشريف عبدالكريم يتجهّز للقاءه، وأرسل في طلب القبائل، فجاء كثير منهم، فتوجه بهم الشريف عبدالكريم مع العساكر إلى الحسينية في شعبان، فلما بلغ

(١) البن: هناك ارتباط تاريخي وثيق بين اليمن والبن، ويرجع لليمن فضل تسميته العلمية بالبن العربي واكتشافه كمكيف، ثم فضل زراعته كمحصول بستاني والعناية به، وانتشاره في بقية أنحاء العالم العربي، ثم إلى أوروبا وآسيا (الموسوعة اليمنية ١/١٦٨-١٦٩).

(٢) المخواة: هي بلدة أهلها زهران وبني عُمر، وتتبع إدارياً إمارة الباحة، وتبعد عن بلدة المضيلف (٥٥) كيلاً شرقاً، وهي قاعدة غامد وزهران في دائرة فروع وادي الأحسبة (بين مكة واليمن ص:٣٣٢).

(٣) أي ديار بني سليم. وهم بطن من زهران القبيلة المعروفة (انظر: معجم قبائل الحجاز ص:٢٢٦).

(٤) خلاصة الكلام (ص:١٦٠-١٦١)، وانظر: منائح الكرم (٥/٤٥١-٤٥٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٣٠٥).

قوم الشريف سعيد أن الشريف عبد الكريم خرج لهم في قوة عظيمة تفرقوا عنه بعد أن وصلوا إلى العابدية[١]، ثم سعت الأشراف بينهم وأخذوا له مهلة، وجعلوا في كل شهر له ثلثمائة أحمر، وشرطوا عليه أن يسكن بيشة، فوافق على ذلك.

وبعد أيام أرسل له الشريف عبدالكريم يقول له: ارحل على الشرط الواقع، فاعتذر وتوقف، فانتقض ذلك المعين، ولم يتم.

واستمر الشريف سعيد في العابدية إلى دخول رمضان، فصام هناك، ثم توجه إلى اليمن ثاني شهر ذي القعدة، وتعرض لقافلة جهة الليث فأخذها[٢].

وفي هذه السنة عزل إيواز بك من جدة، وتولى محمد باشا، وتولى إمارة الحج الشامي نصوح باشا، ولما جاء الحج خرج الشريف لملاقاته على العادة ولبس الخلعة، وحج بالناس، وتوجهت الحجوج بالسلامة[٣].

ودخلت سنة ألف ومائة وإحدى وعشرين

وفي شوال من سنة إحدى وعشرين جاء إلى الشريف مكتوب من الصدر الأعظم مضمونه: أن نصوحاً باشا أرسل إلينا مكتوباً يشكو منكم نوع تقصير

---

(١) عين مشهورة كانت تنبع من وادي نعمان ثم تسقي أرضاً خصبة على التقاء عرنة بنعمان. وفي سنة ١٣٩٩هـ ضربت إبر ارتوازية (طلمبات أعماق) في وادي نعمان فجف ماء العين وتوقفت عن الجريان، معجم معالم الحجاز (٩٩/١٠).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء الزمن (٣٠٦/٢).

(٣) خلاصة الكلام (ص:١٦١). وانظر: منائح الكرم (٤٥٦/٥-٤٦٦).

وعدم ملاطفة، فاستغربنا ذلك منه لعلمنا بحسن سيرتكم وصفاء طويتكم، والمأمول أن تزيلوا ما هناك على فرض وقوعه، وتبدلوا بحسن الملاطفة والمؤانسة كما هو المعروف في صدق محبتكم وخلوص مودتكم.

وشاع بين الناس أن نصوحاً باشا عرض في الشريف عبدالكريم يشكو منه، وأنه برز إليه أمر بالتفويض، فحزم الشريف أمره وجمع العربان، واعتد لمدافعته، فلما جاء الحج خرج لملاقاته على المعتاد، ولبس الخلعة، وحج بالناس على المعتاد، ولم يحصل شيء، ولله الحمد. ورجعت الحجوج[١].

ودخلت سنة ألف ومائة واثنتين وعشرين

وفي آخر شعبان تفرق جماعة من السادة الأشراف من ذوي مسعود، وذوي عمرو، وذوي عبدالله، وذوي جازان، والتمّوا على الشريف سعيد، وتعرضوا ثلاثة من الجلاب الواصلة من اليمن، ثم جمعوا جموعاً وقصدوا مكة مع الشريف سعيد، فتجهز الشريف لملاقاتهم، والتقوا في شهر ذي القعدة عند المفجر، ووقع بينهم قتال عظيم، ثم انهزموا، ورجع الشريف عبدالكريم إلى مكة، وتوسط بعض الأشراف فأصلح بعض المغاضبين، وأدخلهم في الطاعة، ووصل الحج فخرج لملاقاته، ولبس الخلعة على المعتاد،

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٦٢). وانظر: منائح الكرم (٥/٤٧٩-٤٨٠، ٤٨٣).

وحج بالناس في أمن وأمان[1]، إلا أنه حصل بين الشريف عبد الكريم ونصوح باشا منافرة[2]، وارتحل نصوح باشا إلى المدينة، وجاءت أخبار بأن عربان حرب جمعوا جموعاً كثيرة وقعدوا له في جبال الخيف، فأرسل جماعة من عسكره يكشفون له خبرهم، فالتقوا بالقوم ووقع بينهم قتال، وقتل غالب العسكر الذين أرسلهم، فاشتد عليه الكرب، ثم دفع لمبارك بن مضيان شيخ حرب خمسة وعشرين كيساً، فأرسل مبارك بن مضيان إلى العرب وفرّق عليهم الدراهم، وتعاهد معهم على الكف عن القتال، وأرسل للباشا: حال ما يصلك مرسومي ارحل بالحج؛ لأن العرب جمعتهم عندي، وفرّقت عليهم الدراهم، فعند ذلك رحل الباشا بخزنته وصحبته أكابر الحج وأتباع الدولة، وتأخر كثير من الحجاج، وكان بعض العرب -وهم عوف- استقلّوا ما أعطاهم الشيخ مبارك من الدراهم؛ لكثرتهم، فحصل بينهم وبينه موافقة، ثم نكثوا عليه، ولحقوا الحجاج الذين تخلفوا وأخذوهم عن آخرهم، وحصل بذلك غاية المصيبة على المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحصل للشريف عبدالكريم والمسلمين غاية الغم لما بلغهم الخبر، وأرسل لمبارك بن مضيان يقبّح فعله وهدّده.

---

(١) انظر: منائح الكرم (٥/٤٨٩-٤٩٠، ٤٩٤، ٤٩٧-٤٩٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٣٠٨-٣٠٩).

(٢) انظر الخلاف الذي حصل بين الشريف عبدالكريم والأمير نصوح باشا في: منائح الكرم (٥/٤٩٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٣٠٩)، وتاريخ مكة للسباعي (ص:٤١٢).

وأما نصوح باشا فإنه لما وصل المدينة طلب من أهل المدينة محضراً مضمونه: أن جميع ما صار على الحجاج من نهب وتعب فكلّه بأمر من الشريف عبدالكريم، فما وافقوه على ذلك، وقالوا: ما عندنا علم بذلك، فكيف نكتب شيئاً ما شهدناه، فلما أيس من ذلك تكلم في شيخ الحرم، ورزبه ونسبه إلى الوَلْس[1] مع الشريف عبدالكريم وحرب، وجمع أكابر الحجاج وقاضي المدينة المتوجه صحبته وأمين الصرة، وكتب حجة مضمونها: أن الشريف عبدالكريم أرسل إخوانه إلى عرب حرب، وأمرهم بقتل الباشا ونهب الحجاج، وأننا رأينا إخوان الشريف بأعيننا يقاتلون مع عرب حرب، وكتب فيها جميع ما أراد، ومن توقف عن الشهادة أرضاه وكتب مِنْ عنده ما أراد، وأرسل الجميع صحبة الحجة إلى الدولة من أثناء الطريق، وأرسل صحبتهم كيخيته، وكان ذلك كله في شهر محرم الحرام افتتاح ثلاث وعشرين ومائة وألف[2].

وفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة جاءت أخبار من المدينة المنورة بأن السلطة العلية أمرت بتوجيه شرافة مكة للشريف سعيد، وورد إليهم صورة الأمر الصادر من الدولة العلية، ومعه كتب من نصوح باشا لشيخ الحرم[3]، وللقاضي، والأغوات الأسباهية، وأغاة القلعة، ومضمون الجميع: أن البلاد صارت للشريف سعيد، وأمرهم بالنداء له

---

(١) الولس: الخيانة والخديعة (القاموس المحيط ص:٧٤٨).

(٢) خلاصة الكلام (ص:١٦٢-١٦٣). وانظر: منائح الكرم (٤٨٩/٥-٥٠٥).

(٣) شيخ الحرم أيوب آغا (منائح الكرم ٥١٧/٥).

في المدينة، فتوقف شيخ الحرم، ثم تغلب عليه بعض أهالي المدينة والقاضي بواسطة بعض الناس، ونادوا للشريف سعيد يوم الاثنين تاسع عشر شوال، وزينوا المدينة، وأرسلوا صورة الأمر لإسماعيل باشا متولي جدة، وطلبوا منه أن ينادي في جدة، فامتنع من النداء خوفاً على البلد والطريق، لئلا يقع خلل بموجب ذلك[١].

وفي تاسع شهر ذي القعدة وصل جماعة من الطائف، وأخبروا أن الشريف سعيداً وصل قرب الطائف ومعه قوم، فأمر الشريف عبدالكريم عسكره الجبالية والسقمانية أن يبرزوا إلى المعابدة[٢]، ثم بعدهم بيومين برز هو إلى الأبطح ببقية عسكره وعسكر مصر والسادة الأشراف ونزل في مخيمه، وأرسل من يأتيه بخبر الشريف سعيد وقومه الذين معه، ثم جاء الخبر أنه وصل إلى شدّاد، فأمر بدق الزير[٣]، واجتمع الأشراف والعسكر وتوجه بهم إلى عرفة في الثاني والعشرين من ذي القعدة، فوجد الشريف سعيد [نازلاً][٤] بها، فبات كل منهما.

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٦٢-١٦٣). وانظر: منائح الكرم (٥/٥١٧-٥١٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٣٦٠-٣٦١).

(٢) المعابدة: حي من مكة، وهو ما يعرف بالأبطح، والبنيان اليوم في الأبطح وجانبيه كل ذلك المعابدة، وهو يشمل أحياء كثيرة منها: الخانسة والجعفرية والجميزة (معجم معالم الحجاز ٨/١٩٠).

(٣) كناية عن قرع طبول الحرب.

(٤) في الأصل: نازل. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٦٤)، ومنائح الكرم (٥/٥٢٠).

وعند الصباح وقع الرمي بين الفريقين بالبندق، واستمر الحرب إلى آخر النهار.

ثم إن الأشراف دخلوا بينهم بالكف عن الحرب يومين، فانتقل الشريف سعيد إلى الشريعة[1] -بلاد ذوي جازان-، والشريف عبدالكريم جلس مقابلاً له، بينهما مسافة ساعة، فركب الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد إلى الشريف سعيد وقال له: يا سيدي طلبنا الكفَّ عن الحرب بينكما يومين، وقد مضت، والآن قصدي أن تكون الأجلة إلى ثالث عشر ذي الحجة، فإن كان الأمر السلطاني جاء لك فتكون هذه المدة لك، ويخرج الشريف عبد الكريم من مكة، فتم الأمر بينهم على هذا. فركب الشريف عبدالكريم بمن معه ورجع إلى مكة، ونزل في بستان الوزير عثمان حميدان، واستمر في البستان من ظهر يوم الثلاثاء إلى يوم الخميس.

وفيه طلع إليه جميع العساكر إلا الإنقشارية والمتفرقة، فإنهم تأخروا عن الطلوع، وطلع أيضاً السادة الأشراف لقصد نزوله بالآلاي على جري العادة، وكان بعض الأشراف في مدة الأجلة نزل إلى البلد بصورة الفرمان[2] الوارد للشريف سعيد، وبيّت الأمر ليلاً مع الإنقشارية والمتفرقة والقاضي، فعند

---

(١) الشريعة: يقصد بها الشرائع، لأنها على لفظ جمع شريعة، وهي عين بوادي حنين على مسافة ٢٨ كيلاً من مكة المكرمة (معجم معالم الحجاز ٥/٣٠).

(٢) الفرمان: كلمة فارسية الأصل، معناها: الأمر، وكانت تستعمل في الدولة العثمانية للأوامر السلطانية أو ما يسمى اليوم بالمراسيم الملكية (هامش تاريخ الدولة العلية ص:١٩).

خروج العسكر للآلاي اجتمعوا عند القاضي وسجلوا صورة الأمر الوارد، واجتمع خلق في المحكمة، ووقع القيل والقال، فحصل من ذلك ضجة، وأرسلوا المنادي ينادي في البلد للشريف سعيد، ومع المنادي شريف من الأشراف.

وأما الشريف عبد الكريم فما عنده علم بجميع ذلك، واجتمع عنده السادة الأشراف والعساكر الذين خرجوا لملاقاته، فركب وركبوا معه، وساروا من بستان الوزير عثمان حميدان إلى أن وصلوا إلى [الدرويشية](١)، فلقيه السيد ظافر بن محمد هناك، وأخبره بالواقع، وأن المنادي وصل إلى سوق المعلاة، وأن بعض الأماكن مترّسة، فأخذ الشريف يفكّر في عاقبة هذا الأمر، فتناخت عنده السادة الأشراف وقالوا: لا بدّ من الدخول إلى البلاد، فمنعهم الشريف عبدالكريم من ذلك، وقال: نخشى على الرعية تذهب بسبب ذلك، ويهلك القوي والضعيف، وعذري منكم يا رفاقي ما سمعتم، وأما مكة فقد أعطيتها حقها وذبيت(٢) عنها، ودفعت مَنْ أراد دخولها، وجميع ما وقع فيها من ولس [ومخاوزة](٣)، إنما كانت في وجه جماعة من آل أبي نمي، والرأي أن [ترجعوا](٤) شفقة على العباد والبلاد. ثم مشى إلى الحجون إلى أن وصل

(١) في الأصل: الدوريشية. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٦٤).
(٢) الذبّ: بمعنى الدفع والمنع (لسان العرب، مادة: ذبب).
(٣) في الأصل: ومخاورة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٦٥)، ومنائح الكرم (٥/٥٢٣).
والمخاوزة: من خاوزه: أي ساسه وقهره (لسان العرب، مادة: خوز).
(٤) في الأصل: ترفعوا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٦٥)، ومنائح الكرم (٥/٥٢٣).

طوى، فوقف هناك الشريف، ثم تناخت الأشراف أيضاً، وعزموا على دخول البلد من الشبيكة، فمنعهم أيضاً، ثم استدنى السيد عبدالمعين بن محمد بن حمود، وأودعه طارفته ورجاله وجميع ما يتعلق كما هو عادتهم، وتوجه إلى الوادي[1] بمن معه من الأشراف والأتباع ما عدا العسكر الجبالية، فإنهم خدمة كل متولّ.

وأما الشريف سعيد؛ فإنه لما نودي له في البلاد وجاءه الخبر بأن الأمر قد تمّ له وسجل عند القاضي، أقبل فوصل إلى المعابدة عصر يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة، ونزل بالآلاي والعسكر والأشراف، ونزل إلى دار السعادة عند غروب الشمس، وأصبح يوم الجمعة فطلع إليه الناس وسلموا عليه، وهنؤوه، ونودي له وبالأمان في شوارع مكة، وبالزينة سبعة أيام[2].

وفي خامس ذي الحجة وصل كيخية نصوح باشا ومعه الأمر السلطاني، فانعقد مجلس بالحطيم حسب المعتاد، وقرئ المرسوم على جري العادة، ولبس الشريف سعيد القفطان الوارد، ثم حجَّ بالناس على جري العادة، ولم يحصل شيء من المخالفات، ولله الحمد[3].

---

(١) وادي مر الظهران.

(٢) خلاصة الكلام (ص:١٦٤-١٦٥). وانظر: منائح الكرم (٥/٥١٨-٥٢٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٣٦١-٣٦٤).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ١٦٥). وانظر: منائح الكرم (٥/٥٢٦-٥٢٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٣٧٠).

الولاية الخامسة للشريف سعيد سنة ١١٢٣

وهذه الولاية الخامسة للشريف سعيد، واستمر في هذه الولاية إلى أن توفي سنة تسع وعشرين ومائة وألف، وإن حصل من الشريف عبدالكريم بعد هذا حركات فهي غير منتجة بشيء، ونزل الشريف عبدالكريم بالحميماء، ثم سافر إلى جهة حرب، ومكث مدة طويلة، ثم سافر إلى مصر، واستمر بها إلى أن توفي إلى رحمة الله بالطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، وولايته كانت على مكة ثلاث مرات. وجملة مدة الولايات الثلاث: ست سنوات وعشرة أشهر.

وأما مولانا الشريف سعيد فولايته شرافة مكة كانت خمس مرات، ومدتها: عشر سنين وسبعة أشهر[١].

وفي إتحاف فضلاء الزمن[٢]: وفي اليوم السابع والعشرين من رمضان أراد الشريف سعيد أن يُخرج الشيخ محمد بن أحمد بن عقيلة من مكة، وسببه: أنه كان مختصاً بذوي بركات، فبلغ ذلك الشريف، وأنهم يجتمع عنده بعض الناس منهم، ويخوضون في أمر الدول، فطلع الشريف بشير بن مبارك والسيد شبير بن مبارك إلى الشريف سعيد مستشفعين في أمر الشيخ محمد عقيلة، فأبقاه بمكة.

وفي ثامن عشر ربيع الثاني[٣] -سنة ثمان وعشرين ومائة وألف- أمر

(١) خلاصة الكلام (ص:١٦٥-١٦٧).
(٢) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ١٩٧).
(٣) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ١٩٩-٢٠٠).

الشريف سعيد أن يبنى له عند جبل ثقبة بيوت عشاش، فبنيت، فتحول من البستان إليها، وكان هذا بإشارة حكيمه محمد البحرين، لأن الناس كانت في [أطراف][١] مرض، وفي أيام وبار النخل، وما هو إلا تخيل من الشريف، وأهله أنكروا منه هذا التطير والوحشة من الناس، فقالوا له: لا بأس أن تنظر لنفسك، فأمر السيد رجب المغربي أن يفتش له على أحد من أهل المعرفة، وجيء له برجل من أهل مصر، فشرح له الشريف حاله، فقال المصري: أحضروا لي عبداً غشيماً، فأحضروه له، فكتب له على جبينه، فصرع العبد وصار يرتعش كالسعفة، ثم بعد ذلك سكن من ذلك الارتعاش، فسأله المصري: ما سبب مولانا الشريف؟ فقال له العبد: إنه مسحور، ودفن سحره بالبستان، وقال: الساحر له عبدالكريم التكروري الذي ساكن في زاوية الجنيد، فقال له: السحر في أي موضع في البستان؟ فقال: في مكان كذا وكذا، فجاؤوا وحضروا بذلك المكان فوجدوا لوح رصاص مكتوب ومعه أوراق وإبر وشعر، فأمر الشريف الحاكم بشير القفاص والقائد زايد[٢] وزيره أن يركبوا ويقبضوا على التكروري، فوجدوا عنده أبو زيد السيد محمد [من ذوي عمرو][٣] يرجعون [في][٤] ذوي بركات، فتحقق أن الأمر من ذوي بركات، وركبوه على حمار وطلعوا به إلى الشريف سعيد، فقال له الشريف:

---

(١) في الأصل: أطرف. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٠٠).
(٢) في إتحاف فضلاء الزمن: زياد.
(٣) في الأصل: بن عمرو. والمثبت من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٠٠).
(٤) في الأصل: من. والمثبت من إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.

أخبرني بالصدق، وما عليك خلاف، فأقرّ وأخبر الشريف بالملزم له، وأنه أعطاني مائة أحمر [وأوعده][١] بمثلها، فأمر الشريف عليه بالجوخدارية، فأخذوه وخرجوا به من جهة منزل الشريف، وقطعوه ضرباً بالسيف، فسأل عبدالله والده عمّن أقرّ عليهم التكروني، فأبى أن يخبره.

وفي ثاني يوم نهبوا بيته فوجدوا عنده ثلاث جماجم آدمية، وخمسة كفوف آدمية، وصرة كبيرة [أظافر][٢] بني آدم، وشعور من كل صنف؛ أحمر، وأسود، وأبيض، وأشخاص مصورة.

وفاة الشريف سعيد:

وفي الرابع عشر من محرم ركب الشريف سعيد بعد العصر وطلع إلى بستانه بالمعابدة، وكان هذا آخر ركوبه في موكب عظيم، وكان عليه فرو ناقة، فلما وصل البستان فسخ الفرو وكان عرقاناً فأصابه الهواء، فأنزلوه إلى البيت محمولاً.

وفي العشرين من محرم توفي إلى رحمة الله تعالى. انتهى[٣].

قال في خلاصة الكلام[٤]: ولما توفي الشريف سعيد في الحادي والعشرين من شهر الله المحرم سنة تسع وعشرين ومائة وألف كان له كثير من الأولاد،

(١) في الأصل: وأودعه. وانظر: إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٠٠).
(٢) في الأصل: أظافير. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.
(٣) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٠٠).
(٤) خلاصة الكلام (ص:١٦٧-١٦٨).

وكان أكبرهم الشريف عبدالله -بكسر الدال وترقيق اللام. ذكره السيد دحلان في تاريخ الدول الإسلامية[١]، وجرى اصطلاح بعض الكتاب على كتابة عبد إله بن سعيد، وكان غائباً في نواحي الخبت، فطلبه والده لما اشتد مرضه، فجاء وحضر وفاة والده، ثم جمع الأجناد والعساكر، وفرق جانباً

في البيوت وجانباً في المنائر، حفظاً للبلاد ودرءاً للفساد، فأراد الأشراف كافة أن تكون شرافة مكة للشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد؛ لأنه في ذلك الوقت كان كبير الأشراف ورئيسهم، فامتنع الشريف عبدالمحسن من قبول الولاية، واستحسن أن تكون للشريف عبدالله بن سعيد المتوفى، ولم تخرج بقية الأشراف عن رأيه، فنزل بنفسه إلى المسجد الحرام لملاطفة الباشا، والعساكر، والأروام، وقبض الخلعة من أيديهم، وربما وضعوا الخلعة على مناكبه يريدون توليته، فطرحها عن أكتافه، فأخذها وزفها إلى الشريف عبدالله بن سعيد، وألبسه إياها في داره، ونودي له في البلاد.

وفي إتحاف فضلاء الزمن[٢]: وقد عقب الشريف سعيد نحو عشرة ذكور، ومثلهم إناث. وأكبر الذكور: السيد عبدالله، وأخوه محمد، وعلي، ومساعد، ومسعود، ومضر. وأكبر الإناث: الشريفة عنبرة. انتهى.

---

(١) تاريخ الدول الإسلامية (ص:١٥٨).
(٢) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٠١).

ولاية الشريف عبدالله بن سعيد سنة ١١٢٩هـ

وكانت ولاية الشريف عبدالله بن سعيد[١] يوم الحادي والعشرين من المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين، وسلك في أول ولايته سبيل العدل والاستقامة، واتفق مع الأشراف، ثم تغيّر حاله، وحصل بينه وبين الأشراف اختلاف كثير، حتى خرج كثير منهم من مكة مغاضباً له، وانجلوا إلى اليمن، وعجز الشريف عبدالمحسن عن الإصلاح بينهم وبين الشريف عبدالله بن سعيد، وخرجوا عن طوعه، ولم يزل أمر الشريف عبدالله بن سعيد في انحلال إلى غرة شهر جمادى الأولى سنة ألف ومائة وثلاثين، فكان عزله في هذا التاريخ. فكانت مدة ولايته: سنة، وثلاثة أشهر، وعشرة أيام. وهذه ولايته الأولى، وستأتي الثانية إن شاء الله تعالى.

ولما تحقق الشريف عبدالله عزله باتفاق الأشراف، سار إلى جهة اليمن، ثم إن الأشراف أجمعوا على أن الولاية لا تكون إلا للشريف عبدالمحسن بن أحمد ابن زيد، وهو ممتنع من قبولها، فطلبوا منه أن يولي أخاه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد، فامتنع الشريف عبدالمحسن أيضاً من تولية أخيه، فأراد جماعة من الأشراف ولاية الشريف يحيى بن بركات، وامتنع من ذلك جماعة آخرون.

ثم اجتمع الأشراف عند الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد وقالوا له:

---

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:١٦٨، ١٨٠، ١٨٣)، والأعلام (٤/٩٠)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٢٩-١٣٠)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٨٣-٢٨٥، ٢٩٣-٢٩٦).

رضينا من تولّيه علينا وتختاره، فاستحسن حسم المادة وإيضاح الجادة بولاية الشريف علي بن سعيد أخي الشريف عبدالله بن سعيد، وقد كان الشريف علي المذكور يريد الارتحال واللحوق بأخيه الشريف عبدالله لما رأى كثيراً من الأشراف يريدون ولاية الشريف يحيى بن بركات، ولم يخطر بباله أن الولاية تكون له، ولا تحدث بذلك، وإنما استحسن ذلك الشريف عبدالمحسن بن أحمد ابن زيد قطعاً للنزاع[1].

ولاية الشريف علي بن سعيد سنة ١١٣٠

وكانت ولاية الشريف علي بن سعيد[2] لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ألف ومائة وثلاثين، وكتب الأشراف والعلماء وأعيان الناس محضراً للدولة العلية باستحسان ولاية الشريف علي بن سعيد، وجاءته المراسم السلطانية بالتأييد في شوال من السنة المذكورة.

وفي هذه المدة حصل بينه وبين الأشراف اختلاف كثير، واضطربت البلاد، وكثر الفساد، وصار النهب في أطراف مكة وبالليل في مكة أيضاً، وعظمت صولة العربان بنواحي مكة، واستمر ذلك إلى شهر ذي القعدة من السنة المذكورة.

وفي هذا الشهر خرج السادة الأشراف برمّتهم إلى الوادي ونواحيه لقطع

(١) خلاصة الكلام (ص:١٦٨).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:١٦٩)، والأعلام (٤/٢٩١)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٣٠-١٣١)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٨٥).

معاليمهم وعوائدهم المقررة زمن أبيه وجدّه، ولم يبق بمكة أحد منهم، واستمروا بالوادي إلى قدوم الحج الشامي، ولم يقع منهم خلاف في تلك الأطراف. فلما وصل الحج الشامي رفعوا أمرهم إلى أميره رجب باشا، وأخبروه بأنهم يريدون عزل الشريف علي بن سعيد وولاية الشريف يحيى بن بركات أو الشريف مبارك بن أحمد بن زيد، فسألهم الوزير رجب باشا عن كبير الأشراف الذي يرجع إليه أمرهم، فأخبروه بأنه الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد، إلا أنه لم يحضر معهم؛ لتوعك مزاجه، وهو مقيم بالحسينية، والشريف يحيى بن بركات كان مقيماً بمكة، لم يحضر مع الأشراف بالوادي، فكتب الوزير رجب باشا كتاباً للشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد يستشيره فيمن يختاره لولاية مكة، وأرسل الكتاب مع جماعة من الأشراف ومعهم أخوه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد، والأمر لم يكن محزوماً إلا عليه، فحين وصلوا رحاب الشريف عبدالمحسن وأسلموه كتاب الوزير صارت بينهم مراجعات طويلة، ملخصها: أنه نكب عن تولية أخيه، واعتذر بأمور عظام، منها: أنه سيؤول تعب هذا الأمر إليه، ثم خاطب أخاه مشافهة وقال له: هل بعد الولاية إلا انتظار العزل؟ فإذا صار العزل غدوت مطروداً في جميع الطرق والمسالك، وأجمع السادة الأشراف على إبعادك عن عشيرتك وبلادك، فهل أحرزت من شرافتك غير عداوتك لرفاقك؟ وأخيب فيما أؤمله فيك وأرجوه [وفيما][1] أحكمته من جميع الوجوه من أنك ستكون الجامع لأهلي وعيالي إذا

---

(١) في الأصل: فيما. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٦٩).

كسفت شمسي وغاب هلالي؟ وهل بعد اجتهادي في حلب الدر [بفيك][1] تضيع أملي فيك؟ فمِلْ عن ذلك واقْتَدِ بي، وسِرْ على نهجي وتهذيبي. ثم شرع يجول مع السادة الأشراف فيمن يصلح لهم ويبلغهم من السعادة أملهم، فاتفقوا على الشريف يحيى بن بركات، فكتب الشريف عبدالمحسن كتاباً للوزير رجب باشا يعرّفه بذلك، وكتب كتاباً للشريف يحيى بن بركات بمكة يعرّفه بأن الاتفاق قد صار عليك، وأمره بالمسير إلى الوادي لمقابلة الوزير رجب باشا، والشريف يحيى بن بركات كان أبوه الشريف بركات تولى شرافة مكة، ثم أخوه الشريف سعيد بن بركات، ثم عزل [وأعيد الشريف أحمد بن زيد -كما تقدم-][2]، فرحل الشريف سعيد إلى مصر، وأخوه الشريف يحيى إلى الشام، ثم رجع إلى مكة سنة ألف ومائة وثماني عشرة، وجاور فيها. ولم يزل معاضداً للشريف عبدالكريم إلى أن عزل بالشريف سعيد، فلزم داره واشتغل بالعبادة، وحضور صلاة الجماعة، ولم يزل على ذلك إلى وقوع هذه الحادثة، فاتفق الأشراف على ولايته شرافة مكة[3].

---

(١) في الأصل: فيك. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٦٩).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٧٠).

(٣) خلاصة الكلام (ص:١٦٩-١٧٠).

ولاية الشريف يحيى بن بركات[1] سنة ١١٣٠هـ

فلما جاء كتاب الشريف عبدالمحسن بن أحمد للشريف يحيى بن بركات يأمره بالمسير إلى الوادي لمقابلة الوزير رجب باشا ليوليه شرافة مكة، امتثل الأمر، وكان مجيء الرسول له بعد صلاة الصبح وهو يطوف بالبيت، فسار ووصل الوادي قبل ارتفاع الشمس في رابعة النهار، فوجد الأشراف في انتظاره، فأفاض عليه الوزير رجب باشا خلعة الشرافة، وكان ذلك في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ألف ومائة وثلاثين، ودخل مكة بعد العشاء ليلة السابع، وخرج الشريف علي بن سعيد من البلاد، وسار من غير حرب ولا حصار.

وكانت مدة دولته: سبعة أشهر، وأربعة أيام، ولم تعد له ولاية مكة إلى أن توفي سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف[2].

قال الطبري في الإتحاف[3]: وفي عشرين محرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف نزل الشريف يحيى إلى المطاف، فرأى دماً في المطاف، فأمر بغسله، ونسب السيد أحمد نائب الحرم إلى التقصير، وأرسل إلى سردار الإنقشارية، لأن السيد أحمد مكتوب معهم وأمره أن يحبس، ثم إنه عزله عن منصبه.

---

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:١٧٠-١٧٧)، والأعلام (١٣٩/٨)، والجداول المرضية (ص:١٥٩-١٦٠)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٣١-١٣٦)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٨٧، ٢٩١).

(٢) خلاصة الكلام (ص:١٧٠).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٠٧-٢٠٨).

وفي ليلة هلال ربيع الأول -من السنة المذكورة- عقد القاضي تاج الدين القلعي للشريف يحيى بن بركات على الشريفة روضة[1] بنت السيد أحمد بن هزاع، وكان المهر خمسمائة أحمر، ثلثمائة مقدماً ومائتين مؤخراً، وثلاثة جواري، وعبد، ودخل عليها ليلة الاثنين.

ولقد أخبرني من أَثِقُ به أن الشريف يحيى ليلة دخلته خرج على العبيد نصف الليل، وطلب جواده فركب، فقيل: ياسيدي أنت الليلة عريس، وإلى أين تتوجه؟ فقال: خطر ببالي السرّاق يقولون: الليلة يحيى عريس، وينفلتوا على أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، فدار العسس إلى الصبح، فالشريف يحيى مدة ولايته ما غفل عن العسس، كان الليل كله يدور على مكة بطرفيها من المعابدة[2] إلى الشبيكة وقدامه مشعلين، فإذا قارب الفجر دخل المسجد، واستمر فيه حتى تطلع الشمس واقفاً تحت باب الكعبة يقرأ في كتاب له أدعية، ويميل إلى الفقراء والمساكين، وكانت أيامه مكة بغاية الأمن رخية. انتهى.

واستمر الشريف يحيى بن بركات في ولايته إلى يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر رجب سنة ألف ومائة واثنتين وثلاثين[3].

عزل الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٢هـ

فعزل عنها بالشريف مبارك بن أحمد بن زيد. فكانت مدة ولاية الشريف

---

(١) في إتحاف فضلاء الزمن: رضوة.

(٢) المعابدة: حي من مكة، تقدم التعريف به آنفاً.

(٣) خلاصة الكلام (ص: ١٧٠).

يحيى بن بركات: سنة، وسبعة أشهر، ويوماً واحداً. وهذه ولايته الأولى، وستأتي الثانية.

وسبب عزله: أن الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد توفي في المحرم سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، فحصل بعد وفاته اختلال كثير واختلاف بين الأشراف؛ لأن الشريف عبدالمحسن بعد نزوله عن الشرافة للشريف عبدالكريم ابن محمد بن يعلى إلى حين وفاته كان مرجعاً لجميع الأشراف، لا يتولى ملك ولا يعزل آخر إلا برأيه، ولا يستمر إلا إذا كان تحت أمره ونهيه.

فلما توفي الشريف عبدالمحسن تفرقت كلمة السادة واختلفت آراؤهم، وكان الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مع الشريف يحيى بن بركات في أول الأمر بالألفة والمحبة واتحاد الكلمة، إلى أن رمي بينهما بسهم التفريق، وصار كل واحد منهما عن صاحبه في فريق -ولذلك أسباب يطول الكلام بذكرها، فخرج الشريف مبارك مغاضباً إلى داره بالحسينية، فتوسط بينهما بعض الأشراف، فلم يلتئم الحال، ثم أرسل له الشريف يحيى يأمره بالتنحي عن بلاده جرياً على قاعدة آبائه وأجداده، فأخذ منه مهلة سبعة أيام، ثم سار إلى الطائف ونواحي الحجاز، فلحق به ابن أخيه وهو السيد أحمد بن عبدالمحسن بن أحمد بن زيد في جملة من الأموال والخيل والرجال، ومعه جماعة من أعاظم السادة الأشراف بعد المعاهدة بينهم على إيقاع الخلاف، وجمع السيد أحمد بن عبدالمحسن وعمه الشريف مبارك بن أحمد جموعاً من القبائل، وعزموا على مقاومة من بالطائف من الأشراف والأجناد وأتباع الشريف يحيى بن بركات،

فوقعت بينهم حروب، ثم دخلوا الطائف وكثرت أتباعهم من عتيبة وثقيف، وقصدوا مكة، فخرج لهم الشريف يحيى بن بركات بمن معه من الجند، والتقى الجيشان بعرفة يوم الأربعاء لسبع خلون من رجب سنة ثنتين وثلاثين ومائة وألف، واقتتلوا قتالاً شديداً، قُتِلَ فيه خلق كثير من الفريقين، ثم انهزم الشريف يحيى بن بركات، وتوجه إلى الوادي، ثم منه إلى الروم قاصداً الأعتاب السلطانية(١).

دخول الشريف مبارك بن أحمد بن زيد(٢) مكة متولياً عليها سنة ١١٣٢هـ

فدخل الشريف مبارك البلد الحرام، ونادى في الناس بالأمان، وبسط العدل والأمان، ودخل تحت طاعته ملكان [شريفا](٣) المقدار قد وليا شرافة مكة قبله، وهما الشريف عبدالله بن سعيد وأخوه الشريف علي بن سعيد، وكانا في اليمن، فاستدعاهما لديه، فلما وصلا إليه تلقاهما بالقبول والإكرام، وطلب منهما المعاهدة، ففعلا له ذلك، وسلكا معه أحسن المسالك، واستمرا على ذلك إلى المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، فحدثت بينه وبين

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٧٠-١٧١).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ١٧٩،١٧١)، والأعلام (٥/٢٦٩)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٣٦-١٣٧)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٨٨-٢٩٠، ٢٩٢-٢٩٣).

(٣) في الأصل: شريفي. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٧١).

الشريف عبدالله مقتضيات الفساد، ولمعت بينهما بروق النوى والبعاد، وتواترت النقول لدى الشريف مبارك بفساده، وثبت عنده أنه يحوم حول منصبه وبلاده، فعزم على إرجاعه إلى اليمن، فأمضى عزمه وأخرجه إلى الليث، وما فعل ذلك إلا لأنه تحقق أن الشريف عبدالله يريد إتمام مطالبه بملاقاة أمراء الحجوج وأعيان الدولة العثمانية، فصار الشريف عبدالله ينتقل تارة عند ذوي جازان بالبُجَيْدي(١)، وتارة بوادي مَرّ، وتارة بنواحي الطائف، وأما أخوه الشريف علي فبقي على حاله بمكة لم يقع منه خلاف، ثم ثارت فتنة بمكة بين الأشراف وبين شريف مكة الشريف مبارك بن أحمد بسبب قطع مشاهراهم، ورفع غالب مقرراهم، فخرج عن طوعه لذلك جماعة تفرقوا في الطرق والمسالك، وكان ابتداء ذلك في رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، ثم اجتمعوا بأسرهم في الوادي، واستقر رأيهم على أن تكون الشرافة للسيد أحمد ابن عبدالمحسن بن أحمد بن زيد، وأن يعزلوا عمه الشريف مباركاً، وجاءهم الشريف عبدالله بن سعيد المتقدم ذكره، وانضم إليهم، وكذلك لحقهم أخوه الشريف علي بن سعيد، إلا أهما لم يتعرضا لأمر الشرافة، وأقاموا مدة من الأيام وآراؤهم تنتقض، وتارة تكون بغاية الإبرام، ولم يزل هذا حالهم إلى أن نفدت أموالهم، وقلّت لديهم الأقوات، وانحصرت عليهم جميع الطرقات، وهم ينتظرون خروج الشريف مبارك إليهم وصولته عليهم، فيأخذونه في طرفة عين

---

(١) البجيدي: هو صدر وادي عرنة إذا دخل بين كبكب في الجنوب وجبلي لبن في الشمال، فيه قرية تعرف بهذا الاسم تقع جنوب الشرائع (معجم معالم الحجاز ١/١٧٧-١٧٨).

ويرمونه بالبعد والبين، وهو مقيم في مكة بلاده، متحصن بعسكره وأجناده، وأصاب الناس في مكة شدة وبلاء يفطر الأكباد، وكذا الشريف مبارك أصابته شدة حتى آل الأمر إلى بيع آلات ملكه[١].

وفي إتحاف فضلاء الزمن[٢]: والناس في هذه المدة في كرب شديد وشدة من اختلاف الأحوال، وانقطاع القوافل عن مكة؛ لقلة الغيث وانقطاع السبل، وأدم الناس الزيت والسمن، وباقي الأقوات تارة توجد وتارة لا توجد. ولله در القائل:

الحكم يجري بأمر الله والقدر ... وليس ينجيك منها شدّة
فسلم الأمر للرب اللطيف فكم ... من شدّة فرجت في لمحة البصر

قال في خلاصة الكلام[٣]: ثم عزم الأشراف الذين في الوادي على حرب الشريف مبارك وقتاله، واجتمع معهم كثير من القبائل، فجاؤوا وضربوا خباءهم بالزاهر، فخرج إليهم الشريف مبارك بمن معه، ووقع القتال بينهم في اليوم الرابع والعشرين من شوال، وصارت بينهم معركة خطْبها عظيم، وهولها جسيم، أصيب فيها أشخاص من الأشراف وغيرهم، وكانت الغلبة للشريف مبارك عليهم، فطلبوا منه الأمان على أن يمكثوا ثلاثة أيام في ذلك المكان، ثم يرحلون ويبعدون، فأبى، وقال: لا بد من الرحيل والإبعاد، فرجعوا من يومهم إلى واديهم، ثم توسط بينهم بعض كبار الأشراف بالصلح، فكان أول من وفى

(١) خلاصة الكلام (ص:١٧١-١٧٢).
(٢) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢١٤-٢١٥).
(٣) خلاصة الكلام (ص:١٧٢-١٧٥).

للمسالمة والإصلاح الشريف عبدالله بن سعيد، ثم اجتهد هو وبقية الأشراف، ورفع ما كان بينهم من الخلاف، وضمن لهم جميع حقوقهم، وأدى إليهم ما ترتب عليه الحال في مشاهراتهم، فدخل مكة زعيمهم السيد أحمد بن عبدالمحسن صحبة الشريف عبدالله المذكور، ورتبوا الأحوال لجماعتهم، وجاؤوا متتابعين، وهذه المرة الثانية لدخول الشريف عبدالله بن سعيد وأخيه تحت أوامر الشريف مبارك بن أحمد. ولم يزل الشريف مبارك في شرافة مكة إلى ست من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، فانتزعها منه الشريف يحيى بن بركات بولاية من السلطنة السنية، فكانت مدة ولاية الشريف مبارك نحو سنتين ونصف. وهذه الولاية الأولى، وستأتي الثانية إن شاء الله تعالى.

وسبب انتزاع الشريف يحيى الولاية من الشريف مبارك: أن الشريف يحيى لما هزم في رجب سنة ثنتين وثلاثين ومائة وألف، توجّه -كما تقدم- للديار الرومية، ولم يزل يجتهد حتى اجتمع بالسلطان أحمد بن محمد بن [إبراهيم][1] يوماً كاملاً إلا قليلاً، وصار بينهما حديث طويل، فأنعم عليه بشرافة مكة سنة أربع وثلاثين، وصدر الأمر بتوجهه مع الحج الشامي ومعه الوزير علي باشا كتاهيلي متولياً بندر جدة، وأمرته الدولة بأن يكون تحت أمر الشريف يحيى، ومعهم أيضاً أمير الحج الشامي علي باشا المشهور بابن المقتول، فجاء الجميع في عسكر جرّار ودخلوا مكة لست خلون من ذي الحجة، وخرج

---

(١) في الأصل: براهيم. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٧٤).

منها الشريف مبارك وجماعته، وأقاموا بأطراف الطائف بموضع يسمى: [جرجة][(١)]، بعد وادي ليّة[(٢)] قريباً من بلاد ثُمالة[(٣)]، وكان في جرجة حصن شاهق لبعض قبائل ثقيف فنزلوا به.

وفي الإتحاف للطبري[(٤)]: وفي أول ليلة الأحد مستهل شهر ذي الحجة بين المغرب والعشاء ترحل عن مكة الشريف مبارك، وأودع الديرة حامد بن محمد ابن يعلى، وتوجه إلى محل في شمال الحسينية يقال له: [المنصة][(٥)]، ونادى حامد من ساعته في مكة أن البلاد بلاد الله، والسلطان أحمد، وبلاد يحيى بن بركات، وفي وجه حامد بن محمد بن يعلى. فحصل للناس السرور التام؛ لأن القلوب من خوف التقلب كانت مرتاعة.

---

(١) في الأصل هنا: جرحية. وفي السطر التالي: جرجية، وبعد عدة أسطر: جرحية. والمثبت في المواضع الثلاثة من خلاصة الكلام (ص:١٧٤).

(٢) وادي ليّة: واد من نواحي الطائف.
تقدم التعريف به.

(٣) ثمالة: وادٍ عظيم منسوب لقبيلة ثمالة القديمة، يأخذ مياه شفا بني سفيان فيتجه شرقاً، ثم يعطف شمالاً، فيدفع مع عَمْقان في شيحاط، ثم في ليّة من الجنوب (معجم معالم الحجاز ٢/٨٥-٨٦).

(٤) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٢٦).

(٥) في الأصل: المنص. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٢٦).

وأرسل الشريف يحيى بن بركات بمكاتيب من قديد إلى جميع مشايخ الأشراف وأغاوات العسكر والعربان بالأمان، وأنكم على القواعد والقوانين السالفة التي عليها الملوك المتقدمين، وزينوا مكة خمسة أيام.

وليلة خمس في الحجة بعد نصف الليل دخل الشريف يحيى في جردة من الخيل والركاب، وطاف وسعى، وصلى الصبح مع الجماعة، ثم عاد بعد الفجر إلى الزاهر، وفي يومه اختلع خلعته [الواردة](1) مع الشامي، وعاد على طريق الشبيكة والمحمل الشامي بين يديه، والباشتين عن يمينه وشماله. انتهى.

الولاية الثانية للشريف يحيى بن بركات سنة [١١٣٤هـ](2)

ولما ورد الشريف يحيى في هذه الولاية الثانية لم يكن في رقّته ورأفته بالأشراف كما كان في الولاية الأولى، بل تولى الأمور بشدّة وغلاظة، فلم يزل حال الأشراف معه في نهاية الاضطراب مع نفور الأعراب.

والحال: أن الشريف مبارك وذويه آل زيد بن محسن مقيمون بأطراف الطائف ونواحيه، فقضى الشريف يحيى الحج، وكذا صاحبه الوزير علي باشا كتاهيلي.

---

(١) في الأصل: الوارد. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٢٦).
(٢) في الأصل: ١١٣٣. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٧٥).

ثم توجها في آخر محرم سنة خمس وثلاثين ومائة وألف إلى الطائف على طريق نخلة بالخيول والعساكر، وسارا سيراً عنيفاً حتى وصلا الطائف، وأقاما به يوماً واحداً، ثم توجها إلى جرجة ليلاً بدلالة لبعض شيوخ ثقيف، وصبّحاهم تحت الحصن المذكور، واستولت العساكر على أدباشهم[١]، ولم يسلم منهم إلا أشخاص، وكادوا يذهبون قتلى، لولا حفظ الله تعالى وعنايته بهم، وقتل من جماعة الشريف مبارك أشخاص، وذهب جميع ما معهم، ورجع الشريف يحيى وعلي باشا إلى الطائف، ثم إلى مكة.

ثم بعد مدة جمع الشريف مبارك المذكور جموعاً من بادية بجيلة وناصرة[٢] وبني سعد وثقيف، فاجتمع معه نحو الألف، وأقبل بهم على الشريف يحيى وصاحبه، فخرجا لملاقاته إلى عرفة، ووقع بينهم قتال شديد، ففي أول الأمر حملت الخيل على الشريف مبارك ومن معه فكسرته، والبادية الذين معه انحصروا في الجبل المسمى: بالخطة، ووقع منه قتال [أهالَ][٣] الأتراك، وكان الشريف يحيى لما خرج أخرج معه البلكات السبعة بعساكرهم، بل ومن ينتمي إليهم من سكان مكة من أبناء الروم، ومصر، والمغاربة، وعساكر بندر جدة، فقاومت هؤلاء البادية جميع تلك الطوائف بحرب طار شرره، وقتل جمٌّ غفير

---

(١) الدّبْش: أثاث البيت وسقط المتاع (المعجم الوسيط ١/ ٢٧٠).

(٢) ناصرة: إحدى الفروع الرئيسية الثلاثة لقبيلة بلحارث القاطنة جنوب الطائف، وتنقسم ناصرة إلى ثلاثة فروع رئيسية: الحسكان، والشعيث، والموسى، وديارهم تجاور ديار بني سعد من الجنوب، وهي أدنى بلاد بلحارث إلى الطائف (معجم قبائل الحجاز ص: ٥٢٥).

(٣) في الأصل: أهالي. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٧٦).

من الأتراك وغيرهم، ولم يمكنهم الاستيلاء عليهم أبداً، فأعطوهم الأمان، [وبذلك][١] سلم بقية الأتراك من القتل، ونزل البادية من الجبل، وتوجهوا إلى الطائف آمنين مطمئنين، فكانت الهزيمة في هذه الواقعة على الشريف مبارك، ورجع إلى الطائف[٢].

وفي إتحاف فضلاء الزمن[٣]: وفي ثاني عشر جمادى الثاني وصل مورق بأن الشريف مبارك في لية، وأنه جمع جموعاً كثيفة وقصده مكة، وغالب أهل الطائف لما بلغهم جموعه [المحبكة][٤] أقبلوا إلى مكة.

وفي التاسع عشر كان الشريف والباشا متنزهين بالمعلا، فورد عليهم مورق من وكيل الطائف عبدالله بن أحمد من ذوي عبدالله بأن الشريف مبارك وصل الطائف، ونادى بها لنفسه، وأن جميع عساكر يافع واليمن حشروا في بيت من بيوت الطائف من الظهر إلى المغرب، ثم إن الشريف مبارك كبس البلد. أما عسكر اليمن فعاملوه، وأما عسكر يافع فطلبوا منه يوماً وليلة، فأعطاهم، وحصرهم البدو من كل جانب، وأرسل إليهم الشريف: إما تعاملوني أو أحرق عليكم البيت، فعاملوه، ما عدا من هرب منهم نحو عشرين رجلاً.

وفي عشرين شهره جمع الباشا العساكر المصرية وقال: أنا أريد البروز إلى

(١) في الأصل: بذلك. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٧٦).
(٢) خلاصة الكلام (ص:١٧٥-١٧٦).
(٣) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٣٢-٢٣٤).
(٤) في الأصل: المنحبكة. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٣٢).

هذا الرجل المخالف لأمر السلطان، فقالوا له: نحن معك في كل شأن، فقال: إن أنا متّ فقد ولّيت كيخيتي من بعدي، وإن متّ أنا وكيخيتي فأوليت خازنداري، فدعوا له بالبقاء وعلوّ الارتقاء، فقال لهم: تهيّؤوا معنا إلى البروز إلى أرض عرفة، فأجابوا بالسمع والطاعة.

وفي هذا اليوم [برز][1] الباشا إلى جهة الأبطح مخيمه وآلة الحرب من مدافع وقنابل وزرابطين[2] من حديد [اصطنعها][3] وركبها على عجل، تُحشى بالبارود والرصاص.

وفي هذا اليوم أرسل الشريف واستصرخ جميع عربان الطاعة، فأجابوه ووردوا عليه.

وفي يوم الاثنين ورد من الطائف وكيل الشريف، وحاكمه، وجميع الخدم، ومعهم محمد بن عبدالكريم ومن معه من العسكر، وأخبروا بدخول الشريف مبارك الطائف، ونادى لنفسه.

وفي يوم الثلاثاء برز الشريف وبنو عمه والعساكر المصرية وعساكره إلى الأبطح في آلاي عظيم كالبحر يطفح.

وفي يوم الخميس برز الباشا إلى الأبطح، ثم بعد صلاة العصر نادوا بنفير عام، وأن من [لا][4] يخرج للقتال فهو منهوب مسلوب، وعلى عتبة بيته

---

(١) في الأصل: أبرز. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٣٣).

(٢) الزرابطين: نوع من المفرقعات.

(٣) في الأصل: اصطفها. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٣٣).

(٤) في الأصل: لم. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.

مصلوب، ثم أعادوا المناداة بعد المغرب بأن كل من يأكل جامكية السلطان يبرز معنا، ورجعوا عن ذلك النفير العام، ففرح المسلمون وانفرج ما كان.

وفي يوم الجمعة بعد العصر ترحل الشريف والباشا بجميع الجند من الأبطح إلى نحو عرفة، ونزلوا بمسجد نمرة، فلم يجدوا لمبارك أثر، ولا وقعوا له على خبر.

وفي ثامن عشرين جمادى الثاني وصلت قبائل الشريف مبارك إلى عرفة وعلوا تلك الجبال، وحمي بين الفريقين سوق القتال، وعلا الكرب، واشتدّ النزال إلى ضحى النهار، وهم يترامون بالبنادق محاصرون فوق تلك الشواهق، وإن الشريف مبارك ترك طائفة يتشاغلون بالرمي، وأخذ باقي الجيش ونزل بهم على وادي المغمّس[1] من وراء جبال عرفات يريد الدخول إلى مكة، وترك أولئك القوم مع جماعة الشريف يحيى، وكانت طوائف مبارك ثلاثة آلاف وسبعمائة غير التابعين، وهم: ناصرة، وبجيلة، وبني سعد، وثقيف، وثمالة، والنفعة، وزهير[2]، وآل خالد، والقُرَّح[3]،

---

(١) المغمس: هو: السهل الفسيح الواسع الذي يبدأ من أرض الصفاح والشرائع العليا (حُنَيْن) إلى سهل عرفات، بل إنّ سهل عرفات كله ما هو إلا امتداد لأرض المغمس. ويقع في وسط أرض المغمس وادي عُرَنة. وشُقّ الآن طريق مزفّت يصل بين عرفات وبين طريق الطائف على السيل، طوله حوالي (١٥) كلم، إذا سلكته تكون قد توسطتَ أرض المغمس.

(٢) زهير: بطن من هذيل اليمن، من هذيل، تتركز سكناه حول وادي نعمان وإلى الجنوب (معجم قبائل الحجاز ص: ٢٠١).

(٣) القرح: بطن كبير من المسودة من هذيل، يسكن جبال راية وعروان إلى مشارف يلملم الشمالية، وديارهم آخر ديار هذيل في الجنوب، فهم من هذيل اليمن (معجم قبائل الحجاز ص: ٤١٦).

ودعد[١]، والشلاوين.

فلما أخذ مبارك ذلك الطريق جاء إلى يحيى والباشا بذلك نذير، فصاحوا بالعسكر، واقتسموا قسمين على طريقين، فالشريف أخذ مقفى الجبل، والباشا إلى وجه الوادي نزل، وثبت الحرب إلى قريب الظهر، فالشريف مبارك لما أن رأى أن الحال تلاشى، وأن النصر مع الشريف يحيى والباشا، توجه من حيث أقبل، ولسان حاله يقول:

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُساءُ ويوم نُسَرّ
[الجور][٢] الزمان فكن فما بعد صبرك إلا الظفر

وأما البوادي فهتفوا باسم الشريف والباشا، وطلبوا الأمان، ولولا [تأمينهما لهم][٣] لما نجا منهم إنسان، فما فرّ من تلك القواضب والسمر إلا طويل العمر.

وبالحقيقة أن ذلك اليوم كان لعلي باشا، ظهرت منه شجاعة باهرة، وثبات في الحرب، وحملات قاهرة، فتارة يكون ببطن الوادي، وتارة فوق الجبل مع الأعادي، وتارة ميمنة، وتارة ميسرة، وتارة في القلب، وهو بروحه يفادي، والرصاص يتساقط من يمينه ويساره، والشريف يناديه وهو لا يلتفت لمقاله، بل مشغول بما هو فيه، فظهرت الفشلة[٤] في قوم مبارك، فقتل من

---

(١) دعد: بطن من جميل من هذيل، مسكنه صدور ملكان وضيم ورهجان (معجم قبائل الحجاز ص:١٥٦).

(٢) في الأصل: يجور. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٣٣).

(٣) في الأصل: تأنيهما. والمثبت من إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.

(٤) في إتحاف فضلاء الزمن: الفشيلة.

جماعتهم جمع غفير؛ لأنهم ولّوا، وصارت العساكر تضرب فيهم مولى، فلهذا كثر فيهم الفشل، وقتل من جماعة الشريف يحيى والباشا نحو خمسين.

وفي يوم الجمعة ثالث رجب جاء الخبر بأن الشريف مبارك بالطائف، وأنه نزل ببيت الحميدي. انتهى.

قال في خلاصة الكلام(١): ثم خرج الشريف مبارك من الطائف بسبب عسكر [وجهه](٢) إليه الشريف يحيى، وبقي في أطراف الطائف إلى شهر رمضان من السنة المذكورة(٣)، ثم دخل الطائف وأخرج منه وكيل الشريف يحيى، وهو السيد محمد بن الشريف عبد الكريم بن يعلى، واستمر الشريف مبارك بالطائف ومعه جمع من البادية، وكان بالطائف زعيم الأشراف ورئيسهم السيد محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبي نمي، وهو جدّ سيدنا الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون بن محسن، فتولى الأمر وذَبَّ عن الرعية، وأرسل كتباً مع ولده السيد عون للشريف يحيى بن بركات ولعلي باشا يعرفهما بذلك، فأرسلا يطلبانه، فوصل إلى مكة واجتمع بهما معاً، ثم بعلي باشا بمفرده، وتواطآ على أن يكتبا للشريف مبارك كتاباً بالملاطفة، ويعدانه بشرافة مكة بعد الحج، وأن يرسلا له مبلغاً من الدراهم يستعين به ويفرقه على من كان عنده من البوادي، ويستقرّ بالطائف آمناً لا يتعرض [للشيء](٤) من

(١) خلاصة الكلام (ص:١٧٦-١٧٧).
(٢) في الأصل: وجههه. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٧٦).
(٣) سنة ١١٣٥هـ.
(٤) في الأصل: بشيء. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٧٦).

الأحكام، وتعهد السيد محسن للباشا بأنه ما يخالف ما تأمره به، وأنا أمشي إليه بنفسي لأجل ذلك، وفي ضمن ذلك تنطفئ الفتنة إن شاء الله تعالى، وتنطفئ ثائرة الأشراف القائمين على الشريف يحيى، لكن لا بدّ من تسليم شيء لهم، فخاضوا في ذلك، واستقر الأمر على تسليم علوفة شهر للأشراف نقداً، ثم سلّم ذلك إليهم علي باشا من خزانته، ثم توجّه السيد محسن إلى الطائف، ووفد على الشريف مبارك ومن معه من السادة الأشراف، وأعطى الشريف مباركاً كتابه من الباشا والمبلغ الذي له، وأنزله عما كان عليه، وأعطى الأشراف الذين معه علوفة شهر نقداً، وتفرقت البوادي، واستقرت الأحوال، وأمنت البلاد، ومشت فيها أحكام الشريف يحيى بن بركات، ثم عاد السيد محسن إلى مكة ومعه جماعة من الأشراف، وجماعة من عيون خدم الشريف مبارك لقضاء بعض أغراضهم، فوجدوا علياً باشا قد توجه إلى جدة، فلحقوه بجدة، فأكرم السيد [محسناً](١) ومن معه بما لم يعهد مثله، وأعطاه السيد محسن جواب الشريف مبارك بامتثال الأمر في كل ما أمر به، فسُرّ بذلك، وتشكر من السيد محسن فيما فعله، فرجع السيد محسن إلى مكة، وحدث لعلي باشا مرض طال به إلى ذي القعدة، ثم توفي بجدة، واستقر في منصبه بعده كيخيته إسماعيل باشا، وكانت الأشراف في نهاية الاضطراب مع الشريف؛ لقطعه مقرراتهم المعروفة، والشريف مبارك ابن أحمد قد تحرك بالطائف لجمع البادية والمسير إلى مكة بعد وفاة علي

(١) في الأصل: محسن. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٧٦).

باشا المذكور، ولم تزل الحال كذلك إلى أن وصل الوزير عثمان باشا المعروف بأبي طوق أمير الحج الشامي.

ذكر نزول الشريف يحيى بن بركات عن شرافة مكة لولده بركات سنة ١١٣٥هـ

وكان في مكة أعيان الدولة، فتواطؤوا على أن الشريف يحيى يترل عن الشرافة لولده الشريف بركات[١]، ويصير هو شيخ الحرم المكي، فإذا فعل ذلك ذهبت حقوق الأشراف القديمة، ويقوم لهم الشريف بركات بما ينفعهم حالاً.

وفي هذه السنة -أي سنة ألف ومائة وخمس وثلاثين- صار فيها حوادث جمة، ومخاصمات وغارات بين الشريف يحيى والسادة الأشراف وبين عبيدهم، وعساكر الوزير المذكور[٢] وعساكر الشريف يحيى، وكانت سنة مرتجة، ولم يزل الحال كذلك إلى شهر ذي الحجة.

وفيها كان نزوله عن الشرافة لولده الشريف بركات بسبب الاختلاف والاضطراب الحاصل آخر السنة المذكورة -أعني سنة خمس وثلاثين بعد المائة والألف- حتى ظهر الخلاف في جميع الأطراف لأسباب اقتضت ذلك:

---

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص:١٧٨-١٧٩)، والجداول المرضية (ص:١٦٠)، والأعلام (٤٩/٢)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٣٥-١٣٦)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٩١).

(٢) الوزير عثمان باشا.

أحدها: موت الوزير علي باشا.

وثانيها: تحرك الشريف مبارك بالطائف وأطرافه لموت الوزير المذكور، وانخرام ما كان بينه [وبينه][1] من الوعد.

وثالثها: عجز الشريف يحيى عن إيفاء السادة الأشراف حقوقهم.

فلما وصلت الحجوج الشامية والمصرية وغيرهما صعد بهم الشريف يحيى إلى عرفات، فكانت الأشراف برمّتهم في ناحية عنه لم يخالطوه، وأوصلوا شكاياتهم إلى أعيان الدولة الواصلين في ذلك العام، ومن جملتهم أمير الحج الشامي الوزير عثمان باشا أبو طوق، فاستقر الرأي بينه وبين الشريف يحيى وأعيان الدولة أن يترل الشريف يحيى عن الشرافة لولده الشريف بركات، فبهذا الترول تنهدم حقوق الأشراف المنكسرة عنده، وتصلح الأحوال، ويداخلهم الشريف بركات بحسب جهده، ففعل ذلك الشريف يحيى، ونزل لابنه الشريف بركات في اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومائة وألف.

فكانت مدة ولاية الشريف يحيى الثانية: سنة كاملة إلا ثلاثة أيام. والأولى: سنة، وسبعة أشهر، ويوماً، الجميع: سنتان، وسبعة أشهر إلا يومين.

فزاد الاضطراب لما عرف السادة الأشراف أنها حيلة على إذهاب حقوقهم، واستولى على الشريف بركات أبوه وعمه السيد عبدالله بن بركات،

---

(١) ما بين المعكوفين بياض في الأصل قدر كلمة، والمثبت من خلاصة الكلام (ص:١٧٧).

فلا يرد ولا يصدر إلا عن رأيهما، وحصل بينهم وبين السيد محسن بن عبدالله ابن حسين بن حسن بن أبي نمي منابذات ومخاصمات عند بعض الأمور، فأراد الشريف بركات بن الشريف يحيى إزالتها، فلم يمكنه ذلك لإطاعته لهما، فبنى السيد محسن بن عبدالله على الفراق، وكذا جملة من السادة الأشراف، وأجمعوا على الإرسال للشريف مبارك بن أحمد ليصل بمن معه من الأشراف والبادية، وعزموا على مقاتلة الشريف بركات وإخراجه من البلاد، فلما أزمع رأيهم على ذلك فارقوه على مقتضى قواعدهم، وبرزوا إلى خارج البلاد، ورحلوا يوم السادس من محرم سنة ست وثلاثين ومائة وألف، وتلاقوا هم والشريف مبارك في عرفات يوم عاشر الشهر المذكور.

وفي أثناء هذه المدة لم تزل المكاتبة بين السيد محسن المذكور وبين الشريف عبدالله بن سعيد المتقدم ذكره، وكان في أطراف اليمن، ولم يزل يتقرب إلى أطراف مكة إلى أن اجتمع بالسادة الأشراف والشريف مبارك، ثم وصلوا جميعاً إلى أعالي مكة، وخرج لمقاتلتهم الشريف بركات بن الشريف يحيى ومعه والده بعساكرهم، وإسماعيل باشا صاحب جدة بعساكره، بحيث إنهم بلغوا ثلاثة أمثال الشريف مبارك ومن معه، وثارت الحرب بينهم بأعلى مكة عند المنحنى يوم الأربعاء الثاني عشر من محرم، وحمي الوطيس، واشتد الحال في القتال إلى خامس ساعة من النهار، فحملت السادة الأشراف حملة واحدة على الشريف بركات ومن معه، وهزموهم هزمة شنيعة، وقتلا فيهم قتلاً عظيماً لم

يسمع مثله، حتى امتلأت أعالي مكة من القتلى، وولّوا مدبرين، ثم جاء السيد محسن بن عبدالله وأمّن العساكر اليمنية، ونزل بهم إلى مكة لاحقاً بهم الشريف مبارك حتى أوصلهم إليه في داره العامرة، وتوجه الشريف بركات ووالده إلى وادي مَرّ بأجلة وكفلاء على قانوهم المعتاد[١].

وفي الإتحاف[٢]: وفي رابع محرم جاء الخبر إلى الشريف بركات بأن الشريف مبارك برز من الطائف إلى موضع يقال له: بستان معشر[٣]، فجعل محضراً وأخبر عسكر مصر وطلبهم الخروج معه، فأجابوا، وأرسل إلى جدة يطلب إسماعيل باشا.

وفي سادس محرم أمر الشريف على جميع مشايخ هذيل وحبسهم، وقال: نحن نبرز إلى محاربة الشريف مبارك، فإن وجدنا جماعتكم معهم حذفنا رؤوسكم، وإن لم [نجدهم][٤] معهم نفككم.

وفي ثامن محرم جاء الخبر بأن الشريف مبارك وصل الشريعة ومعه نحو ألف وخمسمائة مقاتل.

وفي تاسع محرم أصبح الباشا من جدة، وفي هذه المدة جميع السادة الأشراف جلوا على الشريف وأخذوا أجلة خمسة أيام.

(١) خلاصة الكلام (ص:١٧٧-١٧٩).
(٢) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤١-٢٤٢).
(٣)في إتحاف فضلاء الزمن: معشي.
(٤) في الأصل: نجد. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤١).

وفي يوم الاثنين برز الشريف بركات إلى جهة الأبطح لدفع الشريف مبارك ومعه نحو ألفين من يافع، ويمنة، وبدو، وبعد ساعة لحقهم الباشا [ونزل][1] بالأبطح ما عدا عسكر مصر، فرتبوهم على ثلاث فرق: فرقة بأعلى مكة، وفرقة بأسفلها، وفرقة في جوف البلد، ولم يخرج مع الشريف أحد من الأشراف سوى والده، وعمه عبدالله، وذويه، وجميع الأشراف غضاباً، وبعضهم خرج إلى الشريف مبارك وعامله، وبعضهم ارتفع إلى العابدية، وبعضهم على الخروج.

وفي هذا اليوم وردت سبور[2] الشريف بركات وأخبروا أن جميع الذين مع الشريف مبارك من هذيل قد ذهبوا بعد أن سمعوا بحبس مشايخهم، وأنهم نازلون بالخطم.

وفي ليلة الثلاثاء ثاني عشر محرم أقبل الشريف عبدالله ومن معه من البدو من قِبَل جبل النور، وكبسوا على جماعة الشريف بركات.

وعند الفجر وصل الشريف مبارك ومن معه وعلوا الجبال الشامخات، وتراموا بالرصاص نحو ثلاث ساعات. ثم إن الشريف مبارك وعبدالله ومن معهم وجميع الأشراف حملوا حملة رجل واحد، وداروا بجماعة الشريف بركات والباشا دوران السور بجميع الأطراف، ومكنوا من صدورهم الرماح، وحطّوا فيهم الصارم البتار، وقتلوا من الأتراك نحو ثلثمائة، وصوبوا نحو الخمسين،

(١) قوله: "ونزل" زيادة من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤١).

(٢) أي عيونه، لأن معنى السبر استخراج الأمر (لسان العرب، مادة: سبر).

وسلبوهم أجمعين، وتركوهم صرعى في خريق المنحنى كالخرفان، رزقاً للطير والوحش والغربان.

وأما يافع واليمن فانحاش نحوهم السيد عبدالله بن سعيد ومحسن بن عبدالله وحماهم من الطوارق، فلما رأى الشريف بركات تغلب القوم رجع من حيث جاء هو ووالده الشريف يحيى وإسماعيل باشا، أخذوا على الفلق على سويقة، ودخل الباشا [إلى](1) بيته وصك بابه وتترّس خوفاً من أذاهم.

وأما الشريف بركات ووالده الشريف يحيى والحاكم فقصدوا الوادي. انتهى ما في الإتحاف.

ثم توجه الشريف يحيى إلى الشام وتوفي بها، وكذا ابنه بركات. فكانت ولاية الشريف بركات بن الشريف يحيى مدة ثمانية عشر يوماً(2).

الولاية الثانية للشريف مبارك سنة ١١٣٦هـ

ونادى المنادي بمكة للشريف مبارك، وبالأمن والأمان. وهذه الولاية الثانية للشريف مبارك، وأمنت العباد، ودخل صحبته الشريف عبدالله(3).

---

(١) في الأصل: على. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤١).

(٢) خلاصة الكلام (ص:١٧٩).

(٣) المرجع السابق.

قال الطبري في الإتحاف[١]: وفي ليلة الخميس خامس صفر سنة ست وثلاثين ومائة وألف توجّه إلى الأبواب على طريق الشام بعروض الشريف مبارك لطلب التأييد له من السلطنة العلية مولانا القاضي أحمد بن القاضي عيسى المرشدي.

وفي عشرين صفر جعل الشريف محضراً للباشا والعساكر المصرية، وقال لهم: إني مرتحل قاصداً المدينة المنورة، وأقمتُ وكيلاً عني في البلد السيد حامد ابن محمد بن يعلى -وكان حاضراً في المحضر، وأشار إليه الشريف-، ثم قال: قصدي أن تكونوا أنتم وإياه عصبة واحدة، فأجابوه بالطاعة، وانفضّ المجلس على ذلك.

وفي هذه المدة وُشي للشريف أن السيد عبدالله بن سعيد أرسل بعروض إلى الأبواب العالية بخفية يطلب المكانة لنفسه مع عبد لشاهين الموَّال، وصحبته رجل يقال له: الصعاق، فلما أحسّ الشريف مبارك بذلك أمر بنهب بيت الصعاق، وأرسل السيد عون بن محسن بن عبدالله في طلب الرجل والعبد، فأدرك الرجل، وفات العبد ولم يحصل، وصحبته العروض، وأنكر الصعاق ذلك، ودخل على محسن بن عبدالله؛ لأن الحلّ والربط في بيت الشريف له لخصوصية بينهما، وادعى الصعاق: إني لست بمرسول، وإنما لي جِمال ضَلّت فتبعتها، وقبل الشريف دخل محسن، وأعاد له بعض دبشه، والباقي ضاع، وأرسل الشريف مبارك للشريف عبدالله أن يترحل معه إلى المدينة،

(١) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤٣-٢٤٦).

فامتنع، وقال: إن أعطيتني ستة آلاف أحمر ترحلت معك، فتزايدا في الكلام، فقال له: أنت ترسل بعرض تطلب المكانة لنفسك؟، قال له: نعم كان ذلك، ما دخلت مكة أنت بسيفك، بل دخلناها نحن وإياك، فأنت أعرض وأنا أعرض، والبلد للسلطان، فمن أراده السلطان ولاّه، وقد كان الشريف مبارك والباشا إسماعيل نفى بعض عسكره، فذهبوا وخدموا عبدالله بن سعيد، وصار إذا ركب انتشروا قدامه مثل الجراد، وهو والشريف مبارك في الظاهر متحابين، وفي الباطن متنافسين، وامتنع عبدالله من الخروج معه.

وفي ثالث عشر صفر بعد صلاة الظهر ودّع الشريف وترحل نحو حدّة[1]، ونزل في الدور، والعساكر تقدمت إلى حدّة، وترحل الصبح إلى نحو جدة، ونزل بغليل[2].

وفي يوم الخميس سادس عشر صفر وصل السيد عون بن محسن إلى مكة؛ لأنه توجه في طلب عبد شاهين المتقدم ذكره، وأخذ بساقته إلى المدينة، فلم يقف له على أثر.

وفي ليلة المولد دخل الشريف مبارك بعمرة، وطاف وسعى، وذهب إلى طوى، ثم دخل في الصبح بجردة من الخيل والدبابة، وطلع إلى داره، ودخل

---

(١) حدّا: تقدم التعريف بها.

(٢) غُلَيْل: تقدم التعريف به.

جميع العساكر صحبته، إلا أن البيارق ما دخلت، طلعوا بها إلى الأبطح تحت جبل النور؛ لأن نيته باقية على السفر.

وفي ثامن عشر مولد أول[1] أخذ السيد أحمد بن محمد بن يعلى وصحبته جماعة من الأشراف والعبيد والبادية من طريق جدة نحو ستين حمل من حب، وأرز، وعدس، وغير ذلك، ثم تفرقت القافلة، وهرب كل على رأسه، ورجع بعضهم نحو أربعين حملاً إلى غليل، فرجع الأشراف وأخذوهم ثانياً.

وفي سادس عشرينه أخذت حمول من درب جدة، ففزع لها الشريف، ثم إنه أقام ببئر شميسي لحفظ الدرب، وأرسل يطلب عسكره، فخرجوا إليه أرسالاً.

وفي الحقيقة أن والي مكة يحب الدعاء له؛ لأن الأشراف يغلبوه للقواعد التي لهم عليه، بل وماله في زماننا قدرة؛ لأنهم كثروا وتقوّوا بالمال والرجال، ولا عاد يرضيهم معلوم الشريف لوسع بايكتهم، فكل ما تولى واحداً اختلفوا عليه إذا قصَّر عليهم في المعلوم، ومدخول البلد لم يَفِ بمطلوبهم، فالله يكون في عون صاحب مكة، فما عاد في أخذ ملك مكة راحة.

وفي ثامن عشرين مولد أول خرجت قافلة من جدة نحو مائتين وثمانين جمل، فلما كانت بالقرب من غليل خرج عليهم أحمد بن محمد بن يعلى وصحبته جمع من بني عمه من آل بركات ومعه طائفة من عتيبة، فنهبوا القافلة

(١) أي: شهر ربيع الأول.

جميعها، فما بلغ الشريف إلا وقد بعدوا، فلم يتبعهم الشريف، وإنما بعض عساكره قاوموه ساعة، ثم نجوا إلى الوادي.

وفي مستهل ربيع الثاني طلع الباشا العساكر المصرية إلى عند القاضي لأنه قتل واحد من العسكر في هذه القافلة، وأخذوا لهم بعض أحمال، فشكوا أخذ أموالهم وقطع الطريق، فسمع بهم الوزير عبدالقادر والحاكم، وطلعا إلى المحكمة وقالا: ما هذا الجمع؟ فقال لهم القاضي: أموال الناس أخذت وأنتم مهملون حفظ [الطريق][1]، فهدَّ عليهم الوزير، وقال: نحن نرسل للشريف كتاباً وننتظر الجواب، وتفرّق المجلس على ذلك، وأرسلوا للشريف مكتوباً، فأرسل يقول: أنا ما قصدت في الطريق إلا لأجل حفظ أموالهم وأموال الناس، ولكن معوقتي فقد الخيل، ولا يخلوا الباشا وعسكر مصر من حالين: إما يفزعوا على خيلهم إذا طلبتهم أو يرسلون لي بخيل، فاجتمعوا وتشاوروا وأرسلوا له بعض الخيل.

وفي ثاني عشر مولد ثاني خرجت من جدة قافلة، وهي نحو مائة وأربعين حمل، وهو حبّ أهل المدينة؛ لأن بعضهم أمر ببيع حبّه، وبعضهم قال: أريده حبّاً، وحملوه جمالتهم حرب، فاعترضهم نحو ثمانين مردوفة، [واستاقت القافلة جميعها، ثم لحق بهم السيد أحمد بن محمد بن يعلى في مائة مردوفة][2] وقتلوا ناساً من القافلة، وجرحوا بعضهم، وكان ذلك الأخذ بينه وبين جدة مسافة

(١) في الأصل: الشريف. والمثبت من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤٤).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤٥).

من الظهر إلى العصر مشي، وعاد الجمالة إلى جدة ومعهم ناس كانوا بالقافلة، منهم شاه بندر جدة عاري معصوب، ففزع الشريف ولم يدركهم.

وفي ثاني عشرين مولد ثاني[1] أخذت قافلة من طريق اليمن، عدى عليها أولاد لؤي ومعهم بعض عرب، وأخذوا نحو ألف رأس من الغنم، وخمسمائة من البقر، وسمن، وحَبّ، وغير ذلك، وأصبح أهلها يلتمسون الصدقة بمكة.

وفي ثامن جمادى الأولى أخذ السيد محمد بن عبد الكريم قافلة حَبّ من جدة ونحو اثنا عشر حملاً، ولم يفزع لها أحد، ومع تفاقم الأمر عزّت الأقوات. أما السمن فلا له أثر، وصارت الناس تستعمل السَّليط[2].

وفي يوم تاسع جمادى الأول عقد الشريف مبارك بن أحمد محضراً، وجمع فيه الأتراك وقال لهم: هذه بلد السلطان، وأنتم والباشا وكلاء السلطان على هذه البلد، وأنا رجل أخذتها بالسيف، وهذه البلد شاغرة، وطريق جدة واقف، فالمطلوب أن أقسم الدرب بيني وبينكم نصفين، أنتم والباشا تأتون بالقافلة من جدة إلى حدّة، وأنا أوصلها من حدّة إلى مكة، فأعطوا اليد على ذلك، وأرسلوا الباشا وعسكر مصر الذين بجدة يدعوهم.

وفي يوم الثلاثاء وصل الجواب بأن هذه ليست عادة، ونحن نتبع القواعد.

---

(١) أي شهر ربيع الثاني.
(٢) السّليط: كل دُهْنٍ عصر من حَبّ (المعجم الوسيط ١/ ٤٤٣).

وفي هذا اليوم أرسل الشريف مبارك بعض عسكره ليأتون بقافلة نحو الركاني جاءت من جدة وعوّقها الخوف، واقتضى الحال أن لا تمضي قافلة وتعود إلا بعسكر. انتهى.

وفي خلاصة الكلام[1]: بعث الشريف عبدالله بن سعيد حين دخوله مكة مع الشريف مبارك عند انهزام الشريف بركات عرضاً إلى الدولة العلية بمساعدة أغاوات العسكر المقيمين بمكة، مضمون العرض: شكايات من الشريف مبارك بن أحمد، وأنه قتل جميع الأتراك، وأرهب عساكر الدولة حين دخوله مكة لقتال الشريف بركات بن يحيى بن بركات، ولا ذبَّ عنهم وسلمهم من القتل، إلا الشريف عبدالله بن سعيد، فوصل هذا العرض إلى الدولة، فما كان جوابه إلا عزل الشريف مبارك وتوجيه إمارة مكة للشريف عبدالله بن سعيد.

فلما كان اليوم الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين ومائة وألف وصلت البشائر من المدينة المنورة بتوجيه الأمر للشريف عبدالله بن سعيد، وصادف ذلك ما هم فيه من الاختلال. انتهى.

وفي الإتحاف[2]: وفي رابع عشر جمادى الآخر وصل عبد السيد

---

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٧٩).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤٧).

أسعد[١] مفتي المدينة المنورة، ونزل على عبدالله بن سعيد ومعه حجة من قاضي المدينة، وأرسل عبدالله إلى كبار الأشراف وأغاوات عسكر مصر، وأشرفْهم على الحجة التي جاء بها العبد من قاضي المدينة، ومضمونها: أن عبد شاهين الموَّال وصل إلى المدينة ومعه صورة الأمر بولاية مكة لعبدالله بن سعيد، فاطلعنا عليه نحن وأهل المدينة وحكمنا له بموجب أمره، ونادينا له في البلد، تعتمدون ذلك، وعن قريب هو عندكم، فسلموا الأشراف والأغاوات لذلك، وكان لأغاة الإنقشارية دَيْن عند مبارك بن أحمد، فالتَزَمَ له به الشريف عبدالله بن سعيد يسلّمه له من عنده.

وفي خامس عشر جمادى الثاني اتفقوا أن عبدالله ينزل إلى المحكمة ويشرف ما بيده على القاضي، ويرسل لسردار عسكر مصر، ففعل عبدالله ذلك، ونزل إلى المحكمة، وأشرف مَا بيده إلى القاضي، وأرسلوا إلى الأشراف والأغوات الذين بائت معهم الخبر، فقرأ عليهم القاضي الحجة، وأرسلوا إلى الشريف مبارك ليحضر، فامتنع، وأرسل نائباً عنه السيد محسن بن عبدالله، فأشرفوه على الحجة، فسلم ذلك، وخرج ليخبر الشريف مبارك بذلك، فخلع القاضي على الشريف عبدالله بن سعيد وولاّه مكة المشرفة. انتهى.

وفي الخلاصة[٢]: ولما كان يوم السبت خامس عشر جمادى الثانية نزل

(١) السيد محمد أسعد: ولد بالمدينة المنورة سنة ١٠٨٨هـ، وكان عالماً فاضلاً، تولى إفتاء المدينة المنورة مدة. توفي بالمدينة سنة ١١٤٣هـ (تراجم أعيان المدينة المنورة ص:٤١، لمؤلف مجهول).
(٢) خلاصة الكلام (ص:١٧٩-١٨٠).

الشريف عبدالله بن سعيد إلى محكمة الشرع عند قاضي مكة المشرفة، وحضر أيضاً السيد محسن بن عبدالله بن حسين، وجميع أغاوات العساكر المصرية، وأشرفوا القاضي على الكتب التي جاءت من المدينة، وطلبوا من القاضي عزل الشريف مبارك، وتولية الشريف عبدالله بن سعيد، فتوقف القاضي في عزل الشريف مبارك، إذ ليس له مسوغ شرعي يستند إليه، فتغلب عليه الأتراك مع إلزام السيد محسن بأن البلاد قد خربت، والطرقات تقطعت، والناس قد هلكوا، وقالوا له: أنت وكيل حضرة مولانا السلطان مع تحقق توجيه الأمور للشريف عبدالله بن سعيد لهذه المكاتيب الواردة من المدينة من شيخ الإسلام بالمدينة وغيره، فهذه الأشياء توجب العزل، فحث السيد محسن حضرة القاضي على العزل، فقال القاضي: نخشى وقوع فتنة وقتال بمكة المشرفة، فتعهد السيد محسن بعدم وقوع ذلك، وأنه لم يقع إن شاء الله ما يكدّر على المسلمين، غير أنكم أحضروا الملبوس ولا تفيضوه على الشريف عبدالله بن سعيد إلا إذا دخلت بيت الشريف مبارك، ففعلوا حسب ما أمرهم، فذهب السيد محسن وحذر العساكر اليمنية من الحركة، وأخبرهم أن الشريف عبدالله قد لبس خلعة الشرافة عند القاضي، وها هو قد أقبل، ثم دخل بيت الشريف مبارك.

الولاية الثانية للشريف عبدالله بن سعيد سنة ١١٣٦، وخروج الشريف مبارك من مكة

فعلى مقدار ذلك ألبس القاضي الشريف عبدالله، وخـــرج من المحكمة

على جهة سويقة، ولما صعد السيد محسن للشريف مبارك وجده قد أحسَّ بالخبر، وتحرك للقتال، فثبطه وأرخى كفله عند ذلك، وأخبره أن الأمر قد تمّ، وأن الحركة ليست بنافعة، فلما تحقق ذلك دخل عليه على عادتهم الجارية، وخرج من بيته وتوجه إلى بركة ماجن يريد الحسينية، وأقام بها مدة، ثم توجه إلى اليمن.

ومدة ولايته هذه: خمسة أشهر، والأولى: سنتان ونصف، الجميع: ثلاث سنين إلا شهراً واحداً تقريباً.

واستمر باليمن إلى أن توفي سنة ألف ومائة وأربعين، فتولى الشريف عبدالله بن سعيد، وتمّ الأمر له، وهذه الولاية الثانية للشريف عبدالله بن سعيد، وكان جلوسه هذا خامس عشر جمادى الثانية سنة ألف ومائة وست وثلاثين[١].

قال في الإتحاف[٢]: وطلع إلى داره الذي بناها في جبل أبي قبيس، وجلس فيها للتهنئة إلى بعد العصر ، حتى تحول الشريف مبارك من

---

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٨٠).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤٧-٢٥٢).

دار السعادة، ومن الموافقة العجيبة هؤلاء يقشعوا وهؤلاء يفرشوا، ونادى المنادي أن البلاد بلاد الله، وبلاد السلطان أحمد، وبلاد عبدالله بن سعيد، وصحبة المنادي علي بن سعيد وجملة من العساكر خوفاً عليه من الأضداد، وانتقل إلى دار السعادة.

وقد أرّخ ولايته هذه الشيخ أحمد بن خالد بقوله:

زماناً بلينا فيه بالنهب والغلا ... فمنَّ الله علينا بالأمن والسخا

بفرطِ سرور قلت فيه أماناً ... بعبدالله يحمد [الرّخا][1]

وفي ثامن عشر شعبان جاءت البشائر من ينبع إلى الشريف عبدالله بدخول القفطان، وخرج لملاقاته ثلاثون عسكري من يافع.

ثم في آخر شعبان وصل أغاة القفطان وصحبته القفطان، وبرزت إليه العسكر المصرية، ونزل الشريف إلى المسجد، وقرئت مراسيمه، ولبس القفطان، وألبس أرباب المناصب على العادة، وطلع إلى داره، وجلس للتهنئة، ونادوا بالزينة ثلاث ليال.

وفي عشرين من شعبان سنة ألف ومائة وست وثلاثين كان عقد نكاح الشريف عبدالله بن سعيد على بنت عمه الشريفة صالحة بنت مساعد بن سعد، وكان العاقد مولانا الشيخ عبدالقادر المفتي، وأمهرها الشريف عبدالله ألف شريفي مغربي، وأربعة عبيد، وثمانية جوار، وأربعة حبوش صغار، وأربعة سودان، ودفع لها صيغة كاملة، وكان عقداً حافلاً بالأعيان والأشراف، وألبس الشيخ عبدالقادر فرواً قاقم[2].

---

(١) في الأصل: والرخا. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤٨).

(٢) القاقم أو القاقوم: أنواع من بنات عرس (الموسوعة العربية ص:١٣٦٢).

وفي رابع عشرين شوال عقد الشريف عبدالله مجلساً بالقاضي والأغاوات المصرية، وقال لهم الشريف: أريد منكم أن تكتبوا للباشا كتاباً على أن يقرضني ثلاثين كيساً، ويرهن البندر تحت يده حتى يخلص، فوافقوه، وكتبوا للباشا كتاباً ووضعوا خطوطهم عليه.

وفي غرة ذي القعدة وصل جواب الباشا الذي كتبه عسكر مصر والقاضي بالامتناع من تسليم ذلك للشريف، وقال: هذا مال السلطنة، وليس لي فيه شيء.

وفي شهر ذي القعدة تمت عمارة بيت الشريف عبدالله الذي بناه في جبل أبي قبيس، وصنع فيه متارس، وسماه: بيت النار، ولم يسكنه أحد، وإنما هو مصكوك[1] أعد للحصار.

وفي ثالث عشرين ذي القعدة طلع كبار الأشراف إلى القاضي وشكوا عليه تقصير الشريف عبدالله في معاليمهم، ثم نزلوا من عنده وقصدوا سردار الإنقشارية، وحضرهم باقي البلكات وشكوا حالهم، وقالوا: نريد منكم إما أن تأمروا هذا الرجل يعطينا ما هو لنا أو يوسع من بلدنا، وإلا تكونوا معنا عليه، فقالوا: حتى نطلعه على هذا الخبر ونرى جوابه، فذهب أغوات البلكات أولاً إلى القاضي واجتمعوا به، ونزلوا من عند القاضي، وطلعوا إلى الشريف عبدالله وأخبروه بشكاية الأشراف، فأجاب: بأني مقصّر في حق الأشراف، وتقصيري ليس باختياري، وإنما لم يكن في اليد شيء، إنما في هذه الليلة أرهن جميع ما

(١) أي مغلق.

عندي عند السيد سعيد بن سليمان، وفي غد أصرف لهم ما وقع عليه الاتفاق، فخرجوا من عنده على ذلك، وجاؤوا إلى بيت السيد محسن بن عبدالله؛ لأنهم مجتمعون هناك، وقالوا له بخطاب الشريف لهم، فقال لهم الأشراف: وإذا لم يرضينا غداً؟ قالوا: نكن معكم عليه، ولكن نريد منكم أن ترسلوا لجماعتكم الذين بالوادي أن لا يتعرضوا للطريق، فأجابوا إلى ذلك، وأرسل الأشراف السيد هزاع بن أحمد بن هزاع بأننا قد ذممنا القافلة منكم، وأنتم لا تتعرضوا الطريق، وأقبلوا علينا حالاً، لأننا قد اتفقنا مع عسكر السلطان على ما صار بيننا، فأقبل الأشراف من الوادي ومعهم بادية متسلحون بالعدة، ونزلوا بالمسفلة، واجتمع بعضهم ببعض، وأمروا عبيدهم أن يخربوا، وهم أيضاً لبسوا الدروع وهيؤوا للقتال، فلما بلغ الشريف عبدالله أمر العساكر بالخربة والعبيد كذلك، ودق الزير، وأخرج البيارق. ثم إن الأشراف أخرجوا مبارك بن صامل بن بشير[1] بن فضل ومسعود بن حراز إلى أغاة القفطان يشكون هذا الحال عليه، ويسألونه إنجاز الوعد الماضي بالأمس، أن يسلم لهم ما هو لهم، فأجاب أن الشريف يدّعي العجز لعدم المدخول عن وفاء مطلوبهم، والمقصود: إما أنكم تصبرون عليه ثلاثة أيام، أو أنكم تحاسبوه على ما دخل من جدة وغيرها، فإن بقي لكم شيء بعد الذي وصلكم نأمره بتسليمه، فأجابوا: لا نرضى إلا بالتسليم ما وقع عليه الوعد، وإلاّ نقاتله، وطال اللجاج.

ثم إن أغاة القفطان قال لهم: أنا أجتهد إن شاء الله تعالى في تمام حالكم،

(١) في إتحاف فضلاء الزمن: شنبر.

وخرجوا من عنده، فأرسل إلى الشريف عبدالله وألزمه في تحصيل ما هو لهم، فتعذّر على الشريف ذلك، ثم حضر رهوناً عديدة نحو عشرة آلاف أحمر، وأعرضها على سعيد بن سليمان بوجاهة القفطنجي، فأجاب إلى رهنها بستة آلاف، فتعذر على الشريف عبدالله تحصيل ما بقي، ومضى النهار على ذلك والشريف عبدالله يدق زير الحرب، وعسكره وبدوه يبيتون على بابه، والأشراف بالمسفلة، وجياد، وسوق الصغير، وتشوشت خواطر الناس، وعزّلت الأسواق، وصككت البيوت ذلك النهار، وأصبحوا يوم الثلاثاء كذلك -وهو يوم الخامس والعشرين من ذي القعدة- والشرّ بينهم متطاير الشرار، والخصام يجمع بين الأخيار والأشرار، وقد ترّسوا بيت يحيى ابن بركات، ومدرسة النخلية، وغالب بيوت السوق الصغير، وبيوت المسفلة، وجياد، ودقوا زير الحرب، وأقبلت خيلهم على بيت عبدالله، فلما رأى الشريف عبدالله ذلك أمر العسكر والعبيد أن ترمي بالرصاص على الأشراف، فتراموا.

ثم إن الشريف أمرهم على من في النخلية، فرموهم بالرصاص إلى أن خرجوا بعد أن قتلوا جماعة منهم، وترّسوها العسكر، وكذلك جاء بيرق من عسكر مصر بطلب الشريف لهم وطلعوهم في القصر الذي فوق باب إبراهيم، والبيوت التي حواليه، وزحفت جماعة عبدالله على الأشراف، فرموهم بنحو أربعين مدفعاً، وصار الرمي بينهم إلى الظهر، وإنما الترك تسلطوا وفتحوا خلوة في باب الشرشورة فدخلوا منها، وحصلوا طاقة مقابلة لبيت يحيى بن بركات

في وجه الأشراف، فصاحوا عليهم بشعارهم: الله الله، ورموهم بطلق، فلما أحسَّ الأشراف بالأتراك علموا أنهم باقون، فخشوا على أنفسهم، فقفوا وارتفعوا إلى بئر طوى، وركب الشريف خلفهم إلى الشبيكة، وعاد.

ثم إن سعيد بن سليمان وزيد بن أحمد أخذوا لهم أجلة ثلاثة أيام على عادتهم من صاحب مكة، فأعطاهم، ونزلوا بطوى.

وبعد العصر أطلق الشريف مناديه بالأمان والاطمئنان، وبسط السوق على عادته، وركب الشريف عبدالله -يوم السادس والعشرين من ذي القعدة- إلى الأشراف في طوى وفاوضهم، وألان لهم الكلام، وكان من بعض قوله لهم: أن الأخيار بعد الحرب يصطلحون، وقال لهم: أنا أعوضكم، فأعاد عليه الكلام السيد عبدالمعين بن محمد بن حمود وقال له: على إيش جئتنا هنا، وما الذي أتيت به إلينا من حقوقنا؟ فقال الشريف: يواجهني منكم جماعة بعد العصر، وأنا أتفق معهم على ما يرضي الجميع، وركب وعاد من عندهم وقت صلاة العصر، ولم يحصل بينهم وفاق، فترحل بعضهم إلى الوادي، وبعضهم إلى الطائف. انتهى.

قال في خلاصة الكلام بعد ذكر هذه الواقعة[1]: وأما الأتراك فهم في بيوتهم حافظون أيديهم على الفريقين، إلا أنهم في آخر الأمر جنحوا إلى إعانة

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٨١-١٨٣).

الشريف عبدالله بن سعيد بعد أن كان بينهم وبين السادة الأشراف عهود ومواثيق بعدم المعاونة، فرفضوا تلك العهود السابقة، فلما أعانوه حصل له النصر، فأخرج الذين قاوموه من القصور مكسورين، بعد أن قتل من الفريقين بعض أشخاص، فتوجهوا جميعاً إلى طوى، فأقاموا ثلاثة أيام لقضاء مآربهم ونجاح أغراضهم، ثم ساروا إلى وادي مَرّ قاصدين ملاقاة الوزير عثمان باشا أبي طوق أمير الحج الشامي ليعرضوا عليه حقائق أحوالهم؛ لأنه كان أميراً على الحج سنتين -هذه والتي قبلها-. فلما جاء الحج اجتمعوا به وشكوا ما حَلَّ بهم إليه، فقابلهم بالإجلال والإكرام، ووعدهم بقضاء مطالبهم، فلما وصل إلى مكة واجتمع بالشريف عبدالله أخبره باجتماع السادة الأشراف به وشكايتهم إليه، وأفهمه بما وعدهم به، فأخبره الشريف عبدالله بمقدار ما يطالبون به من الدراهم، ومقدار ما يصل إليه من المحصولات التي لا تفي بما يطالبون به، واستمال الوزير المذكور حتى صار في جانبه، ثم اتفق الشريف مع الوزير المذكور على تنقيص معاليمهم وعلى توزيعها على قدر المحصولات، وكتبوا بذلك دفتراً ينطوي على العشر من مشاهراهم المعروفة ومقرراهم المألوفة، وأمرهم الباشا بالختم عليه ليرجع عند الاختلاف إليه، وتلطف بهم، ودفع لهم شيئاً من مقرراهم حتى تفرق أولئك السادة الأشراف في سائر الأطراف، وعاقب الشريف عبدالله بعض أهالي مكة ممن كانت له يد مع أولئك السادة الأشراف.

فمن جملة ذلك أنه اعتقل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد بن الشيخ

عبدالمعطي الشيبي، وطوّقه الأدهم[1]، وأثبت عليه الذنب المقتضي ذلك، وألزمه بدفع مبلغ خطير من المال، فسلّمه ودفعه إليه، وحقن بذلك دمه، وفي أثناء الاعتقال عزله عن المنصب، ونقله إلى ابن عمه، وبعد الفكاك من الاعتقال أمره بملازمة بيته.

ومن جملة ذلك أيضاً: أنه أغار على شيخ الحديث في عصره العلاّمة الشيخ سالم بن الشيخ عبدالله البصري، وألزمه بمبلغ جسيم من المال بمسوغ سقيم، وأفهمه بأن الآمر به حضرة الوزير، ومنعه من الوصول إليه وبثّ الشكوى إليه، ولم يزل يكرر عليه الرسل في دفع المبلغ الذي طلبه منه، حتى باع عزيز دبشه وكتبه، وسلم جميع ذلك.

وعدا على رجل من علماء الأروام يدعى بصالح أفندي، وجهه إلى ناحية القنفدة، وصرّح له بأنه ورد أمر بنفيه من الدولة العلية، وقد كان سابقاً من جملة أعضاده ومن أعاظم أنصاره وأنجاده، وهكذا كانت صفة الرجلين الأولين معه، فرجع عليهم في جميع أفعالهم وأذاقهم مرارة نكاله.

ومن جملة ذلك: أنه أبرز دفتراً ينطوي على أسماء التجار سكان مكة وجدة والواردين من جميع الأقطار بتوزيع مال خطير، وجعل المتولي لجمعه حضرة الوزير، فكانت هذه السنة من أقسى الأعوام على سكان بلد الله الحرام.

(١) الأدهم: القيد (المعجم الوسيط ١/ ٣٠٠).

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة وألف والحال مستمر في الشدة إلى دخول شهر ذي القعدة، فوصل والياً على جدة الوزير أبو بكر باشا، ثم وصل إلى مكة ومنع الشريف[١] عبدالله عن بعض تلك الأشياء.

واستمرت ولاية الشريف عبدالله إلى خامس عشر شهر ذي القعدة الحرام ختام سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين، فكانت مدة هذه الولاية الثانية: سبع سنوات، وخمسة أشهر، وعشرة أيام، [والأولى كانت مدتها: سنة، وثلاثة أشهر، وعشرة أيام][٢]، فمجموع مدة الولايتين: ثمان سنين، وثمانية أشهر، وعشرون يوماً.

فانتقل إلى رحمة الله بعد أن مرض أياماً، وكان انتقاله في التاريخ المذكور، ودفن بأسفل مكة بوصية منه في موضع مقابل لقبر الشيخ محمود بن إبراهيم ابن أدهم[٣]، وبُني عليه بناء[٤] وتابوت، وكان ابنه محمد غائباً في أطراف اليمن، أرسله والده لحفظ تلك الأطراف مع جمع من العساكر والأشراف، فاستمر هناك إلى أن دعي بعد وفاة والده لشرافة مكة، وكانت وفاة والده في آخر النهار بمنزل كان له بطوى خارج البلاد، فأخفى موته إلى آخر الليل، وتولى الأمر والتدبير إخوة المتوفى وهم: السيد مسعود بن سعيد، والسيد مضر

---

(١) قوله: "الشريف" مكرر في الأصل.
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٨٣).
(٣) قبر الشيخ محمود: مكان في جرول بمكة دفن فيه الشيخ محمود بن إبراهيم بن أدهم، وقد أحيط، وهو اليوم مهجور لكنه معروف مشهور (معجم معالم الحجاز ٤٧/٨).
(٤) وقد هدم ذلك إذ لايصح البناء على القبور .

ابن سعيد، والسيد مساعد بن سعيد، وغيرهم من بقية الإخوة، لكن كان المتقدم على الجميع السيد مسعود بن سعيد؛ لأنه كان أكبرهم، فضبطوا البلاد، وتداخلوا مع القاضي والعسكر المصرية وبعض السادة الأشراف بدفع جانب من المال، على أن يكون المتولي بعد وفاة الشريف عبدالله بن سعيد ابنه الشريف محمد؛ لكونه أكبر من أخيه السيد ثقبة.

ولاية الشريف محمد بن عبدالله بن سعيد[1] سنة ١١٤٣هـ

فاجتمعوا عند القاضي ليلاً، وسجلوا ذلك، ونادوا باسم الشريف محمد استقلالاً، وباسم أخيه السيد ثقبة وكالةً وحفظاً، فما أصبح الصبح إلا وقد استتبت أحوالهم، واستقرت البلاد، وأمنت العباد، وذهب الرسول لاستدعاء الشريف محمد من اليمن، فوصل في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، ولبس الملبوس بحضرة الأعيان والعساكر، ودُعي له على المنابر، وكان عمره نحو العشرين سنة، ثم أقبلت الحجوج السلطانية، ولبس الشريف محمد الخلع العثمانية.

ثم لم يزل الاتفاق جارياً بين الشريف محمد وعمه الشريف مسعود على أحسن المسالك، إلى أن رمى الله بينه وبين عمه بسهم التفريق، وتوحش قلب

(١) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص:١٨٤، ١٨٨، ١٩٦)، والجداول المرضية (ص:١٦٠)، والأعلام (٢٤١/٦)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٣٧-١٣٨)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٩٦-٢٩٧، ٢٩٩).

كل منهما من الآخر، ثم جرت بينهما منافرات ومنابذات نشأ منها دعاوٍ ومرافعات، ونفرت قلوب السادة الأشراف منه، وانصرفت وجوههم عنه، وأقبلوا بكليتهم على عمه السيد مسعود، وجعلوا يتسللون من مكة إلى الطائف حتى استتم به عددهم وحصل مقصدهم، ثم خرج عمه السيد مسعود لاحقاً بهم مدركاً لمأموله بسببهم، وأخرجوا من كان بالطائف من عساكر مولانا الشريف محمد بمجرد الترهيب والتخويف، واستقلوا بالطائف ونواحيه، وطلبوا مَنْ حوله من عربانه وبواديه، [وصرَّح][1] منادي عمه الشريف مسعود باسمه، ودخلت العربان تحت حكمه، وكان ذلك في شهر ربيع الثاني سنة خمس وأربعين ومائة وألف.

وقد تقدم أن عمه الشريف مسعود هو الذي أجلسه في منصب الشرافة بعد موت أبيه، ثم أكد أساسها ورتب أحكامها وحراسها، وصار هو المدبِّر لجميع الأمور، فحسده بعض ذويه، وشرع يرمي الفتن بينه وبين ابن أخيه، فصارت بينهما مهاجرة ومباينة ومباعدة، فمن حين وقوع تلك المهاجرة والمباعدة [صار عمّه][2] يستميل له كبار السادة الأشراف، فمالَ إليه من كل فخذ جانب، وصاروا معه بغاية الائتلاف إلى أن اجتمعوا بالطائف

---

(١) في الأصل: وصرخ. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٨٦).
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٨٦).

-كما تقدم-، [واستمالوا][١] قبائل ثقيف وغيرهم، واستمروا بالطائف إلى رابع شهر جمادى الأولى، ثم نزلوا إلى مكة المشرفة على طريق الثنية، وأرسلوا قومهم من عقبة كرا، وسبب ذلك: أنهم لما أطالوا الإقامة بالطائف -وكان الشريف محمد يسمع باجتماعهم- استبطأ قدومهم عليه بمن معهم، وكان مستعداً لهم بعساكره، فنهض إليهم بعساكره وخيوله، وصعد على طريق يَعْرِج[٢]، فلما وصل إلى قَرْن المنازل[٣] أقام به ذلك اليوم للاستراحة، وهم إذ ذاك بالطائف لم ينتقلوا منه، فبلغهم وصوله إلى قرن، فتأهبوا لملاقاته يومهم ذلك، فلما جلس وتأخر في قرن ولم يصلهم، استحسنوا أن يعقبوه ويتوجهوا إلى مكة، وجعلوا له أشياء [تفهمه][٤] أنهم مازالوا ماكثين في الطائف مستعدّين له، وذلك أنهم أبقوا إشعال النار، وضربوا الطبول بالطائف وحواليه، وسروا ليلتهم على طريق الثنية، فما جاءه الخبر بانحدارهم إلا ضحى اليوم الثاني، وهم في اليوم الثاني قد وصلوا تهامة وسبقوه إلى عرفة، فرجع القهقرى بنهاية التعب ومزيد النصب، إلا أنه حال بينهم وبين قومهم النازلين على عقبة كرا[٥]، ثم

(١) في الأصل: واستمال. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.
(٢) يعرج: وادٍ من روافد نعمان، يسيل بين كرا جنوباً وتفتقان شمالاً، ثم يجتمع مع وادي الكر عند القرين مكوِّناً مع أودية أخرى صدور نعمان (معجم معالم الحجاز ١٠/٢٥-٢٦).
(٣) قرن المنازل: جبل مطل بعرفات، وهو ميقات أهل اليمن والطائف (معجم معالم الحجاز ٧/١١٨).
(٤) في الأصل: تفهم. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٨٦).
(٥) كرا: هو ذلك الجبل الضخم الذي يصعده الطريق بين مكة والطائف.
تقدم التعريف به.

لما وصل قصدهم إلى موضعهم الذي وقفوا فيه للمقاتلة، وهو جبل الخَطْم[١] الكائن على يسار الصاعد إلى عرفات، وعنده صارت الوقعة بين الفريقين، ثم انجلت في مدة طرفة عين، وكانت تلك الوقعة من [أشدّ][٢] الوقعات وأعظمها فتكاً؛ لأنه لم يباشر القتال فيها إلا الأشراف بأنفسهم.

وأما القبائل فقد حال بينهم وبينهم، فوَجَّه الأشراف وجوه الخيل إلى العساكر ولم يعملوا إلا بالرماح والسيوف البواتر، والرصاص عليهم من أجناد الشريف محمد كالمطر المتواتر، والأشراف لا يتجاوزون المائة، ولم يزالوا كذلك حتى هزموا الشريف [محمداً][٣] ومن معه، ودفعوه عن تلك الممالك، وتوجه مهزوماً إلى ناحية الحسينية، وانحازت عساكره وطبوله إلى الشريف مسعود، وكانت هذه الوقعة سابع جمادى الأولى سنة خمس وأربعين ومائة وألف[٤].

---

(١) جبل الخطم: جبل أخشب فيه بياض، مستطيل على شكل عرف، يكنع في وادي عرنة من الشمال الغربي، يسيل غربه وادي السقيا، وبسفحه الجنوبي قرية للرياشى (بطن من هذيل) وبلادهم هناك الهمدانية (معجم معالم الحجاز ٣/١٣٧).

(٢) في الأصل: أشهر. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٨٧).

(٣) في الأصل: محمد. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٤) خلاصة الكلام (ص:١٨٤-١٨٧). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (٦-٩).

ولاية الشريف مسعود بن سعيد[١] سنة ١١٤٥هـ (وهي الولاية الأولى له)

فكانت مدة ولاية الشريف محمد: سنة، وخمسة أشهر، واثني عشر يوماً.

ثم إن الشريف [محمداً][٢] أقام بالحسينية أياماً داخلاً على بعض الأشراف على قوانينهم المعتادة، ثم توجه تلقاء اليمن، ولم يزل في مسيره إلى أن اتصل بالمخواة[٣]، ثم تنكب ذروة سراة بجيلة، ثم رجع إلى الطائف، فتلقته قبائل ثقيف، وقابلوه بالتعظيم والتشريف، وعرضوا أنفسهم عليه، فاستخدم بهم ونال مقصده الأسنى بسببهم، فبلغ حضرة الشريف مسعود صاحب مكة وصول الشريف محمد إلى الطائف، وأن قبائل ثقيف قائمون لنصرته، فنهض وأقبل عليه بمن معه من الجنود، وتلاقيا بوادي المثناة بالقرب من الطائف في اليوم الثاني عشر من شعبان سنة ألف ومائة وخمس وأربعين، فانحاز الشريف محمد وثقيف إلى [جبال][٤] هناك شاهقة، بحيث لم يكن للخيل بها مجال؛ لوعارة تلك الجبال، فتواتر على الشريف مسعود ومن معه الرصاص، حتى لم

(١) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص:١٨٧-١٩٥)، والأعلام (٢١٨/٧)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٣٨-١٣٩)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٢٩٩، ٣٠١-٣٠٢).

(٢) في الأصل: محمد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٨٧).

(٣) المخواة: بفتح الميم وإسكان الخاء المعجمة وفتح الواو بعدها ألف وهاء: بلدة ذات قرى كثيرة بتهامة زهران، وهي تابعة لإمارة الباحة الآن (المعجم الجغرافي ١٢٨٧/٣، وهامش تاريخ مكة للسباعي ص:٤٢٦).

(٤) في الأصل: جبل. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٨٨).

يكن لهم غير التسليم[١] مناص، فانهزم[٢].

الولاية الثانية للشريف محمد بن عبدالله بن سعيد سنة ١١٤٥هـ

واستقل الشريف محمد بالشرافة، وتوجه الشريف مسعود بعد أن أخذ الأجلة على المعتاد، وتوجه الشريف محمد إلى مكة، فكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر وأياماً، وهي مدة شرافة الشريف مسعود في هذه الولاية، ثم استمر الشريف محمد على ولايته، إلى أن وقعت حادثة غريبة تولّد منها مفاسد وأمور عجيبة، فكانت سبباً لرجوع الشرافة للشريف مسعود، وذلك أنه في عشرين ربيع الأول سنة ست وأربعين ومائة وألف طلع سردار الإنقشارية المقيمين بمكة حسين آغا إلى بستان بأعلى مكة متنزهاً بأهله وأولاده وخدمه وبعض أجناده، فحصل من بعض جماعته فتكة في بعض العساكر اليمنية خدام مولانا الشريف محمد، فلما سمعت العساكر اليمنية بما أصاب صاحبهم جاؤوا وأحاطوا بالموضع الذي فيه حسين آغا المذكور، وبادروه برمي الرصاص، وأذاقوا جماعته حر السلاح، وأغاروا على جميع ما في أسفل الدار من النحاس والفراش، وغير ذلك، وقتلوا له عبداً وخادماً وحصانين جيدين، فبلغ مولانا الشريف محمداً ما صار، فركب فوراً ليمنع العساكر، ويحرز ما بقي من الأثاث.

(١) في الأصل زيادة: لهم. انظر: خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٢) خلاصة الكلام (ص:١٨٧-١٨٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٩-١٠).

فلما وصل إلى الموضع قام السردار من محله فرحاً بمجيء مولانا الشريف، وفتح الطاقة ليخاطبه منها، فلما وقف بها أصابته رصاصة من بعض العساكر عاش بعدها ساعة، ثم مات، ودفن هو وخادماه في يوم واحد، فتولّد من قتله فتن عظيمة، ومتاعب على الخلق جسيمة، وذلك أن العساكر المصرية تعصبت وتحزبت، واستدعوا من كان منهم ببندر جدة، فصاروا جمعاً عظيماً، وتفرّقوا في بيوت سويقة وغيرها مما قاربها، وسدّوا منافذ الأزقّة، واخترعوا متارس في تلك الدور، فأرسل إليهم مولانا الشريف محمد من يكفّهم عن ذلك، فأجابوا بأجوبة سقيمة، وأصدروا أرقاماً إلى مصر فيها الإخبار بقضيتهم، وأن ذلك إنما كان عن أمر الشريف محمد قاصداً به إذهابهم وتدميرهم، واستمروا أكثر من شهر على الحال المذكور، وليس لهم قدرة على الإقدام على الشريف وقتاله، وهو مستقر في داره لم يزل يعاملهم باللطف، وأرسلوا في أثناء تحزّبهم إلى الشريف مسعود، وكان مقيماً بخليص، وأرسلوا له شيئاً من المال [ليستعين][1] به على جمع الرجال، فقبض المال ، ثم رحل إلى وادي

---

(١) في الأصل: يستعين. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٨٩).

مَرّ، وشرع يتألف الأشراف ويجمع البادية من الأطراف، فوصل إلى مكة الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بعد مكاتبات كثيرة صدرت منهم إليه، وهيّأ مجلساً فيه القاضي، ومشايخ الإسلام، وأهل الحَلّ والإبرام من أكابر الأروام، بعد أن حصل الاتفاق بينه وبين الشريف على إصلاح الأمر، ثم خاض مع الحاضرين في تلك القضية، واتفقوا على أن كلاً من العساكر يكفّ يده إلى أن يصل الجواب من السلطنة العلية، وكتب بذلك صكاً.

ثم في اليوم الثاني أمر العساكر المصرية بالنزول إلى جدة، ونزل هو بعدهم، فلما وصلت العساكر إلى جدة أرسلوا شيئاً من الذخيرة والدراهم للشريف مسعود بوادي مَرّ، وأظهروا التغلب على حكام مولانا الشريف الذين بجدة بالترهيب والتخويف، واستقلوا بالبندر وأحكامه، وشرعوا يشدون الذخائر إلى الشريف مسعود المرة بعد المرة، ويرسلون إليه الدراهم الصرّة بعد الصرّة، إلى أن استقامت أحواله وقويت آماله، فرحل من موضعه ونزل على الحديبية[1]، وبرز شريف مكة إلى طوى، وجعل فيها حصوناً ومتارس، وأكثرُ السادة الأشراف مال إلى الشريف مسعود لكثرة ما عنده من النقود، وعزم العساكر المصرية على الرجوع إلى مكة بناء على أنهم

---

(١) الحديبية: موضع مشهور في طريق جده القديم، يعرف اليوم بالشميسي، وقد تقدم التعريف به.

عساكر السلطان لحفظ البلد الحرام، وأخبروا أنهم إذا ثارت الحرب بين الشريف محمد وبين الشريف مسعود يشبون أيضاً نار الحرب من داخل البلاد إذا أقبل الشريف مسعود بمن معه من الأجناد، ففطن الشريف محمد لما أضمروه، فبعث من البادية والعساكر من يحفظ لهم السبل والمسالك، فلما بلغهم ذلك وهم في أثناء الطريق نزلوا على الشريف مسعود بالحديبية، ثم رحلوا ونزلوا قريباً من مكة.

ولما كان اليوم الرابع من جمادى الآخرة ثارت الحرب بين الفريقين، واستمرت إلى الزوال من ذلك النهار، ثم انهزم الشريف مسعود ومن معه من العساكر المصرية وغيرهم، فرجع العساكر إلى بندر جدة، ونزل هو ومن معه من الأشراف خارج جدة، ثم شرعوا في تدبير آخر، وطلبوا من الوزير أبي بكر باشا أن يلبس الشريف [مسعوداً](١) ويوليه إمارة مكة، فامتنع، وقال: كيف أفعل ذلك وأنتم ذهبتم لقتال الشريف محمد، فظفر بكم بعد انقطاع السبل هذه المدة بسببكم، وإنما يكون هذا في المستقبل إن شاء الله تعالى، لأني قد أرسلت إلى الدولة العلية ما حصل في هذه القضية، فأرجوا أن يصل الأمر السلطاني ناطقاً باسم الشريف مسعود، فامتنع الشريف مسعود من قبول الكلام، وخرج مضمراً تجديد القتال.

---

(١) في الأصل: مسعود. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٩٠).

وأما الشريف محمد فإنه لما بلغه نزولهم إلى جدة أرسل بعض الأشراف الذين كانوا عنده بمكاتبات لصاحب جدة ومكاتبات لبعض الأشراف الذين كانوا مع الشريف مسعود يعرض عليهم مقرراتهم وعلائفهم على المعتاد، ثم نزل الشريف محمد بنفسه إلى جدة بعد خروج الشريف مسعود منها، فقابله الباشا بالإجلال والإكرام، وسلّم للأشراف جميع ما قرّ عليه الحال، ووسط بعض الأشراف[١] أن يصلح الحال مع الشريف مسعود، [وتسليم][٢] ألف أحمر علوفة شهر، فقبل ذلك منهم في الظاهر، وهو مصرّ على ما عزم عليه، وكان نازلاً بقرب جدة، ثم سرى بليل على خيل وركاب ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة، وقصد الطائف، [وأخرج][٣] من فيه من أجناد الشريف محمد، ونهب بيت أغاة العسكر، فلما بلغ الشريف محمداً دخوله الطائف توجه من جدة إلى مكة، ثم عيّن من عسكره جماعة، وجعل عليهم أميراً من السادة الأشراف، وأرسلهم إلى الطائف، فلما صعدوا عقبة يعرج [بلغهم أن الشريف مسعوداً في غاية القوة، فتحصّنوا في حصن العبيدة برأس عقبة يعرج][٤]، واستمروا هناك مدة طويلة لا يقدرون عليه؛ لانحياز ثقيف وغيرهم من العرب إليه، ولم يزل هو وهم على هذا الحال لم يقع بينهم قتال، والشريف محمد مقيم بمكة، ثم أقبل الشريف مسعود بشرذمة من الخيل وقبائل ثقيف ونزل بأعالي مكة المشرفة، فخرج إليه الشريف محمد بعساكره اليمنية، وتقاتلا صبح اليوم السابع من رمضان من السنة المذكورة، واستمر القتال

(١) قوله: "ووسط بعض الأشراف" مكرر في الأصل.
(٢) في الأصل: ويسلم. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٩٠).
(٣) في الأصل: وخرج. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.
(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

بينهم ساعة من النهار، ثم حمل الشريف مسعود ومن معه حملة واحدة على الشريف محمد وأجناده، فهزموهم، ودخل الشريف مسعود مكة، وتوجه الشريف محمد إلى الحسينية[١].

الولاية الثانية للشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٤٦هـ

فكانت مدة ولايته الثانية: سنة، وثمانية عشر يوماً، وهذه الولاية الثانية للشريف مسعود.

وكان دخوله مكة يوم الخميس السابع من شهر رمضان سنة ألف ومائة وست وأربعين، فأمّن البلاد والعباد، وانتظمت دولته[٢].

ثم بعد استقرار أمره حصل تنافر بينه وبين السيد محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبي نمي زعيم الأشراف في ذلك الوقت ورئيسهم، فتوجه السيد محسن إلى الأبواب السلطانية صحبة الوزير سليمان باشا ابن العظم أمير الحج الشامي، ووعده بأن يتمم له الأمر بشرافة مكة، فلما حطّ رحله بالشام عرض لمزاجه بعض الآلام، ولم يزل يتزايد به ذلك الألم حتى توفي رحمه الله بالشام سنة سبع وأربعين ومائة وألف، في السادس والعشرين من صفر من السنة المذكورة، ودفن بجانب قبر الشريف يحيى بن بركات رحمهما الله تعالى.

وأعقب من الأولاد: السيد عوناً، والسيد أحمد، والسيد حسناً، والسيد عبدالله.

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٨٨-١٩٠). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:١٠-١٣).
(٢) انظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:١٣).

وأما الشريف محمد بعد انهزامه فإنه صار ينتقل في أماكن كثيرة، إلى أن صار مستقره بخليص سنة ألف ومائة وإحدى وخمسين، وحصل له تعب شديد، ووعده قبائل حرب بالقيام معه والنصرة له، ولم يقع منهم شيء من ذلك، ثم اجتمع بأمير الحج الشامي الوزير سليمان باشا، وحاوله هو وكبار حرب أن يولّيه الشرافة، فامتنع الوزير المذكور. ثم لما وصل إلى مكة توسط بينه وبين عمه الشريف مسعود بالصلح، حتى أصلح بينهما على شروط، وأخذ من كل منهما وثائق وعهوداً، وجاء الشريف محمد إلى مكة، فقابله عمّه مسعود بالإعزاز والإكرام، وتقرير كل ما له ولجميع الخدم، واستمرا على الأخوة والصفاء، فمرض الشريف مسعود في أواخر ربيع الأول سنة ١١٦٥ أياماً قلائل، ثم توفي يوم الجمعة ثاني ربيع الثاني من العام المذكور[١].

ولاية الشريف مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد[٢] سنة ١١٦٥هـ

فولي شرافة مكة أخوه مولانا الشريف مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد، وألبسه والي جدة وقاضي الشرع الشريف، ونودي باسمه في البلاد، وأقبلت لمبايعته السادة الأشراف والعرب من سائر الأطراف، ولم يتأخر عن بيعته إلا

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥).

(٢) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص:١٩٥، ١٩٨، ٢٠٠)، والجداول المرضية (ص:١٦١)، والأعلام (٢١٢/٧)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٤٠-١٤٤)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٣١٥-٣١٧، ٣١٩-٣٢٠).

السادة الأشراف من آل بركات، فإنهم عاملوا خفية ابن أخيه الشريف محمد ابن عبدالله بن سعيد، وتجمعوا بوادي مَرّ، ولم يكن معهم الشريف محمد المذكور، ولم يظن مولانا الشريف مساعد أن لهم يداً مع الشريف محمد؛ لأنه أول من حضر المبايعة، ولم تكن منه منازعة، فما زال يوسط لهم الوسائط ويعاملهم بالرفق ويعدهم بكثرة المعاش وهم لا يجيبونه إلى سؤاله.

ثم بعد ذلك أرسل إليهم جماعة من الأشراف لطلب الصلح، ومعهم ابن أخيه الشريف محمد المذكور، فلما وصلوا إلى الوادي أظهروا أمرهم في معاملتهم الشريف محمداً، وأظهر هو نفسه أيضاً في ذلك، فرجع بقية المراسيل وأخبروا مولانا الشريف بما شاهدوه، فحصل بمكة اضطراب كثير، وأرسل الشريف مساعد أخاه السيد عبدالله بن سعيد إلى الطائف يجمع له القبائل، فتوجه فوجد الشريف محمداً قد نزل بالسيل[1] ومعه قبائل عتيبة، فتوجه بها إلى الطائف فملكه بعد حرب يسير، وكان ذلك يوم الثامن عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور.

فلما ملك الشريف محمد الطائف نادى باسمه في البلاد، وأقبل عليه كثير من العربان، وبعد عشرة أيام توجه بمن معه إلى مكة، وترس بهم في موضع

---

(١) السيل: وادٍ من روافد الضيق من روافد لية، فيه زراعة ومياه لبني عُمر من ثقيف جنوب الطائف (معجم معالم الحجاز ٤/٢٦٨).

يقال له: دُقْم الوَبْر[١]، فخرج له عمه مولانا الشريف مساعد، واقتتلا قتالاً شديداً، ثم انهزم الشريف محمد، ونهبت خزانته، ورجع إلى الطائف، وذلك خامس رجب سنة خمس وستين ومائة وألف، ثم جمع كثيراً من العربان وجاء بهم إلى مكة في ثاني شعبان، وخرج له عمّه، والتقيا ليلاً في تلك المواضع، الشريف مساعد مقابلاً للموضع الذي فيه الشريف محمد، بحيث إنه يرى كل منهما نار الآخر، ونار الشريف محمد تشتعل على رؤوس الجبال، فبات الشريف مساعد ينتظر الصباح، فرحل الشريف محمد بمن معه في نصف الليل وقصد مكة، والشريف مساعد ليس له بذلك اطلاع، فلما أصبح بلغه أن ابن أخيه قد انثنى وتحصن بجبال المحصب[٢] والمنحنى، فوجه خلفه طلائع خيله السوابق، وارتحل، وما زال ينقل ويخب حتى التقى الجمعان بوادي المنحنى، فوقع الحرب بينهما، واستمر ساعتين، ثم انهزم الشريف محمد ومن معه، وتفرقت عنه تلك البوادي، وتوسط السيد عبدالله الفعر بينهما بالصلح، وأصلح بينهما على شروط وترتيب معاش له ولمن كان معه من الأشراف، وحصل الوفاء بذلك، فدخل مكة في النصف من شعبان، وهمدت تلك الفتنة[٣].

---

(١) دقم الوبر: النهاية الشرقية لجبل منى اليماني، يكنع في سيل محسر (معجم معالم الحجاز ٣/٢٢٩).

(٢) المحصب: اسم المفعول من الحصباء، والحصْب: هو الرمي بالحصى، وهو موضع فيما بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وهو خيف بني كنانة، وحدّه من الحجون ذاهباً إلى منى (معجم معالم الحجاز ٨/٤٣).

(٣) خلاصة الكلام (ص:١٩٥-١٩٦). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٤١-٤٣).

وفي موسم هذه السنة توجه السيد عبدالله الفعر بعروض [من][١] مولانا الشريف للدولة العلية، ورجع في سنة ست وستين بقضاء كل مطلوب مولانا الشريف مساعد.

ثم إن الشريف محمد بن عبدالله بن سعيد توجه لزيارة[٢] النبي ﷺ في سنة تسع وستين، ثم قصد الرجوع إلى مكة، فتوفي وهو راجع عند ثنية عسفان[٣]، فنقلوه إلى مكة، [وغسّلوه وكفّنوه وصلّوا عليه][٤] ودفنوه على ضريح والده قبالة الشيخ محمود، وعمره اثنان وأربعون سنة.

ثم بعد وفاته صفا الوقت لمولانا الشريف مساعد، وانقادت له الأمور إلى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، فحصل تنافر بينه وبين السيد عبدالله الفعر، فلما جاء الحج [الشامي وكان أميراً عليه عبدالله باشا شتجي، وأمير الحج][٥] المصري وأميرهم كشكش حسين بك، فدخل عليه السيد عبدالله الفعر، وحسّن له أن يلبس السيد مبارك بن محمد بن عبدالله بن سعيد، وبذل له شيئاً

---

(١) قوله: "من" زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٩٦).

(٢) الزيارة إنما هي لمسجده صلى الله عليه وسلم للحديث الصحيح: " لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد".

(٣) ثنية عسفان: عقبة منسوبة لعسفان، وعسفان بلدة تاريخية عامرة شمالي مكة على الطريق إلى المدينة، تبعد عن مكة ثمانين كيلاً، ويشرف عليها من جميع نواحيها حرار سود، وتتفرع منها الطرق إلى جدة وإلى مكة وإلى المدينة، وثنيتها بعدها بخمسة كيلومترات في طريق الحرار التي تقع شمالي عسفان، وتسمى الثنية بثنية غزال (على طريق الهجرة ص: ١٩-٢٧).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٩٧). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٤٤).

جزيلاً من عروض ومال، فوافقه على ذلك، ووافق على ذلك جماعة من السادة الأشراف والسرادرة المصرية، فأتموا الأمر بالخفية، والشريف مساعد لا علم له بشيء من ذلك، إلى أن حج الناس.

فلما كان الحادي والعشرون من ذي الحجة ألبسوا الشريف مباركاً المذكور عند القاضي بغير فرمان سلطاني ولا أمر باشوي، وفرّق العساكر على أسطحة الحرم والمنائر، واتخذوا جميع المنائر حصوناً ومتارس، وترّس البيوت المطلة على دار السعادة منزل مولانا الشريف مساعد، فبينما هو نائم في داره لم يشعر إلا ورمي الرصاص كالمطر، فسأل أرباب دولته عن ذلك، فأخبروه بما صار، فعند ذلك استدعى العساكر والرجال، وبذل لهم الكثير من المال، فقامت الحرب بينهم على ساق، واستمر الحرب ذلك اليوم بما طال، وما زال الحرب بين الفريقين في الليل إلى الصبح، فأخذ الشريف أحمد بن سعيد أخو مولانا الشريف مساعد جانباً من العسكر ونزل بهم من أسفل مكة، وطلع الحاكم عبد[1] النبي بأهل الحارات من كل ناحية وسكة، حتى ظهرت الصولة والغلبة لمولانا الشريف مساعد عليهم، فعند ذلك طلب السيد مبارك الذمة، وأخذ الأمان له وللصنجق كشكش ، وكان قد أخذت ذخيرته ونفائس

---

(١) لاتصح التسمية بذلك.

أمواله، ثم بعد إعطائهم الأمان توجه السيد مبارك إلى وادي مرّ الظهران، والتمس الصنجق من مولانا الشريف مساعد أن يرجع له ما ذهب ليرتحل بالحج، فأمر أن يرجع له ما يلقونه بأيدي الناس، فجمع ما وجده شاهراً ظاهراً كالخيام والقرب والخف والحافر، فأخذ ما تحصل له وارتحل.

ثم إن السيد مباركاً أقام بالوادي أياماً، فدخل بينهما بالصلح السيد عبدالله بن سعيد والسيد سليمان بن يحيى، وتَمَّما له كل ما طلب من مولانا الشريف في غرة المحرم سنة ثنتين وسبعين ومائة وألف.

وفي ليلة النصف طلع عند حضرة الشريف السيد مبارك، فقبض عليه وسجنه إلى تمام السنة، وتوفي ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة.

ولما أقبل الحج الشامي في العام المذكور وكان الأمير عليه الوزير عبدالله باشا الآتي في العام الذي قبله، عزم على عزل مولانا الشريف بحيلة دبّرها، وذلك أنه بعد تمام الحج نزل بالمحصب، [وعقد مجلساً للنظر في أحوال عين زبيدة، وطلب مولانا الشريف للحضور في ذلك المجلس][1]، وحضر فيه القاضي وأمراء الحجوج. فلما فاض الحديث بينهم في أمر العين، أغلظ الباشا المذكور في المقال على مولانا الشريف قائلاً: أنت أعطشت أهل هذه البلدة

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٩٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٤٧).

المحمية، وأجريت العين [لسقيا][1] العابدية، مع أن هذه المقالة إفكة أفّاك، وعين زبيدة لا تركب هناك، وقد كذب عليه من قال له ذلك، فأجابه مولانا الشريف: بأن ذلك غير صحيح، فلم يقبل منه ذلك[2].

ذكر القبض على الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٢هـ.

فأمر بالقبض على مولانا الشريف، وألبس أخاه السيد جعفر بن سعيد[3] وولّاه شرافة مكة.

فلما جاء الخبر للناس حصل اضطراب في مكة، ووقع الجري في الأسواق. فلما بلغ الباشا ذلك الاضطراب ركب من فوره هو وجميع أمراء الحج والقاضي ووالي جدة، ونزل المسجد، وأبرز فرماناً مضمونه: أن الدولة فوّضت له الأمر، والنظر في شأن الحرمين، وتولية من يرى فيه الصلاح، ثم نادى باسم الشريف جعفر في شوارع البلاد، وأمر بالدعاء له في المنبر والمقام، وأطلق الشريف مساعد بوجاهة أخيه الشريف جعفر، فتوجه الشريف مساعد إلى العابدية[4].

---

(١) في الأصل: لسقاية. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٩٨)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٤٧).

(٢) خلاصة الكلام (ص:١٩٦-١٩٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (٤٣-٤٧).

(٣) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص:١٩٨)، والأعلام (١٢٤/٢)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٤٥)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٣١٨).

(٤) خلاصة الكلام (ص:١٩٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (٤٧-٤٨).

ذكر نزول الشريف جعفر عن الشرافة لأخيه الشريف مساعد ابن سعيد سنة ١١٧٣هـ

فلما توجهت الحجيج حصل الاتفاق بينه وبين أخيه الشريف جعفر أن يتقلد الشرافة الشريف مساعد ويعود كما كان، ويبذل لأخيه الشريف جعفر شيئاً من الدراهم والنقود، [فرضي بذلك][1]، وكان ذلك في الرابع عشر من محرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، فرجع إلى شرافته، وتوجه الشريف جعفر إلى الطائف فاشترى بساتين.

ولم يزل يتتزه فيها مع الاتفاق بينه وبين أخيه، إلى أن توفي الشريف جعفر سنة ثمان وسبعين[2].

وفي سنة أربع وسبعين وقع اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف مساعد وأخيه السيد أحمد بن سعيد، وسببه: أن وزير مولانا الشريف -وهو محمد الشامي- أذنب عبد من عبيده، فذهب لمولانا السيد أحمد بن سعيد متوجهاً عليه أن يستسمح له سيده، فأخذه مولانا السيد أحمد بن سعيد وقاده لبيت سيده، وطلب منه السماح لذلك العبد، فقبل توجهه في ظاهر الأمر وسمح، وبعد خروج مولانا السيد أحمد بن سعيد فتك بالعبد وضربه بالسياط وقيّده، فهرب العبد مقيّداً إلى بيت مولانا السيد أحمد بن سعيد وأخبره بما جرى بعد خروجـــه، فأنهى الأمر لأخيه مولانا الشريف مساعد، فلم يلتفت لمقاله،

---

(١) في الأصل: فرض لذلك. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٩٨).
(٢) خلاصة الكلام (ص:١٩٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٤٨).

ولم يتكلم مع وزيره بشيء لأنه كان مقرباً لديه، فغضب السيد أحمد بن سعيد من عدم التفات أخيه إلى شكايته من وزيره، فتوجه إلى وادي نَعمان[١] وجمع شيئاً من العربان، فجاء الخبر لمولانا الشريف مساعد، فجمع هو أيضاً وخرج بهم مع عساكره لمقاتلة أخيه، وكان السيد أحمد بن سعيد جاء بمن معه ونزل في التنعيم[٢]، فالتقى الجمعان، واقتتلوا عند الجبال التي حول أبي لهب، ووقعت بينهما ملحمة مات فيها من دنا أجله من الفريقين، وأسفر الأمر عن انكسار السيد أحمد بن سعيد، فانهزم ونهبت خزانته، ثم طلب ذمة من أخيه وارتحل [لوادي][٣] مَرّ، ومكث هناك أياماً، حتى دخل جماعة من كبار الأشراف بينهما بالصلح، فرجع واصطلح مع أخيه، وأنزله المنزل الذي يرضيه[٤].

---

(١) وادي نعمان: وادٍ فحل من أودية الحجاز التهامية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من جبال كرا وعفار وما حولها، حيث تتكون له هناك روافد عظيمة عديدة مثل: الضيقة، والكر، ويعرج، والشرا، وتسمى صدور نعمان. وينحدر غرباً فيمر جنوب عرفات عن قرب، ثم يجتمع بعرنة فيطلق عليه اسم عرنة، يمر بين جبلي كُساب وحبشي جنوب مكة على أحد عشر كيلاً، ويكون هناك حدود الحرم الشريف. وسكانه فوق عرفة هذيل، وأسفله لقريش، ومعظم المزارع للأشراف الحسنيين (معجم معالم الحجاز ٦٩/٩).

(٢) التنعيم: موضع بمكة في الحل، تقدم التعريف به.

(٣) في الأصل: بوادي. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٩٩)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٥٠).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ١٩٨-١٩٩). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٤٩-٥٠).

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف حصل بين مولانا الشريف مساعد وبين الشريف أحمد بن الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى منافرة تولّد منها خراب كبير، فرحل السيد أحمد بن عبدالكريم إلى الوادي، واجتمع عليه آل بركات، وأجمع رأيهم على تولية السيد عبدالله بن حسين بن يحيى بن بركات لشرافة مكة، فوافقهم على ذلك، وجمع ما أمكنه من الرجال، وبذل ما قدر عليه من المال، وبنو أمرهم على أنهم يأخذون قبل ذلك بندر جدة ويستولون على ما فيها من الأموال، فتوجهوا بمن معهم من الجموع وأحاطوا بسور جدة من كل جهة، فتحصّن أهلها ورموهم بالمدافع والقلل، فلم يجدوا لهم خلاصاً، فقيلوا في العشش التي هي خارج البلد بعد أن تفرّق كثير من جمعهم، فرموهم من جدة
بنشاشيب جعلوا الكبريت الموقد في رؤوسها كالرياش، فاحترقت تلك العشش، فلم يقرّ لهم قرار، فرجع الشريف عبدالله بن حسين إلى الوادي، ثم توجه إلى مصر، وطلب من صاحب مصر الإعانة له على بلوغ المأمول، وكان صاحب مصر إذ ذاك علي بك قد تغلب على الدولة العلية وخرج عن طاعتها، وأخرج الوزير المتولي أمرها من الدولة، وصار الحلّ والعقد بيده، حتى أنه بعد هذه المدة أرسل جيوشاً ملك بها الشام، كما هو مذكور في تاريخ مصر للعلامة الجبرتي[١].

فلما جاء السيد عبدالله بن حسين لعلي بك مستنجداً به أجابه لمرامه،

---

(١) انظر: تاريخ الجبرتي (١/٣٦٣-٣٦٤).

وأوصى به أمير الحاج المصري، وكان الأمير المذكور مملوكاً لعلي بك يسمى: محمداً أبا الذهب، وأكّد عليه أن يسعفه بمراده، ويجتهد في تمكينه بغاية اجتهاده حتى يجلسه على كرسي الشرافة، فجاءت الأخبار لمولانا الشريف مساعد، فأخذ في أسباب الاحتراس غايتها.

فلما وصل الحج المصري إلى الوادي توجه إلى مكة، وترك الشريف عبدالله بن حسين يجمع له كثيراً من البوادي، فوصل الحج إلى مكة، وخرج الشريف مساعد للبس الخلعة الواردة مع الحج المصري، فألبسه إياها على العادة الجارية، ولم يظهر أمير الحج المصري شيئاً مما في نفسه، فلما أتمّ الناس حجّهم بالأمن والاطمئنان، اتفق مولانا الشريف مع أمير الحج الشامي -وهو عثمان باشا الصادق، وكان محباً لمولانا الشريف- على تقديم سفر الحج المصري، وإخراجه من مكة قبل أوانه، لما علموا مقصده مع الشريف عبدالله بن حسين، فأمروه بالخروج والسفر يوم الثامن عشر من ذي الحجة قبل أن يتم مراده، [وحيث لم يعهد ذلك حصل اضطراب وضجة، فامتثل الأمر وارتحل قبل أن يتم مراده][1]، وارتحل بعده بثمانية أيام الحج الشامي.

فلما بلغ الشريف عبدالله بن حسين خروج الحج المصري حصل له غيظ وحنق، فبذل المال، واجتهد في جمع الرجال ، ودق زير الحرب، واجتمع عليه

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:٢٠٠). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٥٢).

كثير من القبائل والأشراف ما عدا آل حسن، وكذلك الشريف مساعد جمع من الرجال أضعاف ما جمعه الشريف عبدالله بن حسين مع ما عنده من العساكر والرجال، فأقبل الشريف عبدالله بن حسين بمن معه من البوادي، وخيم بالجبال التي حول الزاهر، فخرج الشريف مساعد بمن معه لقتاله، ومكّن كثيراً من جنوده بجبال المعابدة والمعلا، ووقع القتال بين الفريقين في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف، واشتد الأمر، وسالت الدماء، وكانت ملحمة عظيمة، ثم أسفرت هذه المعركة عن انهزام السيد عبدالله بن حسين، فتوجه إلى الوادي وطلب ذمة، فأعطيها على المعتاد، ثم توجه إلى مصر قاصداً عزيزها علي بك، فشكى إليه ما قاساه من الأهوال، فأمدّه بالرجال والأموال، وجهّز معه مملوكه محمد بك أبا الذهب ومعه جردة عظيمة فيها صنجقان، وثلاثة آلاف من العسكر، وثلاثون مدفعاً، وجعل الذخائر والأثقال تباريهم في ثلاثة مراكب في البحر، وأكّد عليهم أن يمكنوا الشريف عبدالله بن حسين من سيادته، ويخرجوا الشريف مساعد من دار سعادته، فقدر الله أنه حصل للشريف مساعد توعك، ومرض من يوم خروجهم من مصر قبل أن يصل إليه الخبر، وتوفاه الله تعالى قبل وصوله.

وكانت وفاته يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر المحرم سنه أربع

وثمانين ومائة وألف. وكانت مدة ولايته: تسع عشرة سنة إلا ثلاثة أشهر.

وأعقب أولاداً كراماً، منهم: مولانا الشريف سرور، والسيد مسعود، والسيد عبدالعزيز، والسيد عبدالمعين، والشريف غالب، والسيد محمد، والسيد لؤي. وكان قبل وفاته عقد البيعة لأخيه مولانا الشريف عبدالله بن سعيد[١].

ذكر ولاية الشريف عبدالله بن سعيد[٢] سنة ١١٨٤هـ

فبعد وفاة مولانا الشريف مساعد ولي شرافة مكة أخوه الشريف عبدالله المذكور، وألبسه قاضي الشرع الشريف، ونودي له في البلاد، فنازعه في الأمر أخوه مولانا الشريف أحمد بن سعيد وقال: أنا لها، أنا لها، فنزل له عن الشرافة وقلّده إياها، وعاش بعد ذلك ست سنوات، وتوفي.

وأعقب أولاداً كراماً، منهم: السيد فهيد –والد السيد عبدالله بن فهيد المشهور–. ومنهم: السيد مساعد، والسيد عامر، والسيد علي، والسيد عبدالعزيز، والسيد دخيل الله المشهور بالعواجي[٣].

---

(١) خلاصة الكلام (ص:١٩٩–٢٠١). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٥٠–٥٦).

(٢) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص:٢٠١)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٣٢٠).

(٣) خلاصة الكلام (ص:٢٠١). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٥٥).

ذكر ولاية الشريف أحمد بن سعيد[١] سنة ١١٨٤هـ

فولي شرافة مكة الشريف أحمد بن سعيد بعد نزول أخيه له عنها، ووصل إلى ينبع الجردة بالعسكر المصرية لقتال المرحوم الشريف مساعد -وكان أميرها أبو الذهب محمد بك- ليُجلس الشريف عبدالله بن حسين[٢] على كرسي الشرافة، فلما وصل ينبع قاتله وزير الشريف الذي كان بها، وهو درويش آغا، ثم عجز، فأخذوها، وقتلوا الوزير المذكور، ونهبوا البلد، وكان الشريف عبدالله بن حسين قد تقدم قبل الجردة إلى الوادي، وجمع جموعاً من العربان ومن أطاعه من الأشراف، وشاع أمر الجردة بمكة، فأرسل الشريف أحمد بن سعيد حريم آل زيد إلى الطائف، وأقام بمكة بمن عنده من العسكر، وأرسل الشريف أحمد للعربان يطلبهم وهو خلي من الدرهم والدينار، فاجتمع عنده نزر يسير، ثم تفرّق أكثرهم.

وفي اليوم الرابع عشر[٣] وصلت الجردة إلى الوادي، فأرسل الشريف أحمد المفتي علي بن عبدالقادر الصديقي والسيد عبدالله الفعر إلى الوادي لكشف هذا الخبر، [فأناخوا على أبي الذهب بوادي مَرّ، وخاطبوه في هذا

---

(١) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص:٢٠١-٢١٥)، والأعلام (١/١٣١)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٤٥-١٤٦)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٣٢٤، ٣٢٠-٣٢٥).

(٢) في الأصل زيادة: بن. وهو خطأ. انظر: خلاصة الكلام (ص:٢٠٢).

(٣) شهر ربيع الأول. (خلاصة الكلام ص:٢٠٣).

الأمر][1]، فرأوه لا يرضى إلا بجلوس الشريف عبدالله بن حسين على كرسي الشرافة، فأرسلوا خادماً يخبر الشريف بما شاهدوه، ثم رجعوا.

وفي يوم السادس عشر من ربيع الأول ارتحل أبو الذهب بالجردة وأناخ بالزاهر، وصفّ المدافع تجاه بئر طوى، فخرج الشريف أحمد بمن معه من العسكر والرجال، ولم يتجاوز المصانع التي في الريع، وهو للقضاء والقدر مسلّم ومطيع، وظهر له أنه لا فائدة في اللقاء والحرب، فأودع السيد حامد بن حسين أخا الشريف عبدالله بن حسين أحرافه وأطرافه، تابعاً في ذلك أسلافه، وطلب منهم الأمان، وأخلى لهم الديار وبان، فدخل مكة، ثم توجّه إلى المعابدة، ثم إلى الطائف[2].

ولاية الشريف عبدالله بن حسين البركاتي[3] سنة ١١٨٤هـ

وفي يوم الجمعة ثمانية عشر من ربيع الأول دخل أبو الذهب إلى مكة، وملأت جنوده كل ناحية وسكة، ونزل بدار الملك والسيادة المسماة بدار السعادة، وكانت مدة الشريف أحمد بن سعيد خمسين يوماً، وجلس في هذا اليوم على كرسي الشرافة مولانا الشريف عبدالله بن حسين بن يحيى بن

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:٢٠٣). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٥٨-٥٩).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٢٠١-٢٠٣). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (٥٧-٥٩).

(٣) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص:٢٠٣-٢٠٥)، والأعلام (٤/٨٠)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٤٦-١٤٨)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٣٢٢-٣٢٣).

بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي، وحسين والد عبدالله بن حسين ينسب إليه السادة الأشراف من ذوي بركات المشهورون الآن بذوي حسين[1]، وقد بارك الله في أولاده حتى صار منهم العدد الكثير، فإنهم يفوقون على بقية أفخاذ ذوي بركات -هذا كلام السيد أحمد دحلان في خلاصته[2]- مع أن المدة الآن بيننا وبين جدهم حسين المذكور نحو مائة سنة.

ولما تولى الشريف عبدالله بن حسين سكن بدار آبائه الكرام المسماة بدار الهناء، ونودي في البلاد باسمه، وألبس أرباب المناصب، وأجرى كل ما كان معتاداً، وامتدحه الشعراء، ومات في أيامه السيد أحمد بن السيد علي طبيلة، -أحد أعيان تجار جدة-، وكان صاحب أموال وعقار ومراكب عدة، فجاء بيت المال عثمان البوشي بنقد جزيل وقال له: قد مات أحد أعيان التجار، وأخذنا من ماله هذا المقدار، فزجره عن أخذ شيء من أمواله، وقال: كيف تأخذها مع وجود أهله وأطفاله، أما سمعت قول رب العزّة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠]، ثم أمره أن يعيد المال إلى أهله بعد أن وبّخه ولامه على فعله.

ومما اتفق له أنه كان راكباً ذات يوم، فطعنه رجل من الدراويش المساكين

---

(١) ذوو حسين: فرع من الأشراف يسكن وادي مر الظهران وبعضهم في مكة، وهم بنو الشريف حسين بن بركات بن أبي نمي (معجم قبائل الحجاز ص:١١٥).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٣٠٢).

في فخذه الأيمن بسكين، وكان هذا الدرويش مجذوباً غائباً[١] عن الوجود، ويعتقد الناس فيه خيراً، فأراد قتله جميع الخدم، فلما تحقق الشريف حاله سمح عنه عفةً وكرماً.

وعلى كل حال؛ فقد كان مولانا الشريف عبدالله بن حسين حسن الخُلق، عربيّ [الطباع][٢]، وله فضل في البرية شاع، لكن أبو الذهب الذي جاء بالجردة صدر منه ومن أتباعه أنواع الجور والإجحاف، فمن ذلك: أنه سجن مفتي مكة الشيخ علي ابن المفتي عبدالقادر الصديقي، ولم يخلصه حتى أخذ منه عشرين ألف ريال، وأخذ من التجار أموالاً كثيرةً بالظلم والاعتساف، ونهب دار المرحوم الشريف مساعد التي كانت في سفح جياد، ثم أخرج من بقي من آل زيد من مكة، ووقع حريق في دار السعادة فظن بعض الناس أنه بأمره، لكن تبين أن الأمر ليس كذلك؛ لأنه كان ساكناً في تلك الدار واحترق في النار بعض مماليكه، وذهب كثير من ماله، حتى صاروا يخرجون أدباشه[٣] بأعظم مشقة.

ومن الظلم الذي حصل من أتباعه: أنهم في مدة إقامتهم بمكة لم يسلم من أذيتهم أحد، ولم يزالوا يجورون على الناس في الأسواق. هذا ما كان من أمر الجردة.

وأما الشريف أحمد بن سعيد فإنه لما طلع الطائف قصد وادي لية، وجمع

(١) لبعض الصوفية اعتقادات خاطئة في الدراويش المجذوبين، ليس لها مستند شرعي.
(٢) في الأصل: الطبع. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:٢٠٤)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٦٠).
(٣) الدّبْش: أثاث البيت وسقط المتاع (المعجم الوسيط ١/٢٧٠).

بعض العربان وقصد الطائف، فهرب منه وكيل الشريف عبدالله بن حسين، وهو أخوه السيد عبدالكريم بن حسين، فدخل الشريف أحمد الطائف بلا حرب ولا قتال لستّ بقين من شهر ربيع الأول، ونودي باسمه في البلاد، فأرسل الشريف عبدالله بن حسين إلى الطائف السيد أحمد بن عبدالكريم بن يعلى فأفسد على الشريف أحمد كثيراً من الرجال، وأرسل للشريف عبدالله بن حسين يطلب منه جانباً من عساكر الأتراك، فاتفق مع أبي الذهب على إرسال حسن بك شبكة، ومعه جملة من الغُزّ على الخيل السوابق، ومعه نحو الثمانين من السادة الأشراف، ونحو المائتين من العسكر، وأمّر عليهم السيد حامد بن حسين، فلما بلغ الشريف أحمد هذا الخبر ولّى مسرعاً.

وفي اليوم الثاني والعشرين من ربيع الثاني قصد الشريف أحمد مكة من طريق كرا، وقد جمع جماعة من بني سعد وثقيف، وأناخ بعرفة، فخرج له الشريف عبدالله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من العسكر، واقتتلوا معه يوماً كاملاً، وكانت جنودهم تزيد على جنوده بأضعاف مضاعفة، ومع ذلك فقد ظهر عزمهم مراراً، ثم صنعوا له دسيسة ومكيدة، وذلك أنه جاء جماعة من عسكر ينبع ونكسوا أعلامهم وقالوا: نحن معك ومنك وإليك، فأطلعهم معه على الجبل الذي كان فيه، فلما أن تمكنوا قاتلوه، وأقبلت عليه جنود أبي الذهب من كل محل، فطلب الأمان وقد أجهده ومن معه الجوع، وتحقق عند أبي الذهب ذلك، فأرسل إليهم شيئاً قليلاً من الطعام، فقبله منه الشريف أحمد، وأهدى إليه كحيلة[1] من خيله الجياد، فقبلها أبو الذهب، ثم

---

(١) الكحيلة من الخيل: البيضاء السوداء العينين (المعجم الوسيط ٢/٧٧٨).

توجه الشريف أحمد إلى الليث، ورجع الشريف عبدالله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من الجنود والعساكر إلى مكة، ثم ارتحل إلى مصر في عشرين من جمادى الأولى، وأبقى حسن آغا شبكة، وجعله والياً على جدة، وأبقى عنده شيئاً من العسكر.

فلما سمع الشريف أحمد بن سعيد بخروج أبي الذهب من مكة شمَّر عن ساعد الجدّ لأخذ الثأر، وجمع العربان من كل مكان، وجمع له السيد ثقبة بن عبدالمحسن الشنبري عرباناً من ثقيف، وأقبلوا على مكة، ونزلوا بعرفة في الحادي عشر من جمادى الثانية، وأجمع رأيهم أن يجعلوا القوم شطرين، شطراً من طريق المسفلة، وشطراً من أعلى مكة، فخرج لقتالهم الشريف عبدالله بن حسين ومعه حسن شبكة، فالتقوا مع القوم عند المنحنى، فاقتتلوا أربع ساعات، وأقبل العربان الذين من أسفل مكة، وشنوا الغارات، فأسفرت هذه الملحمة عن انهزام الشريف عبدالله بن حسين، وقتل من جماعته جم غفير، وقتل من البادية الذين مع الشريف أحمد جانب خفيف، ومنهم رابع –شيخ بني ثقيف–، وبسبب قتل رابع المذكور انتصر الشريف أحمد، لأنه لما قتل رابع شقّ قتله على قومه، فحملوا حملة رجل واحد حتى هزموا جماعة الشريف عبدالله بن حسين، ثم إنه طلب ذمة، وتوجه إلى الوادي ومعه الصنجق [حسن][1] شبكة[2].

---

(١) قوله: "حسن" زيادة من خلاصة الكلام (ص:٢٠٥).
(٢) خلاصة الكلام (ص:٢٠٣–٢٠٥). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٥٩–٦٥).

الولاية الثانية للشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤هـ

ودخل مكة الشريف أحمد بن سعيد. فكانت مدة الشريف عبدالله بن حسين: شهرين، وثلاثة وعشرين يوماً.

ومنذ دخل الشريف أحمد أمر بحرق دار آل بركات؛ لاعتقاده أنهم الآمرون بحرق دار السعادة، ونهب الناس جميع ما في دار آل بركات، ونهبوا الدور التي للرجال المقربين عندهم من أرحام وأتباع، ونادى المنادي في شوارع مكة باسم الشريف أحمد بن سعيد.

ولما توجه حسن شبكة إلى الوادي توجه منه إلى جدة ودخلها، فأرسل [له][1] الشريف أحمد يأمره بالخروج، فأبى وامتنع، فوجّه إليه من الأشراف والبوادي والعساكر ما ينوف على أربعة آلاف، ثم وصل إلى مكة السيد عبدالله بن مسعود [ومعه][2] من قبائل اليمن جرود لم يلحق بهم الحرب السابق، فتوجه بهم إلى جدة ولحق الأولين، وتحقق عندهم أن الصنجق مصمم على القتال، فأغلق أبواب البلاد وترّسها، وأخرج المدافع الكبار على الكدوة، وصارت خيله تخرج كل ليلة من البلد وتعسّ إلى الرغامة[3]، ثم تعود صبحاً

---

(١) قوله: "له" زيادة من خلاصة الكلام (ص:٢٠٥).

(٢) في الأصل: ومن معه. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٦٥).

(٣) الرغامة: هي تلك الأرض الرملية التي تدعها يمينك وأنت تخرج من جدة إلى مكة . سبق التعريف بها.

إلى جدة بالسلامة، فوصلت السرية إلى جدة بليل، وأقاموا على موضع يقال له: غليل[١]، وأرسلوا كتاباً من الشريف أحمد إلى كتخدا العسكر [ليفسد][٢] من معه من العسكر في البندر، وجعلوا له شيئاً من المال، فسعى في نقض تلك المباني، وتواطأ معهم أن يهجموا من الباب اليماني، فهجم جيش الشريف ومعهم وكيل السرية، وملكوا جدة في غاية جمادى الآخرة بعد أن قتلوا جملة من الأتراك وأخرجوهم من البلدة، ولم يبق في أيديهم غير القلعة، فترّسوها بناء على أنها تصونهم، فاجتمعت عساكر الشريف حولها، فتحقق الصنجق أن القلعة لا تصونه ولا تنفعه، فخرج من الباب الصغير الذي في مؤخر القلعة، وخاض بخيله في الماء، وتوجه بمن معه إلى رابغ، وتبعه الشريف عبدالله بن حسين، وشاع عند الناس أنهم يريدون تملك المدينة، وبلغ الخبر أهل المدينة، فتحصنوا واستعدوا مصمّمين على القتال، ثم تبيّن أنهم لم يريدوا المدينة، بل توجهوا إلى مصر، ولم يزل الشريف عبدالله بن حسين مقيماً بمصر القاهرة، متعجباً في حكمة الله الباهرة، وكيف مضى عليه هذا كله في أقل أيام، تولى الملك ثم زال عنه كأنه أضغاث أحلام، ثم توجه إلى أرض الروم ومكث فيها إلى أن توفي رحمه الله تعالى، لكن عسكر الشريف وجنوده لما دخلوا إلى جدة

---

(١) غُلَيْل: واد يسيل من الحرازية، يباري أم السلم من الجنوب، ويجتمع معها في الرغامة بطرف جدة من الشرق، وحيث يدفع غليل في خبت جدة قام حي سمي غليلاً، فهو من أحياء جدة الجنوبية الشرقية (معجم معالم الحجاز ٦/٢٥٢-٢٥٣).

(٢) في الأصل: ليفرر. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٢٠٥)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٦٦).

وملكوها في هذه الواقعة نهبوا غالب دور أعيانها الكبار، والحواصل التي فيها أموال التجار، وتركوا البندر خراباً بعد العمار، وكان في جدة من الأقوات شيء كثير، فأنتج هذا حصول غلاء بمكة وجدة وبقية الأطراف، واشتد الكرب على المسلمين، حتى أن البادية كانوا في مدة هذا الغلاء يأكلون الهرات ويشربون الدم المسفوح، واستمر الأمر هكذا إلى آخر السنة[١].

ثم انحلّت العقدة في سنة خمس وثمانين، ولما وردت الحبوب ازدحم الناس على شرائها؛ لما نالهم من الجوع في مدة الغلاء، حتى أنه اتفق أنه أخرج إلى السوق خمسمائة أردب في يوم واحد، فلم يأت عليها الضحى إلا ولم يبق منها شيء.

وفي هذا العام كثر قطّاع الطريق، وتمرّد كل جبار وزنديق.

وفي سنة خمس وثمانين منع إمام اليمن جميع التجار من إرسال شيء من البُنّ لهذه الأقطار بسبب ما أحدث من زيادة العشور، فقلّ على الشريف المدخول، فأرسل السيد عبدالله الفعر إلى اليمن لاستعطاف الإمام، لستّ بقين من شهر الصيام، ورجع في شهر الحجة مخبراً ومبشراً بأن الإمام أطلق للتجار إرسال البُنّ. ولما وصل وجد الشريف سروراً قد جلس على كرسي الشرافة، فبارك له وهنأه، وكان السبب في تملك الشريف سرور كرسي الشرافة وانتزاعها من عمه الشريف أحمد بن سعيد: أن الشريف أحمد في شهر شوال

(١) خلاصة الكلام (ص:٢٠٥-٢٠٦). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٦٥-٦٨).

من سنة خمس وثمانين ومائة وألف أراد عزل الوزير يوسف قابل من وزارة جدة وتوجيهها للوزير حسين بن إبراهيم الشامي، فوجهه إلى البندر المذكور ومعه السيد سليمان بن يحيى وجانباً من العسكر، وأمرهم بالقبض على الوزير يوسف قابل، ووضعه في الأغلال والسلاسل، وكان الشريف سرور حين صدور هذا الأمر من عمه حاضراً في مجلسه، ولم يجعل الشريف أحمد هذا الأمر مكتوماً، فتولّد من عدم كتمان هذه الأمور كثير من الشرور، فخرج الشريف سرور من المجلس وركب ناقته وتوجه إلى جدة، فوصل إليها قبل أن يصلوا إليها، ونزل عند الوزير يوسف قابل وأخبره بالأمور التي قصدوها وعوّلوا عليها، فلما جاء المرسلون من الشريف أحمد لقبض الوزير يوسف قابل منعهم الشريف

سرور، وقال: أنا له مجير، وطال بينهم وبينه النزاع، ثم حصل الاتفاق أن يتوجهوا جميعاً إلى مكة لملاقاة الشريف أحمد، ويكون النظر إليه في أنه يهين يوسف قابل أو يكرمه، فخرجوا جميعاً من البلد، فلما كانوا في أثناء الطريق مال الشريف سرور والوزير يوسف قابل عنهم شمالاً، وصمم على قتال عمه وانتزاع الإمارة منه، مستعيناً على ذلك بأموال يوسف قابل كما وعده بذلك.

والليالي من الزمان حبالى مثقلات تلدن كل [عجيب][1]

---

(١) في الأصل: عجيبة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٢٠٧)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٦٩).

فما أصبح الصباح عليهما إلا وهما على وادي مَرّ، وأرسل لعمه الكتاب، فأرسل إليه عمه يراوده على الصلح، فلم يَرْضَ إلا بالقتال، فلما علم عمّه عدم الرضا استهون أمره، ولم يَدْرِ ما يجري به القضاء، وإنما اسْتَهْوَن أمره؛ لأن الشريف سروراً كان صغير السن في ذلك الوقت، كان عمره ثماني عشرة سنة، ورحم الله القائل:

لا تحقرن صغيراً في تقلّبه　　　إن الذبابة تدمي مقلة الأسد

ثم إن الشريف سروراً أرسل لقبيلة عتيبة وواعدها على موضع يقال له: السيل، وسار من الوادي جنح الليل، واجتمع عليه بعض الأشراف وجماعة من عبيد أبيه وغيرهم من الرجال، فتوجه بهم إلى العابدية، وجاءه بعض عتيبة الذين وعدهم بالسيل، فلم يزد جميع ما اجتمع عنده على الثلاثمائة، فتوجه بهم إلى المنحنى، فخرج له عمه مع من عنده من العسكر ومعه الخيل الجياد وسمر القنا، فوقعت ملحمة بين الفريقين، وأسفر الأمر عن انهزام عمه الشريف أحمد بن سعيد بعد قتال ساعتين، ثم نهبت البادية خزانة الشريف أحمد، وانفرط عقد ملكه وتبدّد، وزالت عنه الدنيا وولّت، وهذا حالها أينما [حلّت](١)، فطلب الشريف أحمد من ابن أخيه ذمة على حسب القواعد بين السادة الكرام، وتوجه نحو نعمان(٢).

---

(١) في الأصل: رحلت. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٢٠٧)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٧٠).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٢٠٦-٢٠٧). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٦٨-٧٠).

ذكر ولاية الشريف سرور بن مساعد[1] سنة ١١٨٦هـ

فدخل مكة مولانا الشريف سرور بن مساعد بن سعيد. وكان دخوله يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة ست وثمانين ومائة وألف، ونودي باسمه في شوارع مكة، وأمنت البلاد والعباد[2].

وفي كتاب أشراف مكة وأمرائها[3]: أرّخ عام ولاية الشريف سرور بعض الفضلاء، فقال:

سرور ملأ كل قلب سروراً

٤٦٦ ١٧ ٥٠ ١٣٢ ٤١٧ سنة ١١٨٦

وأرّخ أيضاً ولايته مولانا السيد شيخ الجفري بقوله: خليفة الله.

١١٢٠ ٦٦

انتهى.

(الوقعة الثانية بين الشريف سرور وعمه الشريف أحمد بن سعيد)

ولما تمّ له عشرون يوماً من ولايته أقبل عليه عمه في غاية من القوة، فخرج لقتاله بما لديه من خيل وعسكر وخدم، ووقع القتال بينهما عند بركة

---

(١) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص:٢٠٧-٢٢٤)، والأعلام (٨١/٣)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص:١٤٨-١٤٩)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٣٢٦-٣٣٣).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٢٠٧). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧٠).

(٣) تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧١).

السلم[1]، فانهزم الشريف أحمد، وتفرّق جيشه وتبدّد، فأخذ ذمة عشرة أيام ورجع إلى موضعه الأول، وأقام. وهذه الوقعة الثانية من الوقائع التي كانت بينهما، وكانت في رابع ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة وألف.

ولما كان اليوم الثامن من ذي الحجة أراد الشريف سرور الصعود إلى عرفة، فامتنع جميع العسكر من الصعود معه، يزعمون أنْ لهم عند عمه سبع جوامك، ويقولون له: إن أسلمتنا إياها توجهنا معك، فالتزم لهم بها على أن يعطيهم نصفها، والنصف الآخر عندما ترجع الحجيج وتعود، وأعطاهم رهوناً مثمنة، فامتنعوا من ذلك تعصباً وعناداً، فتركهم وصعد بعبيده وعبيد أبيه ونزر من عشيرته وذويه، ومعه ركب أهل المدينة، وحج بالناس.

ولما نزل [الناس][2] من الحج اجتمع كثير من السادة الأشراف، وقصدوا مصطفى باشا أمير الحج الشامي، وطلبوا منه أن يعزل الشريف سرور ويعيد عمه كما كان، فامتنع، وقال: لا يمكن هذا إلا بفرمان من السلطان.

ثم بعد سفر الحج أرسلت العساكر التي امتنعت من الصعود إلى الحج مع الشريف [سرور][3] إلى الشريف أحمد، وطلبت منه أن يصل إليهم ويقومون

(١) بركة السلم: تقع بحرم مكة مما يلي منى وعرفة، لا يعرف من أنشأها. جدّدها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة سنة ٧٤٥هـ (انظر: شفاء الغرام ٦٢١/١، وإتحاف الورى ٢٢٨/٣-٢٢٩).

(٢) قوله: "الناس" زيادة من خلاصة الكلام (ص:٢٠٨).

(٣) في الأصل: سعود. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

بحمايته وإرجاعه إلى كرسي الشرافة، فدخل البلد مختفياً، وتوارى في بيته، ولم يشعر به أحد.

فلما كان يوم الجمعة الخامس والعشرون من ذي الحجة قبل الصلاة، والشريف سرور غافل لم يعلم شيء مما صنعوه، لم يفطن إلا والرصاص من بيوت العسكر ومن جبل أبي قبيس ينصبّ كالمطر، فسأل عن ذلك فأخبروه بأن عمه قد وصل إلى داره، والعسكر قائمون معه لأخذ ثأره، فاستلحق من بقي عنده من القبائل الذين عرضوا عليه في أيام الثمان، وشمّر عن ساعد الجد، ثم خرج عبد والده مثقال آغا، وطلب من إبراهيم بك أمير الحج المصري أن يمدّه بالعساكر، فأرسل معه جريدة من الخيل والرجال، لكن ليس للخيل في ميدان الرصاص من خلف الجدار مجال، واستمر الحرب بقية اليوم والليلة[١].

(الوقعة الثالثة)

وفي صبيحة يوم السبت دقّ ببابه زير الحرب، واشتدّ القتال والضرب، وعاد ثانياً مثقال آغا إلى الصنجق لطلب الرصاص والبارود، فأعطاه ست صناديق من الفشك[٢] وجانباً من الرجال، فحملت القوم على القوم، فما ظفر

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٢٠٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٧١-٧٢).
(٢) أي: الذخيرة.

جماعة الشريف أحمد بشيء مما يريدون. فلما ظهرت الغلبة عليهم واشتدّ الحصار، طلبوا الأمان، وأخذ الشريف أحمد ذمة، وبات ليلته في المعابدة، ثم خرج.

وأما العسكر فأمر مولانا الشريف سرور بإخراجهم من البلد، وأن لا يبيت فيها منهم أحد إلا عسكر اليمن، فإنهم كفّوا أيديهم عن القتال، فخرج العسكر منكّسي الأعلام مفرّقين بين يَمَنٍ وشام، وهذه الوقعة الثالثة للشريف أحمد مع الشريف سرور.

وفي سنة سبع وثمانين خرج كثير من الأشراف منافرين لمولانا الشريف سرور، وتفرقوا في كل الجهات، ومنعوا السبل، وقطعوا الطرقات[1].

(الوقعة الرابعة)

وفي شهر ربيع الأول أقبل على مكة الشريف أحمد بن سعيد، فجمع له مولانا الشريف سرور الجموع، وحصل بينهما القتال، ففي أول الأمر حصلت هزيمة للشريف سرور، وطلب ذمة، ثم حمل بنفسه حملة أيّ حملة، فانهزم الشريف أحمد وأخذ ذمة، ثم توجه إلى المعدن، وهذه الوقعة الرابعة بينهما، ثم رجع الشريف أحمد في ربيع الثاني، وملك الطائف بغير قتال[2].

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٢٠٨-٢٠٩). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٧٢-٧٣).
(٢) خلاصة الكلام (ص:٢٠٩). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٧٣-٧٤).

(الوقعة الخامسة)

ثم قصد مكة، فخرج له الشريف سرور بعبيده ومن عنده من العسكر، وحصل القتال بينهما في المعابدة، فانهزم الشريف أحمد، وتوجه إلى خليص، وهذه الوقعة الخامسة[1].

(الوقعة السادسة)

ثم في شهر شعبان وصل السيد عبدالله الفعر إلى الطائف، واتفق مع السيد سليمان بن يحيى أن السيد عبدالله الفعر يخرج دراهم من عنده لجمع عربان يدعوهم لطلب مكة للشريف أحمد بن سعيد وهو في خليص، فبلغه الخبر، فتوجه للطائف، فامتنع السيد عبدالله الفعر من إخراج الدراهم، ثم نزل الشريف أحمد إلى نعمان، فبلغ الشريف سرور وصوله، فخرج له، فذهب إلى موضع هذيل يقال له: [ضَجَّة][2]، فلحقه وأثار عليه الحرب، فارتفع إلى جبال شامخة رأى فيها حصانته، فرجع الشريف سرور إلى مكة، وهذه الوقعة السادسة، وكانت في رمضان[3].

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٢٠٩). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٧٤).

(٢) في الأصل: ضبحة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٢٠٩)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٧٤).

وضَجَّة: شعب يسيل على علي من الشرق في وادي رهجان ثم إلى نعمان. أهله بنو إياس وبطون صغيرة أخرى من هذيل، كبني كعب وبني زياد (معجم معالم الحجاز ١٩٣/٥).

(٣) خلاصة الكلام (ص:٢٠٩). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٧٤).

(الوقعة السابعة)

ثم توجه الشريف أحمد إلى الهدا وجمع عرباناً، وأخذ الطائف بغير قتال، وأخذ من أهله جملة من الأموال، وتوجه قاصداً مكة بمن معه من البادية، فخرج لقتاله الشريف سرور، وحصل بينهما قتال شديد، ثم انهزم الشريف أحمد، وسار خلفه الشريف سرور من المعابدة إلى الحسينية، وذلك في سابع شوال، فأدركه ثمة، وسلب عبيده وخيله وعساكره وتركه، فمكث بالحسينية ستة أيام، وأراد التوجه إلى اليمن، فبلغ ذلك الشريف سروراً، فبادره وأخذ جميع ما عنده من العبيد، وما أبقى له شيئاً، فتوجّه الشريف أحمد إلى وادي مَرّ، ثم إلى خليص، ثم إلى المدينة، وأقام بها إلى المحرم، ثم توجه إلى خليص.

وفي أواخر جمادى الآخرة من سنة تسع وثمانين جمع الشريف سرور قبائل هذيل ومن معه من الرجال وتوجه إلى الطائف بقصد إخراج السيد عبدالله الفعر [أو يقاتله][1] إن لم يرتحل، ودخل السيد عبدالله الفعر في حصن حصين له بالطائف، ثم توسّط بينهما جماعة من الأشراف وأتّموا الصلح، وعاد الشريف إلى مكة في رجب[2].

(١) في الأصل: ويقاتله. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢١٠).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢٠٩–٢١٠). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧٤–٧٦).

(الوقعة الثامنة)

وفي شهر رمضان بلغ الشريف [سروراً][١] أن السيد عبدالله الفعر نقض الصلح، واجتمع بالشريف أحمد بن سعيد وجمعا قبائل، وأقبلا على الطائف، فاستعدّ لقتالهم وكيل الشريف بالطائف، وجمع لهم جنداً فنكصا على أعقابهما، وهذه ينبغي أن تجعل ثامنة للوقعات، وإن لم يحصل فيها قتال[٢].

(الوقعة التاسعة)

ثم رجعا وهجما على الطائف في الثالث عشر من شوال وقت الفجر، [وكان معهما السيد عبدالله بن مسعود][٣]، وكان وكيل الشريف بالمثناة، فنزل وحصل بينهم وبينه قتال شديد، فصال الوكيل على الشريف أحمد وحمل عليه بمن معه من القوم وأخرجه ومن معه من الطائف، فولّوا هاربين، ثم توجه السيد عبدالله الفعر إلى خليص [لملاقاة أمير الحج الشامي، فوجده قد زلف عنه وما أمكن مقابلته][٤]، وارتفع إلى الحرة، فبلغ خبره الشريف [سروراً][٥]، فأرسل سرية من الخيل والركاب، ووكّل عليها السيد ناصر بن مستور، من

---

(١) في الأصل: سرور. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢١٠).
(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢١٠). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧٦-٧٧).
(٣) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢١١). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧٧).
(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق. وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة، الموضع السابق.
(٥) في الأصل: سرور. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

آل بركات، وأمره بقبض السيد عبدالله الفعر أينما حلّ، فأدركته الخيل في طرف الحرة، فقبضوا عليه ومعه السيد بركات بن جود الله، [فأمر الشريف سرور بحبسهما في القنفذة، ثم أمر بإطلاق السيد بركات بن جود الله][(١)]، وبقي السيد عبدالله الفعر مسجوناً هناك ستة أشهر، ثم أرسل الشريف سرور يطلبه. فلما كان في أثناء الطريق أرسل الأمير فرحان من اللحية[(٢)] سفينة وعسكراً، فأطلقوا السيد عبدالله الفعر وأتوا به إلى اللحية، فأكرمه الأمير فرحان. فلما بلغ الشريف سروراً هذا الخبر أزعجه، ثم أرسل لإمام اليمن يقول له: إن هذا الفعل يورث بيننا حقداً وضغناً، فأرسل الإمام للأمير فرحان يأمره أن يرسل السيد عبدالله الفعر لصاحب مكة، وأرسل للشريف سرور يخبره بأنه أمر بإطلاقه، وأنه يرسل من يقبضه من الأمير فرحان، فأرسل عبد أبيه الوزير بشير، فأخذه منه وسجنه في القنفذة حتى مضى عليه حول، ثم أمر بنقله إلى ينبع، فسجن في ينبع مضيّقاً عليه إلى أن مات. وقيل: إنه قتل في السجن خنقاً، والله أعلم[(٣)].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢١١). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧٧).

(٢) اللحية: بلدة تهامية على ساحل البحر الأحمر شمالي الحديدة.
تقدم التعريف بها.

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٢١٠-٢١١). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧٧-٧٨).

(الوقعة العاشرة)

وفي أوائل سنة تسعين جاء الخبر لمولانا الشريف أن الشريف أحمد نزل على قبائل هذيل، وجمع كثيراً منهم، ونزل بهم وادي نعمان، فأرسل الشريف سرور سرية، فلما أحسَّ بهم الشريف أحمد ولّى هارباً، فتبعوه، ووقع القتال بينهم وبين هذيل، ثم قتل من هذيل ثلاثة وصوّب خمسة، فرجعت السرية، وبقي الشريف أحمد عند هذيل مدة، وهذه الوقعة العاشرة[١].

(الوقعة الحادية عشرة)

ثم نزل الشريف أحمد بن سعيد بهم ثانياً إلى نعمان، فركب الشريف سرور بنفسه إلى العابدية وجمع معه كثيراً من الأشراف والقبائل، وأقام بها أياماً، وتفرقت قبائل الشريف أحمد، ورجع إلى جبال هذيل، وهذه الحادية عشرة من الوقائع، وإن لم يقع فيها قتال[٢].

(الوقعة الثانية عشرة)

وفي سنة إحدى وتسعين ومائة وألف اجتمع مع الشريف أحمد بن سعيد كثير من العربان في جبال هذيل، ونزلوا إلى وادي نعمان، وخرج الشريف سرور إلى المعابدة بما لديه من العساكر والرجال، وأقام بها أياماً حتى تفرّق قوم الشريف أحمد، وهذه الوقعة الثانية عشرة، وإن لم يقع فيها قتال.

---

(١) خلاصة الكلام (ص: ٢١١).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢١١-٢١٢).

وفي ثالث رمضان بلغ الشريف سروراً أن جماعة من الأشراف الذين كانوا مع الشريف أحمد فارقوه من المعدن، وأقبلوا على جبال هذيل يريدون الهجوم على مكة بمن يجتمع معهم، وكان معهم السيد بركات بن محمد بن عبدالله بن سعيد، والسيد عبدالكريم بن عبدالمعين الحمودي، والسيد عبدالله بن مسعود ابن سعيد، والسيد مسعود العواجي، وابنه، فلما نزلوا بوادي نعمان أرسل لهم سرية من الخيل، فلما أدركتهم هربوا إلى الجبال، إلا السيد مسعود العواجي، وابنه، والسيد عبدالله بن مسعود، فقبضوا عليهم، فحبسهم مدة ثم أطلقهم، فسافر العواجي إلى مصر.

وأما السيد بركات والسيد عبدالكريم فتوجها إلى اليمن، ثم بعد مدة اصطلحوا مع الشريف، ورجعوا إلى مكة[١].

(الوقعة الثالثة عشرة)

وفي آخر جمادى الآخرة من سنة اثنتين وتسعين جاء الخبر أن الشريف أحمد بن سعيد انتقل من المعدن إلى جبال هذيل، واجتمع معه خلق كثير، فخرج الشريف سرور بعسكره ورجاله إلى الزاهر، ثم إن هذيلاً تفرقت عن الشريف أحمد، فمكث بأطراف نعمان، ثم انتقل إلى الثنية، ثم توجه إلى [جهة][٢] الشام، فتبعه الشريف رجاء أن يدركه، ففات عليه، وتوجه إلى

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٢١٢). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٨١-٨٢).
(٢) قوله: "جهة" زيادة من خلاصة الكلام (ص:٢١٣)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٨٥).

المدينة فأكرمه أهلها، وهذه الوقعة الثالثة عشرة، وإن لم يقع فيها قتال[١].

(الوقعة الرابعة عشرة)

ولما جاء وقت إقبال الحجوج جاء الخبر بأن الشريف أحمد أراد مواجهة الباشا أمير الحج الشامي، فأبى، فخرج من المدينة في أثره وأنه يريد خليص، فجهز الشريف سرور سرية وأمّر عليها السيد ناصر بن مستور، وأكّد عليه أن يتربّص الشريف أحمد ويقبض عليه، فأدركته السرية على حين غفلة، فحملت عليه الخيل، فلما أحسَّ بهم ركب فرسه وفرّ، وقتل من السرية فرس وعبد، فرجعت السرية، وغضب الشريف على السيد ناصر بن مستور، واتّهمه أنه قصّر في القبض على الشريف أحمد، وهذه الواقعة الرابعة عشرة[٢].

(الوقعة الخامسة عشرة)

من الوقائع التي جرت بين الشريف سرور والشريف أحمد بن سعيد -وهي آخرها-: أنه في سنة ثلاث وتسعين في شهر جمادى الأولى بلغ الشريفَ سروراً أن الشريفَ أحمد مقيم برُهَاط[٣]، وهو موضع بينه وبين مكة

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٢١٣). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٨٥).

(٢) خلاصة الكلام (ص:٢١٤). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٨٦).

(٣) رهاط: واد هو صدر وادي غُران، ووادي غران يمر شمال عسفان على (٨٥) كيلاً من مكة شمالاً، وكان من ديار هذيل. أما اليوم فهو مشترك بين الروقة من عتيبة، ومُعبَّد من حرب. وهو وادٍ كثير العيون والنخل، يبعد عن مكة قرابة (١٥٠) كيلاً (معجم المعالم الجغرافية للبلادي ص:١٤٤).

ثلاثة أيام، فركب الشريف سرور بنفسه في قوة عظيمة، فلم يفطن الشريف أحمد إلا وقد أحاطت به الرجال من كل جانب، فلم يتمكن من الفرار، وقد جرت عليه الأقدار، فاستسلم للقضاء، فقبض عليه وعلى ولديه، وتشتّت عبيده وأصدقاؤه، فأركبه خلف واحد وأمر بحفظه، وأسرع السير، ونزل به إلى بندر جدة، ثم أركبه في سفينة في البحر وأمر بحبسه في ينبع، وحبس معه ولديه السيد راجحاً والسيد حسناً، وقاسوا في الحبس أنواع البلاء والمحن، فمكث الشريف أحمد محبوساً في ينبع مدة، ثم نقله إلى حبس جدة(١).

ومازال محبوساً إلى أن توفي في عشرين من ربيع الثاني سنة خمس وتسعين ومائة وألف، وكان أحد ولديه مات في السجن وأطلق الآخر، وبعد أن قبض الشريف سرور [على الشريف](٢) أحمد بن سعيد تتبع كثيراً من العتاة وقطّاع الطريق، وعاقبهم بأشدّ العقوبات، وصار يتجسس بالليل والنهار على السرّاق والمفسدين، وكان يعسّ في الليل بنفسه ومعه بعض العبيد من بعد صلاة العشاء إلى الصبح، يفعل هذا كل ليلة، فحصل منه إرهاب لكل جبار عنيد، وأنف من أفعاله الذين كانوا يعتدون، واشمأزت نفوسهم من منعهم مما يألفون. فاتفق جماعة على أنهم يترقبون الفرصة لقتله، واعتقدوا أنهم يتمكنون من ذلك في الليل حين يخرج يعسّ وليس معه إلا قليل من الخدم، بأن يجلسوا

(١) انظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٨٨).
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:٢١٥).

له في بعض الأزقة والطرق، وكان مع هؤلاء الذين اتفقوا على قتله السيد عبدالمجيد ابن سعيد بن علي، فنمَّ عليهم وجاء للشريف سرور وأخبره، وقال له: إنه اتفق على قتلك سبعة من ذوي زيد ومعهم ما ينوف على الخمسين من ناس ملفقين، وزعموا أنهم يقتلونك في ليلة حالكة الجلباب، ويلي مكانتك السيد [دباب][١]، وأن سالم بن علي بن عبدالله هو الوزير، وقد فرّقوا المناصب على الكبير والصغير، وأن السيد مسعود العواجي هو الذي يتقدمهم بالقتل، ويناجيك قبل، فلم يصدّقه في الحديث الذي رواه، فأعاقه عن الخروج في ذلك اليوم، ولم يزل عنده حتى أزهرت النجوم، فأرسل من يكشف له الخبر، فعاد الرسول وأخبر بأنه وجد المذكورين في الأزقة والأسواق حاملين السلاح، فثبت عنده صحة الخبر، ونادى في إمساكهم من غير إمهال، فأمسكوا بعضاً منهم وهرب البعض، فممن أمسكوا: السيد مسعود العواجي، وابنه السيد مساعد، والسيد محمد[٢] عمار[٣] بن الشريف عبدالله بن سعيد، وسالم بن علي، ومحمد بن جابر[٤] المخرج، ونحو العشرين من العبيد، فحبسهم

---

(١) في الأصل: دياب. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٢١٥)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٩٠).

(٢) في الأصل زيادة: بن. وانظر: خلاصة الكلام وتاريخ أمراء وأشراف مكة، الموضعان السابقان.

(٣) في تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٩٠): محمد عامر.

(٤) في تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٩٠): محمد بن جار الله.

نحو شهر، ثم أخرجهم وقرّرهم، فاعترفوا بما اتفقوا عليه، فأمر بقتل أربعة[١] من العبيد، وقطع يد السيد مسعود، وأمر على سالم بن علي أن يصلب على عود، وأرسل الباقين إلى جدة، ثم سفرهم إلى الهند مع المراكب الهندية.

وأما البعض الذي هرب ففيهم السيد دباب، وأولاد عبدالله بن مسعود، فأقاموا ببدر، ثم سافروا مع الحج، فمنهم من مات بمصر، ومنهم من مات بالروم[٢].

وفي موسم ثلاث وتسعين ومائة وألف أرسل مولاي محمد سلطان الغرب ابنته ليزوّجها، وأرسل معها أخويها وأموالاً عظيمة، أهداها للشريف سرور، وصدقة للأشراف والسادة وأهل مكة، فتزوج بنت سلطان الغرب بعد أن دعا للعقد جملة من السادة الأشراف والمفاتي والعلماء، وباشر العقد له مولانا الشيخ المفتي عبدالملك القلعي. انتهى[٣].

وذكر العلامة الجبرتي في تاريخه[٤] في ذكر الشريف سرور: أنه تولى الأحكام وعمره نحو إحدى عشرة سنة، وكانت مدة ولايته قريباً من أربع عشرة سنة، وساس الأحكام أحسن سياسة، وسار فيها بعدالة ورئاسة، وأمّن تلك الأقطار أمناً لا مزيد عليه، ومات وفي محبسه نيف وأربعمائة من العربان

---

(١) في خلاصة الكلام (ص:٢١٥): فأمر بقطع أربعة. وفي تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٩٠): فأمر بقطع يد أربعة.

(٢) خلاصة الكلام (ص:٢١٤-٢١٥). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٨٨-٩١).

(٣) خلاصة الكلام (ص:٢١٦). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٩٣).

(٤) تاريخ الجبرتي (٢/٦٨-٦٩).

الرهائن. وكان لا يغفل لحظة عن النظر [والتدبير][١] في مملكته، ويباشر الأمور بنفسه، ويتنكر ويعسّ ويتفقد جميع الأمور الكلية والجزئية، ولا ينام الليل قط، فيدور ثلثي الليل، ويطوف حول الكعبة الثلث الأخير.

ولم يزل يتنفل ويطوف حتى يصلي الصبح، ثم يتوجه إلى داره فينام إلى الضحوة، ثم يجلس للنظر في الأحكام ولا [تأخذه][٢] في الله لومة لائم، ويقيم الحدود ولو على أقرب الناس إليه، فعمّرت تلك النواحي، وأمنت السبل، وخافته العربان وأولاد الحرام، فكان المسافر يسير بمفرده ليلاً في خفارته.

وبالجملة: فكانت أفعاله حميدة، وأيامه سعيدة. انتهى.

ذكر زيارة الشريف سرور سنة ١١٩٤

وفي سنة أربع وتسعين عزم مولانا الشريف على زيارة النبي ﷺ[٣] بأهله، فتجهّز، وخرج من مكة في أحسن نظام، كان معه من الجمال ثلاثة آلاف وخمسمائة، ومن العربان خمسة آلاف، ومن مراجله ألفان، وخمسمائة من السادة الأشراف، ومن الخيل مائتان وخمسون، وصرف على هذا الجند مبالغ جزيلة من المال، وتوجه من مكة ليلة الأربعاء في اليوم الحادي عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور.

(١) في الأصل: والتدبر. والتصويب من تاريخ الجبرتي (٢/٦٨).

(٢) في الأصل: يأخذه. والتصويب من تاريخ الجبرتي (٢/٦٩).

(٣) الزيارة المستحبة إنما هي لمسجده ﷺ للحديث الصحيح: لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

ولما وصل إلى بدر تلقاه أهله برحب الصدر، وعرضوا عليه، وقدموا له الهدايا، ثم وسوس لهم الشيطان فادّعوا أن لهم عوائد على الملوك إذا مرّت بهم، وقوانين، وادّعوا أنه أخذ عليهم من الصنجق معلوم ثلاث سنين، فمكث يعالجهم على الصلح ثلاثة أيام، فلم يقبلوا، فثار الحرب بينهم من كل الجهات، واستمر ثلاث ساعات، فانتصر [عليهم][1]، وقتل منهم أربعة عشر نفراً، وفرّ من بقي، فدخل بعض شيوخهم بين الفريقين بالصلح، وأعطاهم مولانا الشريف سرور أربعة عشر ألف قرش وأعطوه ربائط، فأخذ منهم أربعين رجلاً رهائن، ولما وصل إلى الحمراء[2] بلغه أن ولد نصار بن عطية صعد الجبل وتوارى عنه، فأرسل خلفه من أتى به، فوضعه هو والرهائن كلهم في الحديد، وتأكدت العداوة بينهم غاية التأكيد، ودخل المدينة في اليوم التاسع من رجب، فخرج أهلها وقابلوه، ودخل بموكب وأناخ بالمَناخة[3]، وسكن هو وأهله بها، ثم توجه لزيارة القبر الشريف، ونثر يومها من الذهب والفضة الكثير، حتى التقط من ذلك الكبير والصغير.

وأما رهائن حرب فشدّد عليهم غاية التشديد، فلما بلغ قومهم ذلك قطعوا الطريق.

---

(١) قوله: "عليهم" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢١٦)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٩٧).

(٢) الحمراء: قرية بوادي الصفراء، كانت تقوم على عين فاندثرت، وباندثارها اندثرت القرية وتخربت مبانيها، وتبعد عن المدينة (١٢١) كيلاً جنوباً، وعن الواسطة (الصفراء) سبعة أكيال شمالاً شرقياً (معجم معالم الحجاز ٣/٥٧-٥٨).

(٣) المناخة: حي في المدينة المنورة له سوق عامرة، غرب المسجد النبوي الشريف، قام مكان مناخة الجمال في عهدها، وكان سوق بني قينقاع، ثم صار سوق المدينة معظمها (معجم معالم الحجاز ٨/٢٧٠).

ولما جاء الزوار من مكة على عادة زيارهم في رجب منعوهم من الوصول، فرجعوا إلى مكة من غير زيارة، ثم بلغ الشريف أن حرباً قَصْدُهم الوصول إلى المدينة لمحاربته، فاستعدّ لهم، وطرح عليهم العيون، وصارت خيله كل ليلة تخرج خارج المدينة ليقبضوا على من يجدونه منهم، فوجدوا ليلة نجاباً خارجاً من المدينة ومعه كتب من الكواخي لقبائل حرب يحثوهم على الإقدام عليهم بصدد الحرب، على أنّا نقاتله من داخل البلد، وأنتم من الخارج. فلما قرأها مولانا الشريف طلب شيخ الحرم والكواخي[1] وقرأها عليهم، فأنكروها، وقالوا: إنها مُزوَّرة عليهم، فقال لهم: إن كنتم صادقين فأعطوني القلعة حتى يتّضح لي الحال، فامتنعوا، فأعاقهم عنده، وأرسل شيخ الحرم لأهل القلعة يطلبها منهم لتكون تحت يده يحصّنها بمن يختاره، فوجدهم قد ترّسوها بالرجال، وتعذّروا من إعطائها لشيخ الحرم، وتعذّروا بأنّا رمينا عند سيدنا بالزُّور والبُهتان، ولا نسلمها ما لم تأتنا منه بالأمان[2].

ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وأهل المدينة

فلما رجع وأُخبر بالخبر أعطاهم الأمان، وأرسل مع شيخ الحرم من يحفظها، فلم يفطنوا إلا والرصاص عليهم كالمطر، ففرّ هو ومن معه عنهم، وأصابوا واحداً من العسكر، فقبض مولانا الشريف على الثلاثة الكواخي وشيخ القلعة، وجعلهم في الحديد، فابتدروا بالرمي على بيته، وقتلوا رجلاً

(١) الكواخي: جمع كيخية أو كيخيا تؤدي معنى كتخدا وهو الموظف الكبير.
انظر: مقدمة البرق اليماني (ص٧٩)، والتشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، (ص٩٥)، والمعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية (ص١٨٨)، وانظر الجزء الخامس (ص٢٦٨) من هذا الكتاب.
(٢) خلاصة الكلام (ص:٢١٦-٢١٧). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٩٦-٩٨).

وجملين، فنقل أهله إلى بيت بعيد عن القلعة، ووقع القتال بينهم وبينه من ليلة المعراج إلى مضي ثلاثة أيام، وما تمّ لأحد من الفريقين مرام، فصنع سلالم من الخشب الطوال وأطلع عليها عبيده في ليلة من تلك الثلاث الليالي، فتنبهوا لهم فلم يملكوها، ورجعوا، ثم أرسل لهم بأني قد سمحت عنكم فاخرجوا ولكم الأمان، فرضوا خديعة منهم، وأخذوا مهلة ثلاثة أيام، وأرادوا أن يُدخلوا القلعة من لم يكن دخل منهم، فكفّ الرمي من الطرفين، وأرسل عسكراً تترّس البيوت التي حول القلعة من كل جانب، وأمرهم أن يمنعوا من أراد الدخول، ومن أراد الخروج يتركوه، فلما علموا أنه ترّس البيوت التي حولهم عرفوا أنه تنبّه لخديعتهم، فأحرقوا السلالم التي صنعها في الحال، وشرعوا يرمونه بالرصاص، فأمر عسكره بقتالهم، واستمر الحال يومين، ثم ظهر عجزهم، فربطوا حبلاً وصاروا يتمسكون به ويخرجون من القلعة خفية، فجاءه الخبر، فأمر برمي مدفع على بيت أغاة القلعة، فانخرق وانهدم، وأرسل خيلاً تطلب الذين خرجوا من القلعة هاربين، فطلب الباقون الأمان، فأعطاهم الأمان، ودخل العربان الذين كانوا معه القلعة، ونهبوا ما فيها من الأثاث والنقود، وكان غالب أهل المدينة وضعوا أدباشهم[1] الثمينة في القلعة، فذهبت شذر مذر، وقبض على جملة ممن كانوا سبب هذه الفتنة، ووضعهم في السلاسل والحديد، ووضع وزيره في القلعة، وهو رجل من عدوان ومعه عسكر، وكان جملة من قبض عليهم من أهل المدينة نحو الخمسين، صحبهم معه إلى مكة لما

---

(١) الدّبْش: أثاث البيت وسقط المتاع (المعجم الوسيط ١/ ٢٧٠).

توجه، وأبرز فرماناً بعزل شيخ الحرم، وأمره أن يسير معه إلى مكة، ثم أطلق رهائن حرب وأمرهم بالانصراف، وقطع علائقه.

وتوجه من المدينة في الحادي والعشرين من شعبان على طريق الشرق.

ولما وصل البركة توجّه بأهله إلى الطائف ودخله سابع رمضان، ومكث أياماً، ثم توجّه إلى مكة فدخلها في السادس والعشرين من رمضان، ثم ورد له نجاب بأن أهل المدينة محاصرون للوزير الذي في القلعة ومن معه من العسكر، فأرسل إليهم سرية نجدة لهم نحو ثمانمائة من الخيل والركاب، فاتفق أن الوزير ومن معه لما اشتدّ عليهم الحصار طلبوا الأمان، وخرجوا بعد قصة طويلة، فبلغ السرية عند وصولهم المدينة أن الوزير ومن معه قد خرجوا من القلعة بالأمان، فنزلت السرية خلف جبل أُحد[١]، وأرسل للوزير يطلبونه للرجوع، فلما بلغ أهل المدينة وصول السرية خرجوا لقتالهم ومعهم أربعمائة من حرب كانوا يقاتلون بهم الوزير، فالتقى الصفّان في البساتين التي خلف البقيع في غرة ذي القعدة، ووقع بينهم حرب فظيع، وقتل وصوب جماعة من كل الفريقين، ورجعت السرية من طريق الشرق كما ذهبت منه، ووصلت إلى مكة في الثاني

---

(١) أحد: الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد، وهو جبل أحمر، بينه وبين المدينة قراية ميل في شماليها، ويقع حي الشهداء بسفحه الجنوبي. وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أحد جبل يحبنا ونحبه » (معجم معالم الحجاز ١/٥٨-٦٠).

عشر من ذي القعدة[١].

ذكر تجهيز الشريف سرور لقتال حرب سنة [١٢٠١هـ][٢]

وفي سنة ١٢٠١ عزم الشريف سرور على التجهيز لقتال حرب، إلا أنه كتم الأمر، وأرسل في شهر جمادى الأولى لطلب القبائل من كل جهة، فأقبلوا عليه فوجاً بعد فوج، وهو يبسط عليهم النفقات ويبذل لهم المال الكثير، فلما حضروا أخبرهم أنه يريد قبائل حرب، ولما تكاملت الجنود خرج يوم الثالث عشر من رجب إلى الزاهر، وأخرج العساكر والجنود والمدافع وجميع المهمات، وكانت القبائل عدداً كثيراً، من جملتهم قبائل الشرق، بلغ عددهم تسعة آلاف، ومعهم مائتان من الخيل، وتوجه منه يوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور، ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى مستورة[٣]، فأرسل غزية على جبل صُبْح[٤]، فغنموا مواشي أهل تلك الديرة ورجعوا. وأما طائفة عتيبة فإنهم كلما

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٢١٧-٢١٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:٩٨-١٠٣).

(٢) في الأصل: ١٢١١. وهو خطأ. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٢٢٢).

(٣) مستورة: بلدة ساحلية غير بعيدة عن البحر على الساحل الشرقي للبحر الأحمر بينه وبين جبال تهامة على ضفة وادي الفرع من الشمال إذا وصل إلى الساحل، تبعد عن رابغ (٤٠) كيلاً شمالاً، وتقع الأبواء شرقها على (٢٨) كيلاً، وهي تتبع رابغ إدارياً. وتبعد مستورة عن مكة (٢٣٥) كيلاً على الطريق العامة إلى المدينة، وهي المنتصف بينهما. ويقول الأهالي هنا: إن أصل المحطة بئر احتفرتها امرأة من زبيد يقال لها: مستورة (معجم معالم الحجاز ٨/١٣٩-١٤٠).

(٤) جبل صبح -أجبال صبح-: جبال سود يمين الطريق من تيماء إلى حائل، يمر بقربها، وتعرف اليوم بالظلماء (معجم معالم الحجاز ١/٥١).

وصلوا بندراً ينهبونه قبل وصول العسكر، فأقام أياماً على مستورة، وأمر على عتيبة أن يقيموا بعيداً عن الجيش بسويعات في محل مرتفع يقال له: الحديبة. وأما حرب فقد تجمعوا من كل جهة كانوا نازلين بها مصمّمين على قتاله حتى وصلهم، فاستبطؤوه وطالت إقامتهم وانتظارهم إياه، فظنوا أنه إنما تأخر حتى طالت المدة خوفاً منهم، وخطر ببالهم أن يدهموه في محله فيظفروا به وبخزائنه، فأقبلوا من مواضعهم على عتيبة أولاً؛ لكونهم بعيداً عن بقية الجيش، وأرادوا استئصالهم، فأحاطوا بهم من كل مكان، فاقتتلوا معهم، وفات من كلا الفريقين من دنا أجله، فعند ذلك صاح مستنجدهم بالشريف، فنهض كما ينهض الأسد، واستنجد الكماة من بني عمه السادة الأشراف وكل من معه في ذلك النادي من العسكر والبوادي، وفرغ لهم الذهب الأصفر، فرموا أنفسهم في الموت الأحمر، فلما رأوا عيون القوم قال: كل من قطع رأساً فله خمسة من المشاخصة، فتتابعوا للقتال كأنهم نشطوا [من عقال](1)، فلم يكن [إلا](2) كلمح البصر إلا والرؤوس بين يديه كالتلول، وقتلوا فيهم القتل الشنيع، فلما رأى كثرة القتل فيهم أخذته الشفقة، فأمر منادياً ينادي: المربوط دون المقتول بما وقع عليه القول، فأخذوا الحبال وصاروا يربطون فيهم

---

(١) في الأصل: للعقال. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٢٢٣)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:١٢٥).

(٢) قوله: "إلا" زيادة من خلاصة الكلام وتاريخ أمراء وأشراف مكة، الموضعان السابقان.

ويأتون [بهم][١] كالغنم، فربطوا ما ينوف عن خمسمائة، وهرب منهم من بقي أجله، وأمر بوضع المرابيط في الأغلال والسلاسل، ثم توجه الشريف إلى الفرع وملكه بغير قتال، ثم إلى بدر، فلقيه أهلها طائعين، ثم ارتحل إلى الخيف فوجد أهله مترّسين على رؤوس الجبال وقد جعلوا ردماً بين جبلين صيّروه كالسد [لمنعه][٢] من العبور، فأمر بهدمه، وحرق بعض الدور، وقبض على عشرين منهم وجعلهم في الحديد، وطلب مفتي مكة الشيخ عبدالملك القلعي ليتوجه معه إلى المدينة المنورة، فامتثل أمره وتوجه، وكان دخول الشريف المدينة في السابع عشر من شوال، فتلقاه أهل المدينة بالتعظيم والإجلال، وأقام هناك إلى وصول الحج الشامي، ولا تعرض أهل المدينة بنقض ولا حل، ولا تولية ولا عزل، ثم توجه من المدينة بعد خروج الحج منها بيوم، ودخل مكة في أوائل شهر ذي الحجة بمن معه من القوم، ودخلت الحجوج سادس ذي الحجة، وحج الناس في أمن وسرور[٣].

---

(١) في الأصل: به. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.
(٢) في الأصل: يمنعه. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٢٢٣).
(٣) خلاصة الكلام (ص:٢٢٢-٢٢٣). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:١٢٤-١٢٧).

ذكر ختان أولاد الشريف سرور سنة ١٢٠٢هـ[1]

ثم دخلت سنة ألف ومائتين واثنين، فعزم مولانا الشريف على ختان أولاده وأولاد أخيه بإقامة فرح عظيم، فأمر بالتهيؤ والاستعداد لذلك، فكان ابتداء ذلك الختان والفرح في اليوم العاشر من ربيع الأول من العام المذكور، وتمّ في ذلك الفرح ما لم يسبق مثله، فألبس الملابس الفاخرة لكل من حضر الختان، ونثر من الذهب والفضة أعظم النثار، وعرض عليه أهل الحارات، وأنعم عليهم بالملابس والعطايا الجزيلة، ومن بعد صلاة المغرب ينتصب الديوان بالعساكر والنوبة [تضرب][2]، وعرض عليه السادة الأشراف فألبسهم الملابس الفاخرة، وأعطاهم من العطايا ما تقرّ به العين، وكذا حضر كثير من أهل البادية، وعرضوا عليه، وأنعم عليهم بالملابس والعطايا، وأوْلَم للسادة الأشراف وللعلماء وأعيان الناس وليمة منظّمة، وضع فيها أنفس المآكل وخيار الأطعمة، ثم أوْلَم لبقية الناس ولائم متعددة، وأوْلَم أيضاً لعساكره وأشياعه وعبيده، ثم أطلق في الولائم ولم يخصّ أحداً، فما بقي أحد إلا وحضر تلك الولائم، واستمرّ هذا الفرح من عشرة ربيع الأول إلى السابع والعشرين منه.

---

(١) انظر: قصة ختان أولاد الشريف في: خلاصة الكلام (ص:٢٢٣-٢٢٤)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:١٢٨-١٢٩).

(٢) قوله: "تضرب" زيادة من خلاصة الكلام (ص:٢٢٤)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:١٢٨).

وفي السابع والعشرين أمر جميع عساكره وخيالته أن يحضروا بباب دولته وإمارته، وأمرهم أن يطوفوا بأكناف البلاد في موكب عظيم وآلاي منظم، فخرجوا بأفخر الملابس ركباناً على الخيول المسوّمة، مصطفّين كل أربعة خلف أربعة، مقدّماً أمام الجيش سبعة من المدافع تسير معه، ولم يَبْقَ أحدٌ من أهل البلد إلا خرج يوم الزينة، ولما رجعوا إلى داره العامرة ألبسهم الملابس الفاخرة، ونثر يومها من الدراهم ما أغنى به كل صُعْلوك[(١)].

وفي غرّة ربيع الثاني جعل فرحاً عظيماً للنساء، وصنع لهنّ وليمة، ودعا فيها المغنيات وكساهن أفخر الكساء، فهرع نساء البلد متفرجات، وأكل من الوليمة من حضرها من بواديها وحضرها، [والمغنيات][(٢)] يغنين بأنواع [الألحان][(٣)] كتغريد الطيور على الأغصان، واستمرّ فرح النساء على هذا النسق ثلاثة أيام، وتم في هذا الختان ما لم يتمّ لغيره من السرور، وإذا تم أمر يخشى منه عواقب الأمور، كما هو مذكور في المثل المشهور:

إذا تم أمر بدا نقصه ترقب زوالاً إذا قيل تم

فلم يمضِ مقدار أسبوع بعد تمام هذا الفرح إلا وتبدل السرور بالكدر،

---

(١) الصُّعْلُوك: الفقير (المعجم الوسيط ١/٥١٥).

(٢) في الأصل: المغنيات. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٢٢٤)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:١٢٩).

(٣) في الأصل: ألحان. والتصويب من خلاصة الكلام وتاريخ أمراء وأشراف مكة، الموضعان السابقان.

فمرض سيدنا الشريف سرور وحصل له إغماء غيّبه عن الوجود، فكتموا أمره عن الناس إلى يوم الرابع عشر من ربيع الثاني، فأغمي عليه إغماء شديد ظنوا أنه الموت، فأعلنوا بالنحيب، فاضطربت البلاد لعظم المشقة، ووقع الجري في الأسواق والأزقة، ثم أفاق من ذلك الإغماء، فاستبشر الناس واطمأنوا، وعاش بعد ذلك أربعة أيام، ثم انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء في اليوم الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ألف ومائتين واثنتين، وحزن عليه الخاص والعام، والكبير والصغير، وجُهّز وصلّي عليه بعد الإشراق عند الكعبة، ودفن بالمعلا بقبة السيدة خديجة.

وأعقب من الذكور: عبدالله، ويحيى، وسعيداً، وحسناً، وأحمداً، ومحمداً[١].

ولاية الشريف عبدالمعين بن مساعد[٢] سنة ١٢٠٢

وتولى شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف عبدالمعين، وأقام فيها أياماً، وقيل: نصف يوم[٣].

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٢٢٣-٢٢٥). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص:١٢٨-١٣٠).

(٢) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص:٢٢٥)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني(ص: ١٥٠)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص:٣٣٤).

(٣) خلاصة الكلام (ص:٢٢٥).



انتهى بعون الله تعالى الجزء الثالث
ويتلوه الجزء الرابع وأوله:
ولاية الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢

المحتويات

الموضوعات	رقم الصفحة